

ألفرد زيمرن

ميراث الترجمة

# الحياة العامة اليونانية

السياسة و الاقتصاد  
في أثينا في القرن الخامس

ترجمة: عبد المحسن الخشاب

مراجعة: أمين مرسى قنديل

تقديم: أحمد عثمان

الطبعة الثانية



## ألفرد زيمرن الحياة العامة اليونانية

فى أثناء طبع هذا الكتاب قامت الحرب العالمية الأولى، وبذا واجهت بريطانيا لأول مرة منذ أن غدت ديموقراطية، المسئوليات المدنية فى معناها الكامل فى الفكر والعمل، تلك المسئوليات التى كانت أمراً عادياً للغاية بالنسبة لأثينا فى القرن الخامس فى مجال نظام الدولة المدنية الضيق. فالأفكار اليونانية والإلهام اليونانى يمكن أن يساعدنا اليوم، لا على مواجهة واجبات اللحظة التى نحن فيها فحسب، بل فى العمل على إرساء قوائم الديموقراطية، ونشر حقوق المواطن، وتوسيع مجال الحرية والقانون، وتدعيم مرماهما، وهى أمور يبدو أنها الواجبات السياسية الرئيسية أمام البشرية فى هذه الحقبة الجديدة التى بدأها من التاريخ.

# **الحياة العامة اليونانية**

(السياسة والاقتصاد فى أثينا فى القرن الخامس)

## المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ٢ / ١٠٣٠

- الحياة العامة اليونانية (السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس)

- ألفرد زيمرن

- عبد المحسن الخشاب

- أمين مرسى قنديل

- أحمد عثمان

- ٢٠٠٩

### هذه ترجمة

The Greek Commonwealth

Politics & Economics

in Fifth - century Athens

by: Alfred Zimmern

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554



# الحياة العامة اليونانية السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس

تأليف: ألفرد زيمرن

ترجمة: عبد المحسن الخشاب

مراجعة: أمين مرسى قنديل

تقديم: أحمد عثمان



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٥٢٥ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 6-378-479-977-978

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

## تقديم

لم يعد التاريخ كما كانت النظرة التقليدية إليه من قبل، أى تاريخ الساسة والقادة العسكريين والحروب والفتوحات والإمبراطوريات. وشيشرون خطيب روما المفوه هو الذى سمى هيرودوتوس "أبو التاريخ" *Pater historiae*، فى حين كان بعض العلماء المحدثين يفضلون عليه ثوكيديديس بوصفه الأكثر تدقيقاً وتحققاً. وفى الآونة الأخيرة عادت لهيرودوتوس مكانته المرموقة بين المؤرخين؛ لأنه ضمن تاريخه الكثير من المعلومات الإثنوجرافية والفولكلورية والحكايات والتوادر والأساطير. ويقول العلماء المعاصرون: إن التاريخ الحقيقى هو تاريخ الشعوب لا تاريخ الملوك والزعماء والنخبة.

وهذا التغيير الذى طرأ على مفهوم التاريخ فى القرن العشرين يعزى إلى عدة تطورات وقعت منذ بداية القرن العشرين وحتى نهايته، لعل أهمها الثورة البلشفية فى روسيا وازدهار الشيوعية القائمة على طبقة الكادحين من عمال وفلاحين، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى والثانية وأهوالهما. وكان المسئولون عنها هم قادة وزعماء متطرفون ومنحازون ومتعصبون، فسقط القناع عن الفرد، وبرز نور المجتمع، وازدهرت الدراسات الاجتماعية، وظهر اتجاه سوسولوجيا الأدب والفن.

وتأثرت الدراسات الكلاسيكية بكل هذه التطورات؛ فأعيد النظر فى الأدب والفن الإغريقيين. وعلى سبيل المثال لم تعد "إلياذة" هوميروس مجرد قصة حرب بين الإغريق والطوراديين، ولم تعد مقصورة على الأبطال أو أنصاف الآلهة مثل أخيلوس وهيكتور، بل أعيدت القراءة على أساس أن "إلياذة" لا تخلو من البعد الاجتماعى. فإلى جانب العلاقات الاجتماعية والأسرية الواضحة فى "إلياذة"، التى تم التركيز عليها فى بعض الحالات مثل العلاقة الحميمة بين هيكتور وزوجه أندروماخى وطفلها أستياناكس نقول

إلى جانب هذه العلاقات الأسرية والإنسانية هناك على "درع أخيليوس" صورة أكثر وضوحاً للمجتمع الإغريقي فى قريتين متجاورتين إحداهما تنعم بالسلام والأخرى تشقى بالحرب. فجدير بالملاحظة أن الزخرف على درع أخيليوس يمثل الكون والحياة الجارية فى أرجائه. وتبلغ دقة الوصف حدًا مذهلاً؛ مما يجعلنا نشعر وكأننا نلامس الواقع، حتى إن كل ما وصلنا من فنون عصر هوميروس وتمتلى به المتاحف يبدو وكأنه شذرات من ذلك الإبداع الهومرى.

ولقد أثارت زخرفة "درع أخيليوس" الكثير من الجدل والمناقشة فى كتب التاريخ والأدب والفن. صنع هيفايستوس إله النار والحدادة الدرع من خمس طبقات جلدية تغطيها طبقة برونزية مطعمة بأربعة معادن أخرى. يمثل الإطار الخارجى الأوكيانوس أى المحيط، أما المساحة المركزية فتضم الأرض والأجرام السماوية. أما المشاهد الأخرى فهى كما يلى :

- ١ - حفلة زفاف الكتاب الثامن عشر: أبيات ٤٩٠ - ٤٩٦ .
- ٢ - مشهد قتل: أبيات ٤٩٧ - ٥٠٨ .
- ٣ - الحصار: أبيات ٥٠٩ - ٥١٢ .
- ٤ - الهجمة على مدينة محاصرة: أبيات ٥١٣ - ٥٤٠ .
- ٥ - حرث الحقول: أبيات ٥٤١ - ٥٤٩ .
- ٦ - الحصاد: أبيات ٥٥٠ - ٥٦٠ .
- ٧ - جنى الكروم: أبيات ٥٦١ - ٥٧٢ .
- ٨ - الأسود تهاجم قطعان الماشية: أبيات ٥٧٣ - ٥٨٦ .
- ٩ - حظائر الأغنام: أبيات ٥٨٧ - ٥٨٩ .
- ١٠ - الرقص: أبيات ٥٩٠ - ٦٠٦ .



ونقتطف من الإلياذة هذا الجزء من الحياة فى قرية السلام :

" ونقش (هيفايستوس) أيضاً حقلاً من الأرض الناعمة الغنية .

أرضاً محروثة ثلاث مرات ، شاسعة سمراء ضاربة إلى الصفرة .

ودفع حارثون كثيرون الأنبار أمامهم يسوقونها

هنا وهناك ، وكلما عادوا بعد أن يبلغوا حدود الأرض المحروثة

يأتى رجل ويضع فى يد كل منهم كأساً من النبيذ اللذيذ كالعسل .

لذا كان الحارثون يعودون مسرورين

فى لهفة ، عندما يصلون إلى حدود الأرض عميقة الحرث .

وكان الحقل من خلفهم قائماً بعد أن قُلبت التربة ،

فتبدو كأنها مذهبة ، وتلك آية من عجائب الصنع !

ونقش (هيفايستوس) ضيعة ملكية يحصد العمال فيها ،

حاملين مناجل حادة فى أيادهم ، تتساقط فى صفوف متراسة

بعض سيقان (القمح) على الأرض بطول الجزء المحصود

ويربط الحزّامون (القمح) فى حزمات بأربطة من القش المجدول ،

حزّامون ثلاثة وراء الحصّادين ، يجمع خلفهم

الغلمان سيقان القمح ملء أذرعهم ، ويحملونها ، ويعطونها

للحزّامين . فى الوسط يقف الملك يمسك صولجانه صامتاً ،

منشرح الصدر ، عند خط المحراث .

ويعد الأتباع وليمة بعيداً تحت شجرة بلوط .

فكانوا يهيئون ثوراً ضخماً ذبحوه قرباناً .  
ونثرت النسوة شعيراً أبيض بكثرة على جلده لغذاء العمال .  
ونقش ( هيفايستوس ) كرمة ذهبية جميلة ، حملها ثقيل  
من العناقيد ، عناقيد سوداء من أعناب .  
تصطف من أول الكرمة إلى آخرها أعراش فضية تحمل العناقيد .  
ونقش حولها خندقاً طلي بالأزرق القائم حوله سياج .  
من القصدير ، يؤدي إليه ممر واحد يسلكه .  
قاطفو الأعناب عندما يتجمعون في الكرمة .  
وقف الفتية والغلمان منشرحين في مرح ،  
حاملين فاكهة ناضجة أحلى من العسل ، في سلال من الصفصاف .  
وفى وسطهم غلام يحمل قيثارة جلية النغمات .  
يعزف عليها ، ويتغنى مع الألمان .  
بأغنية ( خفيفة ) ، وبصوت رقيق ، ويدق الباقون  
الأرض في تناغم ، ثم يتقافزون في رقص وصياح .  
ونقش ( هيفايستوس ) قطعاً من الماشية مستقيمة قرونها ،  
محللة بالذهب والقصدير ،  
خافضة ( رء وسها ) ، مسرعة من الحظيرة ، لترعى .  
بالقرب من نهر يعلو فيه خرير المياه ، وتتمايل على ضفتيه العيدان .  
يمشى بجانب الماشية أربعة رعاة من الذهب ،

تلهث وراءهم تسعة كلاب. قفز وسط مقدمة الماشية أسدان مهولان،  
وأمسكا بثور شرع يجار بالخوار المدوى،  
لأنهما يبتعدان به، ويسرع وراءه الكلاب  
والآيل، فيمزق الأسدان جلد الثور وينهشان  
أحشاه ودماءه السوداء، ولم يفعل الرعاة شيئاً.  
بسبب الخوف، فحرضوا الكلاب التي لم تجرؤ  
على ملاحقة الأسودين، فما كان منها  
إلا أن وقفت تنبح، وابتعدت بنفسها جانباً، وتقهقرت<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت إعادة قراءة هوميروس قراءة اجتماعية قد احتاجت إلى جهد علمي ونظرة فاحصة مدققة، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لمؤلفات هيسايودوس "الأعمال والأيام" و"أنساب الآلهة"؛ فكلها موجهة للفلاح والملاح والطبقات الدنيا من المجتمع. والأمر كذلك بالنسبة للشعر الغنائي الذي لا تنحصر اهتماماته في النخبة حتى لو كانت النخبة الحاكمة. بل تمتد لتشمل الناس جميعاً في أفراحهم وأتراحهم وسائر أوجه حياتهم ومماتهم. أما الدراما الإغريقية من تراجيديا وكوميديا فهي فن جمعي يقوم أساساً على وجود جمهور متفرج هو جميع سكان المدينة - الدولة. وبدون هذا الجمهور لا وجود للدراما. وإذا كانت الدراما هي قمة النضج الفني والشعري، فإن ازدهارها في القرن الخامس ق.م. له دلالة عميقة؛ فهذا الازدهار يواكب تطور الديمقراطية الأثينية وبلوغها الذروة في عصر الزعيم الفذ بريكليس. فالقرن الخامس ق.م. هو العصر الذهبي ليس لأثينا فقط بل للحضارة الإغريقية برمتها. ورمز هذا العصر الذهبي هو

(١) "الباذة" هوميروس ترجمة أحمد عثمان (وأخرون) المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة عدد ٧٥٠، الكتاب الثامن عشر أبيات ٥٤٦ وما يليه.

بلا جدال أثينا وبريكليس أى المدينة - الدولة وزعميها؛ فلا غرو إذن أنه منذ بدايات القرن العشرين توالى مئات - أو قل آلاف - الدراسات الاجتماعية التى تحاول شرح ما سموه "المعجزة الإغريقية"، ويعنون هذه الطفرة غير المسبوقة فى القرن الذهبى القرن الخامس ق.م. ولاسيما أثينا التى ضمت معظم الدويلات والمدن الإغريقية تحت راية "إمبراطوريتها" المتمثلة فى حلف ديلوس. ومن هنا يأتى عنوان الكتاب الذى نقدم ترجمته فهو كما يلى :

#### **The Greek Commonwealth, Politics & Economics in Fifth - Century Athens.**

واستخدام المؤلف لكلمة **Commonwealth** "الكومنولث" إنما هو مقصود تماماً، لأنه يرمز إلى - ويلمز - الكومنولث البريطانى الذى برز للوجود فى بدايات القرن العشرين؛ فالإمبراطورية الأثينية التى بلغت الذروة فى عصر بريكلليس وفى ظل الديموقراطية كانت تحمل فى طياتها جرثومة الفساد والانهايار بفعل النزعة "الإمبريالية"، وبالفعل انتهت بهزيمة أثينا أمام إسبرطة فى نهاية الحرب البيلوبونيسية عام ٤٠٤ ق.م. بموقعة أيجوس بوتاموى، وهذا ما يذكرنا بانهايار إمبراطورية بريطانيا العظمى التى لا تغيب عنها الشمس.

ظهرت الطبعة الأولى الإنجليزية عام ١٩١١، وفى مقدمة الطبعة الثانية ١٣ ديسمبر عام ١٩١٤ يكتب المؤلف قائلاً :

" وفى أثناء طبع هذا الكتاب قامت الحرب العالمية الأولى، وبذا واجهت بريطانيا لأول مرة منذ أن غدت ديموقراطية، المسئوليات المدنية فى معناها الكامل فى الفكر والعمل، تلك المسئوليات التى كانت أمراً عادياً للغاية بالنسبة لأثينا فى القرن الخامس فى مجال نظام النولة المدينة الضيق. فالأفكار اليونانية والإلهام اليونانى يمكن أن يساعدنا اليوم، لا على مواجهة واجبات اللحظة التى نحن فيها فحسب، بل فى العمل على إرساء قوائم الديموقراطية، ونشر حقوق المواطن، وتوسيع مجال الحرية والقانون، وتدعيم مراهما، وهى أمور يبدو أنها الواجبات السياسية الرئيسية أمام البشرية فى هذه الحقبة الجديدة التى بدأناها من التاريخ".



فالكتاب منذ طبعته البريطانية الأولى وحتى الطبعة الخامسة ١٩٣١ عاصر أحداثاً  
جساماً مثل الحرب العالمية الأولى والثورة البلشفية، كما عاصره وعلّق عليه أو حاوره  
أساتذة كبار فى الكلاسيكيات مثل جلبرت مرى Gilbert Murray، واهرنبرج V. Ehrenberg  
وغيرهما، وقرأه المؤرخ الأشهر أرنولد توينبى Arnold Toynbee .

وواكب اكتشاف البردى ونشأة علم البردى ظهور هذا الكتاب فى طبعاته المتتالية،  
وبادئ نى بدء فالبردى نبات مصرى وورق البردى صناعة مصرية مائة بالمائة. وكان  
لنشأة هذا العلم - بعد الاكتشافات البردية المذهلة فى رمال مصر منذ أواخر القرن  
التاسع عشر - آثار عميقة فى فروع الدراسات الكلاسيكية كافة. فالبرديات المصرية  
القديمة والإغريقية تغطى كل نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية جنباً إلى  
جنب مع ملابسات الحياة السياسية؛ فهى تشمل وثائق زواج وطلاق وترايل دينية  
ورسائل خاصة مليئة بالأسرار الشخصية ووصلات تسديد الضرائب ورسائل تزكية  
والتماسات وشكاوى ومظلمات، وجميعها يتناول دقائق الحياة اليومية حتى كأننا ونحن  
نطالعها نعيش مع هؤلاء الناس الذين ماتوا من آلاف السنين. وهكذا أضاءت برديات  
مصر جوانب الحياة كما لم يحدث فى التاريخ من قبل. ومع أن البرديات الإغريقية  
المكتشفة فى مصر لا تعود إلى ما هو أقدم من القرن الثانى ق.م. فإنه من الطبيعى  
أن تؤثر هذه المعلومات الغزيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر البطلمية  
فى تصور العلماء حتى قبل ذلك التاريخ. ومن ثم نستطيع القول بأن لعلم البردى وتطوره  
بعض الفضل فى إعادة قراءة حياة الإغريق القدامى منذ هوميروس وحتى العصر  
الكلاسيكى بتركيز أشد على الجوانب الاجتماعية ومعيشة البسطاء والفقراء.

هذا عن الكتاب أما المترجم الدكتور عبد المحسن الخشاب فهو من أنشط  
المترجمين فى أواسط القرن العشرين. وصرف وقتاً طويلاً وجهداً مضنياً فى تعقب  
الحضارة الإغريقية والرومانية، ونحن نعتبره استمراراً لسلسة تبدأ من رفاعة رافع  
الطهطاوى وسليمان البستاني وأحمد لطفى السيد، وتمتد إلى لويس عوض وثروت  
عكاشة وبرينى خشبة، أى رواد الثقافة المصرية غير المتخصصين الذين دفعوا

بجهودهم فى الترجمة إلى التفكير فى تأسيس هذا التخصص وتطويره، فهم الذين مهدوا الأرض، وبذروا البنور، وعلينا أن نستعيد فى الذاكرة يوماً جهود هؤلاء الرواد، ونرفع لهم أيدى التحية والإجلال لما بذلوه من جهد مخلص ووعى مثمر. فتحية للمترجم د. عبد المحسن الخشاب، وتحية للكتاب المترجم، ونأمل أن يجد القارئ المعاصر فى هذا الكتاب المتعة والفائدة معاً. وله أن ينظر للوراء فى اعتزاز وإكبار.

وبالله التوفيق،

أحمد عثمان

الحياة العامة اليونانية  
السياسية والاقتصادية  
في أثينا في القرن الخامس

تأليف

ألفرد زيملرن

الطبعة الخامسة منقحة

ترجمة

الدكتور عبد المحسن الخشاب

مراجعة

الأستاذ أمين مرسى قنديل





إلى كليتي  
سانت ماري وتون

## مقدمة الطبعة الخامسة

لقد أدخلت تغييرات طفيفة على هذه الطبعة ، ولكنى لم أحاول هذه المرة معالجة الأبحاث الحديثة ويسرنى أن أقدم شكرى إلى الأستاذ فيكتور إهرنبرج لإشارته إلى الكتاب فى « جنومون ، ( الجزء الأول ، العدد الثالث ، ١٩٢٥ ) .

أ. ز .  
أكسفورد ،  
أغسطس ١٩٣١ .

## مقدمة الطبعة الرابعة

دأبت منذ نشر الطبعة الثالثة لهذا الكتاب على متابعة الأبحاث الجديدة الواسعة النطاق التى يتناولها . إلا أنه لم يكن من السهل أن أقرر أفضل الوسائل للاستفادة مما جمعته من شتى المعلومات . والطريق الطبيعى هو ما اتبع فى الطبعات السابقة من حيث إدماج المادة الجديدة فى النص والتعليقات . إلا أن مر السنين قد نأى فى بعيداً ، لا عن موضوع الكتاب الذى سبقى مسكالى ، ولكن عن الظروف الفكرية التى فى ظلها كتبتة . فعندما اتخذت مكانى فى المدرسة البريطانية فى أئينا وسط مدرسته ، كنت قد تشبعت بتفاصيل الموضوع مدة عشر سنوات أو أكثر ، وما اتخذت قراراً فى موضوع كان مثار جدل ، إلا بعد اعتبارات جمّة ، غاب عن خاطرى الكثير منها الآن . ولكن أقنعتنى الخبرة التى اكتسبتها من متابعة ما وجه إلى من نقد ، سواء إلى طريقة بحثى العامة أو إلى نقط معينة ، بأنه يجب أن أعدل الكتاب ، إلا أننى أكون متجنباً لو عبثت بأرائى السابقة دون تحفظ . كما أنه من الحق البين أن أتجاهل الأبحاث الجديدة ، فيغدو الكتاب جامداً لا يشمل ما استحدث من الآراء والكشوف

(و)

وعلى ذلك رأيت ألا أغير من نصه إلا في حالات قليلة جداً (مثل تاريخ تمانيل البارثونون) تضمنت مسائل أصبحت ثابتة. وعزمت على تناول الأبحاث الحديثة وما أدت إليه من اعتبارات وآراء في تذييل منفصل ويلوح لي أن هذا هو أفضل طريق لإنصاف المؤلف، الذي أعتبر نفسي، كتعبير كاتب أيرلندي، أقرب مثل حي له، ولإنصاف ضميري كباحث، ولتقتضيات موضوع آخذ في النمو والزيادة.

هذا وقد أضفت إلى الكتاب فهرساً للكلمات والجمل اليونانية.

لندن،

أبريل، ١٩٢٤.

### مقدمة الطبعة الثالثة

إنني مدين في مراجعة الكتاب وإعداده للطبعة الثالثة بالأخص، لصديق المستر شيرلي. ك. آتشلي، الموظف بسفارة صاحب الجلالة بأثينا فقد استخدم معرفته الواسعة بالريف اليوناني في تلك المراجعة، وأصلح أيضاً خريطة أثينا على ضوء معلوماته التي اكتسبها بكثرة تجواله. وإنني مدين كذلك إلى الباحث الإسباني الممتاز، الوطني الكاتب، دون مجويل دي أونامونو، الأستاذ بجامعة سلامانكا، لما حيانى به من اقتراحات نافعة. أما التغييرات والإضافات الأخرى فترجع أولاً إلى الأبحاث الحديثة في هذا الموضوع، كما ترجع إلى تطبيق الأفكار ومتابعة الميول والاتجاهات المشار إليها في النص.

أوكتيل درايف،

سوربيتون.

٢٠ مارس ١٩٢١.

## مقدمة الطبعة الثانية

إنني مدين لكثير من النقاد والأصدقاء الذين مكنوني من إصلاح بعض الأخطاء، وتوضيح بعض النقط الغامضة في الطبعة الأولى. وأخص بشكري عميد كلية وادهام بأكسفورد، ثم القس كروكشانك، ومستر ه. ج. كاننجهام ومستر ج. ديكنز، وإلى النقاد في التايمز وفي مجلة Jour. of Hell. St. ثم الأستاذ فرانكوت بجامعة لياج، وفي مقدمتهم وبنوع خاص الأستاذ ثيلا موفيز مولندروف بجامعة برلين. وقد انتهزت الفرصة وأشرت إلى البحوث والكتب التي صدرت في هذا الموضوع منذ عام ١٩١١، كما قمت ببعض التعليق هنا وهناك على الحوادث الجديدة، كما يرى في صفحات ١٠٦، ٢٩٢ - ٢٩٤. على أن أهم ما أضفته إلى الكتاب هو خريطة أتيكا التي وضعها صديق المستر أرنولدج. توينبي.

والكتاب في جملته لم يتغير. ولست أدعي أنني راض عن دراسة موضوع الرق بالشكل الذي تركته عليه في الجزء الثالث في الفصلين ١٥، ١٤ اللذين استمسك بعض النقاد بالمقابلة بينهما، ولكن لم أصل إلى أبعد مما وصلت إليه من قبل عند كتابة هذين الفصلين، ولعل غيري يوفق إلى الاستفادة من الأدلة التي نهت إليها. (١)

وفي أثناء طبع هذا الكتاب قامت الحرب العالمية الأولى، وبذا واجهت بريطانيا لأول مرة منذ أن غدت ديمقراطية، المسؤوليات المدنية في معناها الكامل في الفكر والعمل، تلك المسؤوليات التي كانت أمراً عادياً للغاية بالنسبة لآثينا في القرن الخامس في مجال نظام الدولة المدينة الضيق. فالأفكار

(١) ١٩٣٤ - بلغ مستر هايتلاند شأناً أبعد مما بلغته في هذا البحث فيما يختص بالعمل الزراعي على الأقل، وقد وصل إلى النتيجة نفسها. أنظر ملاحظاته (Agricola، ص ٤٤٦ - ٤٤٧) على أسباب اختلاف خصائص الرق في المناجم وفي اللاتيفونديا الرومانية، عنه في أعمال الخدمة المنزلية والحرف الصناعية والمهن.

(ح)

اليونانية والإلهام اليوناني يمكن أن يساعدنا اليوم ، لا على مواجهة واجبات اللحظة التي نحن فيها فحسب ، بل في العمل على إرساء قوائم الديمقراطية ، ونشر حقوق المواطن ، وتوسيع مجال الحرية والقانون ، وتدعيم مرامهما ، وهي أمور يبدو أنها الواجبات السياسية الرئيسية أمام البشرية في هذه الحقبة الجديدة التي بدأناها من التاريخ .

إدارة المعارف

هوايت هول ، س . و .

٢ ديسمبر ، ١٩١٤

## مقدمة الطبعة الأولى

إن هذا الكتاب نتيجة محاولة أردت بها أن أوضح لنفسى ما كانت عليه أئتنا حقيقة في القرن الخامس . فعظم من تعلوا لهم فكرتهم الخاصة عن بلاد اليونان القديمة . وقد حاولت أن أعبر عن رأى فى صورة دراسة لطبيعة قوتين عظيمتين فى الحياة الأثينية . وما كان لهما من أثر وتفاعل فيها . وحسبنا كلمات قليلة لبيان السبب الذى أملى على اختيار الطريقة التى سلكتها .

يسلم الجميع الآن بأنه لا يمكن فهم الأفراد ولا الأمم حق الفهم دون الإلمام بأحوال بيئتهم وبوسائل معيشتهم ، وبمعى آخر من غير معرفة أحوالهم الجغرافية والاقتصادية . ومع أن هذا المذهب يبدو واضحاً جلياً ، فقد كان الاعتراف به بطيئاً فيما يخص دراسة اليونان القديمة . فتمت اليد الدراسات القديمة ، ونقص الأدلة اللازمة ، تألفا على إبعاد الباحثين عن متابعة الجديد فى طرق البحث الاجتماعى . ولما كان فى الجيلين الأخيرين تلو فى هذا النقص لحد بعيد ، بفضل رجال الآثار . ولدينا الآن معلومات واسعة متزايدة تؤهل لاستنتاج جديد عن الجانب الاقتصادى فى الحياة

( ط )

اليونانية . وتزايد هذه الأدلة الجديدة يميز ، أكثر من أى عامل آخر ، اليونان الحديثة عن اليونان في عهد جروت وأجدادنا .

وعلى ذلك لم يعد أحد ينهى على الدراسات القديمة اليونانية والرومانية في القارة الأوروبية ، أنها أغفلت استعمال تطبيق الوسائل الحديثة . والأخطار الخاصة التي قد تتعرض لها هذه الدراسات الآن ، والتي دفعتني إلى اختيار الطريقة التي انتهجتها في هذا البحث ، كامنة في عكس هذا الانجاء . فهناك أولاً نزعة إلى الإسراف في التخصص ، وإلى الاختصار على جانب واحد من الموضوع ، والإغضاء عن الجوانب الأخرى . وهذه تجربة تمر بكل علم عندما تتجمع المعلومات بسرعة فائقة ، ولكنها تكون مضللة بنوع خاص في مثل دراسة اليونان القديمة ، حيث كل شيء يتوقف على أن يظل الباحث واضعاً نصب عينيه دائماً عظمة الشكل وروعته ، حتى في دراسة أصغر التفاصيل وأدقها . فمثلاً من السهل جداً في دراسة نقوش الإرخثيوم أن ينهك الباحث فيما بها من معلومات عن العمل والأجور ، وينسى أنها تتصل بالإرخثيوم ، وإذا نسي هذا ، فقد نسي كل شيء .

فالكتب والمقالات التي تكتب بهذه الروح من السهل معرفتها وأخذها على علاتها . ولكن ثمة مدعاة أخرى للخطأ والزلل من العسير أن نحمس منها . وتنشأ عن تطبيق الأفكار والطرق الحديثة على العصور القديمة دون تقدير كاف للفرق بين اليونان القديمة ، وبين الأحوال الحديثة . وإليك مثلاً ظاهراً : فقد كان واضعاً للمؤرخين منذ زمن طويل أن للأحوال الاقتصادية صلة كبيرة بالحرب البلويونيزية ، ولكن ابس لنا الحق في أن نخرج من هذا إلى تفسير النزاع كله على أساس الاعتبارات الاقتصادية الحديثة . وليس المضلل في هذه التفسيرات التفاصيل ، بل الأساس الذي بنيت عليه . فهي موضوعة على أساس فكرة خاطئة ، أو على الأقل على أساس تصور ناقص لحياة اليونان الاقتصادية العادية . والطريق السليم الوحيد لحل هذه المشكلة وما يشابهها ، أن يرجع الانسان إلى البداية الأولى ، وإلى التحليل

( ى )

الدقيق لأساليب القدماء وعباراتهم المألوفة . وهذا ما أعتر به عن عدم تناسب حجم القسم الثالث من هذا الكتاب .

وقد يستلزم الأمر توضيح الأسباب التي دعنتى إلى اتخاذ الموقف الذى اتخذته إزاء فلاسفة القرن الرابع . فكثيراً ما اعتبر أفلاطون وأرسطو مصادر أساسية لحياة الدولة المدينة ، لنقص ما لدينا من الدلائل نقصاً نسبياً ، وربما لم يدرك الناس بعد إدراكاً كافياً أنهما ليسا كذلك . فهما لم يعرفا الدولة المدينة إلا وقت اضمحلالها ، واصطبغ نظرهما إليها بلون أفكارهما ومذاهبهما الشخصية ، فخطر الاعتماد عليهما فى تعرف الحقائق والروح السائدة فى القرن الخامس والقرون السابقة ، كخطر اعتمادنا على كارليل ورسكين فيما يخص الحقائق والروح السائدة فى الحياة الإنجليزية قبل عصر قانون الإصلاح النيابى والانقلاب الصناعى . فالمنهج الصحيح هو نقض ذلك تماماً ، أى تطبيق تاريخ الأجيال السابقة عليهما ، لتفسير مذاهبهما . وأى تأويل للنظريات السياسية أو الخلقية للفلاسفة المتأخرين لن يكون مقنعاً ما لم يتضمن التأثير الذى تركه التقدم الاجتماعى على تفكيرهم ، ذلك التقدم الذى حاولت أن أصوره . وقد كان فى نيتى أن اختتم الكتاب بقسم أعالج فيه هذا الموضوع ، وهو موضوع ذو أهمية قصوى فى تاريخ الفكر السياسى الأوروبى ، ولكن عدلت عن ذلك لأنه خارج عن نطاق خطتى المثلى ، ومع ذلك فقد سمحت لنفسى أحياناً أن أمس هذا الموضوع وأشير إليه فى الهامش ، كما يتضح ذلك لكل من ينظر إلى الفهرس .

ولقد عملت على تنظيم الكتاب على نحو يجعله نافعا للطلاب ، سهلا بقدر الإمكان على القارىء العادى . ولم أستحسن جمع التعليقات كلها فى آخر كل فصل ، ولكنى أرجو أن يكون تنظيمها فى فقرات يسهل على القارىء العادى تحطيمها . ومهما يكن الأمر فإن مراجعى القديمة التى أعتمدت عليها كانت لمؤلفين معروفين . أما الكتاب الحديثين فلم اقتبس منهم إلا لتأييد قول يبدو أنه فى حاجة إلى إثبات وتأكيد ، أو لاعتقادى أن المرجع قد

( ك )

يكون مساعداً للقارىء . ولم أشر مطلقاً إلى كاتب مجرد أنى أخالفه ، ولم أهتم أن أزيد الشواهد الحديثة ما دام لدى أدلة قديمة قوية تؤيدنى . ولا يمكننى أن آمل سلامة الرأى فى كتاب يحوى الكثير من الآراء فى نقط مختلف عليها ، ولكننى بذلت أقصى ما فى وسعى حتى لا أعيب بالأدلة ، والحق فسيرى من يعينهم الرجوع إلى المراجع ، أن مسائل خاصة قليلة نسبياً ، هى التى يمكن أن أقول أنى أضفت إليها جديداً .

ولا بدلى من أن أشكر أصدقاء عديدين لمساعدتهم الطيبة وتشجيعهم لى ، وخاصة الأستاذ جيلبرت مرى ، والأستاذ ميارز والمستتر ريجنالد كوپلاند ، ومستتر . ه . دونداس ، ومستتر أرنولد ج . توينبى ، ومستتر ريتشارد جيننجز ، ومستتر و . ك بارتون والقس ج . م . مور فى بجامعة أيرلاند الأهلية ، وأخيراً وليس آخراً أستاذى القديم وزميلى الآن المستتر جراهام ولاس . وإنى لاتوجه بشكرى كذلك إلى أولى الأمر فى المدرسة البريطانية بأثينا الذين بقبولهم إياى بالمدرسة ، مكثونى من كتابة أكبر جزء من الكتاب فى أسعد الأحوال المواتية .

أوكهيل درايف ،

سوربتون ، ١٩١١ .



# فهرس الموضوعات

صفحة

س

نمبر

## الجزء الأول : الجغرافيا

### الفصل

- |    |                         |
|----|-------------------------|
| ١  | ١ - إقليم البحر المتوسط |
| ١١ | ٢ - البحر               |
| ٢٨ | ٣ - المناخ              |
| ٣٧ | ٤ - التربة              |

## الجزء الثاني : السياسة

### تطور حقوق المواطن

- |     |                                       |
|-----|---------------------------------------|
| ٥٧  | ١ - الزمالة أو حكم الرأى العام        |
| ٧٠  | ٢ - العادة أو حكم الأسرة              |
| ٨٧  | ٣ - الكفاية أو قاعدة الحاكم           |
| ١١٧ | ٤ - الرفق أو حكم الدين                |
| ١٤٠ | ٥ - القانون أو قاعدة المعاملة العادلة |
| ١٥٨ | ٦ - الحكومة الدائنية أو حكم الشعب     |
| ٢١٠ | ٧ - الحرية أو قاعدة الإمبراطورية      |
| ٢٣٣ | ٨ - السعادة أو قاعدة المحبة           |

## الجزء الثالث : اقتصاديات

- |     |           |
|-----|-----------|
| ٢٥١ | ١ - الفقر |
|-----|-----------|

| صفحة | الفصل                                    |
|------|--|
| ٢٦١  | ٢ - العادات والتقاليد<br>المدينة الناشئة |
| ٢٧٠  | ٣ - فلاحه الأرض                          |
| ٢٨٠  | ٤ - الصيد أو السلب                       |
| ٢٩٠  | ٥ - الأعمال الحربية                      |
| ٣٠٠  | ٦ - الاستعمار                            |
|      | اقتصاديات المدينة                        |
| ٣٠٦  | ٧ - الصناع والعمال                       |
| ٣٣٤  | ٨ - تجارة التجزئة                        |
| ٣٤٢  | ٩ - الملكية الخاصة والملكية العامة       |
| ٣٦١  | ١٠ - النقود                              |
| ٣٧٨  | ١١ - التجارة الخارجية                    |
| ٣٩٢  | ١٢ - السكان                              |
|      | اقتصاديات الإمبراطورية                   |
| ٤٢٤  | ١٣ - القوة البحرية                       |
| ٤٤٥  | ١٤ - التعامل الحر                        |
| ٤٦٢  | ١٥ - العمال                              |
| ٤٨٣  | ١٦ - مناجم الفضة                         |
| ٤٩١  | ١٧ - المالية                             |

( ن )

الخاتمة:

|     |                               |
|-----|-------------------------------|
| ٥١٤ | الحرب البلو يونانية           |
| ٥٤٥ | التدبير                       |
| ٥٥٩ | جدول التواريخ                 |
| ٥٦٨ | ملاحظة على الاختصارات         |
| ٥٧٠ | فهرس المؤلفين الحديثين        |
| ٥٧٦ | فهرس المجلات                  |
| ٥٧٧ | فهرس الكلمات والجمل اليونانية |
| ٥٨١ | الفهرس العام                  |
| ٥٩٥ | التصويب                       |

الخرايط

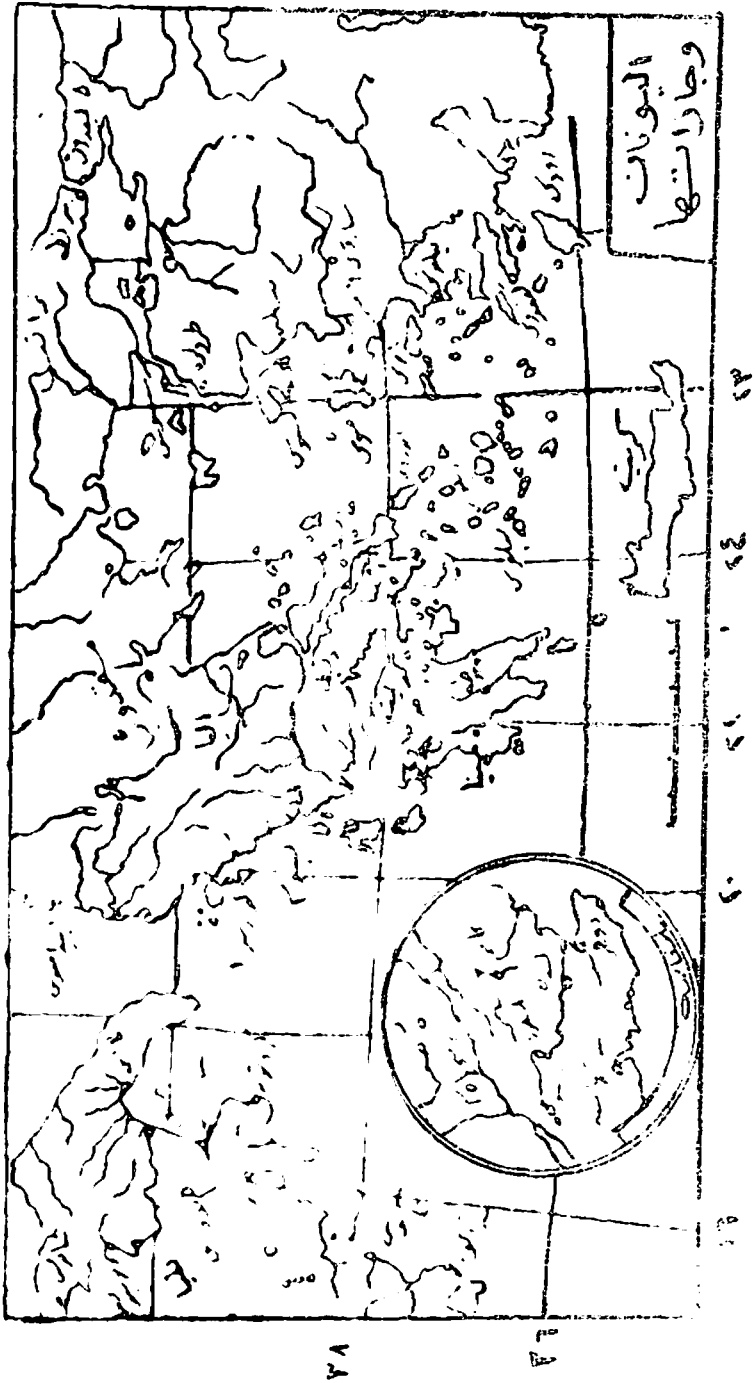
|     |                     |
|-----|---------------------|
| ع   | اليونان وجاراتها    |
| ٣٥  | أتيكا               |
| ١٨٠ | أتيكا وميجارا . . . |

# تمهيد

ليس القصد من هذا الكتاب سرد جانب من تاريخ اليونان، فذلك من اختصاص المؤرخين للحوادث والأيام . أما غرضنا فأكثر من ذلك تواضعاً ، وهو جمع طائفة من الحقائق المعينة ، وتنبع مجرى أفكار معينة كذلك ، قد تساعد على جعل تلك القصة والرجال الذين قاموا بتمثيلها أكثر وضوحاً للقراء الحديثين ، وأيسر فهماً عليهم .

فالحضارة اليونانية تختلف عن حضارتنا من حيث بيئتها المادية ، ومن حيث ما يجيش فيها من إحساسات ، ويشيع فيها من أفكار . والطريقة التي سنتبعها هي أن نعالج أولاً المعالم العامة لهذه البيئة ، ثم ندرس النظم السياسية التي وضعها اليونان لها . ثم يلي ذلك دراسة الوسائل التي كانوا يكسبون بها عيشهم أي دراسة اقتصادياتهم ، أو تديرهم لشئون المنزل ، ثم أخيراً النزاع الذي قام ، كما يحدث في كل الجماعات المتمدينة الحديثة ، بين الضرورات الدافعة التي يقتضيها التقدم الاقتصادي ، وبين النظم والمثل العليا التي ارتضوها في الحياة القومية . وهو نزاع سبب شقاء نفسياً ، وجر الكوارث على أرقى جماعة يونانية شأناً وهي في أوج عظمتها ، وترك أثره على تفكير وكفايات الرجال الذين وضعوا أساس الفكر السياسي الأوربي .

وبذلك نعالج الحضارة اليونانية من اتجاه مناقض فعلاً لذلك الاتجاه الذي كثير ما يتبعه الكتاب الحديثون ، أي نعالجها من الجانب الذي يتضح فيه تماماً اختلافها عن حضارتنا ، والذي يمكن أن نرى فيه بسهولة ويسر خواصها التي انفردت بها .



## الحياة العامة اليونانية

Die Griechen sind, wie das Genie, *einfach* : deshalb sind sie die unsterblichen Lehrer. — Nietzsche.

إن اليونانيين بسطاء ، مثلهم في ذلك ، مثل الإله الحارس ، ولذا كانوا معلمين خالدين . - نيتشة .

## الجزء الأول : الجغرافيا

هناك صوتان ، صوت من البحر  
وآخر من الجبال ، وكلا الصوتين جبار  
إنك لتطرب لهما من جبل إلى جبل ،  
فهما موسيقاك الأثيرة . . . . . الحرية .

# الفصل الأول

## إقليم البحر المتوسط<sup>(١)</sup>

Ἡ Ἑλλάς τὰς ὥρας πολλόν τι κάλλιστα  
κεχρημένας ἔλαχε.

تمتع اليونان بأرق مناخ وأكثره اعتدالا — هيرودوت ٣ — ١٠٦ .

τὸ τῶν Ἑλλήνων γένος μεσεύει κατὰ τοὺς  
τόπους.

يتبوأ الجنس اليوناني مكانا جغرافيا وسطا بين البلدان — أرسطو السياسية ١٣٣٧ .

اليونان بلد من بلاد البحر المتوسط ، وكما يقول أرسطو ، تنوسط  
الأقاليم المدارية والأراضي الباردة في الشمال . وإذا ما قورنت بالأقاليم  
الأوروبية فيما وراء جبال الألب والمناطق الأفريقية وراء جبال الأطلس ،  
فاليونان كبلاد البحر المتوسط لها جوها ومناخها ، ومناظرها الخلابة الرائعة  
وبذا كان لها أسلوبها في الحياة .

وأول ما يسترعى نظر السائح في تلك البلاد مناظرها الطبيعية التي اجتذبت  
الغزاة منذ فجر التاريخ ، عندما اندفع البرابرة الأول صوب الجنوب . فقد  
كانت شعوب الشمال دائما شديدة التأثر بجمال أراضي البحر المتوسط . وإذا  
ما ذكر المثقفون من أهل الشمال اليونان وإيطاليا فإنهم يقصدون أثينا وروما ؛  
وذكر هاتين البلدين يذكرنا بجملة خواطر موروثة عن الفن والحريّة والقانون .

(١) اعتمدت كثيراً في هذا الجزء وما يليه على كتاب Philippon, Das Mittelmeergebiet وهو كتاب للجمهور كتبه عالم ثقة في جغرافية البحر المتوسط ، وأحسب أنه لا يوجد مثل هذا الكتاب باللغة الإنجليزية ، رغم ما نحن فيه من مسيس الحاجة  
لثله . وأرجو أن تكون محاضرة الأستاذ مايرز الإفتتاحية عن اليونان والشعب اليوناني  
Greek Land and the Greek People قد بدأت في هذه الناحية عهداً جديداً  
في التعليم الإنجليزي للدراسات القديمة .

ونظام الحكم ، وهما في عرفنا مهد قوى من أقوى الدوافع في حياتنا القومية من حيث أنهما أول منشأ لحضارتنا الغربية الخصبية . أما في عرف الآخين والدوريين الذين عاشوا قبل التاريخ ولمن أتى بعدهم من الجلالتين والقوط واللومبارديين والوندال والآوار ، فإن هذه الناحية المجردة لا معنى لها ولا دلالة . ومع ذلك فهم في بلادهم الشمالية الباردة قد استمعوا إلى نداء الجنوب واستجاب إليه منهم آلاف . وقد ظلوا يندفعون صوب الجنوب الدافئ المشمس شهوراً وسنيناً ومعهم أسراتهم ومتاعهم وآلهتهم العائلية الحارسة مأخوذون بما سمعوه من قصص عن أراضى عجيبة فيما وراء التلال . ولما اجتازوا آخر ممرات البلقان الوعرة وضربوا خيامهم ذات مساء على أرض اليونان المنبسطة بين الجبل والبحر ، كانت روعة هذه الدنيا الجديدة وجمالها هو الذي أوحى إليهم بأنهم نزلوا مستقراً وظفروا بموطن . لقد كان لمناظر الجنوب فعل السحر على عيون أهل الشمال التي لم تألف التضاريس الحادة والألوان القوية فأحسوا أنهم وفدوا على أرض ساحرة وأن لا بد لهم من الاستقرار فيها إلى الأبد .

وقد تغنى شعراؤهم من معنى الغزاة الأول الذين تسلسل عنهم هو مر إلى جوته وبايرون وإيسن وبراوننج بهذا السحر ورددوه في أشعارهم على طول الزمن . إلا أن الشعور بالإنسجام والاستقرار في الأرض الساحرة أمر عسير إذا استثنينا فترة الغسق حين يظنى السحر على الناس فيرتضون بلداً جميلاً منزلاً لهم . فقد يغمرنا الخيال ويظغى علينا لحظات ما ، ولكن العادة والعواطف قوى أقوى في طبائعنا وهما أكبر من أن تكتسبا ياغراء سطحي ، والهوة بين الشمال والجنوب أكبر من أن تتصل بمجرد زيارة واحدة أو في حياة واحدة . فلا بد من عدة أجيال حتى تنصهر الحياة الجديدة في كيان المرء . وشعراؤنا من أهل الشمال لم يشيدوا بالجنوب إلا من حيث هم غرباء عابرون خياليون لا واقعيون ، متفرجون متحمسون ، أكثر منهم أناسا استقر بهم المقام وارتبطت مصالحهم بالبلاد يعبرون عن حياتهم ومشاعرهم تعبيراً



طبيعيا لا تكاف فيه . فروح الجنوب تظل غريبة عليهم ، رائعة تسترعى عجبهم وفضولهم . ولكنها لا تثبت في فكرهم ولا تملك عليهم مشاعرهم . وما أشد صراحتهم في تصويرهم حقيقة إحساساتهم أحيانا أو ما أصدق تلك الصحة . ما أجل أن يكون الإنسان في إنجلترا ، التي صدرت عن براوننج وهو يستعرض في مخيلته تلك المناظر العزيرة عليه ، التي بعد عنها :

ما أروع أن يكون الإنسان في إنجلترا

الآن وقد حل شهر ابريل

فكل من يصحو في إنجلترا

يرى ذات صباح على غير انتظار

الفروع المتدلية من الأشجار

والغصون ، الملتفة حول جذوع شجرة الصفصاف ، قد أورقت

بينما تنبعث أغاريد الطيور من بين أغصان البساتين

في إنجلترا — الآن !

وقد يعطينا ذلك فكرة عما يجب أن يتخلى عنه الرجال عندما يتكون أوطانهم وينزحون نحو الجنوب ومن الخير أن نذكر ذلك في ابتداء بحثنا .

إذا كان الشاعر قد أحس بالحنين إلى الوطن فحين الرجل الساذج لا بد أن يكون أقوى وأشد ، ولا بد أن الغازى المغير قد أسف وندم لتلبية نداء الجنوب واستحمق نفسه إذا ما فتح عينه ذات صباح بعد ليلة مضطربة شديدة الحر — على سما. وهاجه من فوقه ، وأرض ملتبة من تحته . ولم يكن بغريب أن ترك كثير من « بارونات الفرنجية » في العصور الوسطى ممتلكاتهم في اليونان بعد أن حصلوا عليها بعناء وجهد ، وعادوا أدرأجهم إلى وطنهم ليوتوا إلى جانب الرين واللوار . ولكن هل هناك شيء أشد إثارة لروح التملك لنيل من الشمال أكثر من أن يملك مدينة أثينا ويتطلع لأن يورثها لابنه من بعده ؟ . لقد اتخذ أوتو دولاروش أول أسراء الإقطاع في أتيكا وبيوشيا من « الأكروپول » مستقراً له ومن « البارثون » مكانا

لكنيسته ولكنه ترك كل ذلك في شيخوخته ورجع بأولاده إلى سهول  
برجانديا الفسيحة<sup>(١)</sup>.

فإذا لم يكن في وسع رجل الشمال الذي رأى هذا السحر واستسلم له  
أن يوفق بسهولة بين عقله وروحه وخصائص الجنوب ، فلا شك أن الأمر  
أشق على أولئك الذين لم يعرفوا أرض الجنوب ، إلا عن طريق الكتب  
والصور، ولن يستطيع هؤلاء فهم الحياة في حوض البحر المتوسط وما أنتجه  
من أدب سواء في اليونان أو فلسطين إلا ببذل جهد كبير من الخيال  
لتصورها ولا شك أنه جهد جدير بأن يبذل ، ولكنه أمر شاق دونه صعاب  
كأداء ولا سيما على الشباب وذوى العقول التي لم تتدرب . فتقاليد التعليم في  
انجلترا ، على أية حال ، لا تساعد كثيراً على التغلب على هذه الصعوبات . فمن  
تصورات رجل الشمال الخاطئة أنه يتمثل أحراش شجر الزيتون في «كلوترس»  
حديقة إنجليزية ، وأشجار الصنار في إليسيس يخالها منتزه على نهر التيمز ،  
بينما يمتد في نظره منحدر «سنيوم الرخامي» على طوال شاطئ البحر الذي  
ينتابه المد والجزر كما تمتد الصخور الطباشيرية على ساحل انجلترا الجنوبي .

إن إصلاح تلك التصورات الخاطئة من الصعوبة بمكان ، لأن شعراء  
اليونان الذين وصل أمرهم إلى قلبنا وصفوا مناظر بلادهم ، ولم يتناولوا تلك  
الأوصاف بالتفصيل كما وصفها الشاعر «وردسورث» . فتصوير المناظر  
الطبيعية في الشعر كتصويرها بالنقش والرسم لا يكون إلا عندما تبلغ  
الامة مرحلة التأمل والتفكير ، وذلك عندما تعرف كيف ترى نفسها في  
بيئتها التي تحيط بها . ولم يكن كتاب اليونان حتى القرن الخامس على الأقل  
قد بلغوا هذه المرحلة من الشعور الذاتي ، فهم ككل الطوائف الساذجة

(١) Miller, Latins in the Levant ص ٩١ — ٩٢ فارن ٧٤ و ٦٨ . إن  
الكونت Berthold of Katzenellenbogen الصليبي ، الذي أعطى الإشارة لحرق  
القسطنطينية مثل آخر للعنين إلى الوطن وما زال قصرهما المتواضعان قائمين ؟ فيقع قصر  
أوتو أي La Roche-sur-Ognon في أعلى الساوون بينما يطل قصر Katzenellenbogen  
على قرية صغيرة في ناو .

قد افترضوا في كل من يستمع إليهم الإلمام بمنظرهم وما يحيط بها .  
فناظر البحر المتوسط ، كنظم دولة المدينة ، أساس ثابت للحياة والفكر  
اليونانيين وإنا لنلبس أثر ذلك في كل شيء . ولكنهم قلما كانوا يعبرون عنها  
بل تركت لتعبر عن نفسها بشكل حر تلقائى صادق فيما يتناثر من تفاصيل  
أو يعرض من مصطلحات عند روايتهم لقصة ما ، أو فيما هو مضمن  
أو مشار إليه إشارة خفية أكثر مما يذكرونه صراحة وقصدا . وتعد تلك  
الأيام ذات الدلالة بالنسبة إلى الملاحظ المدقق للشعوب وللرجال  
أصدق وأنيح معبر عن الطبع والأخلاق .

وهكذا سيظل المتجول في بلاد الجنوب ، إن كان على استعداد أن  
يفس كل ما وعاه ، وأن يبدأ تعلمه من جديد ، يكشف باستمرار عن  
المعنى الصحيح للكلمات والعبارات والإستعارات التي تعود منذ أيام دراسته  
أن يعدها ، اقتباسات كلاسيكية ، أو يعتبرها اصطلاحات شعرية ، أو ربما  
لم يكن قد تنبه إليها البتة . ويجب أن يتغلب الإنسان على أول شعور له بالغربة  
ويتعود الذهاب إلى الأكروپول في نزاهاته المسائية قبل أن يتبين الباعث الذي  
جدا بيركليس أن يقول ، إن أثينا تظل تشرح القلب وتسرع العين يوما بعد  
يوم . ثم يجب أن يقف بعد الغروب على مرتفع في جزيرة ما ، قبل أن  
يفهم على الوجه الصحيح كلمات ( ألكان ) في أنشودة المساء :

غلب النعاس على التلال ،

شمع الهدوء

الأخاديد والصخور

المطلة على الشاطئ

وأظل هاتك المجارى التي فيها تنساب النهرات (١) .

(١) Alcman القطعة ٥٦ التي تبدأ :

ينشر النوم سلطانه على قم التلال وعلى الأخاديد ،

= εὐδουσι τὸ δ' ὄρεων κορυφαί τε καὶ φάραγγες ،

أو أن يقدر دقة جوته الفائقة عندما استفاد منها في أغراضه قائلا :  
« شمل الهدوء كل النرى » .

ويجب أن يجتاز مضائق جزيرة سلاميس ثم ينزل إلى الشاطئ ليرى  
تلال أتیکا حتى يشعر بما شعر به من استمع إلى إيوريبيدس عندما تغنى جماعة  
المنشدين :

في سلاميس الزاخرة بزبد البحر  
والأمواج المتلاطمة ، الحافلة بطنين النحل  
استقر تلامون الشيخ بعد ترحال طويل  
منذ بعيد ، على عرش البحار  
متطلعا إلى التلال المحمله بأشجار الزيتون  
ماخوذا ، حيث نبت لأول مرة  
فاكهة العذراء أثينا الرمادية البراقة (١) .

ولكن ما يبدو بسيطا واضحا لمن يقيم في البقعة ذاتها غالبا ما يخفى تماما  
عن ملاحظة القارئ من أهل الشمال ؛ ولو وجه اهتمامه إليه لبداله شيئا  
غير طبيعي يكتشفه الغموض والأسرار . وإذا استطاع السائح الاستفادة من  
الدرس فإنه سيعرف تدريجيا ما يجب أن ينشده . فهو يعيش في الجو الملائم  
ويغشاه شعور بالبيئة التي فيها صنفت الكتب القديمة ، ويظل يستشعره  
طوال اليوم . فإذا ما عاد إلى مكتبه أو مدرسته وراجع سوفوكليس  
أو أرسطوفانيز وعقله حافل بالصور ، أمكنه أن يستمع إلى جماعة المنشدين  
من شيوخ القرية وقد التفوا حول النبع حتى أنه ليكاد يشم رائحة الثوم  
المنبعثة منهم . أما الزميل الآخر الذي لا يبرح وطنه فلا يمكنه مطلقا مجازاة

---

= والمرنفعات المطلة على مجارى الأنهر الصخرية .

πρώονές τε και χαραδραι.

حيث ينبغي أن تذكرنا كل كلمة بمنظر رائع :

(١) إيوريبيدس طروادة - ٩٩٧ وما بعدها ، ترجمة موراي Murray

زميله إلا بالمساعدة والإرشاد . فكم تختلف قصص الرحلة عن الرحلة نفسها .  
ودراسة الجغرافيا ماهي إلا بديل هزيل لا يعوض عن التجربة الشخصية .  
فالكاتب والمحاضرات والفانوس السحري لا يمكنها أن تقوم مقام الحياة  
أو الطبيعة . ومع ذلك فإن محاولة الإرشاد لها قيمتها إلا إذا تملكنا اليأس  
من تعلم الدراسات القديمة . فلنحاول إذن أن نوضح بعض المميزات البسيطة  
التي يمتاز بها العالم الذي عاش فيه الشعب اليوناني قبل أن ندرس الأنظم اليونانية  
تفصيلاً (١) .

تعلمنا في صغرنا أن العالم مقسم إلى قارات ، وعرفنا أن البحر المتوسط  
يحف بثلاث قارات من الخمس ، فهو يفصل بين أوروبا وآسيا وأفريقيا .  
ونحن نعد أوروبا متحضرة وآسيا شرقية أو جامدة وأفريقيا بربرية ؛ أو إذا  
اعتبرنا الفاصل دينياً أكثر منه حداً يفصل بين حضارات مختلفة ، فأوروبا  
مسيحية ، وآسيا وأفريقيا مسلمتين . وفي هاتين الحالتين فنحن إنما نفكر على  
أساس القارات ، جاعلين من الأرض محور تفكيرنا .

ما من شك في أن هذا الأمر طبيعي في لندن ، ولكنه يبدو غريباً في  
القسطنطينية ، حيث يعبر رجال الأعمال مرتين كل يوم ببواخر صغيرة من قارة  
إلى أخرى . والواقع أن هذا كان مضللاً دائماً بالنسبة إلى الجغرافيا الطبيعية ،  
لأن البلاد المحيطة بالبحر المتوسط تعتبر من حيث البيئة والمناخ إقليمياً خاصاً  
متميزاً مهماً من أقاليم الأرض . وهو مضلل أيضاً من حيث التاريخ والسياسة .  
فند الإحتلال الفرنسي للجزائر لم يعد شمال أفريقيا بربرياً ، كما أنه بقيام المجلس  
النيابى في أنقرة ، وبامتداد خط حديدى إلى قبر النبي في المدينة قد نفى عن

(١) ليس هذا مكان سرد الحجج الخاصة لمناقشة هل نستعمل اللغات اليونانية واللاتينية  
وآدابهما كوسائل لتعليم الصغار أو لا نستعملهما . ولكن يجدر بنا أن نشير إلى أن مثل هذه المحاولة  
لاستعمال اللغة الإنجليزية وآدابها كوسيلة تعلم في الهند قد لاقت قدماً شديداً من كثير من هؤلاء  
الذين حبذوا التقاليد الكلاسيكية للتعليم الإنجليزي — ١٩٢١ . أنظر في ذلك التقرير العظيم  
الذى وضعته لجنة سادلر عن جامعة كالسكتا الذى سيظل لأمد طويل مرجعاً رئيسياً ، ليس  
فقط لمشكلة التعليم في البنغال بل لسكل المشاكل المشابهة لها في البلدان الأخرى .

الشرق الأوسط وصمة الجود . فها نحن نعود ، في الواقع ، إلى الظروف السوية المعتادة لأن منطقة البحر المتوسط كانت تعتبر دائما في نظر اليونان وحاده ، والبحر المتوسط نفسه طريقا عاما ، لا حاداً يفصل قارات بعضها عن بعض . فالعالم في نظرهم ، حافة أراضى ساحلية متقاربة محيطة بالبحر المتوسط الذى هو بحرنا ، . وكلمة بحرنا أو ، هذا البحر ، هى فعلا الاسم الوحيد الذى أطلقوه عليه . لقد عرفوا البلاد التى تحف البحر مباشرة معرفة لا بأس بها . أما البلدان التى وراء الساحل فقد كانت بالنسبة لهم شيئاً غامضاً مليئاً بالأسرار . وهى تختلف من حيث مناخها وعادات أهلها إختلافاً كثيراً عن بلاد الساحل . وقد توغل هيرودوت فيما وراء إقليم البحر المتوسط الحقيقى حتى سيثيا وبابل ، وفى أراضى مصر وليبيا الداخلية . وقد أتاح لنا كتابه أن نعرف نظرة الإغريق إلى البلاد الخارجة عن نطاق البحر المتوسط (١) .

تختلف منطقة البحر المتوسط من حيث البنية عن البلدان التى تحيط بها فهى أحدث منها جيولوجيا . وإن نظرة إلى الخريطة الجيولوجية لتعرفنا أن معظم هذه البقاع تتكون من سلاسل جبال حادة وعرة حديثة الالتواء جيرية فى الغالب . ويرى السائح فى البقاع المنعزلة فقط كتلك ، التلال البتراء ، التى حول القسطنطينية ما يشبه ما اعتاده فى انجلترا ، وذلك يزيد فى روعة المناظر ولكنه كذلك يزيد فى صعوبة المواصلات البرية وهى ميزة دائمة

---

(١) كتب مايرز عن الشواطئ المتقاربة فى *Anthropology and the Classics* ص ١٢١ والإشارة إلى هيرودوت ٤ - ٣٦ - ٤٥ . لم يستطع هيرودوت ( الفصل ٤٥ ) أن يفهم « لماذا قسمت الأرض ، وهى واحدة ، ثلاثة أجزاء سميت على أسماء نساء » . فالأسماء - أوروبا وآسيا وليبيا لم تكن معروفة عند هو مرو ظهرت لأول مرة فى بندار وأسخيوس ( مثل بندار ٥ - ٤١٣ ) . قارن مقال مايرز *The geographical Aspect of greek Colonisation* الذى نشر فى *Proceeding of the Classical Association* الجزء الثامن ( ١٩١١ ) وفيه يستمك بالصيغة « اليونانية الدائمة » لشاطئ البحر المتوسط حتى الآن ، ويبين كيف أن « فى أهم وظائف الحياة البشرية ، وفى كل العلاقات الهامة بين أجزائها المختلفة » - كيف « أن الدنيا القديمة التى كانت حتى فى العصر الرومانى دنيا يونانية غالبية - كانت تطل من الداخل على شواطئ بحر يتوسط اليابس « *Midland Sea* .

تميزت بها الحياة في البحر المتوسط . وفي بعض الأحيان ، كما هو الحال في دلماشيا مثلا ، التي تعد شبلي أوروبا ، تنفصل قطعة من الأرض تماما عن الإقليم الذي وراء الجبال ، مما يؤدي بها إلى أن تحيا حياة خاصة مختلفة عن الحياة في المناطق الأخرى طوال معظم عصور التاريخ .

هذا والبحر بسعته وأبعاده الحالية يعد أحدث من الصخور ، والدلائل على ذلك كثيرة متعددة ، منها ظهور بقايا متحجرة من الأفيال والأقزام في مالطة وصقلية وساردينيا مما أقنع الجيولوجيين أنه قد حدث في بعض العصور الحديثة جيولوجيا هبوط في بقاع فسيحة من تلك المنطقة نتج عنه ، بطبيعة الحال ، طغيان البحر . وإلى هذا ترجع تلك الأغوار والمنخفضات التي تتخلل سلاسل الجبال في أجزاء كثيرة وتسبب تعرج الساحل ، والجزائر الصغيرة والكبيرة التي لا حصر لها ، وكذلك الصخور الغارقة في بحر إيجه . إن المرتفعات الصخرية التي برزت أو ما يسميه سوفوكليس ، الأخاديد البحرية ، في جزر السيكلاد ليست إلا استمراراً لسلسلة الجبال الرئيسية عبر منخفض مغمور بالمياه . وإلى هذا أيضاً ترجع تلك المضائق الغربية التي نجدها في البلاد اليونانية والتي تشبه قليلا بحارنا الضيقة عند دوفر أو سترانزير . ثم إن البسفور والهلبسبونت ثم « إيوريپوس » كلها ممرات ملتوية ضيقة كثيرة المنحنيات والزوايا ، والواقع أنها وديان أحدثتها التحات وغمرتها المياه فيما مضى ، وكان القرن الذهبي المشهور نهرا فرعيا في وقت ما<sup>(١)</sup> .

وزيادة على ذلك فإن ظاهرة هبوط الأرض هذه لم تكمل بعد ، كما تدل على ذلك بكل وضوح كلا بريا وصقلية . والزلازل والبراكين أمر عادي للإنسان الذي يعيش في إقليم البحر المتوسط . حتى استرعى نظر هيرودوت « اعتبار حدوث زلزال ، في سيثيا « شتاء كان أو صيفا أمر عجيب ،

(١) خلجان البحر . Trachiniae . ١٠٠ .

وقد رأينا أثر ذلك في الدين والأدب . فالأرض الثابتة لم تكن بالنسبة  
لليونان ، ماهى بالنسبة إلينا .

ولكن يجب علينا أن نتجه إلى البحر أولاً ، فهو أحق أن يتقدم  
في الدراسة الأرض الثابتة في جغرافية البحر المتوسط<sup>(١)</sup> .

---

(١) هيروdot ٤ — ٢٨ ، سترابون ٥٧ — ٩ يعطى قائمة عن خسائر الزلازل  
والبراكين . وفيما يخص الشعوب العام ، إوريبيدس Bacchae ٧٣٩١ ثم فقرات عديدة أخرى  
في هذا المعنى .



# الفصل الثاني البحر

Θέρε γὰρ

هيا

حددوا أى عون يجب أن أقدمه

σήμαιν' ὃ τι χρή σοι συμπράσσειν·

لن تستطيع أن تقول أن

Οὐ γὰρ ποτ' ἐρείς ὡς Ὀκεανοῦ

لك صديقاً أخلص من الأفيانوس

φίλος ἐστὶ βεβαιότερός σοι·

(Aeschylus, Prometheus Vincetus 294.)

Πῶς δὴ ἄνδρες γεωργοὶ καὶ οὐ θαλάσσιοι

... ἄξιον ἄν τι δῶεν;

كيف يتسنى شزارع لا يعرف البحر ... أن يقوم بعمل جدير بالذكر؟

بركليس في توكيديدس ١ - ٤٢ - ٧

يعرف كل إنجليزي « البحر » ، ولكن بحر اليونان غير البحر الذى يعرفه الإنجليزي؛ فهذا بحر مغلق من جميع نواحيه كما يدل عليه اسمه إلا إذا استثنينا المنفذين الضيقين عند جبل طارق والدردييل . فالبحر المتوسط يبدو هادئا هدوء بحيرة داخلية . إلا أن فى تسميته بالبحيرة إتقاصا له وإمكانياته ، فهو فى الحقيقة ذو طبيعتين ، فأحيانا يكون فى هدوء بحيرة حتى ليكون أصلح للجذاف منه للشراع وأحيانا يكون هائجا كالمحيط ، كما يمكن أن يعبر عنه البحار اليونانى الهياب : لا يصلح فيه إبحار بمجداف ولا بشراع ، وبعبارة هذا البحار نفسه . هو بحيرة عندما ترضى الآلهة ومحيط حينما تغضب . وطبيعة البحر المزدوجة هذه لها ميزاتها ، فبعضها لها أثر رائع فى حياة السكان الذين يعيشون على جانبيه .

وهذا البحر غير ذى كفاية ذاتية فهو كبحر داخلي معرض لنقص مستمر بسبب التبخر ، ولا يعوض هذا النقص ما يرد إليه من المياه العذبة إذ لا يصب فيه سوى ثلاثة أنهر كبيرة : النيل والرون والبو ، أما أمطاره فقليلة نسبيا .

ولو كان البحر المتوسط مقفلا تمام الإقفال لأدى ذلك التبخر المستمر إلى جفاف بعض نواحيه جفافا تاما ولصار ، كما كان فيما مضى ، سلسلة بحيرات ملحة على حد قول بعض الجيولوجيين . والبحر على حاله الآن أشد ملوحة من المحيط الخارجي ، ويزداد ملوحة في نواحيه الشرقية ، ومن ثم انتشرت من القدم عملية جمع الملح أو تركيزه ، كما يسميه اليونان ، في أحواض خاصة ، وقد كانت عملية سهلة هينة . وراجت تجارة الملح بين الشواطئ والبلاد الداخلية المفتقرة إليه . وعادة كان يستبدل بالملح الرقيق حتى أطلق اسمه على قوم رخيص من العبيد 'مليح' . وهناك طريقان رومانيان لم يسميا باسم مصممهما وهما طريق 'لاتنيا' وطريق 'سالاريا' ، وهو الطريق القديم العام الذى كان يستعمل لنقل الملح من شاطئ 'أوستيا' إلى الداخل عن طريق وادى التير (١) .

ويستعيب البحر نقص مياهه من جهتين : من المحيط الخارجي ومن موارد المياه العذبة الهائلة التى تجلبها أنهار روسيا والدانوب إلى البحر الأسود . ولا يزيد اتساع مضيق جبل طارق على سبعة أميال ، وهو ضحل نسبيا ، وقديما كان أضحل من ذلك وأضيق ، ولا تكاد تدخل منه كميات من المياه

---

(١) Teiresias فى الأوديسة ١١ — ١٢٣ يتحدث عن شعوب يسكنون أقاليم داخلية بأكلون طعامهم دون ملح ، وربما كان يتكلم ( كما يتكلم نبي ) عن علم صحيح ، لأن شعوب الصيادين والرعاة الذين يهيشون على اللحوم واللبن لا يحتاجون إلى ملح . فأكل الجبوب هو الوحيد الذى لا يستغنى عن الملح ؛ ولذا تخفى فى اليونان بقية تقاليد عن تلك العصور التى لم يكن الناس فيها يستعملون الملح ، والتي كانت تقدم فيها القرابين من اللحوم بدون ملح دائما . أنظر فيما يخص ἄλῶνητον ( التملح ) فى سويداس ( Suidas ) . . هناك كلمة أخرى اشتقت من الملح هى سالاريوم ( Salarium ) ، كانت فى الأصل القود التى تعطى للجنود مع جراتهم لشراء الملح ( أنظر التذييل ) .

كافية تسوى منسوب البحر المتوسط بمستوى المحيط الأطلنطي . ومضيقا الدردنيل والبسفور أقل إتساعا من مضيق جبل طارق . ذلك إلى أن شدة تيار المياه عند منفذى البحر المتوسط وشدة إندفاع الريح عند المضائق جعلتا منافذه إلى المحيط الأطلنطي وإلى البحر الأسود صعبة الإجتياز على السفن الشراعية قبل اختراع السفن البخارية .

قبل العصر الهيلاني لم يعرف اليونان إلا القليل عن المحيط الأطلنطي ، وقد ظلت معرفتهم زمنات طويلة لا تتعدى جبل طارق الذى أسموه أعمدة هرقل . وهذا الاسم نفسه يبين ما انطبع لأول وهلة فى نفس بحار آت من الشرق . فالصخرة الطويلة ذات اللسان الممتد فى المضيق ، وهى ما يشبهها اليونان بذيول كلب ، تبدو للبحارة المقبلين من المغرب كأنها عمود . وقد دفعت الرياح الشرقية بجماعة من البحارة ، ضلوا طريقهم ، إلى المضيق واجتازوا الطرف الأغر ودخلوا خليج قادس واكتشفوا سوق العذراء ، فى تارتسوس على نهر الوادى الكبير ، ولكنهم لم يعرفوا شيئا البتة عما وراء رأس سانت فانست ، حتى هرقل نفسه لم يذهب إلى أبعد من جزيرة جيريون ، فى خليج قادس . فالمرء ، كما يقول بندار ، لا يمكنه أن يبحر فى الظلمات غرب قادس فارجع بالسفينة إلى أرض أوروبية . . وقد سمع هيرودوت بعض القصص عن القصدير الذى يجلب من جزائر القصدير ولكنه لم يتمكن من أن يقف على شئ واضح محدد عن ذلك . وزيادة على ذلك فإنه يخبرنا فى حديث ، له مغزاه ، عن حملتين استطلاعتين شقتا طريقهما إلى تارتسوس ، إحداها من الفوكيين والأخرى قام بها كوليوس من جزيرة ساموس ، ويحتمل أن ذلك لا يرجع إلى رغبة فى التسابق لإحراز شرف الإكتشاف ، كما هى الحال بالنسبة للقبط الشمالى ، بل إلى أن الطريق كان خطراً لدرجة أن المواصلات لم تكن ممكنة

ولا ميسورة (١).

ولم تكن صعوبة اجتياز جبل طارق وحدها الحائل دون وصول اليونانيين إلى المحيط الأطلنطي ، بل كان هناك أيضاً عائق آخر وذلك هو منافسة القرطاجنيين لهم . فبحارة قرطاجنة إمتدت على طول سواحل الأطلنطي الغربية من ساحل أسبانيا وأفريقيا ، وقد دار أهلها حول رأس الرجاء الصالح وتوغلوا في البحار الشمالية للحصول على القصدير من كورنوبول وجزائر سيليز . ولدينا تقرير قرطاجني باللغة الإغريقية عن طريق غرب أفريقيا عرف باسم رحلات هانو ، ويبدو أن رديارد كبلنج قد اعتمد عليه في قصته ، المخاطرة المرححة ، في كتابه Puck of Pook's Hill . وهي قصة جزيرة يسكنها نساء ذوات شعور شعناء يعرضن ويخدشن ، متوحشات يسمين المترجمون « غوريالات » (٢) .

وقد كان من صالح القرطاجنيين طبعاً ، وصالح كل القوات البحرية الأولى أن يجعلوا رحلاتهم سراً محفوظاً ، وأن يبالحوا فيما يكتشفها من أخطار ، وظلوا زمناً طويلاً وهم ينفردون بمناجم القصدير في إنجلترا قبل أن يعرف الطريق إليها منافسهم من الرومان الذين تلوا اليونان . وقد بين سترابون الجغرافي كيف عملوا على إحكامها ، في وصف شيق عن هذه التجارة البريطانية إذ يقول :

(١) ظهر اسم إطلنطي لأول مرة في هيرودوت ١ - ٢٠٤ في شكل ἡ Ἐξω ἢ Nem. ٤ - ٦٩ ( في رجوعه من قانس ) ؛ ولكنه يتكلم في موضوع آخر بنفس طريقته عن العمود : Ol. ٣ - ٤٤ و Nem. ٣ - ٢١ . ( أنظر إيوريبيدس Hipp. ٧٤٤ ) . هيرودوت ٣ - ١١٥ ( جزائر الصفيح ) . فيما يخص جزيرة جيريون أنظر هيرودوت ٤ - ٨ وهزويد Theog. ٢٨٧ و ٩٧٩ ، وفيما يخص المستكشفين أنظر هيرودوت ١ - ١٦٣ ثم ٤ - ١٥٢ ( ἀκήρατον ἐμπόριον ) . ثم هناك « ذبل كلب » ( κυνόσουρα ) في مرتون مثلاً ، وأخرى في سلاميس .

(٢) Ἄνωρος περίπλους Geographi Graeci Minores ( طبعة ديوت ) . ومن المحتمل أنها ترجع إلى ما بين ٤٦٦ - ٤٥٠ ق . م . أما ما يخص ( الفوريل ) فانظر ١ - ١٣ مع ملاحظة طريفة . إن جزيرة الفوريل تبعد عن ساحل سيراليون . وربما كان شرف أول إكتشاف لإنجلترا يرجع إلى البحارة اليونانيين الذين من مرسيلا ، ولكنهم دينتهم التي عاشت حياة مفصلة عن حياة اليونان الشرقيين لم تقو على منع غيرهم من إكتشافها .

يبلغ عدد جزر القصدير هذه عشرة . . . إحداها غير مأهولة والباقي يسكنها رجال يرتدون ملابس سوداء ويلتفون بعباءات طويلة تصل حتى أقدامهم ومربوطة عند صدورهم ، ويتكثون في مشيتهم على عصي ، كما يمشى الفيورى فى المسرحيات ، ويعيشون على منتجات ماشيتهم ، ويسود حياتهم التنقل والترحال ، وعندهم من المعادن القصدير والرصاص ، يقايضون بها وبجلود الماشية، التجار ، نظير الفخار والملح والأواني النحاسية . وقد انفرد الفينيقيون وحدهم تقريباً بتجارة قانس وأخفوا الطريق عن كل إنسان . ولما إقتنى الرومان أثر أحد ربابنة المراكب ليعرفوا بأنفسهم مكان تلك السوق دفع الرجل بمركبه إلى شاطئه فحل ليخيف من تعقبه من الرومان من هذا المصير ، وقد نجا الرجل بأن أمسك ببعض أجزاء باقية من المركب الغارقة ، وكافأته دولته بأن دفعت إليه ثمن حمولة المركب المفقودة . ورغمما عن هذا فقد نابر الرومان حتى اكتشفوا الطريق .

ونجد أمثال تلك القصة فى حوليات الرحلات البحرية الكبرى التى قام بها الهولنديون والبريطانيون إذ يسرون فى إتجاه عكس الإتجاه المتبع فى البحار الخطرة المحتكرة (١) .

واجتياز الدردنيل والبسفور كان أشق من عبور مضيق جبل طارق ، إذ يجرى فيه تيار شديد تصحبه عادة رياح عاتية (٢) . ومتوسط سرعة التيار فى الدردنيل أو الهلسبونت ، الذى كان أكثر اتساعاً من البسفور ، تتراوح بين ميلين وستة أميال تقريباً فى الساعة . وحينما عبه بايرون عند أضيق نقطة فيه كان يقطع أربعة أميال ليتقدم ميلاً واحداً . أما فى البسفور ، فمتوسط سرعة التيار ترتفع حتى تصل ثلاثة أميال ، وقد بلغ من شدة

---

(١) سزايون ١٧٥ - ١٧٦ من المحتمل أن الغموض القرطاجنى كان هو المشول عن خرافة الأطلانتس - وهو اسم ما زال يجرى على شفاة الرجال ، فلا تزال تحمله بشكل ملائم كل الملاحة ، جريدة يونانية تظهر فى نيويورك ( أنظر التذييل ) .

(٢) كما يلاحظ كينج ليك Kinglake فى Eothen ( الفصل الثالث ) ، فى لغة شمربة رائحة لا يتناسب ذكرها هنا .

اصطدامه بالشواطئ أن حفر في بعض جهاته موافق فعلية للسفن .  
وقد ترك لنا بوليب وصفا لطريق البحر الأسود يمكن أن تتحقق من صحته  
من اتجاهات الملاحة في دليل السفن المسمى « پابلوت » الذي تصدره إمارة  
البحر البريطانية<sup>(١)</sup> .

والصعوبة الكبرى في الهلسبونت اجتياز الركن الأول عند رأس  
سيجيوم، التي احتلها بيزستراتوس باسم أثينا في إبتداء ظهور قوتها البحرية .  
ففي تلك المنطقة يندفع التيار على الساحل الآسيوي بقوة شديدة دون  
أن توجد بها دوامات عكسية لمقاومته . ولهذا يرجع بعض الكتاب أهمية  
موقع طروادة في الأزمنة القديمة . ولم تحاول السفن الصغيرة في ذلك الوقت  
الدوران حول الرأس بل كانت تفرغ حمولتها حين ترسو على الخليج الصغير  
لجزيرة تينديوس وتحمل البضائع برا إلى الخليج عند منعطف الركن . ويسيطر  
تل طروادة بموقعه على هذا الطريق البري . وكان الرؤساء هناك يحمون  
هذا الطريق ويفرضون جعلا على كل من يمر به . وتحصر السفن الآن  
إذا ما وصلت المضيق « على تجنب التيار الرئيسي الذي يمكن تمييزه بوضوح ،  
فتسير في وسط الدوامة ، حتى إذا ما اجتازت المضيق إلترمت الشاطئ  
الأوربي حتى تفادى الرياح الشمالية ميممة صوب بيزنطة ، وهذا ما اتبعته  
السفن قديما ، إلا من حيث توجيه السفينة إذ كان يزيد من متاعهم عجزهم  
عن السير في مواجهة الريح<sup>(٢)</sup> .

(١) بوايب ٤ — ٤٣ — ٤٤ (كُتبت كما يقول لدحض فصوص البحار في أياها) .  
Med. Pilot الجزء الرابع ١٠١ — ١١٨ (طبعة ١٩٠٨) Sailing Directions for  
Dardanelles ص ٢٦ وما بعدها (الدرديبل) ، ص ٩٤ وما بعدها (البسفور) .

(٢) Med. Pilot (١٩٠٨) الجزء الرابع ص ١١٨ وطبعة سنة ١٨٣١  
ص ٢٧٥ و ٢٨٠ . بوليب ٤ — ٤٤ — ٦ . طبعا كان التيار هو المشول ( كما في أي نهر )  
عن كثير من الأماكن الضحلة المطرة . إن أول تفسير لأهمية طروادة هو ما ذكره برارد  
Bérard في كتابه Les Phéniciens et l' Odyssée الجزء الأول ص ٧٩ — ٧٢ . وقارن  
. وراى في كتابه Rise of the Greek Epic ص ٣٨ (الطبعة الثانية ص ٥٩) . وفما يخص سيجيوم  
أنظر هيرودوت ٥ — ٩٤ إلى ٩٥ . كانت ريح الدردنيل هي المسؤولة عن استيلاء الأتراك على  
القسطنطينية سنة ١٤٥٣ . وقد حجزت فرقة إغائة في جزيرة تينديوس مدة شهر =

والبسفور أكثر صعوبة من الدردنيل إذ تمتد ممراته إلى خمسة عشر ميلاً ، ويتراوح اتساعها بين ميل وربع ونصف ميل ، ويتعرج التيار في إندفاعه من زاوية إلى أخرى أكثر من سبعة مرات . وآخر هذه المنعرجات تبدأ من سكوتارى أو خريسوبوليس على الشاطئ الآسيوى ، حيث تقول الأسطورة أن أيو Io قد نزل فيها إلى البر ، وأن الكيادس قد أسس فيها الجمرك عام ٤١٠ ق م . ثم ينتهى هنا المنعرج عبر نقطة السيراليو عند مدخل القرن الذهبى تحت سفح قلعة بز نطه القديمة ، حيث يطفو إلى اليوم مركب أغرقها التيار . وهنا ينقسم هذا التيار إلى قسمين : أحدهما ضئيل يدخل القرن الذهبى ، والآخر يرجع ثانية إلى وسط القناة . إلا أنه هذه المرة لا يندفع عابراً بحر كلسدون فى الجهة المقابلة ، لبعده الأرض ، ولكنه يندفع إلى بحر مرمره أو پروپونتيس ، وبذا تبقى كالسيدون بمنأى عنه . والواقع أن بوليب قد أصاب فى قوله « إنك دائماً تصل بز نطه أردت أم لم ترد ، ولكن مهما كانت إرادتك أن تصل كلسدون ، فمن الصعوبة بمكان أن تحقق ما تريد » . والواقع أن هذا ينطبق على الذهاب والإياب لأن الطريق الطبيعى لاجتياز البروپونتيس هو أن تلزم الشاطئ الشمالى أكثر مما تلزم الضفة اليمنى فإذا ما بلغت القسطنطينية ، وكانت الرياح غير مواتية أو التيار شديداً جداً أو اجتمع الاثنان معاً أمكنك أن ترسو قرب سور المدينة الجنوبى ، كما تقول .

---

== بأ كله . أظن Sir Edwin Pears فى Destruction of the Greek Empire ص ٣٥٢ ( والمؤلف مقيم منذ قديم فى القسطنطينية ) . هذا الكتاب وما كتبه المؤلف عن احتلال البندقية فى ١٢٠٤ زخران بكثير مما يكشف عن تأثير جغرافية هذه الجهة القذة على تاريخها — ١٩١٤ . وقد تركت العفرة فى النص بدون تغيير فعلى لأن ذكر طروادة إنما كان عارضاً . ولكن ليف Leaf يناقش فى كتابه Troy, A study of Homeric Geography ص ٢٥٧ وما بعدها مثبتاً أن خليج بيزكا فى قناة تنيدوس يستحيل أن يصلح مكاناً لابتداء طريق برزخى ، وأن طروادة كانت حصناً يقطع طريق الدردنيل البحرى بسيارتها البرية ، وعمود السفن المارة أكثر منها محطة لبحر المسكوس فى عمر أرضى فى برزخ . ولهذا غدت كما يرى ، مركزاً لسوق سنوية كبيرة ( ص ٣١٤ ) ، يأتى إليها التجار من جميع الجهات — ١٩٢١ . أنظر أيضاً ليف Leaf فى كتابه Homer and History ص ٧٢ .

التوجهات البحرية. وهكذا يكون أبولون قد أصاب عندما رمى الميجارين بالعمى عندما فضلوا تأسيس مستعمرتهم في كالسيدون دون بزنطة. فلما كانوا لا يبحثون إلا عن مستعمرة زراعية فقد فضلوا الخلدجان الهادثة والشواطئ الزراعية المثمرة على خليج أزميز حيث تنتشر في الوقت الحاضر منازل مدينة القسطنطينية الفخمة، فضلوه على موقع من أحسن المواقع التجارية والحربية في العالم<sup>(١)</sup>. وهناك وهنأندع الكلام عن الممر الشرقي ونعود إلى الممر الغربي. فهناك أمران آخران ينبجان عن طبيعة مضيق جبل طارق، فهو مضيق ضحل جداً لا يسمح بدخول مياه البحر العميقة الباردة التي تأتي إليه من المناطق القطبية عن طريق محيطات العالم، وبذلك تكاد تكون درجة حرارة قاع البحر المتوسط هي درجة حرارة المياه القريبة من سطحه تقريباً. وأما مقدار دفئه هذا فيعرفه كل مسافر لم يعبأ بالندر المحلية، فتجاسر وغاص في البحر في وقت يبرد فيه الماء لدرجة تمنع المرء من أن يستحم فيه. وقد يضيف هنا علماء الطبيعة فصلاً عما لذلك من أثر في حياة الكائنات التي تعيش في البحر المتوسط، على أن لن نتناول هذا الأمر في بحثنا هذا.

ثانياً: يخلو البحر المتوسط من المد والجزر على الصورة التي يعرفها الشماليون وما به من مد وجزر خاصين يمكن قياسهما في كل مكان ويمكن ملاحظتهما تماماً في بعض الجهات، على حين أن مد محيطنا الكبير وجزره قلما يصلان فيه إلى أكثر من منفذه. وانتفاء المد والجزر ميزة كبيرة من عدة نواح، إذ يسهل استعمال الموانئ والمراسي وبناء الأحواض وإنشاء

(١) ثبت الانتحال على أبولون مرة، فنصيحته للبرنطيين بأن يؤسسوا مدينتهم « نجاه الرجال العمى » قد ذكرها سترابون ( ٣٢٠ )، وكانت « أسطورة طيبة لتأسيس مستعمرة »، إذ كانت كل مستعمرة يونانية تستند في تأسيسها لمثل هذه الأساطير. ولوء الحظ يجربنا هيرودوت (٤ - ١٤٤) أن هذه الملاحظة صدرت عن الجنرال الفارسي مجازوس الذي زار المدينة بعد تأسيسها بسنين كثيرة، مضيفاً أنها كانت لا تزال مذكورة في تلك المنطقة. إن برزخ إسطنبول هو البسفور « المائل » لطروادة، ولكن بما أن هذا المكان كان محتلاً باستمرار فليس هناك أي دليل على أنه كان « مركزاً حصيناً للتبادل » في العصور القديمة. Scutari : إجزينوفون. Hell ١ - ٢٢ - ١ ، المرسى الجنوبي : Med. Pilot. طبعة ١٨٣٦ ص ٢٧٨ .



الموانئ . وليس لأبحار في زورق أو الرسوبه في البحر المتوسط بأصعب منه في أنهار إنجلترا ، وقد كانت زوارق اليونان الصغيرة ، وحتى المراكب ذات الثلاث طبقات ، وبعض المراكب التجارية ترسو قرب الشاطئ ، ثم تسحب إليه بضعة أقدام توطئة لشحنها وصعود الركاب إليها ، ومن ثم كانت تلك المعارك على السفن ، التي كثيراً ما ترد في كتب التاريخ والأساطير اليونانية حيث تقطع فيها أيد الرجال وهم متعلقون بمؤخرة مركب حربية في أثناء دفعها إلى الماء . كما وقع لأخي أسخيلوس في موقعة مرثون . ومن ثم أيضاً كانت الموانئ اليونانية تختلف إختلافاً ظاهراً عن الموانئ الإنجليزية . فليس هناك إفريز عال أو سور أو شاطئ بعيد الأمتداد تنتشر عليه صغار الحصى والأعشاب المائية بل كل شيء أنظف وأحكم ترتيباً ، وسكان « القيلات » التي على ضفاف البسفور يمكنهم فتح نوافذهم البارزة التي تطل على البحر . وفي أيجينا يستطيع صيادي السمك أن يلقوا بما معهم من الأسفنج على طول الطريق العام . وتصف لنا ناوزيكا وكانت تحب النظام في كل شيء ، ميناء أبيها النودجي في فايكيا وما كان عليه من نظام فتقول « هناك على جانبي المدينة ميناءان جميلان بينهما مدخل ضيق كانت السفن المقوسة تبحر منه على الطريق ، ولكل رجل شقة خاصة به » . ثم تستطرد في الحديث قائلة « وهناك السوق وبها مخازن للوازم السفن ثم مصانع للجداديف » . هذا النظام نفسه نشهده اليوم في كثير من موانئ الجزائر حيث يوجد مكان ضيق يكفي لحشر المدينة فيه بين الميناء والتلال وقد زاد مظهر الدقة الناتج عن حسن ترتيب السفن على طول الرصيف المنخفض بسبب حدة الساحل ( كما يظهر لكل من يحاول المسير بمحازاة الشاطئ على الطريقة الإنجليزية ) ، كما زاد فيها الحد الذي يظهر واضحاً قويا حيث تتقابل الصخور الدكناء في المياه المزبدة على طول الشاطئ (١) .

(١) الأوديسة ٦ — ٢٦٣ إلى ٢٦٩ ( فايكيا ) ؛ هيرودوت ٦ — ١١٢ ( معركة على السفن ) ؛ ٧ — ١٩٨ ( المد والجزر في خليج ماليان ) ، لكن المد والجزر بلاحضان أيضاً بوضوح في اليدو بالبنديقية .

ومن جهة أخرى فللمد والجزر ميزات أخرى من السهل أن يعرفها اليوناني ويقدرها . فهما مصدر قوة محرّكة عليهما يعتمد البحار مطمئنا كل الأطمئنان فيوفر بذلك على نفسه كثيراً من المتاعب ، إذ يمكنه مقاومتها ووقفها في لحظة واحدة باستعمال المرساة وهي من أبسط الوسائل وأقدمها . ومن أصعب المشا كل التي واجهت اليوناني قديما الإبحار من الموانئ التي لاتهب عليها رياح . وربما يثير فيه منظر السفن وهي تنزلق وتتهادى مع المد والجزر عند مصاب أنهارنا الشمالية الحسد والحسرة .

وإذا كان البحر المتوسط قد حرم المد والجزر فقد عوضته التيارات عن ذلك النقص إلى حد ما ، وهذه يجب على البحارة أن يحسبوا لها حسابا كبيرا وخاصة في المضائق . وكما لاحظ سترابون ، فلتلك التيارات أكثر من إتجاه للسير في المضيق ، ، واختلاف خصائصها يشغل باله باستمرار . والتياران المعروفان حق المعرفة هما تيارى في مضيق مسينا ومضيق إيوريپوس . وليس في سيلا ولا في خاربيدس ما يعترض البواخر الحديثة ، وتلك الدوامات الصغيرة القريبة من ميناء مسينا والتي عرفت بخاربيدس لا يمكن أن تكون مصدر تهديد أو فرع كبيرين ، ولكن التيارات الناشئة من تقابل البحرين ، فضلا عن الرياح ، جعلت مسير السفن قديما في هذا الممر أمرا شاقا . وقد كان توكيديدس وهو الذي لاحظ ذلك ، والذي كان يجعل للأساطير معنى مفهوما ، كلما استطاع ، — كان حكيما عندما أطلق اسم خاربيدس على المضيق كاه . ومهما كان الأمر فإن خاربيدس ، أيا كان نطاق عملها . كانت مصدر سعادة ويمن لبلد من أغنى بلدان العالم القديم . فربابنة السفن الذين كانوا يخشون تلك المضائق ولعلمهم كانوا يخشون كذلك قوة بطش المستعمرين من الخالسيدان ، في رجيوم ومسينا المسيطرين على تلك المضائق ، فضلوا أن يفرغوا بضائعهم الذاهبة إلى الغرب في ميناء على الساحل الشرقي ، ثم تنقل برا عبر طرف ( حذاء ايطاليا ) . وأقصر طريق وأيسره لذلك هو

وادي كراتس من سيناريس Sybaris . وقد ازدهرت هذه المدينة حتى أصبحت ثروتها مضرب الأمثال . ويرجع الفضل في ذلك إلى سيطرتها على طريق هذا البرزخ ، واستغلاله ، وهو يؤدي بعد مسيرة يومين إلى مستعمرتها في لاوس على الساحل الغربي . ومن هنا كانت تشحن البضائع مرة أخرى إلى موانئ إتروريا الواقعة بعد ذلك غربا . ولذا فإنه عند مدمرت بلدة سيناريس بواسطة جاريتها كروتون ظل أهل ميليتوس يحلقون رؤوسهم ويظهرون عليها الحداد العميق ، لأن هذين البلدين ، قد ربطتهما صداقة متينة أكثر من أي بلدين آخرين نعرفهما . لقد كانت ميليتوس البلدة اليونانية التجارية الأولى في ذلك العصر . وقد تأسف مانثستر ، ولو أنها ، تعبر عن أسفها بطريقتها الخاصة ، إذا ما خرجت مدينة الكاب من سلطتها ، وفقدنا السيطرة على مدينة السويس .<sup>(١)</sup>

وأشهر تيارات البحر المتوسط هي تيارات إيوريپوس Euripus في مضيق خاليسيس ولم يكن<sup>(٢)</sup> ، مرها عرضاً عرض ملعب الكريكيت . وكانت هذه التيارات التي تندفع في المضيق أثناء العاصفة بسرعة تزيد على ثمانية أميال في الساعة ، تتغير أربع مرات في الأربعة وعشرين ساعة ، ومع ذلك فقد كان إيوريپوس الممر المعتاد للسفن القاصدة إلى الشمال من بيرية ، إلى شواطئ إيوريا الشرقية . ويصفه البحارة القدماء بأنه صخري غير منتظم وغير شديد الانحدار ، وغال من الموانئ ولذا يجب تجنبه دائماً . وفي أواخر حرب البلوپونيز سد الثوار في خاليسيس هذا المضيق بأن أقاموا قنطرة ورددوا نصف الممر بالطين — وكان ذلك ضربة قاسية أصابت سيطرة أثينا على

(١) هيرودوت ٦ — ٢١ . أنظر Mélanges d' archéologie et d' histoire

الجزء ٢٧ ص ٢٥٠ وما بعدها حيث يصف « النقل » : كان هناك منحنى إلى Temesa ثم طريق آخر ينافسه من سيريس إلى بيكوس ، ثم من هناك إلى فيليا وبوزيدونيا . خاربيدس : توكيديدس ٤ — ٢٤ — ٥ ، أنظر ٦ — ٢ — ٤ .

(٢) — « كانت » لأنها قد وسعت حديثاً إلى ١٢٩ قدماً بنسف صخر وسط القناة

أقيم عليه حصن من العصور الوسطى . والقنطرة الجديدة تفتح لمرور السفن .

البحر . وهذه القنطرة ظلت قائمة في أشكال شتى من ذلك اليوم إلى الآن .  
ويدل بقاؤها على أن الحركة التجارية بين إيوبيا وأرض القارة ، وهو ما كانت  
تقوم به أئينا على زوارق صغيرة من أرتريا وأوروبوس ، لها في كل العصور  
أهمية تعادل أهمية الطريق البحري العام (١) .

لم تكن التيارات أكبر العقبات التي كان على البحار اليوناني أن يجاهد في سبيل  
التغلب عليها ، وبخاصة إذا كان قد خبرها منذ طفولته ، أما عدوه الحقيقي  
فقد كان الجهل . وقبل أن نلومه على تهميه وأن نضن به السوء لانقطاعه عن  
العمل في شهور الشتاء يجب ألا ننسى ما كان عليه من معرفة قاصرة محدودة  
وخبرة غير كافية . ويجب أن نذكر أنه كان يسير في البحر دون خريطة  
أو بوصلة ، حتى إذا انحرف به السير مرة عن طريقه الذي يعرفه ضل سبيله  
فلا يدرى أى تيار قد يكتسحه ، وأية صخرة قديمة منذ قبل التاريخ تحت  
سطح المياه قد تصادفه . وبحسب ما وصل إليه علمنا فإمن شعب من الشعاب  
المغمورة تحت سطح المياه في بحر إيجه التي يفيض بذكرها دليل السفن  
الحديثة ، يحمل أية علامة بحرية تنذر به . ولا بد أن يكون اليونانيون قد  
عجبوا كل العجب لما رأوا الفرس يقيمون عموداً على ميرمكس Myrmex  
المشهوره أو أنت التي تبعد عن سكياثوس Sciathus . وكان رسم الخرائط

(١) Med. Pilot المطبوع سنة ١٨٣١س ٢١٨ (شاطلي ، إيوبيا الشرقى) . بخصوص طريق  
البحر أنظر توكيديدس ٧ - ٢٩ -- ٢ ثم أسخيلوس . Ag. - ١٩٠ . وإن نعرف  
مطلقاً لماذا اختار أجاممنون ملك أرجوس مرفأ أوليس في الجهة الغربية للحاليس لبدأ منه  
رحلته . وفيما يخص هذا المرفأ كقاعدة بحرية أنظر ليف Leaf في كتابه Homer and History  
ص ١٠٣ ، « فالأسطول يكون عديم الفائدة ما لم يظل وحدة واحدة ، وكيف يظل هذا الأسطول  
( المكون من ١٢٠٠ مركب ) وحدة إذا كان على كل سفينة أن تنتظر ، إلى أن يهدأ الماء ،  
أربع مرات في اليوم لتتمكن من المرور » ، ويقترح ليف أن أوليس تظهر في الملحة الشعرية  
كاختيار لشاعر ببوشي أراد أن « يجعل من موطنه مسرحاً لتجمع الأسطول » . وكذلك  
هيروdot ٧ - ١٧٣ ، ٨ - ٦٦ . أما بشأن حركة المراكب أنظر توكيديدس ٧ - ٢٨ و ٨  
- ٩٥ . لم يش توكيديدس ليكتب البيان عن أول قنطرة ؛ وهو البيان الذي لم يرد ذكره  
في لاجزينوفون وذكر فقط في ديودور ١٣ - ٤٧ . لا بد أن تكون أئينا قد سيطرت على جانبي  
المضيق قبل ثورة خالسبس وفي ليف ص ١٠٢ خريطة لقناة إيوريوس والمنطقة التي حولها .

لا يزال معدوداً من فنون الهندسة . ولم يحيدوا عن التقيد به في رسم القارات والأنهار الكبيرة التي تصور النيل في إتجاهه موازياً للدانوب ، وتصور المحيط المستدير الهائل ( وقد تخيلوه نهراً ذا تيار جارف ) يحيط بالجميع في أناقة . ولم يحشمو أنفسهم مئونة تسجيل كل التفاصيل التي تصادف الرحلات الساحلية . وكان ذلك إلى حد ما على نمط الدليل ، الذي كان مع هانو . ولكن من المحتمل أيضاً أن هذا الدليل وأمثاله لم ينتشر استعماله بين البحارة غير المتعلمين الذين يفضلون الاعتماد على الخبرة الشخصية والإرشاد الشفوي ، والاستمسك بالتقاليد . ومن ثم كان البحر يبدو لهم غير ما كان يبدو للساكن على البر وقد أشرف على البحر من مرتفع عالٍ ، مساحة غير محدودة من المياه ، صالحة للملاحة . وكانت الطرق البحرية التي يسلكونها محددة لهم كل التحديد بقدر معلوماتهم ، مثلها في ذلك مثل الطرق البرية ، وقلما كانوا يخاطرون بالإبتعاد عن مرأى اليابسة حتى ولو كلفهم ذلك قطع مسافات طويلة . فالطريق العام إلى الغرب مثلاً كان يتجه إلى كورسيرا ومنها إلى طرف شبه جزيرة إيطاليا . وكذلك قلما كانوا يخاطرون بالمسير في البحار الغربية عليهم ، فإذا ما دفعوا إليها رغم إرادتهم لم يتوانوا في الاستعانة بمن يرشدهم . وهكذا كانت الملاحة بالطبع محلية ، فالبحار الأيجيني لا يعرف عن الطريق الإدرياتيكي إلا بقدر ما يعرفه المرشد السويسري بوجه عام عن مرتفعات جبال التيرول (١).

---

(١) Myrmex : هيرودوت ٧ - ١٨٣ . إن الصخرة ( التي لا تحمل علامة ما اليوم ) قد دلم عليها رجل من سكبروس ، وربما تلاعب شعب سكبروس وشعب سبورادس بالبرميس Myrmex . وبعد سنوات قليلة طردت أثينا شعب سكبروس من جزيرتهم بناء على إلتامس الإمفكيون ، وذلك لما أتوه من أعمال القرصنة التي لا أمل في إيقافها ( توكيديدس ١ - ٩٨ وبلوتارخوس : كيمون ٨ الذي يعطى تفاصيل ) . أما ما يخص استعمال الصخور المغمورة في الماء كمجاز فأنتظر أستيغولوس . Ag - ١٠٠٧ ، Eum - ٥٦٥ . الخرائط : أنظر المنظر في السحب Clouds ( ٢٠٦ وما بعدها ) . وهيرودوت ٢ - ٣٣ . إن الميل الطبيعي للرجل غير العلى أن يتصور الدنيا أكثر نظاماً وأقل تعقيداً مما هي عليه . قارن الدراسات الأولى لعلم الفلك ( خريطة بطلميوس للسماء ) ، والكيمياء ( العناصر الأربعة ) ، والعلم السياسي ( أشكان الحكومة الثلاثة ) ، والتنظيم الصناعي ( المنافسة العالمية ضد الإشتراكية العالمية ) .

ولم تقم قوتهم البحرية إلا على روح المخاطرة الحقيقية فقط، التي عبر عنها في المرثية، بأنها شقت طريقاً إلى كل بحر من البحار، وقد عنيت الشعوب البحرية الكبرى، أوسادة البحار، كما سماهم اليونانيون، باجتذاب البحارة المنجربين إلى مواسمهم، وبذلك امتد نطاق تجارتهم وتأثيرهم إلى البحار البعيدة. أما الجماعات البحرية الصغيرة فقد كانت تعمل في نطاق أضيق. وإذا كان ذلك لم يسهل لهم، بطبيعة الحال، سوى فرص قليلة للتجارة المشروعة، فقد أدى بهم الأمر إلى اتخاذ القرصنة ومهاجمة السفن الأخرى مهنة لهم. ولذا فتاريخ البحر المتوسط من مينوس إلى تاريخ ضرب الجزائر بالقنابل ليس إلا قصة النزاع بين الأشرار، من أهل الجزر الصخرية والساحل، وبين البوليس اليقظ للدولة صاحبة السيادة في البحار (١).

ولم يكن البحر وسيلة نقل فقط بل كان أيضاً مصدر إنتاج. والإنتاج في بعض البحار له المقام الأول فسمك الرنجة، في بحر الشمال، و السالمون، في النرويج، والحيتان، في نيوفونديلاند كلها مصادر أساسية فعلا في ازدهار هذه البلاد ورفاهيتها. أما البحر المتوسط فلم يكن له مثل هذه المصائد الأساسية حتى أننا لنرى اليوم رنجة يارموث، تتخذ غذاء لأهل ييرية الفقراء. وأهم أنواع السمك في البحر المتوسط التونة، والأنشوجة، والسردين وكلها معروفة لقراء أرسطوفانيز. وكان اليونان يصطادونها قرب الشاطئ فقد تعودوا أن يرقبوا من بين الصخور سمك التونة ثم يخرجون إلى البحر ليجروه إليهم أو يصطادونه بالحراب ذات الثلاث شعب. وقراء

---

(١) Pilots (أدلاء) (τοῦ πλοῦ ἡγεμόνες) : توكيديدس ٧ — ٥٠ — ٣ (شمال إفريقيا) ويعتقد Bérard بمراد الجزء الثاني من ٤٣٥ وما بعدها أن الدقة الجغرافية الممتازة في الأوديسة التي تتعلق بما فيها من معلومات عن الريح والطقس والأما كن إنما أخذت عن دليل بحري فينيقي أو يوناني قديم، ولكن المؤلف لا يقدم برمانا على ما يقول ويعتبر دليل هيكانيوس، خليفة هيروdot في القرن السادس، أقدم عمل من هذا النوع. نالاسوكراسي أي سيادة البحار : كلمة وردت باستمرار في كتب المؤرخين اليونان مثل هيروdot ٥ — ٧٣ . وفيما يخص مينوس والجزيرة κακοῦργοι أنظر توكيديدس ١ — ٨ — ٣ Murray موراي في كتابه The Greek Epic — التذييل C .

Persae يذكرون وصف أستخيلوس كيف كان الفرس يضربون على رؤوسهم بالمجاديف عندما كانوا يجاهدون للوصول إلى الشاطئ في سلاميس ، كما يضرب السمك المعروف بالتونة أو أى كمية من السمك صيدت بالشبكة . ولكن دور صائد السمك في الحياة اليونانية العامة لم يكن سوى دور ثانوى . أما أتیکا فلا تكاد تحسب له أى حساب . ونعطينا « رودنز Rudens » مؤلفها « بلاوتوس Plantus » ، صورة لرجل أتيكى من صائدى الأسماك يدل ما يتاجى به نفسه على أن الشعب الأثينى كان ينظر إلى أصحاب تلك المهنة وكأنهم شئ تافه (١) .

ومع ذلك فثم محصول آخر من محصولات البحر المتوسط جدير بالإشارة ، وذلك هو صبغة الأرجوان ، وهى الصبغة التى تستخرج من نوعين من القواقع الرخوة يسميان بوربورة Purpura وموركس Murex . ولا يخفى أن القدماء لم يكن لديهم أصباغ معدنية ، ولذا فإن تلك الصبغة كانت الوحيدة لديهم من الأصباغ الثابتة . وكثيرا ما كان يقارن الشعراء وغيرهم بينها وبين الأصباغ الخداعة المأخوذة من الأعشاب ، ومن ثم أطلقت كلمة أرجوان قديما على جميع الألوان المستخرجة من أصل حيوانى ( الأحمر الفانى إلى البنفسجى ) . وكانت تعتبر فى الأزمنة القديمة نوعا عظيما من أنواع الترف ، وعلامة من علامات

---

(١) إن الفصل المختصر عن صائدى الأسماك الترويجيين فى الجزء الثانى من Demolins فى Comment la Route crée le type social ص ٤٦٨ مفيد حتى أنه جدير بأن يشار إليه كمرجع . Tunnies : Persae ٤٢٤ Ar Aq. ٣١٣ . إن المسمون « جماعة الشاطئ » الذين نسمع عنهم فى أتیکا فى عهد بزنسراتوس لم يكونوا صائدى أسماك ولكن سكان الباريلى أى سكان الجزء الجنوبى من أتیکا . وما نسمع عنه من أماكن فيها « مصائد أسماك » فى العالم اليونانى كما فى Grimsby أو فى Yarmouth ( فى إنجلترا ) هى تارنتوم وسيزيكوس ويزانطيوم ( حيث يدفع النيسار السمك قريبا من الساحل ) . أنظر أرسطوفى السياسة ١٢٩١ ب — ٢٣ ثم أرجع أيضا إلى التذيل . وفى البوسفور أنواع كثيرة من السمك ممثلة فى مجموعة عبد الحميد فى يلدز . وحرره يوزيدون ذات الثلاث شعب ( التى أخذتها بريطانيا ووضعت صورتها على القود البرنزى ) ، هذه الحربة كانت أصلا شوكة بسيطة طويلة كذلك التى لا تزال تتمعمل لصيد السمك . وقد استعملها ( يوزيدون ) بعد ذلك ( كما نرى ذلك من الرسوم على الإرخثيوم ) لدى نقوب فى الأرض ، وحتى لتخس خبولة . ويجد الإنجليز المقيمون فى اليونان — أن الحربة ذات الثلاث شعب شوكة تصلح لتجهيز الحبر . أنظر نادال فى دارميرج .

الامتياز والسيادة مما كان سببا في تحريم استعمالها على الأسبرطين في حكم  
ليكورج، رغم أنه كان بين ملابسهم الرسمية معطف حرابي ذو لون أحمر،  
علاوة على أن بعض أجزاء لاكونيا كانت من أحسن مناطق اصطياد  
الپورپورة . ويرى هيرودوت أن سفير إيونيا حين أتى إسبرطة إرتدى  
معطفا أرجوانى اللون ليلفت إليه أنظار الجمهور . ويقال إن الفينيقيين هم أول  
من اكتشف تلك الصبغة ، إذ تقول الأسطورة إن إلههم ميلكارت Melkart  
لاحظ ذات يوم إحمرار أنف كلبه عقب وضعه في بعض الأصداف، ثم أخذها  
عنهم اليونانيون من عهد بعيد ، ثم نسيت تماما في العصور المظلمة إلى أن  
اكتشفها باحث فرنسى سنة ١٨٥٨ ، كان يتتبع آثار اللون البنفسجى على  
ملابس صائدى السمك في مينورقا (١)

ومن الغريب أن طبيعة استعمار الفينيقيين واستقرارهم في بلاد اليونان  
قديمًا ، كان مرتبطًا بعادات هذه الحيوانات البحرية ، فهى تختفى في أشد  
أوقات الصيف حرارة ، ولا تنتج ألوان صبغة جيدة في الربيع ، ولذا كان  
أنسب أوقات صيدها في الخريف والشتاء . وبما أن القدماء لم يتعودوا أن  
ينزلوا إلى البحر شتاء فقد كان يقوم بصيدها الأهليون أو بعض الغرباء  
المستعمرين القاطنين على الشواطئ . وأمر آخر هو أن المادة الملونة لا يمكن  
أن تستخرج إلا والحيوان حى ، وإذن فلا بد أن تتم عملية استخراج الصبغة  
المعقدة في المكان الذى تعيش فيه الأصداف ، ولا زال ممكنا إلى الآن  
أن ترى مصانع استخراج اللون الأرجوانى من كميات الأصداف المحطمة

(١) هيرودوت ١ - ١٥٢ الذى الأسبرطى: — Ar. Pax ٣٠٣؛ راجع Bérard  
الجزء الأول ص ٤١٥ وما بعدها فيما يخص الحرائط ووصف أمكنة الصيد في لاكونيا ، ثم  
أرجع أيضا إلى مقال بوربيرة Purpura فى دارميرج وساجليو Daremberg et Saglio . وليس  
صحيحا أن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا صبغة الأرجوان فقد عثر فى كريت فى طبقات مينوية  
( من عهد مينوس ) على بعض أصداف مكسرة للميرمكس ( Myrmex ) [ التى تستخرج منها  
صبغة الأرجوان ] . أنظر The Annual of Brit. School at Athens الجزء التاسع  
ص ٢٧٦ .



الملقاة على سواحل بحر ايجه ، التي لا مد فيها ولا جزر . ومن المرجح إذن أن اليونانيين كانوا على حق لإعتقادهم أنهم قبل أن يقوموا بالملاحة ، كانت سواحلهم ملأى ببعض المستعمرات الفينيقية في الجزر الملائمة والرؤوس الصخرية الحصينة عليها ، مثل شواطئ صقلية (١)

---

(٢) توكيد ، يدس ٢٠٦ — ٦ . أنظر هيرودوت ٢ — ٤٤ ثم إيوربيدس ، H. T. ٢٦٣ (معسكر صاندى الأرجوان) ويذكر هيرودوت أن أحد صيادى الأرجوان قد ضل الطريق . أثناء زوبعة .

# الفصل الثالث

## المناخ

Αὐται γάρ τοι μόναι εἰσὶ θεαί· τᾶλλα δὲ πάντ'  
ἔστι φλύαρος·

إن السحب وحدها هي آلهتنا وأما ما عداها فلفو — أرسطو — السحب ٣٦٥ .

قيل إن الجزائر البريطانية لا مناخ لها بل لها (طقس) ليس إلا . ولا ريب أن مناخنا في جملته ثابت ، أساسا ، كل الثبات ، ولكنه كثير التقلبات من يوم لآخر حتى أننا نتقبله على علاقته متجاهلين أثره العام . أما مناخ البحر المتوسط فله عكس تلك الخصائص تماما في معظم أيام السنة ، فهو ثابت لا يتغير من يوم لآخر ، ولكنه شديد الاختلاف من فصل إلى فصل ، ومن ثم كانت أهميته كعامل إجتماعي ذات أثر بين ولها اعتبارها .

إن أهم النقط التي يعرض لها الحديث عن المناخ ثلاث ، الرياح والمطر ودرجة الحرارة ، وطبيعي أن نبدأ أولا بالحرارة . يعنى الصيف عندنا بالتأكيد جوا حارا ( أو هو يجب أن يعنى ذلك ) . ويعنى الشتاء جوا باردا . أما في الجنوب فيقل تفكير الناس في الحرارة والبرد عنه من تفكيرهم في الجفاف والرطوبة ، وبقدر ما يهتمهم أن يعرفوا إن كانت الرياح ممطرة أو جافة يقل في حساباتهم هدوء الرياح وعصفها أو لفحها وبردها .

أما من جهة المناخ فنطقة البحر المتوسط إقليم انتقال ، يقع في منتصف الطريق بين الجهات المدارية والمناطق ذات المناخ الثابت ، المعتدل ، في شمال أوروبا ووسطها . وترى حدوده واضحة على خريطة الأمطار ، وهي تبرز المنطقة « القليلة المطر صيفا » . وخط تلك الحدود غالبا ما يتبع ، حتى في

إنحرافاته ، حدود امتداد الإستعمار اليوناني، فيضم مثلاً جزيرة لها مناخ البحر المتوسط وتقع في الركن الشمالي الغربي من البحر الأسود (١) .

ويمكن القول أن هذه المنطقة لا يسودها مناخ واحد ، بل مناخان على الأقل نتيجة هبوب نوعين من الرياح أو حدوث ضغطين جويين مختلفين . فالجولا يتغير من يوم لآخر ، ولكنه يتغير فجأة في الربيع والخريف . وهذه التغيرات ، كما لاحظ هيرودوت ، متعبة ومصدر معظم الأمراض . فالأحباش المقيمون بأرض ليبيا الجافة هم أصح الناس ويطول عمرهم إلى مائة وعشرين ، وذلك لأنه ليس عندهم فصل أمطار . ولم يكن توكيديديس متحذلقاً ولكنه كان منطقياً وعلماً عندما قسم تاريخ بلاده إلى أصيف وأشتاء بدل أن يقيم تقسيمه على أساس الألبان أو التقسيمات أو الأراكنة . فالصيف والشتاء قسمان حقيقيان واضحا المعالم . ففي كل خريف عندما تتجمع السحب فوق الجبال وتنزل أولى قطرات المطر يودع اليونانيون حياة الصيف المشمسة التي يقضونها في الهواء الطلق ويتركون القتال والتنقل في البحار والرقاد على الأحجار الدافئة ، يتناقشون في السياسة والفلسفة ، ويترك الرعاية مراعيهم على سفوح الجبال ، ويستقر التجار في المدن يباشرون قضاياهم ، ويتجمع الجيران في محلات الحدادة يتجاذبون الحديث حول الأكورة ، ويخرج الناس الملابس والأحذية الشتوية ، ويستعد كل منهم للملاقاة البرد حتى يأتي الربيع . فالذهاب إلى البحر في الشتاء جنون ، والقيام بحرب ، كما فعل فيليب ، أقل ما يقال عنه ، أن فيه مخالفة للروح الرياضية (٢) .

(١) يفسر هذا سبب تجنب اليونان بحر الأدرياتيك . راجع خريطة Philippson السادسة ، وقد قدر أعلى مدسوب للمطر في الصيف بأربع بوصات ( أنظر التبديل ) ص .

(٢) « يجب أن يكون ذلك هو الطقس » : هيرودوت ٢ - ٣٧٧ - ٣٣ كذلك . توكيديديس ٧ - ٨٧ - ١ : ولكن أنظر ٧ - ٤٧ - ٢ نهاية الفصل : هزويد Hesiod Erga ٤٦٤ : ٩ - ٥٠ . السحب : أنظر السحب ٢٧٥ وما بعدها . فيما يتعلق بصنع الحداد « ككان عام » أنظر هزويد Erga ٤٩٣ ، الأوديسة ١٨ - ٣٢٨ ، هيرودوت . ٦٨ - ١ .

كان الشتاء في نظر اليونانيين ، كما هو عند الحيوانات التي تختبئ في الشتاء ، مجرد فترة استراحة بين فصلين . ولم يبذلوا أية محاولة لوضع حياة مناسبة له ، فقد سنت كل نظمهم للصيف . وقليلاً ما كانوا يمكثون في منازلهم الباردة ذات التيارات الهوائية في فصل الشتاء ، كما أنهم قلما مكثوا بها في ليالي الصيف الحارة . ولكن في القرى كان العمل يجرى كالمعتاد أثناء الشتاء فيجنون فيه الزيتون ، وهو عمل بطله يصيب الأصابع ببرودة شديدة . وكان البرلمان ينعقد في العراء وكذلك المحاكم ، كما تمثل روايات أرسطو فايز في العراء في يناير عادة قبل أن يجرؤ أي زائر أجنبي أن يعبر البحر . وسكان البحر المتوسط أقوياء شديداً المراس ، وإذا ما جد الأمر أمكن اليونانيون أن يتحملوا البرد ، كما يتحملة معظم الرجال . والقول بأن اللاتيني جنس منعم ، خرافة مبعثها زائر عابر يزور أما كن مثل كورفو أو الريشيرا ، أو بالحكم على نشاط أهل الجنوب بمظاهر النوام في الطرقات في ظهر يوم قانظ . وقد تحمل العشرة آلاف رجل الذين ذكرهم إجزينوفون مالاقوه في ثلوج أرمينيا . والكثير من نجود اليونان ( مثل سهول تيجيا حيث لا يجمد القمح إلا في أغسطس ) لا تكاد تتمتع مطلقاً بالدفء الحقيقي المنتظر في الصيف . وفي أثنينا نفسها لا ينزل الثلج عادة إلا مرة واحدة في السنة ، بينما تغطي الثلوج شتاء التلال المحيطة بها ما يقرب من خمس مرات (١) .

إن الرياح الشمالية الشرقية الدائمة ، والسما الصافية ، هي علامات الصيف عند اليونان . واجتماع الرياح والصفو أمر غريب بالنسبة لنا إذ أن معظم رياحنا العاتية تأتي من المحيط الأطلنطي محملة بالأمطار . ورؤية بحر إيجة هائجاً مضطرباً أثناء عاصفة في حرارة الصيف في نظر الإنجليزى أمر غريب ، اللهم إلا إذا تصادف ورأى رياح « الفوهن » Föhn ، في هوبها على إحدى بحيرات سويسرا . والرياح الإنيسية ( وهي الرياح التجارية عند اليونان ) ، التي تهب عادة في فصل الصيف من يوليو إلى سبتمبر على الأقل ، هي المساعد الأكبر للتجار

(١) Ar. Ach. — ٥٠٥ ( إنفراد الكوميدي قبل موسم السياحة ) .

اليونانيين . فإذا ما امتعت ، كما حدث في سنة الوباء الأكبر، صارت اليونان وكأنها منطقة مدارية . وهي تهب بشدة على بعض الجزائر حتى أنها لتعطل نماء بعض الأشجار على المنحدرات الشمالية . وقد بذل هيرودوت جهده في أن يدحض الرأى القائل بأن سبب فيضان النيل في الخريف يرجع لمنع الرياح التجارية مجيء المياه طوال الصيف . وكان عذر الكورسيريين معقولا عندما قالوا إن هبوب هذه الرياح حول رأس ماليا Malea الخشنة منعمهم ، لسوء الحظ ، من الاشتراك في معركة سلاميس . وقد كانت هذه الرياح الشمالية الشرقية نفسها بداية متاعب أوديسيس عند ماليا . وإذا كان اليونانيون لم يتعودوا الإبحار شتاء فقد توخوا أن تكون مواسمهم مناسبة للرياح الشمالية فقط . ولذا كان أغلب هذه الموانئ مواجها للجنوب ، ومكشوفاً في الشتاء كإبحار الطليقة . والذين قرأوا الرسل ، يذكرون كيف استطاعت سفينة بولس أن تصل بعد صعوبة إلى ميناء ، سمي تهكاً بالمرسى الجميل ، ليجدوا أنفسهم كما قال لهم الرسول قد وقعوا في فخ ، إذ لم يكن ملائماً لتضية الشتاء ،<sup>(١)</sup> .

وفي الشتاء تهب الرياح من كل الجهات ولا يمكن الإعتماد عليها ولا ليوم واحد ، فهي كما يقول هزيرودت مصدر تعب للناس كبير ، ولها جميعها أسماء عند اليونان . وقد درست ونوقشت محتويات جعبة أيوليس وكذلك الرياح الساحلية المحلية والأعاصير الجبلية التي يصفونها بالمقتلعة ، ἀρπυιαί . وكانت تلك

(١) لم تهب رياح موسمية في سنة ٤٣٠ ق م : راجع ديودور ١٢ - ٥٨ - ٤ الذي يعزو بالطبع سبب الوباء إلى تلك الرياح . أما توكيديس فلم يذكر ذلك واكتفى بقوله إن هذه السنة كانت خالية من الأوبئة على غير العادة ( ٢ - ٤٩ ) فيضان النيل : هيرودوت ٢ - ٢١ . الكورسيريون في ماليا : أنظر ٧ - ١٦٨ ، راجع الأوديسة ٩ - ٨٠ إلى ٨١ ، ولسكن رياح أوديسيس الشمالية كانت تهب في الخريف أو الشتاء . راجع بوليب ٥ - ٥ - ٣ إلى ٦ ، فيما يخص تأثير الرياح الموسمية على خطاط الإتنال ، ثم هيرودوت ٦ - ١٤٠ فيما يخص كيفية استخدام الرياح الموسمية في الذهاب من أتينا إلى ليمبوس . الموانئ الجبلية : Acts ٢٧ - ٨ إلى ١٢ . إن هذا الفصل مليء بالفصائل الهامة ويصور تماماً أخطار اللاحة في آخر الموسم ( تصويراً حسناً ) .

« النسور ، المروعة أشد هذه الرياح وأخطرها وأكثرها خداعاً ، فهي تهب في أي فصل ، وتخرب وتدمر كما فعلت في « أرجنوزة ، بعد ظهر يوم من أيام أغسطس وأضاعت ثمرة انتصار عظيم تم بعد مجهود كبير . كما عرفوا الرياح الساحلية ، وكان لها حسابها . وبما أن البحر أدفاً من البر ليلاً ، وأبرد منه نهاراً ، فتنتقل الرياح كان بعد الشروق والاروب . ففي المساء يهب نسيم البر وفي الصباح نسيم البحر ، ولذا أرسل « الفايكيون ، أوديسيوس في الليل بعد العشاء رغم أن اليونانيين لا يحبذون بوجه عام الملاحة ليلاً . ولذا أيضاً أقلع تلباخوس ومن معه من الخطاب وبجارتهم الأكفاه ليلاً ، كما انظر فورميو Phormio ، أمهر ملاح عرفته أثينا ، في خليج كورنثة رياح الصباح المحلية لبشيع الفوضى بين البلوبونيزيين ، وبذا أتاح لبحارته أن يظهروا ويثبتوا أن التجربة والتدريب ألزم للحروب وأجدي من كل مافي العالم من شجاعة فطرية (١) .

ترتبط الرياح والأمطار بعضها ببعض ويبدأ موسم الجفاف في اليونان من نصف مايو ويظل حتى منتصف سبتمبر ، وينعدم المطر ، في المتوسط ، سنة كل ثلاث سنوات ، بينما ما ينزل منه في السنتين الأخرتين قليل جداً . وتعتمد اليونان ، كفلسطين ، في الري على جوها غير المستقر شتاء ، وعلى الأمطار المنهمرة في الخريف والربيع ، وهما المرتين « الأولى والثانية ، اللتين ذكرهما الأنجيل . وتتوقف الحياة على هذه الأمطار الفصلية ، أو كما تقول الأساطير « زواج الأرض بالسما . » وقد أبدى هيرودوت الذي جاب « مناطق المطر ، شمال البحر المتوسط وجنوبه ، دهشته من هذه الخصائص . فقد قرأ في حويلات مصر أنه « في عصر هذا الملك أمطرت السماء في طيبة . » ولما سأله

(١) أنظر هزويد فيما يتعلق بالرياح الشتوية : Theog . ٨٧٢ . والرحلات الليلية في الأوديسة : ٢ - ٣٨٨ ثم ٤ - ٧٨٦ ثم ١٣ - ٧٠ . أما من حيث وجهة نظر البحارة فانظر الأوديسة ١٢ - ٢٧٩ . ثم فورميو Phormio : نو كيديس ٢ - ٨٤ - ٢ . تناقض نو كيديس في ٢ - ٨٧ - ٦ و ٣٩ - ١ . كان نو كيديس بالتأكيد عارفاً تماماً بهذا التناقض : وكذلك كان بركايس .

المصريون عما يكون عليه حال اليونان إذا منع زيوس المطر، هز كتفيه وأجاب دون مبالاة ظاهرة، كحال النيل. وأما سيثيا Scythia فيختلف شتاؤها عن الشتاء في أى مكان آخر، إذ لا ينزل فيه مطر أو على الأقل لا يستحق ذكر ما ينزل منه، وأما صيفها فطره لا ينقطع،. هذا وقد أبرز هيرودوت عبارة « في أى مكان آخر، ناسياكم من البلدان لم يزرها، راجعاً إلى الأساليب المحدودة الأفق التي كان يعمل على تحرير مستمعيه منها<sup>(١)</sup>.

وكان من الطبيعي أن يظهر تأثير هطول المطر على العيون والأنهار. بل ذلك هو سبب خلو اليونان من الأنهار بمعنى الكلمة، « ودليل أميرالية البحر، يلاحظ ذلك أو يذكر في تهكم ظاهر « إن صلة الأنهر، التي تصب في بحر إيجه، بالثقافة الكلاسيكية، تستحق الملاحظة أكثر مما لها من أهمية تجارية». فاليونان في الشتاء تفيض بالسيول، وتنقلب إلى مجارى صخرية جافة في الصيف، وأحياناً يشقها مجرى ماء ضيق. ولكن الأنهار كما نعرفها، « الأنهار الفيضة، بالماء طوال العام، أو كما يعبر عنها اليونانيون « المحتفظة بمنسوبها»، هذه الأنهار لا وجود لها في اليونان. نعم إن بعض الأنهار الكبيرة عميق يتسع للاستحمام صيفاً، ولكن غالبيتها قد يحطها السائر غير الحذر فيظنها طريقاً وعراً، وإذا نبت إلى جانبيها أحياناً أزهار الدفل المتفتحة، يظنها حديقة طغى عليها الإهمال. وفي ديموسثين نرى موضوع إحدى القضايا، خلاف على أرض، هل هي مجرى ماء أم طريق عام أم حديقة خاصة. وشواطيء الأنهار وعرة في الطبقات الصخرية الصلبة، أو كما يسميها توكيديديس « مجرى لا يخرج منه»، كالنجرى الذي اعترض الأثينيين حين تفهقروا من سيراكوز. بينما يصب النهر المندفع الذي يشبه في قوته رأس الثور، في حوض صخرى كبير<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع هيرودوت ٢ - ١٣ و ٣ - ١٠ و ٤ - ٢٨ ويتصل بذلك الجواب على لفر « لماذا كان النيل والدانوب مختلفي العادات؟ » (٤ - ٥٠).

(٢) مجارى السيول: Dem. ٥٥ - ٤ وخاصة الفقرة ١٣؛ ثم توكيديديس ٧ - ٨٤ - ٤؛ ثم أنظر ٣ - ٩٨: كلمة ἀνέκβατος وهي الكلمة التي يعلم معناها معظم السامعين في اليونان.

ومهما يكن فإن أنهار اليونان جميعها تشترك في خواص ثلاث : أولا عدم صلاحيتها للملاحة ، فاليونانيون الذين لم يغادروا بلادهم لم يعرفوا ما هو النهر الصالح للملاحة . وقد سر هيرودوت بالملاحة في نهري الفرات والنيل ، ووصف تلك الرحلة بالتفصيل . ومع ذلك فإن السكان القاطنين على ضفاف التيمز لا يمكنهم أن يقولوا أن هذين النهرين صالحان للملاحة مادام كلاهما لا تصلح أجزاءه العليا للراكب الصغيرة . وكان أصحاب القوارب في نهر الفرات يحملون معهم الخمر عبر النهر كي تعود بالفارب عند العودة برا . هذا ويرتبط النهر عند اليونانيين بالطريق العام ، فحينما يجرى نهر يحتفل أن يكون بجانبه طريق عام أيضا . وتأتي البضائع من الشمال على طول الأنهر الكبيرة كنهر ستريمون Strymon الذي يصب في بحر إيجه الشمالي ، ولكنها ، ما عدا الخشب ، كانت تنقل إلى جانب النهر برا ، لا محمولة فيه . فأنهار روسيا وأوروبا الوسطى وحدها هي التي سخرت للنقل حقا ، وليس بعجيب أن يشيد بها هيرودوت فيقول لمستمعيه ، في سيشيا عجائب ثلاث : الأنهر والسهول الفسيحة وأثر قدم هرقل (١) .

ثانياً — عدم سهولة عبور الأنهر اليونانية ، فإن كان ليس بعسير على المرء صيفاً أن يتخطى مجارى الأنهار الصحرية ، التي كان يصعب تماماً إقامة قنطرة عليها ، إلا أن عبورها كان يستحيل شتاء . فهي لا تصلح للنقل البرى ولا المائى . ومطر ساعات قليلة كفيل بأن يقطع طريقا عاما هاما ، كما حدث للطيبين عندما زحفوا على دفعتين ، إلى بلاتيا في ليلة ممطرة ، فقد عبرت الفصيلة

---

(١) الفرات Euphrates : هيرودوت ١ — ١٩٤ وأنظر مايرز . Class. Assoc. ١٩١١ ص ٥٦ . وقد رأى Eldred . نفس عمل الخمر سنة ١٥٨٣ ( الجزء السادس ص ٥ — ٦ Hakiuys' Voyages ( طبعة ماكلهوس ) . المجلد : هيرودوت ٢ — ٩٦ ، أنهار سيشيا : ٤ — ٤٨ إلى ٩ : ٨٢ . أما فيما يتعلق بالأنهر الصالحة للملاحة في اليونان فقد كتب أنشلي ( C. S. ) « أن نهر لوروس في إبيروس يصلح للملاحة لمدة أسبالي ، وقد استخدم للنقل أثناء الأعمال الحربية ضد الترك عام ١٩١٢ وهناك أنهر أخرى قليلة مثل Acheron تصلح للملاحة القوارب الصغيرة أميالا قليلة » .



الأولى نهر أسوبوس في سهولة ويسر، أما الثانية فتوقفت وشق عليها اجتيازه . وإذا ما فاض نهر يوناني فليس أمامهم إلا الانتظار حتى ينحسر الماء ، كما فعل القروى الذى أشار إليه هورس . وهذا هو ما يرمز إليه الثور الخوار الذى غالباً ما يمثله السكان بجوار الأنهر على نقودهم . وقد استرعى نظر هيرودوت في البلاد ذات الأنهار الدائمة ، فكرة ترويض نهر سريع الجريان واستغلاله في مشاريع هندسية عظيمة ، وأثارت خياله اليونانى فكتب ما استطاع من القصص ذاكرة إمكانات أرض الجزيرة . (١)

وقد يرجع عدم إهتمام اليونانيين بالأنهار إلى سبب آخر . فياهاها في جملتها عكرة كثيرة الأوحال لا تصلح للشرب . وإذا ما مد اليونانى أنابيب المياه تحت الأرض فهذا ليس لجلب ماء من النهر أو من البحيرات ، إنما لجلب المياه من العيون والينابيع في الجبال ، فكانت هذه وحدها صافية نقية إلى حد أن جعلوا منها مأوى لأرواح العذارى . ولم تعرف عند اليونانيين جنيات للأنهر .

هذا وفيضان أنهار حوض البحر المتوسط بالمياه الداكنة الكثيرة الطمي أكثر أهمية مما يبدو ، إذ يعنى ذلك ترك الأنهار لما فيها من الغرين عند مصابها ، وهذه الرواسب تبقى إذا ما ألقيت في بحر خال من المد والجزر . وإذا ما رجعنا إلى الدليل البحرى ، ثانية رأينا أن أنهار اليونان ضخمة المداخل ، وقليل منها

---

(١) Asopus : توكيدس ٢ - ٥ - ٢ . وأنظر تقودجيلا ونورى ، ثم أنظر أيضاً سونوكليس Trach. ١١ ، حيث يوصف أخيلوس بأنه « أحيانا ثور بيتن ، وأحيانا كأنه نعبان براز ملتو ، وأحيانا له جسم آدمى ورأس ثور » . ويختلف ذلك كثيراً عن الأب تيمز ( Father Thames ) . أما من حيث هندسة الأنهر فانظر هيرودوت ١ - ٧٥ - ١٨٩ ثم ٣ - ٩ - ١١٧ . وقد أمكن اليونان أن يلمعوا بعيون اليه كما علمنا ذلك من عمر في سامرس ( ٣ - ٦٥ ) من مصارف بيرستراتوس في إنيا كرونوس Enneacrounos ؛ ولسكنهم لم يلمعوا بالأنهار إلا إذا كانت حادثة جداً لدرجة ألا يعرفوا على وجه التحقيق في أى جهة تجرى . فيما يخص النهر السعب في تيجيا أنظر توكيدس ٥ - ٦٥ - ٤ ثم إجزينوفون . Hell ٥ - ٢ - ٤ ، فهذا النهر الجبار ( εὐμεγέθης ) إذا ما غدير لأتجاهه إلى شوارع مانتينيا كان شديد العمق حتى أنه بلل أسس المنازل . ولا تزال بقايا بعض القناطر القديمة موجودة ، وكثير منها يقع قرب ميسيناى ، وهو من عهد ما قبل اليونان .

ما يسمح بدخول القوارب . ومن هنا أيضاً لم تقم على مصاب الأنهار في حوض البحر المتوسط مرافئ إطلاقاً . ورغم أن وادى النهر دائماً طريقاً برياً ، إلا أن المرافئ لا تقوم بجانب المصب . فالبندقية لا تقع على مصب نهر البوس ولا تقوم مرسيليا على مصب الرون ، وليست سالونيك على مصب نهر أكسيوس ، ولا الإسكندرية على مصب النيل ، وكذلك أزمير ليست على مصب نهر هيرموس . ولا يخفى أن السهول الغرينية التي تكونت بهذا الشكل لها أهمية خاصة في اليونان ، ولكن دراسة موضوعها تأتي في باب غير هذا . (١)

(١) نجت أزمير حديثاً بصعوبة من سد خليجها بالرواسب ، ويقال إن البندقية مهددة بامتلاء الإديريانيك الشمالي بالرواسب لامتلاء مطرداً . أظن توكيديس ٢ - ١٠٢ ، بخصوص لنز ، متى لا تكون الأرض أرضاً ؟ ، ١٩٢١ . أن پلا Pella ميناء مقدونيا القديم أصبحت الآن بعيدة عن البحر أميالاً عدة ، ويسير مرفأ سالونيك الآن إلى مصب مماثل ، وذلك لتقص وسائل مقاومة رواسب نهر أكسيوس ( Axios ) وغيره من الأنهار . وهذه هي الحالة أيضاً بالنسبة لبناء حيفاً في فلسطين ، فإن مقاومة امتلاء هذا البناء وسده من أولى واجبات الحكومة الجديدة في هذا البلد . والمناطق التي تراكت عليها الرواسب فانسدت ترجع كما يبدو إلى وقت قطع الغابات ، فإتساع ممر ثرموبيل الآن يبلغ من ٣٥ - ٤٠ أميال ، على حين أن إتساعه سنة ٤٨٠ لم يكن يصل إلى بضعة ياردات ، مع أن منسوب سقوط الأمطار كان بنفس المعدل الذي هو عليه الآن . ولذا فيبدو أن عملية التعمير تلت إقتلاع الغابات الذي إبتدأ على نطاق واسع بعد غزوات البرابرة من الصقالة في القرن الخامس الميلادي .

## الفصل الرابع

### التربة<sup>(١)</sup>

: Τρηχεῖ', ἀλλ' ἀγαθὴ κουροτρόφος· οὐ τοι ἐγὼ γε  
: ἦς γαίης δύναμαι γλυκερώτερον ἄλλο ἰδέσθαι.

هومر — الأوديسة ٩ — ٢٧ .

إنها خشنة ولكنها أم رجال وأهل أرض عندي .

لا نغني بكلمة التربة سطح الأرض في جملته ، وإنما نقصد بها ذلك الجزء  
الذي لا هو شديد الصلابة ولا كثير الجفاف حتى أنه لا ينبت زرعاً . فصخور  
الآلب المرتفعة لا تربة فيها ، والوحيد الذي تكلم عن التربة الخفيفة ، في  
إحدى صحراوات أفريقيا ، هو أحد الدبلوماسيين عندما أشار إلى عدم التوازن  
في تبادل الأقاليم .

يعد هذا الرأي عادياً مألوفاً في إنجلترا ، ولكنه ليس كذلك في اليونان ،  
فالناس حين يتكلمون عن الجنوب الخصيب ، لا يدركون أن من بين  
أراضي حوض البحر المتوسط ما هو أشد صلابة وأكثر حصي جافاً وأقل  
خصباً من أراضي شمال أوروبا الغربي . فنسبة الأراضي المنزرعة إلى  
بمجموع أراضي اليونان قليلة جداً ، وإنه لمن المغالاة أن نصف الكثير منها  
بالخصوبة .

ولكي نفهم كيف كان يعيش اليونان يجب أن ندرس بلادهم ونعرف  
نواحي إستغلالها . وكان من الممكن أن نتخذ الوصف الذي ورد على لسان  
فرقة الطير بإحدى روايات أرسطوفانيز ، أساساً لتقسيمنا ولكن يبدو أن  
هذه الفرقة إنما كانت تتغني بأتيكا وحدها ، إذ لم تذكر شيئاً عن الغابات ،

(١) أنظر خريطة أتيكا المقابلة ص

أو تتخذ صورته من هذا التقسيم المرسوم على درع أخيل في الإلياذة ، ولكن ذلك وصفاً أساسه إقتصادي أكثر منه جغرافي ، ويصف ما يعمله الناس أكثر مما يصف البلد الذي يعيشون فيه . ولكن خطته في تقسيم الحياة اليونانية أقساماً منفصلة ليس أمراً مصطنعاً كما يبدو . وقد يكون من الميسور تحديد المميزات العامة الطبيعية للريف اليوناني بأوضح من تحديد مميزات ريف بلادنا ، وإنما لتتناسب حقيقة إلى حد ما مع مقتضيات أي تصميم متناسق<sup>(١)</sup> .

ففيما عدا هو مر وأرستوفانيز يقسم الجغرافيون المحدثون اليونان أربعة أقسام : قسم غير منزرع والآخري غابات ثم المراعي وأخيراً القسم الزراعي . وبالإجمال يبدأ هذا التقسيم بالتجود وينتهي تدريجياً بالسهول . وسيتضح لنا هذا من دراسة كل قسم على التوالي .

تتكون المنطقة الجذبة في جملتها من صخور ومن تحت الأحجار ، وتبلغ مساحتها ثلث اليونان تقريباً . وهذا القسم أبرز أقسام اليونان . فاليونان ليست غنية موفرة الغذاء كإنجلترا ، بل هي بلد جذب بادي العظام ذو أشكال حادة واضحة المعالم والحدود . فهي مهد النحاتين والمهندسين والمعماريين ، وهي بلد أناس يشعرون بما في شعاب جبالها وسهولها من جلال وهدوء ، ويرون في صخورها التي لم تهذب بعد ، مواقع صالحة كل الصلاح لمباني شامخة . ولا تبدو اليونان عارية لأنها أرض جبلية ، فقليل من قممها يعلو عن المستوى الزراعي في جبال الألب ، بل ومن المنتظر أن تبلغ النباتات في الجنوب مستوى أعلا من هذا . ولكن وصفها بالجذب منشؤه قلة الرطوبة الدائمة عند أي ارتفاع لتقاوم عوامل التحات التي تفرى الأرض . ويمكن أن يتحقق السائح من ذلك بمقارنة الجزء العالی في جانب القطع الذي تمر به سكة الحديد في اليونان ، بالجدران التي تعود رؤيتها في أية رحلة عادية

(١) الإلياذة ١٨ — ٤٩٠ إلى ٥٨٩ ، ثم الطيور ٢٣٠ وما بعدها ، ثم أنظر السحب ٢٧٥ . هذا التقسيم الثلاثي صحيح بالنسبة لفسططين كما هو بالنسبة لليونان . فإرن مثل الزارع « بصخرته وشوكاته » ( أي المراعي ) و « التربة الطيبة » .

في إنجلترا . ففي الجهات المدارية يقضى الإنسان الوقت في استئصال الحشائش الضارة من الزرع ، على حين أنه في إنجلترا يمضيها الإنسان في الزرع ورعايته . وفي اليونان عليه إيجاد التربة ، وحتى إذا ما وجدت فإن نقاءها أمر مشكوك فيه ، فالتخريب أو الإهمال يمكن أن يودي بها ويجعلها مرة أخرى إلى رمال وحصى لا فائدة فيها . ومن ثم فإن نتائج أى تخريب كبير خطر يطول مداه عندهم أكثر منه عندنا . فالتخريب الذى حدث في السنوات الدكالية Decellean أثناء حرب البلوپونيز . لم تبرأ منه أتيكا مطلقاً ، رغم أنها هبت من عثرتها في الحال بعد الحريق المحرب الذى حدث في السنين العشرة الأولى من تلك الحرب . وفي الشمال حيث تسلك الطبيعة مسلكها تجدد مفاوز وبجاهل . وهكذا خلقت الطبيعة في جزء كبير من اليونان صحراء لا حياة فيها . حقاً قد ساعد الناس الطبيعة ، بما قطعوه وأحرقوه من غابات ، وما زالوا يقطعون ويحرقون تلك الغابات التى تحتفظ بالرطوبة في جذورها ، وبذلك ساعدوا الزوابع على إقتلاع النبات من الجمل ، وتركوها عارية . ثم أهملوا مصاب الأنهر وتركوا التربة الطيبة الصالحة تتحول إلى مستنقعات . ورغم ما يتصف به الناس في العصور القديمة من تديير وإقتصاد ، فإن جانباً كبيراً من أراضي اليونان ظل عارياً جداً لا حياة فيه ، حتى أن القمح لم يزرع مطلقاً على ذلك التل الصخرى القليل الإرتفاع الذى صار فيما بعد ( أكرهول ) أثينا وحصنها (١) .

والآن ندع الصخر جانباً لننتقل إلى الغابة . وربما لمسنا هنا أبرز الفروق بين اليونان الحديثة والقديمة . إن مائة جيل من الزراع المهملين عاشوا في تلك البلاد من عهد أفلاطون وبركليس ، ومن المحتمل أنهم لاحظوا الأشجار تتناقص على مر الزمن . والمرقبون العارفون يقدرون أن مساحة الأرض

(١) تدمير أتيكا : أنظر توكيديدس ٧ - ٢٨ - ٤ ، ثم Hellenica Oxyrhynchia ١٢ - ٥ ( ١٩٢١ ) . وقد أخبرنى المستر أنشلى أن مثل هذه الأدغال البرية لا تزال ترى الآن في ليهيوس .

التي تغطيها الغابات قد نقصت في الثلاثين سنة الأخيرة بمقدار النصف . فقد أفنى الفلاحون الأشجار بأن أحرقوها ، وساعد على تلك العملية أنهم كانوا يشرطون سيقان أشجار الصنوبر للحصول على الراتينج ، وبعدها تنقل الأشجار الجافة لتستعمل وقودا وتأتي الماعز على النباتات الصغيرة . وعلى هذا النحو يمكن القضاء على جانب تل بأكله في سنين قليلة . وقليل من الغابات ما زال باقيا في اليونان الشرقية حتى اليوم ، مع أن أجزاء من اليونان الشمالية الغربية وإيوبيا لا تزال كثيرة الغابات . وهكذا احتفظت تلك البقاع بمظهر اليونان القديمة الخارجى أكثر مما احتفظ به غيرها من المناطق المعروفة (١) .

ويجب ألا نتصور أن اليونان كانت وقتئذ بلاد غابات بالمعنى الذى تدل عليه هذه الكلمة في ألمانيا . فالماعز هي الماعز دائما وشهيتها لأكل الأخشاب الجافة كانت قوية كما هي عليه الآن . وبقي لنا من رواية مفقودة لإيوبوليس Eupolis ، وهو من الأدباء الذين سبقوا أرسطوفانز ، عدة أسطر تصور ثغاء فريق من الماعز من أجل الشجيرات الحبيبية ، مما يدل على أنها بدأت منذاز من طويل ، قضم الحشائش في الجبال (٢) .

(١) إن الأمر المحير هو أنه لا يمكن أن يتصور الإنسان على وجه أكثر تحديدا ما كانت عليه اليونان في القرن الخامس ، وهي نقطة لا تجدى فيها كثيرا بعض الدلائل المتفرقة . واني أضيف هنا اثنين ، يتكلم سوفوكليس عن سونيوم فيقول إنها « مرتفع صغرى عليه أشجار » ( أجا كس ١٢١٧ ) ، وأما اليوم فلا توجد أشجار عليها . ووفقا لما يقوله فيلاموثيس Orestie ص ٢٢٨ فان كلمة ἄλσος بمعنى مجموعة من الشجر حول مقصورة إله ( وى تقابل الآن أشجار السرو في أفنية كنائس الجنوب ) ، لم تكن مزروعة أصلا وإعما هي متروكة كما وجدت « بكرأ » ( أنظر إيوربيدس Hipp. ٧٤ ) ، بينما قد اقتلعت بعضها لبناء مستعمرات حولها . ثم فيما بعد ، في العهد التاريخي ، عندما غدت الأشجار نادرة إهتموا بزراعتها .

(٢) ما كروبيوس ٧ - - ٥ - ٩ أنظر تعبير ( ماشية الغابة ) كما في إيوربيدس T. ٢٦١ I. لقد حاول تريكوبيس بشجاعة أن يمحصر المتر اليونانى وسيدته ، ولكنه لم ينجح . ولم يبذل أحد أى مجهود حقيقى لتنفيذ القوانين الحديثة العهد . ويبدو أن الفلاح اليونانى كان يعتبر الأشجار كأنها لهعدوا ، حتى أنه في عصر أفلاطون بدت أتبيكا عارية دون شجر . وقد تنوقلت روايات عن الأشجار الكبيرة التي قطعت . أنظر فقرة هامة جداً في كرتياس ١١١ . ولكن من المحتمل أن الضرر لم يكن قد إنتشر بشكل واسع حتى مجيء الفلاح في القرن الثالث ق . م مع قطعانهم الهائلة من الماشية المتنقلة .

وقد ساعد حرق الفحم، الماعز في القضاء على الأشجار. فالقدمات لم يستعملوا إطلاقاً الفحم الحجري، بل كان كل وقودهم من الخشب جافاً أو متفحماً، ولذا فقد قطعت كل الأشجار النامية بجوار المناطق المأهولة بالسكان. وتقف لها الماعز بالمرصاد وتحول دون نموها مرة أخرى. وكانت أئينا تقتطع وقودها من غابات حول أخار ناى على بعد سبعة أميال منها.

وبالرغم من أن أئينا كان لديها ما يكفيها من وقود، فقد كان ينقصها الخشب اللازم لبناء سفنها، فكانوا يستوردونه من منطقة الغابات الحقيقية خارج شبه جزيرة اليونان، إذ لم تكن تربة اليونان صالحة كأرض الشمال، لمثل هذه الغابات، فالأشجار في اليونان أصغر مما في الشمال، وتنمو متباعدة بعضها عن بعض. وأغلبها أشجار دائمة الخضرة مثل الصنوبر والهور والبلوط الكثير الأشواك. وليس عندهم من أشجارنا المعروفة في الشمال ذات الأوراق المنتشرة، إلا شجر الدوب والبلوط والكستناء. وقلما تكون الغابة اليونانية كثيفة لدرجة تمنع عنها الشمس بل تنمو أشجارها متباعدة في جو مكشوف. وفضلاً عن ذلك فعظم ما يسميه اليونانيون غابات، يجب أن يسمى أحراساً. وأهم الأشجار في اليونان، في الحقيقة، شجيرات الغار والصفغ والدفل والآس والمصطكى والأسعدان، والفرولة،. وقد اضطر إيوريديس أن يذهب إلى مقدونيا بحثاً عن الغابات العالية، حتى يكون منظر الموكب رائعاً عند ما يزرع أوريوس بزمارة، فتبدو الأشجار وكأنها تتحرك وتتبعه. والواقع أنه لم يكن عند اليونان كلمة خاصة للشجرة،، فكلمة ἄνη التي يستعملونها للدلالة على الغابة البرية تطلق على الأشجار الكبيرة والصغيرة على السواء، بينما كلمة δένδρον التي تترجمها بشجرة تعني شجرة فاكهة خاصة،. بل إن اليونانيين، على عكس الأتراك والإنجليز، لا يسمون الشجر الكبير وربما قالوا عن مناظر المتنزهات الإنجليزية النموذجية، إنها ازدحمت بتلك الأشجار

الهائلة العديمة الفائدة ، وإنما أرض شعثاء غير مهذبة<sup>(١)</sup> .

وتحت هذه الغابات أو بينها على منحدرات الجبل ، أو حيث الأشجار قد إنقرضت، وتحت الصخر العارى مباشرة ، تنمو المراعى . وكلبة المرعى عندنا توحى بصورة مرعى كسيف العشب الأخضر الناضر على سهول محوطة بسياج يفصلها عن حقل للخضر ، أو عن أرض صالحة للزراعة بجانبه . وبعض أراضي مراعيها منتشرة على سفوح التلال ولكن معظمها بين الأراضي الزراعية التي تحيط بها ، وأغلبها حشائش خضراء . أما مراعى اليونان فليست كذلك فراعيتها تنبسط على أرض لا تصلح كثيراً لأن تزرع ، وهى تشبه حلقة منفصلة على درع ، إذ هى مناطق منعزلة تماماً عن المساكن التي فى السهول وبعيدة عنها . ولذا فقد كان الأولاد غير المرغوب فيهم ، مثل أوديب أو سيروس ينقلون بسهولة مع الرعاة إلى بلاد أخرى . فالحدود تتقابل عند المراعى . ويقضى رعاة طيبة وكورنث سيفهم مجتمعين معا على منحدرات كيثايرون العليا ، ثم يزلون ، كل إلى بلده فى الخريف . وقد كان ذلك أيضا سببا فى قيام الحروب ، لما يقع من سرقة الأغنام بعيدا عن متناول العدالة<sup>(٢)</sup> .

ويرعى اليونانيون بعض الأبقار . ولكن السائد عندهم الماعز والغنم فإذا وجدوا البلوط ، كما فى مراعى د أركاديا ، فإنهم يربون الخنازير . ويقصد الماعز إلى أعلى الجهات ، حيث تكاد السفوح أن تكون عارية ، بحثا عن

---

(١) أنظر إيوربيدس Bacchae ٥٦٠ ثم ٦٧٧ وما بعدها (كلام الرسول) ، فلا يوجد أى تشابه بين وصف الميناد Maenads على الجبال وبين عاقلة الغابة الألمانية (Waldzauber) ، فكلاما يختلف عن الآخر لاختلاف البارتنون عن الكاندرائية القوطية . أنظر δένδρον الشجر و ἄλη الغابة فى توكيدس ٤ — ٦٩ — ٢ ثم ١ — ١٠٨ — ٢ ثم هيرودوت ١ — ١٩٣ ( حيث السكروم هى δένδρον ) . وانظر أيضاً الأوديسة ١١ — ٥٨٨ ( الأشجار الباسقة المنتشرة الأغصان التى كانت تفرى تانتالوس Tantalus ) .

(٢) الرعاة سوفوكليس O. T. ١١٣٦ . وهيرودوت ١ — ١١٠ . أنظر من



الأحطاب لتأكلها . وكذلك يعثر الأغانم على غذاء تجمه أغانمنا . لأن ما ينمو على جبال اليونان ليس عشبا وإنما شجيرات كلها ، مواد جافة φρύγανα ، صلبة ، وأغلبها أشواك تنمو حيثما وجدت لها مكانا في التربة الصخرية . وحتى المراعى ، في إليزيوم ليست كلها خضراء ولكنها حمراء بلون anemones التي تزدهر في الربيع ، أو صفراء لكثرة ما ينبت فيها من البرواق<sup>(١)</sup> .

ومع أن المراعى كانت سببا في ضمور الحيوانات ، إلا أنها تهىء العمل لكثير من خلايا النحل ، إذ تزهر النباتات الجافة زهراً كثيراً ، فجأة وعلى غير انتظار ، كما تزهر شجرة الوزال الإنجليزية ، ولذا فقد كانت اليونان دائماً أرض لبن الماعز والعسل . والواقع أن العسل كان عند القدماء غذاء ضرورياً لا كالياً ، إذ لم يكن لديهم سكر أو أية مادة أخرى للتحلية ، كما أدخل العسل في كثير من التراكيب الغريبة كما يعرف الذين درسوا فن الطب في هومر . وبطبيعة الحال تتراكم الثلوج في الشتاء على المراعى المرتفعة ، فينزل الرعاة إلى الأرض المنخفضة على حدود الأراضى الزراعية أو على حوافها أحياناً . وهذا الحد ، أو آخر خطوط الدرع المتمركز ، يكون بيننا في فصل الأمطار .

---

(١) إن نبات البرواق لمن أكثر الأزهار إنتشاراً ، وهو نوعان أحدهما طويل أبيض ، والآخر أحر اللون وأقصر من النوع الأول . وبالنسبة للفلاح اليونان العادى فهذا الاسم لا يعنى شيئاً مما حاكه شعراؤنا حوله من قصص . وقد أصبحت مراعى البرواق تعبيراً اصطلاحياً في اللامح لحقول الفردوس ( Elysian fields ) ، ويقول بنسار عن الموتى في جزء رائع من إحدى مرثياته : « إن الحقول التي خارج مدينتهم قد لونها الورد بلون قرمزى ( φοινικορόδοις ἐνὶ λειμώνεσσι προάστιον αὐτῶν ) : أنظر أرسطوقانيز الضفادع ٣٧٢ . وبخصوص الشجيرات المهملة أنظر مايرز Greek Lands and the Greek People ص ٢٤ ، وقد أخطأ مع ذلك في قوله إنه نظراً لعدم زراعة النباتات التي تحمل أنواع التوت في اليونان « أصبحت على وجه العموم بلاداً لاتصنع مربى فيها » . ويرد على ذلك أتشلى فيقول « بالنكس إن اليونان بلاد الأشجار التي تحمل أنواع التوت فالعليق الأسود كثير جداً ، بينما الآس والمصطكي وعنب الديب والعرعر والبريونيا كلها ثمر أنواع التوت . أما الكشمري البرية فهي متوفرة في كل اليونان وأما البرقوق البرى فلم يكن نادراً بينما كانت الفرامبواز والشوليك كثيرة موفرة في بندوس Pindus » . إن عدم توفر السكر لا التوت هو الذى قضى على صناعة المربى في اليونان .

وكما يقول الأستاذ مايرز ، إن كل من يذهب في الربيع إلى أتیکا ويجيل النظر حواليه من أعلى الأكروبول يتبين ذلك التغير الفجائي — أى الحد بين الخضرة البليانعة والأرض المحمرة المغبرة مما يدل على إنتهاء حدود السهول وأرض القمح ، وإبتداء منحدرات جبال الماعز ، ، وذلك لأن السهول اليونانية ليست محوطة بما يمنع القطعان من التهام ما لا يجب أن تأكله ، والماعز التي تعودت تسلق الجبال لتتغلب على أتفه العقبات . ولذا فقد دربت الكلاب على أن تكون سريعة جدا ومتوحشة ، لأن عليها كما على أصحابها واجبات كثيرة لا بد من أدائها<sup>(١)</sup> .

وأخيرا إنحدرنا إلى مستوى الأرض الزراعية ، وهي باستثناء الغابات أصغر مناطق البلاد الأربعة ، ولكنها أهمها جميعا إذ لا تصلح اليونان للسكنى بدونها ، وفي الحق لولاها لما كانت مهدا لتلك الحضارة .

إن تكوين تلك السهول مهم للغاية ، إذ يتوقف عليه أكثر تاريخ اليونان السياسي . ونحن نعتبر كل بلد جبلي ، أرض مرتفعات ووديان تجري متوازية في الغالب ، وتزداد اتساعا كلما اتسعت الأنهر ، مثال ذلك سويسرا ، البلاد الذي ابتداء كفاحه للحصول على الاستقلال السياسي بالتعاون السهل بين رجال الوديان حول بحيرة لوسرن . ولكن أرض اليونان لا تتكون من وديان ، ولكنها تتكون من سهول أو أراضي منبسطة ( πεδία ) . فإذا نظرنا إليها من علي رأينا سلاسل الجبال لا تجري في خطوط مستقيمة ، ولكنها إجمالاً تكون مستطيلات تضم ، البلاد فتجعل منها ما يشبه صناديق مربعة صغيرة . وهذه السهول منبسطة في جملتها كلية ، كانبساط البطائح الإنجليزية . فإذا كانت مرتفعة فليس إرتفاعها عند سفوح الجبال ، وإنما يتجه إلى مركزها أشبه ما تكون

---

(١) أنظر ص ١٦٥ في Anthropology and the Classics . لم تبدأ إقامة السياج عندنا إلا من وقت أن تركت طريقة القرون الوسطى ، وأصبحت المراعى والأرض الزراعية تتدخل بعضها في بعض . فالماعز التي كانت تمدنا باللبن حتى الباب ، كما يجرى كثيراً الآن في المدن الجنوبية ، يجب أن ترعى وسط الأراضي الزراعية ؛ أنظر الأوديسة ١٠ — ٨٢ . ١٧٠ — ١٧٠ .

بطبق مقلوب ، ترويهما نهيرات آتية من المنحدرات . وهذه النهيرات لا تجرى في وديان عظيمة تنساب في تدرج متناسب نحو البحر ، بل تجرى متدفقة في التواء كسائر ضل الطريق ، ، وأحيانا تهرب في خناق ضيق وتختفي فيه نهائياً مثل نهر « إيوروتاس » ، جنوب إسبرطة أو نهر Peneus في « تمب » . وذلك ما يفعله نهر « المول » ، في بوكس هل بإنجلترا ، وأحيانا تكون بحيرة كما يفعل نهر ستيفالوس وبنيس ، والأنهار التي تصب في بحيرة كوبايس . وأحيانا ينتهي بها الأمر إلى أن تجف وتختفي نهائياً ، كالنهر المشهور في سهل تيجيا الذي كان مدار منازعات كثيرة .

ولذا كانت الأراضي الزراعية في اليونان مقسمة مناطق منعزلة محكمة الإقفال صعبة الدخول ، وبعض تلك الأراضي بل أهمها ، يتكون من أرض غرينية ينسبط أحد جوانبها نحو البحر مثل سهول أرجوس وأثينا وإيلوسيس . والبعض الآخر مثل سهول إسبرطة وتساليا والجزء الأوسط من سهل أركاديا تحيطه الجبال . وكلا الوضعين زاد في عزلة السهول في الأزمنة السالفة . فلم تكن هناك مواصلات بحرية منتظمة قبل تأمين الملاحة ، ولذا فقد خططت كل المدن ، مثل أثينا وأرجوس ، بعيداً عن الشاطئ . هذا وقد قامت النظم السياسية ، ونشأت القومية اليونانية ، وظلت أجيالا عديدة منعزلة بعضها عن بعض داخل تلك الصناديق من الأراضي الزراعية بمحدودها الصلبة الجبلية<sup>(١)</sup> .

عاش اليونانيون على ما تنتجه أراضي تلك السهول الصغيرة منذ أن استقروا وانتهوا من مزاوله حياة الرعاة والترحال . وأهم المنتجات اللازمة لبقاء الإنسان هي : القمح والزيت والنبيد . وقد أطلق عليها « ثالوث البحر المتوسط » .

(١) أنظر خريطة جرندي Grundy لليونان (Murray's Handy Classical maps)

التي تبين السهول في كل الإرتفاعات الخضراء .

فالقمح أول وأزرم تلك العناصر الثلاثة من القدم ، لأن الإنسان قبل أن يشعر بأنه قد استقر وثبت ويأخذ في زراعة الزيتون أو الكروم ، كان يبذر القمح للبوهم القادم ، ثم يستعد للرحيل بعد جمعه وإعداده . « والسيتوس σίτος ، أى القمح أو الشعير ، كان طعام اليونان الأساسى . وقبلنا كانوا يأكلون اللحوم إلا فى الأعياد عندما توزع عليهم لحوم الحيوانات التى تقدم للتضحية . وكل ما خلا القمح يعتبر عندهم « أوبسن ὄψον ، أى « حلواء . وكان الفرس الذين لم يتعودوا أكل اليونان يشكون من عدم توفر ما يستحق الأكل عندهم بعد طبق الدقيق ، وأهم كانوا يتركون الموائد قبل أن يشبعوا . وقد رددت تلك الشكوى الزائرون الذين أتوا بعدهم . فالإيونانيون كانوا يأكلون الطعام المصنوع من الدقيق بكميات كبيرة وبأشكال شتى ، والقاعدة عندهم أن الخنطة فقط هى التى تستعمل للخبز أما الشعير فيعجن بدون أن يخبز ويؤكل مع الماء كأنه نوع من « البودنج » . وهذا هو الكعك الفاخر الذى يزود به أفلاطون وجبات حراسه الإقتصادية فى جمهوريته . ولم يكن الإيونانيون نهمين ولا سكيرين ، وكانوا يتناولون وجبتين فى اليوم كما يفعلون الآن ، وجبة الغذاء فى منتصف النهار بعد نصف يوم من العمل ، ثم وجبة العشاء فى المساء . وهذه الوجبات مثل أيام العطلة النادرة ، يكرن الناس بحاجة إليها حقاً عندما يحين حينها ، وينتظرونها بفارغ الصبر . وكان نظام اليوم ، حتى فى زمن الحرب ، يدور حولها ، أى حسب مواعيد الأكل . وإن قليلاً من قواد اليونان ( خارج الملاحم ) هم الذين كانوا يستطيعون أن يرغموا جنودهم على الحرب وقت فترة الغذاء العادية . وإن هم اضطروا إلى ذلك فإنما ليكسبوا نصراً حاسماً<sup>(١)</sup> .

(١) زراعة القمح : توكيديدس ١ - ٢ - ٢ ؛ أنظر هيرودوت ٤ - ٤٢ عن « كيف استطاع الفينيقيون حمل زاد بالقدر الكافى حتى يدوروا حول رأس الرجاء الصالح ؟ » . وانظر لميزوكراتيس ٧ - ٢٩ فيما يخص زيادة الاحتمالات المستمرة التى محتاج إلى أضحى . أنظر كذلك [ Xen. ] Ath. Pol. ( الذى سيشار إليه من الآن فصاعداً بمباراة « الأوليجارشى المجوز » ) ٣ - ٨ . ثم توكيديدس ٢ - ٣٨ ، والوجبات =

وتنتج كل مدينة يونانية قحها أو هي تحاول ذلك ، فإذا جاوز الطلب الإنتاج، وعجزت المدينة عن أن تكفي نفسها بنفسها، أدى ذلك إلى إشكال سياسي كما سنرى . ويبذر القمح في أكتوبر، ويجمع في مايو أو يونيو، وتزرع في كل بقعة في الدولة تصلح لزراعته . وليس من الغريب أن نرى الثيران تحرث منطقة مسطحة من الحجر يظن من يراها أنها صغيرة جداً وصعبة الوصول لا تستحق هذا العناء . وتوكيديديس الذي اعترض على التآريخ بشهور أثينا الصعبة ( لأن معظم الدول اليونانية تطلق على الأشهر أسماء مختلفة عن أسماء الشهور في الدول الأخرى ) أرخ حوادثه بحالة المحصولات في كل فصل . وذلك أمر طبيعي بالنسبة للقارىء من أهل الريف .

يأتى النبيذ بعد القمح . وإنه لمن المستغرب ألا تكون الأهمية الكبرى التجارية للعنب في اليونان الحديثة كحولية إطلاقاً . فأم عناصر التصدير ، هو الزبيب ( أو كما يسميه الألمان ، وهم في ذلك أصوب من غيرهم ، كورنث ) . وهو نوع من العنب صغير جداً عرف في اليونان حتى القرن الرابع عشر . والأعناب ، بأشكالها القديمة ، وجدت من أقدم العصور . وكان النبيذ دائماً المشروب الوطني ، وقد دهش هيرودوت عندما رأى نفسه في مناطق أخرى لها مشروب غير النبيذ ، رأى المصريين يشربون الجعة ، لأنهم لا عنب عندهم ، ورأى البابليين يشربون نبيذ البلح . وليس الشعب اليوناني شعباً مدمناً ، رغم أن النبيذ يلعب دوراً هاماً في حياتهم الإجتماعية والدينية . وهم

---

== الفارسية : هيرودوت ١ — ١٣٣ ، ثم Ar. Ach. ٧٧ — ٨ . السمك : Rep. ٣٧٢ ب التفاصيل مأخوذة كلها من الحياة اليومية . الحرب في فترة الفناء : إجزينوفون Hell. ٢ — ١ — ٢٧ ( Aegospotami ) ، حالات أخرى : توكيديديس ٧ — ٣٩ — ٢ ثم ٨ — ٩٥ — ٣ ، هيرودوت ١ — ٦٣ — ٦ ثم ٧٨ . قارن بيات معركة تريبيا ( وهي معركة شتوية ) في بوليب ٣ — ١ إلى ٧٢ . أنظر كليتمسترا Clytemnestra ( إيسخيلوس Ag. ٣٣١ ) الذي يفيض في وصف نتم اليونان بأول وجبة طيبة لهم في طروادة . أنظر أيضاً توكيديديس ٨ — ١٠١ — ٢ . يمكن الإنسان أن يعيش مسافات طويلة في اليونان ومعدهته خاوية ، أما إذا غصه الجوع فجأة فيشله شللاً تاماً . أنظر موراي Greek Epic من ٢٧ ( الطبعة الثانية من ٤٧ ) .

دائماً يشربونه مخلوطاً بالماء بنسبة ثلاثة أجزاء من الماء إلى اثنتين من النبيذ . وكانوا يعتبرون من يشربه خالصاً غير متمدن ، إلا أنه لا يمكنهم الاستغناء عنه (١) .

وثالث هذا الثالوث هو الزيتون . وهو الوحيد بين هذه المنتجات الذى يعتبر من خصائص البحر المتوسط حقاً . فبينما الكروم تنبت شمالاً حتى كولونيا ، وفيينا ، ويمكن أن تنبت في إنجلترا أيضاً ، فالزيتون يتبع بدقة المناطق غير الممطرة صيفاً . وبما أن فوائده غير معروفة عندنا فمن الأجدر أن نشرحها ، فقد كانت « قنينة الزيت الصغيرة » ، في الحياة اليونانية شيئاً أساسياً لا غنى عنه ، وكان من السهل على المرء أن ينسى أين وضعها ، كالمنظلة بالنسبة لنا .

وقد قام زيت الزيتون عند اليونانيين بثلاثة أدوار منفصلة : دور الزبد ثم الصابون ، ثم الغاز . فكانوا يستعملونه في المطبخ ، وفي الاغتسال والإضاءة . فما من أحد في اليونان ( خارج الفنادق العصرية بأثينا ) يأكل زبداً ، فالخبز والزيتون ، والخبز وجبن الماعز هي خبزهم وزبدتهم . وقد رأى هيرودوت أنه من الضروري أن يصف لقارئه عمل الزبد في سيثيا ، أو بالمعنى الصحيح عمل « جبن البقر » (٢) .

(١) مناطق الشراب : هيرودوت ٢ — ٧٧ ( لكن أنظر ٢ — ٦٠ ) . إن كلمة κραιπί الاسم اليونانى الحديث للتبيذتهى « خليط » . ومسألة الاعتدال تختلف باختلاف مناطق الشراب — مثل اليونان وإسكندناوة وإختلاف وجهه النظر فيهما بالنسبة لهذه المسألة . وفيما يتعلق بوجهة نظر يونانية تدل على تفكير ، أنظر مناقشة أفلاطون في القوانين ( الكتاب الأول ) والذى يلخصها ( ٦٥٠ ) فيقول إن الخمر « امتحان عادل للأخلاق وإنها أرخص وأمن وأسرع من أى امتحان آخر » وإنها أيضاً « طريقة رخيصة وبريئة لتدريب الملق إذا ماروى الحرس في استعمالها » . وقد احتمل اليونان كلمة « سكران » بكثرة من التساهل ، أكثر مما نستعملها نحن على أى حال في عالم البوليس . فمثلا « الرجل الذى يضع الأمور في غير موضعها » عند ثيوفراستوس « إذا ما اعتزم الرقص يقع اختياره على رجل لم يسكر بعد » ، ومن الطبيعى أن « الرجل المخمور » كان يعتبر غير قادر على القيام بأداء الحركات المعقدة في الرقصة اليونانية . ثيوفراستوس ٩ طبعة Jebb الثانية سنشير إليها فيما يلى ، ص ( ٢ ) هيرودوت ٤ — ٢ ، من المحتمل أن تكون كلمة زبد هي Βούτυρος وبديل الزبد عند البابليين هو الزيت المستخرج من السمسم ١ — ١٩٣ .

ولذا نجد الزيت في كل صنف من أصناف الأكل ، ولا يمكن لأى طباطخ يونانى العمل بدونه . كذلك لم يستعمل اليونانيون الصابون بل كانوا يدلكون أنفسهم بالزيت ، وإذا لم يكن ذلك كافياً مزجوه بالروائح . وأخيراً إذا لبثوا إلى ما بعد غروب الشمس ( وكانوا يفعلون ذلك أقل منا كثيراً ) ، فليس لديهم ما يستضيئون به إلا الزيت أو شعلة الصنوبر . ولذا غصت المتاحف بمسارج الإضاءة بالزيت . ولكل من هذه الأغراض يستعمل القائمون على تدير شؤون المنازل المقتصدون ، نوعاً مختلفاً من الزيت . ويعصر الزيتون في المعاصر ، فأول جلبيه تخصص لزيت الطعام ، والثانية تأتى بزيت التدليك أو الدهان ، والثالثة تخرج زيت الإضاءة . وأخيراً البقايا من القشر وغيره تستعمل وقوداً (١) .

(١) العطور : يجب أن تذكر أن الملابس المصنوعة في المنزل ، على خلاف ملابسنا ، تعيش زمناً طويلاً . وكان التنظيف وغسل الملابس يستعملان صابوناً خشناً لإزالة البقع ، ( ومن ثم كانت الاستمارة في الجمهورية ٤٣٠ ) ، ولكن الزيت كان ، مثل الكافور عندنا ، يستعمل ليحفظ على الملابس طراوتها . ( الإياداة ١٨ — ٥٩٥ ) . وأحياناً يخلط بالزيت الرماد الناعم المنخلف من بقايا النار ، فيصير الزيج صابوناً ( Ar. Lys. ٤٧٠ الشراح : أنظر Ar. Ach. ١٧ — ١٨ ) . ولكن لم يكن اليونان شعباً نظيفاً إذا ما حكمنا عليهم بمقاييسنا الإنجليزية العالی ، فلبس الملابس الكتانية إما يمتدراً لأنه يحتاج إلى غسل مستمر ، ولذا فبه تجربة قصيرة لبس الملابس الداخلية الكتانية عادو ثانية ، حتى الأثينيون ، إلى الملابس الصوفية مع أن تلك الملابس لا تعتبر أنظف ملابس تلائم بلداً حاراً . ( أنظر توكيديس ١ — ٦ — ٢ ثم هيرودوت ٢ — ٣٧ ثم الأوديبية ٦ — ٦٤ إلى ٦٥ ؛ وقد غالى برارد كثيراً في هذه النقطة في فصله عن كتبه في الجزء الأول من ٥٥٦ عن غسل ملابس ناوزكا ) . ومما يلاحظه ثيوفراستوس في « الرجل ذى المظج الصغير » ( Jebb ص ٦٣ ) إفراطه في النظافة ، إذ « يقص شعره باستمرار ويحافظ على نظافة أسنانه وبياضها ، ويغير ملابسه وهي لا تزال نظيفة ، ثم يدهن نفسه بالدهنة » . أما فيما يتعلق بترتبات الاغتسال فانظر Sudhoff في Aus dem Antiken Badewesen مع أبداع مجموعة من الأواني المرسومة التي تبين مثلاً « حوامل لتسليم البدين » رقيقة في المنازل الخاصة ، وكذلك بساطة منظفات الحمامات العامة . وقد كان هناك حمامات عامة للنساء أيضاً ، ومن المحتمل أنهن كن يترددن عليها أسبوعياً ( ص ٦٣ ) . ويمكن أن نرى الناشف والمحكات ( الجارد ) وقدور الزيت والإسفنجة ولكننا لا نرى أثراً للصابون . وعلى إحدى الأواني الأثينية في متحف اللوفر ( الجزء الثانى لوحة ٦٨ ش ٢٠٣ في Louvre Album ) نرى رسماً لحمام سباحة نسائي رعا كان حمام بئر النسم يتابع أى الإنيا كرونوس Enneacrounos الذى يقضين فيه بضع ساعات . أنظر أيضاً لسياس ٩ — ١ Reichhold و Furtwängler شكل ١٠٧ والنس في الجزء = ( م — ٤ — الحياة اليونانية )

وقد اعتاد الناس أن يعتبروا دخول زراعة الزيتون اليونان متأخراً نسبياً . وتروى الأساطير كيف أدخلته أثينا في أتيكا في وقت لم يكن فيه الزيتون موجوداً في أى جزء آخر من أجزاء اليونان . ولكن الأثريين قد صححوا هذه الفكرة التي ربما كان مرجعها ببطء نمو زراعة الزيتون . فقد وجدت آثار لا شك فيها لمعاصر الزيتون في قصر مينوس في كنوسوس ، كما وجدت معاصر أخرى تحت أحجار الخفان الناتجة عن ثوران البراكين التي حدثت في ثيرا قبل التاريخ ، كما عثر على بذر الزيتون على بعد عميق في كريت . وهكذا يمكن اعتبار الزيتون عنصراً أصيلاً في اليونان ، كما يعتبر « إكليل الزيتون البري الأولي » جائزة هيلانية حقاً . وتنمو أشجار الزيتون في كل مكان في اليونان حيثما وجدت أرضاً صالحة حتى على ارتفاع ١٨٠٠ قدماً ، وغالباً ما توجد على الجبال في جهات يصعب الوصول إليها . ولكن أكبر مجال لازدهارها أتيكا والشعر الأثيني . وليست شجرة الزيتون عادة بالشجرة الكبيرة ، فهي لا ترتفع أكثر من شجرة الصفصاف المشدبة ، إلا أن ساقها أكثر تعقيداً ؛ ولعنان أوراقها البديع هو سر حسنها . والريح والشمس يحيلانها إلى لون بين الرمادي والأبيض الفضي . وقد انتشر الزيتون من اليونان ، حول البحر المتوسط إلى ما بعد كيرينايا واليونان الكبرى . واتسعت رقعة زراعته بإيطاليا في القرن الثاني قبل المسيح تقريباً . وانتشرت

---

== الثاني من ٢٣٧ - ٢٤١ وفيه بحث نفساني طريف . وعلى إزاء من القرن الرابع مروض هناك أيضاً نرى سيدتين تفتلان أمام حوض يشبه أحواض المياه المقدسة الكبيرة ؛ وهناك منظر آخر يمثل على إزاء بشكل كبد-كس Kylis في التحف البريطانية يرجع إلى عام ٤٨٠ - إن أول اختراع « Corner » سجل في تاريخ اليونان هو الذي كتبه الفيلسوف طاليس عن معاصر الزيتون وقد مكنته معرفته بالنجوم - كما تروى لنا القصة - أن يتنبأ بحصول طيب ، ناشئ كل المعاصر وذلك ليثبت « أن في إمكان الفيلسوف أن يجمع الثروة إذا أراد » أرسطو - السياسة ١١٢٥٩ . أنظر تاموس دارميرج وساجليو ، مقال Olea شكل ٥٣٨٨ .



زراعته بكثرة في شمال إفريقيا . ونعرف أنه عند الفتح العربي كانت تمتد غابة من الزيتون بين طرابلس وطنجة<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر لنا الكتاب اليونانيون والرومانيون توجهات كثيرة لزراعة الزيتون في اليونان وإيطاليا ، يمكننا أن نتحقق منها في نزهاتنا الخلوية . وأحراش الزيتون لا تسمى غابة ، بل هي بستان مكشوف . وتزرع أشجاره في خطوط منتظمة في تربة جيدة ، ومن الأفضل أن تترك مسافة أربعين قدماً بين كل شجيرة وأخرى في الصف الواحد ، وستين قدماً بين كل صف وآخر ، وهكذا يجد الإنسان متسعاً كبيراً بين الأشجار لزراعة القمح . وليس للفلاح أن يختار بين زرع الإثنين ، ولكن ينصب اختياره على أيهما يكون عنده الزراعة الأساسية .

إن زراعة الزيتون كما لاحظ « فرجيل » ، لا تحتاج إلى كثير من الرعاية أكثر من أخفر حول الجذور ، وإذا ما زرع في بلد ما كانت زراعته أحب الزراعات إلى زارعها ، فكل رجل من رجال الجنوب ( بل الرجال كلهم ) يسر بجلوسه راضياً مطمئناً تحت أشجار ثمره . ولا يبدأ العمل فيه إلا في أواخر الخريف وهي فترة مناسبة هادئة ، إذ لا تتطلب المحصولات الأخرى في ذلك الوقت جهداً في الزراعة . فالزيتون ينضج بعد التين والعنب ، ويتمول محترف زراعة روماني « إن الزيتون الذي تصل إليه اليد ، أو يقطف باعتلاء سلم ، يحسن أن يجنى باليد ، ذلك أفضل من هز الشجر ذاته . أما الأغصان التي تبعد عن متناول اليد فالأفضل أن تضرب بعضاً طويلة رقيقة لا بعضاً غليظة ، لأن الضرب الشديد يتطلب طيباً ، وكانوا لا يحتفلون بموسم حصاد الزيتون كاحتفالهم بموسم الكروم .

(١) الزيتون : هرودوت ٥ - ٨٢ . غرست أول زيتونة للالهة أثينا على الأكروبول . أنظر فيلامورثيس الجزء الأول ص ١٠٠ من Aristoteles und Athen (الذي سيشار إليه من الآن فصاعداً بـ A. A. ) . أنظر التشبيه البديع في الإلياذة ١٧ - ٥٣ ، وطبعاً أنظر جامعة المشدين لسونوكليس ( O. C. ٦٩٤ ) . راجع أيضاً Hehn ص ١١١

وحصاده يتطلب مجهوداً كبيراً كجنى الفرولة أو حشيشة الدينار في بلاد الإنجليز . وكان العمال المستأجرون يخرجون من المدينة لجمعه على طريقة « كنت ، المعروفة <sup>(١)</sup> .

ولكن هناك عامل مهم آخر ، فالوقت بين زرع الزيتون وجنيه طويل ، وأشجاره لا يكتمل إثمارها إلا بعد ستة عشر أو ثمانية عشر عاماً ، ولا بد من مرور أربعين أو ستين سنة قبل أن يصل الزيتون إلى كماله ، ولذا فإن زراعته ، كالغابات ، تتطلب إشراف حكومة مركزية قوية ، وشعباً ريفياً يستطيع الصبر . وقد يفسر هذا بطء التقدم في زراعة الزيتون قديماً ، كما يفسر ما لقيه سولون وبيزستراتوس من صعوبات عندما شجعت حكوماتهم ازدياد انتشار زراعة الزيتون في أثينا . ومن المحتمل أن زراعته ، ما كانت لتعم أتيكا كلها لو لم يكن بيزستراتوس قد دفع للملاك نفقات ذلك من جيبه الخاص <sup>(٢)</sup> .

ومن ثم كان القضاء على مزرعة زيتون خسارة فادحة . والخسارة التي تنشأ عن ذلك لا تعادلها خسارة تحطيم حقل من القمح ، فليس الضرر في ذلك خسارة دخل ستة فحسب ، بل هو خسارة رأس المال أيضاً . وقد كتب سوفوكليس في سنة ٤٠٦ ق . م ، بعد ما دام احتلال العدو للبلاد سبع سنوات متوالية ، فوصف ، بشجاعة ، الزيتون بأنه ، الخالد الذي لا ينهزم ، مذكراً سامعيه بأن الزيتون المقدس على ألا كروبول قد عاد بعد أن ذهب الفرس . ولكن الفلاحين الذين استمعوا إليه أدركوا أن تلك كلمات جوفاء . فلما انتهت الحرب تركوا حقولهم الخربة بما فيها من أعجاز زيتون محروقة

(١) Varro ; Rerum Rusticarum ١ — ٥٥ . جامعي الزيتون Ar. Wasps

٧١٢ . وهم يمثلون على إناء في المتحف البريطاني ، له صورة في دارميرج وساجليو ، مقال

Olea شكل ٥٣٨٥ . الزراعة : ( Georgic ) ٢ — ٤٢٠ .

(٢) Ath. Pol. ١٦ — ٢ .

وانخرطوا في سلك الجندية جنبا إلى جنب مع أعدائهم الآخرين لكسب رزقهم ، ولا بد أنهم أحسوا بغصة في حلو قههم وهم يتغنون بأنشودته حول نار معسكراتهم . (١)

ويذكر الجغرافيون المحدثون بعض الزراعات الأخرى في اليونان الحديثة، وهي المنتجات الشبه مدارية التي تحتاج إلى تربة تروى باستمرار . وأهم هذه المنتجات القطن والدخان ، وكلاهما يزرع فيها الآن ، ويزرع الأخير بكميات كبيرة .

والمزروعات الشبه مدارية لم تعرف في اليونان القديمة . فلم يعرفوا القطن إلا كنوع نادر غريب من شجر الصوف . أما الدخان ، فمع أنه يبدو الآن متأصلا في بلاد الشرق الأدنى، مثل البن ، إلا أنهم لم يعرفوه إطلاقا، وهو ما ليس لنا أن نذكره هنا إلا لئلين أن طرق الزراعة التي تتطلب عناية وعمل جماعات كبيرة في كل البلدان الأخرى ، كانت مجهولة لدى اليونانيين القدماء - ولو عرف اليونانيون السكر بدلا من العسل لتبدل حالهم وأصبحوا أصحاب مزارع كبرى بدلا من بقائهم ملاحا صغارا . ومن الطريف أن نلاحظ إلى جانب ذلك ، أنهم لو اتخذوا الأرز غذاء لهم بدل القمح ودقيق الشعير ،

(١) بشرسوفوكايس في O.C. ٦٩٩ إلى القصة التي وردت في ميرودوت ٨ - ٥٥ . وفيما يتعلق بالحديث حول نيران المعسكرات بين الأثينيين والإسبرطيين أنظر إجزينوفون . Anab ٤ - ٦ - ٧ إلى ١٩ . أما أن يقصد اليلوونيزيون أشجار الزيتون خاصة بالدمير في أتيكا فيبدو واضحاً ( ذلك وغيره ) من كلام توكيديدس ٣ - ٢٦ - ٣ . إنهم دمروا ما قد ثبت منه في الأجزاء التي دمروها من قبل « τὰ τε πρότερον τετμημένα » ( εἶ τι ἔβεβλαστηκει ) ولم تكن هناك حاجة إلى إضافة « ما قد ثبت » إذا كان المقصود هو القمح الذي كان لديهم وقت كاف منذ وصولهم لزراعته . وقد كان محصول الزيتون الجديد هو الدافع لامتناع الإيطاليين عن الذهاب إلى القتال عندما عبر قيصر نهر الروبيكون . وأول زيت صدرته إيطاليا كان قبل ذلك بثلاث سنوات : بليني Pliny N. H: التاريخ الطبيعي ١٥ - ١ - ٣ . وقد نهى قانون موسى اليهود عن قطع « الأشجار للقوت » في الأعمال الحربية : Deut. ٣٠ - ١٩ إلى ٢٠ . ولكن أنظر الملكين ٣ - ١٩ -

لوفروا على تسائهم كثيراً من عمل الطحين الشاق . ولكننا وقد جاوزنا الحد  
الفاصل بين الجغرافيا والاقتصاد - أى بين منتجات الأرض وما يفعل  
الإنسان بتلك المحصولات - آن لنا أن نختم هذا الفصل (١) .

(١) القطن (εἶρον ἀπὸ ξύλων) أى صوف الشجر وهو بالالمانية (Baumwolle) :  
هيرودوت ٣ - ١٠٦ و ٤٧ . وقد كانت زراعة الكتان في بلاد اليونان عمدة المساحة ؛  
ويذكر توكيديدس ٤ - ٢٦ أن الهلوت قدموا الأسرى في Sphacteria بذور الكتان  
المطحون التي تقدمها نحن للماشية . أما القنب فلم يكن يزرع هناك وقد كان أمر غربا على هيرودوت  
حين رأى سكان تراقيا يصنعون منه ملابس ، والسيثيين يستعملونه في حمام البخار ( ٤ - ٧٤  
إلى ٧٥ ) . ولم يكن لدى اليونان من محاصيل الحدائق المعروفة شيئاً من الكريز ولا  
البرتقال ولا الليمون ولا الطماطم . أما الشمس والخوخ فلم يعرفا إلا بعد الإسكندر ، ودخل  
دود القز لأول مرة القرب في سنة ٥٣٦ ق . م وإن كانت البضائع الحريرية قد عرفها الرومان .  
وقد عرف نوع غر جيد من الحرير صنع في تاريخ متقدم جداً ، من شرققة نوع من البومبكس  
الحلى ( Bombyx ) . وأهم الفواكه اليونانية التين وهو أولها لا شك ، ثم التفاح والكمثرى  
والرمان ؛ أنظر الإلياذة ١١ - ٥٨٨ ( نتالوس ) ثم ٢٤ - ٢٤٦ ( حديقة  
Laertes ) . ثم بقيت كلمة عن الحيوان : فالديكة والدجاج التي يسميها الأثينيون « الطيور  
الفارسية » ( ويسميها الرومان الطير الغالي ) أنت جميعها إلى اليونان من آسيا في القرن  
السادس ق . م وهكذا آتى على اليونان عصر لم يستطيعوا فيه تقديم ديك أو فرخ إلى  
أسكليبيوس أو إلى أى سائح أنهكه السير . وفيما يتعلق بكل هذه المسائل أنظر Hehn  
في كتابه Culturpflanzen und Haustiere ( الطبعة السابعة برلين ١٩٠٢ ) ، E. T. ،  
( من طبعة سابقة ) لندن ١٨٨٨ .

# الجزء الثاني

## السياسة

Τοὺς μὲν σώμασιν ἀλλοτριωτάτοις ὑπὲρ τῆς  
πόλεως χρῶνται,  
τῇ δὲ γνώμῃ οἰκειοτάτῃ ἐς τὸ πράττειν τι ὑπὲρ αὐτῆς.

أنهم ليفنون أجسادهم ، كشيء منفصل عنهم ، في خدمة المدينة ،  
ويعدون عقولهم وهم يسخرونها في عمل من أجلها ، كأخص خصائصهم .

هذه إذن هي الأسس المادية التي بنيت عليها النظم السياسية اليونانية ، وهذه هي البيئة الدائمة التي مثلت فيها مأساة التاريخ اليوناني، وقد آن لنا أن نقدم شخصيات الذين قاموا بهذا التمثيل ، فأى الرجال هم ، وماذا أفادوا من هذه الأرض الخشنة التي تدر لهم العيش ؟ .

إن أكبر ميراث تركه اليونان للعالم الذي أتى من بعدهم ، هي وطنية المدينة الدولة . فالمدينة كانت المحور والوحي في كل أعمالهم التي تميزوا بها ، والتي بلغت أقصاها فيما كتبوه من أدب وفن ، ومن نشاط عملي قام به رجال عظام أتوا أعمالا عظيمة في القرن الخامس في أثينا لم ير العالم لها مثيلا ، لا من قبل ولا من بعد . ولما أن انقضت المدينة صاحبة السيادة في القرن الرابع قبل الميلاد خمدت معها الانفعالات والعواطف التي ألهبتها وغذتها . وإن الرجل الحديث ليستلزم جهداً كبيراً لا ليتمثل ما كانوا عليه هم ، بل أشباحهم . وإذا لم ندرك ، ولو بشكل غامض ، شعور الأثينيين نحو بلادهم أثينا ، فقد يظل أحسن ما في بلاد اليونان القديمة غامضاً علينا . فلنحاول إذن أن نحل في صبر وحذر تلك الخيوط العديدة التي تربط اليوناني بمدينةته — وما نحسب ذلك هيناً — مستعينين بالجغرافيا والتاريخ وبكل ما يساعدنا على أن نقوم بدور الشارح لأرفع وأسمى تعبير عن فن الحياة في الدولة المدينة ، ألا وهو مرثية بركليس أو خطبته الجنائزية .

# الفصل الأول

## تطور حق المواطن الزمالة أو حكم الرأي العام

Tò κοινόν

كان الرأي عن الدولة عندهم أساساً ماناً للصدقة والود ، ولست أعرف شيئاً آخر أقدر على تكوين عادات أرسخ وأعز ، وأبهج وأنبل ، وأشرف وأفضل من ذلك .

برك

كيف تؤثر العوامل الجغرافية في سكان أرض اليونان ؟

إن الحياة في بلاد اليونان صعبة وسهلة معا . أو قل إن سكان تلك البلاد لينو العريكة وشديدو المراس في وقت واحد . نخشونة تلك البلاد وجدبها ، والتفاوت بين الفصول ، وقسوة برد الشتاء ، ساعدت كلها على بقاء الأصح وجعلت من اليونانيين في كل العصور أناساً بسطاء أشداء متقشفين غير متهاكين على مشرب أو ما كل . ولكن طول صيفهم الصافي وسهولة المعيشة وقلة تكاليفها بسطت مشكلة الوجود إلى حد كبير ، فلم يكن اليوناني بحاجة إلى أن يعمل بل ولم يرغب إطلاقاً أن يعمل من الصباح إلى المساء ليمسك على نفسه جسداً وروحاً معاً . كالميك بحاجة أبداً إلى نشاط نمطي يجرى على وتيرة واحدة من النوع الذي يسير عليه العمال في الشمال ، ويراه إقتصاديو الشمال نظاماً محتوماً على البشر كافة . ولم يعرف اليوناني ، لاني عاداته ولاني مثله العليا ، الرجل الإقتصادي بمعنى الكلمة العادي . والكلمة اليونانية للبطالة هي « سخولى scholè » ، وتعني « وقت الفراغ » ، على حين أن

اليوناني لا يعبر عن « العمل » ، بأكثر من عكس هذه الكلمة « أسخوليا ascholia » ، أى « عدم الفراغ » . وهو يعد فترة فراغه من ساعات وأسابيع أحسن أيام حياته وأكثرها ملائمة له . والذين يعيشون وسط الكروم والزيتون يدخلون بطبيعة الحال ، فى نطاق ذلك الفكر الحر الطليق غير المسؤول . فالطبيعة تتولى إنضاج الثمر ، وما على المرء إلا انتظار وقت الحصاد . وقد عاش اليونانيون دائماً فى ظل مجال كاف من الفراغ . والفراغ هو مبعث الفن والتأمل ، كما أن الحاجة هى باعثة الوسائل الفنية أو ما نسميه نحن « المخترعات » . ولذا كان الفلاح اليوناني يفهم ويتذوق عمق إيوريبيدس ودقته ولكنه لم يكن يفكر مطلقاً فى اختراع سهل مثل طاحون الهواء . (١) .

إن نشاطنا الإقتصادى المتواصل دون تغير ، يجرى غالباً داخل الأبواب ، وعادة فى أوضاع جلوسية متعبة . لم يكن ذلك اختياراً منا ، بل إن الجو والعمل نفسه فرضاه علينا . وإن أكثرنا ليفضل أن يقضى كل أوقاته فى الهواء الطلق لو استطاع إلى ذلك سبيلاً . وكذلك كان اليونانيون ، ولم يكن هناك ما يحول بينهم وبين ذلك . وقد ورد على لسان رجل عادى من أثينا ، كما يذكر إجزينوفون قوله « إني لا أمكث داخل البيت أبداً ، فى مقدور زوجتى أن تقوم بكل أعمال المنزل وتديره وحدها » ، وينطلق هو فرحاً ليقضى وقته بين الحقول أو فى السوق العامة أو حلبة المصارعة ، أو فى المحكمة أو فى جمعيات الشعب ، أو حينما يجتذبه الواجب واللذة . وكل المؤسسات الرئيسية فى حياة اليونانيين كانت فى العراء ، ومن النادر أن يستقر اليوناني فى بيته ، فهو لا يأوى إليه إلا عند النوم أو الأكل . كما لا تجده فى حديقة منزله الخاصة ، إذ انحصرت المدينة اليونانية داخل جدرانها حتى لم يعد بها للحدائق مكان .

---

(١) طبعاً يجب أن لا تكون الأحوال الناخية مما يؤثر على حسن استخدام وقت الفراغ ، وقد أوضح ذلك مايرز فى كتابه ( Greek Lands ص ٢٨ ) إذ يقول « إن التفكير الأبحنى يختلف عن ( التفكير ) الهندى ، وذلك لأنه يندر أن يكون الجوحارا جداً بشكل يحول دون المرء وأن يفكر ليعمل » .



واى فائدة يروجونها من الحدائق الخاصة ، ولديهم البساتين خارج الأسوار مباشرة . وكان المرء يقطع وقته دائماً فى العمل أو مع زملاء آخرين له فى مكان عام<sup>(١)</sup> .

ماذا لو أمطرت السماء ؟ إن كل مدينة تحترم نفسها قد استعدت لذلك بإقامة البواكى أو الممرات ذات السقف التى تشبه ما نراه الآن فى بعض الجهات التى يؤمها الناس للاستشفاء بيمائها المعدنية . ويروى سترابون قصة سكان كيمى فى آسيا الصغرى وأنهم رهنوا « بواكيمهم » كضمان لدفع دين حكومى عليهم ، فلما عجزوا عن الدفع حرم عليهم المشى داخلها ؛ ولكن حين أمطرت السماء أحس الدائنون بنجمل شديد لما حل بالمدينة من حرج فأرسلوا منادى المدينة يعلنون إلغاء حظر الإحتماء بها . ومن المحتمل أنه لم يكن فى مقدور رجال كيمى إستقبال زائريهم فى منازلهم ، كما نفعل نحن الآن . فأول كل شئ وجود النساء بالمنازل لا يمكن الرجال من التحدث بحرية كاملة . ثانياً إذا كان المنزل اليونانى غير مريح فى الجو المشمس فهو كذلك أثناء المطر وذلك لفقدان وسائل التدفئة طبعاً ، وعلى ذلك كانت السوق العامة أو الممرات المغطاة الليونانى بمثابة النادى عند رجل الشمال . والفارق الوحيد هو كثرة تردد اليونانى عليها . فالرجل اليونانى ليس « رجل عائلة » بل هو حيوان سياسى كما يقول أرسطو ، وبما أننا لا نزال بعيدين عن جو السياسة فهو بالأحرى « رجل الشارع » كما نقول نحن الآن . ولكن زوجه ، حفظاً للتوازن ،

---

(١) إيجزيفون . Oec. ٧ — ٣ حتى البابليون ، كانت مستشفياتهم فى الهواء الطلق ، وقد ظن هيرودوت ( ١ — ١٩٧ ) أن ذلك الأمر كان ترتيباً معقولاً يساعد على تقدم المعرفة الطبية . ولم يكن ذلك الأمر عاماً عند اليونان ، وربما كان يرجع إلى أنهم لم يجربوا رؤية المرضى ؛ ومن المحتمل أن يكون ماتلمه أورستيس Orestes ، الذى ذكره ليوربيديس ، من نومه على سرير المرض خارج بابه الأمامى الخاس فى فناء منزله أمراً منقولاً عن الحياة نفسها . وفيما يخص السرر فى السوق العامة أنظر أيضاً مارك ٦ — ٥٦ . إن الحدائق تكشف عن الرغبة فى العزلة . وتلك فسكرة غريبة عن الدولة المدينة . ومن المعلوم أن أول من سن استعمال الحدائق الخاصة بانتظام واعتبرها شيئاً لازماً للفلاسفة . فالأكاديمية والليكيوم Lyceum لم يكونا تدريباً على حياة دولة المدينة بقدر ما كانا بديلاً عنها . فسقراط درس فى السوق العامة وساحات المصارعة العامة ، أما أفلاطون وأرسطو فقد « نرحا إلى القرى » ( أنظر التذييل ) .

كانت شديدة التعلق بالمنزل فعليها إعداد الطعام والملابس ، ذلك إلى أن إباحة دخولها السوق العامة بما فيها من الاجتماع السهل الحر لم يكن أمراً مأموناً . فاليوناني إذن كان يعتقد أن نادى الرجال حق طبيعي له . ويقول إجزينوفون إن ، الآله قضي ، والقانون يؤيد ، أن يعمل كل بحسب قدرته أو كفاءته فليس مما يشرف المرأة أن تكون خارج المنزل ، بل الشرف أن تظل داخله ، كما أنه من الخجل أن يظل الرجل في بيته دون أن يقوم بعمله في الخارج ، . ولنا أحس هيرودوت أنه في بيئة ذات نظام مقلوب عندما رأى في مصر الرجال يغزلون والنساء يقمن بشراء لوازم المنزل ، بل ويذهبن للتجار في الأسواق . وقد أنشد هزويد Hesiod كما ينشد رجل للرجال فقال : منزل وزوجة وثور للحرث — هذه أولى ضرورات الحياة ، . وبعد مضي عدة قرون أخذ أرسطو هذه الجملة المقدسة وجعل منها اسماً لنظريته السياسية ، ويحتمل أن يكون مرجع ذلك جبه للنظام الذي روعي في ترتيب هذه الأشياء<sup>(١)</sup> .

وحياة النوادي تولد الزمالة الطيبة ، واليونانيون كعظم الشعوب التي تعيش في مثل جومهم ، قوم إجتماعيون ، يحبون الجماعة ويستمتعون بالاندماج في جماعات كبيرة . وقد لا يستصوب بعض أهل الشمال أن يخاطبوا أحداً قبل أن يتعرفوا به ، على حين أن اليوناني يرى أن عدم الترحيب بالغريب ليس من الذوق في شيء ، وأنه من الحق ألا يرضى فضوله الطبيعي بأن يسأله عن عمله وما يريد . هذا والمحاورات الثنائية التي نجدها في رواياتهم التراجمية المكونة من سؤال والرد عليه في سطر واحد ( στίχομυθία ) عند ظهور شخصية جديدة من الممثلين ، تتخذ معنى جديداً للسائح الذي يتجاسر ويجول في إحدى قرى اليونان ويعانى كثيراً من أسئلتهم . فالسائح الغريب في بلاد اليونان قد يغمر بالأسئلة في غير رحمة أكثر مما نغمر بها تلاميذ مدارس الأحد في البلاد الشمالية . فهذا جزء من نظم الإجتماعات في النوادي ويرجع

(١) إجزينوفون Oec. ٧ — ٣٠ ؛ وهيرودوت ٢ — ٣٦ ، هزويد (إرجا Erga)

٤٠٥ . أرسطو السياسة ١٠٥٢ ب ١١ . سترابون ٦٢٢ .

إلى ما قبل الاستقرار ، عندما كان حتى القرصان واللصوص لا يتورعون عن ذكر أعمالهم ونياتهم لمن يسألهم . فالوحدة عند اليونان تشبه تماماً ما نحس به نحن من حنين إلى الوطن . ولما كان اليونانيون يعيشون دائماً في شبه « كلية » طبيعية فلم يكن في مقدورهم أن يروضوا أنفسهم على ظروف تبعدهم عن زملائهم . وهكذا كانوا في هجراتهم إلى صقلية أو إيطاليا ، في القديم ، أو إلى الولايات المتحدة ، كما هي الحال الآن ، لا يذهبون فرادى بل يذهبون جماعات كفصيلة من الجند ، أو كما يقول أفلاطون في حشد من الأصدقاء كبير . فإذا ما وصلوا إلى الشاطئ الآخر إهتموا بالبحث عن النواحي الإجتماعية التي تناسبهم أكثر من اهتمامهم بالبحث عن الشؤون الاقتصادية . فإذا كان على اليوناني أن يضحي بإحدى اثنتين ، فلن يضحي بالمعيشة وسط الجماعة . وإذا لم يكن أمام المهاجر إلا مزاولة الزراعة في الحقول الأمريكية المنعزلة الفاسية التي تبعد عدة أميال عن أقرب مسكن ، فإنه يفضل البقاء بالمدينة ، حيث سرعان ما ينسى مهارته الفنية في تربية دودة الحرير وزراعة الزيتون ، نظير استمراره في الحياة الإجتماعية التي شب عليها من قديم ، حتى لتلا عمارة كبيرة بأكلها بسكان من أهل قرية واحدة . ألا إن ناطحات السحاب لبديل هزيل عن السوق العامة المشمسة ! ولكن ليس لمستجد أن يختار (١) .

كل ذلك كان له أثره الفعال في حياة اليونان السياسية . فالزمانة معناها المساواة ، ولكنها ليست تلك المساواة الوهمية التي تتخذ شعاراً في الجمهوريات الغربية ، بل هي إحساس راسخ نلسه في الحاجات والمعاملات المشتركة بينهم حول الينابيع والعيون ، وفي مفارق الطرق والأسواق والمعابد والأضرحة والمساجد في الشرق الأدنى . ولقد كان في تركيا مساواة حققة في عهد السلطان عبد الحميد ، أكثر مما كان في الولايات المتحدة في عهد روزفلت . وحسبنا مثل واحد

(١) أنظر فصل « المهاجرين في حكومة المدينة » بأكله في كتاب جين آدمز عن Jane Addams's, Newer Ideals of Peace ص ٦٢ وما بعدها ؛ وانظر توكيديس ١ - ٥ - ١ ( القراصنة ) ثم ٧ - ٧٥ - ٦ الإجتماع ( Gregariousness ) . ثم القوانين لأفلاطون ٧٠٨ ب ( الإستعمار ) .

من هذه المساواة ، كي نكون فكرة واضحة عما هو معهود في الأسفار  
والرحلات . إذ يصف لنا ضابط إنجليزي كيف استقبله أغا تركي في بلدة صغيرة  
عند أعلى نهر دجلة فيقول :

هناك مثل من روح المساواة الحقيقية السارة التي توارثها الشرقيون  
تظهر جليلة بين أفراد الجماعة التي كانت في استقبالى — الأغا نفسه وهر قائد  
الجيش ، وشحاذ أعمى وعامل مسيحي يعمل بمحل تجارى ، وكاتب في مكتب  
البرق ، وخادمان ، ويعقوب ( خادم كاتب هذه السطور ) وأنا ثم قصاب  
جاء يتفق مع خادى على ثمن خروف ، وقد جرت المساومة بينهما أمام  
الأغا في أثناء تناوله القهوة<sup>(١)</sup> .

فهذا المنظر يعد منظرأ نموذجياً وخاصة تلك المساومة على ثمن الخروف ،  
فتلك جماعة لا تحتاج إلى تعارف ، ولا تعرف الحياء ولا تحفظ عندها  
في ال كلام ، فالكل يقول ما يريد ، كما يفعل الناس في النوادى سواء كانت  
المحادثة بشأن نقود أو زواج أو أى شىء آخر .

فالمساواة التي من هذا القبيل تكون أساساً صالحاً للنظم السياسية ، وإنه  
لمن الأجدى على رجال كل مجتمع أن يتقابلوا ويتحادثوا لأنهم سيتناولون  
بالطبع أموراً تهم الصالح العام . والآن فأهم شىء يتصل بالصالح العام —  
في جماعة قليلة العدد ساذجة التفكير في جو مستقر ، لن يكون حالة هذا  
الجو ولا المال ولا الزواج ، بل هو الدولة . والواقع أن الدولة ،  
كما يسميها اليونانيون هي « الصالح المشترك » *τὸ κοινόν* ، كما يقول  
الرومان « *Res publica* » . فإذا ما تحدث إنسان عن زوجته وبناتك ،  
خصوصاً في جماعة متعصبة لبلدها مثل تعصب المجتمع اليونانى ، يمكنك  
أن ترد عليه بأن يهتم بشئونه هو ، أما في السياسة فكل مشكلة وكل شخصية  
أمر مباح للجميع . وهذه إحدى مميزات حياة النادى في عرض كل المسائل  
التي تطرح علينا ، فيرمى بكل شىء « في الوسط » *(εἰς μέσον)* كما يقول

(١) مارك سايكس ( Sykes ) في كتابه Dar-ul-Islam مر ٨٨ .

اليونانيون. هذا وإن اعتراضهم الشديد على الحاكم المطلق ليس لأنه يحكم حكماً غير عادل — فهم يسلون بأن الرجل الذي يقضى في الأمور بنفسه لابد أن يكون ذا كفاية كبيرة — بل لاعتقادهم أنه يحتفظ بنفسه لنفسه ، فحكم جماعة بحاكم مطلق معناه العضاء على الجماعة . وقد أدى ذلك بالإيونيين إلى التحدث في ما وراء الطبيعة ، وحتى إذا لم يتمش هذا الاتجاه مع مزاجهم وجهوا اهتمامهم الشديد نحو العناية بملابسهم تخلصاً بما في الحياة من خمول . والواقع أنه عندما أصبحت المناقشات السياسية بعد الإسكندر الأكبر مجرد سفسطة كف أصحاب الفكر عن الذهاب إلى السوق العامة ، ونزلت المناقشات إلى المهاترة والخرافات ، فأثينا في عهد النديس بولس هي أثينا في عهد بركليس بعدما استبعدت من حياتها عنصر هام (١).

فالحياة الإجتماعية في مثل هذه الظروف هي التي خلقت القوة التي نسميها «الرأى العام» . وهي تلك القوة التي نعرفها متركرة في الصحف ، أو من صنع الصحف نفسها ، ونلس قوتها ظاهرة أثناء الانتخابات والإجتماعات العامة . وبعد سبعائة عام قضتها إنجلترا في الحكم البرلماني ، أصبح الرأى العام قوة يحسب حسابها كل من رجال السياسة فيها . هذا ونرى قوة الرأى العام في جميع البلدان الدستورية الأخرى بدرجة أقل ، ولكننا لا نعرف الكثير عن مدى قوتها وشدته نأثيرها في جماعة مثل جماعة اليونان . فالحيوان السياسي كان يناقش كل أمر يعرض عليه ، وكان قول كل شيء *παρησις* حقاً من حقوقه التي يتمسك بها ، ويمارسه بروح «حررة كبيرة» لا يأمل المشتغلون منا بالأمور العامة ، ولا صحفنا الوصول إلى درجته فيها . فالطريقة البديعة التي

(١) أنظر هيرودوت ٣ — ٨ — ٨٢ (الملك *σικωτό τε ἄν βουλευματα*) ويقول دعوستينيز مثل هذا الكلام عن قلبه . إن الملك الذي تسهل عاداته يعتبر سائراً على «طريقة لا يليق بملك» . أنظر هيرودوت ٢ — ١٧٣ إذ يذكر أن أمازيس سهل الاتصال به كما يفعل أى رئيس للجمهورية الأمريكية ؛ أنظر أيضاً توكيديدس ١ — ١٣٠ و (پوزانباس «العادات اشرقية» ) . وإحدى علامات «الرجل المتعاطف» عند نيوفراستوس «أنه لا يستقبل زائراً في وقت تديك أو استجماعه» (س ٥٠ Jebb) ، وقد كان الإيونيون دائماً في المقدمة بالنسبة للأزياء كما يظهر ذلك واضحاً على الأواني والآثار : أنظر هيرودوت ٣ — ٢ — ١٣٩ («صدري Syloson» المزرکش وما أدى اليه) .

يخلط فيها ديموسثينيز بين خطبه و حديث المجالس الخاصة، تبدو لنا غريبة و بعيدة عن الموضوع ، و لا يمكننا أن نفهم لماذا يهتم النقاد المعاصرون بأن يقولوا لنا إن أم إيوريبيدس كانت بائعة تفاح ، ومع ذلك و قبل كل شيء فلماذا يجب على المواطن الذي يتكلم بحرية أن يمسك عن « الملاحظات الشخصية » ؟ لقد كان حال السياسة في اليونان في ذلك الوقت ، كما هو الآن إنما يقوم في جملته على المناقشات الشخصية ، وكل ما يفعله المرء أو يقوله أو يشتريه أو يلبسه قد يكون ذا أهمية سياسية . وكانت أثينا تفخر ، على عكس الدول الأخرى ، بسماحها لأفرادها بحرية واسعة في أن يسلكوا السلوك الذي يحلو لهم و يتفق و مزاجهم ، و حتى في أثينا نفسها كان ديموسثينيز يرى ضرورة السماح للوالى أن يمشوا في أثينا بسرعة و يتكلموا بصوت عال و أن يحملوا عصياً يتوكؤون عليها ، و كم تبدو كلمات بركليس في مدحه حرية الحياة الإجتماعية في أثينا، غريبة للإنجليز الذين شبوا على أنه من الطبيعي المسلم به أن كل إنسان يمكنه أن يعمل ما يريد ما دام ذلك لا يمس إلا نفسه ، إذ يقول « نحن لا ننظر نظرة جفاء أو نوجه كلمات ملؤها الغضب إلى جارنا إذا استمتع بنفسه كما يريد و يهوى ، و يمسك عن الأعمال التافهة غير اللاتقة ، التي رغم أنها لا تترك أثراً إلا أنها تضايق من يلاحظها ، . و يمكننا أن نتصور أنه كان على بركليس أن يواجه تصرفاً أكثر من « تلك التصرفات التافهة التي لا تترك أثراً ، إذا هو حاول أن يقود سيارة في بلدة أتيكية . و في الحق لم يكن هناك ما يدعو المرء إلى جمع الثروة ما دام الرأى العام يرقب استغلال المرء لثروته . فالرجال في مجتمع مثل هذا المجتمع ، حتى من شاخ منهم و هرم ، كما يقول بركليس ، كانوا يعتبرون الشرف خيراً من الثروة ، إذ أن في حصول المرء على ما يسميه الإغريق « حسن تقدير ، εὐεωσις قد يؤدي إلى سعادة حياته أكثر مما يؤديه أى شيء آخر في مقدوره . فلا عجب إذا ما جنح الإغريق إلى الظن بأن الفضيلة ليست أن يكون المرء طيباً حقاً بل أن يبدو فاضلاً (١) .

(١) توكيديس ٢ - ٣٧ - ٢ . . Dem . ٣٧ - ٥٢ . أفلاطون

ولعل خير طريقة لإبراز مكانة الرأى العام فى الحياة اليونانية هو تتبع معانى الكلمات المتعلقة بالسوق حيث ساد الرأى العام . فكلمة أجورا *Agora* لم يكن معناها الأصلى السوق ولكن ، الجمعية ، ، لأن الأغريق مياولون بطبيعتهم إلى الاجتماع والمعاشرة وذلك قبل أن يعيشوا فى المدن بوقت طويل . ثم هى تعنى أيضاً مكان الاجتماع ، حيث تقام الاجتماعات والمحادثات ، ولما أصبحت الحياة أكثر تعقداً صارت تعنى مكاناً للشراء والبيع . ولكن الأجورا أو الاجتماع العام يمكن أن يقام فى أى مكان . وحين أراد أوديسيوس البت فى أمر سياسى على ظهر مركب ، طرحه للبحث على جمعية من البحارة ، وقد نجح إيوريلوخس أحد البحارة وزعيم المعارضة معترفاه كل الاعتراف ، نجح فى فرصة سيئة ، أن يضع القائد الأعلى فى أقلية من شخص واحد فقط . ويذكر قراء إيوتن *Boethen* الفصل عن البحارة اليونانيين وما فيه من وصف هيدريوت العبوس الذى كان يمثل زعيم المعارضة ، والذى عارض بوادر الطغيان ، وحى ، حتى خادم غرف السفينة ، من الظلم . إلا أن « الأجورا *Ἀγορά* » ، لم تدل على المناظرة فقط ، ولكنها استعملت للدلالة على الانتهاء منها ، فقد كانت نستعمل علامة للوقت *Ἀγορᾶς πληθυσούσης* أو « أجورا كاملة » ، تدل على الفترة التى بين الصباح إلى وقت الغذاء ، فإذا ظل اليونانيون يتناقشون إلى أن يحسوا أثر الجوع ، لم تكن بهم حاجة إلى ساعة المدينة تنهيم للرجوع . والفعل من أجورا ، *ἀγοράζειν* (أجورازين) وهو أيضاً كلمة شائعة ومعناه « يتردد على السوق أو يتسكع أو يشتري » ، وفوق ذلك كله تستعمل فى عبارة تفسر ترجمتها « ينزه نفسه » أو يكون فى حالة جيدة ، — ملائمة للسوق . ولما هرب الطبيب اليونانى ديموكيدس *Democedes* من البلاط الفارسى ، إلى بلدته كروتون عثر رسل دارا عليه وسط جمهور من المعجبين به (*ἀγοράζοντα*) . فلا بد أن تكون قد تسربت إلى كروتون كثير من القصص الغربية عن حياة البلاط الفارسى أثناء اجتماع ذاك الصباح . ومثل هذا المجتمع لا يحتاج إلى كتب ولا صحف ، فهو ياتقط الأفكار الجديدة ، جادة

( م — هـ الحياة اليونانية )

كانت أو تافهة، من أسخيلوس أو ديموكيدس بالرواية والسمع مباشرة<sup>(١)</sup>. إلى هنا ذكرنا العوامل التي تؤثر في معظم أراضي حوض البحر المتوسط فحيثما تكن الحياة سهلة وطفلة ينشأ نوع من المساواة الطبيعية. فالشمس تشرق على كل من أبناء الأسر الكبيرة والوضيعة على السواء، ولم تعرف الفوارق بين الأفراد في الطبقات الأولى والثانية والثالثة. ولم تبقى في الجهات التي أدخلت بها إلا بمجهود مستمر. وزيادة على ذلك فقد أفضت تلك المساواة إلى وجود رأى عام حتى دائم، واهتمام بالأعمال العامة.

وليس معنى ذلك أن حوض البحر المتوسط يتمتع كله باستقلال طبيعي داخلي، ولا أن بقاعه كلها لا بد أن ينشأ فيها نوع من أنواع الحكومات الشعبية. فتلك أمور لم يكن في الإمكان الاحتفاظ بها كلها. والحق أنه قلما يحصل عليها كلها إلا بعد أن تقطع البلدان شوطا طويلا في سبيل الارتقاء المعقد. وفي سبيل ذلك، كما سنرى فيما يلي، كان لا بد من تضافر عوامل كثيرة أخرى غير تلك القوى البسيطة التالية التي أوردناها. فتاريخ الشعوب لا يمكن أن يكتب دفعة واحدة على أساس استنتاجات عامة سهلة نستنتجها من يثاتها التي نعيش فيها. ففلسطين قد سلكت على يد حكامها مسلكا مخالفا لليونان، وكذلك اتخذت دلنا السيل طريقا يختلف عما اتخذته سواحل آسيا الصغرى. ولكننا لازننا نؤكد أن كل تلك البقاع، حتى إذا لم تكن قد تمكنت من الاحتفاظ باستقلالها، أو لم تتوصل إلى إقامة حكومات ديمقراطية، فليها من الظروف ما يساعدها في أي وقت، على الوصول إلى الديمقراطية.

كل هذه الظروف قامت في اليونان، ولكن خصائص اليونان الطبيعية التي ذكرناها كانت تؤيد وتدعم هذه الظروف وتقويها، إذا ما قورنت ببقاع

---

(١) الأوديسة ١٠ — ١٨٨ πᾶσιν ἀγορήν θέμενος μετὰ ( ἄγορήν θέμενος μετὰ πᾶσιν ١٠ — ١٨٨ ) ، هيرودوت ٣ — ١٢٧ ( ديموكيدس ) أنظر قصة طريقه أخرى ٤ — ٧٨ .



البحر المتوسط الأخرى . فالطبيعة قد وهبتها وجيرانها الميل للساواة ، وهيات لها أيضاً فرصاً كثيرة لإنماء قوة الرأي العام ، ثم زادت في قوة تلك الدوافع بأن حددت المجال الذي تعمل فيه تحديداً ضيقاً . فكل سهل صغير محصور تماماً داخل جدرانها الجبلية ، وبسكانه الذين يتجمعون في أرضه الصغيرة المساحة الصالحة للزراع ، يبدو أنه خلق ليكون عالماً قائماً بنفسه . فإذا سعدنا إلى المراعي وعبرنا البحر . ونزلنا إلى الختمول والبساتين في الجانب الآخر ، التقينا بتقاليد جديدة ، وعادات جديدة وقوانين جديدة وآلهة جدد ، ومن المحتمل جداً أن نسمع كذلك لهجة جديدة أيضاً . إذن فسكنون بين أمة جديدة ، فهل القومية إلا اجتماع كل تلك الصفات ؟ فسنجد روحاً قومية عارمة عنيدة لا تعرف ولاء لحاكم خارج أقطبها ، وتعتبر استقلالها الداخلي كيانها الروحي . ولم يتعلم اليونانيون تقدير قيمة استقلالهم المحلي بمشقة وآلام ، بل نشأوا غير قادرين على تصور أى وضع آخر للحكومة . وقد كان هذا تراثاً تراكم يبسطه أثناء عزلتهم الطويلة الأمد التي امتدت من تاريخ استقرار الغزاة الإغريق الأول إلى أن ظهروا كجس متمددين بعد ذلك بعدة قرون . ونظمهم السياسية فريدة عظيمة ، ولم يذكروا هم أنفسهم — حتى كبار كتابهم — إلى أى مدى كانت نظمهم هذه فريدة رائعة ، وإنما رأى فيها هيرودوت وتوكيديدس وأفلاطون وأرسطو أنها النظم التي ينبغي أن تكون قاعدة الحياة السياسية وأن من لا يأخذون بها . إنما هم شواذ . فهي الأساس الذي قام عليه شعورهم وتفكيرهم في الأمور السياسية ، وبذكائهم وتأثيرهم صبغت آراء العالم الغربي السياسية وبلبت تفكيره من ذلك الوقت .

فهذه العزلة وشدة الشعور المحلي هما للذات ميزا اليونانيين عن غيرهم من سكان البحر المتوسط . فكل بلد في سوريا أو في بلاد العرب واقع على طريق الحج إلى مكة هو بمثابة ناد ، ولكن أعضائه يعلمون أنه ليس النادي الوحيد في العالم ، أو على الأقل ليس بأفضل نوادي العالم . إلا أن المواطن الإغريقي نشأ كما ينشأ كل عضو من أعضاء بعض الجماعات ذات النظم القوية الخاصة المخطوطة ،

في جو مخالف لذلك ، فبعض التلاميذ الإنجليز وبعض القرويين الإيطاليين يعتقدون أحياناً ألا مدرسة غير مدرستهم ، ولا قديس غير قديسهم . وقد صهرت الوطنية اليونانية عواطف المدرسة مع عواطف العائلة ، والصفات الموروثة مع الصفات المكتسبة من الدين والسياسة ، أي أحسن ما في الطفولة وأحسن ما في الرجولة معاً — صهرت الوطنية كل ذلك وصيرته عاطفة واحدة شاملة ، فمدينة اليوناني هي المدينة الوحيدة ، وطرقها هي الطرق الوحيدة . لقد أحب كل حجر وكل جدول ينساب في ثنايا جبالها ، واعتز بكل معبد ومسكن داخل أسوارها ، وراقب منذ نشأته الظل وهو يزحف ببطء عبر السوق ، ورأى الشيوخ وهم يغيرون مقاعدهم عندما تشتد حرارة الشمس ، وأمكنه أن يعرف صوت منادى المدينة وهو في الطرف الآخر منها ، وقد قام بدراسة خاصة ( للشاهد الخاصة ) للشخص الذي كان هدف الكوميدي في آخر روايات العام الماضي . وعرف كل موضع وكل شبر في الطريق الختاني للقلعة ، كما عرف كل الحيل لدخول المدينة بعد أن تقفل أبوابها . وقد كان بالطبع متدينا كل التدين فلم ينس قط أي احتفال ياله أو بطل ، ويمكنه أن يخبرك عن الطقوس التي تتبع في كل مناسبة ، وخاصة ما يتصل بالضحية . ولم يسأم مطلقاً الأصغاء إلى أبيه وأعمامه وهم يروون له أخبار الغزوات والوقائع مع الرجال خارج الحدود ، والإصغاء لبعض الرواة البارعين المحترفين الذين يروون تلك الحوادث في قالب قصة شعرية . ولم تقتصر مدينته على إخراج المحاربين والشعراء ، بل أخرجت أيضاً المهندسين والمثاليين . وكانت كل مصادر الفن تزيد في قوة تأثير الارتباط والاتصالات القديمة ، والجمال الطبيعي — فلا عجب إذا كان المواطن اليوناني ( كما يقول بركايس ) لا تعوزه إلا نظرة واحدة يلقيها على مدينته ليهم بها جأ . فقد أحب الأثيني الأكروبول عندما كان حجراً لم يهذب بعد ، عندما كانت تشع الشمس على هيمنتوس فلا تضئ غير صخور حمراء اللون وكتل بلازجية خشنة ، ويحبه الآن عشرة أضعاف حبه السابق عندما تستقبل

معاينه الرخامية أولى أشعة الصباح ، أو تقوم شاحنة في جلال قها اعلم  
الشمس الغاربة وهى تحتفى متوهجة عبر جبال الغرب (١) .

---

(١) الأوديسة ٦ — ٢٦٧ (السوق العامة) . أرسطو فى السياسة ١٣٢٦ ب — ٧  
(منادى المدينة) . هيرودوت ١ — ٨٥٤ و ٨٥٣ (الطريق الخلقى إلى الأكرابول) .  
توكيدس ٢ — ٤ — ٣ ثم Aen. Tact. ١٨ — ١٩ (حيل خاصة بالقضبان والمزابج) .  
فان هذه النظم التعليمية التى وصفناها فىما سبق بتلك النظم التى استتمها المدن الحديثة  
كما يصفها السكتاب العارفون بتطور تفكير الشبان وما يتطلبه . فانظر مثلا الفصول عن الصبى  
الذى يعيش فى جنوب لندن فى *Across the Bridges* التى كتبها Alex. Paterson ،  
(لندن ١٩١١) ، وبخاصة كتاب جين أدامز *The Spirit of Youth and the City Streets*  
(نيويورك ١٩١٠) التى تبين فى صور واضحة ، من تجاربها هى ، كيف أن  
الصناعات — ووسائل الترفيه ، وفى الجملة كل عادات الحياة فى المدينة الحديثة ، ترمى إلى القضاء  
أو الانحراف عن كل الحاصل الأدبية التى عنى بها اليونان العناية الكبرى . فنقول متبعة  
أفلاطون « إنه ليس عملا هينا ولا سهلا أن نستبدل حب الجمال بمجرد الرغبة ، ولا أن نضع  
عقولنا فوق حواسنا » س ٣٠ . وكذلك لم يدرك حكمانا بعد ضرورة تضافر الجهود  
لتحقيق ذلك . أنظر فى هذه النقطة أيضاً ، هامش صفحة فيما يلى .

# الفصل الثاني

## تطور حقوق المواطن العادة أو حكم الأسرة

( τὸ πατριον )

οὐ γάρ τι νῦν γε κάχθές, ἀλλ' ἀεὶ ποτε  
ζῆ ταῦτα, κούδεις οἶδεν ἐξ ὅτου 'φάνη.

سوفوكليس أتجنون ٤٥٦

« ألا خبرني متى ولدت العادة الباردة أو السنة الماضية ؟ انها لا تعرف أياها .  
ولا ستين لقد كانت دائماً هنا » .

حسبنا ما ذكرناه فيما تقدم عن تأثير البيئة في النظم السياسية عند اليونان .  
وقد آن أن نعود إلى الكلام عن طباع اليونانيين وخلقهم . إن البيئة لا تفسر  
إلا جانباً صغيراً من تاريخ الشعب ، أما الجانب الباقي فيجب أن نبحث عنه  
في أسرار نفسيته . وهو بحث أشد صعوبة وأكثر دقة ، ولكنه ممتع جداً ،  
فأغلب الرجال ، لأنهم رجال ، ، يرون أن العلوم البشرية أمتع لهم من  
العلوم الطبيعية .

ما الذي أفاده اليونانيون من الظروف التي تحيط بهم ؟ ما من شعبين  
يستغلان بيئة بعينها على نحو واحد . فنناظر اليونان لم تتغير إلا قليلاً بين عهد  
هومر والعهد الذي فتح فيه اللاتينيون القسطنطينية . فالجبال والسهول ،  
وكذلك الصيف وإيجينا ، كلها لا زالت هي التي تهيء نفس الميل للعمل . وما  
زال البارثون قائماً على الأكروبول دون أن يمسه ضرر ، ولكن الفرنجة  
الغزاة لم يعرفوا من النظم إلا نظام الأقطاع الذي نشأوا عليه ، ونجحوا

بطريقتهم القوية الغربية في تطبيق مبادئه ( دومزداى Domesday ) ،  
فقسموا اليونان ، كما فعلوا بإنجلترا وفرنسا من قبل ، إلى إقصاعيات ودوقيات .  
ولو لم يفعلوا ذلك لقال كثير من الناس إن قيامهم بعمل كهذا كان  
مستحيلا أمام تلك الصعوبات الطبيعية . وليس من الصعب أن نشير إلى بعض  
من دروس التاريخ اليونانى القديم وأغفلوا تاريخه الحديث بمن لا يزالون  
يقولون ذلك (١) .

لما دخل اليونانيون بلادهم في جموع عديدة متفرقة أثناء الألف سنة  
الثانية ق . م ، كانوا كما يجب أن نسميهم ، متوحشين . وقبيل العهد الذى أتى  
فيه بركليس مرثيته كانت أكثر جماعاتهم تقدما ، من حيث الأمور الأساسية ،  
أكثر منا حضارة ، فهل يمكن أن نكرن فكرة عن الطريقة التى حدث بها  
هذا التغير ؟ إن خير طريقة لذلك هى أن نراقب بدقة تطورهم ، لا بالنسبة  
لفنهم وأدبهم واختراعاتهم ، ولا بالنسبة لعلومهم ، إنما بالنسبة لنظمهم  
السياسية وما صحبها من آراء . ففي عام ٤٣١ ق . م كانت الدولة المدينة ورجال  
السياسة ورجال العمل ، الذين عاشوا حياة سياسية قد اجتذبوا إليهم  
رجال الكلام ، والفنانين مثل سوفوكليس وأرستوفانيز وفيدياس  
ومنيسيكليس — اجتذبوا هؤلاء إلى خدمتهم حتى أن بركليس أمكنه أن يتكلم  
عن أعمالهم التى نعتبرها نمودجا لكل العصور ، كما لو كانت مجرد زينة وحلية

---

(١) أنظر خرائط ميللر في The Latins in the Levant . إن هذا الكتاب وكتاب  
السير رينلرود Rennell Rodd وهو The Princes of Achaia and the Chronicles of Morea  
of Morea ما أحدثت الكتب الإنجليزية عن اليونان في العصور الوسطى ، ولكن القارىء  
يجار فيها لكثرة ما جمعا من التفاصيل . والقارىء الذى يعرف اليونانية يجد متعة  
في قراءة كتاب The Chronicle of Morea باللغة الأصلية . وقد نشره ( شميت )  
بشكل يشير الإعجاب ، ( مطبوعات مثنون ١٩٠٤ و معه قاموس مفيد ) . وهو كتاب  
عظيم الفائدة وبخاصة للذين يهتمون بالنضال بين الشرق والغرب ؛ أنظر أيضا ( برى ) Bury  
في Romances of Chivalry on Greek Soil ( أو كسفورد ١٩١١ ) ؛ ثم معلومات  
مفيدة في كتاب Demolins, Comment la route crée le types social  
الجزء الثانى من ٣١٣ وما بعدها وهو يحوى بياناً عن نظام النورمانديين في جنوب إيطاليا .

مكلمة للعظمة السياسية . فأسخيلوس في نظرنا شاعر ، وعند معاصريه مواطن قبل كل شيء . ولما مات في صقلية اختار الناس أن يكتبوا على قبره ، ما لم يكن هو الذي كتب عن نفسه ، كما تقول إحدى الروايات ، عندما أحس باقتراب المنية :

هذا القبر يضم أسخيلوس ، الأثيني المولد ،  
ابن إيوفوريون ، وسط حقول قح جيلا البعيدة  
مرثون تنبؤك أي محارب كان ،  
ويعرف عنه ذلك الفرس ، أصحاب الشعور الطويلة ، حق المعرفة .

لقد طغى المواطن على الشاعر . ويعتبر بعض المشتغلين بالدراسات الهيلانية الآن ، الحرب على الإطلاق شراً ، والسياسة « عملاً قذراً » ، ولكن ما لم يفهموا نظرة جيل أسخيلوس إليها ، فإنهم لن يبدأوا إدراك الروح اليونانية وفهمها على حقيقتها .

يبدأ التاريخ اليوناني بهجرة شعوب وسط أوروبا وجنوبها الشرقي مما ترتب عليه دخول الهيلانيين بلاد اليونان . وكان هؤلاء الوافدون « متوحشين » . فلم يكونوا أطفال الطبيعة الأحرار الأبرياء ، كما تطلع إليهم في حسرة فلاسفة القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية . بل على العكس من ذلك ، حقوق الحرية الشخصية وكذلك حق الملكية الفردية أمور لم تكن معروفة إطلاقاً . وقد أظلم نظام معقد من عادات ونظم اجتماعية ودينية لم يخطر ببالهم قط الاعتراض عليها . ولم تبدأ التحقق من مدى إحكام ذلك النظام القبلي وإلى أي حد كان تأثيره دقيقاً وثيقاً بكل ناحية من نواحي حياتهم إلا بفضل البحوث التي قام بها علماء علم الإنسان . ويبدو مستحيلاً أن نعطي أي فكرة عامة عن هذا النظام ، مبرزين العناصر التي ظلت قائمة واندججت في حياة الدولة الأثينية ، دون أن يبدو الأمر مبسطاً أكثر مما يجب . ولكن هذه العناصر لها من الأهمية ما يحتم علينا ، لفهم موضوعنا كما ينبغي ، أن نحاول دراستها وفهمها .

كانت حياة اليونانيين الأول محصورة لأغراض سياسية فيما يمكن أن يوصف بأنه دوائر ولاء متمركزة . ففي الخارج ، عندهم الشعب ( أو ما يسمى في التاريخ اليهودى بالقبيلة ) ، وفي داخل هذا القبيلة بمعناها الضيق . ثم في داخل هذه القبيلة « الأخوة ، أو « الزمالة ، في الخيمة أو على مائدة الأكل . وفي داخل هذه ، وهى أضيق الدوائر ، نجد العائلة . فإذا ماخرج الرجال المحاربون للحرب خرجوا ( لا كما يذكر نسطور أجا ممنون ) ، لا كشرازم بدون نظام ، بل يخرجون وقد « انقسموا قبائل وأخوة ، حتى تستطيع الإخوة أن تكون في عون الإخوة ، والقبيلة في عون القبيلة<sup>(١)</sup> .

ففي هذه الدوائر الداخلية ، وقبل كل شيء في الأسرة ، كان اتصال الفرد بالحياة اليومية وثيقاً . وفي الدائرة نفسها كان الفرد يتلقى أول دروسه في حقوق المواطن . فقد كان طيلة حياته منذ صباه ، محوطاً بالنظام القبلي ، يعيش في جمود وتهيب في عالم مليء بالخوف والقوى الخفية ، متمسكاً بعقائد وعادات ومحرمات أصبحت بالنسبة إلينا عديمة المعنى . فعندما يخرج علماء الإنسان باحثين ويعودون إلينا بغنائم غريبة من أراضى المتوحشين ، فإن تلك الأشياء تبدو لعقولنا الحديثة الخالية من الأوهام ، شيئاً سخيفاً ورهيباً إلى حد ما ، ننظر إليه مدهوشين . ومع ذلك ففينا منها أكثر مما نعتقد ، لأن الكثير من أسباب المحافظة المتأصلة فينا مردها إلى تلك النشأة الأولى . فإذا اجتمعت أسرة إنجليزية حول المدفأة ليلاً ، فذلك غالباً دون إدراك للأسطورة التي ستظل دائماً تحل مثل هذه الاجتماعات في نظر من يقدر الماضي . فتلک

(١) الإلياذة ٢ - ٣٦٢ ، يستعمل السياح وغيرهم كلمة « قبيلة » بالإنجليزية بمعناها اليهودى الذى يقابل لفظ ἔθνος اليونانى أى « شعب » ونحن نورد هنا بمعناها اليونانى والرومانى ، إذ ليس هناك كلمة أخرى بالإنجليزية غيرها تقابل كلمة φυλή ( بمعناها الدقيق ) أو tribus ، وكل قبيلة من قبائل إسرائيل الإثنى عشر كانت ( شعباً ) بالمعنى اليونانى . وكل واحدة من هذه القبائل في حالتها الممجبة السوية ، كانت تحت سيطرة شخص يسميه علماء الأجناس « بالملك القدس » أو « الملك الطيب » . وقد استمرت ذكرى تلك الشخصية في اليونان في صور غريبة مثل قصة أورانوس وكرونوس وزيبوس في هيزويد Theogony . ولكن هنا وغيره . من الظاهر الممجبة لا يدخل في نطاق بحثنا .

الأسرة لا ترجع بمخيلتها إلى عهد هؤلاء الهمج المجهولين ، الذين كانوا أول من أسس دين الموقد واستأنسوا الإنسان الطبيعي وروضوه على الاكتفاء بزوجة واحدة . أما الإغريق فقد رأوا ذلك بشكل أوضح مما نراه ، لأن ذلك لم يكن منهم بعيد . لقد كانوا راديكاليين طبيعيين ، ككل الرجال المغرمين بإعمال فكرهم في المسائل السياسية ، ولذا فقد عرفوا وأحسوا بالفرق بين الأخلاق والعادات المتأصلة فيهم والتي آلت إليهم عن أسلافهم ، وبين النظم التي وضعوها حديثاً أو وضعها لهم مشرعوهم . أما الأولى فقد راعوها ، لا عن حساب وتدبير ، بل عن « تبجيل » . فهي لم تكن تصميماً عقلياً قابلاً للخطأ ، بل أوامر غير مكتوبة تعد مخالفتها أمراً مخجلاً . وابتست كل قوانين ( دلف ) والحكماء السبعة كلها عريضة عندهم ، مثلها . ذلك لأنها نزلت إلى مستوى لم يسيره العقل بعد ، وتضمنت الأيثار الأساسي — شعور الفرد البشري بعلاقته الطبيعية بغيره — الذي كان نواة المدينة اليونانية ، ونواة كل وطنية صالحة في العالم إذ ذاك . فالقول بالإخاء لا ينسجم مع دعاة الفوضى . وينشأ الإخاء الحقيقي ، كما نشأ في اليونان ، من تلك العواطف البدائية البسيطة ، عواطف الصداقة والأسرة<sup>(١)</sup> .

ويمكن أن نستعيد إلى حد ما الحياة البسيطة التي كان يجيها هؤلاء « المتوحشون » ، القدماء مع آلهتهم ومواشيمهم . فقد احتفظ لنا هيزويد بكثير من الذكريات ، بل والجمل أو الألقاب التي ترجع إلى عهدها . وإنا لنعرف — كالتقليد الجميل في صورة المسيح — أن الحيوان كان جزءاً في دائرة الأسرة القديمة . إلا أن خير دليل لدينا هو ما نأخذه من أفكار اليونانيين المتأخرين

---

(١) إن إلهة المنزل هيسْتيا Ἑστία أو (ثستا) يرجع عهدها إلى أقدم ما عرف عن اليونان ، أنظر الأوديسة ١٩ — ٣٠٤ . استعمال كلمة « الموقد » للمائدة ، أنظر (أمثلة في هيرودوت ١ — ١٧٦ و٥ — ٧٢) . القوانين غير المكتوبة : توكيديدس ٢ — ٣٧ — ٣ ، ثم سوفوكليس أنتيجون ٤٥٤ ثم O.T. ٨٦٣ مع ملاحظة في جب Jebb . أنظر استعمال كلمة باتريون πάτριον عند المؤرخين والمخطباء (الخ . . . πάτριόν ἐστὶν ἡμῖν) .



ومن أعمالهم . فهناك بعض نواح للحياه لم تجرؤ دولة حديثه على دخولها . فإذا ما اجترأت وولجتها كان لا بد من أن تفعل ذلك في حذر واحتياط . وهناك لحظات خاشعة يشعر فيها الرجل الحديث أنه مجرد من مدينته ، وفيها يميل ، حتى رجل السياسة الذي اعتاد الحياة مكشوفة على مرأى من العالم ، كما اعتاد اليوناني من قبل ، إلى أن يعتزل الناس وينفرد بنفسه ، ويشعر أنه ليس سوى رجل يعيش وربّه ، أو مع أقاربه في عالم من الغرباء . وفي مثل هذه اللحظات ، عند المولد وعند الزواج وعند الموت بنوع خاص ، تسترجع الطريقة القبلية قوتها وسلطانها . فاليوناني لم يعمد أو يتزوج أو يدفن عن طريق الكنيسة . فلم يكن هناك شيء كالكنيسة منفصلاً عن ديانة العائلة ، أو الدولة أو عن هيلاس . فلا تعازى عن الوفاة ، ولا آمال في خلود مجيد . كما لم تكن الدولة التي أشرفت على كثير من الواجبات ، التي أصبحت الآن عملاً من أعمال الكنيسة ، لتلقى حمايتها المباركة على مثل هذه اللحظات . فلم تحتفظ المدينة اليونانية بقوائم المواليد ، ولم تهتم بأمر الطفل حتى يكبر ويبلغ درجة التدريب العسكرى . والزواج عندهم ، كزواج المسلمين ، احتفال عائلي محض . ولم تهتم الدولة بالميت إلا إذا كان ممن يستحقون جنازة عامة ، وحتى في هذه الحالة كما يقول توكيديس ، كانت الدولة حريصة على إعطاء مجالاً كافياً لإجراء الطقوس العائلية المتوارثة . وقد حرم على النساء تشييع الجنازة . فكان يذهبن وحدهن إلى المقبرة ليقيمن بمراسيمن الجنائزية العائلية . فإذا قادتنا المأساة ، كما يجب من حيث هي مأساة — وجهها لوجه بمقتائق الحياة الأساسية ، نجد أنفسنا في جو عبادات وطقوس ترجع إلى ما قبل التاريخ . ومناظر هذه الطقوس الطويلة المرسومة ، وهذه الإجراءات الغريبة النصف متوحشة ، التي كان سوفوكليس مغرماً بها إلى حد كبير ، قد تبدلنا أحياناً ، كما بدت لبعض الفلاسفة الرواقيين الواقعيين ، طويلة عملة ، بل سخيفة بعض الشيء . هذا يرجع إلى أن الخيال يعوزنا . فالكثرا وأورستيس وهما يتبادلان التوسل المتعاقب للآلهة على مقبرة أجاممنون ، ثم تويسر وهو ينازع الملوك

ليحصل على مدفن لأخيه أجاكس ، ثم هذا المنظر الذى لا يحتمل ، بين قاتلة  
الطفل ميديا وزوجها العقيم - هذه المناظر لا يمكن أن تدل على معناها الحقيقى  
إلا إذا فهمنا شيئاً عن النظام القبلى فى الدنيا القديمة (١) .

إن قتل الأم والزواج بالمحارم أو قصتى أورستيس وأوديب ما زالت فى نظرنا  
أموراً بشعة . ولكن لندكر مأساة أخرى إنقضت تأثيرها ، تعود بنا إلى قلب  
هذا العالم القديم وترينا كيف تتدخل الدولة وتستولى على أقدم تصوراتها .  
لقد نسينا ، ويصعب علينا الآن أن نعود فتتصور ماذا يعنيه فى ديانة المنزل  
هذا «العقم» كما يسميه اليونانيون - أى عدم وجود ذرية شرعية من  
الذكور . هذا أخوف ما كان الرجل اليونانى يخافه فى حياته كلها ، فلا أحد  
يرعاه فى شيخوخته ، أو يغمض عينيه عند وفاته ، ثم يقوم بمراسم الدفن ،  
أو يزوج بناته فى حدود العرف والشرف ، ويحفظ ذكرى الميت ويصون  
النظم التى كانت عزيزة عليه فى حياته ، وبالاختصار «يحفظ البيت» . والقانون  
والعرف اليونانى يزخران بكثير من المعارضات والأساطير لتخفيف هذا  
الرزء المخوف . وهذا الشعور هو الذى أوجد فكرة الطلاق وسمح للأرملة ،  
التى لم تلد ، أن تقدم على الزواج ثانية كى تعقب «نسلاً» لزوجها الأول . الأمر  
الذى سهل وأباح فكرة التبني . والعزوبة وهى دائماً محرمة عرفاً فى اليونان ،  
وكثيراً ما حرمت بقانون خاص ، كانت تعد فسوقاً وبعداً عن التقوى ،  
لا مجرد سوء حظ فحسب . وكمن أبوين متلهفين على الأطفال حزناً عندما

---

(١) الفصل الثالث من كتاب موراي السالف الذكر Greek Epic ، وإشارات إلى هيرودوت  
(الألقاب) . ثم أسخيلوس . Cheoph . ٣١٥ وما بعدها ؛ ثم سوفوكليس ، أجاكس ٨٦٦  
(حيث يمكن أن تنتهى رواية حديثة) إلى ١٤١٩ . وقد كان فى اليونان كثير من  
«المعتزلة» جعلوا الحساب والحلود جزءاً مهماً فى عقيدتهم الرسمية ، وبصفة عامة لم يكن  
لهم أثر كبير فى الحياة اليونانية ، إلا أنهم أثروا كثيراً فى الفكر المتأخر عن طريق أفلاطون  
(الذى كما يعبر نثشة « قد ذهب إلى المدرسة مع المصريين » أو كما يظن البعض أنه ذهب  
اليها مع المنود) . ولا زال الزواج فى اليونان حتى الآن يتم فى المنازل الخاصة ، ولا زال  
الأطفال الذكور هم المفضلون على الإناث ، حتى أنه من الضرورى أحياناً أن ينجى على الأم أن  
مولودها بنتاً ، لئلا تؤدى الحسرة إلى نتائج وخيمة . (أنظر التذييل) .

ولدت لها أنثى ! . وقد عرف ذلك كله بركليس صديق سوفوكليس ، وأحسه أكثر منا عندما وقع عليه الاختيار ليقوم بمواساة جمهور من الآباء الذين فقدوا أبناءهم فيقول ، تذرعوا بقلوب ملؤها الشجاعة والأمل في إنجاب أطفال آخرين ، فالأولاد الجدد سيساعدونكم على نسيان الفراغ الذى حدث فى دائرة بيوتكم ، كما أنهم سيساعدون المدينة على سد الثغرات التى حدثت فى صفوف جيشها . وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن هؤلاء الآباء ابتأسوا وهم يستمعون إليه . لقد تدرّبوا منذ أزمنة سحيقة على أن يضعوا جانباً أحزانهم وعواطفهم الشخصية . فى أيام حكم القبيلة كان الابن يولد للمنزل ، وليس المنزل هو الذى يعمل من أجل الابن . والآن وقد غدت الأسرة مدينة ، وأصبحت نارها المتواضعة ناراً مستعرة قوية ، هل يجرؤ أى مواطن مدنى أن يظن أن أثينا تحترم الأشخاص ؟ إن الأثينيين قد ولدوا من أجل أثينا ولم تخلق المدينة من أجل الأثينيين . ولقد تهامس بعض من أصغوا إلى السفسطائيين وقالوا بعكس ذلك ولكن ألسنتهم كانت تنعقد فى يوم مثل يوم الدفن<sup>(١)</sup> .

هذه هى الدنيا التى عاش فيها اليونانى الأول قبل أن يتحرك إلى موطنه التاريخى . ولنبحث الآن باختصار هذه الحركة وما ترتب عليها من نتائج . فى أوقات الفوضى والهجرة كانت النظم الرتيبة المعهودة فى الحياة اليومية ، تعطل على حين كانت روابط القبيلة أو الشعب تزداد قوة وإحكاماً ، فسار

(١) نو كيديس ٢ - ٤٤ - ٣ ، من لا أولاده : هيرودوت ٥ - ٤٨  
(ἀπέθανε ἄποις θυγατέρα μούνην λιπών) ٦ - ٨٦ آخره ؛  
أخيلوس Cheopli ، ٢٦٤ ، ٥ Ag . ٨٩٦ وما بعدها . الطلاق : هيرودوت ٥ - ٣٩ ثم  
٦ - ٦١ . إن نظم العائلة التى وجدها اليونانيون ماثلة بين الماييسينيين لما أن وصلوا إلى  
اليونان ، لم تكن بطرياقية ( أبوية ) ، ولكنها كانت ماترياقية ( أموية ) ؛ ويظهر أثر تلك  
النظم فى البداية والخرافات . أظهر موراي من ٧٣ إلى ٧٨ ( الطبعة الثانية من ٩٦ إلى ١٠١ ) .  
لكن الاهتمام الحديث بالأمور الماييسينية أغرى الباحثين بالمبالغة فى أهمية تلك العناصر التى  
كانت فى الحياة اليونانية فى عصر ما قبل اليونان .

الغزاة صوب الجنوب كما تخبرنا الأساطير ، ولكنهم لم يكونوا طوائف صغيرة بل كانوا شعوباً بأكلها ، ولم يكونوا يقيمون قبيلة هنا وقبيلة هناك ، بل كانوا إجمالاً بقدر ما تتبعنا من آثارهم ، يقيمون في كل محلة أقساماً تتألف من القبائل كلها . وهذا يفسر لنا ما يظهر لأول وهلة من غموض في التقسيم العام على خريطة اليونان القديمة . فالخرائط العادية لا تقسم اليونان مدناً ودويلات ، ولم تعرف التقاسيم السياسية بين سهل وآخر ، ولكنها تقسمها إلى وحدات أكبر . فالإيوبونيز مثلاً قسمت إلى أرجوليس ولاكونيا وميسينا وإليس وآخيا وأركاديا ، ثم قامت بعض الجزر مثل كريت وإيوبيا ولسبوس كدولة قائمة بذاتها . وهذا لا شك مضلل إلى مدى بعيد . فتاريخ أركاديا لا يعد شيئاً إذا لم يكن هناك تاريخ للنزاع بين الدول المختلفة التي في سهولها العديدة الصغيرة . وكان في كريت في العصر التاريخي ٤٣ دويلة ، مستقل بعضها عن بعض ، وفي إيوبيا عشرة بلدان مستقلة ، وفي ليسبوس ست دويلات . إلا أن هذه التقاسيم الكبيرة ( التي تمثل مديريات المملكة اليونانية الحاضرة على وجه التقريب الآن ) — لم تكن سوى تراث الأباطم الأولى لاستقرار المهاجرين . وبعضها دون شك يرجع أيضاً إلى تقسيم البلاد السابق إلى ديملاك ، ، في عهد الحكام المايسينيين . وعلى أية حال فقد بقيت كل تلك التقاسيم حية إلى حد ما في الوقت الذي كتبت فيه قوائم السفن الهومرية . ومع أن تاريخ اليونان ، الإقتصادية ، حتى القرن السادس ، وفي الحالات المناخرة ، ما هو إلا تكوين دويلات صغيرة ، فقد بقيت آثاره في الأسماء القديمة وفي أطياب من التقاليد القديمة . وطبيعي أن تكون هذه الآثار بارزة بشكل أوضح في المحيط الديني . فكان الرجال في بيوشيا يشتركون في عيد جميع البيوشيين ، الذي يقام في كورونيا بعد مضي قرون من حربهم بعضهم البعض كطيبيين وبلاتيين وأورخوميين . والإلهة التي كانوا يعبدونها هناك

في عيديم ، رغم أنهم عرفوها باسم «أثينا» كانت قد أتت معهم من الشمال. (١)  
وحين وفدت القبائل اليونانية إلى بلاد اليونان كانت قبائل رحل ،  
أو شبه رحل ، ولم يكونوا قبائل رعوية بمعنى الكلمة مثل إبراهيم أو  
السبيين الذين يعيشون في المراعي الروسية ، لأنهم كما يبدو ، كانوا يستخدمون  
أنعامهم في الحرث كما كانوا يستخرجون منها الألبان . ولكن الزراعة تناسب  
حياة غير مستقرة . وكما فعل الفينيقيون في طريقهم حول الرجاء الصاخ ،  
كقول هيرودوت ، فإن اليونان الأول رأوا ألا يقفوا في مكان مأمدة طويلة  
إلا بما يكفي لبذر وحصد زرعة واحدة ، فقد كانوا غير مستقرين وغير  
آمنين حتى أنهم لم يفكروا في أن الأمر يستدعيهم أن يزرعوا شجر فاكهة ،  
أو يبنوا بيوتاً جميلة ، أو يقوموا بأى عمل آخر دائم للمستقبل . وقد صور  
توكيديس في أول صفحات تاريخه ( بدون أى شيء من وسائلنا العلمية  
التي لدينا الآن ) هذه المرحلة الإقتصادية الشبيهة بحياة التنقل والانتجاع .  
ولم تزد الأبحاث الحديثة على ما ذكر سوى أنها فصلت وصفه المختصر (٢) .  
إن التقدم الروحي في اليونان يبدأ حقيقة كما حدده جلبرت موراي  
Gilbert Murray بفوضى الهجرة . ويرجع أصل قصص الإلياذة إلى العصر

(١) أنظر توكيديس ١ — ١٢ — ٣ ( « الشعوب » المهاجرة مثل البيوشيين  
والتساليين) . وسرابون ٤١١ ( Παμβοιωτία ) ، أنظر قاموس روشير Roscher  
مقال Itonia . وفيما يخص الميل الدائم أنظر ماير Forschungen الجزء الثاني ص ١٢٥ وما بعدها .  
« مدينتان » في جزيرة صفره : الأوديسة ١٥ — ٤١٢ . لقد رسمت خرائط اليونان ، كما  
يتضح ، من كتاب السبع : أنظر فريمان Historical Geog. of Europe الجزء الثاني ثم  
الإلياذة لمزو Monro ١ — ١٢ ، ثم شادوك Chadwick في الـ Heroic Age  
( كمرج ١٩١٢ ) . وتوكيديس الذي اعتمد عليها على أنها وثائق تاريخية ، يعتمد بها نسبياً  
إلى حد ما ، كانت في ذهنه صورة واضحة عما عما كانت عليه اليونان في ذلك العهد ؛ فثلاً  
كون لفظة فكرة عن تلك المشكلة المعقدة الخاصة بالملاقة بين ديوميد الذي قاد رجال عصابة  
أرجوس ، وبين أجاسمون « ملك أرجوس وجزائر كثيرة » ، ولم يتمكن من أن يلاحظ ، كما  
فعلنا نحن ، أن ملحمة طرواده كانت عرضاً للسة من المشكلات الأدبية أكثر منها عرضاً لمشكلة  
تاريخية ، وبنا يطمئن إلى أن يستبعد ذلك من تصويره ليونان القديمة .

(٢) هيرودوت ٤ — ٤٢ . وتوكيديس ١ — ٢ .

الذى كان فيه الرجال يحاربون بعيدا كل البعد عن الآلهة والعائلات خارج نطاق الجزاءات التي كانت تفرضها القبيلة والعادة . فقد ألقى الإنسان نفسه في البداية حراً طليقاً في هذا العالم دون ما مراقب ، إلا المحاربين الآخرين الذين كانوا على شاكلته مستهترين بلا ضابط ولا مراقب . والقوى الوحيدة التي تسيطر عليه هي القوى التي ينطوى عليها صدره ، أى أفكار الواجب والشرف التي يعترف بها على وجه ما . ولكن هذا التطور من التقدم الذي خلده الأدب لم يدم إلا أجيالا قليلة في تاريخ اليونان . فلم يكن مقدوراً على الرجل الأول أن يعرف الحرية إلا فترة قصيرة . فهناك صلات جديدة كانت تنتظر الغزاة في البلاد التي اتخذوها لهم موطناً . فعند استقرارهم في اليونان دخلوا في علاقات بطيئة مع المسيحيين ، الذين عرفوا أنهم أصحاب الأرض عند دخولهم ، وتدرجياً اندمج المنتصر والمنهزم في جيش واحد ، وسرعان ما اختفت الفوارق بينهم اختفاء يكاد يكون تاماً ، كما حدث في إنجلترا بعد الفتح السكسوني . لقد كان في اليونان — في ذلك العصر التاريخي — سكان منهزمون مثل الهلوت وغيرهم ، ولكن حالتهم هذه لا ترجع إلى الهجرات الأولى بقدر ما ترجع إلى أسباب اجتماعية وسياسية تدخلت أو نشأت بعدها . فالنظم الإقطاعية ، اليونانية وخاصة الأتيكية هي نتيجة الاندماج المنسجم بين نظام القبيلة والآلهة من المهاجرين من أهل الشمال ، وبين تلك التقاليد الغامضة غير المحدودة الخاصة بالسكان الذين استوطن المهاجرون أرضهم واستقروا بين آلهتهم<sup>(١)</sup> .

كيف استقر الغزاة بأرضهم الجديدة ؟ ليس لدينا وثائق تاريخية لهذا العصر المتقدم بل كل ما لدينا أساطير وروايات ، وكتب الرواية من أشعار روجعت من جيل إلى جيل ، مثل كتب اليهود المقدسة . ولكن هناك شيء

---

(١) أنظر الفصل الثاني من موراي ( وأحسبه فيما أظن قد غالى فيما كان لاغرضه من أثر في التاريخ فيما بعد ثم فيلاموثيتس خاصة من ١٢١ إلى ١٢٤ من كتابه Orestie, Introduction to Chaephoræ ثم الجزء الثاني من كتاب ماير Geschichte des Altertums فقرة ١٧٦ ( الترجمة الانجليزية ) .

واحد يتضح كل الموضوع من الكتب والآثار الباقية على السواء . فالليونانيون الأول لم يعيشوا معاً في مدن ، بل كانوا منتشرين في القرى . وعادة التحضر أو الاجتماع في المدينة ، التي نظن أنها من أبرز خواص اليونانيين كانت متأخرة الظهور . لقد قامت الدولة في شكل بدائي قبل ظهور المدينة . وألف الغزاة التنقل زرافات مع مواشيهم وقطعانهم ، ولكنهم لم يعتادوا الاستقرار متكديسين داخل أسوار . فلما رأوا أنفسهم في سهول اليونان الصغيرة ، تفرقوا جماعات ليقيموا أكوأخاً أينما توفرت المياه والتربة الصالحة . وفي هذه القرون الأولى يجب أن نتصور الأراضي الزراعية في اليونان ، لا على ما صارت إليه فيما بعد ، رقعة واسعة من أرض مفتوحة وسطها مدينة مسورة ، أو تناثرت هنا وهناك ضياع منعزلة ، كما نرى في الريف الأسكتلندي ، بل كانت عدداً معيناً من القرى الواضحة المعالم لكل قرية أرضها التابعة لها . وفي لغة القرن الخامس تعني « الحياة على النمط القديم ، المعيشة في قرية مكشوفة ( κατά κώμας ἀτειχίστους ) . وقد عاش أهل ليس على هذا الطراز إلى ما بعد الحرب الفارسية ، وظل كثير من الشعوب المتأخرة من سكان شمال غرب اليونان يعيشون كذلك حتى أيام توكيديس . والواقع أن «تحويل المدينة إلى قرية» ، أي هدمها هي وحصونها وبعثرة سكانها في الريف ، هو أشد وأقسى عقاب ينزله فاتح بالناس . وقد كان الإسبرطيون خاصة ، مغرمين بهذه العقوبة ، لأن لاسيديمونيا نفسها ظلت (لأسباب خاصة) ، مجموعة من القرى غير المسورة . وأورد إجزينوفون وصفاً بديعاً لبعض أعمالهم التأديبية . عندما استولى ملكهم أجسيبوليس على منتينيا ، بتوجيه النهر إلى أساس الأسوار والمنازل ليللها ،

هدم السور وقطع منتينيا أربعة أجزاء . كما كانت في الأيام الأولى . وقد غضب أهلها كل الغضب ، بادىء ذي بدء ، إذ كان عليهم هدم بيوتهم القائمة ، وبناء أخرى جديدة . ولكن لما رأى ملاك الأرض أنهم قد اقتربوا من أملاكهم

التي كانت بجانب القرى ، وأنهم أصبحوا تحت حكم أرسطراطي ، وتخلصوا من متاعب الديماغوجيين ، رحبوا بهذا التغيير الترحيب كله .

ليس ذلك وصفاً منصفاً ، لأن إجزينوفون كان متحيزاً للأسبرطيين مناصراً لهم ، ولكنه يرينا كيف كانت تلك الطريقة القديمة طبيعية وملائمة لشعب من المزارعين . وغالباً ما كان على السكان الذين اتخذوا المدن سكناً لهم فيما بعد ، أن يمشوا أميالاً كل يوم في الذهاب والإياب من مزارعهم ، يخرجون إليها قبل الفجر ويرجعون منها بعد أن يعم الظلام ، أى إلى آخر لحظة قبل أن تقفل أبواب المدينة . ومثل هذا المنظر نراه اليوم في جنوب إيطاليا وأسبانيا مع وجود الدراجات القذيلة ، أو الطرق الممهدة المرصوفة ، تعين الفلاحين على تلك الصعوبات<sup>(١)</sup> .

إذن لماذا ضايق اليونان أنفسهم بمحض إرادتهم بسكنى المدن ؟ يجب أن نرجىء الإجابة على هذا السؤال الواضح إلى الفصل الثاني . ولكن يجدر بالذكر هنا أنهم ( رغماً من أرسطو ) لم يسكنوا المدن كلهم ، فأكثر اليونانيين تجديداً ، أى الأثينيين ، لم يفعلوا ذلك كلهم ، حتى إلى زمن الحرب البلوپونيزية على الأقل ، ويتوقف توكيدس ليقول لنا ذلك ، حتى يبرز ما لاقوه من مشقة وعنت ، ليصلوا إلى أئينا عند ابتداء الحرب :

---

(١) إجزينوفون Hell. ٥ — ٢ — ٧ . أنظر توكيدس ١ — ٩٠ — ١ و ٥  
٤ — ٣ ( العودة بعد السلام ) . κώμαι : توكيدس ١ — ١٠ — ٢ و ٣  
— ٩٤ — ٤ ، ثم سترابون ٣٣٧ ، ثم أنظر ماير الجزء الثاني الفصل ١٩٣ . إن توكيدس  
يرغم تلك الفقرات وغيرها ، لم يؤكدها كما يجب سير المركزية في المدينة ( Synoecism ) كأحد  
العوامل الرئيسية في انتقال اليونان القديمة إلى العهد الإقطاعي . وهذه مشكلة أخرى تسببت عن  
حرب طروادة التي دفعت توكيدس إلى الاعتقاد بأن حياة المدينة قد وجدت في عصر متقدم  
جداً أكثر مما كان يعتقد . ولذا فهو يتكلم في كل فصوله الأولى عن « المدن » . وفي موضع  
يسمها ، وهو على علم تام بما يلقاه من صعوبة في تسميتها ، πόλεις ἀτειχιστοί ،  
κατὰ κώμας οἰκουμένοι ، كما لو أن اليونان الهومرية كانت ملائى بالإسبرطيين .  
أنظر ١ — ٥ — ١ وخاصة ١ — ٩ — ٢ فيما يخص Pelops كزعيم شعبي . ومن المحتمل  
أن يكون ذلك سبب انخداعه وكلامه عن التجمع في المدينة الأثينية على أنها اتحاد « مدن »  
بدل اتحاد قرى ( ٢ — ١٥ — ٢ ) .



وعاش الأثينيون منذ زمن بعيد، منتشرين في جوانب الإقليم في مجموعات مستمتلة من المساكن . وبعد أن تركزت الحكومة في أثينا ظلت هذه العادة قائمة ، وظل أغلبهم ، حتى هذه الحرب الحالية ، يسكن القرى مع زوجاتهم وعائلاتهم . ولذلك فإنهم لم يفكروا في أن يتحركوا الآن ، لاسيما وأنهم قد أصلحوا بيوتهم ومبانيهم بعد الحرب الفارسية .

كان ذلك بعد مضي ثمان وأربعين عاماً على الغزو الفارسي ، وتلك فترة تقدمت فيها المدينة وازدهرت بسرعة لم يعهد لها مثيل لا من قبل ولا من بعد . ولكن في هذا الأمر يعالج المؤرخ الوقت بروح ساكن الريف الحقيقي<sup>(١)</sup> . وثم نقطة واحدة أخرى يجب أن يلاحظها الإنسان على تلك القرى القديمة . فكيف توضح لنا قصة ما تينيا ، لم يكن الدفاع عن تلك القرى مستطاعاً . فقد قامت في عصر لم تعرف فيه الحرب المنظمة بين دولة وأخرى ، بل كان الأمر مجرد غزو ونهب . ولذلك لم تكن هناك طريقة حربية منظمة لمقاومة غزو منظم ، بل كان كل رجل يحمل أسلحته ويستعملها على طريقته ، كما يفعل الرجال في بعض أجزاء البلقان اليوم ، أو الطلائع في معسكرات التعدين بأستراليا أو في الغرب الأقصى . ويقول توكيديدس « إعتادت هيلاس كلها قديماً حمل السلاح ، إذ لم تكن مساكنها محصنة ، كما لم تكن مواصلاتها فيما بينها آمنة ، ولذا كان حمل السلاح عندهم ، كما عند البرابرة ، جزءاً من الحياة اليومية . »

(١) توكيديدس ٢ - ١٦ (و ١٥) . في هذه الفقرة أصاب توكيديدس في بعض النقاط ، إذا تذكرنا أن المزاج الفنى ينفر من الإصلاحات المنظمة . حيث لا نكتفي «قطعة خيط» ، يفضل تصميم الشيء من جديد . سل أى شخص ممن استخدموا تجاراً يونانياً أو إيطالياً . إن سكان أتيكا رغم أنهم جميعاً كانوا يعيشون في القرى حول أثينا (ἐν τοῖς ἀγροῖς) ، لم يسموا أنفسهم أتيكيين (على عكس بوشيين وأركاديين) ، بل أطلقوا على أنفسهم أثينيين ، فيما عدا سكان الجهات النطرفة جداً . وبكاد يكون من المؤكد أن هذا أثر باق من عهد المايينيين (أنظر توكيديدس ١ - ٢ - ٥ ثم ماير في Forschungen الجزء الثانى ص ٥١٦) . ومن هنا نجد أن توكيديدس عند وصفه ، كيف ركز تيسيس الأمور في أتيكا ، قد تركسوا الأهاماً ، ألا وهو من أين أتت له تلك السلطة ؟ لأنه لم ينصب ملكاً (مثل Deioes ، ص ٩٧ فيما بعد) ولكنه ظهر وقد نذر ع بسطة قديمة جداً . ( أنظر فرانكوت في La Polis grecque ، بدربورن ١٩٠٧ ص ٧ ) ..

ويواصل حديثه إلى أن يقول ، إن الأثينيين ( رغم أنهم ظلوا سكان قرى ) كانوا أول من نزع السلاح من اليونانيين . وبما لاشك فيه أن من الأسباب التي دعتهم إلى ذلك أن بلادهم لم تكن كثيرة التعرض للغزو<sup>(١)</sup> .

وإذا ما أغار على اليونانيين القدماء عدو شديد ، ولم يستطيعوا له دفعاً أو مقاومة بهذه الطريقة المرتجلة ، تركوا قراهم إلى جهات منيعة ، قد تكون أحياناً في أعالي الجبال ، يظلون معتمدين بها إلى أن يتراجع العدو . هذه الحصون كانت مختلفة تماماً في شكلها وجوهرها عن الحصون التي كانوا في حاجة إليها قبل ذلك وفيما بعد . فقد كانت ملاجئ أكثر منها حصونا . وهكذا ترك سكان سهل أرجوس مرتفع تيرنز Tiryns ، رغم أسواره الخلزونية ، ولجأوا إلى لاريسا في أرجوس التي تقع على ارتفاع ٩٥٠ قدماً . وقد احتفى سكان البرزخ ، بالأركورنث ، وهو برج لا مثيل له ، للاحتما به ، في قته نبع صاف ، إلا أن ارتفاعه لم يجعل منه سكناً دائماً ملائماً . بينما قنع الناس في سهل كيقيسوس وايليسوس بالأركوربول ، الذي لم يكن ملجأ عظيماً كالأركورنث ، ولكن دورهم أتى فيما بعد . كانت هذه الحصون الأولى تحمل اسماً مشهوراً ، فكانت تسمى بوليس ( πόλις ) ، وهي الكلمة التي تجمعت حولها فيما بعد ذكريات الوطنية المتصلة بالدولة المدينة . ويقول توكيديديس « لهذا السبب ظل الأركوربول يعرف عند الأثينيين باسم المدينة حتى الآن ، . فأثينا كلندن مدينة داخل مدينة . ولذا كان أرسطو يروي لنا تاريخاً صحيحاً ، وإن لم يكن قد أدرك ذلك ، عندما قال إن المدينة قد وجدت لتحافظ على الحياة<sup>(٢)</sup> .

ولكن يجب ألا نتسرع عملية المركزية ونسبقها . وحسبنا هذا القدر كقدمة

(١) أنظر توكيديديس ١ - ٦ - ١ ، ثم ١ - ٢ - ٦ .

(٢) توكيديديس ٢ - ١٥ - ٦ ثم الجزء الثاني من كتابه Geschichte لالمير فقرة ١٩٣ - ٠ ثم فرانكوت في كتابه السالف الذكر ص ١٠٦ . إن كلمة Polites ( التي صارت فيما بعد « مواطن » ) ، كانت أصلاً تعني « رجل قلعة » ، أي مراقب . وليس مصادفة أن يكون بوليتسرين بريام قد استخدم في مثل هذه المراقبة ( الإلياذة ٢ - ٧٩٢ ) . -

لهذا التطور الذي نحن على وشك أن نتبع أثره ، ألا وهو تبلور شعور اليونانيين حول الدولة المدينة . كان هذا التقدم مزدوجاً — حركة طاردة وحركة نحو المركز . وقد تكلمنا عن الحركة الأولى وهي حركة تفكك الشعوب تدريجياً إلى وحدات صغرى . والذي علينا أن نتبعه الآن هو التصدع التدريجي للجماعات الصغرى ، التي تكون الحلقات الوسطى بين الدولة والفرد ، حتى يغدو المواطن حراً مستقلاً يقف وجهها لوجه أمام المدينة .

«إن المدينة، كما يذكر أرسطو في أول فقرة من كتابه «السياسة»، «هي أرقى أشكال الجماعة كلها وتشمل سائر الأشكال». هذا أمر من السهل كتابته على الورق، ومن السهل أن يلوکه هؤلاء الذين لم يتحققوا بما يعنيه ذلك، أو إلى أي حد كان تحقيق معناه في التاريخ نادراً . ولكن يكاد يكون مستحيلاً أن يدرّب الناس المتحضرون، لا في ساعات الخطر فقط، ولكن في وقت العمل والفراغ يرمياً ، على إثارة البلد على الزوجة والعائلة ، أو رفقاء الصبي أو زملاء المهنة ، والعبادة ، «وعلى أن تطبق النظم البديعة الرائعة في الحياة الخاصة على خدمة الدولة وإدارة شئونها» ، وعلى «التضحية بأجسادهم كمجرد آلات خارجية ، في سبيل خدمة المدينة ، وأن يعدوا عقولهم أخص خصوصياتهم، إذا ما استغلوا في صالح المدينة» .

هذه النتيجة الرائعة التي لا مثيل لها إلا في اليابان في الأيام الأخيرة ، كان دورها مناقشة طويلة بين المدينة وبين جميع المطالب الأخرى التي لها حقوق على الرجال . والنزاع الذي قام طوال العصور الوسطى اليونانية كان غامضاً في كتابات الكتاب المتأخرين ، إذ لم يأت بنتيجة ، بالنسبة لهم . يابهون لها . إلا أن هذا النزاع المفترق ساعد المنتصر والمنهزم ، على حد سواء ، على خلق ذلك الأثيني الكامل الذي تغنى به بركليس<sup>(١)</sup> .

(١) أنظر برك Burke في كتابه Present Discontents ، وتوكيد بس ١ — ٧٠ —  
٦ — لقد أظهرت سجلات الحرب الروسية — اليابانية الدقيقة أن اليابان هي البلد الوحيد الذي ينصف بوطنية عمالة . ولكن هناك كثير من تلك الأمثال في المجال المهني ، وربما كان =

أحسن مثل لذلك الضباط البصريون الحديثون ، وخاصة الذين في العواصم ، فتدريهم كل يوم . وكل ساعة على الشجاعة وضبط النفس ، يظهر جلياً واضحاً في الساعات المرحية . وفيما يتعلق باليابان أنظر Uyehara ، وكتابه The Political Development of Japan ، ١٨٦٧ .

— ١٩٠٩ س ١٥ ، إذ يقول « إن كلمة Ego أو ( أنا ) عند الشعوب الغربية التي عميل إلى الهجرة ، هذه الكلمة هي أولى الأشياء بالنسبة لهم ، فهم يقولون « أنا جئت هنا وحررت الأرض وأقمت بيتي » ، أما في اليابان فالأمر يختلف كثيراً فلكوكوكوا Kokku-Kwa أو « البلد والمنزل » هما أول شيء عند الياباني ، فهما بالنسبة لحقبة أعلى وأعظم من « نفسه » ، فيقول « إنه الوطن والمنزل ، الذي هي حياة أسلافى ، وسيجئنى بدورى وخلفائى من بعدى » . ومن هنا كان الولاء للامبراطور الذى تتمثله عقلية الشعب الياباني رمزاً للوطن ، ( كما كانت أئنا عند الأثينيين ) . « هذا الولاء هو أساس دستور الأخلاق اليابانية » . ومن هنا أيضاً كانت اليابان مثل أئنا قادرة على أن تقدم سقراطاً آخر إلى الموت . نجد بياناً كاملاً عن النظام البطريكى كتبه Fustel de Coulanges في كتابه La Cité antique . هذا الكتاب المشهور كتب عام ١٨٦٤ ، لكن النصف الأول منه مازال معدوداً أحسن تصور ، ليس فقط للمدينة كدولة في حد ذاتها ، بل أيضاً للولاءات الصغرى التي كونت المدينة . والأفضل أن نذكر باختصار بعض النقص الذى أظهره مرور الزمن فيه — ( أولاً ) إنه ككثير من الكتب الفرنسية كتاب منظم ومنطقي للغاية . وقد بسط العالم القديم وعقائده أكثر مما ينبغي . — ( ثانياً ) يحاول أن يعالج دراسة اليونان وروما في آن واحد ، وهذه خطة غير ممكنة يرجع أصلها إلى عصر كان فيه الناس يعتقدون أن الحضارة الآرية هي أم الجميع ، وعلى هذا كانت النتائج التي يصل اليها نضيم أحياناً بين الأمرين ولا تناسب أى منهما . « فاليونان وروما » كما قالت حديثاً سيدة أمريكية فطنة « لاقنا نفس مصر فولثير وروسو كما تقول مدام كاردنال : يظهر أنهما قضيا حياتهما ولم يتمكننا من الشعور بأنهما قضياها في قول الهراء ، وبعد موتهما فقطصارا متعادلين » ، من كتاب The Lady ص ٣٩ الذى كتبه Emily James Putnam . ( ثالثاً ) غالى كثيراً في تأثير العناصر المحافظة المضادة للراديكالية في حياة اليونان . ففما يخمس أئنا اتفق الناس على أن قصتها تنتهى مع كليستينيس ( أنظر ص ٣٣٧ طبعة ١٩٠٦ ) . وإنه لمن الغلاة الشديدة مثلاً أو من إساءة استعمال الكلمات ، أن تقول كما في ص ٢٦٩ ، إن الرجل القديم لم يتمتع بالحرية أبداً أو حتى « لم يكن لديه فكرة عنها » . — ( رابعاً ) إنه يتجاهل جانباً من أهم جوانب الحياة البطريكية أى نظامها في القانون الجنائي . هذا وقد أكل هذا الكتاب حديثاً كتب جلوتز ( La Solidarité de la famille dans le droit Criminel en Grèce ) الذى اعتمد فيه المؤلف اعتماداً كبيراً على أدلة من الأساطير ، وكتابه هذا يعد نموذجاً لطريقة العلم في استخلاص الحقيقة من الحرافات . أنظر أيضاً لنفس المؤلف كتابه المختصر Etudes sociales et juridiques sur l'Antiq. gr. ( أنظر التذييل ) .

## الفصل الثالث

تطور حق المواطن وواجباته

الكفاية أو قاعدة الحاكم

الحياة الحسنة τὸ εὖ ζῆν

أيو، داست الآلهة الجديدة القوانين القديمة .

Ἴὼ θεοὶ νεώτεροι, παλαιούς νόμους

وأحطتني بالشرور .

Καθιππάσασθε κακὰ χερῶν εἴλεσθέ μου.

أستيلوس في إيوميندس ٧٧٨

تعبد آباؤنا في هذا الجبل ، وأنت تقول ، إن في بيت المقدس يجب أن

يتعبد الناس .

رأينا اليوناني في انتقاله من مرحلة البدوي القبلي إلى مرحلة القروي .  
المستقر ، وعلينا الآن أن ندرس الخطوة التالية لتطوره من قروي  
إلى مواطن .

قد يكون أهم فارق ظاهري بين ما يعرف بالعهد الإقطاعي اليوناني ،  
وعهد الإقطاع في إنجلترا ، هو أن رجل الإقطاع القديم في اليونان ، مهما  
كانت مهنته ، غالباً ما كان من سكان المدينة . نعم كان في إنجلترا مدن من  
العصر الروماني وما بعده ، ولكنها لم تكن في يوم ما سكناً للجزء الأكبر  
من المزارعين . ففي أثناء العهد الإقطاعي عند الإنجليز عاش المزارعون  
مبعثرين في الريف . أما المدن التي لها ممثلون في المجلس وحصلت على مراسم ،  
فامتازت عن القرى والمدن الزراعية ، فقد زاد اشتغالها بالتجارة

والصناعة وذلك بنفوذ الطوائف الصناعية — وهذه الحالة أوضح في القرى الفرنسية والفلنكية الكبرى ذات الحكومة المحلية، مثل غنت واير، وكذلك الحال في مدن شمال إيطاليا ووسطها. ومثل هذا الاختلاف لا نجد في عهد الإقطاع اليوناني. بل ومن أقدم العصور يمكن أن نلاحظ فعل القوى التي دفعت سكان القرى إلى المدن مهما اعتبر عملهم. وفي الملاحم، اعتبرت حياة المدينة الطريقة الطبيعية لحياة الجماعات البشرية. ولم يكن الفيسكيون والإيثاكيون وخدم سكان مدن، بل اعتبر اللايستروجيون الهمج والكميريون الذين ذكرتهم الأوديسة، سكان مدن أيضاً. وهذا الميل إلى التجمع في مركز واحد، الذي بدأ من قديم، استمر دون انقطاع طوال تاريخ المدينة الدولة<sup>(١)</sup>.

فالمدينة اليونانية كما نجدها عند نهاية تطورها الطويل في القرن السادس أو الخامس، تختلف تماماً عن مدننا ذات الحكم المحلي في أواخر القرون الوسطى. فهي أساساً ليست مركزاً تجارياً ولا صناعياً، ولكنها قرية زراعية كبيرة. وليس سكانها من أهل الحرف أو أصحاب التجارة خاصة، بل هم عادة زراع أرض، أو هم وخدم على حد التعبير اليوناني « أقاموا معاً منزلاً لهم ». وتقويمها المقدس مليء بالأعياد الريفية، وتمثلياتها مقامة على أساس من العادات الريفية. وقد نشأت المآسي عندهم (أو ظن اليونان أنها نشأت<sup>(٢)</sup>) عن جماعات المنشدين، وهم — رجال يلبسون جلود ماعز يتغنون بمجدين إله الخمر. ونشأت « المهازل » عن ألعاب المقتنعين عند موسم حصاد الكروم. فلم تنس المدينة الكبيرة أصلها الريفي أبداً، كما لم ينقطع سكانها عن الخروج إلى الحقول خارج أسوارها. فمن الوجهة النظرية، وكذا من الوجهة العملية تقريباً، ظلت المدينة الدولة في كل مكان، وفي كل أيامها زراعية قبل كل شيء<sup>(٣)</sup>.

(١) الأوديسة ١٠ — ١٠٣ — ٨ — ١١ — ١٤، وانظر ٩ — ١١٤ حيث يمثل الكيكلوپس Cyclops نموذجاً للجنس الذي انقرض من الآباء البطريراريين المستقلين.

(٢) إن البيان التقليدي الذي وضع نظمه أرسطو عن أصول المأساة اليونانية، قد بحثه أخيراً جليبرت موراي ورد جواي وغيرهم، وربطوه بطقوس الدفن أو احتفالات التكريس.

(٣) إن هناك بحث شامل حول (عملية) إقامة منزل في اليونان = Synoecism

وقد آن الوقت للإجابة على السؤال الذى أثرناه فى الفصل السابق ، لماذا أتى اليونانيون من القرى ليقيموا معا منزلا واحدا لهم ، ؟ .

إنهم ذهبوا ينشدون ، الكمال و الكفاية ، ، فاكشفوا على حد تعبير أرسطو . أنهم وإن كانوا يستطيعون العيش فى القرية على مخزون مؤن كثيرة ، فإنهم يستطيعون أن يعيشوا ، عيشة طيبة ، ليس إلا فى المدينة . كان تكوين هذه المدن الزراعية عاملا له أهميته فى ذلك التطور الذى أحسن توكيدىدس وصفه — النمو المطرد للمصادر والقوى المادية للدولة اليونانية ، ذلك النمو الذى بلغ منتهاه فى الحربين الفارسية والبلوونيزية . ولم يكتف ، لاهو ولا بركليس ، أن تكون الدولة سالحة أو جميلة ، بل يجب أن تكون أيضا قوية . فالجرب الفارسية لم تكن انتصار ضعيف على قوى ، ولكنها كانت انتصار القوة على عدم الكفاية . واليونانيون على عكس اليهود لم يكن فى طبيعتهم شيء من التهريج ، إنهم لم يقدموا على أمل ضائع مالم يقنعوا أنفسهم بأنه غير ضائع . ولقد رأى الأثينيون وهم يجوبون مدينتهم ويهيمون بها جبا — تلك ، القوة ، بحسمة فى نظمها ، وفى آثار الأكر وپول . وما زالت أعمدة

---

== قام به فرنكوت فى كتابه *Polis grecque* ص ٩٥ وما بعدها وخاصة ص ١١٠ . وقد بين أن نمّة أنواعا وضروبا كثيرة لهذه العملية فى الحالات الفردية ، وبين أن ذلك لا يبدل دائما على هجرات جغرافية فعلية كما اعتقد الكتاب اليونانيون المتأخرون . كما أن أتيسكا تقوم مثلا على عكس ذلك ، وهناك أمثلة أخرى . والنقطة الجوهرية هى انتقال مقر الحكومة من القرى إلى المدينة ، ولكن المساكن كانت تنقل أيضا عادة . وإن قصة مدينة مانتينيا اللتين كم كان ذلك سهلا . وبالطبع لم تكن المدينة الزراعية اليونانية ظاهرة فريدة ، بل توجد مثيلات ، لها فى فلسطين . ومن الواضح أن تكوين أتيسكا الذى قام به تيسيس *Theseus* يشابه إلى حد ما تدمير يوشع *Josiah* الثنائى . وأحد أغراضنا من تتبع تاريخ اسرائيل هو إظهار الوقائع التى مرت بها دولة مدينة فى دور التكوين . وقد سورت وجهة النظر هذه بشكل يثير الانتباه فى كتاب *Politics and Religion in Ancient Israel* الذى ألفه *Canon J. C. Todd* (لندن ١٩٠٤) كما صورها *Wellhausen* بشكل أوضح ، وهو ثقة أعظم ، فى كتابه *Israelitische und Jüdische Geschichte* ( الطبعة السادسة ١٩٠٧ ) ، ولا سيما الفصل السادس الخامس بحياة القرية اليهودية القديمة ثم ص ١٣٤ وما بعدها . لقد تركزت فى المعبد مظاهر إعزاز دولة المدينة فى چودا ، كما تركزت مظاهر الوطنية الأنيكية فى البارتنون .

البارثون الدورية توحى بتلك القوة إلى الآن (١) .

وأوضح أسباب هذا التغير كان حربياً . فبدلاً من الالتجاء إلى « مدينتهم ، وقت الحاجة رأوا أن استيطانها أسلم لهم وأزفر ، فذهبوا وتجمعوا في مساكن حول سفح قلعتهم ، وإذا استحال ذلك بنوا قلعة أخرى وحصنوها ، في موضع أكثر ملاءمة . ولكنهم حتى ذلك الوقت ، لم يفكروا في الدفاع عن منازلهم وأراضيهم ، فقد أقاموا السور من حول القلعة المحصنة ، لا حول المدينة الجديدة نفسها التي تقوم وتتجمع تحت القلعة مباشرة . وعندما اتسعت المدينة فيما بعد ، وازداد إدراك المواطنين لوحدتهم كما ازداد إدراك حكوماتهم لقوتها ، جندوا الأيدي كلها للعمل ، حتى النساء والأطفال ، وذلك عند الضرورة الماسة ، ومدوا سياجها نائلاً حول مساكنهم ، بل وحول بعض الحقول المكشوفة المجاورة أحياناً . وعندما نزل الفرس مرثون كانت أثينا ما تزال مدينة مكشوفة تقريباً ، فلم يكن بها تحصينات حقيقية إلا الأكروبول ، إلى أن أقام ثمستوكليس ، بعد تفهقر الفرس ، حولها سوراً صالحاً . وقد ظلت اسبرطة مخصصة للطرق القديمة ، فلم تبني أي سور حولها . فإذا تفيد من ذلك ؟ فقد كان على الهيلوت ، أعدائها الحقيقيين ، أن يأتوا المدينة يوماً حاملين الطعام لساداتهم . إن المدينة المنقسمة على نفسها لا يمكن أن يحميها سور . (٢)

(١) أنظر مناقشة خطاب فورميو في توكيديس ٢ - ٨٩ . إن أحدث المصادر ( مثل كتاب Grundy ، Persian War ، الحرب الفارسية ص ٢٩٣ وما بعدها ، ثم Macan ) لا تسمح لنا حتى باعتبار ثرموبيل مجازفة لا أمل فيها . ولقد حيرت غرابة الفكرة هيرودوت ( أنظر ٧ - ٢٢٠ إلى ٢٢١ ) . لاحظ استعمال الكلمات التي ترمز إلى القوة والضعف في توكيديس مثل ٦ - ٣١ ، ١ - ١٧ فهو يحب الأشياء التي يستحق الكلام عنها ἔργα ἀξιόλογα لكبرها .

(٢) سور أثينا : توكيديس ١ - ٨٩ إلى ٩٣ . النساء والأطفال : ٩٠ - ٣ ( التي وضعت خطأ بين أقواس في نص أوكسفورد أنظر ٥ - ٨٢ - ٦ ) ، والسؤال الخامس فيما إذا كان لأثينا سور لحمايتها قبل عام ٤٧٨ ، كان موضع نقاش كبير ، وأنا أتبع قيلاموثيس في ( Aus Kydathen ص ٩٧ ومايلها ) ، ثم Doerpfeld ، Körnemann =



وهذا الاكتفاء بالطرق الدفاعية القديمة ، وحتى بعدما أصبحت المدينة الجديدة أكبر من أن تحميها قلعتها ، يدل على أن الدفاع ما كان إلا مجرد عامل ثانوى فى تأسيسها . فالقوى المحركة الحقيقية التى دفعت الرجال إلى المدينة لم تكن الحاجة إلى الكفاية فى زمن الحرب بقدر ما كانت حاجتهم إلى الكفاية فى زمن السلم . إنهم لم يتجمعوا رغبة فى الأمان ، بل حبا فى العدالة . وهذا هو أقدم ( وربما كان أقوى ) مطلب للمدينة بشأن ولاء رجالها . وقد أكد ذلك مراراً ومراراً من كتبوا عن دولة المدينة فى كل العصور ، فأعطاه بركليس المسكاة الأولى فى ثنائه على النظم الأثينية . ويصف أفلاطون فى أسطوره الممتعة التى جاءت على لسان بروتاجوراس عن سكان المدينة الأول الجاهلين « بفض الحياة فى المدينة » - كيف أرسل لهم زيوس رسوله هرميس « حاملاً بين يديه الاحترام والعدالة لتكونا أساساً لنظام المدن وروابط الصداقة والمسالمة » (١) .

---

= (الجزء الخامس من ٧٨ من Klio) ، وأحدث من ذلك كتاب كافنيك (Hist. de l'Antiquité الجزء الثانى من ٤٠) . أما Dörpfeld فىرى أن الأكربول أيضاً قد أعيد تحصينه بعد عام ٤٨٠ ، وأن المبنى المسمى بروبليا الذى ينسب إلى بركليس ، يقوم مكان الباب الأخير من « البوابات السبع » القديمة . وقد امتدت التحصينات القديمة فى الأكربول إلى الجنوب والغرب ، إلى ما بعد النثل نسه بقليل (توكديدس ٢ - ١٥ - ٣) . وواضح من توكديدس (١ - ٨ - ٣) أن الدور لم يكن جزءاً من الوسائل الأصلية التى زودت بها المدينة (أخذت بعض المدن الفنية فى بناء أسوار) . وهيرودوت ١ - ١٥ - ١٤١ و ١٦٣ (لقد عبر أحد الرؤساء البحريين الأسبانيين عن شكره بأن أعطى الفوكيين مالا لبناء سور ، كما أن (راجا) هندياً قد قام بحفر بئر فى Stoke Row فى التلترن Chilterns تمييزاً عن شكره لمهندسه) . وكان للفوكيين الذين ذكرهم هومر ، سور مؤقت أقاموه من طين وخشب (الأوديسة ٧ - ٤٤) ؛ ثم أنظر برارد الجزء الأول من ٥٤٣ ؛ ثم أنظر أرسطو - السياسة ١٣٣٠ ب ٣٢ مع تقدمه للرأى القديم فى أفلاطون - القوانين ٧٧٨ د .

(١) توكديدس ٢ - ٣٧ - ١ . قارن بيان بوليب عن حياة القرية فى إليس Elis التى صارت ممكنة بعد أن عمل رجال السياسة هناك على إقامة العدالة (القضاء) (٤ - ٧٣) .

وهذه الأسطورة كغيرها من الأساطير أخطأت وأخذت السبب على أنه نتيجة ، فقد شعر الرجال بالحاجة إلى د فن الحياة في المدينة ، قبل أن يعيشوا في المدن . ولكن وصف أفلاطون المدينة القديمة سواء على لسان بروتاجوراس أو سقراط ، صحيح في أساسه من الوجهة التاريخية . ولنرجع إلى الإلياذة . إن كاتب هذه الملحمة القديمة الذي سجل عليه د بالاجتماعيات ، بصورة على درع أخيل ، يرينا هذه المدينة كما أراد من بطله أن يتصورها عند ذهابه للحرب في سييلها . فثم موكب زواج يمر عبر الشارع مصحوباً بالموسيقى والرقص والمشاعل المضيئة وكل ما يخص المراسم القبلية القديمة . وعند سماع الضوضاء ، تنهض النساء اللاتي يعملن في الحجرات الداخلية ليشاهدن الموكب من النافذة أو مدخل الدار — ولم يكن مسموحاً لمن بأكثر من ذلك . ويتقدم الاحتفال نحو السوق العامة المكشوفة . وهنا يتوقف لوجود حشد آخر بالمكان . فإذا ما وقف المبهجون على أطراف أصابعهم رأوا جمعاً من الشيوخ ، في أيديهم عصي ، جالسين في شكل نصف دائرة على مقاعد من الحجر ، أبلاها الاستعمال ، أمامهم وقف متخاصمان في شدة الغضب ، عند قدميهما كتلتان من الذهب البراق . لم كل هذا ؟ سرعان ما تسرى القصة بين الناس . لقد وقعت جريمة قتل وبأبي ممثل أهل القتل أن يقبل التعويض المالي الذي قررت عائلة القاتل دفعه ، في اجتماع سرى لرؤسائها . وعلى هذا رفعوا الأمر إلى شيوخ المدينة ابتغاء حكم عادل . فهل هذه التلنات من الذهب إذن التعويض المراد دفعه ؟ لم يكن الجمع متأكداً من ذلك تماماً . فالقدر يبدو أقل من أن يعوض حياة رجل صالح — فهو لا يزيد عن المكافأة الرابعة للفائز في سباق العربات الذي جرى في السنة الماضية ، في الحفل الجنائزي الكبير . وهذا صديق له رأى آخر ، أقرب إلى القبول . وكلاهما متأكد من الكسب ، حتى أنهما راهنا على النتيجة ، فن خسر يدفع المال كأجر لأفصح متكلم بين الشيوخ (١) .

(١) الإلياذة ١٨ — ٤٩٠ وما بعدها ، مع ملاحظة مونرو Monro على السطر ١ — ٤٥٠٧ =

ومن هؤلاء الشيوخ ياترى؟ وكيف حصلوا على هذه السلطة؟ إن صديقنا الذى فى الشارع لا يعيننا هنا على معرفة الإجابة على هذا السؤال . وما سيقوله لنا هو ما يعرفه كل الناس من أن هؤلاء الشيوخ تجرى فى عروقهم دم الآلهة والأبطال ، ولذا هم يعلنون الخطأ والصواب فى كل الأمور أكثر من العامة . وللحصول على تفسير أوضح يجب أن نرجع قليلا إلى الوراثة ، ونرى كيف تكونت من بين العائلات البطريركية المتساوية القديمة هيئة أرستقراطية من الألفاء ليكونوا حكاما للمدينة وقضاة لها ، وذلك خلال أجيال قليلة ، مرت بأرض اليونان .

لما دخل الغزاة اليونان كانوا قد اعتادوا أن يحكموا حكماً قليلاً على يد شيخ القبيلة لا على يد هيئة أرستقراطية . فكانوا يدينون بالطاعة لرؤساء الأسرة أو الأخوات ، . وكانوا يخرجون إلى الحرب تحت قيادة زعيمهم ، ويرتضون أحكام مجلسه الذى يتكون من رجال عرفوا بالحكمة . ولكنهم لم يكونوا يعتبرون أى أسرة أو أخوة بعينها ، أو أى قسم من أقسام الجماعة ، أنها أحسن من غيرها ولا أفضل منها . وقد تمسكوا بهذا التقليد الديمقراطى عند استقرارهم فى اليونان . وقسمت الأراضى الزراعية ، أقساما متساوية ، بينهم ( κληροί ) ونال كل فرد نصيباً اعتبره وديعة يستغله

---

= ثم ٢٣ - ٢٦٩ . فارت روث Ruth ٤ - ١ . أما عن رأى أفلاطون فيما يخص المدينة القديمة فانظر بروتاجوراس ٣٢٢ (C) ، والقوانين ص ٦٨٠ وما بعدها ( حيث أشاعت حرب طروادة الاضطراب فى التقدم كالمتعاد ) . أما « الجمهورية » فلم تحاول حتى الادعاء بأنها تاريخية ؛ ولكن حجتها والمناوان الملحق بها عادة ( πολιτεία ἢ περὶ δικαίου ) بصوران نفس الفكرة . فيما يتعلق بقرب مجلس القضاء من السوق فى أثينا القديمة ، أنظر فيلاموفيدس Aus Kydathen ص ١٩٥ وما بعدها . والأجر هام : لم يكن يعطى لكل هيئة المحكمة ولكنه يعطى فقط لأفصح المتكلمين . وذلك الأجر هو الأصل فى الأجور التى كانت تعطى لجماعات المحققين الكبيرة فى أثينا فى القرن الخامس . وقديما كانت تسمى برتانيا πρυτανεία ( رسم المحكمة ) ، ويدفعها الـ κωλακρέται ( الخاتون ) . وهكذا يتضح مم كانت تتكون . وكان الخدم العموميون يعتبرون أهلا لما يكسبه كل منهم من الأجر ، وهكذا كانوا فى القرن الخامس ، أنظر مار الجزء الثانى فقرات ٢٠٩ و ٢٢٥ . ( أنظر ص ١٧٥ فيما يلى والتذييل ) .

ويحفظه لأسرته وخلفائه من بعده. لأن الملكية الخاصة عندهم قد نشأت على أنها واجبات يقومون بها لا على أنها حقوق. وتتكون الأسرة التي تتمتع بحق الانتفاع الموزقة بهذه الملكية، من نساء وأطفال، وأحياناً كانت تضم قليلاً من العبيد الذين أسروا في الغارات، وأكثرهم كان من النمام لا من الرجال. وكان له أعضاء المنزل، (أيكتاي οικήται) من العبيد أما كنهم وواجباتهم المعترف بها في المنزل. وعند وصولهم إليه، كان يحتفل بابتداء تدريبهم على مباشرة أعمالهم، بإراقة الخمر، وكانوا أقل أعضاء المنزل منزلة. ولكن مركزهم كان أفضل كثير أمن مركز المشردين غير الشرفاء، الذين لم يكن لهم مأوى ولا نصيب إطلاقاً في العالم. وكما ورد في أشعار هومر فإن هؤلاء ومن يعولون أحق الناس بالشفقة والرحمة. إن عبداً مثل إيومايوس Bumaeus راعي الخنازير، كان في مقدوره أن يكون شقيقاً وراعياً لرجل متجول من أمثال أوديسيس المتسكر، وقد أظهر بعض طالبي الزواج كرمه بأن عرض عليه عملاً كأجير، أجره المأكل والمسكن والملبس، نظير قيامه بغرس الأشجار وبناء الأسوار— وهو عمل من الجلي ألا يستطيع أن يصحى بعمله من أجله، فعنده أن ما يقوم به من خدمات كعبد أفضل من ذلك العمل. والرجل الذي لا نصيب له، قد يحاول كسب عيشه الكفاف من قطعة أرض استصلحها لنفسه، أو قد يكون سائلاً أو منفيًا، أو مجرد نازر أو قاطع طريق يعتدى على كل إنسان. وعلى أية حال فهو رجل لا ينتمي إلى أية جماعة، ولا يقيد برعاية عادات وحقوق أسرات ما، والنظام البطريكي قاس شديد الوطأة على أمثاله. فليس في المجتمع بعد مكان للرجال الذين يشقون طريقهم الخاص في الحياة. ولكن مع هذه الاستثناءات اعتبر كل رؤساء الأسر متساوون. وكانوا مقسمين جماعات متسقة متعادلة على الأرض أو في الدولة، على أنهم جماعات من أعضاء متساوين. فالمساواة في الأرض والحقوق كانت تقاليد راسخة في الحياة اليونانية متأصلة فيهما. وإنما نلاحظ في تاريخ المدينة الدولة كله، مراعاة أسس المساواة القديمة عند تأسيس مستعمرة جديدة، مهما كان التفاوت في الدولة الرئيسية. وفي

الوطن نفسه لم يبرح حلم تقسيم جديد للأراضي أذهان الرجال مطلقاً. وفي تمثيلية « السحب » لأرستوفانيز ، يسأل أحد الناس تلميذاً لسقراط الساخر عن فائدة الهندسة. فيجيب قائلاً ، « ألا تعلم أنها مفيدة في تقسيم الأرض إلى أقسام متساوية. » فيسأله « هل تعنى أرض المستعمرين ؟ » فيقول « لا بل أقصد كل الأراضي » . « هذه فكرة عظيمة وعملية تتفق والروح العامة (١) » .

ولكن الأراضي المتساوية لا تستمر كذلك طويلاً ، وخاصة عند تلك الجماعات التي تأملت فيها فكرة المساواة بقوة. لأن اليونانيين على خلافنا لم يعترفوا بأولوية الابن الأكبر في الميراث ، فكانوا يقسمون ممتلكاتهم عند الموت تقسيماً متساوياً بين الذكر من أبنائهم . ونتائج ذلك في مجتمع قوام ثروته الأرض الزراعية ، جلية واضحة . فبعد أجيال قليلة يصبح بين الجماعة قسم يميز ، ولن يمض زمن طويل حتى يبدأ الأكفاء أو المحظوظين من الأعضاء في تكوين طبقة أرستقراطية وراثية (٢) .

(١) لقد تعدت الفكرة البطرياركية عن المساواة طبعاً ، حسب المقننات العملية . فقد كان للشعوب المهاجرة ملوك و مجالس ( βασιλείς و γέροντες ) ، وكانت بعض الأسرات أكثر ثراءً ومجداً من غيرها . ولكن أرستقراطيتهم لم تكن إلا مظهراً فقط يدخر لزوم . إن كلمة βασιλεύς تعني « قائد حرب » . أنظر ماير الجزء الثاني فقرة ٥٣ . المراجع : أسخيلوس Ag. ١٠٣٥ ( تعليم كسندرا شئون البيت ) ، الأوديسة ١٤ — ٥٦ ( حديث إيومايوس البليغ لأوديسيس ) ، ١٨ — ٣٥٧ ( يوريماخوس وهبة أعمال الترفيه ) ، ١١ — ٤٩٠ ( العدل من أجل رجل لا أرض له ) ، الإلياذة ٩ — ٦٣ ( ἀφρήτωρ ) ، ٦٠٢ Erga ( لا تدع العمال المأجورين يشتغلون مع الأطهال الصغار ) ؛ الإلياذة ٩ — ٦٤٨ ، ١٦ — ٥٩ ( ἀτίμητος μετανάστης ) ؛ أرستوفانيز السحب ٢٠٢ ( الهندسة ) ؛ توكيديس ٣ — ٥٠ — ٢ ( κληροί ) . أنظر في Dittenberger's Sylloge رقم ٩١٣ نص خاس بالاستعمار في القرن الرابع ، حيث المستعمرون لا يزالون يتكلمون حسب نظام القبائل الدورية القديم . ( أنظر التذييل ) .

(٢) أنظر هيرودت Erga ٣٧٦ . إن النظرية الآرية وميل اليونانيين إلى تحديد نسلهم بان واحد دعماً بالمالم Fustel de Coulanges إلى أن يضل في بحث مسألة حقوق الابن الأكبر . أنظر ص ٩٠ ( طبعه ١٩٠٦ ) . وانظر أيضاً ماير الجزء الثاني الفقرة ١٩٧ . وأنا أوافق ماير في تجاهل التأثير الممكن للهجرة والفتح في قيام الأرستقراطية ، وإني لم أدرك أن ذلك ربما يسهل هذا المشكل أكثر مما يجب ، ولكن في ظل الأدلة الحالية ، يبدو أن ما من معالجة أخرى ممكنة في حدود هذا الكتاب . أنظر أيضاً ملحوظة ص ١١١

هؤلاء هم طائفة الملوك ، المنحدرين من نسل زيوس ، الذين نعرفهم جيداً من الملحمة . وكانوا من سلالة زيوس على نحو خاص غريب . فقد انتشرت في اليونان في العصر التاريخي ، عادة ادعاء الفرد التسلسل عن إله أو بطل ، يعتقد أن جماعته تنتسب إليه . فالأثينيون مثلاً ، ادعوا أنهم من سلالة زيوس عن طريق إيون بن أبولون . ولكن أرسطقراطيهيم ازدروا سلسلة نسب أفراد الشعب ورجعوا في نسبهم إلى « الأب الأكبر ، بطريق خاص بهم — حتى أن منهم من فعل ذلك بطريقة مختصرة مثيرة للشك . ويعرفنا بندار الذي كتب عن هذا النظام الأرسقراطي ، مدى أهمية هذه الأنساب بالنسبة للأثينيين . وقد أثار هيرودوت ضحك كثير من قرائه الديمقراطيين ، حين روى لهم كيف استطاع أحد الكهنة المصريين ، بحساب بسيط ، أن يخجل هيكتيس ، الحديث العهد بالأرسقراطية ، حين افتخر بأنه « السليل السادس عشر لأحد الآلهة » . وهذه القصص الخرافية التي كثيراً ما كانت اختراعات متعمدة ، نراها اليوم أموراً صيدانية ، نحن الذين نميل إلى أن نضحك من College of Herald's . ولكن اليونانيين وضعوا نظمهم السياسية بدقة تامة في كل العصور . فكان مشروعهم كالمهندسين يعملون بالمسطرة والفرجار ، فهم يحبون النظام والتناسق . فلديهم مجالس من خمسة آلاف عضو وقبائل مكونة من مئات المراكب . فكل شيء عندهم تام ومنطوق بتصميم مدينة أمريكية . ولذا كان لا بد لأي عائلة نبيلة من الحصول على سلف تنتسب إليه وذلك كما فعل كليستيز عند ما قسم القبائل الأربعة في أتيكة إلى عشر ، إذ ذهب إلى أبولون يسأل عن أسماء الأبطال الذين يجب أن يسمى بهم هذه القبائل (١) .

(١) هيرودوت ٢ — ١٤٣ وأفلاطون . Euthyd ٣٠٢ ب ( حيث أخرج سقراط بالنسبة ( Ζεύς πατρώος ) ، إيوريديس . Med ٨٢٥ : Ερεχθειῶν ) ثم θεῶν παῖδες ( يا أبناء إرخنيوس الكبير الذي سوته الآلهة العليا من قديم ... ) . ولقد كان مفخرة الأثيني الأكثر ديموقراطية ، في عصر متأخر ، أن يكون مولوداً « من مواليد البلد » ( αὐτόχθων ) ؛ فنكوت Polis من ١٢٥ و ١٤٧ ؛ ماير الجزء الثاني فقرة ٢٠٣ . وقد أوضح هذا المؤلف أن هؤلاء الملوك « سلالة زيوس » ذوى النسب الرفيع يبدو أنهم كانوا وفعالاً اليونان . فاليهود والعرب يرجع تسلسلهم إلى أب الجميع : أب الجنس كله ، فنلا عن « إبراهيم » أو عن « إسرائيل » الذي يعامل عند اليونان هيبان . ولا يجرؤ بنيامين أو حتى ليفي أن يدعى نسباً خاصاً به ، كأصل له ، مثل هيراقليد أو نيليد .

إننا لا نرى فيما كتبه هومر وبندار ، اللذان يمثلان أدب هذه الفترة العظيمة ، إلا القليل عن اليونان في القرون الوسطى . فلا نرى سوى هؤلاء الملوك وأتباعهم الذين احتكروا لأنفسهم كل ما في عصرهم من الأبهة والمجد ، كما احتكروا السلطة في عصرهم . فالخكومة كانت ، كما يقول توكيديدس ، « في أيدي ملوك يتوارثونها ، لهم امتيازات خاصة محدودة » . فإذا كانت الملكية هي كما نفهمها الآن ، فمن الصعب ، بل من المستحيل أن نفسر كيف حدث هذا فالجماعة التي تتكون من أسرات ذات نظام قبلي ، لا تكون تربة صالحة لقيام ملكية وراثية . ولكننا يجب أن نحاذر من أن نوسع الشقة بين هؤلاء الملوك ورعاياهم ، ، فقد كانوا ملوكا بمعنى خاص وضيق جداً . وملكيتهم كانت تسمح بوجود درجات متفاوتة . فشلا يمكنك أن تتكلم عن ملك « أكثر ملكية » ، من الآخر . وهناك ملوك أفقر من كثير من رعاياهم العاديين في المدينة ، بل إن أبناءهم المرشحين ليكونوا ملوكا في يوم ما ، لم ينجلوا من العمل في الحقول ، أو من الخروج (مثل داود) لرعاية الأغنام . وعندما ذهبت أئينا لتقابل أوديسبس لما نزل إيثاكا ، أتته في زي شاب من الرعاة ، « له تقاطيع رقيقة مثل التي لأبناء الملوك » . فأنت تستطيع إذن تمييز الأمير من غيره من الرجال العاديين ، وهو جالس ينفخ في مزماره لقطعانه — تميزه بملاخ وجهه ، لا بملابسه . وهكذا تغنى شاعر الملحمة معنيا بستمعيه كشأنه أبدا . ولكن ما من أحد يستطيع أن يميز البطل الهرم لايرتس وهو يعمل في حديقته مرتدياً القفاز ، ومنتعلا الخذاء الطويل ، من الفلاحين الذين كان يعيش معهم <sup>(١)</sup> .

مثل هذه الملاحظات ومثبات غيرها ، كانت تخفى عن القارىء العابر ، وراء ما في الملاحم من عظمة الأسلوب السلس ، أو وراء لغة الإنجيل الإنجليزية التي

---

(١) الأوديسة ، ٢٤ — ٢٢٦ ، ١٣ — ٢٢٢ ، ٢ — ٧٧ ( أنظر ٣٨٦ حيث استعار تلماخوس سفينة من أحد العامة ) ، ٢ — ١٢٧ ، ثم أنظر هيرودوت ٨ — ١٣٧ ( الملكة التي تقوم بطهي طعامها بنفسها ) . أما فيما يتعلق بالبازيليتروس βασιλευτέρος فانظر الإلياذة ٩ — ١٦٠ و ٣٩٢ ثم ١٠ — ٢٣٩ والأوديسة ١٥ — ٥٣٣ .  
(م — ٧ الحياة العامة اليونانية)

يصوغها المترجم الحديث . فهذه الملاحظات تساعد على ربط أبطال هومر بالحياة العادية في عصرهم . وقد كدنا أن ننسى ، لولا أن ذكرنا الأستاذ صمويل بتلر بمناقضاته الرائعة ، أنه من الغرابة بمكان أن يطلب ملوك مثل مينلاوس من ضيوفهم إحضار طعامهم معهم ، وأن يباشر الأميرات غسل ملابس أخواتهم . والحقبة أنه لم يكن في شبه جزيرة اليونان الأصلية ، على أية حال ، فوارق كبيرة بين النبلاء والشعب كما توحى قصة الملحمة إلى خيال رجل الشمال . هذا وقد استمرت تلك المساواة القبلية القديمة قائمة ، باستثناء القانون والسياسة ، رغم التأثيرات الجديدة للثروات والرتب . وقلنا يوجد ، حتى في لاسيديمونا حيث عاش هيلين ومينلاوس في مستوى عال ، أى أثر للأرستقراطية باقى فى التاريخ ، فيما لدينا من وثائق . فقد محتها نظم ليكورج تقريباً من الحياة الإسرطية . أما فى أتیکا فقد كانت هناك عائلات أرستقراطية أمثال الفيلايدين والألكايونيين المميزين بأجدادهم . ومع ذلك فقد مهد ذلك العصر الوسيط لقيام ديمقراطية القرن الخامس ، التى لم يكن من الممكن قيامها على أساس فصل الطبقات . إن التشابه الانجلىزى المعروف ، الذى قد يضلنا ، ربما يكون أكثر انطباقاً على هؤلاء الانجلىز الذين أحبوا هومر . فالقوارق الاجتماعية التى عندنا ، ليست بين النبيل والرجل العادى ، ولكن بين السيد ، أو السيدة ، وبين الرجل ، أو المرأة . أو بالتعبير الانجلىزى القديم بين المهذب ، و الساذج ، ، هى فوارق عريضة جداً ترجع إلى عهد متناهية فى القدم . فنحن إنما نتقدم ببطء ، وبشعور ذاتى مؤلم ، نحو جو الديمقراطية الحقة الحر . ووراءنا ، بل لا يزال كامناً فى زوايا أفواننا ، ذكريات مجيدة لعهد الإقطاع بنظام طبقاته المتتالية ، لا تلك المساواة السهلة البسيطة التى كانت للقريه القبلية . فلم يعرف الأرستقراطى اليونانى ما عندنا من تقاليد اجتماعية تفصل الطبقات عن بعضها البعض ، لأنه لم يكن له ما لدينا من مصادر الثروة ، ولا عرصات الدرجة الأولى ، ولا منات غيرها من وسائل المتعة والرفاهية ، للاحتفاظ بتلك التقاليد وتوكيدها . وذلك لأن عجالات اليونانى ، التى لم تجد المجال الملائم لها أبداً على الأرض اليونانية ، لم تكن إلا بديلاً هزيبلاً ، بل إن فرسان الإقطاع الذين كان يفتخر بهم ، لم يستطيعوا الاحتفاظ



تيسياً، إذ تم مدة طويلة . ولكي نفهم فهما صحيحاً بندار الأرسطقراطي أو بركليسي الديمقراطي، وأولها خادم للنبله، والثاني هو نفسه نبيل، يجب علينا أن ننزع من أفكارنا ما غشاها من آثار الإقطاع . فالأثيني في القرن الخامس قد ألغى تماماً الأرسطقراطية مادة وشكلاً . فبركليسي أمكنه أن يتبع نسبه إلى نسطور أو إلى ما قبل ذلك، وكتب بندار بعد جيلين فقط قصائد يمدح بها أسرته . ولما اختير بركليسي عام ٤٣١، من أجل تقدير الجمهور إياه، ليؤنن أموات المدينة، لم يكن في نظر توكيديديس، «بركليسي الألكيايوني»، بل كان «بركليسي خانتيبيوس». وهكذا صار المركز السبورى مجرد روبرت سيسل . ففي ذلك الوقت كانت أثينا قد ألغت الألقاب الموروثة إلا فيما يتعلق بقليل من الكهنة<sup>(١)</sup> .

(١) فيما يخص التسمية الأثينية أنظر من ١٥٧ فيما يلي . كان مجلس الشيوخ الأرسطقراطي مقصوراً على الشيوخ الإرسطقراطيين الذين من عائلات معينة، ولكن لم تظهر مطلقاً، لهذا الأثر الموجب من النظام القديم، أية أهمية . وفيما يخص الفروسبسة أنظر توكيديديس ٧ - ٢٧ - ٥ وكذلك أرسطو - السياسة ١٢٩٧ ب ١٨ . وكانت الحيل ضرورية لليونانيين ضرورة السيرة لنا (توكيديديس ٦ - ١٥ - ٣) . وكتب صمول بلتر *The Authoress of the Odyssey* وترجمته للابن-إذة والأوديسة، كتب شهرتها قليلة للغاية . وقد أبرزت لفته الإنجليزية السهلة كثيراً من النقط التي يمكن أن نفوتنا ملاحظتها وهي في ثوبها اليوناني . أما الفقرات المشار إليها فيما سبق فهي الأوديسة ٤ - ٦٢١ ثم ٦ - ٦٤ . ويوجد مصدر ثانٍ أخطأ فهم الأرسطقراطية اليونانية غير ما قد أشرنا إليه من قبل . فنحن نحاط الأرسطقراطية اليونانية في المصور الوسطى وفي بندار «بالأوليغارشية» التي عرفت في النراج الدستوري في القرن الخامس . وهكذا غالبنا في عمق العناصر الأرسطقراطية وحياتها في دولة المدينة . فأرسطقراطية العصور الوسطى «أوليغارشية» القرن الخامس يمتد إلى أطوار مختلفة في تدرج دولة المدينة «أوليغارشيون» (الذين بلا شك لقبوا أنفسهم أحياناً بالأرسطقراطيين) كانوا حزباً سياسياً في دولة حكمها دستوري، وكان برنامجهم الحد من الانتخاب ليس بالنسبة للنبله بل بالنسبة لأصحاب الأراضي والأملك، ضد النجار والصناع الفقراء . وكان شعارهم كلمة لم يسمح بها أبطال هومر، لأنه افترض وجود دستور مكتوب، فبإستهم ادعت أنها هي العدالة *إسُونُومُوس*، وتوفير «المساواة أمام القانون» . وستلناهم ثانية في الفصل الخامس عندما يكونون قد ساهموا بتبنيهم في تدرج دولة المدينة في عهد بركليسي، ثم ينتفون من الميدان . ثم مصدر ثالث لسوء فهم الأرسطقراطية، وهو مزود بلا شك بالنظريات الأرسطقراطية لعماسفة القرن الرابع «فللهذب» هو «الناج» هما انقسم الصحيح القديم في الحياة الإنجليزية . ويقال إن «البلاء» هو «الشعب» في الجماعات الإقطاعية في القارة الأوروبية . أنظر مثلاً من كتاب *England under the Stuarts* لؤلؤه Trevelyan .

هؤلاء هم إذن النبلاء الذين رأيناهم جالسين ، عليهم وقار السن والمركز في مقعد الحكم الهومري . ولكن هؤلاء المتخصصين ، من أى الرجال هم ؟ وما الذى جعلهم يخضعون لقرارات هذه المحكمة ؟ للأجابة على هذه الأسئلة يجب أن نترك هذه المدينة الجديدة النشأة ونرجع مرة أخرى إلى القرية القديمة .

إن التاريخ الأسطوري لاتيكا في عصورها الأولى يقسم السكان ثلاثة أقسام - النبلاء والملوك والصناع . وإن مجرد ذكر الأسماء ليساعدا على أن نذكر أن هناك عالما آخر بجانب هذا الذى يعرفنا به شعراء الألياذة والأوديسة . ولحسن الحظ ترك لنا هذا العالم الرجل الذى ينشد ملحمة أيضاً . فى جانب هو معرف هيزويد Hesiod . فالملوك والنبلاء يلعبون دوراً ضئيلاً فى كتاب الأعمال والأيام . فنحن لم نجد نعيش فى مركز الحكومة ، نقضى أيامنا فى إصدار الأحكام فى القضايا فى السوق العامة ، ونحاول فتح شهيتنا للعشاء ، ونأمل أن يقيم لنا الكينوس أو أى ملك ، آخر من بيتنا ، وليمة فى بهو الملك ، وأن نتخلص من سأم حياتنا بتنظيم الألعاب تكريماً للغرباء البارزين ، بل لقد انتقلنا إلى دنيا أخرى أهدأ ، لاملل فيها ولاسأم ، ويظهر فيها ملوك المدينة الرئيسية ونبلؤها لا كما صورهم الشعراء ، ولكن كما يراهم الفلاح العادى . إنها حياة شاقة شديدة الارتباط بالأرض ، فى قرية أسكرا الفقيرة المتأخرة فى عهد الملك « هيلكون » ، « فهى بقعة بائسة ، بغیضة شتاء ، غير مرغوبة صيفا ، لاتصلح فيها الحياة بحال من الأحوال » . وليس لدى عرائس الفن التى يستوحىها هيزويد ، رسالة سياسية تقدمها لنا . فهن لا يتكلمن عن ضروب الولاء البطيركى القديمة للقبيلة والأخوة ، ولا عن قبائل النبلاء الذين نسلوا حديثاً من أصل مقدس . إنهم لم يسمعوا قط عن الدولة المدينة . ورغم أن حقوقهم المدنية بدائية ، إلا أنها حقيقية فعلاً ، وعلى السياسى أن يعالجهما فى الوقت المناسب . وفى عالمهم الصغير لم تكن العلاقة بين الرجل والرجل علاقة قبلية ، ولكنها علاقة جوار ، أى لم يكن أساسها وحدة الدم ، بل وحدت المكان . فلم يكن لديهم الوقت ، ولم يدفعهم الفخر لأن يتذكروا أنهم كانوا

أخوة . وإنما هم يعلمون فقط ، مثلهم في ذلك مثل الفلاحين المتواضعين في . قصص  
تولستوى القروية ، ، أنهم يعيشون ويكدون ويقاسون الآلام والمتاعب جنبا  
لجنب في سبيل الحياة . لقد كانت عرائس الفن المتواضعة في هيزويد هي  
أول من تحدث إلى اليونانيين عن واجههم نحو جيرانهم (١) .

وبين القوم البسطاء البعيدين عن مركز الحكم ، الذين يمنعهم الفقر  
المدقع والعمل المتواصل من أن يذهبوا خارج وادهم ؛ يحل الجوار محل  
« حق المدينة » تماما . إن السرعة والفوضى والسكابة التي في الحياة الحديثة ،  
هي الدوافع التي الجأت الناس إلى التسكس في صفوف من منازل يقيمونها  
في الضواحي ، ومنعهم الكبر أو الخجل الشديد من أن يستعبروا مقلاة من  
جيرانهم ، أو تدفعهم الإنسانية المحضة فيسدلون ستائرهم عند مرور جنازة  
جارهم . لم يكن عند الفلاحين في « أسكرا » شيء كبير يقدمونه ولكنهم  
أعطوا ما قدروا عليه لأسباب تنبئ عن الذكاء .

« أدع جارك ليا كل معك ، ولكن دع عدوك جانبا ،

ولا تنس أبدا دعوة جارك الجنب :

فأنت تعلم أنه إذا ساءت الأمور وتطلب الأمر عوننا من القرية ،  
هرع جيرانك إليك ، بينما ينتظر أهلك وعشيرتك ، حتى يردوا معاطفهم .  
لا تأبه إذا اعتري بعض الفتور علاقتك بابن عم لك ، فإن شر الأمور  
هو جار السوء . فرجال أسكرا الحكماء يعلمون عن خبرة ، أن شيئا ما قد يصيب  
الثور إذا ما ساءت علاقتك بالجار (٢) .

(١) « في القرية » : هيزويد Erga ٦٣٩ ، ثم « في المدينة : الأوديسة ١٢ — ٤٣٩  
٨ — ٤٠ . يدعو الكينوس إلى تصره كل الملوك ذوى الصولجانات . وبين جلوتز في (Etudes  
من ٢٥٠ ، أن القصر هنا يعني ما يسمى ( بالبرتايوم ) في أثينا . والغريباء المتازين  
والجيران ، كما يدعى سقراطى Apology ، كانوا يكرمون فيه . وكان الغناء العام الذي  
نسمع به في ناوكرانس ، هو صلة الوصل ( الجزء الثاني من ٨٠ من هيرمياس ، القطعة ٢  
في . Frag. Hist. Graec ) وكانت قاعة الاجتماع في كنيديوس ، حيث يجتمع الحكام للغناء ،  
تسمى δαμιόργιον أو قاعة الخدام العموميين .

(٢) إرجاء . Erga ٣٤٢ ، ٣٤٨ .

ففي أوقات التأمل والتروى ، إذا ما استلقوا على جنبات التلال وقت الظهيرة ، أو اجتمعوا حول نار الحداد في ليالي الشتاء ، مستعدين ما رأوه في المدينة عندما ذهبوا إليها من سنين مضت للبت في نزاع ما ، فكم يسعدهم أنهم ما زالوا من أهالي الريف . حياة المدينة زائفة غير صادقة ، ومصطنعة غير شريفة . وتقوم بيننا في أسكرا منازلنا الصغيرة التي تلوح كبيرة في حينها . فقد أقام خراف في السنة الماضية مصنعاً جديداً في أقصى القرية ، فثارت ثائرة منافسه واحتد طبعه منذ ذلك الوقت . وكذلك قامت منازعات بين التجارين . فأصغر أبناء الرجل العجوز الذي يملك أرضاً بجوار عربة البطل ، قد أقام عليها دكاناً آخر للتجارة . وهو يقول ، لا بد أن يكون هيفايستوس إلهه . هو إذ قد أصيب ، بعرج دائم يعوقه عن العمل في الزراعة ؛ فضلاً عن أنه كان مديناً للحداد بساعات كثيرة ، كماها سرور ، حتى أنه ليأبى التدخل في شؤون مهنته . ذلك إلى أن التجار الحالى قد اعتراه الكبر ، وزيادة على ذلك فإنه لم يكن حاذقاً في مهنته . فهذه الصور التي أخرجها في يوم العطلة الماضى كانت عاراً في جبين التقاليد الفنية للقرية ؛ وما كنا لندخل طرودة إذا قدر وقام هو بصنع الحصان الحشبي<sup>(١)</sup> .

كل هذا قد يكون مزجاً وخاصة بعد يوم من العمل طويل ، ولكنه خير من الحياة في المدينة حيث يبلغ الجشع بالناس أن لا يتعاونوا هم والآلهة على فض نزع بسيط على ملكية شقة من الأرض على الحدود ، أو على علامة على ظهر خروف . بل لا بد من الرجوع إلى القضاء ، وبذل كل ما يكسبون أجراً لجماعة من الملوك .

أطفال ! لم يتعلموا أن نصف الرغيف أكثر من رغيف كامل ؛

ولم يتمتعوا مطلقاً بأكلة من نبات الخبز والسريس ،

وهي أبسط وأحسن من الأكل الفاخر على أصوات الموسيقى في القصور<sup>(٢)</sup> .

(١) Erga ٩٣ ؛ (لاحظ التفرقة بين حرارة الشمس وحرارة النار) ٠٢٥ في ذلك

الوقت كانت التماثيل تصنع من الخشب ( Ζόαα ) : أنظر ميروودوت ٥ — ٨٢ .

(٢) Erga ، ٣٣ — ٤١ .

إلا أن هذه الطرق القروية المريحة لا بد وأن تتغير ، فالمنازعات لا يمكن أن تنتفض دائماً بالالتجاء إلى الآلهة والعادات القديمة . فبماذا يجب على الخصم المهزوم أن يرتضى حكماً صدر ارتجالاً وعلى غير أساس ؟ إنه يوناني يفكر لنفسه ، ومن طبيعته أن لا يوافق على شيء إلا لسبب . فهو يتطلب قاضياً محايداً يطبق حكمه بذكاء تزيده الساسة ، ففي الأيام الخوالي ، حين كان الأمر بيد رؤساء القبائل والعشائر . كانت كلماتهم عرفاً ملزماً  $\theta\epsilon\mu\iota\sigma\tau\epsilon\varsigma$  ، لا يخظر ببال عضوان يناقشهم . ولكن إذا ماتعارضت العادة مع العادة ، أو قامت منازعات بين الزملاء حول بعض الحقائق ، فإن الأمر يستدعى سلطة جديدة أكبر وأقوى ؛ دننا تبدو الحاجة إلى القانون ، ومن هو الكفء الجدير بتفسير القانون — ففي هذا الوقت لم يعد الأمر أن يكون تأويلاً ، فزمن المشرعين لم يكن قد أتى بعد — من غير ملوك جرت في عروقهم دماء قوية جديدة هي دماء أبي الآلهة . وفي عصرنا هذا ، أخذنا نتجه ببطء إلى إدراك أن القانون الدولي هو الأساس بل الضمان الوحيد للتنظيم الدولي . لننظر كيف علم شاعر ( ثيجوني ) الرجال في دنياه القصيرة أن يخطوا خطوة أوسع ، لا من الشعب إلى العالم ، ولكن من العائلة إلى الدولة . إن الكلمات التي تتناثر من بين شفاه هؤلاء الشيوخ لا تتضمن الحقوق القديمة (  $\theta\epsilon\mu\iota\varsigma$  ) ، ولكنها تتضمن أمراً آخرأ جديداً كل الجدة في حياة اليونان ، ذلك هو العدالة (  $\delta\acute{\iota}\kappa\eta$  ) .

فيقول الشاعر القديم إن « عرائس الفنون ، بنات زيوس ، يسكنن الندى الخلو على لسان كل من يرين أنه جدير بالسكريم ، ويعتقدن أنه ملك من صلب سلالة زيوس ، فتدفع الكلمات المعسولة من فمه ويتطلع إليه الناس كلهم وهو يصدر أحكاماً حاسمة واضحة عادلة . هذا الرجل بعلمه وثقته بما يقول ، يمكنه أن يهدى في لحظة ، أقوى معارضة أو خصومة . من أجل هذا وهب الملوك الحكمة حتى ينصفوا في السوق العامة كل من ظلم الرجال ، ويقنعوهم بسهولة ، وبالكلمات المعسولة . وفي غدواته وروحاته في المدينة كان الناس يطلبون

رضاءه في احترام و لطف ، كما يطلبون رضاء الآلهة . وهو في المجلس دائماً مرفوع الرأس . هذه هي الهبة المقدسة التي تمنحها عرائس الفن للبشر . فن عرائس الفنون ، بنات زيوس ، ومن أبولون البعيد مرهمي السهم ، يهبط الأرض المغنون والموسيقيون ومن زيوس أيضاً ينحدر الملوك ، فطوبى لمن أحبته عرائس الفنون ، وما أحلى صوتاً يخرج من فيه ، (١) .

هذا هو بيان الشاعر عن كيفية قيام أول حكومة قوية بين اليونانيين . وهو يفسر ، على طريقة الشاعر ، لماذا اجتمع اليونانيون في عصورهم الوسطى في المدن وامتثلوا مختارين إلى حكاهم الجدد ، وأوجدوا بذلك تقليد الطاعة لمن له السلطان أيا كان ، التي ظلت جزءاً كاملاً من تقاليد الدولة المدينة مدة طويلة ، بعد زوال تلك الهالة التي أحاطت بالملوك الأول ، مثلها في ذلك مثل غيرها من الأساطير . على أننا لدينا بياناً آخر امتثورا لأمير القصاصين ، في إحدى القصص الرمزية السياسية التي أغرم بها هيرودوت كما أغرم بها إيملخ ومينينوس أجريا وغيرهما من المفكرين السياسيين الأول - وعنوان هذا البيان « كيف اختار الميديون ملوكهم ، وإن كان قد خلا تماماً من أي شيء يخص الميديين إلا الأسماء فقط . أما الباقي فيوناني صرف كما تبين ذلك المستمعون ببطء ، لما اقتربت الرواية من نهايتها المحتومة . ولكن على القارئ العمل الحديث أن يحرص ، كالمعتاد ، على أن يفرق ( وذلك غير يسير على القصاص الممتاز ) بين النتائج المرسومة وغير المرسومة .

« كان في ميديا رجل حكيم يسمى ديوسيس بن فراورثس تملكته الرغبة في أن يعين ملكا وهاك كيف حقق تلك الرغبة . كان الميديون في ذلك الوقت

(١) هيرود Theog ٨١ - ٩٧ . يقال إن آلهة الفن هي التي كانت توحى إلى القضاة لأنها كانت تتذكر السوابق ، « كانوا يحيطون بالأقوال الحكيمه والأمثال الحديثه » . وكان السجلون ( رؤساء المحفوظات والمقود الخ ) يسمون في الوقت نفسه « بالثذكرين » ( μνήμονες ) ؛ وقبل أن تستعمل الكتابة كانت ذاكرتهم دار المحفوظات ( الأرشيف ) الحقيقية الرسمية .

يعيشون منتشرين في القرى . وديوسيس الذى سبق أن نال تكريم منطقته، ظهر دائماً بمظهر الغيور المحافظ على إقامة العدالة . وقد فعل هذا في عصر انعدم فيه القانون ، وعمت الفوضى ميدبا كلها ، مدركا أن الظلم والعدل يجب أن يظلا عدوين متنازعين إلى الأبد . فاختره الميديون من أهل قريته الذين عرفوا منهجه، قاضياً لهم . ولما كان يتطلع إلى الاستحواذ على السلطة العليا ، كان فى أحكامه واضعاً مستقيماً ، وبذلك نال مدح كثير من المواطنين ، حتى أن الرجال من القرى الأخرى ، الذين ناءوا تحت ظلم الأحكام والقرارات الجائرة ، أتوا إليه مختارين ليحكم بينهم ، وبلغ الأمر فى النهاية أن أصبح الناس كلهم لا يحتكمون إلا إليه . وبما أن الأمر صار إلى ازدياد منذ أن ترمى إلى سماع الناس أحكامه العادلة ، فقد أدرك الرجل أن كل شىء سائر إلى يديه ، وصرح أنه لن يواصل العمل فى مكانه المعتاد ، قائلاً أنه لن يحكم بين الناس إذ لن يجنيه شيئاً إهمال شؤنه الخاصة ليقضى وقته من الصباح إلى المساء لينظر قضايا جيرانه . فلما ازدادت السرقة بعد هذا وعمت الفوضى واتسع نطاقها فى القرى عن ذى قبل ، اجتمع الميديون بتشاورون فى شئون شعبهم ، وبعد ذلك ، كما أرى ، تزعم أصدقاء ديوسيس المناقشة قائلين : لم يعد فى مقدورنا أن نسكن هذه الأرض وهذه حالتها . تعالوا ننصب ملكاً علينا لتحكم الأرض حكماً صالحاً ، ونخلص نحن لأعمالنا آمنين من أى سلب أو دمار على أيدي العابثين بالقانون . وبمثل هذه الكلمات أغروا الناس بالموافقة على حكومة ملكية ، فلما عرضوا أسماء من يمكن ترشيحهم ملوكاً ، برز اسم ديوسيس من هذه الأسماء ونال القبول عند الجميع ، حتى أنهم قرروا بالإجماع أن يكون ملكهم . فأمرهم ببناء بيت خاص يناسب مقامه الملكى وأن يقيموا حرساً للحفاظة على شخصه . وما أن تسلم السلطة من الميديين حتى أرغمهم على إنشاء مدينة واحدة ، وزودها بكل ضرورى لها ، حتى يقل تفكيرهم فى غيرها من البلدان<sup>(١)</sup> .

وهنا يمكننا أن نتابع كل مرحلة في ازدياد تأثير قانون الدولة . فأولا كان ديوسيس حكا بالمصادفة ليس إلا، انتخب على أساس ما ناله من احترام وحسن السمعة ، ليقضى في المنازعات العرضية بين أفرادين ، وبالطريقة عينها كان ملك الإنجليز يفصل أحيانا بين دولتين صغيرتين ، وكذلك أحيانا يقوم بعض من لا صالح لهم من الرجال العموميين لفض النزاع بين العمال . فيعترف الناس جميعهم بهذا القاضي كرجل لاشك في نزاهته وعدم محاباته ويغدو مكانه كعبة القاصدين من المتنازعين في مشا كلهم المعقدة . ثم خطوة أخرى بعد ذلك ، فيجعل ديوسيس مجلس قضاة محكمة دائمة الانعقاد حتى لتحل محل كل مجلس مشابه لها. ثم أخيرا تتحول من مجلس احتكام يلبج المتخاصمون إليه إذا شاءوا — إلى محكمة ذات قانون تلزمهم طاعته . وعند هذه المرحلة يتقلب ديوسيس طاغية ، لأنه سواء كان العراك من أجل الكرامة ، أو من أجل الشرف المثلوم ، أو من أجل مجرد مناقشة بسيطة في أمر وقع ، فليس لأحد اختيار ، بل الكل ملزم بالتوجه إليه . وبذا ألغت قوانين المدينة الملائكة كما ينتظر أن يحدث في يوم ما أن تقضى دول العالم على الحروب — وذلك عند ما تؤمن البشرية بالدولية في العالم ، وبالحاجة العامة إلى قانون عالمي (١) .

هنا نترك سفينة الدولة المدينة وقد أنزلت إلى الخضم بمهارة ، ودفعنا في أيدي حكماها الأول الأقوياء ، لتواجه الأخطار التي تحيط بحكومة الأقلية في كل العصور . ولكن هناك نقطة واحدة يجب أن نفسرها قبل أن نمضي مسترسلين في الكلام عن الرجال الذين ذكرهم هومر في السوق العامة ، نقطة قد أثارت فضولنا أول الأمر ، وهي خاصة بأبرز الأعمال وأعقدها التي قام بها هؤلاء الحكام الأول ، أي إدخال سلطتهم القضائية في نطاق مانعرفه

---

(١) يجب ألا نخلط بين طلائع حياة المدينة ، وعدالة الدولة مثل ديوسيس أو نيسوس ( أو Numa ، سرقوس توليوس Servius Tullius عند الرومان ) وبين الطغاة المتأخرين الذين اجتهدوا في عرقلة سبيل حياة المدينة ، وأرجعوا الشعب إلى الأرض ثانية . إنهم يجيشون في التطور بعد ذلك بكثير . وفيما يخص الجلسات الممتدة طوال اليوم أنظر الأوديسة ١٢ — ٤٣٩ إلى ٤٤٠ .



اليوم بالقانون الجنائي . فقد قصد أسخيلوس من كتابه « المحادثة الثلاثية » ، أن يظهر لنا مقدار تقدم روح البشرية العظيم الذي تجسم في محكمة المدينة الجنائية الأولى . ولكننا قد اعتدنا عدالة الدولة كثيراً حتى أننا لنؤثر القتل على المحاكمة — أجايمون على ابوميندس — ونظن أن درسه أفضى إلى نتيجة عكسية . وبعد ، فليس من العسير مبدأ على الرجال وقد توصلوا إلى الفكرة ، أن يوافقوا على أن يقدموا المنازعات البسيطة حول ما يخصني وما يخصك ، أمام الكينوسى أو ديوسيس . ولكن عند ما تراق الدماء ، أو ترتكب المحرمات البدائية ، فإن الأمور تأخذ مجرى آخر . فهناك خواطر لا بد أن تهدأ وأشباح تسترضى ، ومذاهب وطقوس تمام ، قبل أن يكفر عن هذه الخطيئة . وشم عرف ظل أجيال طويلة ولم يجرؤ حتى أبولون على تخضيه ، يدفع بيت القتل إلى ضرورة الأخذ بالنار — العين بالعين والحياة بالحياة . فإذا ما حدث الاعتداء في نطاق أسرة ما كان للأسرة أن تتصرف فيه بنفسها ، وبحسب ما لديها من وسائل خاصة . وقد سارت ولاية الأب ، في اليونان كما في روما جنباً لجنب مع ولاية القانون طوال عهد الدولة المدينة ، كما هو قائم إلى الآن في الصين . ولا تقرب الزنا ، لم يكن هذا النهي في اليونان كما هو عندنا مجرد شيء يرجع للضمير ، أو هو قاعدة خلقية مخالفتها لا تعنى القضاء مباشرة ، ولكنه كان قانوناً . وهذا القانون لم تسند الدولة أو يجبر عليه . لقد كانت المدينة قليلة التدخل في شئون الناس الداخلية ، حتى أن شعارها « إنك لن تقتل » ، لم يطبق أبداً على الأجيال الناشئة ، حتى ولا في أثينا المستنيرة (١) .

ولكن إذا لم يكن القاتل أحداً فكيف يكون تصرفنا معه ؟ فهو خارج عن نطاق أسرتنا وإخوتنا ، فلم يقيم قط بيننا وبين قومه رباط قانوني أو عادة مشتركة فارتكابه جريمة قتل ، خلق حالة حرب ، فلسنا أعداءه هو بحسب بل أعداء قومه كلهم إذ هم يشتركون متضامنين في مسؤولية ما اقترفه

(١) فيما يخص قائمة الحقوق التي أوجدت سلطة الأب Pairia Potestas أنظر فوسنل دو كولانج (طبعة ١٩٠٦) ص ٩٨ . وقد اندثرت ببطء شديد في روما أكثر منها في أثينا ، أو بالأحرى في اليونان عموماً . أما فيما يخص الصين فانظر الملاحظة التي جاءت في آخر هذا الفصل .

من إثم. وقد كانت حرباً حتى نهايتها المريعة تلك التي قامت بين أورسيني وكولونا ، وبين متاجو وكابوليت. ومفروض أن تستمر بينهما حتى يكفر عن الجريمة ، (والدين يظل إلى الأبد يتراكم) ، أو إلى أن يقضى على أحد الطرفين . إن ضحايا الأجيال الغابرة تبقى ، فتولد أبنائهم وفي عروقهم دم الثأر ، مثل أرسطوس . . لقد أكل الآباء الحصرم فتضرست به أسنان الأطفال . .

وقد جاهدت الروح اليهودية مدهطويلة جهاداً قاسياً ضد فكرة المسؤولية الجماعية . وكتب أسخيلوس (الذي كان هو الآخر مصلحاً في زمنه) ، في المحاوراة الثلاثية ، ليختلع تلك الفكرة نهائياً من رؤوس الأثينيين . ولكن لم يكن من السهل أن يتحول الشياطين ، إلى آلهة رحيمة ، وأن تقودها في موكب إلى مسكنها الجديد تحت الأريوباج ، فالمحكمة الجنائية على تل أرسى لم تنشأ في يوم . وهذا الاختراع العظيم الذي تمتاز به أثينا أولى الخمايات ، كان ثمرة (مثل معظم الاختراعات) لتطور طويل شاق ليس لدينا منه إلا لمحات متناثرة . وقد انقضت قرون قبل أن تتلخص الروح اليونانية من وحشية الأخذ بالثأر .

وما الإلياذة إلا قصة ثأر ، وهي كما يصفها هيرودوت حادث ضمن سلسلة طويلة من حوادث الانتقام بين القبائل المتنافسة . ولكنها قصة اليونان وليست قصة كورسيكا وتعطينا ، كما يبين لنا جلبرت موراي ، لمحات عن كيف أن القصة قد عمرت طويلاً . ونستطيع أن نشعر بنسبات الإنسانية تهب لتطهر الجو من روح الأخذ بالثأر . فقد وصلنا إلى مرحلة من التقدم لم تعد العشائر تحارب حتى تجتث أعداءها جذوراً وفروعاً ، على حد التعبير الروماني ، ولكنهم كانوا يرتضون صلحاً بعد تحكيم شريف عادل . ويمكن أن نرى في تلك الاحتفالات التي تقام عند الصلح وإقامة السلام حيث يقبل كل جانب في احترام وتسامح العادات الصالحة التي يستمسك بها خصمه -- نرى فيها بداية القانون الدولي ، شكلاً وروحاً . ففي كل الجماعات في جميع العصور يقل تقدير الناس واحترامهم للقوانين في الوحدات الكبيرة عنه في الجماعات الصغيرة ، ويكون التقدم بأن يجعل روح الجماعات الصغيرة آرائها وعاداتها

المناسبة، تغير من الجماعات الكبرى وتلهمها . فإن الإيمان وشرب الأنخاب . والأضاحى والحفلات التي في الإلياذة ، كلها احتفالات عائلية انتقلت إلى ميدان أوسع ، كما هي الحال في مجلس الصلح بين أخيل وأجا ممنون . فالاثنان لم يولدا أصدقاء ، ولكنهما صارا كذلك . فما الذي جعل منهما صديقين ؟ يرجع جانب من الفضل في ذلك إلى العشاء المشترك ، أو القربان المقدس في الوجبات العامة . . فقدأ كلا سوياً ، فلن يشعرا بالمرارة ولا بسوء التفاهم ، ولن يعود أحدهما يسيء إلى الآخر بتلك القسوة من جديد ، مثلهما في ذلك مثل المتنافسين السياسيين . تلك هي المصافحة بين الشاري والبائع في أسواق الشرق، عند ما يصلان إلى الاتفاق على الثمن بعد أخذ ورد طويلين مليئين بالكذب والنفاق — أو ما يسمى عند اليونان المحذنين « سمفوني » . ولكنه أكثر من ذلك ، هو الشعور بأنهما صارا « أعضاء ، كل في جسم الآخر ، ، وأفراد من كل أكبر . وإن الكلمة التي تترجمها « بصدق ، أو شخص « عزيز ، ، تلك الكلمة التي كان يستعملها اليونانيون في احتفالات والتعارف ، ، لها معنى أعمق وأوثق صلة بالنفس . فهو لاتعني « صديق أو عزيزي ، ، ولكنها تعني « ملكي ، . فعندما يتكلم أحد أبطال هور عن « ركبتيه العزيزتين ، ، وعن « روحه العزيزة ، ، فهو لا يتكلم كما يقول بتكلف « يارأسى المسكين ، ، بل يقصد أن يقول ركبتيه التي له نفسه أو روحه ، كما نقول نحن عنها « قريبة منه وعزيرة عليه ، — « وهي ، تقريباً الأشياء الوحيدة التي تبقى له إذا ما ناضل وضعاً ميموساً منه . وكما يقول كاتب عصرى إن « رجل هو مر يسمى زوجته أو منزله « عزيزاً ، « لأنهما ملكه وليس لقلبه وعواطفه دخل فيهما . ولذا فإن هو مر عند ما أراد أن يستعمل كلمة « عزيز ، بالمعنى الذي نعرفه ، اضطر أن يكون دقيقاً فيقول « عزيز على قلبي ، . فالغريب إذن لا يصير عزيزاً ، إلا عند ما يصير جزءاً من جماعة الرجل الخاصة بعد تأدية طقوس دينية ، أو إذا ارتبط معه ببعض الاتفاقات . وعلى هذا فإن هكتور وأخيل « صديقان ، لفترة ، انفقا قبل مبارزتهما بخصوص التصرف في جسم

الضحية منهما . وبإدخال صور السلام هذه على عادات الحرب ، أصبحت أيام عادة الأخذ بالنار معدودات (١) .

ولنرغب الآن تواريخها . إن المقاومة الأولى التي صادقها لم تكن إيجابية بل سلبية . ففي يوم من الأيام عند مالجا قاتل إلى أهله ، تجرأ يوناني على أن يصرخ مستفهماً « هل أنا حارس أخى ؟ » ، فأصغت العائلة إلى هذا النداء ، وفكرت فيه ، ثم رفضت أن تخف للحرب قائلة : فليعان نتيجة فعلته ، وكما أخطأ وحده يجب عليه أن يقابل أعداءه وحده . وهكذا أوصدوا الأبواب دونه ، ولم تأخذهم به رحمة وتركوه لما هو مقدور عليه . وبذلك يبق له سوى أمل واحد — محسمة جديدة عادلة غير متحيزة .

ولكن الأمر يتطلب شيئاً آخر لدفع رجل القبيلة نحو هذه المرحلة ، إلى التقدم ، والكفر بتلك التقاليد ، . وكان ذلك هو ظهور نظرية دينية جديدة ، هي الفزع ، المادى ، من الدم نفسه ، ومن عدوى ذنب إراقتة . وهذه فكرة جديدة لم نجد لها في أشعار هومر . فقتلها خوس في طريق عودته إلى

---

(١) الألباظة ٧ — ٣٠٢ و جلوتر Etudes ص ٢١ — ٢٢ ، وفي الألباظة ٩ — ١١٥ نرى أن أجا ممنون لم يكنف بأن يمنع أخيه ، «تويضاً» ماديا «غير معدود» بل كان على استعداد أن يعوضة بكل سخاء عن «الخسائر المعنوية والعقلية» بأن «يبسوله بكل ما في نفسه» ، (كما نمر عنه لغتنا تعبيراً واضحاً) .  $\alpha\alpha\sigma\acute{\alpha}\mu\eta\nu$  (الإلباظة ٩ — ١١٦ ، ١١٩) ، تحتاج هذه الكلمة إلى لفظ قوى يظهر معناها جلياً ، بالنثر الإنجليزي السهل . أما فيما يخص الإلباظة عند هيرودوت فأنظر الجزء الأول الفصول ١ — ٤ . ففقاته التي تنتمى إلى القرن الخامس لانتس طبع أن تدرك إصرار الناس على الأخذ بانثار فجايتة باختراف أيو (lo) ومبدياوهياجر لأنه «من الواضح أنهم لم يكونوا ليخترطوا لو لم يكونوا يرغبون في ذلك» . ومن الطريف أن نلاحظ الاستعمال الذي استمد من الصور التي تعطيها كلمة « معزة » (  $\phi\iota\lambda\acute{o}\tau\eta\varsigma$  ) في مناقشات الحرب البلو يونانية . وقد كانت العلاقات الطبيعية بين أثينا وحلقاتها هي علاقة الزدة ، كما ورد في المرتبة ( ٢ — ٤٠ — ٤ ) . فن المنطق والمدل إذن ( ما داموا قد قبلوا أثينا كمراس العائدة ) أن يعاقب الناثرون من أهل ميتلين بمنتهى الشدة التي يملكها « الضاغمة » أوروبا البيت . وهكذا كان يجادل كل يون متبماً وجهة نظر كثير من السادة الذين سبقوه والذين جاءوا بعده ( ٣ — ٤٠ ) . ويتهرب معارضة ديودوتوس كل التهرب من المجمع الحقيقه والتقاليد القانونية الخاصة بشئون البيت ، ويئاتش فقط لباظة هذا العمل المقترح ، وانفضاه من الناحية العملية . وقد كان حديثه بعيداً عن الورع ، ولسكنه مع ذلك مستدير لانفاية والشئ الوحيد أنه ليس ساخرأ ( كما يبدو من أول نظرة ) .

الوطن من اسبارطة، أنزل معه في السفينة قاتلا كسافر دون أن يرى في ذلك ما يدعو إلى تأنيب الضمير. ومرعان ما اعتبرت هذه النظرية كغيرها من المذاهب الجديدة الكثيرة، وبخاصة في دائرة الدين، مناسبة من الوجهة الاجتماعية، وآمن بها الناس بشكل جدي من الناحية الأخلاقية. وأنا لنقرأ قصة أوديب ونفكر في الملك الشحاذ المدنس، الذي أجهد سوفوكليس نفسه لإظهار حسن نيانه كشخص بداني راح ضحية خرافة غير معقولة، كما كان يعتقد بعض اليونانيين المتأخرين. ربما تكون هذه بدائية بالنسبة لنا، ولكنكم لم تكن كذلك بالنسبة لليونان. فاليونانيون الأول الحقيقيون، أي رجال هومر الذي ذكروا في الإلياذة، عاشوا كثيراً في جو القتال والخطر فلم يعودوا يشعرون بالاشمزاز من رؤية الدم المراق. فالأحداث التي تقع كل يوم في عصر ما، تنقلب إلى قصص خيالية في العصر التالي. وديروودوت وجهوره في القرن الخامس كانوا مغرمين كرجال الإلياذة بسماع قصص الدتل، ولكن في القصص التي كان يقصها عليهم، كما هي الحالة في ألف ليلة وليلة، لم يكن من المنتظر أن يشعر القتل بالتأنيب، لأنهم لم يوجدوا فعلا. لقد نسي الناس تماماً أن أوديب في أقدم رواية، لإحدى قصصهم المحببة إليهم، قتل أباه وتزوج أمه، وحتى بعد أن اكتشف هذين الأمرين الفظيعين سمح له بأن يواصل العيش بين مواطنيه، وأن يستمر في حكم طبيه<sup>(١)</sup>.

(١) الأوديسة ١١ — ٢٧١ وما بعدها (الرواية الأولى لقصة أوديب) : الأوديسة ١٥ — ٢٢٢ وما بعدها وخاصة فقرة ٢٥٧ (قبل أن تنشأ فكرة جريمة القتل) : هيرودوت ٣ — ٥٠ إلى ٥٣ (قصة عن تشبهاً بالبقاء). فيما يلي تصور جريمة الدم كما كان أول نشأتها حسب وأى جلوتز Etudes ص ٣٩، في النصف الثاني من القرن الثامن. انظر فيلامونيس في مقدماته لترجمته لإيومينيدس وأوديب الملك. في مقدمة الأخير أوضح كيف أن «سوفوكليس التمسك بالفن» على خلاف رجال الفكر في عصره، بتعصب لفكرة جريمة القتل التقليديه، ولكنه يؤكد في كل ما يقصد براءة وصفاء مشاعر أوديب على طول الحاء وفي جميع التفاصيل. وهنا بالتجديد نقطة الأساة، فشكل سوفوكليس تنصب على مسألة المماناة، على حين أن مشكلة آخيل هي الخطيئة. إن التمرد على رؤية سفك الدماء يمكن أن يؤدي إلى حدود الحس وإنهزام الشعور، حتى بين رجال نشثوا في وسط متدين، كما بين لنا ذلك عندما نقرأ عن الأعمال الحربية أو أخبار الاستكشاف. فلم يكن نمة شعور بجريمة القتل عند هؤلاء الأورويين

وبين قصة أوديب القديمة هذه ، وقصص هيرودوت القصيرة المرححة الصريحة ، يقع عصر الجرائم الذى ثقات فيه جريمة إراقة الدم على نفوس الرجال ، وأوحى إليهم بما يشبه الانقلاب على القاتل والقتل . لقد لوثوا أيديهم بدماء بشرية لا تقوى كل عطور بلاد العرب على إزالة آثار الجريمة منها . فيجب أن يفصلوا من أجلها عن حياة الناس العامة إلى أن تجدهم الآلهة مخرجاً ، وتظهرهم من آثامهم تطهيراً . وأنا لنعرف هذه الدرجة من الشعور بالنسبة للجرائم التى ترتكب ضد المجتمع ، لأن ذلك لا يزال قائماً بيننا منذ عصورنا الوسطى ، وليس من الصعب أن نشير إلى جرائم لا يزال المجتمع يحتفظ لها بالأجراس والكتب والشمع ، من العهد الاقطاعى . وهى فى جملتها معية ، لكنها فرادى لا تستحق أدنى لوم فى ذاتها . وتفكيرنا الحديث يرى أن التحريم نظام وحشى بعيد عن المدنية ، ولكنه مع ذلك أرق وأكثر

---

== الذين تستخدمهم شركات بوتومايو لطلب المطاط ، فلا بد أن كثير منهم قد « رجعوا » إلى مستوى من يقاومونهم من اللوحشين . فهذا ، مضافاً إليه ما اكتسبناه من العادات الفكرية من طول إقامتنا فى بلدنا التمدين ، قد يبرمصاص خطيرة بالنسبة للسياسة الاستعمارية التى تتبعها الدول الديمقراطية الحديثة . إنه لأسهل على الذين يعيشون فى المدينة أن يروا المناطق المدارية خلال رواية مبهمة ( يقرأونها ) فى كتاب القصص ، عن أن يعملوا فكرهم فى الحقائق بأنفسهم . وهكذا الميل إلى القصص الغيب المثير يزيد الأمر صعوبة على الدموقراطية المتعدنية أن تحكم ، امبراطورية غير متمدينة حكماً عادلاً ، وكما حسنت الرواية الخيالية زادت الصعوبة شدة . وقد كان ذلك حقيقة فى روما بالنسبة لكتاب تعليقات قيصر ( Commentaries ) رغم أنه لم يكن قصة خيالية ، بل أغلب الأمر أنه كتب عمداً من أجل « الرجل الذى يعيش فى الفرنجة الإيطالية » . وكما هو الحال بالنسبة لرواية « الجنود الثلاثة » Soldier, Three « وكوز الملك سليمان » . وخبر الروايات الدامية التى رواها هيرودوت هى « رامبديتوس ( Rhampsinitus ) والصوص ، وهى قصة قتل أخوه وتشويه ، ومقابلات فى منتصف الليل ، تنتهى بزواج البطل بانية الملك . وهى قصة هامة من حيث أنها تبين أنه حتى المستعمرين المثقفين لهيرودوت ، كانوا غير مرتاحين للجنس التى لم تدفن ؟ ففتلك أخاك أمر عادى ولكن أبسط ما يجب عليك هو أن تقوم بدفنه . فهل هناك ثمة تشابه فى مجال تفكير القارىء الحديث ؟ ربما لا ، إذا ما عولج الأمر بشيء كثير من عدم الحدية والاهتمام . وكذلك لقصتى « رامبديتوس والصوص » أهمية أيضاً ، إذ ترى نواة القصص البوليسية الحديثة . ولكن جمهور هيرودوت لم يكن قد فوصل بمدى الحد الأقصى من السفطة والتوقر الذى يلقه سكان مدننا الحديثة ؛ إذ أن شعورهم الطبيعى وعطفهم كان فى جانب اللص ، الذى يحبط لهذا كل الجهود التى تبذل لضبطه .

إنسانية مما حصل محله . وفي الطريق البطيء الذي تسلكه الجماعة لتحديد المسؤولية الشخصية ، مرحلة يكون من الأنسب فيها أن يموت الفرد في سبيل الشعب ويبقى الشعب حياً لا يموت (١) .

ولكن إذا كان تصور الجريمة من ناحية الطقوس الدينية جائزاً في مرحلة معينة ، فهو كما سنرى بعد ، لا يزال بعيداً عن النواحي الأخلاقية . وليس من المستغرب أن تؤدي حتماً بسهولة في ذلك الوقت ، كما هو الآن ، إلى ورع لا شك فيه ، وإلى سفسطة الكهنة والمنجمين . فإذا أظهر لنا أجاثون ، شخصية النبية كاسندرا ، الموصومة والبريئة التي ارتعدت خوفاً من أبهاء ابن اترس المطلخة بالدماء كما ترتعد من القبور ، فإنه يخبرنا أيضاً عن النبي كالحاس الذي قتل أو بالأحرى ضحى بإفينا . وقد أورد توكيديس مثلاً لهذه الطقوس . فالسكايون ابن أمفياراوس قد قتل أمه فزوده أبولون بنصيحة تصونه من الانهيار . فكان عليه أن يبحث في اليونان كلها عن أرض لم تشرق عليها الشمس وقت ارتكاب الجريمة . وقد كان من الذكاء بحيث استطاع أن يحل اللغز واستقر وعاش فيما بعد سعيداً كملك على الأونيات عند السهول الغرينية الجديدة عند مصب نهر أخيلوس . وحتى هيرودوت نفسه كان أكثر مرحاً ، فيخبرنا عن رجل في فريجيا وصل إلى بلاط « قارون ، بيدين مدنستين ، فقد أمت به كارثة عائلية . فقال « أيها الملك — إني ابن أحد أصدقائك ، اضطرت أن أرحل عن وطني لأنني قتلت أخي ، فأجابه الملك « لقد أتيت أصدقاء ، ولن تحتاج إلى شيء وأنت بينهم ، فخفف عنك ما استطعت وستجد نفسك أحسن حالاً (٢) .

(١) انظر وجهة النظر هذه التي أوضحها والد كلتيمنسترا Clytemnestra العجوز المحترم فيما يتعلق بقاتلي أجاثون المروفين في يورويديس Or. ٥٠٠ . إن مسلك أورستيز القويم كان أن يطرد أمه أما أن يقتل ابنتها الوحيدة فلم يزد الأمر إلا سوءاً . التحريم : سوفوكابس O. T. ٢٣٦ ثم أنتيجون ٢٠٣ . وهو يصدر بالتأكييد من الدولة لا من الكنيسة .

(٢) توكيديس ٢ — ١٠٢ وهيرودوت ١ — ٣٥ ولم تعرف الأدبية ( ١٥ — ٢٤٧ ) شيئاً عن جولات السكايون ، وأسخيلوس Ag. ١٣٠٩ ، ١٣١١ ، ١٢٢ ، إلى ٢٥٩ ، انظر أيضاً ليف Leaf في كتابه « هومر والتاريخ » ( Homer and History ) ص ١٦٥ مع خريطة تبين سهول نهر أخيلوس .

ولكن ليس كل الناس مثل الكمايون فيما واتاه من الحظ ، فيغسل عن نفسه أثر تلك الفعلة ويجد مأوى من قاتليه . فإذا ما تنازل أهل المقتول عن ثأره فذلك لا يعتبر تكفيرا عن الذنب فالثار قائم ولكن الأمر صار حربا ضد فرد واحد بدل أن يكون ضد قبيلة بأكملها .

وهنا يبدو أن الدولة المدينة وحكامها قد تدخلوا عند هذه النقطة لأول مرة بشكل حاسم ، في الأمور الجنائية . ونحن لانعرف كثيرا عن التفاصيل ولكن اكتشفت وثيقة هامة أزاحت الستار عن الدور الذي قام به هؤلاء الحكام الأول في محاولتهم النهوض بمسئولياتهم . هذه الوثيقة تحوى أولا ، لائحة نعرفها ، لدولة المدينة « عن إنصاف المظلومين ، - وهي أصل تلك النظم التي تكلم عنها بركليس في أثينا . وهذه الوثيقة نص محفور على لوح رقيق من البرونز اكتشف في أولومبيا عام ١٨٨٠ . وهو : « السلام والطمانينة لأرض الوطن والأسرة وسلع الملعونين . إذا أصدر شخص إشهارا مقدسا ضد أى رجل من ( إليس ) ممن يتمتعون بالحقوق المدنية ، وفشل الحاكم الأعلى والملوك في أن يطبقوا وسائل العدالة فيجب على كل من وقع عليه اللوم أن يدفع عشر مينات إلى خزانة زيوس الأولمبي المقدسة ، . ثم يلي ذلك بعض تفاصيل صعبة القراءة . ويختم النص بهذه العبارة « هذا اللوح مقدس في نظر الآلهة في أولمبيا (١) » .

ولا يزيد طول هذه الوثيقة على عشرة أسطر ، ولكن كل كلمة « دورية ، غامضة في هذا النص ذات قيمة . فهذه دولة إليس تحمى أى « الكمايون ، وأى «أورستوس» ، في شعبها ، وتقرر عقوبات على حكامها إذا لم يتمكنوا من أن يكفلوا له محاكمة عادلة . ومن هؤلاء الحكام واحد يشغل وظيفته ديمبورجوس  $\delta\eta\mu\iota\upsilon\rho\gamma\acute{o}\varsigma$  أى عامل عام . وهو نفس الاسم الذى يطلقه اليونانيون

---

(١) « لقد جمعت القوانين لخاص الدين هم مضطهدون وضمت إلى القوانين غير المكتوبة » في توكيدس ٢ - ٣٧ - ٥ ، ( إن استعمال المضارع هنا قد حير بعض الشراح ) . وفيما يخص نص أولمبيا والتعليق الكامل عليه أنظر جلوتز في Solidarité ٢٤٨ وما بعدها .



القدماء على الصناعات عندهم — كالحديد الذي يزود المدينة بحدوات الخيل ،  
والفخار الذي يمدّها بما يلزمها من أواني للماء . فهذا النص يفسر لنا لماذا  
نجد حاكماً في مثل هذه الجماعات . وهو أيضاً رجل يقوم بالخدمات العامة التي  
تتعارض مع الخدمات الخاصة ، هو يأخذ جانب الدولة ضد القبيلة  
والعشيرة . وقد بقي هذا الاسم كذكرى لخطوة عظيمة إلى الأمام في الحياة  
السياسية اليونانية (١) .

ويقول العالم الفرنسي الذي نأخذ عنه هذا « التفسير » إن لهذا النص قيمة  
لا تقدر ، لا من جهة دراسة القانون اليوناني ، ولا من جهة دراسة القانون المقارن  
فحسب ، ولكن لأهمية مكائته من تاريخ الأفكار الأساسية التي تقوم عليها  
الجماعات الحديثة . ولما أن وصل رينان مؤرخ بني إسرائيل العظيم في تاريخه  
إلى نقطة الإصلاحات التي نص عليها القانون العبري عام ٦٢٢ ، بعدما أكد  
الأهمية الكبرى للمادة التي ألغت قانون عقاب « البديل » ، إتجه إلى  
اليونان يسألها عما كان عندها في ذلك الوقت من قوانين تقابل به فجر العدالة  
الذي بزغ نوره على بيت المقدس . وما كان لليونان أن تخجل من مواجهة المقارنة ،  
فهي تستطيع الإشارة إلى قانون دراكون الذي كان ، بكل ما يحويه من  
تشدد مع الأفراد ، خطوة في طريق التقدم . وتستطيع أن تشير إلى جانب

---

(١) فيما يخص كلمة *δημοῦργοι* ديمبورجوي «حكام» ، انظر توكيديدس ه  
— ٤٧ — ١٠٩ — ٥٦ — ٢ ، ثم I. A. G. ، ١١٣ ، ٤٧١ ، ٤٤٤ وخاصة  
٥٠٦ ، حيث توصف امرأة بتلك الكلمة ديمبورجوس *δημοῦργός* في  
( اسبندوس ) في القرن الثاني ق م . وفي موسوعة Pauly فاعمة كلمة . وقد اشتقت  
كلمة ديمبورجوس من ديموس *δήμιος* بمعنى «عام» ولست من *δήμος* أي « الشعب » . إن  
التفرقة بين الواجبات العامة والخاصة كان أمراً معروفاً عند اليونان في ذلك العهد ، ففي الأوديسة  
مثلاً ٣ — ٨٢ ( عندما يسافر تليماخوس في أمر خاص لا في أمر عام ، أنضرك كذلك ٤ —  
٣١٤ ) . والعمال العموميون عند هومر يشملون السكينة والأطباء والنجارين والبنّين  
والشعراء والمنادين ، ولكنه بعد تفكير ، طرح جانبا الشحاذين ( الأوديسة ١٧ —  
٣٨٣ ثم ١٩ — ١٢٤ ) . ولكن أهم ذكر للديمبورجين *δημοῦργοι* هو ما جاء  
في النص الذي اكتشف في ماسينا) وذكره فيلاموفيتز في كتابه A. A. الجزء الثاني ص ٤٨ ،  
إذ ينص على أنه حين لا يكون حكام ، يقوم بعض الموظفين الدينيين *ἱερομνήμονες*  
بعهام القضاء . إن هذا يوحي بسؤال بديهي ، لماذا لم يمثل رجال الدين كما في إسرائيل ؟ =

ذلك ، إلى تلك الوثيقة الأصلية من ماضيها ، التي بها يصرح رجال الغرب ( ربما كان ذلك في نفس السنة التي صرح فيها رجال الشرق ) ، أنهم لن يسمحوا بعد ذلك أن يعاقب الولد بدل أبيه ، ويعلنون مبدأ المسؤولية الشخصية العظيم ، أن هذا اللوح مقدس في نظر آلهة أولمبيا ، . نعم هذه اللوحة مقدسة ، لأن قرار حكومة إليس يكون في وقت واحد مع سفر التثنية حلقة مزدوجة في السلسلة الذهبية التي تنتهي باعلان حقوق الإنسان (١) .

ولكن قد آن لنا أن ننقل من الحقوق إلى الواجبات .

== فيقومون بتأويل ثم بتعنين أو بالإيحاء بالقانون؟ لماذا لم تكن أولمبيا أودانف كما كان بيت المقدس . أو روما في العصور الوسطى ؟ بدلا من تطور النظم السياسية اليونانية ( التي ارتبطت بها طبعاً الديانة الرسمية ارتباطاً قوياً ) كلية في اتجاه دنيوى . إن الفكر السياسي من عهد سولون إلى أرسطو كان أيضاً دنيوياً إذ أنهم كانوا يفضلون الرجل الملائم على القسيس ، كما كانوا يفضلون أن يفكروا في هذه الدنيا بدلا من التفكير في الاستعداد للحياة الأخرى .

(١) جلوتز في Solidarité ص ٢٥٩ . إن الانتقال من عدالة العائلة إلى عدالة الدولة . يجرى في الصين الآن . وإنه من الطريف أن نسمع على أى شكل يكون في ربوع قريبة منا . وقد ناقش أحد الكتاب العارفين ، عما ك الدولة الجديدة المقترح تكوينها هناك ، في مجلة Nation ( ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ ) قائلا : « إن السؤال الذى يواجهنا هو : إلى أى حد تتمكن الحكومة من تنفيذ قانون العقوبات في القرى وأن تجعو من تلك المحاكم الجديدة ضروب . مخالفة القوانين التي كان يعالجها في القرى الشيوخ أنفسهم من أجيال عدة ؟ فشيوخ القرى . هم في الحقيقة حكام ينتخبهم رؤساء جماعات العائلات الذين يعيشون فيها بدون تدخل من الحاكم أو القائد العسكري في الأقاليم ، وأحيانا يصدر هؤلاء الشيوخ أحكاماً بالإعدام . ومن رأي أن هيئة العدالة في القرية التي تنشأ من سلطة الآباء المطلقة ( أو التي تكاد تكون كذلك ) على حياة أطفالهم وذراريهم أو موتهم — أفضل من سلطة المحاكم الرسمية . فلو كنت صينياً لفضلت المحاكمة أمام محكمة مكونة من أعمامى وأجدادى على أن أطاح أمام محاكم مثل ما ك Yamens التي سبق لى أن عرفت شيئاً عنها .

## الفصل الرابع

### تطور حق المواطن الرفق أو حكم الدين

(الحكمة σωφροσύνη)

στέργοι δέ με σώφροσύνα,                      الحسنة عزيزة على ،  
δῶρημα κάλλιστον θεῶν.                      إنها أحسن هدية من الآلهة .

ابوريبيدس — ميديا ٦٣٦ .

هبتنا من لدنك ، يامن جللتنا بحكمة التواضع ،  
روح التضحية بالنفس .

(وردزورث)

عرفنا كيف تعلم اليونانيون بالتدريج أن يكونوا مواطنين ، وأن يخضعوا  
أنفسهم لسلطة الحكام الشرعيين . وعلينا الآن أن نبحت المشاكل والصعوبات  
التي يتضمنها خضوعهم هذا ، وأن نراقب كفاحهم الطويل في التخلص من  
النير الذي ارتضوه ، فهنا قد اكتسبت دولة المدينة النامية خبرة بالصعوبات  
وفازت بالحسنة السياسية التي طبعت روحها وتاريخها في القرن الخامس  
بطابع دائم .

يبدو لنا من تاريخ الدول المتحضرة أنه مامن قسم من أقسام المجتمع ،  
سواء كان ذلك القسم عائلة أو جماعة أو طبقة أو جيشاً أو طبقة كهنوت ،  
مهما كان مثقفاً أو حكماً أو متسامحاً أو غير أناني ، يمكن أن يعهد إليه لمدة  
طويلة ، بسلطة الحكومة بما فيها من مغريات ، دون رقابة أو مسئولية .  
وقد تعلم اليونانيون هذا الدرس من ارسقراطيين المتسلسلين عن زيوس .  
فهم لم يكونوا ديمقراطيين بطبيعتهم ، كما يقال عنهم غالباً ، بل صاروا كذلك  
بالضرورة . فالطبيعة والبيئة والتقاليد ، دفعت بهم إلى الإيمان بالمساواة

والإخاء . أما تقدمهم الذى دفع بهم إلى حكومة ذاتية فقد كان بطيئا وشاقا .

مادامت محكمة ديوسس لم تعد أن تكون محكمة تحكيم ، فقد كان لديه كل الأسباب التى تجعله عادلا فى حكمه . فان لم تكن أحكامه نزيهة عادلة فقد زبائنه الذين يحتكمون إليه ، ولكن لما صارت سلطته ملزمة بدأ الإغراء وأصبحت وسيلة الكفاية أداة للظلم والاستبداد .

لا يمكننا أن نتبع تفاصيل تلك المرحلة ، ولكننا نعرف نتائجها . فهى مكتوبة بالخط العريض فى تاريخ اليونان فى القرن السابع . فهذه النتائج وما حوته من أزمات مؤلمة ، يبدأ التاريخ القصصى لليونان ، فترفع الستار عما يسميه الشاعر البيوشى القديم العصر الحديدى — وهو جيل من الفوضى والحيرة والارتباك — لم تتلاءم نظمه مع مقتضيات الاتجاه الطبيعى للحياة والأفكار إذ ذاك ، ولم يكن ذلك لأول مرة ولا آخر مرة فى حياة اليونان . ونحن أهل القرن العشرين نعرف جيدا ما يعنيه هذا النشاط لأنه موجود فى حياتنا . فهو يعنى ريبة ومرارة من ناحية ، وبؤسا وحنقا من الناحية الأخرى . ولكن مجتمعنا كبير ومعقد ، وقد تعودنا متناقضاته ، ونعلمنا كيف نسير فى جوه المضطرب . أما فى اليونان فقد كان الأمر مخالفا لذلك . كان على اليونانيين أن يتعلموا أن المجتمع ليس من عمل الفن لجميل ، وما المدينة الكاملة إلا نسج خيال شاعر . لقد كانوا مفكرين بطبيعتهم محبين للنظام والمنطق ، ولذا جعلوا يبحثون عن الانسجام فى العالم الخارجى ، كما تطلبوه فى عالمهم الداخلى (العقل) . فى لغتهم ، النظام ، و«العالم» ، مدلول كلمة واحدة بعينها هى كلمة κόσμος . ويقول المبرش الأكبر بهذه النظرية السياسية فى فقرة من أروع فقراته إن «الحب عند الإنسان يتساقى تدريجيا متفلا من الأجسام الجميلة ، إلى النظم الجميلة ، ومن النظم الجميلة ، إلى الأفكار الجميلة ، إلى أن يصعد من الأفكار فيبلغ الجمال المطلق ، وأخيرا يعرف ما هو جوهر الجمال . هذه يا عزيزى سقراط هى الحياة العليا التى يجب أن يحياها الإنسان .» إنها الحياة التى لا يمكن أن

يحلم بها إلا اليوناني القديم . ولكن حتى هو لا يمكن أن يحلم بمثل ذلك في عصر إنتقال .

ففي القرن السابع كان هذا الوضع كله مضطرباً . فالناس على مفترق الطرق ، كما يشكو أحد الشعراء . فالحق القديم يشير إلى ناحية ، على حين تشير الضرورة التي نشأت حديثاً إلى ناحية أخرى ، وانقسم الناس قسمين فبعض الطيبين اتجهوا إلى سلوك طريق ، والبعض الآخر اتجهوا إلى طريق غيره . ولكن غالبيتهم يقفون حيارى غير سعداء ، يبحثون بلا جدوى عن دليل حتى يرشدهم . بينما يتربص قطاع الطرق بكل جماعة في مازق ، فينحدروا إلى أسفل التل يسلبون القافلة من كل شيء تعزه . إن آمال المخاطرة بأكلها في خطر ، وليس إلا شيء واحد يمكن أن ينقذها ويصلها إلى نهاية سليمة — وهذا هو تدخل إله من الآلهة (١) .

وفي أثناء انتظارنا للعون الإلهي، فلندق نظرة فاحصة على الجماعة حولنا . إن حكم سلالة زيوس الذي طال أجيالا عدة قد قسم المدينة قسمين . ومن المهم أن نكون على بينة من الناس في كل قسم . هذا التقسيم لم يكن نبلاء وغير نبلاء ، أو بطارقة ، و د و بليين ، ، فإذا كان ذلك كذلك ، لانهمز النبلاء ، ولزلوا إلى الحضيض . فليسوا من الغنى ولا من كثرة العدد ما يجعلهم يحافظون على بقائهم . ولم يتعادل فرسانهم مع طائفة لابسى الزرد البرنزي من مشاة المدينة . ولا هو بالتقسيم المعهود بين غنى وفقير — الغنى يصبو إلى الأمن والاستقرار ، والفقير يصبو إلى الثورة ، لأن الأغنياء في هذه الحالة هم الراديكاليون ، بينما الذين يسمون أنفسهم فقراء هم الذين يرفعون صوتهم ضد التغيير . فالتقسيم في الحقيقة لم يكن بين الثروة والفقير ولكنه بين الشكل

(١) Theognis ٩١١ (مأزق الطرق — وعلى أية حال لقد غيرت « اللانبات ») . أفلاطون Symp. ٢١١ (عند أفلاطون « أحسن حياة » هي التي تنمو على « توى » أو « أجمل النظام والأسس » . وقد كان ذلك نتيجة عن كونه قسياً أعزماً ، لا عن أنه رجل سياسة) . ولم يذكر توكيد بدس شيئاً عن تلك الأزمة في مقدمته ، فهي لم تكن جزءاً من موضوعه . كذلك لم يذكر مؤلف The expansion of England شيئاً عن البؤس الذي جره الانقلاب الصناعي .

الجديد والشكل القديم في الثروات ، أو بين القرية والمدنية ، لأن هذا وذاك شيء واحد في الغالب .

وقد أخذت الثغرة بين القرية والمدنية تتسع وسط الجماعات التقدمية طيلة العصور الوسطى . ففي كل جيل كانت الهوة بين العائلات التي اتبعت ديوسس إلى المدنية ، وبين العائلات التي تخلفت في القرية ، تزداد اتساعاً ، وكان هيزويد يكتب لعالم ، ويكتب شاعر الألياذة لعالم آخر . وكان رجال مدينة إيثاكا يسمون أنفسهم رجال المدينة ( δῆμος ) أو ( ἄστοι ) . بينما كان جيران هيزويد يعدون خارجين أو غرباء ، أو كما سمي الرومان فيما بعد ، رجال القرى عندهم « باجانس Pagans » . أما الاسم اليوناني الذي أطلق عليهم فهو « السكان حول المدينة » ، « بربويكي περίοικοι » . ولما كانوا محقرين من كل العناصر المتقدمة فقد انزوا في عالمهم القديم ، أي قراهم ، وانحدروا إلى حال من الانحطاط والتبعية . ولما ابتدأ التاريخ ، لم يكن معظمهم عبداً بمعنى الكلمة ، وإنما كانوا في حالة الخدمة أو في مقام له خصائص الرق ، وهو التعبير المستعمل في جنوب أفريقيا ، والمناسب هنا<sup>(١)</sup> .

ولا يمكن هنا أن نتتبع مراحل تدهورهم المتعددة ، ولكن يبدو أنها كانت واضحة وسريعة جداً في الجماعات التي تعتمد كثيراً على نظام حربي وخاصة في دويلات البلوبونيز الدورية — فالدوريون في نظر اليونانيين في القرن الخامس ، كانوا يمثلون المحافظين على تقليد عسكري عظيم . وليس من الممكن الجزم بأنهم نسلوا من قوم أشد صلابة من غيرهم من الهيلانيين . وإذا كان الأمر كذلك ، فيجب أن نسلّم بأن بعضاً من أعضائهم المنعزلين ، وخاصة في الغرب ، قد أظهروا علامات انحطاط وتدهور . ومن المؤكد

---

(١) أنظر تعبير هومر δῆμος τε πόλις τε ( مثل الأوديسة ١١ — ١٤ ) . أنظر سولون ٢ ( طبعة هيلر ) سطور ٦ ، ٧ ، ٢٣ ( ἄστοί ثم δῆμου ) . *πενιχροί* أي الصعاليك في الجانب الآخر .

أن الظروف قد أبدت هذا الميل الطبيعي، إن كان حقاً كذلك، للجماعات الدورية الكبيرة التي استقرت في البلوبونيز. لقد كانوا آخر القادمين من المهاجرين، وظلت ذكرى جماعتهم كهيئة محاربة شقت طريقها إلى اليونان، حية في عقولهم. فالاجتماع القديم للرجال المتساوين والمحاربين المدربين، في الأجورا أو السوق، وهو الشكل الوحيد الذي يظهر عليه القوم في الإلياذة، قد ظل قائماً في العصر الإقطاعي، وتحول في نهايته إلى اجتماع ديمقراطي. أما في اسبرطة خاصة، فقد ظلت التقاليد العسكرية قوية، فأرستقراطيوها لم تكن لهم قدم ثابتة في الحكم، والمشاة من جنودها هم أول من استرجع امتيازاتهم عندما جاء عصر الانتقال. ونحن لا نعلم متى تجمعت القرى الخمس التي أسست مدينة لا سيديمونيا غير المسورة تحت حكم تايجتس. ولكنهم سرعان ما أحسوا بتفوقهم على المستعمرات المنتشرة حولهم، ودفعهم الخوف من القحط في واديهم الضيق، إلى سبيل الغزو منذ البداية. وكإفعل الرومان كانوا يمدون حدودهم سنة بعد سنة، فيقسمون الأرض بعد استيلائهم عليها بين عائلاتهم. فأميكلاي، التي تقع على بعد أميال قليلة في أسفل الوادي كانت Veii، ثاني، بالنسبة لهم، ثم تأتي بعد ذلك هيلوس القريبة من البحر، ثم يلي ذلك سهل مسينا الغني على الجانب الآخر من نهر تايجتس. وفي النهاية، في بداية القرن السادس استولوا على الشاطئ الشرقي من لاكونيا. وبعد ذلك لم يكن أمامهم إلا الشمال. إلا أن تقدمهم قد وقف طويلاً هناك على حدود أركاديا الجبلية. وعند منتصف القرن السادس تدينوا أنهم قد « قضموا أكثر مما يستطيعون مضغه»، فتركوا البحث عن أراضٍ جديدة تكفل للجنود طعامهم وتحفظ عليهم قوتهم<sup>(١)</sup>.

ولكن أهل مدينة لا سيديمونيا لم يكونوا الوحيد من المدنيين

---

(١) الدوربون إذا ما قورنوا بالأيونيين قوم رحل إلى حد كبير. أنظر هيرودوت ١ - ٥٦ فلا تزال لديه تفصيلات. ἐκ παλαιτάτου ἡύνομήθη . توكيدبس ١ - ١٨ . ( أنظر التذييل ) .

المحاربين الذين جعلوا من القرويين أتباعاً لهم ، وإن كانوا بدون شك أكثر الجميع نشاطاً في العمل . والنظام الذي وضعوه أدوم النظم وأكثرها وحشية . فقد كان هناك في معظم الدول اليونانية الناشئة في آخر العصور الوسطى « غرباء » ، تختلف أسماءهم وأصولهم وتواريتهم دون شك . فأرجوس أولى جماعة الدوريين ، قد فرضت سيادتها على تلك المناطق ولم تقتصر في ذلك على قرى سهلها بل فرضت سيادتها أيضاً على مدينة مايسنا الواقعة على التل ، وهي العاصمة القديمة لهذا الإقليم ، وعلى كليوناي وهزيا عبر الحواجز الجبلية . وقد أطلق الأبيدوريون على السكان حولهم اسم « ذوى الأقدام المغبرة » ، وأطلق السيكيونيون على السكان حولهم اسم « حاملي الطراوات أو ناسجي القمصان » ، كما أطلق أهل كورنث على الغرباء حولهم اسم « لابسي أغطية الرأس المصنوعة من جلود الكلاب » . وقد كانت كريت وتساليا ودلبي وهرقليا ، من مدن تراخس ، لها قراها التابعة لها ولكل لقب مناسب . وفي أتيكازي من أولى صفحات دستور أثينا الذي وضعه أرسطو ، أنه عند ابتداء تاريخنا المفصل — كان الفقراء عبيداً للأغنياء ، وكانوا هم وأولادهم وزوجاتهم يسمون « بالموالي وأصحاب السدس » ، لأن ذلك كان أجرم نظير العمل في حقول الأغنياء ، وكانت الأرض ملكاً للأقلية ، (١) .

(١) أنظر دالون Wallon في Hist. de l'esclavage dans l'Antiquité (الطبعة الثانية) باريس ١٨٧٩ وهو كتاب شامل ، ولكن قديم في طريقة معالجته الموضوع ) ، الجزء الأول ص ١٣٠ — ١٣٤ — فيما يخص المصادر لهؤلاء كورنيثيون ثم كونيثيون ثم كورنيثيون ثم كونيثيون ثم كونيثيون ثم كونيثيون . الخ وما في مضافهم في مناطق المستعمرات اليونانية ، وما نعرفه عنهم لا يزيد إلا قليلاً على معرفة أسمائهم الخاصة التي كانت تسلية للقرويين المتأخرين . أما فيما يخص « Orneates » كاسم عام للبريويكي في أرجوس فانظر هيرودوت ٨ — ٧٣ ، وربما اتخذ ذلك الاسم لأنه كان أول مكان مهم أخضعه الأرجيون ، وربما اشتق اسم الهيلوت من Helos بالطريقة عينها . ويؤكد ما يرى في تاريخه ، الجزء الثاني فقرة ٣٥٥ ( أنظر فقرة ١٧٦ ) وبنوع خاص ، يؤكد الحقيقة بأن مركز الهيلوت والبريويكي لا يمت بسبب إلى الهجرة الأصلية ، ولكنه يرجع إلى الفزو المتأخر من لاسيديونيا . وليس هناك أى دليل على اختلاف الجنس أو اللهجة بينهم وبين الإسبارطيين . ويصدق هذا على الآخرين من « عبيد الأرض » وفي بعض الحالات ربما كانوا ينتمون إلى حد كبير لعنصر ما قبل اليونان ، =



فما هي حقيقة حالة الخدمة أو الإقامة ذات صفة العبودية هذه التي انحط إليها هؤلاء القرويون؟ إن هذا يختلف باختلاف المكان وخاصة بحسب طبيعة الأرض، ولكن، في كل حالة، كان ذلك شديد الارتباط بفقدان الحقوق السياسية أو زوالها. والسبب الرئيسي في كونهم عبيداً هو أنهم لم يكونوا مواطنين كاملين، ولم يكونوا قد توصلوا بعد للديمقراطية من حيث هي ضمان الحرية الاقتصادية.

فالقرويون عند هزويد، وكثيرون مثلهم، فقدوا فرصهم نتيجة الإهمال ولكنهم لم يعرفوا أنفسهم بعد كطبقة دنيا أقل من غيرهم. وبجانب هؤلاء نستطيع أن نجد ثلاثة أنواع على الأقل، من الطبقات التابعة الرسمية المعترف بها. وأولى تلك الطبقات وأبسطها هي التي تعرف فنياً بحسب العرف البلوبونيزي «بالبريويكي»، أو الساكنون حول المدينة. وهؤلاء كانوا قرويين أو من سكان المدن الصغيرة ويملكون أرضاً غير جديرة بأن يطمع فيها أحد. ولما أخضع أهل لاسيديمونيا أو الأسبرطيون، كما يعرفون بأسمهم الخاص، لاكونيا، كانت معظم الأراضي التي استولوا عليها فقيرة جداً لاستحق أن تقسم، ولذا تركوها لأهلها القرويين، وظل هؤلاء على حالتهم. إلا أن أمراً واحداً فقط جد عليهم وهو أنهم صاروا إلى وضع أدنى، وظلوا مبيدين عن كل عمل في حكومة الدولة. وما كانوا يمارسوا كثيراً حقوقهم في أن يدلفوا إلى لاسيديمونيا ويصوتوا في المجلس. فقد كان كل شغلهم الشاغل مقاومة الجوع في دائرة أراضيهم الجذباء.

== ولكن يستحيل أن نختبر قول Bury (في History of Greece — الطبيعة الكبيرة الجزء الأول ص ١٥٧) بأن الثورات التي أدت إلى وضع السلطة في يد الطغاة في سيكيون وكورنت وميجارا «يسدو» أنها كانت ثورات قام بها عنصر ما قبل الدورين ضد العائلات الدورية المتسلطة عليهم. وكان العبيد الكريتيون يسمون أحياناً κληρωται أو أصحاب قطع من الأراضي. ويمكن مقارنتهم بأهل مبتلين القهورين الذين زرعوا أراضيهم القديمة ولكنهم في هذه الحالة دفعوا إجباراً إلى الأثينيين المالكين لهذه القطع من الأراضي أو κληρωτοι : توكيد بس ٣ — ٥٠ — ٢. (أنظر التذييل).

أما النوع الثاني فهو العبودية ، القائمة في لاكونيا وكريت وتساليا  
والإماكن الأخرى . فبالنسبة لرجل يوناني ، مثل توكيديدس في القرن  
الخامس ، كان مركز الهيلوت أو الصعلوك التسالي الفقير ( πενέστης )  
لا يختلف كثيراً عن حالة الرقيق الأجنبي المشتري . ولكن النشأة  
السياسية والعملية الإقتصادية تختلف تماماً في هذا النظام . فمثلاً  
عبيد لاكونيا ( التي تتضمن سهل مسينا الخصب ) وعبيد تساليا  
مثل السكان الذين حول لاكونيا ، كلهم قرويون مغلوبون ، ولكن  
الأراضي التي يعيشون عليها لم تعد ملكاً لهم . فقد قسمت أقساماً ووزعت  
على المواطنين الذين سبق أن تغلبوا عليهم . غير أن هؤلاء المواطنين لم يكن  
لديهم الفراغ ، ولا الميل لزراعتها بأنفسهم . فهم جنود أولاً ثم سياسيون  
ثانياً ، وبين هذين العملين نسوا بالتدريج أمر الزراعة . فالجماعة الديمقراطية  
تواجه دائماً مشكلة كبرى ، كالتى واجهها ديوسس أيضاً ، كإرانيا ، وهذه  
المشكلة هي كيف يجمع المواطن بين الأعمال العامة والخاصة معاً . أما  
الاسبرطيون فقد بتوا في ذلك بطريقة ، من الغريب أن نقول أن أخلاقي  
القرن الرابع ، قد ارتضوها ، وهي ألا يقوموا بأعمالهم الخاصة ، ويستغلوا  
سلطتهم العامة في إرغام آخرين على أدائها لهم .

وحين افتخر بركليس بأن الأثينيين قد استطاعوا الجمع بين أعمالهم الخاصة  
والعامة ، كان في ذهنه هؤلاء الإسبرطيين المتعجرفين الذين يمشون  
وقتهم في الصباح في التدريب على الأعمال الحربية ، وبعد الظهر ، بعد  
الوجبة غير الشهية التي يقدمها لهم الهيلوت من مزارعهم ، يمشون إلى الصيد  
أو الملاكمة أو التجميل . وقد أرغم الهيلوت على مد أسيادهم بالغذاء ، ورتب  
الأمر على أساس أنه إذا لم يوجد ما يكفي لاسادتهم فلن يوجد لهم ما يكفيهم ،  
فهم مرتبطون ، كما يخبرنا شاعر قديم ، بأن يمدوهم بنصف المحصول من قمح  
الأرض التي يوالونها ، فإذا لم يستطع أسبارطى أن يثمن الوجبة العامة من  
حقله بنصيب معين ، فقد حرته ولن يسترجعها إلا بعد أن يقدر على ذلك ،

إذ يعد محلاً بنظام المجتمع . والمفروض أن يرجع الإسبرطي إلى مزرعته .  
ويضرب الهيلوت ليستحتمهم على العمل والنشاط ، ويثقلهم بوجوده المزعج  
حتى يعيدوا الأرض إلى كامل إنتاجها . واسكنه لن ينس لهم هذه الشهور  
التي أساء تمضيها ، أو كيف كان على وشك أن ينفصل عن قومه . ويحرص ،  
وتلك الذكرى ماثلة في مخيلته ، على ألا يكون له كثير من الولد تقسم  
الأرض بينهم . فإذا بدا الأمر على هذا الضوء ، فليس من الصعب أن نفهم  
ما حير اجزينوفون من أن اسبرطة أقوى وأشهر دولة في عصره ، كانت  
أقل عدداً بين الدول ذات المواطنين الأحرار ، أو كما يعبر هو عنها ، مختصراً  
حتى ذكر الطبقات التابعة لها ، فيقول إنها كانت أقل المدن سكاناً (١) .

وفي كل الوجوه الأخرى كان الهيلوت ، مثل زميله العبد ، يعيش كما يجب  
أو بالأحرى كما يستطيع أن يعيش ، فليس لسيدته القوة على أن يمنعه (كما في

---

(١) أنظر اجزينوفون . Pol. Lac . ١ — ١ . فيما يتعلق بعبيد الأرض كمبيد عادين ،  
ثم أنظر هيرودوت ٦ — ٨٣ (δοῦλοι) ، وتوكيديس ٨ — ٤٠ — ٢ (οἰκέται) .  
وفيما يخص أن إعطاء السيد نصف محصول الأرض ἡμισυ παντός ὄσον καρπὸν  
ἀρουρα φέρει من واجب الهيلوت أنظر (الجزء السادس من Tyr.) . ورغم أن الاسبارطيين  
كانو يعيشون عبثة بسيطة ، إلا أنهم كانوا يهتمون كثيراً بمظهرهم الشخصي كما يفعل سكان  
« الجبل الأسود » الآن . أنظر هيرودوت ٧ — ٢٠٨ ثم أرسطو السياسة ١٢٦٩ ب  
٢٥ γυναικοκρατόμενοι . إن أهم ما يحس به الزائر العابر في ستيب  
( Cettigne ) ذلك المظهر الجذاب بالملابس الأنيقة الذي يبدو فيه سكان الجبل الأسود وهم  
يشون الخيلاء في الشوارع أو يمشون ويدخنون في مطابخ بيوتهم الخافية ، كأنها ليس هناك ما يشغلهم  
في ذلك العالم . وربما كانت تلك هي نفس النظرة أو نفس الشعور الذي يحس به الأثيني السامع  
في اسبارطة ، وربما يكون ذلك ما حدا بأفلاطون أن يداعبهم ( في بروتاغوراس ٣٤٢ )  
بقوله أنهم يقضون ساعات فراغهم يتناقشون في الفلسفة ، وهي الفقرة التي أخذها باتير Pater  
عنواناً لقصته البدع عن لا سيدايون في كتابه Platon and Platonism ولم يكن أسلوب  
« باتير » الحلاب ليترينا بأن نستنتج أن الشباب الإسبارطي له روح الرهبان ، وربما أسابه  
شيء لا قبل له به إذا ما واجه أحدهم في فترة فراغه من الدرس بمثل ذلك القول . أما ما يخص  
التساليين فانظر آثينيوس Athenaeus ١٢ ص ٥٢٧ ، إذ لم يكن لديهم رجل مثل  
ليكورجوس يعد من عاداتهم . ولذا كان الفارساليون مثلاً « أكثر الناس كسلاً وإسرافاً » .  
( أنظر التذييل ) .

حالة العبد الذي يعمل قريبا من سيده ( من الزواج ، ومن أن ينجب أطفالا ، فهما كان فقيرا ، فإن الصغار يستطيعون العيش على أرضه أو الأرض المجاورة ، وهكذا فإن الأسبرطيين ، لما لم يجدوا أرضا جديدة يستولون عليها عمدوا إلى تحديد نسلهم . والحقيقة أنهم تعرضوا لنقص ذريع في تعدادهم ، بينما كان عدد الهيلوت سريع الازدياد إلى أن بلغ بهم الأمران الحكم الأسبرطيين كانوا في هم وقلق من اختلال النسبة بينهم وبين المحكومين ، ولكن التزامات العبد بإطعام سيده حدث من حرته بأن جعلته مرتبطا بالأرض ، وزيادة على ذلك قد فقد الهيلوت ، على أية حال منذ وقت طويل ، حقوقه الشرعية . ففي الإمكان القضاء عليه ، في أى يوم على يد البوليس السرى الاسبرطى برضاء حاكم المدينة وموافقته . ويخبرنا توكيديس ، بدون أن تفتابه رجفة ما ، أن ألفين من الهيلوت قد اختفوا ، بهذه الطريقة خلال حرب البلوبونيز . وهذه هى الوسيلة الوحيدة الباقية لتعويض جانب عن عدم التوازن الذى جعل النسبة بينهم كنسبة مواطن اسبرطى واحد إزاء قرابة خمسة وسبعين تابعا (١) .

(١) توكيديس ٤ — ٨٠ ثم ماير. Gesch. الجزء الثالث فقرة ٢٦٣ إلى ٢٦٤ الذى يفتخر على وجه التقريب عدد سكان لاكونيا السكلى ( بما فى ذلك مسينيا ) فى القرن الخامس ، قبل الحسائر المتسبة عن الزلزال فى عام ٤٦٤ كما يأتى :

|           |        |                              |
|-----------|--------|------------------------------|
| اسبارطيون | ١٢٠٠٠  | ( أى ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ من الشبان ) |
| بريوكى    | ٨٠٠٠٠  |                              |
| هيلوت     | ١٩٠٠٠٠ |                              |
| المجموع   | ٢٨٢٠٠٠ | إلى ٣٠٠٠٠٠                   |

أما فيما يخص عدم التناسب بين المواطنين فانظر إجزينوفون . Hell ٣ — ٣ — ٥ . وقد كان لعبيد الأرض السكريتيين ( Oikeis ) بعض حقوق تعليمية معتادة customary ثم اعترف بها رسمياً فى عصر سن القوانين . وفيما يتعلق بالتفاصيل أنظر التعليق على قوانين « جورتين » فى Inscriptions juridiques grecques الجزء الأول ص ٤٢٣ وخاصة تلك التعريفة الطريقة للقرامات المقررة عند الاعتداء على الأحرار والمحربين وعبيد الأرض والرقيق ( ص ٤١٩ ) . ولكن ليكروج لم يفعل شيئاً مثل هذا للهيلوت ، وعلى ذلك ظل غير المواطنين من أهل كريت مخلصين ، على حين أن الهيلوت كانوا ثأرين دائماً =

وتم نوع ثالث من هذه التبعية يهمننا بوجه خاص . وهذا النوع كان أشقاهم وأحقرهم جميعا لأنه جاء بسرعة وبدون إنذار ، وهو الذى أثر فى أرقى الجماعات إلى نائية وأكثرها تقدما ومنها أثينا نفسها . وهو مرتبط بأ كبر تقدم فى الحضارة المادية - أعنى إدخال النقد المعدنى .

فالليونانيون الأول كانوا يتقايضون بالمنتجات الطبيعية أو القضبان المعدنية التى ليس لها وزن محدود . وأول عملة مختومة كضمان لوزن خاص ، استعملت أداة للتبادل ، هى تلك التى أصدرها الملوك الليديون فى القرن السابع . وهى مثل المحراث أو المطبعة واحدة من تلك الاختراعات البسيطة التى لا يمكن ، بعد الوصول إليها ، أن تتصور الإنسانية بدونها . وقد انتشرت سريعا فى اليونان ، حتى أنه فى مدى جيل أو اثنين كانت كل الدول الكبرى سواء فى اليونان الأصلية أو الغرب تضرب عملتها ، وكل دائن يصر على أن توفى له ديونه بالذهب والفضة .

وقد يبدو هذا تغييرا بسيطا ، ولكن أثره فى القرويين كان خطيرا كماخترع الآلات البخارية ، إذ قدخلق ذلك التغيير ثورة اقتصادية فى حوض البحر المتوسط تشبه تلك التى تخلصت منها أوروبا الآن ( إذا كانت قد تخلصت فعلا ) . ويمكن أن نراقبها فى اليونان وفلسطين وإيطاليا ، ونرى صورة لنفس من قاسوها متجلية فى أشعار هيزويد وتيوجونس وجاموس وهوشع ، وفى أساطير روما الأولى .

فلنتدبر ما يعنيه هذا التغيير فى حياة الفلاح الذى يعيش يوما بيوم على محصوله السنوى . فقد تعود أن يحمل ما لديه إلى السوق ويقايض به البضائع التى يحتاج إليها من صوف للغزل لامرأته ، وأحذية لأولاده فى الشتاء ،

---

= (أرسطو فى السياسة ١٢٧٢ب ١٨) . أما بالنسبة «للتعريف» فقارن قوانيننا الأولى - قوانين Aethelbert التى تدرجت بالمثل بحسب اختلاف طبقات السكان . وهى مكونة من ٩٠ مادة قصيرة ؛ فنلا ، «إذا ضرب رجل رجلا آخرأ بقبضة يده على أنفه فعليه غرامة ثلاثة شلنات ، أما إذا أصابت الضربة عينه فالغرامة ٥٠ شلناً ... الخ .

وقراميد لاصلاح سقف بيته ، أو يدفع للحداد والنجار أجر إصلاح محراثه أو عربته . ولكن معظم هؤلاء لا يرضون الآن بمحمه أو نبيذه إلا إذا حولهما إلى نقود ، فكم تساوى من النقود ؟ ليس عنده أقل فكرة عن ذلك لأن الأمر يتوقف على عوامل خارج نطاقه . وليس لديه وسيلة لمراقبتها فيأخذ ما يعطيه له الوسيط ، والوسيط يأخذ جعلاً على عمليته يعيش عليه . وقد صعق في آخر السنة الأولى حين لم يجد بين يديه شيئاً فائضاً كما تعود من قبل . ولما أتت سنة الجذب المحتومة لم يكن عنده فائضاً مطلقاً . والحق أنه ما كان يستطيع الحياة في انشاء بدون مساعدة فكان الاقتراض ملجأه الوحيد .

وعلى هذا يتجه إلى البيت الكبير ( لأن الوقت لم يكن قد حان بعد لوجود طائفة المحترفين من أمثال شايلوك ) . فقد كان الرجل ذو الحسب أو Eupatird ( كما يسميه الأثينيون ) ملجأهم الأول . فأسلافه الأبطال اعتادوا أخذ الذهب معهم إلى القبور في صورة أقنعة أو ما شابه ذلك ، وقد أسعده أن يجد طريقة أفضل لاستغلاله . بالتأكد أن كان الفلاح يحتفظ بما اقترضه طوال الشتاء ، ولكن كان عليه أن يسدده إليه في الميعاد المحدد في الموسم التالي . إلا أن الإيو باتريد يطمع في شيء قليل من الربح يعوضه عما كان سيناله من استغلال نقوده حتى هذا الميعاد ، ولنفرض مثلاً ٢٠ في المائة لمدة الستة أشهر الأولى ، وذلك عدل ، فهو يرى النقود تتكاثر وتزداد مثل البذور وتأتي بالثمر . إن الرجل الأكارني الذي تفوح منه رائحة الثوم ليحك رأسه . إن فكرة استثمار المال ( توكوس τóκος أى الربح ) تبدو له غريبة غير طبيعية بعض الشيء ، ولكنها لا شك سرعان ما تجد سبيلها إلى الحديث الشائع بين الناس . إنه لا يملك أن يسبق أرسطو ورسكين في مناقشة الناحية الحلقية عن الربح . وعلى ذلك فإنه يوافق ، ولكنه يخشى شيئاً واحداً قبل أن يعقد الصفقة فهل هو متأكد من أنه قادر على الوفاء ؟ إنه أقسم بين يدي السيد الحبيب الأيو باتريد ، على ذلك ، ولكن السيد يريد ضماناً مادياً . فهل يمكنه

أن يأت بأحد جيرانه الأصدقاء كضامن له ؟ إنه يخشى أن لا يمكنه ذلك ،  
فتمتد أخذ الجميع حذرهم هذه الأيام — منذ أن صور لهم ، في يوم من أيام  
السوق ، رجل غريب من لا كونيا ، البؤس الذي صار إليه الفلاحون  
هناك . فقال إن أعقل رجل في اسبرطة يلخص الحال في خمس كلمات —  
والناس في اسبرطة لا يسرفون في القول أبداً — ، ضمن غيرك ثم انتظر  
الخراب ، . إنهم لم يصدقوه في ذلك الوقت ، ولكنهم تبينوا بعد وفاته  
مقدار حكمته حتى أنهم صاروا يقدرونه الآن كبطل . فلا خير إذن في  
الجيران . ولم يعد الرجل يعتمد إلا على موارده الخاصة . فإذا عنده ليقدمه ؟  
ليس عنده إلا أرضه وعمله ، إنه لم يعتقد أبداً بأن الأرض ملكه حقاً ، وإذا  
أراد الدقة فإنها ملك العائلة ، ملك الأسلاف والأحفاد بقدر ما هي ملكه .  
ومع ذلك فإن جيرانه يظنون يسرون إليه بأن تلك فكرة قديمة ، وأن  
الأرض في هذه الأيام يمكن أن تشتري وتباع وتجزأ وتجمع قطعة  
واحدة ، تماماً كأي سلعة عادية في السوق . فإذا يفعل الأطفال إن لم يترك  
لهم أرضاً بعد موته ؟ وماذا يفعل بكل هذه الذكريات والعادات الدينية ؟  
حسن ! الضرورة لا تعرف ديناً ، والأولاد يجب أن يبتهلوا إلى الله أن يهبهم  
وقتماً أسعد . وهكذا يوافق محرراً على إجراء اتفاق خاص بأرضه ، فإذا لم  
يدفع في الربيع القادم أخذها السيد منه : وسيزرعها هو له كاستأجر ويدفع  
له سدس المحصول إيجاراً . إذن اتفقنا . فيذهب ومعه نقوده ، أما السيد  
فيقيم عاموداً قبيل المنظر ، نقشت عليه كتابة ، قبالة المنزل . هو لا يعرف  
القراءة ولكنه يدرك أنها تذكرة دائمة للاتفاق المبرم بينهما (١) .

(١) ἑγγύα παρὰ δ' ἄτα Chilon المختصرة .  
وقد اكتشفت المدرسة البريطانية حجراً يحمل حفراً بارزاً للحروف ΙΑΩΝ (X) وهو جزء  
من ضربه في اسبرطة . وفيما يخص القرص أنظر هيرودت Erga ٣٩٤ ، وفيما يخص برفض  
اعتبار الأرض كسلعة مادية أنظر سفر التكوين ٢٣ — ١١ حيث لا يرضى أبناء هث Heth  
أن يبيعوا كهف مخابله Machpelah لإبراهيم . كذلك قصة نابوت ، ١ الملوك (Kings) ٢١  
— وقد أكد ماير في Wirtschaftliche Entwicklung des Altertums ( الذي طبع  
ثانية في « Kleine Schriften » ) وكان الأول في تأكيده التشابه الذي بين ثيوجنيس =

هيات إنه ليس في حاجة إلى ما يذكره | وللسنين العجاف دورتها . ففي الربيع القادم يكون الحصاد رديناً كسابقه . وقبل نهاية السنة تكون الأرض قد خرجت من يده ، وانضم إلى طبقة الموالى أو أصحاب السدس . وما هي إلا فترة قصيرة يسير فيها كل شيء سيراً حسناً ، ثم تأتي سنة جدباء وتكون فيها النفقات كبيرة فلا يتمكن من دفع السدس ؛ أو ربما ظهر للسيد أنه يخادع في تقسيم المحصول . فأى حل لذلك عند السيد ؟ إنه لا شك يستطيع أن يخرج من الأرض . ولكن هذا أمر ، إلى جانب كونه يباعد الرحمة ، لن يعود بفائدة على أحد من الطرفين . فالمالك لا يستطيع أن يجد بدلاً عنه لزراعته الأرض بسهولة ، ولا الفلاح يجد بدل بيته . فكل شيء أهون من أن يكون دون ماوى . فإذا على الفلاح بعد ذلك ؟ إن مثله مثل الرجل من الدهماء في العصر الحديث . لا يملك غير عمله ، فلا مندوحة من أن يقوم بإجراء اتفاق آخر أكثر إذلالاً له . فإذا لم يدفع الإيجار ( بفوائده طبعاً ) قبيل الربيع القادم ، غداً محصول عمله كله ملكاً للسيد من ذلك الوقت فصاعداً ، أى بمعنى آخر صار هو عبداً له . ومنذا يعول الأسرة إذا ذهب عنها عائلها ؟ يعولها السيد على شرط أن يعملوا في منزله ويثابرون على إرضائه (١) .

= وعاموس . كما يستحق الذكر كنتجها . في Western Civilization in its Economic Aspects ( وبنوع خاص ٧٣ — ٧٥ ) لمراجعته المفيدة عن عصرنا الاقصادى . أنظر أيضاً شيلا موثير A. A. الجزء الثانى من ٥٧ إلى ٥٨ ولا سيما فيما يخص الأعمدة . ولتصحيح أى إسراف ظاهر فيما سبق بيانه ، أنظر ملاحظة من ٣٠٣ فيما يلى .

(١) كان وضع الأنصبه الأتيكية السادسة *ἐκτεμόροι* مجال مناقشات كثيرة . وأنا أنبع وولسكر (الذى تبني رأيه الباحثون في ملاحظة ذكرت في الصفحة ١٤ بالطبعة المختصرة لكتاب جروت *History of Greece* التى نشرها في Routledge . ولكنى أختلف معه . وأوافق *De Sanctis* فى *Athens* ، الطبعة الثانية ١٩١٢ من ١٩٦ ملاحظة ٢ فيما يخص هذه الحيازة الخاصة ومي نفسها مؤقته وتعتبر علامة أو وسماً «لعبودية» و «النبعية» ، (أنظر *Pol.-Ath.* ٢) أولى الدرجات التى تؤدى إلى الهابوية . وكانت الطريقة التقايدية فى أنيكسا ، كما كانت فى سائر الجهات ، هى امتلاك الفلاح للأرض التى أعاد إقرارها سولون . أنظر فى سفر النكويين فقرة ٤٧ — ١٣ وما بعده ، ما لا مماثلاً من درجتين فى قصة طريقة مشابهة لتلك .



هذا هو مختصر قصة كثير من عبيد الديون الذين تصاعدت صيحاتهم المريرة في سماء اليونان في القرن السابع ، وفي تدنّوات إسرائيل — ربما كانت أبشع صور الرقيق لأن ضحاياها كانوا يقاسون الألم وسط الرغد والرخاء المنزايدين . فمثلهم مثل العمال الذين طردوا من عملهم حين اخترعت الآلات الحديثة ، فكانوا يتضورون جوعاً ، ولا يكاد يشعرون بهم أحد في وقت نزايدين الصناعة وتضخمها . وغالباً ما كانوا يباعون مع مرور الزمن خارج الدولة ؛ وكان أسيادهم يفضلون ذلك على أن يحتفظوا بهم . ولا التعمساء في مزارعهم . لا مفر من ذلك فهم مدينون عجوزاً عن دفع ديونهم ، والسيد الذي يملك عملهم يملك أجسادهم كذلك . إنهم من كل الوجوه ، يشبهون الأسرى أو المخطوفين من الأجانب ، الذين أخذ الناس يحملونهم الآن من الخارج إلى المدينة كعبيد<sup>(١)</sup> .

وزيادة على ذلك كان صاحب الأرض نفسه في محنة ، إذ لن تمر الأزمة الاقتصادية دون أن تمسه هو الآخر . فهو أيضاً يريد مالا ليحافظ على مستوى معيشته ، وهو أيضاً يؤدي ما عليه من خراج إلى الرجل الجالس على المنضدة في السوق . وقد أخذ يدرك كمثل أرستقراطي من الملاك في مرحلة ما من مراحل التطور — أن الأرض وإن كانت تدر عليه ما يكفي للحياة ، إلا أنها لن تجلب ثروة له . ومهما بلغت مساحة الأرض التي يشرف عليها ، ومهما كان عدد عماله التعمساء ، فلن يستطيع منافسة أخيه الأصغر الذي اشتغل بالملاحة . فكلما ازدادت أملاكه ازدادت صعوبة الإشراف عليها ومراقبتها . وقد أبدى ملاحظة في يوم من الأيام بعد جولة ميثبة للعزم ( هذه الملاحظة بقيت ذخراً في العائلة حتى سجلها أحفاده ) ، قال إن أحسن الأطعمة الحيوانية « عين السيد » . بينما يستطيع أخيه البحار ، إذا ما حصل على مركب ، أن يكون ثروة في سنين قليلة بما يقوم به من عمل بسيط ، وهو أن يحول بأشياء تافهة بين أماس سدج تصادف أنها لا توجد في بلادهم . فقد بما كنا راضين بما تفتجه بلادنا

قانعين بها ، وكنا ننظر شذراً إلى المنتجات الأجنبية . أما الآن في ذلك الوقت ، فالفكرة السائدة هي أن أحسن الأشياء الجديرة بالافتاء هي التي تأتي من أطراف العالم . لقد كانت مهارة من أخى أن يستغل نقطة الضعف البريئة هذه، وقد قام بذلك في الرحلات القليلة الأولى مخاطر أبحياته وشبابه .. والآن وقد جمع بعض الثروة فقد آن الوقت ليعود فلاحاً . لقد حصل على ما يكفيه فلماذا يخاطر بحياته ويفنى نفسه ، ويضيع سنى الحياة القصيرة - للاستزادة من المال (١) ؟ .

وكثيراً ما سئل هذا السؤال في الجماعات التي غلب عليها حب الدولار .. ولكن هؤلاء التجار اليونانيين القدماء كانوا قد واجهوا هذا السؤال لأول مرة . ونرى في تساؤلهم ، نحن الذين نظن أننا نعرف الجواب ، مهارة طريفة أخاذة . ويقول ثيوجنيس مراراً وتكراراً ، إن الشيء الغريب في النقود هو أنك لا تملك أن تقنع بما حصلت عليه منها . وهنا تختلف النقود عن أى شيء تشتريه بها : الطعام والملابس ، والمنازل وفوق كل ذلك النيذ - لهذا كله حدود ، ولكن المال لا حد له ، ولا يحاكيه في ذلك إلا الحكمة .  
قم قوتان تظل تحاربهما روح الإنسان دون جدوى ،

---

(١) هيرودت Erga ٦١٨ ، ٦٨٦ ، ثيوجونيس ١٢٠٢ (أخطار التجارة) - هيرودوت ٣ - ١٠٦ ( « إن أمن الأشياء تأتي من أقصى الأرض » . وهو « ولا عقل اقتصادي له » لم ينقطع عن التساؤل) . فيما يخص تأثير الأزمة في الزراعة ، أنظر هيرودوت ٥ - ٢٩ . (ولما أن استدعى البارون ليحلوا الأزمة السياسية والاقتصادية ، التي ربكت ميلتوس لمدة جيلين ، فخصوا كل الضياع فرأوا أن قلبها هو المتنبى بزراعتي . وواضح من البيان أنه مازال باقياً عدد من الملاك غير قليل ) إجزيتفون Oec. - ١٢ - ٢٠ ( « عين السيد » - صديق كبروس يعطى الملاحظة لونا فارسيا - ولكن الأسمكان صحيحة مع ذلك) . لم تنته فكرة كون امتلاك الأراضي أكثر أنواع الملك احتراماً إلا عشقة عند القدماء ، كما انتهت عندنا نحن الآن . أنظر إجزيتفون ( Oec. في مواضع متفرقة (مثل ٤ - ٤) ، أنظر السياسة ١٢٧٨ ١ ٢٥٠ . (إذا كنت في طيبة وقضيت عشر سنوات بدون «عمل» ، بهذا فقط تكسب احترام الناس) . ثم الفقرة المرفوعة ليشيبرون . De Off. ١ - ٤٢ ، الذي يوصي فيها تجار الجملة أن يشتروا الأراضي «ومركزها» ، - وهي نصيحة كثيراً ما يعمل بها حتى هؤلاء الذين لا يعرفون الرجل الجديد novus homo الذي تبناها . وطبعاً أعار أفلاطون وأرسطو هذه النصيحة اهتماماً خاصاً ، شأن الكثير من الأفكار المحافظة الأخرى ..

الثروة والمعرفة ، إذ كلما يندت مخازنك مملأى بها ؟

و سوس لك الطمع أن تصيب ثنانية .

فيا أحكم الرجال انظر إلى دختيلة نفسك : إنك عبد لإرادة ملكة المعرفة

مرها أن تبتعد ! إنك لتعرف من كل قلبك

أنك لا زلت مغرماً بها (١) .

ما من أحد سوى اليوناني استطاع أن يجمع الحكمة والثروة بهذا الشكل في مثل ذلك الوقت . ولن نجد تلك النعمة في « كاتو » العجوز رغم أنه أديب وحكيم خبير بأمور الدنيا . ولن نجدها كذلك في عاموس ولا في هوشع ، إلا أن السامخ قد يسمع ذلك الآن في إحدى قرى البلوبونيز على لسان مهاجر عائد متذمر . إنها تحمل طابع الروح اليوناني الكامل : طريقته الهادئة في التفكير ، وقسوتها الواقعية ، وتطلعها إلى الكمال . وهذه العبارة الأخيرة قول فنان ، ولكنها أبين دلالة من أى تعبير آخر ، لأن

(١) Theogn. ١١٥٧ . وأنى أورد هنا الأبيات ولغتها الأصلية .

المال والحكمة في عراك أبدي مع البشر ،

Πλοῦτος καὶ σοφίη θνητοῖς ἀμαχώτατον ἀεί,

يود المال لو ملأ عليك نفسك ،

οὔτε γὰρ ἂν πλοῦτου θυμὸν ὑπερκορέσῃς·

كما أن أعقل الناس لا يترك الحكمة ،

ὥς δ' αὐτως σοφίην ὁ σοφώτατος οὐκ ἀποφεύγει..

بل يجبها ، إن روحه لا يمكن أن تخلص من ذلك الحب .

ἀλλ' ἔραται, θυμὸν δ' οὐ δύναται τελέσαι..

هو قد ترددت قصداً بين لفظي « الحكمة » و « المعرفة » ، لأن هؤلاء اليونان القدماء الذين عاشوا قبل عصر الجامعات ودوائر المعارف لم يعرفوا التفرقة بينهما . وبعد مرور قرن طلع هيراقليطس على الدنيا بهذا الكلام : « يظل الرجل يتعلم ، ولكنه مع ذلك يظل أحمقاً » ، فمجب الناس من قوله .

ثيوجنيس لم يكن مبشراً أو فيلسوفاً بل كان فناً هادئاً حائراً<sup>(١)</sup> .  
ولكن وجود الروح التجارية فعلت أكثر من مجرد جعل الناس  
يفكرون ، جعلتهم يقاسون الآلام ، وجعلتهم يتوجهون إلى الآلهة العلاء  
لتنصفهم . فسادة المدينة الجدد ، أو الارستقراطيون المستحدثون ، الذين  
استطاعوا بقوة أموالهم ، وعبيدهم الذين « اشترؤهم بالفضة » ، أن يسيطروا  
على أهل القرى القدامى وعلى تقاليدهم ، هؤلاء السادة لم يعرفوا رحمة  
ولا عدلاً ، خلافاً لقضائهم القدامى الذين كانوا يشبهون الآلهة . لقد كان  
الذهب والفضة في بيوتهم ولكن ، كما قال هيزويد العجوز ، لم يكن في قلوبهم  
إلا الحديد . هذا وإن رئاهم البديع معروف لدى كثير من القراء الإنجليز .  
فلنعد إذن إلى أضعف ما يقابله من مرأى الشعراء الذين أتوا ، على خلاف  
الشاعر البيوشى القديم ، ليقموا في المدينة أقرب ما يكونوا إلى مقعد الظلم .  
لم يبق بيننا يا صديقى الآن من القوى الرحيمة سوى الهة الأمل الطيبة ،  
فكل الآلهة الأخرى قد نزحت إلى جبل أولمب العالى .  
نزحت ذات الطبع الحلو ، والهة الإيمان الملزمة تعاليمها ، والهة الرحمة  
التي تحمى الحياة مستساعة ، يا صديقى انزحوا وخلفونا نحن وراءهم ،  
ولم يعد الرجال يعاملون بعضهم بعضاً بالعدل ، أو يحفظون وعودهم  
لقد نأت الآلهة الخالدة بعيدة جداً ، فلا يستثير غضبها أحد .  
والصالحون الأخيار من الناس قد ماتوا ودفنوا ، ولم يعد أحد من الرجال  
يشعر بالجلال والرهبة لحكمة آبائنا وقوانين مدينتنا المنظمة .

---

(١) إن السكر هو أبسط وأوضح أنواع الإغراء في شعب (أو طبقة منه) حديث  
النعمة . لم يكن اليونان سكرين ، ولكن ورد الكثير عن الخمر في ثيوجنيس وأرخاوخوس ،  
ويسميه الجنود المواطنون القدماء « درع الصدر » . فيقول أحد المناجيين في جمع  
« إنك لتعمر بأنيك أكثر نشاطاً أبداً إذا ما رتديت درع صدرك » . ( أنظر ثيوجنيس  
٨٨٢ إلى ٨٨٤ ثم ٤١٣ ، لاحظ أن حتى هذا النيدلم يكن غير مخلوط ) . تارن Arch. fr. ٤٠٢ ،  
( الخمر في المسكر وعلى ظهر السفن ) ، ثم في مواضع متفرقة من هوشع Hoesea وعاموس Amos ،  
( مثل هوشع ٣ - ١ ) . أما الرومان فكانوا في تلك الرحلة من التقدم على أكبر  
درجة من الخشونة . ويقال أن حكاهم كانوا يضمون جرارا مليئة بالنبيذ في أركان  
الطريق يرشون منها في روحاتهم وغدواتهم أنظر فررو الجزء الأول ص ٢٣ في كتابه  
Greatness and Decline of Rome (E. T.).

هكذا يعني أحد من رأوا قيام وحقوق الملكية، وجيل رجال الأعمال.  
وهالك مسيحة أخرى صدرت عن واحد من جرفهم تيار الثروة الجديدة، وهو ينظر  
إلى الورا كما ينظر كثير من الأوروبيين من نيويورك إلى القرية المهجورة  
التي أخرج منها مرغماً :

في السنين التي أدليت فيها بدلوى في نهر القرية الصافي .  
ما كان أعذب وألذ مذاق المياه في ذلك الوقت .

أما الآن فتمد فاضت عليه الأمطار ، وبطمها لوثته الجداول المنحدرة  
من الجبال فلا بد لي أن أشرب من نبع آخر، من نهر أكبر منه وأعظم .  
هذه استعارة نموذجية ، فإننا نتكلم عن المعيشة تحت سماء غربية ، ولكن  
اليونان الذين قامت مدنهم أو قرائم حول نبع ماء بجانب بايرين أو كستاليا  
أو ديركا أو كالليرو يتكلمون عن « شرب مياه غربية » (١) .

(١) نيوجنيس ١١٣٥ ، ٩٥٩ (ربما تكون القصيدتان اشاعر واحد ولكن  
لا أظن ذلك) . أنظر هيرودوت ٢ - ١٨ ، يوريبيدس : Med. ٦٩ وقد ذكرت هنا  
العصر الثاني لنص هيلر Hiller .

طالما شربت من العين ماء أسوداً ،

"Εστε μὲν αὐτὸς ἔπινον ἀπὸ κρήνης μελανύδρου،

كان يدولى أنه ماء عذب وحسن

ἦδύ τί μοι δόκεεν καὶ καλὸν ἔμμεν ὕδωρ·

والآن وقد صار عكراً ، ماء اختلط بالطين ،

νῦν δ' ἤδη τεθόλωται, ὕδωρ δ' ἀναμίσγεται ἰλυϊ,

سأشرب من نبع آخر أو من نهر .

ἄλλης δὴ κρήνης πίομαι ἢ ποταμοῦ.

وعين الماء « مظلمة » لأنك كما في Peiréne تراها مظلمة ليجزوا الشمس عنها ، ويجعلوا منها  
مكاناً ظليلاً للراحة . ورعا يحاول روائي حديث أن يضيف إلى ذلك تحوله وجود تبر في الطين .  
ولسكن الشاعر السكلاكي لا يتخيل ذلك بل يكتبني بإعلاء واحدة في كنيته الأخير عن خبيء  
ممناء : لأن الناس في اليونان لا يشربون من الأنهار ، وإن فعلوا شربوا طيناً في الشتاء ، وظلوا  
عطاشاً في الصيف . وفيما يخمس أول جبل العبيد « المشتريين بالفضة في هذه الفترة » أنظر  
القرن الرابع في أثينوس ٢٦٥ ب ، وفيما يتعاقب بسطور هيرودا الرائعة ، أنظر Erga ١٧٤ ،  
ثم انظر موري في كتابه Oreek Epic من ٧٩ ( الطبعة الثانية من ١٠٢ ) ، وأنا أذهب إلى  
ما ذهب إليه جلوتر بإرجاعهم إلى هذا العصر .

لقد مات الخيرون واندثروا .. ولم يكن هناك خير أورشحة ( فالإثنان ما زالوا مدلولين لشيء واحد ) عند الناس . لم يبق شيء ، كما يخبرنا هيرودس ، إلا الحياء ، هذا المعنى المهم من إجلال الآلهة واحترام البشر ، والخجل من الخطأ أمام الأرض والسماء ، الذى هو آخر ومضات الخير فى قلوب الشريرين من البشر . ولم يكن هناك تراث منه لأثينا القرن الخامس ، فهذا الخجل كان أبهم وأضال من أن يعتبر جزءاً من السكيات السياسى . إن هذا الخجل الذى يردع الناس من ارتكاب معظم الشرور ، يختلف معناه الوضعى من جيل إلى جيل . إن الخجل فى عهد الإلياذة وفى عهد الهجره كان أبسط وأقرب إلى الوحشية منه فى عهد ثيوجنيس ، الذى كان يبدو بلا معنى ومن طراز قديم بالنسبة لعهد الحروب البلوبونيزية . فجيل الهجره يشعر بالخجل إذا لم يرعوا آخر بقايا العادات القبليسة . أما معاصرى ثيوجنيس فيخجلهم خروجهم على قانون مدينتهم . وبالنسبة لتوكيديدس فالخجل من الخطيئة هو آخر ما يحى ويؤتمن نظاماً خلقياً كاملاً ، شخصياً كان أو سياسياً . وهو الأساس الذى بنى عليه بركليس مرثيته . إلا أن الأسس لا ترى مادام البناء قائماً . و فقط عندما انتهى الأمر إلى محنة أكبر من تلك التى مر بها ثيوجنيس ، جعل توكيديدس ، فى أكثر فصول كتابه مرارة ، أحد المتكلمين يفسكر فى الخجل ليسخر منه (١) .

ولكن كان لازمة القرن السابع تأثيرها الإيجابى فى القرن الخامس ، وهذا هو الذى حتم علينا أن نصفها ، لأن الآلهة لم تنزع جميعها إلى جبل أولمب ، بل ظل أحدها رعى الناس فى اضطرابهم فى المدن ، ويرشدهم إلى طريق الهدى والسلام ، فعندما ادلهمت الأمور وازدادت حلكة ، بدأ وحى دلفى الكلام .

---

(١) أنظر ٥ - ١١١ - ٣ τὴν πλείστα διαφθείρουσαν ἀνθρώπους αἰσχύνην : وقد قصد بهذه الجملة تذكير القارىء بما فى ١ - ١٢٢ - ٤ ، وهو شكل آخر مختلف عنه كل الاختلاف . تنفير 'تيسيس' فى معناها الوضعى تنفير Αἰδώς . وفيها يتعلق بأصل المعنى المعروف فى أسخيلوس وهيرودوت ( رغم بطله طواحين الله إلا أنها تطحن جيداً ) أنظر ثيوجنيس ٦٥٩ .

إننا لم نعرف أبولون إلا في أيام اضمحلاله عندما ضحى بسلطانه لمناصرته الغزاة الفرس وانحيازة إلى جانبهم . وقد كان ذلك بعد أن أنشأ ما يمكن أن نسميه كنيسة . وفي القرن السابع لم تكن دلف مركز كنيسة ، ولكنها كانت مركز رسالة ، وهي رسالة اتجهت نحوها اليونان جميعها لتستمتع إليها ، لأن أخبارها كانت بسيطة وطيبة — بسيطة جداً ومعقولة جداً حتى أنه لم يجرؤ على الجهر والمناداة بها غير الوحي اليوناني — ألا وهي واجب ضبط النفس . وهي تتلخص في قولين كل واحد منهما في كلمتين : « اعرف نفسك » ، « وكن معتدلاً » . فعرفة النفس التي انصح بها أبولون زائريه وكتبت بخط عريض على مدخل معبده ، ليست هي تحليل النفس الدقيق الذي جعل منه سقراط أساساً لتعاليمه الفلسفية ، مخطفاً فهم الآلهة ، كما كانت عاداته . بل كانت درساً سهلاً وأوضح ، وليست سوى ذلك الدرس الذي علمه المصريون لضيوفهم عندما كانوا يحضرون هيكلًا عظيمًا في مادبهم وحفلاتهم « اعلم أنك مخلوق ضعيف زائل . وهذا العالم لقد جنته عارياً ، وستتركه عارياً . فما فائدة الثروة الكبيرة أو المجد الطائل ، أو الفرح الزائد ، أو الكثرة من أى شيء ؟ كن معتدلاً ، . فيتساءل العابد ، ولكن أنا لى أن أكون معتدلاً والناس من حولي في ثورة وغضب يتسابقون ؟ فرد الإله قائلاً ، « باللطف والرفقة » ، يقول ذلك بكلمة لا يمكن أن توفى الترجمة حقها ، بأن تضبط نفسك وتظن بالناس خيراً لا شراً ، وأن تمنى في نفسك أفكار وعادات عقلية « تنجى وتنقذ » ، بدل الأفكار المثيرة التي تفسد . فهذا هو معنى اللطف والرفقة أو ضبط النفس ( سوفروسينى σωφροσύνη ) التي صارت منذ ذلك الوقت إحدى السمات العظمى التي تتدم بها الروح اليونانية<sup>(١)</sup> .

وعلى ذلك فالشكل الذي عرفناها عليه لا يرجع إلى أبعدهم من القرن السابع ، وكان من اختراع أبولون . لقد كانت دعوة دلفي ديانة جديدة لا شك ،

(١) . أنظر دورى Epic . Gr . ص ٢٧ — ٢٨ ( الطبعة الثانية ص ٤٨ ) ، هيرودوت

٣ — ٧٨ ( الولايم المصرية ) ، أنلاطون . Charm . ١٦٤ .

مثل دعوة عاموس وأشعيا ، وكانت مثل دعوتهم ودعوة القديس فرانسيس ،  
تصل باسم قديم — لأن المعلمين الدينيين العظام ، مثل كبار رجال السياسة ،  
لا يبنون مطلقا على أرض جديدة ، ولكن أبولون هو مر الآله ذا الكنانة  
الفضية والسهام البائية كان بعيداً عن أبولون الهاتف ، بعد «ياهاوا جايل»  
عن «ياهاوا أشعيا» . فهي ديانة قد ظهرت على حد علمنا ، من ضرورات  
العصر ، أما قصتها — لأن لها قصة — فبسيطة جداً . فأبولون هو ابن  
زيوس ، وهو الوسيط المعين بين الآله الأكبر والإنسان الضعيف عن  
طريق موخاه في دلفي (سرة الأرض) . ولكن ما من شيء في القصة  
ولا في ظروف دلفي المادية ، يفسر لنا ازدهار الموحى السريع حتى صار  
طوال أجيال عديدة أكبر قوة روحية في العالم اليوناني . وليس قوة روحية  
فقط ، بل قوة زمنية أيضاً ، (لأن القوتين لم تنفصلا في عقل الإنسان) . وكان  
الناس والملوك يذهبون لأبولون كما يذهبون للبابا يسألونه النصح ، وهو الذي  
شجع هذا الاندفاع العظيم ووجهه إلى التوسع الاستعماري ، وهو اندفاع ،  
إن كان يختلف بعض الشيء في الوسيلة والمظهر ، فإنه يشبه إلى حد ما الحروب  
الصليبية . وزيادة على ذلك فإن أبولون ، كما تؤكد الروايات ، كان أولا  
وقبل كل شيء يساعد بعض الولايات اليونانية المتناهية الضعف ، على استعادة  
نشاطها وقوتها ، لا بالنصح وإلقاء المواعظ فحسب ، بل بما يقدمه من  
اقتراحات مفصلة ونظم معينة . وقد كان في دلفي في القرن الخامس م راوغون  
أو متكلمون ماهرون ، وهم أولاد ، غير أكفاء مهملون ، لرجال لم يكونوا  
رغم شعارهم ، ناقلين عن غيرهم ، ولكنهم كانوا مبتدعين . لقد انقضت  
حتى أسماء هؤلاء الأنبياء الأوائل وقنعوا بأن ينسبوا عملهم إلى أبولون  
كما اكتفى الشعراء المنشدون بأن ينسبوا أشعارهم إلى هومر . ولكن  
لا بد أن كان هناك أنبياء يوحى إليهم مثل أنبياء اسرائيل . وقد خلدت  
أعمالهم على الرغم من الكهنة الذين خلفوهم : « لقد أضاءت شعلة  
روحهم الحياة الدينية كلها عند الهيلانيين ، وبعثت فيها الحرارة » .



وما من اسم عظيم في أزهي عصور اليونان إلا ويظهر فيه تأثير أولئك الأنبياء ، إلا أن بندار وسوفوكليس ، أسخيلوس وهيرودوت ، توكيديس وإيوربيدس ، أفلاطون وأرسطو ، (إذا كانوا منهم أزواجاً على وجه التقريب) ، قد تركوا هذا التأثير يعمل بالشكل الذي يتلاءم ونبوغ كل منهم . إن اليونان واسعة بين « كن معتدلاً ، وبين قول أرسطو « الفضيلة وسط » ، وبين تقديس أفلاطون لأبولون واتخاذها لها لجمهوريته الجديدة . ولكن فكرة الطبع المعتدل المنقذ هي العامل المشترك بينها . ويمكننا أن نشعر بها أيضاً في مرثية بركليس رغم كل ما فيها من مبالغات . وبعد خروج بركليس من القصة ، حاول توكيديس أن يلخص عمله في جملة واحدة ، هذا الذي خطر بباله كان كأنه نسمة هبت من ناحية دلفي القديم ، « حين كانت له السلطة العليا في المدينة وقت السلم ، ساسها باعتدال ، وأحاطها بسياج السلام والطمأنينة ، وبذا وصلت في عهده إلى أقصى قوتها ، (١) .

ولكن حان الوقت لأن نمضي إلى عمل أبولون المباشر في إنشاء مدينة القرن الخامس أي عمله كشرع ، لأن الأنبياء الذين « يتكلمون ، في دلفي مثل أنبياء إسرائيل ، يسبقون ليهودوا السبيل للقانون المكتوب (٢) .

(١) توكيديس ٢ - ٦٥ - « إن كلمة μετρίως معناها هنا « معتدل » أو « مناسب » أو « لائق » . وكلا التعبيرين يذكرانا بطريقة دلفي في النظر إلى الأشياء . وفيما يخص استعمال أفلاطون أبولون ، (الأمر الذي يظنه كثيرون من القراء المسيحيين شيئاً غريباً) . أنظر الجمهورية ٤٢٧ . فلا يمكن حتى « للمدينة التي في السماء » أن تعمل بدون ما لأبولون من تأثير منقذ . وفيما يتعلق بسوفوكليس (وهو أقرب إلى روح القرن السابع) أنظر O.T. ص ٨٦٣ وما بعدها . كلمة νοσεῖν ( يمرض ) هي الكلمة اليونانية المتأداة للتعبير عن الاضطراب الداخلي في المدينة . وليست أسباب الرض الجسائي عند قوم ليس لديهم دراية بعلم الطب بأقل غموضاً ، بل غالباً ما تكون أشد غموضاً من الاضطراب الاجتماعي .

(٢) إن كلمة نبي « بروفيتس προφήτης » تعني بالتأكييد « الرجل الذي يجاهر بما عنده » ، لا التي يتبأ بالغيب . وفيما يخص أنبياء دلف أنظر فيلاموتز Oerstie, Introd. to Choephoroe ، وخصوصاً صفحات ١٣٣ إلى ١٣٤ . ولتقدير ما لم من أثره ، أنظر الفصل الذي يتناول وحدة اليونان في كتاب كورتوس History of Greece E.T. الجزء الثاني الفصل الأول ، (ولسكنه ليس حديثاً من حيث تفاصيله) . وأحسن « أثر » يدل على تأثير دلف الاستعماري هو التشيد البيئي الرابع في بندار . أنظر أيضاً هيرودوت ٥ - ٤٣ .

# الفصل الخامس

## تطور حق المواطن

### القانون أو قاعدة المعاملة العادلة

(ισονομία) المساواة

Ἐλεύθεροι γὰρ ἔόντες, οὐ πάντα ἐλεύθεροί εἰσι·  
ἔπειτα γὰρ σφί δεσπότης νόμος. (Herodotus, VII-104)

رغم أنهم أحرار فإن حريتهم ليست مطلقة . لأن عليهم الآن سيد هو القانون . (هيرودوت ٧ - ١٠٤) .

لن أبغض الحكومة بعد الآن ، ولكنني سأطيع أوامرها برغبة صادقة ،  
فقد تأكدت أن تلك الأوامر إنما وضعت لخيرنا جميعا . ولن أعد الشرطي  
بعد الآن ، عدوا بل سأعتبره صديقا .

Yiddish - Eng. Conversation Manual ص ١٩٦ الذي جمع

لمناسبة الجمعية الروسية اليهودية) .

كما رأينا، فغالبا ما يرجع انتعاش الولايات، بما أحدثته الأزمات الاقتصادية  
في القرن السابع، إلى تأثير موحى دلقي . فقد صار مذهب أبولون الإنساني  
في ضبط النفس والاعتدال جزءا لا يتجزء من الحياة السياسية في اليونان .  
ولكن يجب أن نحذر المغالاة في سرعة ظهور أثر هذا المذهب . فإن  
الاهواء والانفعالات النفسية المريرة لا تهدأ بسهولة ، إذا ما أثارها الظلم  
والآلم . وربما كان من الإسراف أن تتوقع هدوءها في اليونان بسحر عبارة  
واحدة . وزيادة على ذلك فإن أضمن أنواع العلاج للهيئة السياسية أيا كانت  
ليس بأسرعها تأثيرا . فأبولون لم يثر هذا الشعور بل كان في وسعه التمهّل .

وهكذا كان التغلب على الفوضى بطيئاً وثيداً في أغلب الدول اليونانية .  
وفي أنحاء كثيرة كان الإحساس بالمرارة أكبر من أن تؤثر فيه رسالة  
أبولون . وقد قامت فترة انتقال بين اضطرابات القرن السابع وعهد  
المشرعين الذي تلاها ، فيها أعدت اليونان نفسها لملاءمة الظروف الاقتصادية  
الجديدة ، وهيأت فكرها لتعاليم دلتى الجديدة . وتتماز هذه الفترة بظهور  
الحكم الفردى الذى يعرف بحكم « الطغاة » .

يعد حكم الطغاة هذا مرحلة فى التطور الذى نحن بصدد تتبعه ، أى فى نمو  
العوامل والمؤثرات التى بلغت ذروتها فى الحياة السياسية فى أثينا فى القرن  
الخامس . وكما يخبرنا هيرودوت وتوكيديدس ، كل بطريقة الخاصة ؛ فهؤلاء  
الطغاة لم يعملوا شيئاً يستحق الذكر . فهم لم يقوهوا بأى مساعدة خاصة  
للتقدم الروحى فى بلاد اليونان : فلم يعنوا بتقوية الشعور المشترك العام  
للجماعة ، ولا بتقوية حرية الفرد . وفى الأمور المسادية أيضاً ، رغم  
مشروعاتهم العظيمة اعتبروا عبئاً ثقيلاً . ويقول هيرودوت الذى يعرف  
روح أهل البلد الذى اختاره موطناً له ، « لم يكن الأثينيون تحت حكم الطغاة  
متفوقين فى الحرب على أى دولة من جيرانهم ، ولكنهم لما تحرروا من  
طغاتهم ، تجاوز تفوقهم الحربى كل الدول . يدل ذلك إذن على أن الأثينيين  
كانوا يتصفون بالجنين فى تصرفاتهم طالما كان الظلم واقعاً عليهم ، ذلك لأنهم  
كانوا يعملون من أجل سيد عليهم ، لكن لما تحرروا أصبح كل فرد متحمساً  
ليعمل لنفسه<sup>(١)</sup> . »

وما كنا لتجاهل هؤلاء الطغاة كلية وقد لعبوا دوراً فى تطور قنصتنا .  
فهم الذين وضعوا أمام أعين اليونانيين بأجلى صورة حاجتهم إلى قانون  
مكتوب ، وهم الذين استحثوهم بذلك على تطبيق تعاليم « دلتى » العامة  
الغامضة ، وتدوينها على نحو ثابت .

(١) هيرودوت ٥ - ٧٨ ، ثم توكيديدس ١ - ١٧ . إن البيان المختلف تماماً ،  
الذى ذكره إيزوكراتيس فى ( Paneg. ٧٥ - ٨٤ ) ، يجب أن يحمل على عمل غير جدى .

ومن السهل تفسير قيام الطغاة . فتزايد روح التذمر في الدول اليونانية المختلفة لا بد أن يؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى ثورة عامة . ولكن لم يكن النظارون والمتألمين قادة طبيعيين ، وكانت الأزيمة فرصة ذهبية للرجال من ذوى الحيوية والكفافية أن يحتضنوا المصلحة العامة ، ويقودوا أحزابهم إلى النصر . فإذا ما سيطروا على الجماهير ، وقبضوا بأيديهم على زمام السلطة ، لم يكن من الصعب عليهم أن يحتفظوا بمرأ كزهم ، ويشبثوها من الجهة القانونية ، بل ويسلمونها إلى أولادهم من بعدهم . وقد قامت في القرنين السابع والسادس مثل هذه الحكومات الفردية في كثير من دول اليونان وآسيا الصغرى مثل إفسوس وميلتوس وميتلين وساموس وكورنث وسيكيون وميجارا وايدورس . وكان لأنينا أيضاً طغاتها ، وإن كان ذلك قد جاء في مرحلة من تطورها تختلف قليلاً عن غيرها كما سنرى .

وكما لاحظ أرسطو فأغلب حكومات الطغاة هذه كانت قصيرة الأمد للغاية . فأطول حكم كان حكم اورتاجوراس وخلفائه في سيكيون إذ ظلت حكومتهم قائمة زهاء قرن . ويعزى بقاؤهم كما علمنا إلى اعتمادهم الفريد في نوعه على الطاغية العادى ، خصوصاً في الجبل الثانى ، استحجال عليه مقاومة اغراء الحكم ، وغالباً ما كان يستسلم إليه بأقصى وأعنف شكل . وقد اعتقد اليونانيون أنه من الصعب أن ينتظر من رجل تحرر تماماً من جميع القيود الطائفية المعتادة ، تصرفاً غير ذلك . وفي هيرودوت يسأل أحد المتكلمين ، وكان لا شك مغرباً عن وجهة نظر المؤرخ ، فيقول : حقاً ، كيف يتسنى لحكومة فردية كمال النظام على حين كان يسمح لرجل واحد أن يعمل ما يشتهى دون أن يسأل عما يفعل ؟ وحتى لو منح أفضل الرجال مثل هذه السلطة فإنه سيغير اتجاه تفكيره . فإن الميزات التى يتمتع بها فى منصبه تدفع به إلى العتو ، وأما الحسد فراسخ فى نفسه منذ ولادته رسوخه فى نفوس سائر الناس . وهاتين الصفتين المتأصلتين فى نفسه يصبح مليئاً بكل الشرور . فالعتو يدفعه إلى ارتكاب أعمال طغيان ، كما يدفعه الحسد إلى

الاشتطاط. وقد ينتظر الإنسان من رجل جمع في يده قوة السلطان، أن يكون خالصاً من الحسد، إذ أنه يملك كل المزايا التي يتسنى لإنسان أن يحصل عليها، ولكنه هو نفسه ذليل قائم على العكس بتصرفاته إزاء الشعب. فهو يحسد أفضل الرجال الذين يعيشون في ظل حكمه، ويسر بشر الناس وأسوتهم. وهو يسارع دائماً إلى سماع الوشائيات، كما أنه أكثر الناس تناقضاً في أعماله. فإذا ما أبدت له احتراماً معتدلاً نار وغضب، لاعتقاده بأنه لم يحترم بما فيه الكفاية، وإذا غالى أحد في احترامه اعتبر هذا التملق جارحاً له. وليست هذه اتهامات محددة، وقد يكون هذا القول منسجماً مع الإدارة الحسنة الناجحة. فالحاكم قد يكون متعجباً، وسريع التأثر والتقلب في أهوائه الشخصية، ولكنه يكون رغم ذلك نشيطاً بعيد النظر. إن نعمة هذه الشكوى الاجتماعية أكثر منها سياسية. وهي ترينا حياة النوادي في أسوأ صورها، وذلك ما يراه الكثيرون في دوائر أخرى. وتلقى ضوءاً قوياً على روح الدناءة الوضيعة، الجائمة دائماً في الحنايا في كل الجماعات الصغيرة. فما من تربة أصلح لها من تلك التي هيأها لها ظروف الحياة اليونانية. وقد انتصرت اليونان وحدها على هذه الإغرامات، واحتفظت بالنقاء لمدينتها، بأن ملأت تفكير الرجال، وشغلت أيديهم، بأعمال غير شخصية كبيرة (١).

ولكن المتكلم في هيرودوت لم يكمل اتهامه بعد فيقول: «د وأحب أن أتابع القول فأذكر أهم شيء، فالطاغية يغير الحقوق والعادات التي آلت إلينا عن أسلافنا، ويغتصب النساء ويتمل الرجال دون محاکمة». فالطاغية بمعنى آخر لم يعبأ بالحنوق القديمة في حياة اليونان، ولا بالقواعد التي وضعتها المدينة، والسوابق التي نشأت تدريجياً حول تلك القواعد. لقد وطنها دون ما فكر أو تمييز، وانتهك حرمة كل ما هو مقدس، وأصاب الرجال إصابة بالغة في أقدس مشاعرهم.

ومع ذلك فإن القوانين التي انتهكوا حرمتها لم تكن قوانين يمكن أن

(١) هيرودوت ٣ - ٨٠، أرسطو السياسية ١٣١٥ ب ١٣، ٣٨.

يؤاخذوا من أجلها . إن كل الناس يعرفونها ولكنك لن تجد لها مكتوبة في أي مكان . فكل شراحيها القدماء قد ماتوا ، وكلمات الوحي لم تكن واضحة وضوحاً كافياً لتذكر في السوق العامة . وأصبح العصر يتطلب شيئاً أدوم ، وأكثر تحديداً ، سلطة غير فردية ، حنكاتها السنون ، ولها من السلطان والقوة ، ما يمكن المواطنين من الالتجاء إليها في ثقة واعتزاز في أوقات المحن . ويقول أرسطو ، القانون له قوة الإلزام ، وهو في نفس الوقت أمر حكيم ناجم عن الحزم والتعقل . وحيثما نشتكى من أشخاص يعارضون رغباتنا وميولنا ، حتى لو كانت معارضتهم على حق ، فإننا لانشرع بأى غضاضة عندما يجبرنا القانون على انتهاج الصواب . فكل ما كانت الدولة اليونانية بحاجة إليه في ذلك الوقت كمحرك وضمان ، هو لوح قوانين مكتوب (١) .

وهكذا نكون قد وصلنا إلى ما بدأ لليونانيين في القرن الخامس ، إذا ما استرجعوا الماضي ، أنه العصر الغامض الذي وضعت فيه القوانين . هذا وقد انتشر فن الكتابة في جميع أنحاء العالم اليوناني في القرن السابع . ومن حظ اليونان ، والعالم أيضاً أن الحاجة والظروف خلقت الرجال . فقام به سولون لأثينا ، قام به ليكورج الغامض لاسبرطة ، وقام به الكثيرون غيرهما من المشرعين ، الذين لا نعرف من أسمائهم إلا القليل ، للدين اليونانية الأخرى في الشرق والغرب . وكانت القوانين الاسامية التي أصدرها في معظم بلاد اليونان أساساً محكما وطيداً لطريقة الحكم المشهورة المعروفة في القرن الخامس (٢) .

من الصعب علينا أن نتعرف أي دور لعبته القوانين ، في الحياة الأثينية

(١) أرسطو Eth. ١١٨٠ ١١١٠ ٢١١ .

(٢) لا زال لبيكورج شخصية يحيطها الغموض ، كما كان بالنسبة لتوكيديديس الذي كان يحاول جاهداً أن يتجنب ذكر اسمه . وقد أصبح من المؤكد الآن أن ما قام به من عمل ، لم يتم في أوائل التاريخ الاسبرطي ، بل في نهاية فترة من الاضطرابات طويلة ، كما يقترح توكيديديس . (١ - ١٨ - ١) .

في القرن الخامس . فلدينا نحن دستورنا المكتوب وغير المكتوب ،  
ومجموعة النظم للقانون الاساسى الدائمة التغير ، ولكنها بعيدة عن حياتنا  
اليومية ونحن انفسنا لا ننفذها ، بل ولا نعرفها . فقد اسلنا الاهتمام بها إلى  
الآخرين - للنواب والخبراء ومن يمثلهم . وبيننا وبين تنفيذ القانون ، يقوم  
رجال الشرطة والموظفون ، ويقوم بيننا وبين التشريع . البرلمان والحكومة .  
ولم يكن في أئنا مثل هذا الوضع ، أى حكومة ، منفصلة عن الشعب .

وفي أسخيلوس تسأل الملكة الوالدة لبلاد الفرس : من هو السيد  
الراعى لجماعتهم ؟ ، أى جماعة دوله الغريين الذين يحاربهم ابنها اجزرسيس .  
ويأتى الرد سريعاً موجهاً ، لا إلى البلاط الفارسى ، وإنما إلى الأثينيين من  
النظارة فى المسرح على سفح الأكروبول : « إنهم ليسوا عبيداً ، وإنما  
لا يحنون الهامات لحكم أى حاكم . وإنما لنا : نسمع هتافهم ! وبعد  
خمس سنه ، تكاد ترد فى يوربيدس نفس الكلمات ، على لسان ثيسيس الملك  
البطل المثالى فى أئنا ، وذلك عند تأنيبه مبعوث أحد الحكام المستبدين :

يا سيدى الغريب مهلاً ! لقد أسأت البدء

فى البحث عن سيد هنا . فلا سيطرة لشخص ما

على هذه الأرض . إنها مدينة وحره .

والشعب كله سنه بعد سنه سواء فى الخدمة - هو ملكنا .

فليس هناك حكومة ، فى أئنا ، فالناس هم الحكومة ، (١) .

ولسكن وإن لم يكن للناس سيد ، فإن الأمر لم يكن فوضى فيما بينهم .  
فالأثينى فى القرن الخامس لم يكن يعرف فى حياته الخاصة ، ولا فى حياة  
الهيئة التى ينتمى إليها - معنى أن يعيش الإنسان دون رقابة . فعلى الرغم من  
كل الحرية التى يتمتع بها ، فالطاعة كانت قانون وجوده . فالسيد الذى

(١) أسخيلوس ، الفرس ٢٤١ - ٢٤٢ ، يوربيدس . Suppl. ٤٠٣ وما بعدها .

(ترجمة مورى) .

اعترف به ، وكان على اتصال دائم به ، بل على اتصال يومي ، لم يكن بشراً  
مثله ، وإنما كان قوازين الدستور ، التي خطت على أعمدة من الحجر حتى  
تكون ماثلة دائماً أمام ناظريه . وأطاع أوامرها بإرادته واختياره ، لأنها  
تمثل عمل العقل خلوا من نقائص هؤلاء البشر ونزواتهم . فصوتها دائماً  
هو هو ، وأوامرها عادلة . فالقوازين التي تكتب على حجر ، وتتوارث من  
الماضي لا يمكن أن تحترم أشخاصاً :

فبالقوازين المكتوبة يكون أصغر رعايا الدولة شأننا ،  
متأكداً من مساواته مع أي عظيم أمام العدالة .

وهو ما يقوله تيسيس في « يوريبيدس » . وهكذا رأى الاثينيون ،  
أنه من السهل أن يعيشوا معاً ، في عدل وأمان في ظل قوازين سولون العادلة .  
ويتساءل هيرودوت ، « ألم يكن حتى اسمها هذا جميلاً - النزاهة » . ويمكن أن  
نفهم الآن لماذا لم يكن التحذرين ، ولكنها العادة وإخلاص العمر كله ، الذي  
جعل سقراط يرفض في سخط رأي أصدقائه ، بالهرب من السجن . فما من  
رجل يرجع في طلاقة التفكير ، ولكنه كالاسبرطين في ثرموبيل ، لم  
يكن حراً حرية مطالمة ، ، لأنه « كان يعلوه سيد هو القانون (١) » .

(١) يوريبيدس. Suppl. ص ٤٣٣ وما بعدها ، ثم هيرودوت ٣ - ٧٨٠ - ١٠٤ ،  
أنظر ٥ - ٧٨ و ١ - ٢٩ ، ثم أفلاطون ، Crito (أقريطون) ٥٠ . أنظر فيلاموقيتز ،  
Aus Kydathen ص ٤٧ وما بعدها ، ثم A. A. ١ - ٤٥ . وقد تناول أفلاطون وأرسطو  
ثانية مطاب « الملك الفيلسوف الذي لا يرجى تحقيقه . أما الفوضيون المحدثون ، فقد اخترعوا  
ثانية « قوازين غير مسطورة » . وكان تيسيس يعرف خيراً منهم ، أن « العدل » كان الأساس  
الذي قامت عليه الحكومة الذاتية الأثينية . ومن هنا كانت هي ، صيحة حرب طبيعية بالنسبة  
لذلك الحزب الممارض للتوسع في الحكم الشعبي . وهو حزب « الأوليغارشيين » ، أو  
الأرستقراطيين الذي أشير إليه في ص ٩٠ . فلو استتب « العدل » فاحاجتنا للحكومة الثانية  
أو للامبراطورية ؟ أنظر توكيديدس ٨ - ٩٧ ( ὀλιγαρχία ἰσόνομος )  
في ٤١١ ، ثم ٣ - ٦٢ - ٣ بيوتيا ( التي حصلنا بشأنها ، على البيان الكامل  
الوحيد الذي يبين بالتفصيل سير قانون الأقلية ( ὀλιγαρχία ἰσόνομος ) ،  
« أنظر ص ١٦٧ فيما يلي ) ، ثم ٨ - ٤٨ - ٦ حيث يبين فريندغوس ، كيف أن مثل هذه  
الأوليغارشية لا يحتمل أن تكفل حقاً ، « عدلاً » لسكل أقسام السكان .



ولم نعرف إلا شخصية واحدة من شخصيات واضعي هذه التوانين  
اللاكتوية ، تلك هي شخصية أحكم هؤلاء الأشخاص ، وأكثرهم نجاحاً ،  
ذلك هو سولون الأثيني . أما الآخرون فليسوا إلا أشباح رجال حكماء ،  
ولكن لدينا ما يكفي للكشف عن الخطوط الأساسية العامة لأعمالهم ،  
وإبيان روحهم الخاصة . فالأقوال الحكيمة التي بقيت بعدهم ، على أنها جاءت  
من بين شفاة السبعة الحكماء ، تحمل دلائل تأثير أبولون الشافي . فهم لم  
يطلبوا إلى إله أن يتبنى أعمالهم ، كما فعل اليهود ، ولكنهم واصلوا هذه  
الأفعال بروح ترضى الإله الذي يعبدونه . فأقوال مثل « من العسير أن  
تكون طيباً » و « لا تقل عن أي إنسان أنه سعيد إلا بعد انتهاء حياته » ،  
وكثير غيرهما ، مما نعرف أنها كانت شائعة وصادرة عن حكماء أثينا في القرن  
الخامس ، لتشهد بتأثير تلك الحكمة اللطيفة اللينة الساحرة التي كانت تصدر  
عن موحى دلفي . فتعاليمها اللطيفة البسيطة تطرقت بعمق إلى قلوب اليونانيين ،  
لإذ كانت طبيعتهم مستعدة لتقبلها<sup>(١)</sup> .

وهناك خاصية واحدة يمكن أن تتبعها في أعمال هؤلاء المشرعين  
جميعاً - وهي محاولة إعانة وحدة الدولة ، بتحديد استغلال الثروة . فقد  
كان استكشاف الذهب والفضة المفاجيء ، أو على الأصح ما يمكن شراؤه  
بالذهب والفضة ، هو الذي أغرى الأرستقراطيين بأن يكونوا ظالمين .  
وكان الحكماء من السداد بحيث أنهم رأوا أن أحسن الطرق لعلاج تلك

(١) مثلاً هرودوت ١ - ٣٠ (سولون وكريسوس) . ومن المؤكد أن هذه  
القصة لا تجعل طبعاً ، حقيقة ما قاله (سولون لكريسوس) ، الذي يمكن ألا يكون قد  
رآه مطلقاً ، ولكنها سجلت « ما كان يجب عليه أن يقوله » . وفي المکتبات الأول وحده  
عدة قصص أدبية أخرى ، ننتمي إلى تلك الدائرة ، مثل « أريسون والقرصنة » ، أو « صادر القن  
غير المتظرة » (الفصل ٢٣ إلى ٢٤) ، ومثل « قبر نيتوكريس أو كيف تقرى الذرية » ،  
(فصل ١٨٧) . « وكاناثوس وحجس » ، أو الأشياء التي يحسن بالمرء الاحتفاظ بها لنفسه ،  
(الفصل الثامن) ، لاحظ السرور الناس  
(الفصل الثامن) ، كما في قصة رامبدينتوس ) ، تارن أفلاطون «  
بيروتا جوراس ٣٤٣ .

العله ، هو القضاء على ذلك الإغراء بقدر الإمكان . ولهذا السبب نراهم لم يفرضوا الاعتدال وحده فحسب ، بل الززانة في السلوك ، والبساطة في المظهر الخارجي ، وقد ذهبوا في التشريع ضد الترف إلى أبعد ما توصلهم إليه جرأتهم ، ونسمح به روح زملائهم الترويين . فبينما فرض ليكورج على كل الاسبرطيين ، زيا واحدا وحدد قائمة أكلهم اليومية ، وكيف يأكلونها ، لم يذهب سولون إلى أبعد من تحديده جهاز الفتاة الأثينية بثلاثة أكسية . ومنع استئجار النادبات في المآتم ، وبألا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث حطل . إلا أن الغرض من كلتا الحالتين واحد ، وهو التخلص من عدم توازن الثروات في الدولة ، لا بمجرد وضع القوانين العادلة ، ولكن بجعل الأغنياء يظهرون بقدر الإمكان بمظهر الفقراء . فالرجال يجب أن يشعروا بأنهم مواطنون ليس إلا ، لا نبلاء ولا تابعين لأحد . وقد كان ذلك هو العلامة الظاهرة للمساواة الديمقراطية المقبلة . لقد كان سولون من الحكمة ، بأن كشف قبل أرسطو بقرون ونصف قرن ، أن تكوين العادات الطيبة في الناس ، أهم من وضع القوانين العادلة لهم (١) .

لقد وصلنا إلى نقطة في بحثنا ، يمكن أن نركز اهتمامنا فيها على أثينا . لقد كنا إلى الآن نحاول أن نفهم ما في الميثية من العناصر المعتمدة يونانية . خاصة . فابتداء من سولون ينصب كل تعليقنا على ما هو أثني قبل كل شيء . إذ منذ ذلك الوقت نختلف أهم منافعنا وأظرائنا تدريجيا عن الميدان . في اليونان كلها ظهر مشرعون ، ولكن سولون هو واضع أفضل الأسس .

---

(١) - سولون في بلوتارخوس ٢١ . إن أحسن ما ذكر عن سولون هو ما أورده: فلاوثير ، إذ قد ربط بين تاريخه وشخصيته في A.A. الجزء الثاني ص ٥٩ وما بعدها . أنظر الفصيل في كتاب Gilliard, quelques réformes de Solon (لوزان ١٩٠٧) . الذي أعاد طبع الأشعار بطريقة ملائمة . وقارن بتشريعات سولون فيما يخص المصروفات . إدخال محمود المصلح الطروش وتعميمه بين زعائمه «مثنابيين» . وكل من راتب الموع الزدجة على غلطة Galata ، أو حضر الصلاة في جامع تركي ، لا بد أن يكون قد عجب من تأثيره ، الذي يسوي بين الناس جميعاً .

وزيادة على ذلك فعند هذه النقطة عينها من التطور ، رفضت اسبرطة ذلك الرفض الكبير ، الذى جعلها تنحدر تدريجيا إلى دورها المعروف فى القرن الخامس ، وهو تزعم الرجعية . فلم يكن لديها الشجاعة أن تطبق قانونها الجديد على كل السكان الذين يعيشون فى حدودها . لقد أقامت العدالة ، أقامتها للمواطنين الاسبرطيين فحسب ، وعلى ذلك فشرعها بدلا من أن « ينشر درعه القوى على الطرفين المتنازعين » ، كما فعل سولون ، قوى فريقا على حساب الآخر ، وأوجد تفرقة دائمة بين المواطنين والتابعين ، أو بمعنى آخر بين الحاكمين والمحكومين . وهذا بطبيعة الحال يفسر ذلك التقشف المسرف العجيب فى قوانين اسبرطة . فلم تكن بساطتها هى تلك البساطة الرزينة ، التى ترمى إلى التقريب بين الغنى والفقير فى ظل نظام مشترك من الحياة ، بل اتخذت ذلك النظام الموحد الذى نراه فى حياة الثكنات الفاسية ، لأمة من الجنود معسكرة باستمرار ، كأقلية وسط أعداء الداء لا سبيل إلى استرضائهم . فليس هنا أى مجال لذلك الاعتدال اللطيف الذى ينادى به أبولون ، فقد أولت « سفروسيين » ، لا على أنها المزاج المتقذ الذى قال به سولون ، بل على أنها نظام شديد غير إنسانى ، لا يمكن لأى جنس من البشر أن يخلص له من قلبه . ولم يمثل الاسبرطيون لهذا النظام ، إلا لعدم سنوح الفرصة لهم ، لانتهاك حرمة . وفى « القوانين » يقول اسبرطى لأرسطو ، « عندما يكون أثنى طبيبا صالحا ، فإنه يكون طبيبا منتهى الطيبة والصلاح ... قد شاءت العناية أن يكون الأثينيون وحدهم ، هم الطبيون بطبيعتهم عن حق وإخلاص ، من غير إرغام وإجبار ، . ويقول أحد الأثينيين ( كما ورد فى توكيديدس ) إلى الاسبرطيين المجتمعين ، « أماقوانينكم فليس لأى مدينة غير اسبرطة نفع فيها ، وإذا كان أحدكم خارج اسبرطة فأتم أنفسكم لا تراعون هذه القوانين ، بل أنتم لا تراعون كذلك قوانين اليونانيين العاديين ، . ولا ريب فى هذا ، لأن الحياة فى عرف المعسكرات أو الدير ، ( إذا أسأنا استعمال هذه الكلمة

الحلوة) لا تتيح الفرص التي تهيء الرجال لمواجهة ظروف الزمان  
وتقلباته (١).

فلنبحث إذن طبيعة القوانين التي أوصى سولون د الأثينيين بطاعتها ، .  
ويجب أن نذكر أن قوانين اسبرطة كانت مخالفة تماما ، فقد كان بين ليكورج  
وسولون ، كثير من المشرعين الهيلينيين ، الذين تقاربت قوانينهم إلى حد كبير  
من مستوى قانون الأثينيين (٢) .

ما معنى المعاملة العادلة ؟ إن دستور أثينا لأرسطو ، الذي اتخذ كاتبه  
(مهما تكن شخصيته) من أشعار سولون هاديا له ، خص ثلاثة من أعمال  
سولون بأنها ذات أثر بعيد . د وأول الثلاثة وأهمها ، أنه حرم على الرجال  
أن يقترضوا بضمان أشخاصهم . والثاني ، أنه سمح لأي فرد أن يطالب القضاء  
بإنصاف من ظلموا إذا أراد ذلك . والثالث ، الاستئناف أمام محكمة الشعب ،  
وهذا الأمر هو الذي ، كما يقولون ، أعطى الناس أكبر سلطة حصلوا عليها .  
إذا دام الشعب قد أصبح صاحب السلطة في الأحكام ، فقد غدا صاحب  
السلطة في الدستور ، . ولتناول إذن هذه النقاط الثلاث بالترتيب (٣) .

حين دعى سولون ليضع لأثينا قانونا ، لم يجد نفسه في أرض بكر ، أو  
حرا في وضع دستور جديد من عنده . لقد كان أول واجب عليه ، أن

---

(١) توكيديدس ١ - ٧٧ - ٦ ، وأفلاتون - القوانين ٢٠٤ - ٦٤٠ C. (أنظر التبديل) .

(٢) خير هذه الدساتير المعروفة هو دستور جورجين في كريت ، الذي اكتشف عام  
١٨٨٤ ، ويرجع تاريخ بعض أجزائه إلى القرن السابع ، ولكن قد تم وضعه في صورته الأخيرة ،  
في النصف الأول من القرن الخامس . وفيما يخص المشرعين الآخرين مثل زاليكوس وشارونداس  
وقيدون ، أنظر ( ماير ) في تاريخه الجزء الثاني فقرة ٣٦٠ والمراجع . ربما نشأت الحركة  
الدستورية في أيونيا ، كما نشأ الشعر اليوناني والفلسفة اليونانية ، ولكن كل ما تبقى من أصلها  
الأيوني ، عمود من الحجر مكسور من خيوس . ولا يثبت هذا العمود آثار دستور مكتوب ،  
غيب ، بل يثبت كذلك قانون محكمة شعبية ، أنظر فيلاموفيتز من ٦٤ - ٧١  
( Nord - Ionische Steine ) ، ثم ( Staat und Gesellschaft ) ، لنفس المؤلف من ٧٨ -  
( الطبعة الثانية من ٨١ ) .

(٣) Ath. Pol. ٩ - ١ .

يخلص أثينا من الفقر والفوضى ، اللذين هوت إليهما أثناء المحنة التي أحاقَت بالمزارعين . فقد كان الفقراء يطالبون ، كما هي العادة في اليونان كلها ، كلباً حلت بهم الأزمات ، بتقسيم الأراضي من جديد على أساس المساواة . وكان الأغنياء أصحاب الأملاك يعانون كثيراً من محارلة زرع أراضيهم بواسطة عبيد الديون . وهكذا كانوا مهيبين لقبول تغيير جديد ، ورأى سولون نفسه أمام حالة تستوجب علاجاً حاسماً ، فألقى دفعة واحدة جميع ديون الفلاحين بإعلانه ما عرف في التاريخ ، في لغة Pilgrim's Progress « برفع الأعباء » . ثم اتجه بعد ذلك إلى تحرير الأثريين الذين يبعوا رقيقاً في الخارج ، مستغلاً كل مال عام أو خاص ، استطاع الحصول عليه لهذا الغرض ، واعتبر تنازل الرجل عن حريته نظير نقود ، عملاً باطلاً غير قانوني . وقد أعيدت إلى الفلاحين ملكية الأرض التي ورثوها عن أسلافهم ، ( رغم أن التقاليد القديمة ، التي تقضى بعدم انتقال الملكية من شخص إلى آخر ، كان قد انتهى أمرها بطبيعة الحال ) ، ومنعت عدة قوانين عملية لتحسين حال الزراعة . وعادت أتيكا تسير في طريقها ثانية كبلد أدله زراع مالكيين ، وإن كان ذلك لم يخل من مصاعب كثيرة . إن الرجال الذين أقامهم سولون على أقدامهم كانوا أسلاف الفلاحين الذين نقابهم في أرسطو فانيز ، والذين عارصوا بقوة ترك كرومهم وزيتونهم تحت رحمة البلوبونيزيين . لقد جعلوا بلدهم مشهوراً ، بسكونه أحسن أرض زراعية في اليونان ، رغم فقر تربته (١) .

(١) سولون القطعة ٣٢ . بلوتارخوس — سولون ٢٣ (عن البنابيع وزراعة الزيتون وخبثات النحل) ، ثم ( Hellenica Oxyrhynchia ) ١٢ — ٤ ( زراعة أتيكا ) . لقد كان تحرير مواطن من العبودية يعد عملاً ينطوي على النقص . إن أسماء مثل ليساندروس ( Λύσανδρος ) وكثرغبرها ، مايتدي ، بالقطع ليس ( — Λύσι ) تثبت تلك العادة ، جلوزر Solidarity ص ٣٢٩ وما بعدها ، الذي اتبع رأي جروت ، قد نفى ، على ما أظن ، القول ( القائم على عدم الدقة في قراءة أرسطو في السياسة ١٢٥٥ ب ١٧ ) بأن سولون قد حدد مقدار الأرض التي يمكن للأفراد تملكها ، كما هو الحال فعلاً في بعض مقاطعات سويسرا . فقد كان وضع قيود جديدة على الاتجار في الأراضي ، أو في أي شيء آخر مخالفاً لآرائه . أما أن يفرض قيوداً على القروض فأمر محتم ، ولكن ذلك قد أدى إلى نتائج كما سنرى ، مثل ما أدى =

أما العملان الآخران اللذان أنجزهما سولون ، فيتصلان بالإدارة القضائية لا السياسية . فسولون ، كما رأينا ، لم يكن المؤسس لديموقراطية القرن الخامس ، لأنه أشرك الناس في السياسة العامة ، بل لأنه كفل لهم العدالة في المعاملة أو المساواة . فإذا كنا نفكر في أثينا كأنها مرتبطة بالديموقراطية أكثر من ارتباطها بالعدالة ، فإننا مرجع ذلك إلى أننا أصبحنا بمرور السنين ، ننظر إلى إجراء العدالة بين الرجل والرجل في المحاكم ، على أنه أمر طبيعي . ولكنه لم يكن كذلك في أثينا عند مجيء سولون . وكان يجب إجراء تغييرين كبيرين ، حتى يطمأن كل شخص أثيني إلى المعاملة العادلة . فيجب على المدينة أن تتدخل نهائياً كما رأيناها تبدأ ذلك في إليس ( Elis ) ، لتحرر أعضائها من طغيان ولاءات أدنى من ذلك وأقل ، كما يجب أن يتسم سلطانها بقوة عادلة غير محابية ، لا سلسة طبقة أو فريق ، بل سلطة الشعب . هاتان هما الفسكرتان الرئيسيتان ، اللتان أدمجهما سولون في نظام حكومة أثينا ، مقتدياً في ذلك بوجه عام بسلفه دراكون . وقد أباح لكل من يشاء ، أن يرفع دعوى عند أى اعتداء جنائى ، باستثناء بعض الجرائم المعينة الخاصة مثل جرائم قتل الوالدين . ولكى نفهم معنى ذلك ، يجب علينا أن نباعد بين أنفسنا وبين التفكير في نظام الدولة الحديثة ، من شرطة ووزراء للعدل ، وأن نتصور أنفسنا في عالم يلمن فيه الرجال بيط . كيف يرتضون سلطة أوسع من سلطة البيت أو القبيلة . وقد سئل سولون مرة عن أحسن مدينة آمنة مخفورة فأجاب قائلاً ، المدينة التى فيها يتعقب كل الأفراد —

---

— إنماء الجبس عندنا من أجل الدين ، الذى دافع عنه ديكز . وقد أدى إلناؤه إلى فضاء الإيلاس في عصرنا الحاضر . والحق أن الاستعداد من أجل الدين لم يكن قد استؤصل نهائياً من الحياة الأثينية ، وقد عاد ثانية هونفسه ، أو شيء مماثل له بما بعد . فننلا في Menander's Hero ، نسمع أن راعياً من المحررين اقتضى تقوداً في سنة ضحك ولم يستطع سداها ، ومات تاركاً أبناءه الأحرار المولد ليددوا دينه . فهؤلاء يعيشون في منزل الدائن مع عبيده المعتبر بهم ، ويوصفون بأنهم « عبيد على شكل ما » ( Hero ٢٠ وما بعده طبعة Teubner ) . والواقع أن الاستعدادة كانت موجودة قبل العهد السولوني وبعبه ، ولكن ازداد انتشارها عقب استعمال النقود .

من عانى الضيم أو من لم يعانیه على حد سواء — الظلم ويعاقبون عليه ، .  
وهدفه أن يجعل كل أثني يشعر بمسئوليته إزاء توزيع العدالة ، ويعمل من  
أجل ذلك — يشعر بأنها واجب عليه ، لا كفرد إزاء صديق في ضيق ،  
وإنما كمواطن في مدينة حرة . ففي الدولة التي فيها يتوخى الرجال إقامة  
العدالة — فيها وحدها تصان أبدأ الحرية الفردية . ويمكن أن نتبع نجاح  
مجهود سولون ، في التقدم السريع المضطرد لنظام القانون الجنائي الأثيني ، حتى  
الأيام التي عرفناه فيها كاملا — أى إلى عصر خطباء القرن الرابع (١) .

وليس هنا موضع مناقشة هذا النظام بالتفصيل . ولكن الجدير بالملاحظة  
أن نواحيه التي يرجح ، أنها ترجع إلى عهد سولون ، والتي كانت أول ما طبق  
بأعظم تفصيل — هي التي كفلت حماية الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة .  
ومن المحتمل حقيقة أن بدأ سولون بأن أباح لأى فرد إقامة دعوى جنائية ،  
في الحالات التي يكون فيها الأشخاص الذين وقع عليهم الضرر غير أكفاء  
شرعاً ، أو غير قادرين فعلاً . على أن يكفلوا العدالة لأنفسهم ،  
ولا يستطيعون أن يحصلوا من عائلاتهم على وسائل التعويض اللازمة . ويقول  
بلوتارخوس ، لقد سمح سولون لأى مواطن أن يقف إلى جانب ضحية الظلم  
لينصف الضعيف . وقضايا الإهمال ( κακώσεως γραφαί ) كانت  
منطقياً أول ما بدى به . وهذه الإجراءات العامة التي بها وضعت الحكومة  
تحت رعايتها ، الآباء الفقراء ، أو المسنين واليتامى المعاصرين والوارثت ،  
كانت تحاط دائماً بجو من العالم القديم . فكان مقيم الدعوى يتجه إلى الأركون ،  
وكان الرئيس الأعلى في أيام المدينة الأولى . وميزت هذه الدعوى بنوع  
خاص ، فإجراءاتها كانت على الخصوص سهلة سريعة . فكانت تطرح القضية  
للمناقشة في خلال خمسة أيام ، وهي الدعاوى الوحيدة التي لا خطر فيها على المدعين .

(١) Ath. Pol. ٩ ، ثم بلوتارخوس ، سولون ١٨ . إن الدعاوى الجنائية التي تضطام  
بها الدولة بهذا الشكل عن طريق « كل من يرغب » ، تعرف باسم القضايا المكتوبة  
( γραφαί ) ، لأنها كانت أول مادون من نوعها ، بعكس ( δίκαι ) أو القضايا المدنية  
من نوع المنازعات ، التي رأينا ديوكس يفصل فيها . ( أنظر التذييل ) .

فما من رسوم تدفع ، ولا خوف من غرامة على إقامة دعوى تافهة ، ولا حتى وقت محدود للدفاع . وفقد الحقوق السياسية كان العقاب في حالة الإدانة . وبدلاً من أن يكون الأمر اغتصاباً عنيفاً ، وإجراء ثورياً ضد حقوق العائلة ، فالقدرة على التدخل ، والاقتصاص للخطأ ، الذي ارتكب ضد الآخرين ساعدت في البداية على حماية الأسرة وسد ثغرة في حقوقها . ولا شك أن ذلك هو ما حاول سولون إظهاره للرجعيين في ذلك الوقت ، ولكن من المحتمل أنه كان بعيد النظر ليدرك من البداية ، النتائج المترتبة على جعل المدينة حامية لمن لا حول له ولا قوة . لأنه كان يعمل ما يحاول أن يقوم به الآن كثير من المصلحين الاجتماعيين ، سواء كانوا حكماً أو غير حكماً فيما يتبعون من طرق ، فقد كان يربط الدولة بمعاني الشفقة والرأفة فضلاً عن معاني القوة . وما من عمل من أعماله أثبت وأرسخ من هذا . لقد نجح في إقامة تقليد دائم من الرحمة والشفقة والكرم ، بدأ لائني القرن الخامس ، من أقدم مفاخر أثينا الطبيعية . ولم يكن سوفوكليس في أوديب كولونيس ( Oedipus Coloneus ) ولا يوربيدس في « توستاتة » ، وحدهما اللذان رافهما ذلك ومجداه ، بل ارتضاه كذلك ومجده توكيدس العتيد . ولولا سولون لما سطرت أفضح فترات مراثية بركليس النهكية ، « إنا في عملنا الخير نجرى على عكس البشر كله على خط مستقيم ، فنحن نحتفظ بأصدقائنا لا بقبول ما يقدمونه لنا من خير ، ولكن بأن نعمل الخير لهم (١) » .

ولكن لا فائدة من إحضار المذنبين أمام كرسي القضاء إذا كان النبيل ريب زيوس ما زال متربحاً على ذلك الكرسي يصدر أحكاماً أوجاه ، ، فنالك أعمال سولون وأعظمها هو « جعل الشعب مصدراً لأحكامه » . وقد وصلنا إلى ذلك منذ عهد مبكر في تاريخنا بإنشاء نظام المحلفين . ولكن

---

(١) Solidarité م ٣٧١ - ٣٧٢ ، وقد فصل في دارميرج مقال ( ΚΑΚΩΣΕΩΣ )  
γρᾶφή ) ، ثم توكيدس ١ - ٢ - ٦ ، ثم ٢ - ٤٠ - ٤ ، ثم Isaeus ٣ - ٤٦ ، مقدمة وري  
في يوربيدس ٢٦ .



اليونانيين لم يهتموا بتحكيم هيئة صغيرة من الممثلين كتملك ، إذا استطاعوا تجنبها . فإذا كان على الشعب أن يصدر الحكم فيجب أن يحضر الجلسة الناس بهيئتهم الكاملة ، أو على الأقل جزء كبير منهم . وطبيعي أن ليس لديهم الوقت أو الخبرة ليتوموا بذلك يومياً ، أو في كل قضية . ولذا لا بد أن تترك الإدارة العادية للموظفين الذين أصبح أمامهم الآن قانون مكتوب يطبقونه ، لا تقليد غير مسطور يفسرونه . ولكن في القضايا والأحوال غير العادية ، حيث يكون القانون غير واضح ، أو حيث يكون التردد موضع خلاف شديد ، أجاز - ولون استئناف الدعوى أمام محكمة كبرى ، تتكون من عدة آلاف من المواطنين - أى شبه محكمة كبرى من الشعب تعقد في العراء على مقربة من السوق العامة - ولم تعرف اختصاصات هذه الهيئة ولا طريقة تأليفها ، وأطلق عليها اسم هلييا ( Heliaea ) ، إذ لم نعرف الكثير عن القضاء العام إلا بعد أن قسمت هذه الهلييا إلى عدة محاكم ، تتكون من عدة مئات بدلاً من آلاف من القضاء ، وهو ما نجده في عهد بركليس . ولا نعرف من الذى كان يقرر نوع القضايا التى تعرض عليها . ولكن سولون قد شرع شرطاً واحداً يحتم ، أنه فى حالة الاختلاف فللشعب السلطة العليا على حكمه . وقد أوجب سولون على كل حاكم يعتزل منصبه ، أن يقدم تقريراً عما قام به ، إلى المحكمة العامة للشعب . فانتقاضى وأمامه هذه التحقيقات ، قبيل زمرة من الساخين الغيورين المفطورين على كثرة السؤال ، ما كان محتماً أن يرتكب عمداً ما يغضب الشعب ، إنما النخطر كله كان فى الجهة الأخرى . وبالرغم من أن الجمعية العامة لم تدرك بعد سلطتها ، فقد زج سولون بأثينا فى غمار الديمقراطية خيراً أو شراً (١) .

كانت هذه القوانين أكثر قوانين سولون خطراً وأعظمها شأنًا .

(١) المراجع بخصوص Heliaea فى الجزء الثانى من كتاب بوزولت Griechische Geschichte (الطبعة الثانية) من ٢٨٣ وما بعدها . واشتقاق فيلا. وثير الأخاذ λιλια.α. « مكان الاجتماع الشمس » ، لسوء الحظ ، لم يلق تعضيداً .

ولكن هناك قوانين غيرها كثيرة أقل أهمية ، هدفت كلها إلى تحقيق الغرضين ذاتهما : تحرير الفرد من الروابط الصغرى ، وتوثيق اتصاله بالمدينة . وربما كان أهمها سن قانون الحرية . فتم ذلك الوقت سمح للأثيين أن يتركوا ثرواتهم حيث شاءوا داخل القبيلة أو خارجها ، إذا لم يوهبوا سوارثا شرعياً من الذكور ، والاستثناء كان ، بالتأكيد ، أهم عملاً من الفاعلة ، ولكن لم يكن الأمر كذلك من حيث المبدأ . فالحرية الموهوبة بوعية حتى في هذا الشكل المخفف ، كانت شيئاً جديداً في العالم اليوناني . ويمكن أن نرب اندفاع انتشارها من أثينا السولونية إلى أقصى بلاد اليونان (١) .

بقيت ناحية واحدة من أعمال سولون تستحق التتويه والتوكيد ، لأنها تسمى إلى المستقبل . فبلوتارخوس يقول لنا ، إن سولون يسر الحصول على حق الرعية الأثينية للأجانب الراغبين في استيطان البلاد مع عائلاتهم ، ليقيموا ببعض الحرف اليدوية . وتشجيع الهجرة أمر غير عادي في الجماعات الناشئة في العالم الحديث . وقد اعتدنا الدول التي تعلن في الجرائد عن مراكز خالية ، كما يعلن أصحاب الأعمال الذين يطلبون عمالاً جديداً . ولكن الدول اليونانية لم تكن قد تدرت أجيالاً طوالاً ، حتى ننظر إلى الأجنبي من حيث هو مجرد عامل . فقد كانوا في طبيعتهم هيئات مختارة ، لا تقبل اشتراك غيرها معها ، ومقسمة بدقة إلى دوائر أصغر فأصغر ، ومختارة اختياراً أدق ، لا مكان فيها لأجنبي . وعلى ذلك فسياسة سولون تسمى إلى ابتداء تغير بعيد المدى . فتمذ الآن لم يعد الوافدون الجدد يحتقرون ، كما كان الحال من قبل ، ويعدون ، أفاقين لا وطن لهم ولا بيت أو أرض ، بل رحب بهم اليونانيون كملاء نافعين ومساعدين في أعمال الجماعة . أو بمعنى آخر أصبحت أثينا على استعداد لقبول دم جديد ، غير ناظرة إلا

(١) جلودر Solidarité ص ٣٤٢ - ٣٤٥ . قارن العكس ص ٣٥٩ وما بعدها ، فيما يخص واجبات الأبناء في نظام سولون . تعتبر قواعد أفلاطون الخاصة بالوصية ( القوانين ٩٢٢ وما بعدها ) مقياساً مناسباً لتقديم أسلوبه .

إلى الكفاية والمقدرة ، بصرف النظر عن مسائل الدين والقومية . وسنرى .  
ثمرة هذه السياسة في التقدم المزدرج في الأجيال القليلة القادمة ، في ازدهار  
التجارة والصناعة ، التي مارسها هؤلاء المهاجرون الذين لا أرض لهم ، جنساً  
إلى جنب مع الزراعة . ثم في تدرج تراخي الروابط ، التي لازالت تربط  
الأثني المولد بقبيلته وإقليمه المحلي . وفي كلا هذين الاتجاهين كانت سياسة  
سولون الحذرة ، والجريئة أيضاً ، قد مهدت ، لسكيبتيثس ثورى القدير ، ..

---

# الفصل السادس

## تطور حق المدينة

### الحكومة الذاتية أو حكم الشعب الديمقراطية (δημοκρατία)

تظهر الوظيفة الرجال — مثل يوناني . . Αρχὴ ἄνδρα δείξει .

Ἄμύχανον δὲ παντὸς ἀνδρὸς ἐκμαθεῖν  
ψυχὴν τε καὶ φρόνημα καὶ γνώμην, πρὶν ἂν  
ἀρχαῖς τε καὶ νόμοισιν ἐντριβῆς φανῆι.

ما من وسيلة بها تعرف الرجل ،

روحه وعقله وإرادته ،

إلا بعد أن يعجم عوده ،

فيعمل حاكماً أو مشرعاً .

( عن ترجمة هوانتو ) .

سوفوكليس ، أنتيجون ١٧٥ — ١٧٧ .

من أسباب دهشة الراديكاليين المتهورين الدائمة ، أن تسمح الجماعات ذات الحرية الواسعة بقيام طبقة ممتازة ، بالحكم والسيطرة . فما يبدو لهم طبيعياً ، أنه إذا ما وضعت السلطة في يد الجماهير ، فإنهم سيبارعون إلى استغلالها ، وخاصة إذا كان ذلك في مصلحتهم إلى حد كبير . وأما أن يعطى رجل لا يزيد مكسبه على ثلاثين شلناً في الأسبوع ، صوته كمحافظ ، ويخضع لادعاءات أرستقراطية وراثية ، فأمر يفوق حد فهمهم . فنطقياً تبدو وجهة النظر هذه معقولة للغاية ، ويبدو أن أيننا البركيسية أيدتها نايداً قائماً على الخبرة ، ولكن بالنسبة للواقع فإن كلا من نذر التاريخ ، وحقائق الطبيعة البشرية السياسية القاسية ، عارضت ذلك . فالتاريخ يقول — كما أدرك

ذلك الشخص المتقدم ، عن خبرة وتجربة — إن أمام الشعوب ، مهما كانت مواهبها السياسية ، أجيالا طويلة تقضيها في التعلم ، لا بالمناشئة ولكن بالخبرة الفعّالة ، قبل أن تقتنع بتحمل عبء حكم بلادها. وقد كان الأثينيون ميايّن إلى السياسة ، وموهوبين فيها كأي جماعة أخرى في التاريخ ، ومع ذلك فقد ترددوا في قبول الحكم الذاتي ، وتلكؤوا فيه . وقد أتى ذلك الحكم الذاتي متأخرا ، ومن غير ما تفكير أو تمعن غالبا ، في تطور نظام دولتهم السياسي . فلو كانوا يستطيعون أن يحيوا الحياة السعيدة الهادئة ، في ظل أي شكل آخر من أشكال الحكومات ، لوجهوا نشاطهم إلى مجرى آخر ، مثاهم في ذلك مثل الناخبين الصامتين من الطبقة الوسطى ، في أيامنا هذه ، أو مثل مواطنهم السهلي الانقياد الذين يعيشون على ساحل آسيا الصغرى . ولقد عرف ذلك دائما المراقبون السياسيون المتيقظون ، الذين لم تعمهم الكهات الخلابه ، ولا روعة أثينا في القرن الخامس . فقد ازدهرت رودس ، شأن البندقية ، حتى أصبحت أعظم ميناء في بحرها ، من غير أن تتخذ لها مع ذلك حكومة ديمقراطية . فأمرؤها التجار ، كما يقول عنهم سترابون ، كانوا يراعون الشعب ، دون أن يكونوا ديمقراطيين ، أي أنهم كانوا يمدونهم بالطعام ، ويمهّون لهم الملاعب . ويقول أرسطو ، إن شعب تاراس جدير بأن يتخذ مثلا يمتدّي ، فهم يجعلون الفقراء في حالة نفسية جيدة ، بإسراهم في الاستفادة من أملاكهم ، وعلاوة على ذلك ، فهم يقسمون كل مناصبهم قسمين ، قسم يشغل بالانتخاب ، والآخر بالاقتراع ، وذلك كي يضمن لهم القسم الأول أداة حسنة ، ويتيح الثاني إشراك الشعب فيها . وليس الترتيدون الوحيدون الذين جعلوا من الموظفين دمي يستغلونهم في أغراضهم الخاصة . فذلك أمر قديم نعرفه منذ عهد بينستراتوس ، وحديث حداثة الاجتماعات الانتخابية التي عهدناها بالأمس . والذين يلجأون إلى هذا الأمر يؤبدّم عامل ، كثيرا ما ينسأه المفكرون السياسيون ، وذلك وطأة الكسل البشري . وخير للبشالي أن يترك برهة آراء جروت ومازيني ، وأن يقاب

صفحات عدد من الأعداد الانتخابية التي تصدرها جريدة «باناش»، وسيرى نفسه بعد ذلك في وضع يمكنه من تتبع ما اعتور تقدم الأثينيين من صعود وهبوط، من الزهارة إلى الحكومه الذاتية (١).

عند ما أتم سولون قوانينه غادر البلاد، ولبث في الخارج عشر سنوات، حتى يتيح لدستوره فرصة حسنة، ليحرب خبير تجربة. ولما عاد كاركل شيء. قد اختلط مرة أخرى، وكان السبب اقتصادياً كالمعتاد. أما النواحي الأخرى لنظامه، فقد ظلت ثابتة، ولم يسمع أى شكوى من ظلم أو زيغ. فالسلطة التضائية الجديدة لم تكن نافذة فقط، بل امتدت دائرة نفوذها، واقتنع المحافظون بالتحلل من التشدد في رعاية الروابط العائلية. إلا أن القرويين لم يكونوا سعداء ولا مطمئنين. فالفلاحون وإن كانوا قد رجعوا ثانية إلى ممتلكاتهم، واستمعوا إلى الصائح الطيبة التي وجهت إليهم بشأن إدارة كرومهم وأشجار زيتونهم، كان ينقصهم المال لتدبير أجوالهم، وللضى في أعمالهم. ولم يكن في مقدورهم أن يلجأوا إلى الاستدانة. وكان الصناع وصغار التجار. الذين ارتبطت مصالحهم بهم، كانوا أيضاً يجأرون بالشكوى، ولم تنكر شكواهم موجهة ضد سولون وقوانينه، بل ضد حكام المدينة الذين يطبقون تلك القوانين. فلم يعد يشترط أن يكون الرؤساء أو الحكام ( الأرا كنة ἀρχοντες ) من النبلاء. فالسنانون، من رجال السوق العامة، الذين ورد ذكرهم في هومر، ترقوا بالتدريج، حتى صاروا عدداً ثابتاً من الموظفين في الدولة، يعينون في مناصبهم لمدة سنة. وقد ذهب سولون إلى أبعد من ذلك بأن ترك مناصب الأرا كنة التسعة، مفتوحة للأثرياء، من غير نظر إلى عراقة أصلهم. وسمح لمواطنهم بحق انتخابهم، على أن يكون التصويت بالقبائل. ومع ذلك فقد ظل الفقراء يشكون كثرة عدد ممثلي الأرا سنقراطيين في مراكز الحكم. لكنهم توصلوا بعد سنوات قليلة، إلى تسوية ضمنوا بها وجود عشر مناصب: خمسة منها

(١) أرسطو، السياسة ١٣٢٠ ب ٩، ثم سترابون ٦٥٢ عند الأجر.

للأرستقراطيين ، وثلاثة للفلاحين ، واثنين للصناع . ولكن الداء كان أعمق من أن يستأصله مثل هذا التوازن العبقري . فزاد التذمر استفحالاً ، حتى انتهى الأمر بتقسيم الدولة ثلاثة أحزاب متعادلة ، كل مستعد للنضال من أجل مصالحه الإقليمية والاقتصادية . فكان هناك السكان الأغنياء الذين يسكنون أثينا ، ورجال السهول ذوى المصالح المرتبطة بها ، ثم رجال الساحل ، وهم السكان الذين يعيشون في القرى جنوب شرق أتيكا ، فيما وراء هيميتس إلى سينيوم . وأخيراً رجال الجبال ، وهم أفقر الفلاحين ، والرعاة الحطابون والفحامون في الأقاليم الجذباء التي في شمال أتيكا . وبدا البردة أن تيسيس قد حاول أكثر مما استطاع ، عند ما عمل على إيجاد شعب موحد من أقاليم أكثر إتساعاً من رقعة أى دولة يونانية . ولكن لحسن حظ أثينا أن ظهر رجل في إسرائيل ، فالجيليون على رأسهم زعيمهم بيزستراتوس ، الذى لم يكن صديق الفقراء فحسب ، بل كان جندياً ممتازاً أيضاً ، كما كان لديه ثروة كبيرة ، وكان متصلاً بكثير من ذوى النفوذ . وقد نجح بصعوبة ، فى أن يجعل حزبه أقوى الأحزاب فى الدولة ، كما نجح من قبل فى جعل نفسه رئيساً له . واتخذ لنفسه حرساً خاصاً ، كما فعل ديوسس ، ثم استولى على الأكروبول ، وغدا السيد المطلق فى المدينة<sup>(١)</sup> .

ولما أن قبض على زمام السلطة ، د باشرها بشكل دستورى أكثر منه استبدادى ، . أى أنه احترام الأوضاع الدستورية ، ولم يأت بتغييرات دامة فيما يخص العدالة . أما فيما يخص السياسة ، فقد سمح بأن تستمر النظم القديمة فى عملها تحت إشرافه وقيادته . فظل المجلس قائماً ، كما ظل الموظفون يذخجون سنوياً . ولكن الطاغية ، بخضته الحكيمة فى السياسة الخارجية ، ودلاقته فيما وراء البحار ، كان هو الذى يحرك الأمور ، ويديرها كلها بنفسه . فإذا كانت أثينا قد غدت فى أواخر القرن السادس ، عاملاً مهماً فى السياسة الدولية ، ومدت نفوذها إلى الهيلسبوننت ، وجلبت الثروة من مناجم الذهب

(١) Ath. Pol. ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ .

في تراقيا ، ثم صارت مركز المعارين والشعراء والمثاليين ، فإنها تدين بكل هذا إلى طاغيتها وأبنائه (١) .

وكانت أكثر أعمال پيزستراتوس بقاء ، معالجته للمشاكل الاقتصادية ، فقد بادر بحلها حلانها ، وذلك بأن قدم مالا من ثروته الخاصة للفقراء من الملاك ، ومعظمهم طبعاً من المؤيدين له في سياسته . فلما أصبح لديهم رصيد يكفيهم السنين العجاف ، أو يعتمدون عليه حتى تثمر أشجارهم ، انقضت مشاكلهم ، وزالت متاعبهم ، ولم يعد أثر لمشكلة الأرض في أتيكا ، إلى أن أتى الاسبرطيون ، وخرّبوا الأرض الزراعية بعد ذلك بمائة وخمسين سنة .

لقد عاش الفلاح الأتيكي هادئاً راضياً تحت كرمه وتحت أشجار التين ، ينظر بتبجيل إلى هبة آلهته ، أشجار الزيتون ، تلك الأشجار التي أخذت الدولة تعنى بها ، كما كانت من قديم ، حتى تزايد عاماً بعد عام ، إنتاج أهم أشجار اليونان . ويرجع الفضل الأكبر لهذه النتيجة إلى استتاب الأمن . فلم يكن هناك عدو أجنبي ، يقضى على الأشجار ببلطته ، وإنما سلم مستتب داخل البلاد ، وعدالة موفورة ، سهلة المنال . نعم لقد فرض ٥٪ ضريبة على منتجاته ، تفيها له بأن هناك سيد في البلاد . ولكن كان يمكن الفلاح أن يذهب للانتخاب كل عام ، وإلى الجمعية العمومية كل شهر . فظاهر الحكومة الذاتية كانت باقية في مجلس الكورة ، وفي المجلس العام في العاصمة ، وهكذا كان لا يبان إعطاء صوته لمرشح الحكومة ، ولم يكن الإنسان في حاجة لأن يسير في أتيكا خلال عام ١٩٠٩ ، ويناقش دكتاتورية الحلف الحربى المنقعة عند العيون والآبار ، وفي القوارب الشراعية ، وعلى مراند الخبز والزيتون في المقاهى بالقرى ، ليدرك كيف أن هؤلاء القرويين ارتضوا حكم پيزستراتوس . فالإنسان يمكنه أن يتصور ذلك من المحادثات التي تقوم حول الديمقراطية في موطنه هو ، وفي البلدان القريبة منه ، حتى

(١) Ath. Pol. ١٤-٣ ، ١٥-٢ ، ١٨ ، ١ - ، ثم هيرودوت ١ - ٥٩ ، ٦٤ .



بأن أمجاد الحكومة الذاتية لم تقض على ذكراه ككلية ، وظل الفلاحون طويلا ،  
يعدون عهد پيزستراتوس عهدا ذهبيا (١) .

ومات پيزستراتوس ، ولم يتمكن أولاده من حكم الشعب بمثل مهارة  
آبئهم . وقد أدت معركة شخصية إلى مقتل هيبارخوس ، وسمت عقل أخيه  
الأكبر هيبياس ، ولم يكن هارموديوس وأرستوجينون المتهمان فيها ،  
شهداء في سبيل الحرية كما صورتها الخرافة فيما بعد ، فقد كان ينتميان  
لعصابة الطغاة ، ولم يكونا حتى ديمقراطيين . ولكن عملهما أدى إلى طرد  
الطغاة ، وكان ذلك نتيجة سلسلة حوادث سيئة غير متوقعة . فهبياس ،  
ككل يوناني ، قد سمح حكم أناس لا يرتاح إليهم . فلما أرسلت اسبرطة قوة  
ضده ، بناء على ما أوحى به دلف ، كان في إمكانه الاعتصام بالأكروبول ،  
ولكنه أراد أن يفاجيء كلا الطرفين ، بتسليم قوته والانسحاب  
إلى سيجيوم (٢) .

لقد أصبحت أثينا حرة الآن . ولكن من سيحكمها — النبلاء أم الشعب ،  
السهيون أم الجبليون ؟ قام كليستينز الألكياونيدي زعيم حزب الشعب ،  
الذي يعتبر المسئول عما أوحى به دلف ضد هيبياس ، يطالب بالسلطة .  
ولكن إزاجوراس ، رئيس حزب السهل ، الذي كانت له باسبرطة صلات ،  
كان أقوى منه ، إلا أن إزاجوراس لم يكن پيزستراتوس . فهو لم يفهم  
طباع الشعب الناهض الذي حاول حكمه ، وارتكب غلطة قاضية ، كانت  
كافية لحسن الحظ ، لأن تدفع أثينا أخيرا إلى اعتناق المذهب الديمقراطي .  
فقد طلب جيشا اسبرطيا يشد به أزره ، وعمل على إبقاء نظامه في الحكم ،

(١) فيلاموثيتز A. A. الجزء الثاني ص ٧٠ ، ثم Ath. Pol. ١٦ — ٤ ( الذي يقول بأن  
الضريبة قدرها ١٠ في المائة ، ولكن انظر توكيديس ٦ — ٥٤ — ٥ ) . وقد جعل  
پيزستراتوس نفسه مجربا من الشعب ، وذلك بأن أعفى الفلاحين من ضريبتهم ، إذا ما كانوا  
أفقر من أن يدفعوها . ( انظر التذييل ) .

(٢) هيروتوت ٥ — ٦٤ إلى ٦٥ .

بأن ألقى مجلس الشعب، وتقي ٧٠٠ أسرة، فأثار ذلك غضب الشعب . لقد تعود الشعب أن يحكمه النبلاء، والمكن أن يرى فرقة من جنود اسبرطة أتذرن، تعسكر في الأكربول، بين مقصورات وتماثيل أقامها بيزستراتوس، كان أكثر مما يحتمل تحمله . فأهاب كليستينز وأعضاء المجلس بالشعب، أن يهب إلى حمل السلاح، وحاصروا الصخرة، فكشوا يومين بلياً إليها رقبون كل مخرج . وفي اليوم الثالث استسلم الأجانب، ولم تنس أننا أبدأ . بنظرهم وهم يهبون المنحدر . وبعد ذلك بقرون — نجد جماعة المنشدين في إحدى روايات أرسطوفانيز يطاربون عند تذكر ذلك المنظر

كيف، مع كل تلك التيران الوهاجة العالية،

حلت بالاسبرطي العجوز هزيمته .

وفي تقهقره بشكل مزرى،

ترك رحله وترسه معي،

ثم انسل وليس عليه سوى قيصة الخلق الوحيد،

ولا يدرى أحد كم تراكم عليه من قذارات على مر الزمن،

ثم وهو موصوم ومدنس

وذو لحية كثة شعشاء،

مضى وتركنا أحراراً<sup>(١)</sup> .

أصبح كليستينز الآن سيد الموقف، وقد كان رئيس حزب الشعب، كما أصبحت تشد أزره روح الاستقلال القومي العنيد، فشعرت أننا في تلك اللحظة بأنها أمة موحدة . وقد وطد كليستينز العزم على أن يحفظ لها هذه الوحدة . فلم يرض أن يباشر السلطة العليا كما رفض سولون من قبله، وفضل أن يواصل عمل سولون، بأن يتم في محيط الحكومة التنفيذية، ما قام به سولون في محيط العدالة . ولقد كانت أننا نصف ديمقراطية،

(١) Ar. Lyf. ص ٢٧٥ ثم Ath. Pol. ٢٠، وهو كما يقول فيلاموفيتز يورد الموادث

في ترتيب أحسن من هيرودوت ٥ — ٧٢ .

بجعلها ديمقراطية خالصة ، اسما وفعلا . فالدستور السياسى الذى ازدهرت به أئينا فى القرن الخامس ، كان فى جملة وفى أساسه من عمل كايستينز ، إلا إذا استثنينا بعض التطورات التى كان لا بد منها . وهذا هو الوقت إذن ، الذى نقف عنده لنبحث هذا الدستور فى جملة .

تنقسم أعمال كايستينز إلى قسمين ، فهو قد أعاد تنظيم كل من الحكومة المحلية ، والحكومة المركزية فى أئينا . وسنعرض لهذين القسمين كل على حدة ، متذكرين دائما فى كل منهما السؤالين اللذين افترضتهما مرثية بركايس : ما مقدار السلطة التى وضعت فى يد المواطن العادى فعلا ، وما مدى النضجيات من الوقت والفكر التى يقتضيها واجبه نحو الجماعة العامة ؟ . فقد كان من ثغر بركايس أن استطاع مواطنيه الجمع بين جميع مسؤولياتهم ، الخاصة والعامة ، حتى أنهم كانوا أكثر العمال السياسيين نشاطا وحركة ، وفى نفس الوقت ، أكثر معاصريهم تنوعا من حيث الميول والمشاكل ( بما نعتبره اليوم مستحيلا ) .

ولنبحث أولا الحكومة المحلية فى أئينا ، فهى المجال الذى قام فيه كايستينز بأكثر أعماله جرأة ، ويمثل نواحي مهمة عديدة . إن نظام هذه الحكومة المحلية ، لم يتضح لنا نسبيا ، إلا فى السنين الأخيرة فقط ، ويرجع ذلك إلى اكتشاف دستور أئينا ، ، وإلى دقة الباحثين والعلماء ، أكثر مما يرجع إلى وفرة النصوص : لأن تلك الحكومات المحلية الصغيرة لم يكن لديها الوفير من المال لتتفقه على قطع الأحجار . إن النظام الذى نحن بصدد وصفه كان نافذاً كله فى عصر بركايس ، ولكن للناس كانوا يعدونه أمراً عاديا مفروغا منه ، ولم يتكلم عنه كبار الكتاب إلا قليلا . وكان توكيديديس ميالا إلى إغفاله كلية . كما لا يمكن لآى كان ، أن يستنتج من المرثية أنه قد وجد على الإطلاق ، لو لم يكن قد ذكر عرضا فى الفصل التمهيدي ، أن رماد كل ميت من الجنود يوضع فى ناووس « قبيلته » .

كانت المشاكل الخاصة بالحكومة المحلية ، إذالم تكن قاصرة على أتيكا ، فعلى الأقل كانت فيها أعقد بكثير منها في أى جهة أخرى . ويعزى ذلك إلى أمرين : اتساع مساحة الأرض ، وإلى كون الناس ، حتى بعد الوحدة السياسية ، قد استمروا يعيشون في القرى . والصعوبات التي واجهت كليستين اثنتان : أولاهما كيف يمكن الجمع بين إدارة محلية ناجحة ، وبين حكومة مركزية قوية . وثانيتهما ، كيف يمكن التوفيق في الريف ، بين مطالب العائلة ، وبين المصلحة المحلية .

ولنبحث الثانية أولاً . لأنها أقدم المشكلتين :

لقد رأينا أن من بين تلك الولاءات الصغرى ، التي عاقت تقدم الدولة المدينة في العصور الوسطى ، اثنتين بارزتين تماماً . فالنبيل الذي من نسل زيوس ، لم يكن وطنياً بمعنى الكلمة ، نظرألمأ عليه من واجبات نحو قبيلته . وكذلك القروى الفقير ، لم يكن وطنياً أيضاً ، وفي الواقع لم يكن وطنياً قط — نظراً لواجباته نحو جاره . فمن الغريب حقاً أن كان القروى الجاهل ، كما حدث في بلاد أخرى ، هو الآخر متمسكاً بأكثر الفكرتين تقدماً . وترجع رابطة الدم في القبيلة إلى عهد البداوة ، بينما كان الرباط المحلى الذى يربط المواطن بشارع القرية حديثاً بالنسبة له . ولكن الاثنان كانا مبدأين قويين ومتأصلين ، تصارعاً بعنف من أجل السيادة في حكومة أتيكا المحلية .

فلنقارن بين عملهما . لنفرض أن تيسيس ، أو أى حاكم كبير غيره على رأس الحكومة المركزية ، أراد الحصول على نفود لبناء السفن ، ليجلب بها أريادنى من كريت . إنه يمكنه أن يعمل أحد أمرين ، فيستطيع أن يطلب من رئيس العشيرة أو القبيلة أن يجمع نفودا للسفن من أهل عشيرته ، الذين قد يكونون قاطنين في أنحاء مختلفة من أتيكا ، أو يستطيع أن يبعث إلى القرى المحيطة ، ويلقى المسؤولية على بعض الرؤساء من رجاله ، أو يمن يختارهم القرويون .

أما من حيث وجهة نظر تيسيس ، فمن الواضح ، أن الطريقة الثانية أنسب الطريقتين ، فهو يعرف تماماً مع من يتعامل في كل حالة ، ويتأكد من أن كل قرية قد أدت ما عليها . وبالتالي كلما نشرت الحكومة المركزية نفوذها ، كلما ازداد المبدأ المحلي رسوخاً ، واعتاد الرجال أن ينظروا إلى أنفسهم لا كأبناء عشيرة ، وإنما كأعضاء في كورة واحدة . وهذه الكورة الأولى ، كانت تقوم بتنظيم أعمالها ، عن طريق مجالس تتم بأمر الكورة ومصالحها ، مثل إنشاء الطرق وحفر الآبار ، أو بالأعمال التي تفرضها عليهم الحكومة المركزية (وكانت لا شك مالية بصفة عامة) . وقد كان رئيس مجلس الكورة ، أو رئيس القرية شخصية مهمة ، إذ كان يعالج شئون القرية المالية ، وينظر في أمر الحصول على الأموال اللازمة ، ويطلق عليه لقب ناوكراروس ، أو صانع السفن ، لأن المال كان يطلب للسفن عادة . وكانت الأساطيل تتطلب أموالاً كثيرة ، وبذا كانت ترهق الحكومة المركزية ، وتتطلب منها أموالاً أكثر مما تتطلبه الجيوش ، إذ كان إعداد السفن يفوق تكاليف الحصول على الرماح والدروع . ومن ذلك عرفت الكورة في أتیکا بمنطقة سفن أي ناوكراراي ، نسبة لآهم واجب قومي عليها . وكان على الكورة أن تجهز سفينة واحدة ، وتعد بحاراً واحداً لكل وحدة من وحدات الأسطول . وبما أن السفن إذ ذاك ، كانت ذات خمسين مجدافاً ، فقد وجب أن يكون هناك نحو خمسين كورة<sup>(١)</sup> .

(١) Ath. pol. ٨-٣ ، ثم ، جوتز Études ٢٤٣ وما بعدها ، (وهو الذي يأخذ كلمة Naύκραροι من الأوديسة ٨-٣٩١ بمعنى ربانة السفن) ، ثم فيلالموثيتر A.A. الجزء الأول ص ٩٦ ، ثم كاثينيك Études sur l'histoire financière d'Athènes au ve siècle طبعة (١٩٠٨ ص ٧) ثم المراجع في دارميرج وساجايومقال (Naukraria) ، وكان العدد الصحيح للناوكراراي ٤٨ رباناً ، وربما تكون الحكومة المركزية هي التي عينت الربانين الزائدين . أنظر يوربيديس . Suppl. ٦٥٧-٦٥٨ ، وملاحظة موري في نص أكسفورد حيث يذكر أنه كان لتيسيس ، مثل ما كان للملك مقدونيا ، فصائل من الحاربين خلاف جيشه الإقليمي . ويمكن أن يعادل «صناع السفن» الأتيكيين كلمة Ἀειναῦται أي (الملاحين الخلس) : إلا إذا كانت هذه الكلمة تمت ، كما يظن البعض إلى كلمة ναῖω في ميليتوس وخالكيس ، أنظر المراجع في كتاب ولهم Beiträge zur griechischen Inschriftenkunde ص ١٢٣ (وهو كتاب يراه ، مفيداً عاماً الطالب التمهّل ، الذي يعرف كيف يستعمل فهرساً) .

إلا أن عدد خمسين كان كبيرا ، كما كانت بعض مناطق السفن بعيدة جدا ، فكان ثمة خطر ظاهر ، وهو أن يتقطع اتصال هذه الكور بالحكومة المركزية . وقد كانوا يتفادون ذلك في أثينا قديما بطريقتين . الأولى ، بإدماج التقسيم القائم على أساس مناطق السفن ، في التقسيم القديم القائم على أساس النخيلة والعشيرة الذي سنعود إليه سريعا . والثانية ، بمنح رؤساء الكور أنفسهم ، مراكز في الحكومة المركزية . وبخلاف كثيرين من « السكان المجاورين » ، كانوا يدعون إلى أثينا لحضور « مجلس » قومي ، ويجلسون في مكان الرؤساء ( πρυτανεῖον ) ، تحت رئاسة أحد « موظفي » المدينة أو « حكامها » . ولما كان عدد ثمان وأربعين كبيرا ، بالنسبة للسرعة اللازمة لإنجاز العمل الذي يعرض عليهم ، فقد كانوا ينجزون الكثير منه ، في لجنة صغيرة مكونة من أربعة أشخاص منهم ، يعرفون « برؤساء صانعي السفن » . وقد نسبت تماما فيما بعد العلاقة الصحيحة ، التي كانت بين واجباتهم ، وبين واجبات حكام المدينة ، وصارت موضع جدال بين كتاب القرن الخامس . ويتكلم هيرودوت عن رؤساء صانعي السفن ، كأنهم كانوا « يحكمون أثينا » في القرن السابع ، ولكن تؤكد يدس الذي أحب المركزية ، صححه في ذلك ، وجعل لسكان المدينة المكان الأول<sup>(١)</sup> .

ولنرجع الآن إلى أقدم التقاسيم ، وأقلها صلاحية من الوجهة العملية ، وهو التقسيم القائم على علاقات الدم .

(١) هيرودوت — ٥ — ٧١ ، توكيديدس ١ — ١٢٦ . لهرودوت أسبابه الخاصة في أن يفصل بين الحاكم الأول في ذلك الوقت وبين تلك الحادثة . فبما يخص إحضار الرؤساء إلى أثينا من « مجالسهم » المحلية أنظر توكيديدس ٢ — ١٥ ἐν Βουλευτήριον ) ἀποδείξας καὶ πρυτανεῖον وهو ١٠ يوحى للراء أن يستنتج بسرعة أن « تيسيس » قد ألغى كاتية ، الحكومات المحلية في أثينا ( وربما كانت هناك أمثلة لمجلس رؤساء القرية هذا في مدن دول أخرى . وانظر المراجع في ماير . Gesch . الجزء الثاني فقرة ٢٢٣ ملاحظة ، وهو يوافق على أن الرؤساء ( πρυτάνεις ) كانوا يكونون لجنة فائقة للأغراض العامة ، كما كان خلفاؤهم في القرن الخامس .

لما دخل المهاجرون أتيكا ، وانصلوا بسكانها الأصليين ، جلبوا معهم نظام تقسيمهم . وكما رأينا ، فقد كانوا مقسمين إلى أسر و أخوات ، و دقبائل ، ، وكان أعضاء كل من هذه الجماعات ، يشعرون باتحادهم مع زملائهم برابطة من الدم ، مثل رجال عشائر الهايلاند باسكتلندا . وقد استمر هذا النظام طوال العهد الارستقراطي ، وظل محتفظا بقوته وتناسبه حتى عصر كليستينز ، ( مثل كثير من النظم اليونانية ) . سل أحد معاصري كليستينز كيف كانت أتيكا مقسمة في هذا الوقت ، فسرد عليك من كتاب رجال السياسة السنوي ، في عصره قائلا : د أتيكا مقسمة إلى أربعة قبائل واثنتي عشرة أخوة ، وثلاثمائة وستين أسرة ( وبما أنهم لم يعودوا كما كانوا ، مجتمعين حول موقد عائلي واحد ، فيحسن بنا أن نسميهم عشائر من الآن ) ، ثم ١٠٨٠٠ مواطن ( أى أن المفروض أن تتكون كل عشيرة من ثلاثين من الذكور الراشدين ) . فإذا ما ألححت عليه أضاف قائلا ، إن أتيكا مكونة أيضا من ثمانية وأربعين كورة ، واثنتي عشر ثلثا ، وسمى كذلك ، لأن ثلاثة منهم ، تكون قبيلة واحدة .

وسرعان ما يرد على ذهنك سؤال معين . ماذا حدث للتقسيم بين النبلاء والشعب ، أو بين المدينة والقرية ، الذى كثيرأ ما سمعنا عنه ؟ هل الفلاحون الفقراء فى القرى ، وهم فى معظم الأحيان الباقون من نسل السكان الأقدمين ، قد احتفظوا لأنفسهم ، بالحقوق والامتيازات القبلية ، جنبا إلى جنب مع أرستقراطية المولد التى نشأت بين أغنياء المهاجرين ، وتمسكوا بها طوال العهد الوسيط ؟ وهذا يثير مشكلة من أكثر المشاكل ، التى أثارها جدلا ، فى تاريخ أتيكا القديم . ولكن ، باختصار ، يبدو أن الجواب ، هو أنهم اكتسبوا حقوقا لامتيازات ، وحافظوا عليها . فى آخر العهد الوسيط عندما ابتدأت أدلتنا الأولى القليلة فى الظهور ، رأينا أن الأخوة لم تعد تتكون من د الأخوات ، كما يدل على ذلك اسمها ، ولكنها كانت مكونة مما يسميه فيلا موقيتز أعضاء الطبقتين الأولى والثانية . وعرف أعضاء الطبقة الأولى ،

الذين ينتخب من بينهم وحدهم رؤساء وكنة القبيلة، باسم جينيتاي (γεννηται) أى (رجال العشيرة) أو أوموجالاكتس (ὄμογῶλακτες) أى (أبناء دم واحد)، أما أفراد الطبقة الثانية فعرفوا باسم أورجيونس (ὄργειῶνες) أى (العابدين). ويبدو من ذلك أن النبلاء، رغم ازدياد قوتهم، لن يتمكنوا من منع الناس أو إبعادهم عن نظام القبائل والأخوات، إلا أنهم نجحوا في أن يضعوهم في هذه الناحية في وضع أقل شأنا، وأن يمنعوهم أو يبعدهم عن العائلات أو العشائر. وكانت عليه أسماء بعض العشائر الخاصة، وما هي عليه من نظام منسق، فيحتمل أنهم أعادوا بناء النظام كله، حتى يناسب ادعاءاتهم. فالأثني الفقير مثل زميله الغني من رجال قبيلته، كان أثنيادأتما، وما من شيء يستطيع أن يغير ذلك. فقد كان ابن زيوس وأبولون، ولكنه لم يكن ينتمي إلى إحدى العائلات الطيبة، التي نسلت من جد نبيل، لذلك أخذ في إغفال أصله الوضيع تدريجياً. وبينما ارتفعت أسرة جاره النبيل إلى عشيرة، وارتفع النبيل نفسه إلى عضو في العشيرة، فإن هذا القروي الفقير فقد نسبه، أو لم يكن ليتذكره إلا في خلوته، عندما يفكر في أجداده الراحلين. فقد تعلم في اجتماعات الأخوة أن يشعر بأنه عضو فخري ليس إلا. ولكنه حافظ على مركزه، وكان من الخبير أن يفعل ذلك، لأن مركزه هذا أوجد سابقة نافعة لسياسة كاستنيز<sup>(١)</sup>.

فما هو محور هذا النظام، القائم على أساس القبائل والأخوات وألحقت بهايته العشيرة؟ وماذا حدث في اجتماع الأخوة؟

---

(١) انظر فرانكوت، Polis ص ١٠ وما بعدها، ثم الجزء الثاني من ماير الفقرة ٢٠٤، (إذ يوضح راديكاليه هؤلاء الأرستقراطيين الأول في كل أنحاء اليونان، في إنشاء قبائل وعشائر متناسقة). فيلا. ووفيتز. A. A. الجزء الثالث ص ٢٧٢ وما بعدها. كان تاريخ أتیکا القديم غامضاً بالنسبة للأثينيين في القرن الخامس، غموضه بالنسبة لنا أيضاً، إلا أنه كان من السهل عليهم التسليم بالأسماء التي لا تفسر شيئاً. انظر هيرودوت ٨ - ٤٤. ὄμογῶλακτες، أرسطو في السياسة، ١٢٥٢ ب ١٨، الذي يبدو أنه أخطأ فهم هذا التطور. ولما كان متشبهاً «بالأولوية النطقية»، لوجود المدينة، لم يسكن لهم بمراحل نحوها وترقيها.



كان أول ما حدث ، كما يقع في مجلس العموم الآن ، الصلاة أو باللغة الرسمية « ὄργια » ، ولكنها كانت أهم شيء أيضاً . فأول أغراض الجماعات في بلاد اليونان ، أيا كانت ، ، ( لأن ذلك يصدق على اجتماعات الصناعات والتجار ) الاحتفال بالعبادة العامة ، . إلا أنه كان لكل جماعة ، بالطبع ، إلهها أو بطلها . وزيوس الأخوة وأثينا أيضاً ( Ζεὺς φράτριος καὶ Ἀθηνᾶ φρατρία ) كانا القديسين الحاميين في اجتماع الأخوات ، وسمي يوم القديسين السنوي ، عيد الآباء أجمعين ، ، الذي أحياه ، على المياه ، الاثينيون مع أولاد عمهم المزعومين — الايونيين . وبالطبع كان لبعض الأخوات الأخرى قديسها أيضاً<sup>(١)</sup> .

ماذا كانوا يفعلون بعد ذلك ؟ يبدو الأشياء ، أكثر من أكل القرابين وكثير من الجماعات الإنجليزية ، قضت عمراً طويلاً مكتفية بالأكل فقط ، حتى بدون صلاة الشكر التي تقال قبل الطعام عند الأخوة اليونانية . كما كان هناك ، أعمال عامة ، يؤدونها بعد الغذاء . فقد كان لكثير من الأخوات أرض وأمالك يديرونها . ولدينا نص خاص بإجراءات أخوات الديموتيونيسداي Demotionidae ( وكان ديموتيون Demotion قديسها الحامي ) . وهذا النص ألقى ضوءاً إضافياً ، على الاجتماعات الأخوية ، بفضل مهارة العلامة ثيلا موثيتز . فالعمل الرئيسي الذي كانت تقوم به الأخوات في هذا العهد ، ( وتاريخ النص هو القرن الرابع ، أي بعد كليستينز بوقت طويل ) هو تعديل قوانينهم ، وخاصة فيما يتناول منها قبول الأعضاء أو إخراجهم . وبالمقارنة بين نظامهم وبين ما نعرفه من نظام الأخوات

---

(١) هيرودوت ١ — ١٤٧ ، ثم فرانكوت ص ٢٤ إلى ٢٥ Ἀπατόρια = ὁμοπατ(ό)ρια ( Schol. Ar. Ach. ١٤٦ ) ، ولكن الجدير بالملاحظة أن معنى هذا قد نسي حوالى القرن الخامس ، حتى أن الاشتقاق الرسمي له كان عن كلمة ( Ἀπάτη ) أي غش ) . وقد حيكّت لهذا خرافة تطله . وكان موعد هذا العيد في الخريف ، فإذا تصادف وجود حرب في الصيف ، أقيمت معه الجنائز الحكومية . وهكذا كانت المراتب تأتي في « يوم كل الأرواح » .

الأخرى ، نرى أن الأخوة في أتيكا ، على أية حال ، قد تركت لها الحرية في أن تضع قوانينها وتعديلها ، مثل الجماعات الأخرى التي سبق أن اعترفت بها الحكومة رسمياً . فعيان ديموتيون لم يواجهوا ، مثل كراهية الرومانين للجماعات السرية ، تلك الكراهية التي جعلت من اجتماع المسيحيين الأول خروجاً على القوانين . لقد كان لدى أثينا طرق أكثر مدنية وأنجح في مقاومة الولايات الصغرى<sup>(١)</sup> .

كيف انتشرت تلك العشائر والأخوات في البلاد؟ بالرغم من أن العضوية فيها كانت قائمة على الدم ، لا على الموقع الجغرافي ، فغالباً ما وجد أعضاء القبيلة والأخوات في مناطق واحدة . ويتلخص الفرق بين التقسيم

(١) أنظر فيلاموفيتز A.A. الجزء الثاني ص ٢٥٩ — ٢٧٩ ، فما يتعلق بالديموتيونى . ثم انظر الفقرة البليئة في كتاب ريتان Origines du Christianisme الجزء الثالث ص ٣٥٥ — ٣٥٧ ، وهي تستحق أن ننسب منها هنا شيء من التفصيل ، لا لها من صلة بشاكل نسبية مشابهة لميلاتها في العصر الحديث . « كان أهم أهداف قيصر وأغسطس منع تكوين جماعات جديدة ، وحل ما كان موجوداً منها من قبل ... فلم يصرح لها بالاجتماع أكثر من مرة في الشهر ، ولم يكن يسمح لها بنشاط إلا لمناسبة دفن أحد أعضائها ، كما لم يكن مسموحاً لها بأن توسع نشاطها معها كانت الأسباب . إن الإمبراطورية كانت تحاول بإثارة القيام واجب مستحيل الأداء . فلما تدبر به من إجلائها لفكرة متطرفة عن الدولة ، كانت تحاول أن تنزل الفرد وأن تفصم كل الروابط الخفية التي تربط الرجل بالرجل ، وأن تقضى على رغبة الفقراء الشرعية ، رغبة التكتل في ركن صغير لهم يدفنون بعضهم البعض . هذا ، وكانت المدينة في اليونان القديمة شديدة الطفان والحكم ، ولكن في مقابل طلباتها المضايقة للأفراد ، كانت تمدق عليهم السرور والنور والفخار حتى أنهم لم يخطر ببال أحد أن يشكو . فكان الرجال يقابلون الموت في سبيلها راضين ، وكانوا يخضعون دون أى اعتراض لتقلباتها الظالمة . أما الإمبراطورية الرومانية فكانت أكبر من أن تكون أمة ، وكانت تهب الناس كلهم امتيازات مادية كثيرة ، ولاسكنها لم تعطهم شيئاً محبوبه . كانت الكتابة التي لا تحتمل ، والتي تلازم مثل تلك الحياة ، أشد على النفس من الموت ، وهكذا فرغم كل محاولات السياسيين ، أظهرت « الجمعيات » نشاطاً عظيماً ... وترينا النصوص أن تلك الجماعات كانت مكونة من العبيد ، والجنود السابقين ، والمواطنين الفقراء . وكانت المساواة المطلقة قائمة بين الأحرار ، والمحرضين ، والعبدة . وكان كثير من النساء أعضاء في هذه الجماعات ، ورغم آلاف المضايقات الطفيفة ، وأحياناً رغم أقصى العقوبات ، كان الرجال يرغبون في عضوية تلك الجماعات حيث يعيشون في جو تحدوه الأخوة الجذلة ، وبلقون المساعدة المتبادلة والتشجيع ، ويعقدون الروابط التي لا انفصام لها . وهذا هو السبب في أن بدت المسيحية في روما ، لمدة طويلة ، وكأنها نادى لدفن الموتى ، ولهذا السبب أيضاً كانت محارِب المسيحية الأولى مقابر الشهداء » .

القبلي والإقليمي في : أن الخريطة التي تبين كور أتيكا ، تقسم إلى ثمانية وأربعين دائرة ثمانية الحدود ، بينما الخريطة التي تبين القبائل ، قد تختلف طبعاً اخلافا طفيفا من سنة لأخرى ، تظهر عدد النقاط ملونة بإثني عشر لونا مختلفا ، تبين الأخوات ، المتعددة ، أى حيث يوجد أكبر عدد منهم ومن أعضاء العشائر<sup>(١)</sup> .

هذا إذن كان الوضع ، عند ما اندمج هذان النظامان المنسقان قبل عصر سولون . ولم يكن من الصعب إدماجهما ، لأن القبائل كانت كبيرة إلى حد أن صارت تعد من الوجهة العملية أقساماً إقليمية . وفيما عدا الأراضى التي على الحدود ، لم يكن من السهل على الرجال ، في تلك العصور الزراعية الأولى ، أن ينقلوا مساكنهم إلى منطقة قبلية أخرى . فإذا ما نظرنا إلى الأربع قبائل على أنها إقليمية ، أصبح من السهل التوفيق بينها وبين الكور الثماني والأربعين . وكل ما يحتاجه بعد ذلك ، هو الحلقة الوسطى ، التي تعادل في الجانب الإقليمي ، الثلاث أخوات في كل قبيلة ، وتم هذا بتقسيم كل قبيلة إلى ثلاث مناطق أو أثلاث . ولا يمكن أن تكون هذه الأثلاث نفس الأخوات ، لأن الثلث إنما يتكون من أراض ، والأخوة من أشخاص ، ولكنها متقاربة جداً ، حتى أن الكتاب المتأخرين استطاعوا القول بأنها شيء واحد<sup>(٢)</sup> .

ولقد تضافرت القبائل والكور معا ، لمدة قرن على الأقل ، ( وربما كانت المدة أطول من ذلك بكثير ) قبل عهد كليستينز . فبينما الكورة قد

(١) فرانكوت ص ٢٩ .

(٢) إن النقطة الحيرة في الفرق بين التقدير بالأرض أو بالأشخاص — تلك النقطة التي أغفلها جامع أرسطو ( القطعة السادسة من Ath. Pol. ) قد ظهرت حديثاً في مناقشة ضرائب الأرض الجديدة . فهل تفرض الضرائب على قطعة أرض كانت قيمتها قد انخفضت ثم ارتفعت ثانية بعد أن تغير أصحابها في تلك الأثناء ؟ أى هل يجب أن تهكر الدولة على أساس الأشخاص أم الأرض ؟ أنظر Parliamentary Debates ٥ يولية عام ١٩٠٩ .

أرسلات صناعات سفنها إلى المدينة ، فإن الموظفين الآخرين والحكام كانوا ينتخبون ، على أية حال منذ عهد سولون ، بطريقة إعطاء الناس أصواتهم بحسب القبائل ، رغم أن اختيارهم كان بالتأكيد ، مقصوراً على مرشحين عن لهم مركز خاص . وكانت إحدى بدع سولون المبتكرة ، التي كان لابد منها إزاء تقدم الصناعة والتجارة ، تقدير المركز حسب الثورة ، لا حسب الأصل والمولد ، وهذا تغيير ساعد كليستينز كثيراً ، في نضاله ضد الشعور الأسرى .

هذا هو النظام ، الذي كان سائداً في القرن السادس ، في أوقات الاضطراب التي سبقت عهد كليستينز ، وكان أساس هذه الاضطرابات ، كما رأينا ، اقتصادياً ، ولكنها اتخذت شكل نزاع جزء من أجزاء أتيكا من الآخر ، أو بعبارة أخرى ، اتخذت شكل نزاع بين قبيلة وقبيلة ، أو بين عشيرة وعشيرة . وقد كان على رموس الحركات في السنين السابقة زعماء العشائر . پيزستراتوس البراوروني ، وميجاكليس الألسكايونيدى ، وميلتياديس الفليادى ، وأيزاجوراس عابد زيوس الكارى ، ويبدو أنه كان قديماً يوقى الأصل . وكان كليستينز نفسه الكايونيدى ، ولكنها كانت أثينا قبل كل شيء . وقد صمم على تحطيم الأبعال ( Baals ) ، أى المعبودات المحلية التي ألهمت مواطنيه ، وأن يجعل منهم أثينيين مثله ، قبل كل شيء آخر .

وكان كليستينز ثورياً إلا أنه عرف أيضاً ، كيف ينشئ ويبنى . وكان الوقت صالحاً لأعمال حاسمة عنيفة ، فاجتثت أولاً أصول الشر ، أى القبائل الأربعة القديمة ، حتى اختفت نهائياً وكل ما يتصل بها : فروعها وأديانها ، من السياسة الأثينية . وبقيت أسماؤها ، خلال أجيال قليلة معروفة للأثينيين ، بدون أن تكون لديهم أية فكرة عما تعنيه ، ولم يصل العلماء بعد إلى الكشف

عنها . لقد أبدل بها محطموها غيرها بمنتهى المهارة ، حتى أن أحدا لم يتمكن من أن يكتب عنها شيئا ، ولا حتى رثاء<sup>(١)</sup> .

وقد قضى أيضاً على الكور ، فاخترني اسم منطقة السفينة من قاموس المصطلحات الأثينية ، إذ أنه هدف الى وضع الأسطول والقوة الحربية بصفة عامة ، في أيدي الحكومة المركزية . ولا يمكن لإنسان أن يعرف ، عن طريق توكيديدس ، أنها كانت غير ذلك<sup>(٢)</sup> .

هذا كل ما حطمه ، فلم يمس الأخوات ، ولم يتدخل بالطبع ، في الآداب المتأصلة في العائلة . وبالقضاء على القبائل التي تربط الأخوات بالحكومة المركزية ، أصبحت تلك الأخوات معلقة في الهواء . ولما لم يكن لها عمل هام تعمله ، كان من العبث مهاجمتها ، فتجاهلها كان أكثر إمعانا في إضعاف تأثيرها في حياة الرجال . فشكل أثيني كان لا يزال ينتمي إلى أخوة ، كما هو مفروض في كل انجليزى أن يتبع كنيسة انجلترا . فلا يغدو مواطنا ، حتى يبلغ الثامنة عشر ، ولكنه يقيد عضوا في الأخوة في عيد جميع الآباء ، وذلك في أول فرصة بعد مولده . ويقدم للأخوات ثانية في سن البلوغ ، أى قبل أن يبلغ سن الرشد بسنتين ، وهو نفس الوضع بالنسبة للشبان الإنجليز ، فعالبا ما يثبتون قبيل أن يبلغوا سن الرشد . ثم يمثل أمام الأخوات ، مرة أخرى ليقدم ، ضحية الزواج ، حتى يحيط ، الأخوات ، علما بحفلة زواجه العائلية . كل هذه الملاحظات الصغيرة كانت جزءا من حياة الأثينيين في القرن الخامس . وكما يقول

---

(١) الأسماء الفرعية هي Hopletes, Geleontes, Argadeis, Aigikoreis . وقد قامت حولها شتى النظريات ، مثلا ، لأنها تقبى تقسيم طبقات الشعب الصرى . وبلاحظ فيلاموثيتز ( aus Kydathen ص ١٢٢ — ١٢٣ ) أن الاسمين الأخيرين « بيدوان كأنما يدلان على معنى ، ورعا دلا على ذلك في فترة ما ، ورغم ذلك فن ذا الذى بضمن أنها يمينان معنى أكثر من كلمة ( Hogfellows ) و ( Boarites ) ( هيرودوت ٥ — ٦٨ ) أو ( Schnuk Puckelig ) و Schimmelsumpf و Schnuck Puckelig Erbsenscheucher ؟ ؟ .

(٢) نحن نعرف فعلا اسم منطقة سفن واحدة وهي ΚΩΛΙΑΣ .

هيرودوت ، فالرجل الأثيني الدم ، يمتاز بالمحافظة على أيام جميع الآباء . ولكن ما هي علاقته بالمدينة الدولة ؟ هي علاقة فنية بحتة ، فعند ما يغدو الأثيني أخا ، يصبح على صلة بجديه القوميين ، زيوس وأبولون . ولم يول أثيني القرن الخامس ، هذه العلاقة كبير احترام ، بل كان جل احترامه لأثينا . وفي أوقات وحدته وانفراده ، عند ما يخلع عنه ثوب « مدنيته » ، كان يتجه باحترامه وعبادته ، إلى آلهة عشيرته أو قديسيها . إلا أن الدستور كان يحتم عليه إذا ما انتخب لوظيفة ، أن يؤكد لناخبيه في الاختيار الشفوي ، قبل مباشرة واجباته ، أنه يحمل جديه القوميين ويحترمهما ، وكان ذلك مجرد شكليات أبقى عليهما كايستينز . كما كانت الصلة الوحيدة التي تربط المدينة الناهضة ، بعثمائد الأخوة القديمة<sup>(١)</sup> .

أما بالنسبة للاعتبارات الأخرى ، فقد فصلت الدولة عن الكنيسة ، الآن ، ولعل من الأصوب أن نقول ، أنه بالانفصال عن الدولة ، غدت ديانة الأخوات أشبه بما نسميه الكنيسة ، إذا كان الأثيني قد حارل ، كما حارلنا ، منذ عهد المسيحية المنظم ، التمييز بين دائرة النظام السياسي ، ودائرة النظام الديني ، وأن نخاص لهما معا . ولكن كان ذلك دون ميوله ، وحتى إذا لم يكن كذلك ، فلم يكن هناك هيئة أخرى في أثينا خارج محيط الأميرة الضيق ، يمكن أن تسترعى اهتمامه . ومن المؤكد أن ديانة الأخوات لم يكن لها القوة ، ولا التأثير لنقف إلى جانب عبادة أثينا . ولذا فإن لم تكن قد ألغيت فنيا ، في عهد كايستينز ، فسرعان ما انتهت إلى ذلك عمليا . وقد ظل أثينيو القرن الخامس يحتفظون بالأپاتوريا ( Apaturia ) وإن كانوا قد نسوا ما يعنيه اسمها . وبمرور الزمن ، بدأ الرجال يتساولون ، هل هناك ما يستأهل مشقة الانضمام إلى الأخوات ؟ وما فائدة ذلك ؟ فقواعد القبول أخذت تتراخى ، وهنا أيضا نجد أن كايستينز هو الذي دق الإسفين ، حتى أمكن كل فرد الالتحاق بها دون تفرقة بين الأعضاء :

(١) هيرودوت ، ١ - ١٤٧ .

فأئينا أصبحت الآن ديمقراطية للغاية ، حتى أنه قد يلقي الإنسان عبداً معتقاً ، بين أفراد الأخوات . وهمما كان من شيء ، فإن الخطاب والاحتفالات قد مرت بسلام ، فما الذي أدت إليه ؟ ففيما يخص المدينة لم تود إلى شيء ما ، فقد كان الطريق أمامها مسدوداً ، لم يواصل الناس المسير فيه إلا قليلاً ، لأنه كلن ينتهي بهم إلى الدولة (١) .

لقد رأينا كلايستيز ، إلى الآن ، ددما ، فما الذي أنشأه بدلا من القبائل ومناطق السفن ؟

كان أول ما قام به أن أنشأ قبائل جديدة ، إذ لا يمكن للأثيني أن يتصور أئينا بلا قبائل ، بقدر ما يستحيل علينا نحن أن نتصور مقاطعة بدون عمدة ، أو مجلس محلي . والواقع أنها كانت « قبائل » بالاسم فقط ، إذ كانت قائمة على أساس إقليمي . لقد كانت ولايات حقيقية ، أو دوائر انتخابية . ولكن كي يجعل لها صبغة دينية ، سميت كل واحدة منها ، باسم بطل معروف ، اختاره موحى دلف ، من بين قائمة قدمت إليه ، تحوى مائة اسم (٢) .

لقد كانت القبائل القديمة هي الأخرى إقليمية فعلا . ولكن ما فعله كلايستيز ، كان أكثر من تعديل خطوط حدودها تعديلا طفيفا . لقد التجأ

---

(١) فرانكوت Polis من ٨٠ ، ثم انظر أرسطو Pax من ٤١٦ وما بعدها . انظر Fergusson, Classical Philology طبعة ١٩١٠ من ٢٥٧ وما بعدها و Hellenistic Athens طبعة ١٩١١ من ٢٣٠ ، الذى بين كيف عادت « اتحادات العائلة الأصلية » : الأخوات ... الخ ، إلى مكانها البارزة ، في حياة الأثينيين ، « عندما كفت السياسة عن احتكار نشاطهم ، بعد أن ساد الحكم القديون » .

(٢) لا يزال في الدستور الأثيني مثل أكثر فراهبة من هذا النوع ، إذ كان اسكينة من سفى المباشرة العسكرية . الاثنى والأربعين ، أى من الثمثة عشرة إلى الستين ، بطلها المسيطر . وكانت تدعى العرق حسب نظامها ، ابتداء من « موسى إلى سامون » . ١ . ٥٣ Ath. Pol. — ١٧٤ . وكان اليونان مفرمين بشكلا عجيب بهذه الشارات البهيجة ، ولا يمكن إلا أن نجعل لها نحن مكانا في أسماء شوارعنا . ولم يفكر أحد في أن حل أسطول بواخر مجلس مقاضة لندن ، عمال فيه عقوق هؤلاء الرجال العطاء من الانجليز ، الذين تحمل هذه البواخر أسماءهم -

إلى حيلة بارعة ، هي تقسيم كل قبيلة إلى ثلاثة أقسام تقع في أجزاء (البلاد) المختلفة الثلاث. وقد مكنته هذا من الاستفادة من الأثلاث القديمة اسما ، إن لم يكن فعليا . فتكونت كل قبيلة من ثلاثة أثلاث ، أو ثلاث وحدات إقليمية منفصلة ، يقع أحدها في المدينة أو قريبا منها ، والثاني داخل البلاد ، والثالث على الساحل . وذلك كما لو قسمت كل دائرة انتخابية في إنجلترا إلى ثلاثة أقسام ، جزء في لندن ، وآخر في الأراضى المزروعة الوسطى ، والثالث في الشمال الصناعى . وهذا كان علاجه الناجع الجارع ، للنزاع الإقليمي ، الذى ساد السنين الماضية . ( فهل ينجح ذلك في بلاد ، غير بلاد اليونان الراديكالية ؟ ) . ويمكننا أن نحدد إجمالاً بما تكونت منه تلك المناطق الثلاث . فمنطقة المدينة شملت الطرف الجنوبى لسهل أثينا من ليكايتوس إلى البحر ، ثم من جبل كوربدالوس إلى هيميتوس . أما منطقة الساحل فقد ضمت كل سهل إيلوزيس حتى كيتايرون ، ثم سارت حول الساحل في شتمة ضيقة ( تعترضها پرايوس ) إلى أوروبوس في الشمال . والباقي ، يضمه القسم « الداخلى » — أى داخل جنوب شرقى أنيكا حتى لاوريون ، وهو جزء كبير من سهل أثينا ، ومعظم المنطقة الجبلية في پارنيز وپنتيكوس . وقد يبدو هذا التقسيم منطبقا على التقسيم القديم « السهل » ، « والشاطىء » ، « والجبل » ، إلا أن البحث التفصيلى ، قد أظهر أن هذه الصلة مجرد مظهر غير تام . لقد بذل كليستنيز جهده ، ليتجنب كل ما قد يثير المجادلات القديمة<sup>(١)</sup> .

ستترك مؤقتا الدور الذى قامت به تلك القبائل والأثلاث الجديدة مع أقسامها الصغيرة المركزية ، مادنا سنبدأ بمناقشة الإدارة المحلية .

(١) فيلاووثتر A.A. الجزء الثانى من ١٤٨ — ١٦٨ الذى يبين أن الأثلاث لم « تسيطر » مطلقاً على عموم العامة ، ولم تنتج « أبطلا » ، ولا ذكريات عاقبة خاصة بها ، فقد كانت الأثلاث مجرد مسألة عملية Ath. Pol. ، ٢١ ، وهيرودوت ٥ — ٦٩ ( وما الموضين الكلاسيكين اللذين ذكر فيها عمل كليستنيز ) .



من الواضح أن القبائل ، وحتى الأثلاث ، كانت كبيرة إلى حد  
بلا تستطيع معه الاضطلاع بواجبات مجالس الكورة . فقد كان المطلوب  
شيثاً أصغر ، ليحل محل مناطق السفن القديمة ، فجاء كليستينز بنظام الديم  
( deimes ) أو د الشعوب ، التي كونت القرية ، أو وحدة الإدارة المحلية ،  
طوال العصر العظيم في التزيخ الأثيني . فقسم البلاد من جديد إلى ما يزيد  
على مائة ديم ، — ولا نعرف بالضبط كم كان عددها — قسمت على وجه  
التقريب إلى عشرة أقسام ، حتى تكون جزءاً من القبائل العشرة . وكانت  
هذه الديم من حيث هي مناطق إدارية ، ابتكاراً جديداً ، ولكن كان لابد  
وأن تعطى قداسة دينية ، شأن القبائل من قبل . فزودت كل ديم د بطل  
مؤسس ، ، مما أعزفت عليها ظلام من القديم . وأحياناً كان هذا البطل جديداً  
لعشيرة محلية ، حور ليلانيم الوضع الجديد ، وأحياناً كان شيئاً جديداً  
تماماً . وفي الحالة الأخيرة كثيراً ما كان يفشل التشخيص ، حتى رأينا بعض  
الديم بمجد بطلا مجهولاً ، أى لا اسم له . وأقوى دليل على ذلك أسماء الديم  
نفسها . فمثلاً بيرايوس وإلوسيس ، ورامنوس لا تخرج عن أسماء أمكنة .  
ورامنوس تعني شركة ، وعلى خلاف جلاستينبري لم تتخذ لها قديساً . وفي  
بعض الحالات الأخرى ، حيث كان البطل موجوداً ، سميت الديم باسمه ،  
وتجمعت حوله عواطف أهلها<sup>(١)</sup> .

هذه الديم الجديدة ، كانت أساس نظام الإدارة في دولة أثينا ، في  
القرن الخامس فكان كل أثيني ينتمي إلى ديم ، ويعرف رسمياً باسم د الديم ،

(١) قبلاً . وقبر الجزء الثاني من ١٤٩ — ١٥١ . فهو يقرأ أكثر الفقرات التي جاءت  
في هيرودوت ( ٥ — ٦٩ ) ، وتعتبر موضع مناقشة ، δέκα[χα] δὲ καὶ τοὺς  
δήμους κατένειμεν ἕς τὰς φυλάς . إنها كانت مائة ديم عاماً ، يكون قد أخطأ . يقول Ath. Pol. ، ٢١ — ٥ إن الديم ،  
كانت تسمى بأسماء الأبطال ، عندما لا يتوفر لها أسماء أمكنة وهذا كس ما قد كون من  
الخطيل أنه حدث فعلاً . إن كلمة د ديم ، أو شعب ، لم تكن طاماً شيئاً مستحدثاً في أثينا ،  
أكثر مما كانت كلمة د اتحاد ، في إنجلترا ، قبل إصلاح قانون الفقراء في عام ١٨٣٤ ، بل  
الذي أنشئ "جديداً" ، هي الديم من حيث هي منطقة إدارية .

الذي ينتمى إليه . لقد أراد كايستينز أن يجعل من الرجل إذا ما فكر أو تكلم عن قومه ، أى عن أضيقة دائرة في حياته — فليسكر هذا التفكير أو التحدث عن ديمه . فجعل من يضمهم ديم واحد أعضاء فيه ينتسبون إليه ، حتى يمنع تناديم بعضهم البعض بأسماء آبائهم ، وبذلك يقضى على المدنين الجدد . ولهذا كان الأثينيون يذكرون ، الديم ، عند ما يتعرفون بعضهم على بعض . وفى الحقيقة إن ما حاوله كايستينز هو تغيير شكل لقب الأثنى . فقبل عصره كان الأثينيون يميزون بعضهم البعض بأبائهم ، ككثيرين من الناس ، كما فى ويلز واسكتلندا مثلا . فهير ودوت يميز مثلا ، بين ميليدياس بن كيسيولوس ، وميليدياس بن كيمون . ، ولكن كايستينز حاول أن يغير جون جونز ، وإدوارد إدواردز ، إلى جون هو وتجهرى ، وإدوارد رادز ، وبذلك يقضى نهائيا على أى شعور بالاشتراك فى النسب أو العشيرة . ولكنه لم ينجح إلا نجاحا جزئيا . فهير ودوت بوجه عام ، وتوكيديدس دائما (الذى لم يرض بأى فاصل بين أثينا والفرد) ، تجاهلا دائما هذا الوضع الجديد . ونحن نميز توكيديدس نفسه عن سمييه الأقل منه شهرة ، بذكر ماسياس « Melesias » والد الأخير . ولكن على مر الزمن اعتاد الرجال ذلك ، فبعد كايستينز بمائة عام ، عندما ظهر سياسيان عظيمان يسميان ثرازيبولوس « Thrasylbulus » ، كانت التفرقة بينهما عن طريق « قومهما » فى استيريا وكوليتيس . وكان كل انسان يعرف بالطبع ديم ديموستينز ، باينيا « Paeonia » ، وهى خلف هيمتوس . وربما كانت الرواية المزلية ، أحسن دليل على ذلك . فى أرسطو فانيز ، كانت أشخاص رواياته تقدم بعضها إلى بعض ، باسم الديم الذى تنتمى إليه . ( وفى السحب ) عند ما ضرب استرسياديس ابنه ، استغاث « بجيرانه وأقاربه وأهل ديمه (١) » .

(١) فيلا.وفيتز A.A. الجزء الثانى ص ١٦٩ وما بعدها ، ثم Alt. Pol. ، ٢٦ — ٤ ، ثم أرسطو فانيز السحب ١٣٢٢ و ١٣٤ ، ثم Ach. ، ١٠٢٨.٤٠٦ ، ثم السلام ١٩٠ ، ثم Lys. ، ٨٥٢ ، وكذلك Thesm . ، ٨٩٨ .

وهكذا استمسكت الديم بما لها من نفوذ ، وحافظت عليه ، وعمات على زيادته ، ولكن ذلك لم يكن إلا لأن كلبستينز قد أدخل ما يبدو لنا تعديلا بارعا فقد جعل عضوية الديم وراثية . فإذا اعتبرت أسرة تابعة لـكوليتيس ، ظلت تابعة لكوليتيس دائما ، حتى لو ذهبت لتقيم في استيريا . والرجل الديمى الذى يعيش بعيدا عن «قومه» ، بعد «غريبا مقبلا» ، وليس له فى الديم ، أى دور يقوم به فى الأعمال العامة ، بل يعتبر كعبد محرر ، أو «مواطن إيطالى بدون حق انتخاب» ، *Civis sine suffragio* ، أى مجرد «مقيم» هناك . لقد كان ذلك عجيبا . ويمكن أن يكون كلبستينز قد اتخذه فقط على اعتقاد بأن نظام الديم سيعدل فى فترات معينة . ولكن كان على أئتنا فى القرن الخامس ، أن تفكر فى أشياء أخرى ، ولهذا ولأسباب أخرى ، طبق نظام الديم ، مثل نظمنا المحلية ، بنجاح متفاوت فى جهات البلاد المختلفة<sup>(١)</sup> .

### ما الذى فعلته تلك الديم ؟

من جهة الشئون المحلية ، كانت سلطتها تماثل تقريبا ، سلطة مناطق السفن القديمة . «فالعقدة أو الديمارخوس» ( الاسم والطراز وهو طراز ضخم ثرى ، ظل مستعملا فى الدولة الحديثة ) ، قام بواجبات صانع السفن القديم . فكان يرأس مجلس أعضاء الديم الذى ينظر فى الشئون المحلية ، ويراقب جباية المكوس ، وإذا لزم الأمر ، راقب الضرائب أيضاً . وبقدر ما يكشفه لنا النصوص القليلة ، التى خلفها لنا حرصهم واقتصادهم ، ندين

(١) Ath. Pol. ، ٦٣ : «لا فسدت الديم» . تبدو لنا الديم الوراثة أمرا غريبا ، لأنها إما تعودنا فقط النظر إلى تلك الروابط المحلية كأمر تافه . ومع ذلك فإن لإحلال الأهلية المحلية ، محل أهلية المولد للحصول على «بحرنية» بلدة إنجليزية ، يرجع فقط إلى عام ١٨٣٥ . ولا تزال عضوية السهم عشرة كورة فى سينا ( Siena ) وراثية ، مع أن تلك السكور سفية جدا ، لدرجة أن المراتل دائمة النقل ، من واحدة إلى الأخرى . فإذا رفرت أعلام السكور على النيبوت ، يوم السباق الكبير ، فى الميدان ، فهؤلاء المهاجرون يحملون أنفسهم ملحوظين للغاية ، بتعليق أعلامهم الوراثة وسط شوارع زاخرة بمناقسهم .

أن شئون الكورة في أتيكا في القرن الخامس ، تكونت من خمسة أمور ،  
الانتخاب السنوي للدوظفين والتمس وامتحنهم ، ثم إدارة أراضي الكورة ،  
أو جلب ( glebe ) ، ثم الشئون المقدسة ( مثل المحافظة على الأضرحة  
والاحتفالات ... الخ ) ، وتكريم الخيرين المحسنين ( وطبعا كانت تسجل  
هذه الأعمال دائما على الصخور ) ، ثم القضاء . وهذا الأخير قسم جديد ،  
عادت شئونه إلى الديم من عهد مركز ديوسس الفضائي في المدينة . ولكن  
كانت السلطة القضائية للمحلفين العموميين ( أو هليا Heliaea ) في الديم  
ضئيلة ، واختصاصهم كان مقصورا على الفصل في أخالات المحلية وحدها ،  
وذلك فقط عندما تعرض عليهم ، وواضح أن هذه المحاكم لم تقم بعمالها كما ينبغي ،  
فبعد خمسين سنة اتبعت الحكومة المركزية سابقة من عهد بيزستراتوس ،  
بأن أرسلت قضاة خبراء يطوفون بالديم ليوأجروا هذا النص (١) .

ولكن كان أهم من واجبات الديم المحلية ، المركز الذي شغلته في النظام  
المركزي ، إذ هو الذي أناح لها مكانا دائما ، في حياة المواطنين الأثينيين .  
فأولا : احتفظت الديم بسجلات المدينة ، فلم تكن الدولة تعرف  
الفرد إلا عن طريق الديم الذي ينتمى إليه . فالأثيني منذ أن يولد إلى سن

(١) موسوعة Pauly مقال Δῆμοι فهو يحتوي على فائمة كاملة للديم المعروفة .  
الدعارج لأغيباء- Epigraphische Beiträge zur sozialpolitischen Geschichte Athens  
ص ٥٧ . ( هذا الكتاب الفنلندي قد تعمق كثيرا في بحث كيان نظام أثينا  
الإداري ، وقد تقصى الحرافة ، التي نشأت من عهد أرسطو ، وتقول بأن أثينا كانت في أيدي  
الخطباء الشعبيين طيلة القرن الخامس أو الرابع : إن نسبة كبيرة من أسماء الموظفين الرسميين ،  
كانت تنتمي إلى الأسر اليسورة ، التي لم تظهر أقل ميل « لأن تعتمل الحياة العامة » . وذلك  
يلقى ضوءا هاما ، على موضوع النزاع القديم ، من حيث تأثير أفلامون وإيزوكراتيس على  
معاصريهم . ومن الواضح أن قليلا من الأثينيين قد اتبعوا أفلامون في تأسيسهم من الجمهورية ،  
وانزروا في حياتهم الخاصة انتظارا لعصر أكثر كمالاً ) . قضاة الديم : Ath. Pol. : ١٦ -  
٥ - ٢٦ - ٣ - ٥٣ - ١ . وقد كانوا أصلا ثلاثين ، ولكن عندما جعل الطغاة الثلاثين ، من  
العدد ثلاثين عددا نجسا ، زيد عدد القضاة ، إلى أربعين . وقد كان اليونان ، حتى في أحسن  
أعمالهم العملية ميلين إلى الأخذ بالحرفات بشكريباني . وفيها يخلص الديمارك ، أو آدة القرية ،  
أنظر الملاحظة القاسية في السحب ٣٧ . ثم انظر أيضا B. S. A. ، ٢٤ ، ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ )

الثامنة عشر، لا يكون شيئاً بالنسبة لآثينا، قد يكون «أخا»، ولكنه لم يقد بعد «مواطناً»، ولا حتى شبه مواطن. وما أن يصل الثامنة عشرة، يقيد في سجل ديمه، كما دون اسم أبيه من قبل، وحينئذ يتمتع بامتيازات المدينة، مثل الحصول على مكان في «الجمعية الرئيسية»، أو الإكليزيا، ويدعى للقيام بالواجبات التي تتطلبها منه، مثل الخدمة العسكرية.

ثانياً: إذا احتاجوا إلى ضرائب مباشرة — وذلك عند الشدائد والأزمات فقط — كانت الديم تجبها، فهي كجباة الضرائب المحليين عندنا، كانت أكثر اتصالاً من الحكومة المركزية، بالأغنياء من أعضائها. وبهذا فالديم إنما اضطلعت بواجبات مناطق السفن القديمة<sup>(١)</sup>.

ولكن كانت أهم أعمال الديم، مراعاة مد الحكومة المركزية بالرجال، للقيام بالأعمال العامة. وغالباً ما نسمع أن الديمقراطية اليونانية اختلفت عن الديمقراطية الحديثة، من حيث أنها لم تأخذ بمبدأ التمثيل. وهذا بلا شك خطأ فاحش، لم يكن ليقبله أحد اللهم إلا للفكرة الخاطئة، (التي روجها كثيرون من مفكري القرن التاسع عشر)، وهي أن العمل العام الوحيد الذي تقتضيه الديمقراطية من مواطنيها، هو التصويت سواء كان داخل البرلمان أو بخصوصه. إن اليونانيين لم يكونوا قصيري النظر إلى هذا الحد، فقد عرفوا أن الحكومة لا تتكون من حقوق، بصرف النظر عما إذا كانت هذه الحقوق تمارس أم لا، ولكنها تتكون من شيء عملي أكثر من ذلك بكثير. فالحاكم هاويا، (كما في اليونان)، أو محترفاً (كما هو عندنا غالباً)، رجل له عمل يقوم به، هو رجل لا يشغله كثيراً مباشرة الحقوق، أكثر مما تشغله تأدية العمل العام (رغم أنه لا يعمل إلا ماله حق في عمله). ولذا كما يخبرنا ثيسيس،

---

(١) كان الأثينيون في القرن الرابع، كما نعلم من الخطباء، يخفون أحياناً ثرواتهم «تهرباً من الضرائب». وإنما حسب تقاليدنا التي تقضي بأن «نعمل ماشئنا بما نملك» نكره أكثر منهم «تفتيش» جباة الضرائب الرسميين المحليين. ومن الحدير بالملاحظة أن الضريبة الإضافية على الدخل الكبير، وهي ضريبة كان اليونان يجمعونها بالتأكييد عن طريق الجباة المحليين، كان يجب أن يوكل أمرها بمنايا إلى طبقة من الموظفين المركزيين.

ليست الإكليزيا ، سواء كانت اجتماعاتها شهرية أو أسبوعية ، هي التي خلقت من أئينا دولة ديمقراطية . كما أنه ، ليس حق الانتخاب للكبار ، ولا طلب حق الاستفتاء العام ، هو الذي سيجعل من إنجلترا دولة ديمقراطية . فلا معنى للديمقراطية مطلقا ، ما لم يكن قوامها تعاونا جديا مستمرا ، بين عدد كبير من المواطنين ، في القيام بأعمال الحكومة الحقة . وما من حكومة تكونت من مواطنين ، توفر لهم جميعا الفراغ ، أو الرغبة ، أو المعرفة اللازمة للقيام بالأعمال العامة . إن دولة المدينة اليونانية تختلف عن ديمقراطياتنا الحديثة ، في أنها تدرج عددا كبيرا من ممثلي الشعب ، وليس جميعهم ، في الأعمال العامة . بينما حسب دستورنا ، رغم ما هو عليه من ديمقراطية ، فإن الأقلية هي التي تعمل للأكثرية ، أما في اليونان فالأغلبية هي التي تعمل بنفسها . وكما تقول المرثية ، نحن نسمى دستورنا ديمقراطيا ، لأن الأعمال ليست في يد الأقلية ، بل في يد الأكثرية . أو إذا اقتبسنا من هرودوت التساقض الذي ورد في نهاية مدحه الديمقراطية ، « في الأغلبية يوجد كل شيء » . وكانت أئينا في القرن الخامس تعلم كل العلم أن ذلك تناقضا ، وأنه من المستحيل في هذا العالم غير الكامل ، أن يحصل الإنسان على نصيب عادل من السلطة ، ليس فقط للأقليات المنظمة ، مثل الشبان « الأرسقراطيين » ، في سيراكوز ، ولكن الأقلية في نفس الرجل ، (عندما يكون هذا أقلية) ، أي ذلك الجزء الضئيل منه ، الذي يهتم بوطنه . ولكن اليونانين كانوا قوما عمليين ، ولم يشتغلوا بعد بما وراء الطبيعة في السياسة ، وقد وضعت نظم كاستينز ، مثل بعض تشريعنا الاجتماعية الحديثة ، بشكل يدفع إلى مجال السياسة أكثر مما يمكن أن يجتذبه ، على نحو مناسب ، من عقريّة أثيني عصره السياسية ونشاطهم (١) .

---

(١) توكيديدس ٢ — ٣٧ — ١ ، هرودوت ٣ — ٨ عند الآخر . ثم انظر توكيديدس ٦ — ٣٩ — ١ . فيها يخمس قياساً حديثاً اتخذ للفرض نفسه ، الذي كان أمام كاستينز ، قارن (ولناخذ مثلا واحدا لانزاع فيه) « المادة الخاصة بالجناة الذين تحت المراقبة » . لم يكن الضباط الذين تحت الاختبار يأخذون أجزاء عادة ، فهل يتغير المبدأ عندما تدفع لهم نفقاتهم ، أو حتى إذا ما دفعت لهم أجور ضئيلة ؟ إن الفرق بين الهاوى والمحترف هو ، بعد =

ولنتلق نظرة على الحكومة المركزية في أئتنا القرن الخامس ، لنرى كيف كانت تسير . إن النظم الذى سنصفه ، أقام كليستين مقوماته الأساسية ، كما أعاد بركابس وغيره بعض التعديلات الضرورية والمنطقية . وعلى ذلك فسنحذف من عمله تلك النواحي ، التى ثبت أن أهميتها كانت مجرد أهمية زمنية ، مثل معاملته للأوروباج ، لأن ذلك لا يتفق وغرضنا ، وهو فهم الاثنى فى عصر الرتبة ، وسنركز اعتمادنا على مقوماته الأساسية ، ولو تمناه فسزاه يرتكز على فكرتين بسيطتين : أولاً ، الشعب هو صاحب السيادة ، فى ظل قوانينه ، وإرادة الشعب ، سواء عبر عنها فى المجلس ، أو فى المحكمة ، هى الدليا بعد القانون ، وليست مسئولة أمام أحد . ثانياً : لما كان لدى الناس كثير من العمل غير القيام بالحكم ، فيجب أن يقوم بالحكم إذن ممثلون ، كثير عددهم بقدر ما يمكن أن يستطاع فى شكل مناسب ، يخضعون فى فترات معينة لتأييد مجلس الشعب ، وتعديلاته . فالحكومة

---

= كل شىء ، كما يعلم لا يبقوا السكر يكت عندنا ، مسألة درجات فقط . لاحظ المثل اليونانى فى الحكم على رجل ماء ،  $\alpha\rho\chi\eta\ \alpha\upsilon\delta\rho\alpha\ \delta\epsilon\ \xi\epsilon\iota$  ، أى « انتظر حتى يصير حاكماً » . وبشبه هذا لئال ، القول المروف فى « مدارسنا العامة » ، « إنتظر حتى يصير رئيساً » ( ألهة ) . وكل فرد تقريباً له برصة أن يكرن رئيساً ، وفيها « يتدنى له إظهار العنصر الذى يتكون منه » . وقد تكرر ذلك فى سوفوكليس ، أنتيجون ١٧٥ - ١٧٧ ، وذكر ذلك أيضاً فى أول هذا الفصل ، حيث كان بهكر الشاعر فى أئتنا على أيامه ، كما يقول Jebb .

١٩١٤ . أتربك هذه الملاحظة والفقرة التى فى النص كما كتبت قبل أن أكون موظفاً حكومياً محترفاً . ولكننى أشعر بأنى ملزم أن أذكر الآتى ، من كتيب غفل من اسم كاتبه ، فى نقد اطين ، قبل عن مبدأ التمثيل المذكور فجا سبق ، « إن التمثيل يستعمل ، لتغطية شيئين مختلفين تماماً ، يؤدى الخلف بينهما إلى إشاعة الفموض ، فى مناقشة الموضوعات السياسية . فالرجال يقال عنهم « ممثلين » فى المحاكم بإنشاء الرأى ، ويقال إن الحكومة ممثلة بالسفراء . وفى هذه الحالات يكون الممثلون وسائل اتصال أساساً . وعادة لا يمكن أن يقرروا أمراً ، إلا بعد الرجوع إلى رؤسائهم . وقد جعل إدوارد الأول من البرلمان الإنجليزى حقيقة ، لا اتمترط أن « يحمل » النواب المنجمين فيه « ... فى أشخاصهم سلطة الناخبين الذين اتخبوهم كاملة ... » ، وبذلك حول إدوارد الأول البرلمان إلى أداة عملية للحكم ، وأمكنها بالتدرج أن تأخذ سلطات الحكم التى كانت للملك نفسه ، وصارت مسئولة أمام هيئة من الناخبين ، اتسعت مع الزمن حتى شملت جزءاً كبيراً من سكان إنجلترا المذكور . لم يكن هذا النوع من التمثيل معروفاً عند الأثينيين طبعاً كما يدل على ذلك فشل البرلمان الأديلى . أنظر ص ١٨٨ فيما بلى .

الذاتية الكاملة ، كانت المثل الأعلى . وقد أدرك الأثينيون ( إذا طبقتنا قول  
لنكولان المشهور ) إنه من الممكن أن تجعل بعض الناس يحكمون الوقت  
كله ، وكل الناس بعض الوقت ، ولكن لن يمكنك أن تجعل الشعب كله ،  
يحكم طول الوقت .

وتتكون الحكومة من ثلاث سلطات ، السلطة التشريعية ، والسلطة  
الإدارية ، والسلطة القضائية . إلا أن ذلك لا ينطبق تماما على أثينا ، فند  
عصر سولون كانت « قوانينها » كاملة ، ولم يكن مفروضا أن تحتاج لعمل  
قوانين جديدة . ولم تلجأ إلى ذلك ، إلا في حذر بالغ ، شأن الأمريكيين  
في تغييرهم دستورهم . فبرلمانها إنما كان يجتمع ، كما نقول بلغتنا الإنجليزية ،  
لا ليوافق على قوانين ، بل ليناقدش أمور السياسة . ولكن هذه المناقشات  
لم تكن مجرد مناظرات أكاديمية ، بل كانت تتهيء بالتصويت الذي يتجسم  
في قرار . وهذه القرارات ، لتوازي حقا قراراتنا ، وذلك بالنسبة لحياة  
اليونان التي كانت أبسط وأكثر استقرارا من حياتنا (١) .

ولنبداً بالجانب القضائي ، لأننا سبق أن رأينا تنفيذه في عهد سولون .  
دعم كليستينز حكم الشعب ، إن لم يكن قد وسع مداه ، في هيئات المحلفين  
الكبيرة أو كما يسميها الانجليز « المحاكم » . وهي هيئات أقيمت ، كما رأينا ، على  
أساس فكرة تكليف الشعب ، القيام بدور القاضى . والذي يجب أن نوليها  
اهتماما هنا ، هو كيف اختار كليستينز قضاته . لقد كان القضاة يعيشون  
متفرقين في البلاد مثل قضاتنا . وكانت « الديم » السلطة الطبيعية التي تجمعهم .  
فخص كليستينز على أن تقدم الديم فيما بينها ٦٠٠٠ قاضيا . ( ٦٠٠ من كل قبيلة )  
إلى السلطات المركزية ، التي يجب عليها بدورها أن تقترح على من يقوم بالعمل  
من بينهم . وبما أن عدد سكان الديم المختلفة ، تتفاوت كل التفاوت ، فقد  
اتخذت طريقة التمثيل النسبي بينهم . ولكن كيف تحصل الديم على مرشحها ؟  
كانوا ينتخبونهم ، مختارين بلا شك ، كل من عرف فيهم الاستعداد

(١) فوكيديدنس ، ٣ - ٣٨ ، ثم انظر جلوتز Cité ص ١٩٣ - ١٩٥ .



والتحمس للعمل ، إذا ما كان هناك مكان لهم . ولما تزايد عمل المحاكم ، وكثرت اجتماع القضاة ، أصبح من العسير أن نجد الرجال ، الذين لديهم من الوقت ما يتسع لذلك . وقد تغلب بركايس على هذه الصعوبة بأن دفع لكل قاض أجرا يوميا مناسباً نظير خدماته . وكانوا ينتخبون للعمل لمدة سنة . وعلى ذلك ففي صباح كل يوم في السنة ، عدا أيام الأعياد العديدة ، ( وكانت أكثر من غيرها في أى جهة أخرى في اليونان ، لدرجة أثارت شكوى الأجانب من أصحاب القضايا ) ، يهبط هؤلاء الستة آلاف قاض أئينا ، إذا كانوا يقيدون في القرى ، ويتقدمون أنفسهم إلى معبد تيسيس قاضيهم القديم — إلا إذا تصادف وكان البرلمان منعقداً في ذلك اليوم ، فكانوا يدعون إليه بدلا من المعبد — وهناك يخطرون بما إذا كان في المحاكم عمل لهم : فإذا كان ذلك ، أجريت القرعة ، ثم يذهبون إلى المحكمة جماعات كل قواها مائة شخص . لينظروا قضايا من كل أنحاء الإمبراطورية الأثينية . وهم على ثقة من أنهم سيتمكنون من أن ينالوا وجباتهم في هذا اليوم ، إلا إذا حالفهم سوء الحظ الزائد . وعلى قدر ما نعرف ، فقد كانوا يقومون بالعمل على خير وجه . ورغم التذمر والشكاوى من أمور أخرى ، لم تصل إلينا أية شكاوى في القضايا الفردية خاصة بالرشوة أو الظلم . ولم تتألف محكمة من أقل من ٢٠١ محلفا . وكما لاحظ أحد هؤلاء المتذمرين ، ففي كثرة العدد ما من من الرشوة (١) .

والآن فلننتقل إلى الإدارة . لم يكن بأئينا موظفون دائمون ، على الأقل في الوظائف الكبرى ، وباستثناء الضباط العسكريين وأعضاء المجلس ،

---

(١) Pauly مقال  $\Delta\eta\mu\omega\iota$  ، ثم فيلاموثيتز A. A. الجزء الثاني ص ٩٦ هامش ، سندون (Sundwall) ٦٩ ، والأوليغارشى المعجوز ٣ ، ٧ ، Ath. Pol. — ٦٣ ، ثم أرسطو فانيز Wasps ٣٠٤ ، حيث تقول الجماعة (الكورس) ، ( د إذا لم تنمقد المحاكم فكيف نحصل على الفطور ؟ » . إنهم لا يفكرون في أن يضيع عليهم طريق القرعة ، وواضح تفاهة المسألة ) . وتقال عن ديودور ( ١٣ — ٦٤ — ٦ ) ، فإن أول مثل لرشوة المحلفين الأثينيين يرجع لعام ٤٠٩ . ومن الممكن أن يكون عدد الستة آلاف ، وهو رقم القرن الخامس ، كان أكبر من العدد الذى حدده كايستيز : أنظر Wasps ٦٦١ وما بعدها .

لا يمكن لأي رجل أن يشغل الوظيفة نفسها مرتين . وكان بها بوليس محترف ، وكتبة ومنادون عموميون . ولكن كان يؤدي العمل العام الهام كله ، عدد من الهاوين ، يخلف بعضهم بعضا بسرعة كبيرة . والهدف من ذلك ، كما نخبرنا بركليس ، هو أن ذوى الذكاء السريع ، أكبر قيمة من ذوى الخبرة بالأعمال الرتيبة ، وأحسن السياسيين هم الذين كما يقول تؤكد يدس عن ثيمستوكليس ، هم أحسن الناس ، ارتجالا للسياسة ، عند الأزمات والشدائد . وهؤلاء الموظفون ، الهواة ، كانوا يشغلون الوظيفة لمدة سنة . وعلى أية حال ، فإنهم لم ينفردوا في القرن الخامس بالوظيفة ، بل كانوا دائما أعضاء في لجنة ، وذلك لكي يعاونوا ، وبراقبوا بعضهم البعض . وكان بعضهم ينتخب بالقرعة كالنضاة ، من قائمة تحوى أسماء مختارة من المرشحين ، فالحكام التسعة مثلا كانوا يذنبون ( بعد عام ٤٨٧ ) من بين ٥٠٠ مرشحا يخارهم الديم . أما الآخرون ، الذين اقتضت وظائفهم خبرة ومعرفة خاصة ، فكاوا يذنبون في المجلس برفع الأيدي . أما الموظفون الذين تضمنت وظائفهم .أمور الحياة والموت للناس ، ، كما يعبر أحد المتذمرين ، أى رجال الحرب والمالية ، فتمد كانوا يذنبون دائما . فلم يكن الموظفون يعينون ، كما هو غالبا عندنا اليوم ، يعينهم بعض الموظفين الآخرين ، أو تعينهم « الحكومة » ، إذ كما سمعنا نيسيس يقول ، لم تقم في أثينا « حكرمة » بالمعنى الصحيح للكلمة : إن الشعب كله سنة بعد سنة ، وقد تساوى

في الخدمة ، هو ملكتنا<sup>(١)</sup> .

ولكن كان لابد من وجود سلطة مركزية دائمة . فالسفراء الأجانب الذين يأتون أثينا ، لابد وأن يجدوا شخصا تكون في يده أختام السلطة ، . حتى في فصل العطلة ، عندما تهجر ( هويت هول ) ، فإن بعض السكرتاريين العموميين الدائمين ، يظلون قائمين بالعمل في وزارة الخارجية . فن الذى

(١) تؤكد يدس ، ١ — ١٣٨ — ٣ ، Ath. Pol. ، ٢٢ — ٥ ، الأوليجارشى

المعجوز ، ١ — ٣ ، يوربيدس . ٤٠٦ Suppl.

كان يستبق الآلة الحكومية في أثينا؟ من المؤكد أنها لم تترك في أيدي  
الكتابة من العبيد .

إن القوة الدائمة الحقيقية التي كانت تحرك الآلة ، وتدفعها إلى العمل ،  
هي تلك التي عرفت « بالمجلس » ، وهو هيئة أنشأها سولون ، وأصاحها  
كلبيستيز لتحل محل مجلس صناع السفن القديم ، ومعه لجنة الرؤساء للأغراض  
العامّة . وكان المجلس مكرّما من ٥٠٠ عضواً ( ٤٠ من كل قبيلة ) ، تستخدم  
الديم بالفرعة ، مثل القضاة ، من بين مرشحين مختارين ، وذلك بطريقة  
نسبية . وهذه الانتخابات الكورية السنوية لمرشحي المجلس ، كانت أهم  
حوادث العام السياسي المثيرة في أثينا ، لأن الصانع السياسي للمجلس كان  
العامل الحاسم في سياسة الدولة ، بصفة عامة . فكان مسموحاً لكل مواطن  
أن يرشح نفسه ، على شرط ألا يكون قد خدم مرتين كمضو في المجلس ،  
ولذلك كانت نسبة كبيرة من المواطنين تأخذ طريقها إلى المجلس بالمناوبة (١) .  
وكان عمل هذا المجلس ، مزدوجاً ، فكانت عليه عدة واجبات تنفيذية  
خاصة به يقوم بها ، خاضعاً لموافقة الشعب ، كأي لجنة أخرى من الموظفين .

(١) Ath. Pol. ، ٦٢ — ٣ ( لم يكن هناك إعادة انتخاب ثانية ) . عرفت أחרناى  
أكبر الديم كلها ، ( أنظر توكيديدس ، ٢ ، ١٩ ، ٢ ) بأنها قدمت ٢٢ من شيوخ قبيلتها  
( Okeis ) البالغ عددهم ٥٠ . وكانت عض الديم الصغيرة ترسل واحداً ( كما ترى في حالة  
بيونارخس في دكتور بيوتيا ، الذي عمره عليه حديثاً ) ويتقدر عدد الموازين بأربعين ألفاً ،  
كان يؤخذ عن كل ثمانين مرداً ، عضو في الجمعية في أي وقت معين . ويتقدر ٣٠ سنة لكل  
جيل ، نجد أن كل اثنين من خمسة أشخاص يصلان إلى هذا المنصب ، ولكن يجب أن يحسب  
حساباً لإعادة الانتخاب . وليس لدينا وسائل لمعرفة إلى أي حد كان المرشحون يزيدون على  
الأماكس ، أو إلى أي مدى كانت القرعة صادقة . وإنما يخض انتخابات الديم للمرشحين أعضاء  
في المجلس ، أنظر فيلاموثيز A. A. الجزء الثاني من ١١١ هـ .ش . أما فيما يخص بالقرعة فانظر  
« هدام » في كتاب الانتخاب بالقرعة في أثينا ( كبرديج ١٨٩١ ) ( Election by lot  
at Athens ) . وهو كتب لارال جديراً بالرجوع إليه — لما فيه من نظرة نافذة عملية على  
تفاصيل العمل الحكومي في أثينا . وهو يؤكد أهمية القرعة في ضمان دورة الوظائف . أنظر  
خاصة ص ٤٩ — ٥١ . ثم راجع أيضاً بيانه الواضح عن معنى العمل بالنظام القضائي من ١٤٥ —  
١٤٣ . وانظر أيضاً جلوز Cité من ٢٤٨ . ( أنظر التذييل ) .

ومن ناحية أخرى كان يقوم أيضا ، بوظيفة ممثل دائم ، أو لجنة الأغراض العامة ، للجلس . وقيامه بمثل هذا الدور ، الذي هو أهم وظائفه الخاصة به ، يكون من الوجهة النظرية مجرد قسم من الشعب ، أو مرآة له ، فالمستشار ، كالتأخر في المجلس ، لم يكن مطالباً كأي موظف آخر بتقديم تقرير عن أعماله . وكان المجلس يناقش ويشكل كل الأعمال التي ستعرض على الشعب صاحب السلطان ، ثم يبعث بجدول الأعمال في هيئة برؤوفولفمانا ( προβουλευματα ) ، أو محضر جلسة . ولا يمكن أن يمر قرار إلا بعد عرضه للناقشة ، أو بلغة أئينا الرسمية ، مما لم يبد صالحا للمجلس والشعب . وكان المجلس يجتمع يوميا ، بين الجلسة والجلسة ، للنظر في الأعمال العادية نيابة عن جمعية الشعب صاحب السيادة . فإذا أراد أحد أن يتصل بمجلس الشعب ، سفيرا أجنبيا كان أو مواطنا عاديا ، لشيء يريد إدراجه في الجلسة التالية ، وجب عليه أن يذهب إلى أعضاء المجلس . ومن أجل ذلك كان المجلس مقسما عشرة أقسام فرعية ، لكل قبيلة لجنة ، وتقوم كل لجنة بالعمل لمدة عشر سنة . وكان أعضاء هذه اللجان الفرعية يسمون بالاسم القديم بريتانيس ( πρυτάνεις ) ، أي الرؤساء ، وسميت فترة عمل اللجنة بالبريتاني ( Prytany ) . وكان على ثلث تلك اللجان الفرعية الاعقاد بصفة دائمة لمباثرة العمل . ومن بين أعضاء هذا الثلث ، كان ينتخب بالقرعة يوميا ، واحد ليتولى منصب الرئيس « إستانيس » ( ἐπιστάτης ) في المجلس أو الجلسة . وفي أثناء يومه الواحد ، ( إذ لم يكن مسموحا بإعادة انتخابه ) يكون في حوزته مفاتيح القلعة ، والمحفوظات العامة وخاتم الدولة . وهكذا يكون رئيس البلد الأعلى لمدة ٢٤ ساعة . وكان حضور اللجنة الفرعية كلها ، وعددها ٥٠ عضوا ، عند كل اجتماع المجلس ، أمرا ضروريا . أما اجتماع بقى أعضاء المجلس ، فقد كان اختياريا ، فيما عدا ممثل واحد ، ينتخب بالاقتراع ، عن كل قبيلة من القبائل التسع . وقد كان هذا شرطا لضم أن يكون هناك سيطرة للمصالح المبلية ، حتى في طريقة النظام القبلي « بالانثلاث » .

وكان المجلس أيضا عدد كبير من الوظائف التنفيذية ، أخذ بعضها من مجلس الحكام القديم ، الذي كان يجتمع في الأريوپاج . فكان مثالا يدير الأمور المالية التي شملت - بعد عام ٤٣٣ ، المالية الإمبراطورية ، إلى جانب المالية الأهلية . كما كان يقوم بكل الترتيبات لانتخاب الموظفين ، أو الاقتراع عليهم ، وبمرافقة كل الموظفين المدنيين ، أثناء قيامهم بواجباتهم . ونحن لانعرف كم مرة اجتمع فيه المجلس بهيئته الكاملة في مكان الاجتماع ، بخلاف اجتماع هيئته الفرعية اليوم . ولكن كان عمله كثيرا بما فيه الكفاية ، حتى أنه كان يستبقى أعضائه في عمل مستمر طوال عامهم ، مما اضطر بركليس إلى منحهم أجرا على عملهم ، علاوة على الغذاء العام في مكان غرفة المجلس الجديدة ، أو ( المنزل المستدير ) كما كان يسمى وقتئذ ، والذي كان للرؤساء الحق فيه تبعا لعرف قديم<sup>(١)</sup> .

رأينا كيف كان الشعب صاحب السيادة ، يحكم ويدير الأمور بوضع السلطة في يدهم . فلنراقب الآن الشعب كله ديموس ( Demos ) في اجتماعه العام في الإكليزيا على تل بنكس ( Pnyx ) ، وليقرر أو يناقش بنفسه باهتمام كل ما يتعلق بأمر السياسة ، ، ولا معتقدا أن الأقوال تتعارض مع الأعمال ، بل أن الأعمال مقضى عليها بالفشل ، إذا اضطلعتنا بها دون مناقشة ، كما يقول بركليس . وهذه الأعمال لم تكن مجرد أعمال خطيرة في ميدان القتال فحسب ،

---

(١) Ath. Pol. ، ٤٣ ، ٢ ، وما بعدها ، ثم دارميرج مقال Βουλῆ με المراجع ؛ ثيلامو فيتر A. A. ، الجزء الثاني من ١٠٦٩٥ . ثم البيت المستدير : أفلاطون ، الدفاع ٣٢ ، مع بيان سلوك سقراط « كرئيس » ، وهي لوظيفة الوحيد التي شغلها من وظائف الدولة . وتكون السنة الأثنية القديمة من ١٢ شهرا قريبا ( ٣٥٤ وما ) ، بزيادة شهر كل ثلاث سنوات من كل ثمانى . وانما ماتاغ كليبستز الطريقة العشرية تقسيم السنة ، ( باعتبار عدد أيامها ٣٦٠ يوما ) إلى عشرة برتانيات تتضمن « ترك القمر كعباس للوقت » . Staat und Gesellschaft من ٩٨ ، الطبعة الثانية من ١٠٢ . إن « مراصة » المالية ، وهي عكس إدارتها ، كانت بالطبع من اختصاص المجلس ومشايريه . وكان المسكلمون يذبون مسئولية لا عن مفعولهم فحسب ، بل أيضا عن نفقات ما تتطلبه هذه المقترحات . أظن (هدلام) السالف الذكر من ١١٢ وما بعدها .

ولإنما هي أيضا القرارات، التي يتخذها المجلس، أو بعبارة توكيديس، التي تحولت من «أقوال»، إلى «أفعال».

لقد أقام القرن التاسع عشر وزنا كبيرا لصوت الشعب، كما لو كان في مقدور الناس أن يصبحوا معادون أن يصموا آذان بعضهم بعضا. وعندما تبينوا أنه في ظل الظروف الحديثة، لا يمكن للأمم أن يجتمع في مجلس واحد، قدسوا انتخاب الممثلين، ليقيموا بالحكم نيابة عنهم. وهكذا تحول الاهتمام والتقدير من الشعب إلى البرلمانات. وفي عجب بالغ، تبين للترن العشرين، أن قد ولغ في تقدير البرلمانات، فهما أجادت المعارضة واستندت صياحها، فستجد عسيرا عليها أن تسيطر. وربما كان في استطاعة الديمقراطيين في عصرنا الحاضر، أن يوفروا على أنفسهم الوقوف على هذه الحقيقة المرة، إذا هم أصغوا إلى العلماء النفسانيين. فإدارة الأمور العامة، تشبه إلى حد بعيد إدارة الأمور الخاصة، والناس لا يقوون على إنجاز العمل، وهم قبائل وجحافل. إن الجماعات الكبيرة، كالصغيرة تماما، إلا أنها أكثر متاعب. فما من شخص يجب أن يجلس الساعات مصغيا إلى كلام الآخرين، ولن تكون الحالة أكثر احتمالا إذا وجد مئات آخرون يصغون مثله. ولذا فإن جو السأم والملل يظهر بشكل واضح، في معظم البرلمانات الحديثة، كما يبدو في جميع اللجان الكبيرة منظر أمانس يناضلون مستهينين وراء المحال، يعملون على ألا يضيعوا شيئا من وقتهم الخاص، ومع ذلك يحرصون على أن يتابعوا مخلصين، موضوع المناقشة. ومن هنا كان الميل المتزايد إلى تركيز السلطة الحقيقية، والعمل الحقيقي في أكثر الجهات ملاءمة للعمل - أي في أيدي مجالس الوزراء، وفي اللجان و«الموظفين» (١).

(١) لازينا بدون كتاب عن «سيكولوجية العمل في اللجان»، ولكن العدد الصحيح لمناقشة مسألة مقدمة من المسائل الخاصة بالأعمال، يام نحو سبعة أشخاص، لأن هذا العدد من الرجال يمكنهم أن يجلسوا حول مائدة صغيرة، يتحدثون في غير كلفة، وفي غير إصراف، في الألفاظ أو بظهور أي ادعاء، وينتج عن تلك الجلسة نوع مفيد في جهات النظر، وفي حار =

وقد أدرك الناس نفس هذه الصعوبات في الإكليزيا ، ولهذا ، كما رأينا لم تجر الأعمال المعتادة هناك . وفي بعض البلدان لا يجتمع البرلمان بشكل منتظم مطلقاً ، بل يدعى للاعتقاد ، من وقت لآخر ، لاجتماع طارىء ، عند ما تستدعى

== معالجة موضوع مطروح على بساط البحث ، ويكونون سريين في إنجاز العمل الذى هم بصدده . » Eliot .  
 University Administration من ٦٤ — ٦٥ . ( قارن آخر التجارب في نظام حكومتنا وهى مداولة الرغماء السرية — ١٩٢٤ . كما أن مجلس عصبة الأمم بقبوله ، أولاً أربعة أعضاء ، ثم ستة أعضاء ، يقال أنهم ممثلين للدول الصغرى ، قد غدا ، أو سيندو في النهاية ، إلى حد ما ، كبيراً جداً ) . ولذا كانت اللجان الصغيرة في أثينا ، المكونة عادة من عشرة أشخاص ، أكثر نفعاً من المجلس . وإذا كانت الموضوعات المقدة يكتب فيها بتقارير عنها ولا تناقش ، كما هى الحال في الإكليزيا ، كان العدد المضبوط لاهيئة أمراً غير ذى بال ، فيحضر من يعنيه الأمر ، ويتخلف من عداه . وكان اليونان يعرفون تماماً عيب اشتراك « شعب بأسره في المناقشة » . وقد كانت حجة الأقلية الأوليغارشية دائماً هى « كيف يتسنى للدعاه أن يحكموا ؟ ويقول المتكلم في مناظرة هيرودوت ( ٣ ، ٨١ ) « لماذا ؟ لأنها تندفع في رعونة وتهور في الأمور ، كما يندفع سيل شتوى مجتاحاً كل شىء أمامه . إن ذلك غباء وتهور ، ولا فائدة ترجى منه » . ولذا فقد استغنت الأوليغارشيات عن الاجتماعات العامة ، وقامت بالحكم عن طريق المجالس وحدها . أنظر الدستور الطريف الذى اقترح لأثينا في عام ٤١١ ، في All. Pol. ، ٣٠ . فهو لم ينص على جمعية عامة ، وإنما استعاض عنها بتقسيم هيئة المواطنين إلى أربعة مجالس ، يحكم كل مجالس لمدة سنة كل أربع سنوات . وهكذا ( حسب الرأى الحديث ) نجد أن ثلاثة أرباع مجموع المواطنين ، محرومين من امتيازاتهم . وبما أن هذا المشرع لم يكن يفكر في « حقوق » ، وإنما كان كل همه العمل ، فقد أضاف شرطاً ، ذلك أنه إذا رغب المجلس ، فيمكن لأى عضو من أعضائه ، إحضار مواطن ، مثل بركليس أو ثيميستوكليس ، ممن يحرصون على الانتفاع بخدماتهم ، ليشارك في المناقشات . إن الحكم سنة كل أربع سنوات يبدو كأنه ضريبة جسيمة على الزمن . وكان الفروض أن يجتمع المجلس يوماً واحداً كل خمسة أيام ، وليس للأعضاء أجر ، ومن محضر منهم متأخراً بفهم دراجة . وكان الأمر شبيهاً بذلك في الاتحاد البيوتى في آخر القرن الخامس ، إذ كانت كل الأعمال المركزية والمحلية تتولاها لجان . فبالنسبة للشئون المحلية ، كانت هيئة المواطنين تقسم أربع لجان كبيرة بالترتيب ، وكان هذا تدبيراً ضرورياً ، طالما لم يدفع الأوليغارشيون أجراً لخدامهم العموميين . كانت الأمور الهامة تقرر في جلسة تجمع الأقسام الأربعة . كذلك كان مجلس الاتحاد المركزى مقسماً بالمثل . وكان مكوناً من ٦٦ عضواً ، أى مقسماً أربع لجان ، عدد كل منها ١٦٥ عضواً أى ١٥ عضواً من كل من الإحدى عشرة مقاطعة ، أو منطقة تحالف اتحاديه . وفي كل واحدة من تلك المقاطعات ، كان الـ ١٥ عضواً موزعين بطريقة من طرق التمثيل النسبى بين المدن المختلفة ، أنظر توكيديدس ٥ ، ٣٨ ، Hellenica Oxyrhynchia الجزء الحادى عشر من ٢ وما بعدها ، وقد وضحتها جالوتز في Bulletin de Correspondance Hellénique الجزء ٣٣ من ٢٧١ وما بعدها . أنظر فيلاموفيتز Staat und Gesellschaft من ١٢٩ ، والطبعة الثانية من ١٣٢ إلى ١٣٤ .

الضرورة ذلك . أما في أثينا ، فكانت الإكليزيا تجتمع في دورات منتظمة ، عشر مرات في العام ( مرة كل بريتاني ) . ورغم أن عدد مرات انعقادها غير العادي ، قد ازداد تدريجيا في القرن الخامس ، إلى ثلاث أو أربع مرات كل بريتاني ، فحتى هذا لم يعن أكثر من مرة كل عشرة أيام . إلا أن الإكليزيا كانت تجتمع في ظروف أحسن من برلماننا الحديثة ، وذلك يرجع إلى جو غرف برلماننا الخانق ، كما يرجع إلى طبيعة العمل الذي يؤدي فيها ، مما يضني مشرعينا ، فيعودون إلى بيوتهم متعبين ، بعد ساعات قليلة من العمل . أما المجلس الأثيني ، فكان يجتمع في الهواء الطلق ، وبالرغم من هذا كله لم يكن اجتماعهم مضمنا جثمانيا . فخطباء أثينا لم يرغبوا ضحاياهم ، على الاستماع إليهم واقفين ، كما في الاجتماعات التي تعقد في حدائقنا ، وفي أركان الشوارع . فالأثينيون ، بخلاف الرومان ، يأتون إلى مجالس الشعب كي يفكروا ، لا ليتشاءموا ، وما من شخص ( عدا من كان سقراطيا ) يستطيع إمعان التفكير ساعات ، وهو واقف على قدميه . وفي صباح الاجتماع ، يأتي الأعضاء بعد الشروق مباشرة ، تاركين منازلهم في القرى ، أو في سلاميس عبر المياه ، قبل أن يضيء لهم النهار بما يكفي من النور ، ليضعوا ملابسهم . وإذا ما بلغوا تل پنكس ( Πνυξ ) سالمين ، جلسوا كما يهون ، بين أصدقائهم ومعارفهم . فالشعب وهو منعقد على هيئة المجلس ، لا يميز في سلطته العليا بين قبائل ، ولا أثلاث ، أو أية أقسام صغيرة من أقسامه . وهناك يجلسون على مضض ، وفي ملل ، أو يفكرون في زيتوناتهم ، أو يكتبون إلى أصدقائهم الغائبين ، متمنين لو أنهم توقفوا في أثناء الطريق ، ليتناولوا قدحا من الشراب الممزوج ، بل يتحسرون على الأكلة المشبعة التي لن ينعموا بها حتى الغد ، ( لأنهم سيعودون إلى منازلهم في وقت متأخر تماما فلا يمكنهم تناول عشاء يستحق الأكل ) ، ويظنون كذلك حتى يتوافد سكان المدينة الكسالي ، من أثينا وبيريه . وأخيرا ، وبعد أن يحضر الجميع ، يرى المستشارون الذين لا يرعون المواعيد ، يشقون طريقهم



مسرعين وسط الجماهير . وفي النهاية ، حين لا يبقى في جعبة القروي لعنة ، إلا وقد استمطرها ، تبدأ الصلاة إيدانا بيده العمل<sup>(١)</sup> .

وليس معنى هذا ، أننا ننتظر أن نجد مجلسا كامل العدد ، اللهم إلا في حالة لها أهمية خاصة . ولم يكن هذا أمرا ضروريا ، ما دام الشعب كله مثلا تمثيلا معقولا . فهذا ، قبل كل شيء ، هو السبب الرئيسي لوجود البرلمان . وبما أن الأمر يخص الشعب ، بقدر ما يخص الأشياء ، فسيظل البرلمان دائما ضروريا مهما يكن الحكم أمرا دافيا ، له من يختص به . وليس من واجب عضو المجلس الوطني أن يعرف كثيرا عن الأشياء ( رغم أن تلك المعرفة لن تكون عديمة الفائدة ) ، كعرفته بالناس ، وأن يجعل الناس الذين يدبرون الأمر ، على علم بما يعرفه هو . وقد كان الخطر في أثنائنا طبعاً وهو ما يمكن أن نراه من الحذر ، الذي روعي عند تكوين المجلس ، هو أن يطغى صوت سكان المدينة ، على أصوات أعضاء المناطق البعيدة . ولا يمكن أن نحدد متوسط ، نسبة عدد الأعضاء الذين يحضرون الاجتماع ، ولكن الوثيقة الوحيدة التي نملكها عن تقسيم فعلي ، تبين أن عدد المؤيدين كان ٣٤٦١ ، مقابل ١٥٥ معارضين . فمجموع الأصوات كان إذن ٣٦١٦ صوتاً .

(١) أرسطو في السياسة ، ١٢٧٥ ب ٨ ( برلمانات الطوارئ ) ، ثم أرسطو — الإكليريكا ٣٣١ وما بعدها ، ثم ٢٨٩ وما بعدها ، ( التبكير في النهوض من النوم يوم اجتماع المجلس ) ، ثم Ach. ، ٢٠ ( الوصول مبكرا إلى البنكس Pnyx ) ، ثم Lys. ، ٥٩ ( العبور من سلاميس ) ، ثم الإكليريكا ٨٥ ( الصلاة ) ، ثم ثيوفراستوس ، Jebb ، ص ٨٦ ( شراب القرويين ) . وكانت ، كل برلمانات اليونان تعقد والأعضاء جلوسا حتى عند الاسبرطيين ( توكيديدس ١ — ٨٧ — ٢ ἀναστήτω ) . « إن مجلس العموم هو المسكان الذي لا يمكن لرجل ، أن يعمل فيه أو يستريح » ، كما قال أحد رجال السياسة المعروفين أخيرا — ١٩٢١ . أنظر الفقرة التالية من Der Weltkrieg ( المجلد الثاني ، ص ٢٢٧ ) لمؤلفه كارل هلفريك ( Karl Helfferich ) ، ويعتبر صاحب أكبر رأس منظم في ألمانيا أثناء الحرب ، التي شغل فيها منصب وزير المالية والداخلية ، كما كان نائب المستشار : « ربما كنت بعض الأحيان موجزا وحادا في كلامي في الرايشتاغ ، ولكن ذلك عموما كان التعبير عن ثورتي النفسية ، التي حاولت كتبها بصعوبة ، على ما ضاع من وقت وكفاية في تلك المناظرات العقيمة ، على حين كانت هناك في الانتظار ، أعمال أخرى عاجلة ، وعلى جانب عظيم من الأهمية ، وأصبحت من جراء ذلك بأضرار » .

وهو عدد صغير جداً بالنسبة إلى هيئة الناخبين . ولم يكن هناك حاجة إلى توافر عدد قانوني ، للسير في الأعمال العادية ، أما إذا قدم اقتراح ، بقرار ، يؤثر على فرد واحد من الأعضاء ( νόμος ἐπ' ἀνδρῶν ) فكان يجب أن يكون عدد الحضور ٦٠٠٠ عضواً . وربما كان لابد وأن تتوفر أغلبية من ٦٠٠٠ صوتاً ، في حالات النفي الإداري الشاذة ، لإمكان إصدار قرار بهذه العقوبة . ولكن من المؤكد أن متوسط عدد الحضور ، كان أقل من هذا بكثير . ففي خلال سنى حرب البلوبونيز الأخيرة ، كان مستحيلاً جمع ٥٠٠٠ عضواً مهما بلغت أهمية الموضوع . وبعد انتهاء الحرب ، أصبح من العسير الحصول على العدد القانوني الكافي للانعقاد ، حتى أنهم خصصوا مرتبات للحضور . وقد زادت مرتبات الأعضاء مرات عديدة ، ( وربما كان سبب ذلك تدهور العملة وانخفاض قيمتها ) في أثناء القرن الرابع ، حتى وصل الأجر إلى درخمة ونصف ( حوالى أجر يومي عادى ) لعشر اجتماعات عادية ، ودرخمة واحدة لكل اجتماع غير عادى ، ولم يكن يسمح بالحضور لأى فرد إلا إذا بلغ العشرين من عمره (١) .

---

(١) توكيدس ٨ — ٧٢ — ١ . فيما يخص النفي الإداري أنظر مقال كاركوينسو المستوعب في *Mélanges d'histoire ancienne* ( باريس ١٩٠٩ ) ، ثم تقد كاتنجهام في *Classical Review* فبراير ١٩١١ . ولا يزال موضوع بحث ، ما إذا كان مطلوباً ٦٠٠٠ صوتاً لعقد الجلسة انعقاداً قانونياً ، أو للحصول على الأغلبية ، لقرار النفي . أنظر *Mélanges* ص ١٥٠ وما بعدها ، وأيضاً ص ١٤٥ — ١٤٦ ، وذلك بخصوص الأوستراكات الأربع الباقية ، التي كان يكتب عليها اسم رجل السياسة المتهم . وكلها كانت تختلف في الشكل والحجم . ولم تكن الدولة من التي تقدمها للصوت ، بل كان الصوت يمدّها ويأؤها ، على مهل . مقدماً . وعلى ذلك رغم أن التصويت كان سرى ، إلا أن الصوت الأسمى ، كان يمكنه الحصول على مساعدة جيرانه . ويتضح ذلك من قصة بلوتارخوس ، عن رجل قروى أراد أن يقيد صوته ضد أرسطيدس ، لأنه سئم تسمية الناس له بالمعدل . ( بلوتارخوس — أرسطيدس ٧ ) . إن تسليم الأثينيين بنظام النفي الإداري يظهر ، كيف كان أمراً عادياً عندهم ، وضع الدولة أولاً ، أما الأشخاص فلا مكان لهم . وكان الرجل ينفي لالجريرة اقترافها ، وإنما لأن جانباً كبيراً من زملائه المواطنين ظنوا أنه من الخير إبعاده ، وليس فينا اليوم من يمارس مثل هذه السلطة . حتى ولا نظار المدارس . أنظر توكيدس ٨ — ٧٣ — ٣ .

هذا وقد أتاح لنا دستور أثينا ، لمحة أنارت نظام العمل البرلماني . كان المجلس يضع جدول الأعمال ، ثم يوزع بعد أن يرسل إخطارا بموعد الاجتماع . ولا يمكن أن يعرض للبحث موضوع ما لم يكن مدرجا في جدول الأعمال ، ولكن للجمعية الحق في اختيار ترتيب مناقشة الأمور المعروضة ، وبذا يمكن منع المجلس من تقييد المناقشة ، بوضع الموضوعات المحرجة في نهاية كشف طويل . وكانت الأعمال العامة ترتب ثلاثة أقسام ، الموضوعات المقدسة ، و الدينوية ، و الشؤون الخارجية . و يبدأ العمل بعد شروق الشمس ، و قد يستمر إلى الغسق . ولكن بما لا شك فيه ، أن الملل كان يزداد باطراد ، فيما بعد الظهر ، و من هنا اتخذت خطوات تكفل إنهاء جزء معقول من العمل . ( و شاهدنا على ذلك يرجع إلى ما بعد تاريخ إدخال مبدأ المراتب المالية ) . فنسمع عن شرط ( لم يكن يعمل به في كل اجتماع ) يتطلب وجوب دراسة تسع نقط من جدول الأعمال على الأقل ، ثلاث من كل نوع من أنواع الموضوعات الثلاثة (١) .

ماذا كانت روح هذه الجمعية ؟ كانت ، كما قال نيتشه ، أشبه بروح النظارة في المسرح . ففي كلتا الحالتين يتجه الناس إليها ( كما في Ober-Ammergau ) بشعور الصباح الباكر السليم ، و كلهم استعداد للإصغاء بانتباه ، و للحكم بالعدل ، و قد سما و صفا إدراكهم الحسى ، لعظمة الموقف ، و جلال المنظر . و كثير من هؤلاء الحاضرين ، إن لم يكن معظمهم ، كانوا أعضاء في المجلس من قبل ، عرفوا طبيعة الأعمال فيه ، و تفاصيلها الضرورية . ففي الظروف العادية ، عندما لا يوجد شيء هام ، كانت تجرى الأعمال بشكل مرضى ، في حدود القانون ، رغم ما قد يصحبها من بعض الحديث العايب ، فالليونانيون هم اليونانيون . أما في الظروف غير العادية ، عندما تكون الأمور المعروضة للنقاش شاملة لمبادئ عامة ، أو مثيرة للشعور ، فإن الأمور تأخذ وجهها

(١) Ath. Pol. ، ٤٣ — ٤٤ ، فيلاموفيتز ، A. A. ، الجزء الثاني ص ٢٥٢ وما بعدها ، وانظر مقال Ekklesia في موسوعة باولي Pauly ، و يحتوي على قائمة التقسيم ص ٢١٧٠ .

آخرًا . فينسحب رجال الأعمال ، ويبرز المدرسون ورجال الكلام، وترجع  
أثينا كلها إلى المجلس لتستمع وتصغي ، كما يحدث في البرلمان الحديث عندما  
تعرض مناقشة هامة . فمسائل المبادئ والأخلاق تؤثر في مسئولية كل  
مواطن ، وتقتضيه أن يعمل ، لامن حيث هو خير ، ولكن من حيث هو  
رجل عادي . ولا بد أن قامت مناظرات مثيرة ، على ( تل البرلمان ) ، إبان  
الحرب الفارسية وبعدها ، ولكن لم يسجلها لنا أى مؤرخ ، اللهم إلا بعض  
أجزاء من فصاحتها ، وصلت إلى أيدينا . ونستطيع أن نحكم على خصائصها  
من توكيد يدس ، الذى لخص لنا ، أغراض كثير من المناقشات التى جرت  
في موضوع الحرب البلوونيزية . ولكن أحسن بياناته كان يتصل بالعهد  
الذى فيه شبت أثينا عن مثالياتها ، ويصور لنا الأخطار الناتجة عن هذه  
المناسبات الشعبية الكبرى ، أكثر مما يبين لنا جلال قدرها . فترى شعبا  
مشارآ ، نسي تعقله الذى كان سند دستوره ، فأطلق العنان لتفكيره الجامح  
النفاذ ، جاعلا من الجلسة المعدة للقيام بأعمال هامة لها خطرها ، مسرحا  
للجدل والسفسطة . إن مثل هذه الفرص ، أتاحت المجال لظهور طراز  
جديد من الرجال العموميين ، الذين لم ينالوا حظا من ممارسة المسئولية في  
مكاتب العمل بالدولة ، فخيرهم كان من المفكرين أو الأخلاقيين ، وغالبا  
ما اقتصروا على البرلمانيين المثقفين الممتازين ، الذين نعرفهم حق المعرفة من  
جرائدنا . فالإكازيا ، كما نعرفها من أرسطوفانيز ومسرح ديونيسس كذلك ،  
كان لها ناسها المترددون عليها ، الذين بزوا وجمعوا حولهم لفيقا من  
الأصدقاء والأعداء ، وذلك بنقدم اللاذع ، وطريقتهم الشيقة الحاضرة في  
توجيهه ، حتى أن الوزراء المنهمكين في أعمالهم ، والذين ربما قد تناسوا  
قليلا ناخبهم ، كانوا إذا ما أتوا إلى المجلس ، يرون أنهم فقدوا في الأسبوع  
أو الأسبوعين الأخيرين تأييد مواطنهم لهم ، وأن الرجال قد أخذوا  
يتكثرون أحزابا تحت قيادة بعض حراس الشعب ، أصحاب القدرة على  
الكلام اللاذع ، فيبتدى ذلك الصراع الطويل الذى نعرفه حق المعرفة

بين رجال الأعمال ورجال الكلام ، لينتهي بهذا التحدى « إذهب واعمل هذا العمل بنفسك » . وأحياناً قد يقبل عضو البرلمان التحدى ، كما يفعل النقاد الآخرون والصحفيون فيما بعد ، ويضع بذلك الوزير في مركز مخجل (١) . ولم يكن نيكياس في هذه الظروف المعروفه ، مثل بركليس ، موظفاً حكومياً ، أى وزيراً مديناً طيلة حياته ، ولكنه كان عسكرياً . والعسكرية كانت جزءاً ضرورياً من « العمل العام » ، لا يقل عن ضرورة تفتيش الأسواق العامة ، أو إنجاز الحسابات الحكومية . فلا بد لنا من أن نعرف إذن ، كيف نجح الآثينيون في جعل الطرق المتبعة في إدارتهم ، ملائمة لهذه الواجبات القاسية ، فنحن لم نتعود أن نعد أعمال القيادة البرية أو البحرية ، من أعمال الهواة غير المحترفين .

كان لآثينا بلا شك جيشها المجنّد إجبارياً ، وفي مراتون ، كما نعلم ، خرجت للحرب في قبائل ، بقيادة قواد وضباط من القبائل ، ينتخبهم رجال من تلك القبائل نفسها . إن عبارة الضباط المنتخبين تبدو شيئاً غريباً لنا ، ولكن هل كان هناك غيرهم يمكن أن ينتخبهم ؟ لقد كان إذعاناً للكفاية ، أن يعين الملاحين أو الضباط رؤسائهم ، بدلاً من أن يختارهم أيضاً الدهماء . ولكن بعد أن

---

(١) مؤلفات نيتشه الجزء ١٧ ص ٣٠٣ . خلق ظهور السفطائين جواً بين الناس ، يشبه جو جامعات المناظرة ، ( كما شكى ذلك كليون ) بدلاً من الوضع القديم الذى كان واقعياً بسيطاً . وكان كليون نفسه ، كما يصفه توكيديس ، في طريقته الحشنة ، أسوأ السفطائين جميعاً . إن أحسن المناقشات البرلانية في توكيديس هي ٣ - ٣٧ - ٤٨ ( الفصل الثامن والثلاثين الخامس بالسفطائين ) ثم ٦ - ٩ - ٢٣ . أنظر أيضاً بلوتارخوس - الفرس ١١ ، لما يتعلق بمناقشة استعمال أموال الجزية بعد السلم مع الفرس ، ثم انظر كذلك الإكليزيا أو بالأحرى الهيليا في يوربيديس ، Or. ٨٦٦ وما بعدها ، ثم الدور الذى لعبه الرجل القروى ( ٩١٧ وما بعدها ) ، توكيديس ٤ - ٢٨ - ١ ( القناد أنظر الوزراء ) . لقد كان كايون نموذجاً « لحامى الحقوق الشعبية » ، وقد كان يقوم بخدمة أى فرد « مثل بعض الناشرين الحديثين » ، وحتى في أدنى المناطق ، كان ينتظر منه أن يساعد النساء ربات البيوت للحصول على الأجر المستحق لهن ( أرسطوفانيز ، الضفادع ٥٦٩ ) . وفي جماعة صغيرة مثل جامعات المدن اليونانية ، لم يكن ضرورياً أن يهتم البرلمان بواجبه ، كمبر عن ضمير الشعب ، ولا على أن يحافظ عليه حياً .

أصبح لهم إمبراطورية يحكمونها ، لم يعد هذا النظام القبلي عملياً ، إذ كان على قوادهم ألا يبقوا في البلاد . فلم تقتصر الحاجة إليهم على الغزوات الصيفية ، أو لتوزيع الحراس حول الأسوار ، بل كانوا يدعون للخدمة في الخارج ، التي كانت تستغرق أحياناً العام كله ، في الأساطيل أو مع الحاميات ، في أماكن مختلفة من العالم اليوناني . ويقول بركليس مفتخراً ، ما قابلنا عدواً مطلقاً ونحن بكامل عدتنا ، فنصفنا في البر والآخر في البحر ، فقد أرسل جنودنا للخدمة في جهات كثيرة متفرقة ، وهكذا خرجت بالضرورة ، قيادة فرق القبائل من أيديهم ، إلى ضباط أقل منهم درجة ، عينوهم هم . وقد انتهت الحرب القبلية بالنسبة للقواد ، دون سائر كبار الموظفين الأثينيين ، إذ أبيع انتخابهم من هيئة الشعب كله ، لأن عملاً هذه أهميته ، عملاً يتضمن مسألة حياة أو فناء تمس الشعب كله ، يجب أن يكون الاعتبار الأول فيه ، اختيار الرجل الأحسن . وكما لاحظ الأوليجارشى العجوز ( وعلى شفثيه ابتسامته التهكمية ) ، « إن الشعب يعلم حق العلم أنه يربح كثيراً إذا حرم من هذه المناصب ، تاركاً شغلها لأقدر الرجال وأكفأهم ، وأهم المؤهلات الخاصة التي يجب توافرها في القائد المنتخب ، معروفة ومقدرة حق قدرها . ورغم أنهم كانوا لا يزالون عشرة ، وكانوا من الوجهة النظرية ، سواء ، فقد كانوا يرسلون إلى الخارج ، أو يظلون داخل البلاد حسب العمل الذي كان عليهم إنجازه ، وحسب تقدير الناس لكفاءتهم . فالرجل الأمين العاقل ، الموثوق فيه ، يرسل للخارج للخدمات البعيدة حيث يحارب ، أو يفاوض ، بقليل من التعليقات ، من أجل وطنه . أما أكفأ العشرة ، فكانوا يستبقون في البلاد ، ليساعدوا على توجيه السياسة الخارجية ، وليكونوا على استعداد لتنفيذها . وقد تحرر القواد العشرة ( دون سائر الموظفين الأثينيين ) ، بقدر ما ، من سلطة المجلس ، وغالباً ما كانوا يضطرون إلى القيام بأعمال بعيدة عنه ، دون استشارته . وبما أن إعادة انتخابهم كانت أمراً جائزاً ، فقد كان يمكننا أن يعفوا من تجربة الامتحان القاسية . فهم دون سائر خدم " شعب ، أعطوا وخدم سلطة كاملة ، وسمح لهم لفترة ، أن

يكونوا حكاماً مطلقين، ولكن الويل لهم إذا ما رجعوا إلى الوطن  
هزومين !

وعلى هذا فقد كان الموظفون العسكريون ، أى الرجال الذين قادوا  
الشعب ، فى أوقات الحرج والشدة ، كانوا هم حقيقة أقوى الرجال فى الدولة ،  
فى السلم والحرب على حد سواء . وقد سيطر بركليس على جمعية الشعب ، ووجه  
سياسة أئتنا الخارجية لأكثر من جيل ، وذلك بصفته قائداً ، لا بصفته رئيس  
وزراء ، أو رئيس المجلس . وهو وإن كان قد ذهب أحياناً إلى الخارج ،  
على رأس حملة من الحملات ، إلا أنه يكاد أن يسكون قد أقام بأثينا ، طيلة  
سنى حكمه الثلاثين ، على صلة وثيقة بالبرلمان ، وعلى علم تام بنظامه . وما من شىء  
يمكن أن يزيد وضوحاً ما استنتجناه من قبل ، عندما قرأنا وصف أستخيلوس ،  
ما كان للحرب من مكانة كبيرة ، فى حياة المواطن اليونانى ، وفى تفكيره (١) .

لقد تكلمنا عن الديمقراطية ، ولم يبق إلا شىء واحد قبل أن نختتم  
هذا العرض الطويل ، وذلك أن نرى كم كان عدد الناس اللازمين لإنجاز  
هذه الأعمال .

تقتضى الديمقراطية تعاون عدد كبير من المواطنين على تأدية أعمال  
الحكومة ، وهذا يعنى أن ما يقدمونه للحكومة ، لا يقتصر على الضرائب  
فقط ، إنما هم يمنحونها أيضاً الوقت والفكر . فتبرع أغنياء الأثينيين بالمال

---

(١) توكيديدس ٢ - ٥٩ - ٣ ، الأوليجارشى العجوز ١ - ٣ ، ثم لجزينوفون  
Mem. ، ٣ - ٤ - ١ ، ثم ماير ، الجزء الثالث الفقرة ٢٠١ مع المراجع . ثم فيلاموفيتز  
A.A. ، ٢ ، ص ١٠٧ وما بعدها ؛ مسئولية القائد ، أستخيلوس ، الفرس ٢١٣ ،  
ثم انظر رسالة نيكياس . توكيديدس ٧ - ١١ - ٤٨ - ٤٣ ، ١ - ١ - ١ .  
يمكن القائد أن يمنع اجتماع الإكليزيا ( كما فعل بركليس عام ٤٣١ ) ، توكيديدس  
٢ - ٢٢ - ١ ) بأن يستدعى الجيش ، ( أى أنه فى هذه الحالة يرسل المواطنين إلى  
الحراسة ) . اللازمون العسكريون : Lys ، ٢١ - ١٠ ، التوتى أى اللازم البحرى :  
اللازمون فى الجيش ، كما لاحظ فيلاموفيتز ( Aus Kydathen ، ص ٧٩ ) ظلوا وقتاً طويلاً  
يوضعون فى مراكز ثانوية . وليس ذلك بقريب بالنسبة لجيش معد على القواعد التى ذكرتها  
للثبة . وما من دولة كانت أكثر تحمراً من نفوذ « الطبقة العسكرية » .

للسفن أو لفرق المنشدين ، أو للمغنين ، أو لإقامة التماثيل العامة ، وقدم الفقراء (وأغلب الأثينيين فقراء) عائل أرا ملهم أى أنفسهم . فما أنقل ذلك العبء الذى فرضته عليهم مدينتهم ؟ (١)

لقد كان عبئا حقا من كل الوجوه ، حتى أنه كان عنصرا مهما في حياتهم . فالمقابلة بين النشاط العام والنشاط الخاص ، أمر معروف كل المعرفة في كل ما يكتب عن الديمقراطية . ويعنى العمل بالنسبة لنا دائما ، عملنا المهني الذى نحترفه ، اللهم إلا إذا ذكرنا العكس . أما العمل فى أثينا فيحتمل أن يعنى كليهما ، عمك الخاص ، والعمل للدولة ، إلا إذا حددت ما تعنيه .

كانت شؤون الإحصاء فى العهد القديم ضعيفة ركيكة ، ولكن إنه لجدير ، أن نحاول تقديم بعض الأرقام المحدودة ، لنرى كيف كانت تدار هذه الآلة الديمقراطية . فقد زدونا دستور أثينا ، فيما بعد ، ببعض الأدلة المناسبة ، للاستفادة منها هنا . (٢)

إن كاثينياك ، Cavaignac وهو أحد الكتتاب المتأخرين ، الذين تناولوا عدد السكان فى أثينا فى القرن الخامس ، قدر لنا التقدير التالى عن عام ٤٣١ ، وهو العام الذى اشتعلت فيها حرب البلوبونيز :

٢٥ - ٣٠ الف جنود الأسلحة الثقيلة ( وتحتوى على الطبقات الثلاث الأولى التى وردت فى إحصاء سولون ) .

٢٠ الف جنود الأسلحة الخفيفة وفرق المجدفين ( من الطبقة الرابعة ) .

٤٥ - ٥٠ الف المجموع .

ضمن كاثينياك هذا التقدير الجاليات أو المقيمين فى الخارج ، فى البلاد

---

(١) ربما كانت كلمة Λειτουργία مشتقة من λείω ( أى الناس ) . وعلى ذلك فكلمة λειτουργός تعنى تماما ما تعنيه δημιουργός : إنما الاختلاف أنه دفع تقدما .

(٢) Ath. Pol. ، ٢٤ ، ونوتس فى فيلاموفيتز . A. A. ، الجزء الثانى من ٢٠١ إلى ٢١١ .



التي تم الاستيلاء عليها ، في الجهات المختلفة من الإمبراطورية الأثينية ، وكانوا من الطبقات الفقيرة ، ويقدرون بستة آلاف إلى عشرة آلاف . فإذا أخرجناهم من حسابنا ، رأينا أن عدد المقيمين من الرجال ، ينخفض إلى ٤٤ ألف ( الحد الأقصى ) و ٣٥ ألف ( الحد الأدنى ) .<sup>(١)</sup>

من هذا العدد من الرجال يقدر فيلاموثيتز أن ٧٥٠٠ ( أى أكثر من رجل واحد في كل ست رجال ) كانوا يستخدمون في أية لحظة ، في القيام بواجبات الدولة اليومية المنتظمة على النحو التالي : ١٥٠٠ يعملون كموظفين ومدنيين و ٦٠٠٠ كجنود ، وبحارة ، وشرطة . وهذا العدد لا يشمل الـ ٦٠٠٠ قاضيا الذين كان يمكن أن يطلبوا للعمل ، في أى يوم من أيام السنة التي اتخبوا للعمل فيها . فإذا أضفنا هؤلاء ، ارتفعت النسبة إلى واحد من كل أربعة أشخاص ، أو حتى إلى واحد من كل ثلاثة أشخاص .

إن هذه الأرقام لتستوعب الانتباه ، فيحسن بنا أن ندرسها بالتفصيل . يقول دستور أثينا : إن أكثر من ٢٠ ألف رجل ، كانوا يأكلون الخبز العام ، ، أى أنهم كانوا يأخذون أجرًا من الدولة ، بوصفهم تضاة ،

---

(١) كاثينيك Études sur l'histoire financière d'Athènes au Vsiècle من ١٦١ وما بعدها . أما فيلاموثيتز الذي أنعم نحوه في التفصيلات ، فيميل إلى اعتباره أكثر من ذلك ، أما العدد الذي قدره ماير في Forschungen الجزء الثاني من ١٧٩ فهو ٥٥٠٠٠ و ٥٥٠ ، وليس من بينهم الكليروسين . إلا أن ثلاثة آخرين ، من الكتاب الحديثين : دلبروك Delbrück ، فوكاس Fawcus ( H.S. ) عام ١٩٠٩ ، ثم جيرنت Gernet في Mélanges d'histoire ancienne ( ١٩٠٩ ) من ٢٨٣ ) يذهبون مذهب بيلوخ Beloch في كتابه Griechische Geschichte الطبعة الأولى ، الجزء الأول من ٤٠٤ ، الملاحظة الأولى في تخفيض هذا العدد إلى ما بين ٣٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ . فاضرب ذلك في أربع فيسكون مجموع السكان ، رجلا ونساء وأطفالا . وقد قامت تلك المناقشة على أساس عدد المحاربين الذي ذكره توكيديدس ( ٢ — ١٣ ) . ولا يوجد ثمة بينة قوية أخرى تذكر ، إلا أن عددي ٢٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ ( ٢ — ١٣ ) إن من لا تعبيرات عامة ، تكاد تجرى مجرى الأمثال ، عن جلة عدد المواطنين : مثل هيرودوت ٥ — ٩٧ ، وأرسطو ، الإكليريا ١١٣٢ ؛ Dem ، ٢٥ — ٥١ ، وأفلاطون ، Symp. ، ١٧٥ ، E .

أو أعضاء مجلس ، أو كانوا يعيشون على حساب الدولة ، كموظفين عموميين أو أفراد لهم نفعتهم<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء العشرين الفا ، يجرى تقسيمهم إذن كالتالى :

|              |   |
|--------------|---|
| أولاً : ٦٠٠٠ | قاضيا .                                   |
| ١٦٠٠         | رماة نبل ( قواسون .                       |
| ١٢٠٠         | فرسان [ ومنهم ٢٠٠ فارسا من حملة الأقواس ، |
|              | أنظر توكيديدس ، ٢ - ١٣ - ٧ ]              |
| ٥٠٠          | أعضاء مجلس .                              |
| ٥٠٠          | حراس السفن .                              |

(١) أنظر فيلاموفيتز A. A. ، الجزء الأول ص ١٩٦ الملاحظة ، ٢٠ . ويجب أن نتذكر أن سقراطا قد اقترح ، أن له الحق في طلب مثل هذا الانفاق . أفلاطون . Apol. ٣٦ — ٣٧ . إن الأجر المنتظم الذى يدفع نظير القيام بعمل للدولة ، كما قرر ذلك بركليس المحققين وأعضاء المجالس ، لا يعتبر « رشوة » ولكنه تقدم كبير (يشابه الضريبة المحددة ، التى فرضها الملك داريوس ، بدلا من الابتزاز أو الإحسان) يفوق الطريقة الشرقية القديمة ، أى الهبة (البقشيش) ، والاختلاس ، والطريقة الغربية الحديثة ، أى المصروفات السرية « إن العامل جدير بأجره » : وقد بلغ الأثينيون من التعقل أنهم لم يتجملوا من قبوله . وأثر إدخال طريقة دفع الأجور هذه ، لم يكن لغراء العناصر الفقيرة بالدخول فى الحياة العامة ، بقدر ما كان تعويضاً لتوسطى العروة عن وقتهم وجهودهم (سندوول ص ١٨) . ولكن « الطريقة الشرقية القديمة » بقيت فى أثينا ، كما هى قائمة إلى الآن بيننا ، ولكنها أكثر انتشاراً بالنسبة للأعمال التى يقوم بها الخدم ومن فى مستواهم . ويمكن أن يرى الإنسان « مفتشى الأسواق » ، يحملون ما دفع لهم فى أكياس من الورق . وكما يقول فيلاموفيتز إن عبارة « καρποῦσθαι τὴν ἀρχήν » ( أن تجعل وظيفةك تؤتى ثمارها ) تعبير جميل ، فالإنسان لا يأخذ الخلق ، إلا إذا كان الأمر يتعلق بالنقود . وقد ذكرت الطريقتان معا فى الأوليجارشى المجوز ١ — ٣ : « الناس يتهافون على الوظائف التى تدر أجراً ، أو تجلب عونا للناس الذين فى البيت » ، ( أى أكياس الورق) . وبالطبع عارض هو وغيره من الأغنياء الآخرين فى دفع الدولة لهذا الأجر ، إلا أن هذا يرجع إلى أنه كان يمارس نظام الحكومة الشعبية على الإطلاق . وكما يقول هو فى عباراته الانتحاحية ، إن هذا كله إنما يقوم . معا وينهار معا . فالبدأ الأوليجارشى هو « الضريبة الاختيارية والخدمات الشخصية ، التى تقدم دون أجر » τῶν σῶμασιν καὶ

Ath. Pol. τοῖς χρήμασιν λητουργεῖν . ٥ — ٢٩

|       |                                       |
|-------|---------------------------------------|
| ٥٠    | حراس الأكروبول .                      |
| ٧٠٠   | موظفون عموميون في المدينة .           |
| ٣٠٠   | موظفون في الإمبراطورية <sup>(١)</sup> |
| ١٠٨٥٠ | المجموع التقريبي .                    |

وواضح أن هؤلاء اعتبروا موظفين مدنيين ، لأن الرجال المساحين منهم شرطة كانوا أو رديفا ، ليسوا في الخدمة العاملة (٢) .

(١) العدد غير واضح في المخطوط . ويقدره ثيلا. وفتيز « بيض مئات » .  
(٢) يجب ألا نخلط بين فرق حاملي الأقواس الماملة من المواطنين ، وبين كتيبة عبيد الدولة من السيثيين ، التي كانت تقوم بعمل البوليس في أثنينا ابتداء من عام ٤٧٠ (Andoc.) ، ٣ — ٥ ) ، وتسكن الخيام على الأروباچ . وكانوا يقومون بعمل البوليس أو الحجابة في الإكليزيا ، حيث لا بد وأن كان يبدو منظرهم غربيا نابيا ، وهم في زيهم الوطني (أرسطو Act. ٥٤ ، و Lys. ١٨٤ ، و Thesm. ٩٢٣ وما بعدها ، فيلاموفيتز والجزء الثاني من ٢٠٢ و ٣٣٤ ثم Staat und Ges. ١٠٣ ، الطبعة الثانية من ١٠٩) . أما حرس الأكروبول فكانوا من المواطنين حاملي الأقواس . ويتحدث نص من القرن الخامس بشأن ترميم حائط الأكروبول (ديتبرجر ، ١٦) ، عن ثلاثة حراس من الفواصة ، من القبيلة القائمة بالحراسة في المجلس « Πρυτανεύουσης » . وربما كان هناك أكثر من ثلاثة ( أنظر ملاحظة ديتبرجر ) ، ولكن من المحتمل أن النفود المنتجعة من الجزية لم تكن قد وضعت هناك بعد ، إن الـ ١٢٠٠ فارسا ، ( التي تقابل عندنا سلاح الفرسان ) كانت تضم قواسم من الفرسان (توكيديدس ، ٢ — ١٣ — ٨) . وفي حالة قيام هؤلاء القواسم الفرسان ( المقابلين « لفرسان » ) بالخدمة ، كان على الدولة تكاليف علف الخيل وصيانتها . وكان أحد واجبات المجلس الإشراف على الخيل العامة ( Ath. Pol. ٤٩ ) . وهكذا وجد فريقان من الخيالة ، فريق يركب خيل الدولة ، وفريق آخر يملك خيله الخاصة به ، أي أن فريقا من الفرسان كان ديمقراطيا ، والآخر أرسطوقراطيا . ويظهر الفرق بينهما مما هو عفور على إفريز البارثون ، حيث نرى أن من بين كل سبعة صفوف من الفرسان ، ستة يلبسون زيا رسميا ، يختلف في كل صف ( أي فرقة ) عن الآخر . أما هؤلاء الذين يتشجون بزى ملكي ، فهم الفرسان من الشبان الأغنياء ، كما يظهرنا أرسطوقايز ( أنظر من ١٤١ من Keil, Anonymus Argentinensis ) . ورغم تمييهم على هذا الإفريز ، وصورهم الجميلة على الأواني ، فإن الفارس الأثيني لا يبدو ذا مهارة خاصة . وقد صور ذلك إجنينوفون في تمبيردي ، في رسالته عن « واجبات قائد الفرسان » ، أنظر مثلا الفصل الأول ، الفقرة ١٧ ، إذ يقول « يجب أن نحث الأعضاء الصغار في الكتيبة ، على أن يتعلموا بأنفسهم فنّ الوثب على ظهور الجياد » ... الخ ... الخ . ( أنظر فيلاموفيتز Aus Kydathen من ٢٤ ، وملاحظة ٤٥ ، وهو يرى أن الأمور لم تكن سيئة إلى هذا الحد =

وبعد هذا يلي ، وذلك في فقره مضغمة ، قوة الجيش العاملة وقت السلم :

|                                  |       |
|----------------------------------|-------|
| جيش (وحدات أسلحة ثقيلة) .        | ٢٥٠٠  |
| البحرية (سفن حراسة وسفن ضرائب) . | ٢٥٠٠  |
|                                  | ————— |
| المجموع .                        | ٦٠٠٠  |

ثم أخيراً يأتي الأفراد الذين يمكن الانتفاع بهم ، وصغار الموظفين (مثل السجناء) وسواهم (من غير العبيد) ، الذين يعيشون على الخزينة العامة ، ويشملون كما نرى من الفقرة الختامية من المربية والأيتام ، من أبناء الرجال الذين ماتوا في خدمة الدولة ويبلغ عددهم حوالي :

|                          |       |
|--------------------------|-------|
|                          | ٣١٥٠  |
|                          | ————— |
| بمجموع الأقسام الثلاثة . | ٢٠٠٠٠ |

والمجاميع متفرقة هي :

|  |       |
|--|-------|
| الأشخاص الذين تعولهم الدولة .              | ٢٠٠٠٠ |
| الرجال الذين تعولهم الدولة للخدمة العامة . | ١٧٠٠٠ |

ويمكن أن تقسم الفئة الأخيرة كما يأتي :

|  |      |
|--|------|
| موظفون (١) (ومنهم المجلس والمحلفون : وقليلون من صغار الموظفين الأحرار) . | ٧٦٥٠ |
|--|------|

|   |      |
|---|------|
| القوات المسلحة ( في الجيش والبحرية وإحتياطي الفرسان والشرطة ) . | ٩٣٥٠ |
|---|------|

== في القرن الخامس ، ثم داكينز ( Dakyns ) في مقدمته لترجمة مؤلف إجزينوفون . كان الإسكندر الأكبر أول قائد يوناني عظيم للفرسان . ويجب أن نتذكر أن اليونان ، كانوا يمتطون الخيل بدون سروج ، ولا ركب . وإنه إن الصعب أن تتخيل هجوما ناجحا لفرسان من الراحة ، يمتطون خيولهم من غير ركب . ( أنظر التذييل ) .

(١) أنظر فيلاموفيتز ، A.A. ، الجزء الثاني ص ٢٠٢ إلى ٢٠٤ ، فيما يخص تفاصيل الواجبات المتنوعة ، لهذه الوظائف المدنية .

ولكن هذه الأعداد وحدها ، لا يمكن أن تمثل سير العمل في الجماعة  
الاثينية تمثيلاً صادقا ، فرغم أنه كان يمكن تجنيد واحدا من كل ستة  
مواطنين في أثينا كوظفين مدنيين ، نجد زيادة على العييد ، الذين يجب  
أن نتركهم الآن جانبا ، عددا كبيرا من الشباب يساهمون في زيادة موارد  
الدولة ، وكانوا معفون من هذه الضريبة إذذاك . وهؤلاء هم المقيمون الأجانب  
أو الغرباء ( ميتيكيوى μέτοικοι ) الذين وإن كانوا غير مواطنين ، إلا أنهم  
كونوا من كل الوجوه الأخرى ، اقتصاديا ويمكن أن نقول عاطفيا كذلك ،  
جزءا لا يتجزأ من الدولة الاثينية ، فهم وحدهم دون أى «أصدقاء ، أو حلفاء ،  
من الخارج ، كانوا الأحرار الوحيدين ، الذين وقفوا مع الاثينيين في بناء  
إمبراطوريتهم ، ، وذلك كما ذكرهم نيكياس ، ساعة المحاكمة . وإنهم لأحرىاء أن  
يكونوا جزءا من النظارة ، الذين استمعوا إلى المرثية وذلك كحق لهم ،  
لا كبرية يمنحونها<sup>(١)</sup> .

وبالرغم من أن الغرباء كانوا يعفون من بعض الواجبات المدنية التي على  
المواطن ، إلا أنهم إذا ما طلبوا للجنديّة ، كانوا يأخذون مكانهم في الجيش  
ويحاربون من أجل أثينا في الميدان ، كأى مواطن من مواطنيها . ولا بد أن  
بعضهم ( ممن ليسوا مدرجين في البيان الأنف الذكر ) ، لا بد أن عملوا  
كجنديين في الوحدات القائمة . ويقدر عدد الشباب الغريب بحوالى ٢٤ ألفا ،  
من بينهم ٨ آلاف يمكنهم ثراؤهم من أن يحاربوا في الفرق الثقيلة السلاح ،  
أما الباقون فيعملون مجدّفين ، أو في فرق السلاح الخفيفة . ولكن لم يشترك  
أحد من هؤلاء الأغنياء في فرق الجيش الدائمة<sup>(٢)</sup> .

(١) توكيدبس ٢-٣٦-٤ ثم ٧-٦٣-٣ إلى ٤ . وفيما يخص الدور الذي يقومون  
به في الموكب « الباناثيني » ، الذي يمثل أحيانا على أنه مدل ، أنظر هيدلام في J. H.S.  
عام ١٩٠٦ ص ٢٦٨ وما بعدها ، ثم أسخيلوس Eum. ، ١٠٢٨ إلى ١٠٣١ ، ( الذي يذكر استعمال  
كلمة εὐφρων بدلًا من φίλος راجع ما سبق ص ١١٠ ) . كان الأجانب في زيهب العسكري  
الأحر ، يحملون آنية قربان ملأى بالسكك ، وتحمل زوجاتهم جرارا ، وبناتهم مظلات .  
(٢) لقد تقدمت مسألة السكان الأجانب ، بسبب تعارض فقرتين في توكيدبس تعارضاً  
بيناً ( ٢ - ١٣ - ٧ ، ٢ - ٣١ - ١ ) . ويتبع تقديري السكلى ماذهب إليه كلارك في =

وجدير بنا أن نعود ونختم كلامنا ، بالتعقيب على الكلمات العظيمة ، التي وجهها نيكياس إلى « الأجانب » ، في جيشه ، أمام سيراكوز . فهذه الكلمات تلقى ضوءاً على طبيعة الجماعة الأثينية وروحها . فيقول « أيها الغرباء ، إنكم جميعاً أثينيون ، وبمعرفتكم لغتنا واتخاذكم أسلوبنا ، نلتم إعجاب اليونان » . فبعيشتهم في ظلال الأكروپول ، أو حتى في بيريه ، جعلتهم يشاركون أثينا روحها . وكان بركليس يضرب على هذا الوتر حين يقول : « إننا لندرج إلى إبعاد الناس ، أو نفهم ، كما تفعل امبرطة ، ولا تتدخل في شؤون ضيوفنا » . ثم يقول ثانية ، « لقد غدت أثينا مدرسة اليونان » .

كل هذا يبدو طبيعياً جداً للخلف المعجب ، ولكن إنها أثينا ، وكليستين بنوع خاص ، هو الذي أخرجها كذلك . فهذا يدل على القضاء على الفكرة القبلية القديمة الخاصة ، قضاء لا رجعة بعده في أثينا . تلك الفكرة التي تقول بأن الدولة ليست إلا جماعة قبائل . ويدل على الاعتراف بمبدأ أكثر قيمة من مبدأ التجارة الحرة ، وهو الاعتراف بمبدأ الاختلاط الحر بين الرجال من مختلف الشعوب ، وهو مبدأ صعب صيאתه في مجتمع قديم متشكك . وقد كانت أثينا قريرة بأن ترى غرباءها ، وتشجع نزوحهم إليها ، لا لجرد الثروة التي يجلبونها معهم ، بل لتجعلهم جزءاً من جماعتها . وفي الحقيقة ، حين أنشأ كليستين القبائل الجديدة ، انتهز هذه الفرصة الطيبة ، وأدخل كثيراً من الغرباء ضمن المواطنين .

---

Les Méléques athéniens = ٣٧٢ . فتقديره لعدد الجيش يقارب ماذهب إليه فرانكوت . L'Industrie dans La Grèce antique الجزء الأول من ١٧٢ وما بعدها ، ولكنه على أية حال لا يدخل في حساب طائفة المجدفين من العميد المحررين ( أنظر توكيديدس ١-١٤٣ — ١ ثم ٧ — ٦٣ — ٣ ) . أما تقديره للأسطول فيقارب ما قدره ماير ، Forschungen الجزء الثاني من ١٤٩ وما بعدها ، الذي يقدر عدد جيشهم دون ذلك بكثير . أنظر كذلك من ١٦٦ فيما يلي . فإذا ضربنا عدد المحاربين في أربعة كالعتاد حصلنا على عدد السكان الكلي . أما العميد فسنبحث أمرهم فيما بعد . وقد كان عددهم الكلي في جميع العصور بين ٧٥ ألفاً ( وهذا أقل عدد قدره لهم فرانكوت ) و ١٥٠.٠٠٠ ( وهو أكبر عدد قدره لهم ماير ) . وهذا يعطينا مجموع عدد سكان أتينا ، الأحرار منهم والعميد ، ويبلغ حسب أكبر تقدير ٤٢٥ ألفاً ، أو ٣١٠ ألفاً حسب أقل تقدير .

فمن طبيعة الوضع ، كان هذا أمر أصعب التكرار ، إلا أن ثيميستوكليس ، الذي ورث أفكاره ، وعرف كيف يطبقها في مجال أوسع ، بذل ما في وسعه لتشجيع الغرياء ، بأن حررهم من الأعباء . واتبعت هذه السياسة طوال القرنين الخامس والرابع ، إذ كانت أثينا بحاجة إلى غربائها سواء كانوا أحرارا أم عبيدا ، ( وكثير من هؤلاء الأغرأب بدأوا حياتهم كعبيد ) ليتمكنوها من القيام بعبء مسئولياتها الثقيلة ، وليردوها بمصادر للرجال والحاجات ، في العمل ورأس المال ، التي بدونها تكون مثلها العليا أحلاما فارغة . وقد تمكنت كثير من الجماعات من مواصلة العمل ، بفضل المهاجرين إليها ، ولكن لم يحدث أن اتسعت الضيافة بهذا الشكل الحكيم ، إذ لم يسبق أن كان العمل الذي تطلبته الدولة من مواطنيها ، مرهقا ومهما إلى هذا الحد . فإذا ما دعي مواطن من كل أربعة للخدمات العامة ، كان الناس على حق إذن في أن يقيموا وزنا ، لكل ما يرد زيادة عليهم عقلا كان أو يدا . وحتى العبيد ، كما سنرى ، نالوا حظهم من هذا الترحيب السياسي (١) .

(١) أرسطو ، السياسة ١٢٧٥ ب ٣٦ ، πολλούς ... Κλεισθένης  
وهما الأجناب العاديين ، والعبيد المحررون ، الذين أصبحوا « منك » بعد تحريرهم ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله لم نسمع عن محررين في أثينا . أنظر ديودور ١١ - ٤٣ - ٣ ، إن إعادة تنظيم القبائل الذي قام به كالمستبصر لم يتكرر ثانية . وبذلك لم تسنح فرصة ثانية بعد هذا ، لتحرير الأجناب في مجموعهم . ولسكنهم كانوا متمتعين بكامل حقوق الحكومة المحلية ، في الديم التي يقيمون بها . وبهذه الطريقة ، فقد يكون الكثير منهم قد تسال إلى سجل المواطنين في أوائل القرن الخامس . وعلى أية حال ، لقد أصبح ذلك مستجيلا بعد أن صدر قانون في عام ٤٥١ يقضى بقصر حقوق المواطنين على « المولودين من أب وأم أثينيين » . ولما نفذ ذلك بأثر رجعي ، في مناسبة توزيع هدية من القمح ، قدمها ملك مصر ، أبعده من السجل خسة آلاف ٣٣٩ : بلونارخوس ، بركليس ٣٧ الذي فصله مولر ٨١٥ - ٨٢٠ ( وذكّر في ص ٣٣٩ فيما بعد ) . ومن الخطأ أن نأخذ هذا الإجراء الفرد ، على أنه تبديل في موقف الأثينيين لزا « الغرياء » . أنظر ص ٣٨٠ وما بعدها فيما يلي . وهناك حقيقة واحدة صغيرة تظهر مدى الانقلاب العجيب الذي يتضمنه موقف الأثينيين من الغرياء . فيقول Ath. Pol. ، ٥٨ - ٢ . « إن ما يباشره الحاكم الأعلى من واجبات ( أي كقاضى وحكم . الخ ) للمواطنين ، كان يتولاها = ( م - ١٤ الحياة اليونانية )

# الفصل السابع

## تطور حقوق المواطنين

الحرية أو قاعدة الإمبراطورية

ἐλευθερία الحرية

Μόνοι οὐ τοῦ εὐμφορόντος μάλλον λογισμῶ ἢ τῆς ἐλευθερίας τῶ πιστῶ ἀδεῶς τινὰ ὠφελοῦμεν. —

Γερσίλα.

إننا الوحيدون الذين نهب الخير ، لا لرفع نطلبه ، ولكن للثقة المطلقة في الحرية — بركايس .

إنهم يستطيعون أن يجدوا الاستعباد في كل مكان ، إنه العشب البري الذي ينبت في كل تربة . . . . أما الحرية فإن يجدوها إلا لديك ، إنها السلعة القيمة التي كان لك احتكارها — بيرك في On Conciliation with America .

لقد تتبعنا أننا في سيرها إلى الديمقراطية ، ولكن ثم حلقة أخيرة مهمة ، بق علينا أن نخطوها قبل أن يكمل تعليقنا . يجب أن نعرف أننا الإمبراطورية . فأنينا الى تحدثت عنها المرثية لم تكن دولة مدينة عادية ،

== البيولارخوس تجاه الملك ، أي التائد الأعلى للمدينة من أيامها الأولى . ولم يتول القضاء إزاء الغرباء في تلك الأيام ، إنما كان بطاردم . أنظر Phillipson, The International Law and Custom of ancient Greece ( في جزئين ، لندن ١٩١١ ، وبعوى مراجع أيضا ) ، ص ١٧١ و١٩٩ ، وكذلك نص فاسيليس Phaselis المذكور به . وهذا النص المذكور أيضا في الطبعة الثانية من كتاب Hicks & Hill, Greek Historical Inscriptions الطبعة الثانية رقم ٣٦ . ويجب ألا ننسى أنه كان من بين الغرباء ، هيرودوت الهايكارناسي الذي عاش في أننا من حوالي ٤٦٠ إلى ٤٤٣ .



كبلاتيا أو كورسيرا ، إنما كانت عاصمة ، بل سيدة ، لقرابة ٢٥٠ جماعة تابعة لها .

كانت معركة مراثون ، كما يقول توكيديس ، الحدث المهم الأول بعد طرد الطغاة ، واستقرار دستور كلستانيز . ويواصل توكيديس قوله : « بعد ذلك بعشر سنوات ، أى بعد كليستانيز بجيل كامل ، أتى البربرى بأسطوله ليستعبد اليونان . وفى ساعة الخطر القومى هذه ، اضطلعت لاسيديمونيا ، وكانت إذ ذاك أقوى دولة برية ، بقيادة جيوش اليونان المتحدة ، وذعب الأثينيون ، الذين قرروا هدم منازلهم ، وترك مدينتهم عند اقتراب الفرس ، ذهبوا إلى السفن وصاروا ملاحين . وضد الاتحاد الغزاة . ولكن لم يمض على ذلك طويل وقت ، حتى انقسموا هم وسائر اليونانيين الذين تخلصوا من نير الفرس قسمين . قسم من حول أثينا ، والآخر حول لاسيديمونيا ، إذ برهنت هاتان الدولتان على تفوقهما ، وكانت قوة إحداهما فى البر ، والثانية فى البحر ،<sup>(١)</sup> .

لو جمعنا هذه الفقرة المختصرة ، لتبين لنا أنها مقدمة كاملة وافية لتاريخ الإمبراطورية الأثينية . إنها تصور لنا ، قصة تغير مادى كبير ، بل وتطور بدوحتى أعظم ، طرأ على شئون اليونان .

لما أرسل الأثينيون ٢٠ سفينة لمساعدة أقاربهم الأيونيين فى ثورتهم ، وأثار ذلك دارا ، ودفعه لإرسال حملة تآديبية ، كانت الدويلات اليونانية ما زالت تبدو لنفسها وللعالم من حولها ، صغيرة كل الصغر ، قليلة الأهمية إذا ما قورنت بإمبراطوريات الشرق . ولم يكن كهنة دلتى المداهنون ، هم الذين أجلسوا ويجنتون وخدم العواهل العظام ، أمثال كريسوس وقميين ، بل شاركهم ذلك ، المواطن اليونانى العادى . ولم تكن اليونان لتأمل مطلقا ، أن تكون فى يوم من الأيام على درجة من القوة أو الغنى أو الفن ، أو من التهذيب

(١) توكيديس ، ١٤ - ١٨ .

والحضارة ما بلغه ، وما كان عليه هؤلاء السادة أصحاب الملايين من النقود  
والأتباع . ويمكن أن نرى كل ذلك منعكسا في صفحات هيرودوت ، فهو  
وإن كان يكتب إلى أناس ثبت لهم تماما ، أن أجماد إكزسيس ، وحكمة مصر ،  
كاتب برقا خلبا ، وسحابا كهاما ، لكنهم على الرغم من ذلك ، أحبوا أن  
يستزيدوا البأ عنهما للسبب عينه . ولكن الأمر كان يقتضى جرأة حقيقية من  
أمثال سولون ، الذى لم يكن إلا قرويا نزل المدينة ، حتى لا يؤخذ بالكثوز  
التي يستطيع كريسوس أن يريها له . لقد بهرت هذه الثروة وتلك الكثوز  
أهل القرن السادس ، إلا أنهم لم يدركوا ما تنطوى عليه ، إنما عرفه أحفادهم ،  
عرفوا أن المال كما أحب بركليس أن يعبر عنه ، لا يملك الرجال ، ولكن  
الرجال هم الذين يملكون المال ، (١) .

(١) توكيد بس ١ - ١٤٣ - ٥ . لا شك أنها جملة من جل بركليس نفسه ، أعادها  
نيكياس في خطابه الأخير أمام سيراكوز في سفريه محزنة (٧ - ٧٧ - ٧) . وقد  
سوفوكليس أيضا يقولها ( أنظر O.T ، ٥٦ - ٥٧ ) ، هيرودوت ١ - ٥٠ ، حيث يمكن  
الإضات إلى صوت كاهن داني الجليل ، في سرده الأدلة على تقوى الملك العظيم . وقد كان  
هيرودوت على استعداد أن يعزو إلى مصر شرف كونها أصل كل شيء ، بشرى كان أم ديفيا  
( مثل ٢ - ٥٠ ) : إلا أنه لم يكن هناك ما يزعزع عقيدته في أهل وطنه ، حتى ولا يراجع  
أصل أسلافه إلى القرودة . والنقطة الجوهرية هي ماذا عسى أن يصنع الشعب المختار ، بما كان  
ملك ، سواء كان قد حصل عليه من الداخل أو أتى به من الخارج ، من Prometheus  
أو Cadmus ؟ أنظر التوسع في هذه النقطة في ماير Anthropology and the Classics  
على سبيل المثال ص ١٥١ . « كانت معالجة هيرودوت للحضارة الهيلينية ، تتناقض طريقة  
معالجته للحضارات المصرية والأجنبية ... ففي اليونان - وبها نرى سيطرة الرجل على الطبيعة  
وليس مرجح ذلك لكون الطبيعة أضف هنا ، ولكن لأن الرجل اليونانى كان من القوة  
بحيث يستطيع أن يسيطر عليها » . وقد اعتقد هيرودوت في إمكان « نقل الحضارة » ،  
ومن هنا نادى « بفكرة اطراد الحضارة » . ولا يعتبر داروين رائدا في هذا المجال : فهو  
إنما علم فقط أسانذتنا دقة الملاحظة . « لم يكن عند اليونان لفظ يعبر عن التقدم » . لا ،  
فالكلمات التي استعملوها ( على سبيل المثال μετέβαλον μετέμαθον ) لم تكن  
مضلة إلى هذا الحد . أنظر هيرودوت ١ - ٥٧ - ٧ - ١٧٠ . ولم يكن عند اليونان في  
القرن الخامس شيء مما كان يخشاه اليهود بعد النبي ، من الاندماج بالناصر الأجنبية . ولا  
زال هذا النزاع قائما في اليهودية ، أنظر كتاب المقالات الممتازة الذى وضعه أشاد هايم  
( وهو « واحد من العادة » ، اتخذ كاسم تكبرى للدكتور آشر جينزبيرج ) ، وخاصة  
المقالة التي عنوانها ، « التقليد والاندماج » ، ( وقد ترجمها عن الأصل العبرى ليون =

هذا التغيير يرجع إلى الحروب الفارسية ، ولا سيما إلى الانتصار على  
الآرامادا ، في سلاميس . فالليونانيون لم يهزموا الفرس مصادفة ، كما لم يرجع  
انتصارهم عليهم للحظ أو المعجزة . وقد أبرز ذلك توكيد يدس ، ورجال  
القرن الخامس . لم يكن ذلك مصادفة ، لأنه حدث مرات عديدة في خمس  
أوست مواقع كبيرة ، في البر والبحر ، في اليونان وآسيا وصقلية . ولم  
يكن معجزة لأن الآلهة وقفت جانبا ، ولم تسام في شيء . لقد اجتهد أبولون  
كثيرا في أن يبرىء نفسه وزملاءه الأثينيين من موقف الحياد المخجل  
الذي اتخذوه ، وذلك بتحويل أقواله ووحيه بعد وقوع الحادثة ، ولكنه  
فشل . لقد أتى ذلك على ما كان له من تأثير قومي ، بل قضى على سيطرة  
المعتقدات الخارقة على شئون اليونان القومية . إن الرجال لا الآلهة ، هم الذين  
كسبوا مراثون وسلاميس ، بل والرجال أيضاً ، لا الآلهة ، هم الذين أقاموا  
الإمبراطورية الأثينية ودعموها . ذلك هو ما قاله بركليس ، بكل  
ما استطاعه من قوة ، مراعيًا أنه يتحدث في دكنيسة ، إذا جاز هذا  
التعبير . حقيقة لقد قرن بالفلاسفة الأجانب ، وانهم بالهرطقة ، ولكنه  
ما كان ليختار للحديث في أكثر الاحتفلات خطرا ، وأجلها شأنا ، في السنة  
الأثينية ، لو كان الناس يحفلون بكونه هرطيقا ، لقد كانت تقوى  
سوفوكليس ، على الأقل ، فوق الشبهات ، ولكن بنفس هذه الروح المتحدية ،  
ترنم منشديه في د أنتيجون ، . حقا لقد كان في اليونان جماعات منعزلة ،  
رجال لم يدركوا بعد أن سلطة الآلهة القدامى ، قد تقوضت ودالت دولها ،  
ولكن درس سلاميس كان درسا حاسما ، بالنسبة للجماعات المتقدمة

---

== سيمون ، فيلادلفيا ١٩١٢ ص ١٠٧ وما بعدها) . وينادى الكاتب بقوة ، بنفس المذهب  
الذي نادى به هيرودوت ، أنظر طامع المنظر الفارسي في أخارنيا ( Acharnians ) ( ص ٦٤  
وما بعدها ) رغم أن الأثينيين جميعهم ، قد عرفوا مقدار زيف العظمة الفارسية . وعلى  
العكس تفرقت أيضا فكرة الفارسيين والمصريين عن اليونان فقد اعتادوا أن يروا فيهم  
مخاطرين غلاظا ، يفضلون قليلا البيزيديين Pisidians ، وغيرهم من القبائل الجبلية . أما  
الآن فقد أصبحوا في نظرم أنا ساء لهم احترامهم ، بل وأصبحوا موضع تقديرهم .

المسيطرة ، فانتصار اليونان لم يكن رحمة نزلت من السماء ، بل هو تطور منطقي طبيعي (١) .

من المستحيل أن نصف ما انطوى عليه تغيير كهذا ، فما من تغيير أو تشبيه ، يمكنه أن يصور تصويراً صحيحاً الفرق بين الدويلات القومية الصغيرة المتاخمة للإمبراطورية الفارسية ، وهو ما بدا عليه اليونانيون لداريوس ولأنفسهم ، آخر القرن السادس ، وبين رواد الحضارة ، لا حضارة أوروبا أو الغرب ، بل حضارة البشرية جمعاء . إنه الفارق ، بل أكثر من ذلك بكثير ، بين ما كانت عليه اليابان الحديثة في نظر رجل روسي غير متعلم ، قبل الحرب الروسية اليابانية وبين ما تعنيه اليونان لنا . فاليونان في القرن السادس ، لم تكن دولة ذات شخصية ثابتة وتقاليد خاصة ، شأن إحدى

(١) توكيديدس ٢-٤٣-١ — ἀνδρες αὐτὰ ἐκτίσαντο ، أنظر ١-٧٦ —  
 —٣— وكذلك ١-٧٣ — οὐκ ἀπεικότως ἔχομεν ἃ κεκτήμεθα ١-٧٣ —  
 في أسخيلوس ، الفرس ، ٢٣٥ وما بعدها . ثم انظر وجهة النظر نفسها ، تهالج بطريقة مخالفة تماماً ٥ — ١٠٥ . إن الأشخاص المثقفين في القرن الخامس ، لم يأخذوا ، «الوحي» مأخذاً جدياً ، كما يتضح لنا ذلك من هيودوت ، رغم أن اليونان كانوا أكثر اعتماداً منا ، إلى التمرس لنوبات خرافية من الاعتقاد بالمخرافات . ولكنهم مضوا يستشرونه ، لأنهم كما هو الحال معنا ، فيما يختص بالنزوات الحديثة ، كانوا يرون أنه من الخير أن يجهلوه في صفهم . ولذا حاولوا بقدر الإمكان ، تسهيل الأمر على أبولون ، فبدلاً من أن يدألوه « هل سأذهب إلى الحرب ؟ » كانوا يوجهون هذا السؤال بصفة أخرى ، فيقولون ألا نطلب أنه من الواجب على أن أذهب إلى الحرب ؟ » والجواب بدون شك يكون على قدر العطاء . أنظر توكيديدس ٢ — ٢٥ — ١ ، ٣ — ٩٢ — ٥ (وتم جواب وإن لم يحفل توكيديدس بإطلاقاً بالإشارة إليه وتوضيحه ، إلا أنه ثبت أنه خاطيء كل الخطأ) . . وطبعاً إلى أن تتشعب فكرة تدخل العناية الإلهية ، كان من المستحيل أن يفكر الإنسان في السياسة تفكيراً هادئاً ، فضلاً عن استعالة قيامه بتدوين التاريخ . ومن أجل ذلك نجد توكيديدس يصبر إصراراً مستمراً ، على معرفة علم النفس ، وضرورة فهم رجال السياسة طبيعة البشر ، أنظر ١-١٤٠ — ١ — وكذلك ٢ — ٥٩ — ٣ — وخاصة ٣ — ٤٥ ، حيث ترى كما بين كورنوفورد في Thucydides Mythistoricus أن المثلولوجي تطورت إلى علم النفس . فالعلم ، مثل الشيطان ، يمكنه أن يقتبس من الوحي ما يحقق أغراضه . ويوضح فيلاموفيتز A. A. ، المجلد الثاني ص ٦٤ هامش ، أن زيوس لم يعبد كإله الحربية ( Ἐλευθερίος ) في أثينا ، إلا بعد عام ٤٨٠ . ولكن هذا اللقب الجديد لم يكن يزيد كما يبدو ، في انتشار عبادته .

الدول الصغيرة في وقتنا الحاضر ، الدانمرك أو سويسرا مثلا ، بل كانت لا تزال في دور التكوين ، تلتهم بقوة العناصر الأجنبية ، وكانت معرضة ، وهو ما يمكن أن نرى مثالا له في أيونيا ، لأن تبتلعها كلها ، كيما وروحا ، أية دولة أقوى منها تعترض طريقها . فهي لم تكن قد شعرت بكيانها بعد ، أو كما يعبر الفلاسفة ، هي لم تدرك بعد شعورها الذاتي ، وكما يقول الوعاظ ، لم تولد بعد ميلادها الثاني . لقد أيقظتها الحروب الفارسية ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت اليونان التي نعرفها . وبما أن القوة التي أيقظتها ودفعتها إلى حياة جديدة ، لم تكن قوة عقلية أو أدبية أو فنية ، بل كانت قوة سياسية ، فقد كانت مثلها العليا في تسيير حياتها الجديدة ، سياسية أيضاً . وما عدا ذلك فليس بذى أهمية . قد تكون في مصر أهرامات ، وفي بابل حدائق معلقة ، وقد يخرج الميديون للنزهة حاملين المظلات ، وقد يرتدى المصريون السكتان الأبيض كل يوم ، فكل هذه ليست إلا مظاهر الحياة الخارجية وزخرفها . المهم أن غدت اليونان حرة قوية تستطيع السيطرة على العالم ، كأنها عملاق هائل ، وأن شق أهلها طريقهم إلى كل بحر وكل أرض دون أن يتركوا أهرامات ، أو معابد ، أو دواوين شعر ، وكتب قصص ، بل خلقوا ذكريات أعمالهم كرجال من جنس حاكم مسيطر .

وأثينا هي التي نلِس فيها هذا التغيير بشكل واضح . فهي التي جاهدت أكثر من سواها ، في سبيل الوصول إليه . فبينما تخلفت اسبرطة في شبه جزيرتها الحصينة ، عانت أثينا وطيس هجوم البرابرة . وفي مراثون اكتشفت في دهشة بالغة أن الرمح والمجن ، يمكن أن تقهر القوس ، حتى لو تفوق العدو عدداً . وبعد عشر سنوات حين كان التفاوت عظيماً ، والظروف غير مواتية ، جسرت على مواجهة مجنّ البر والبحر . فترك مواطنوها منازلهم وأمكنتهم المقدسة ، ووقفوا على صخور سلاميس ينظرون إلى النار تلتهم حرم بيزستراتوس على الأكروبول ، وتأتى على السقالة المقامة حول معبد أثينا الجديد . وعندما عادوا منتصرين إلى مدينتهم المخربة ،

إنما كان ذلك إلى حياة جديدة ، ومثل عليا جديدة . لقد رأوا كتل أحجار مشروعات العام الماضي ، والتي لم يفرغ العمل بها بعد ، مبعثرة على الأكروبول ، فلم يشرعوا في العمل فيها ، بل أدخلوها في بناء السور ، ودفنوا معها ضعفهم ومخاوفهم القديمة ، حتى يستطيعوا أن يسخروا منها كل يوم ، عند مرورهم بها . لقد كانت تلك الأحجار معالم في طريق حياتهم القديمة ، وما من شيء « يشرح القلب ، ويسر العين » ، كأن يتطلع المرء ، ويسترجع شيئا من ماض شاق . فلما أن انتهوا من تحصيناتهم في الأكروبول وفي سور المدينة ، وفي بيريه ، واطمأنوا على المدينة والثغر ، أطلقوا أيديهم في تجميل قلعتهم المهدامة ، بروح من حياتهم الجديدة . لقد أصبح لهم إذ ذاك إمبراطورية جديدة بعاصمة جميلة ، وفي إمكانهم أن يوحوا إلى فنانيهم ، ليخلقوا لهم هذه العاصمة المنشودة<sup>(١)</sup> .

لم يكن يمكننا أن نظل قوى عام ٤٨٠ ق . م المتحالفة وحدة واحدة . ففي حرارة النزاع ، عندما تحطمت حدود الوطنية العتيقة القاصرة على حدود المدينة ، ورأى اليونانيون في دهشة ، أنفسهم يجاربون لاضد جيرانهم بل إلى جانهم ، في تلك اللحظة نطلعوا إلى أن يجعلوا من اليونان دولة واحدة ، ومن حول نيران معسكراتهم تجاذبوا الحديث : « إنها بالتأكيد تملك كل المقومات التي تجعل منها أمة واحدة . فاذا بينك وبينى ؟ دم واحد يجري في عروقنا ، دم زيوس وأيونا هلين ( Hellen ) . وتتكلم لغة واحدة ، وإلا لما أمكننا أن نتسامر ، ولو بصعوبة ، حول هذه النار ، ونعبد الآلهة نفسها ، وهو ما نتذكره عندما نذهب إلى دلف وأوليمبيا ، ونشترك في أكثر العادات ،

---

(١) توكيدس ١ - ٦٩ - ٥ - ٧٣ و ٧٤ ( يقابل بين سلوك الأثينيين والاسبرطيين في الحرب الفارسية ، وما ترتب على ذلك من اختلاب من الوجهة النفسية بالنسبة للفرقيين ) . إن مراتون ( مهما بلغ التفاوت في العدد ) لم تكن « ذروة الرحمة » أكثر مما كانت بلاسي ( Plassy ) . وإن كتل أحجار المعبد الذي لم يتم قبل الحرب الفارسية ، لا تزال في سور الأكروبول واضحة للآراء .

ونفهم طرق بعضنا البعض . فلنكون دولة واحدة إذا ما اتهينا من هؤلاء البرابرة ، (١) .

ولكن سرعان ما تقوضت تلك الأحلام ؛ لأن ما فرقته القرون لا يمكن أن يجمع شمله صيفى قتال . لقد كان هناك خلاف ، حتى إبان المعارك ، رغم أن الرجال حاولوا الاستخفاف به في ذلك الوقت . ولكن عندما انتهت الحرب ، وحين وقت إعادة التنظيم ، تجملت كل الخلافات القديمة ، واختفت الوحدة اليونانية البانهيلينية في طى النسيان .

ولكن أمور اليونان ما كانت لتعود ثانية ، إلى ما كانت عليه قبل المحنة . فقد تعلم اليونانيون وأبتمنوا ، أن حب الوطن وإن كان يستثير الشجاعة في قلوب الرجال ، إلا أن التنظيم وحده هو الذى يجعل منهم أقوياء . ولكن لما كانت بلدان آسيا الصغرى المحررة ، لا تزال فعليا جزءا من الإمبراطورية الفارسية ، ويحتمل أن يطالبها أحد الستاربة في يوم ما ، بدفع الجزية ، فكان لا بد من توفر طريقة إجماعية للدفاع . ولم يكن لدى اسبرطة الرجال ولا المال ، لمواجهة هذه الضرورة ، ولذا انسحبت من مركز تعد فيه قواها البرية المشهورة قليلة الجدوى لها ، تاركة الميدان لهؤلاء البحارة الأثينيين الجدد . وبعد مرور خمسة أعوام ، وقبل أن تدرك العقلية الاسبرطية الجامدة ، ماذا يجرى هناك ، كان قد نظم بصفة مؤقتة ، حلف الأثينيين ، ، وأصبحت أول محاولة تقدمية عظيمة ، لتكوين دولة من مدن كثيرة حقيقة واقعة (٢) .

---

(١) هيرودوت ٨ — ١٤٤ ، ثم بلو تارخوس ، أرسطيدس ٢١ ( تفاصيل حلف دائم مقترح : أنكرت سمحتها ولكن للذا؟ ) .

(٢) إن فارس التي لم تنس شيئا تعلمته ، طلبت بكل هدوء جزيتها القسدية من المدن اليونانية عام ٤١٢ . ( توكيديدس ٨ — ٥ — ٥ ) ، وذلك بعد ٦٨ سنة من موقعة سلاميس . إن الفكر الاسبرطى كان يتغير ببطء شديد كما عرف ذلك ألكيبياذس . ويجب أن يرهبوا إرهابا شديدا حتى يقبلوا فكرة جديدة ، ( أنظر مذهب استشارة الحس المرتجلة في توكيديدس ٦ — ٩٠ ) .

كانت الإمبراطورية الأثينية كغيرها من الأمور العظيمة وليدة الحاجة، ولم يكن مذبذبوها يعلنون تماما ماذا كانوا يفعلون. وكانت نواتها، تحالف أرم بين الأثينيين والأيونيين، وفق الشروط التقليدية المعهودة. وفي السنة الثالثة بعد موقعة سلاميس البحرية، وعندما كان ديميستوكليس حاكما أعلى أقسم أرسطيدس، (قائد القوات الأثينية) للأيونيين أن يكون أصدقاؤهم لهم أصدقاؤهم، وأعداؤهم لهم أعداء. وليتقيدوا بقولهم، ألقوا بكتل من الرصاص إلى البحر. كم يبدو ذلك ساذجا ولكن دعنا نرى ما ينطوي عليه ذلك، ولنفكر في منطق هذا الموقف (١).

فإذا كان غرض هذا الحلف؟ لم يكن مجرد الاستعداد لطرد الفرس، إذا عاودوا الهجوم، فذلك كان أتفه من أن يكون هدفا للرجال الذين أطاحوا منذ هنية بالفرس، وجعلوهم يولون الإدبار في سلاميس وميكالي. إن شعار الحلف لم يكن الدفاع بل الحرية. لقد أرادوا أن يدفعوا بالحرب إلى أرض العدو، ليأثروا ويعوضوا ما لحقهم من ضرر بالنهب والتخريب (وإذا استعرنا أحد التعابير المعتادة لكتاب المقالات الأثينية اليوم) ليكملوا تحرير إخوانهم المستعبدين. لقد كانوا على استعداد، بل مشوقين لأن يقادروا إلى الهجوم (٢).

ولكن الحرب تتطلب نفقات كثيرة، فالجنود لا يستطيع أن تعيش على النهب وحده ولا سيما إن كان عملهم التحرير. ثم إذا كان نصف الحلفاء جزريين، وكان البحر مجال الأعمال الحربية، فالحاجة إلى السفن تغدو ماسة، فكيف تواجه هاتان الضرورتان الماستان؟

(١) Ath. Pol. ٢٣ - ٥، كاثينيكس ص ٣٧.

(٢) توكيديدس ١ - ٩٦ ὄν ἀμυνασθαι γάρ ἦν πρόσχημα

ἐπαθον δηοῦντας τὴν βασιλέως χώραν.

تلك الجبل من اليونانيين، كما هي عليه كريت بالنسبة لهذا الجبل.



قليل من أعضاء الحلف الجديد كان لديهم سفن يقدمونها . وكثيرهم قدموا أساطيلهم مرتين في العشرين سنة الأخيرة . فقدوها مرة في الثورة ، الأيونية المشهورة ، ثم ثانية بعد أن اضطروا إلى قتال أفارهم في سلايس وميكالي . ولم يكن من السهل عليهم بناء سفن جديدة ، فهم ليسوا كالفينيقين من ورائهم غابات لبنان . أضف إلى ذلك أن سفنا كالتى كانت لديهم ، لم تكن كبيرة الفائدة ، إذ أدخل الأثينيون تحسينات على تسليح وبناء السفن ذات الثلاث طبقات ، ولم يكونوا هم قد جاروهم في ذلك . وعلى هذا فإن الحلفاء ، باستثناء الجزر الكبيرة : ساموس واسبوس وخيوس ، التى كان لها تقاليد البحرية ، نزلوا عن فكرة مد الحلف بالسفن إلى تقديم شيء آخر بدلا من نصيبهم منها في هذا المشروع (١) .

كما لم يكونوا راغبين في تقديم خدماتهم الشخصية على مرآكب الحلفاء الآخرين ، ولا حتى أن يعملوا إلى جانبهم في الميدان ، إذا أردنا الحقيقة . فهم لم يهزموا الفرس قط في حرب سواء ، كما هزمهم اليونانيون عبر البحار فأرتميزيوم وميكالي ، تيران عندهم ذكريات مخالفة تماما . وفي معركة لادى ، التى كان يمكن أن تكون سلاميس لهم ، لم يظهر بينهم ثيمبستوكليس ليقضى على أحقادهم ، وحاجتهم إلى النظام . وبالمثل لم يكن الأثينيون راغبين كثيرا في الضغط عليهم لينزلوا إلى الميدان . لقد فضلوا أعوانا أكثر دربة وتعودا على مصاعب الخدمة البحرية ونظمها (٢) .

وقد كانت هناك طريقة طبيعية واحدة لتسوية هذه الخلافات . فعلى الحلفاء الصغار دفع التكاليف ، بينما تقوم أثينا والجزر الكبيرة بالعمل . هذه هى الخطة التى اتبعت ، حسب اقتراح أرسطيدس ، لتسوية حاجات

---

(١) التفاصيل في كاثيندكس ٣٨ - ٤١ ، أنظر توكيديدس ١ - ١٤ - ٣ . كان النوع الجديد من المراكب ذات الثلاث طبقات يحتوى على ١٧٠ مجدانا . أما النوع القديم فرعا يحتوى على مجاديف أقل ( وهو نفسه يعتبر تحسينا كبيرا بالنسبة لأنواع الذى يحتوى على ٥٠ مجدانا ) .

(٢) هيرودوت ٦ - ١٢ .

المعركة الأولى العاجلة . وبما أن جزيرة ديلوس كانت قد اختيرت لاجتماع قوات الحلفاء ، فإن معبد أبولون كان مصرفا مناسباً ، ودفعت فيه أولى الحصص . أرضت هذه الخطة الطرفين ، وصمموا على تنظيمها فعهد إلى أرسطيدس ، العادل ، ، تحديد الأنصبة الواجب دفعها . وقد كان ذلك عملاً طويلاً يستدعى سياحات طويلة ، كما يتطلب جزماً كبيراً ، أكثر مما يتطلبه من عدالة ( إلا إذا غير اليونانيون طبيعتهم تغييراً كلياً ) . كما يستدعى أيضاً استعلامات عديدة صعبة ، في حالة عدم توفر سوابق ، لأن المدن التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الفارسية لمدة طويلة ، هي وحدها التي كان لها إحصاء للثروة ، يمكن لأرسطيدس الاعتماد عليه ، . ولكن لم يأت عام ٤٧٠ حتى كان العمل قد انتهى . وحدد المبلغ اللازم لأعمال الحلف البحرية سنوياً بـ ٤٦٠ تالنت . وقسمه أرسطيدس على أساس نسبي بين أعضاء الحلف الذين يبلغ عددهم مائتين ، أو ما يقرب من ذلك . وقد تمسكوا بهذا التقسيم على أنه وثيقة العضوية ، حتى انقلب كلون رجلاً من رجال المال عام ٤٢٥ (١) .

وهكذا انساق الحلفاء إلى مركزية مالية دون أن يفتنوا إلى ذلك ،

---

(١) ٢٣ ، Ath. Pol. — τὸν πρῶτον φόρον — τὸν πρῶτον φόρον ταχθεὶς — الجزيات المؤقتة لعام ٤٧٨ بـ τὸν πρῶτον φόρον ταχθεὶς — ثم الجزيات المؤقتة لعام ٤٧٨ بـ τὸν πρῶτον φόρον ταχθεὶς . وقد قام المجلس الأثيني فيما بعد بتقديرات قيم العقارات لتعديل ضرائبها ، حتى تلائم الظروف التي تتغير ، كل عيد باناثيني ( Panathenaic festival ) ( أي كل أربع سنوات ) ، وأقرت ذلك هيئة الحلفين ، ( الأوليغارشي المجوز ٣ - ٥ ) . أما في الحالات المختلف عليها ، وخاصة عندما تكون مبالغ كبيرة معرضة للضياع ، فكانت تعقد محكمة كبيرة قوامها ١٥٠١ قاضياً ، أنظر ولهم Urkunden des attischen Reiches الذي يعد أن أكمل جزءاً مهماً ، أبان أن النص ، ٢٦٦ في I. O. المذكور في الفصل الأول ، الفقرة ٧٦ في كتاب هيل Sources for Greek History ، الذي يتضمن قائمة الأنصبة لعامي ٤٢٧ - ٤٢٦ يقرأ على النحو التالي : πόλεος ἄς ἐ βολὲ καὶ οἱ πεντακόσιοι καὶ χίλιοι ἔταχσαν . ( أنظر التذييل ) .

وأسسوا أول ديوان مالى للإمبراطورية اليونانية . وكان لهذه المركزية .  
طابعا يميزا خداعا ، إذ لم يعاون الشركاء البارزين المسيطرين عليها بدفع مليم  
واحد من المصروفات ، وخاصة أثينا ، التى قامت بمعظم الأعمال وتحملت  
المسئولية الكبرى .

من الذى كان يشرف على صرف هذه الأموال ؟ هم ، من الوجهة الرسمية ،  
وبطبيعة الحال ، الحلفاء أنفسهم . ولهذا الغرض انتخبوا ممثلين لبرلمان يعقد  
فى ديلوس ، كان له ، كإلاكيزيا أو أى مجلس آخر ، حق مناقشة الشؤون  
السياسية كافة ، واتخاذ قرارات فيها . وعمليا لم يكن لمداولاته أية أهمية  
تذكر ، لأن ضباطه المنفذين ، وهم القواد الأثينيين ، كانوا مسئولين أمام  
شعبهم صاحب السيادة . فإذا اختلفت السلطتان فى قرار ما ، توقفت الأعمال  
تماما ، ولم يكن على البرلمان الإمبراطورى ، إلا التصديق على قرارات الأثينيين  
وإذا أراد أن يكون متحمسا ، استعجل القرارات . وزيادة على ذلك ،  
فقد كانت الأموال نفسها بين يدى موظفين أثينيين . فواضح أن الحلفاء  
كلهم لا يمكن أن يديروها سويا . وإذا اكتفى بخازن واحد لإدارتها ، فإنه  
يكون عرضة للشبهات ، بينما كان وضع الأمر فى يد لجنة من عشرة  
خازنين مبالغة فى الحذر . وقد كان أعضاء اللجنة يحملون لقباً إمبراطوريا  
هو « خزنة اليونانيين » ، وإن كانوا أثينيين الجنسية ، ينتخبهم الشعب الأثينى<sup>(١)</sup> .  
وتم ناحية أخرى أضاف فيها التركيز آثارا أدوم ، وإن كانت أبطأ  
تقدما ، وتلك هى ناحية التعامل القانونى والتجارى .

وإذا أردنا الناحية الفنية ، فما من صلة لحلف ذى أغراض عسكرية ،  
بالتجارة أو بإقامة العدل . فالعلاقات التجارية والقانونية ، لا يمكن أن تقوم  
إلا عن طريق اتفاقات منفصلة بين دولتين ، من أجل هذه الأغراض ،

(١) συνέδριον ، ديودور ١١ - ٧٠ - ٤ ، وبلوتارخوس ، أرسطو ٢٥ ،  
( اقترح أهل ساموس نقل الأموال إلى أثينا فى ٤٥٤ - ٤٥٣ ) . وكان « سوفوكليس  
الكولونى » أمين الخزانة عام ٤٤٣ .

تقاليد المدينة الدولة ، تقضى بأن تعيش كل جماعة منعزلة تماما عن جارائها . وحتى في أيونيا ، فقد كان إلى ما قبل مارثون بعام أو عامين ، أن دعا حاكم فارسى ممثلين من المدن ، وأغرى الأيونيين بعقد معاهدات بين بعضهم بعضا ، وبإقامة العدل فيما بينهم ، بدلا من أن يفصلوا في كل شيء على أساس الأخذ بالتأثر . فالعين بالعين ، والثور بالنور ، وإغراق مركب بمثله ، كانت التقاليد الأخلاقية التي أسلمها الأجيال ، لتحتذى في أمور دوائية (١) .

ولكن أئينا ، أنشأت إلى جانب المحالفة العسكرية الجديدة شبكة من المعاهدات التجارية ، بينها وبين كل عضو من أعضاء الحلف . وقد كان ذلك لها ميسورا ، لا مجرد مالها من الصيت المكتسب حديثا ، ولكن لما عرفت به قوانين سولون ونظمه ، التي أظاتها ، من دقة وكمال . وقد كانت هذه القوانين والنظم نقطة ابتداء طبيعية لتحتقيق الوحدة . ولما كان هناك عشرات أو مئات من القوانين والعادات ، والإجراءات المختلفة ، متبعة بين حلفائها ، فخطوة كهذه لا يمكن إلا أن تعد أمرا موقفا .

وهكذا كان الوقت موانيا للعمل المشترك في عدة مرافق للحياة ، وذلك كما كان الوضع في ألمانيا حوالي ١٨٦٠ .

وكانت هذه المعاهدات التجارية تختلف كثيرا في تفصيلها ، حسب موارد الطرف الآخر أو ميوله ، وحسب التاريخ الذي عقدت فيه . ولكن كانت هناك خواص معينة مشتركة فيها جميعا . وبالتأليف بين الدلائل المتفرقة التي لدينا ، يمكن أن نتبع كيف كانت الشريكة المسيطرة « أثينا » ، تعتدى على سيادة زملائها تدريجيا ، حتى حكمت المدن كلها ، بقوانين واحدة ، كما قال إيزوقرانس (٢) .

(١) هيرودوت ٦ — ٤٢ (αγειν και φέρειν الهومرية) .

(٢) إيزوقرانس Pan. ، ١٠٤ ، هناك معاهدة تعامل ، أو معاهدة لتسليم المجرمين كانت تسمى εὐμβολή وعرضت قضية لها صلة بأحدنا δίκη ἀπὸ εὐμβόλων من كلمة εὐμβολα أى « رموزا » أو بطاقات . وقد كانت تنزع فيما قبل ، وتبادل بين =

ولنبداً بناحية القضاء المدني . كان شعائر التحالف الحربية . ولم تكن مهمة أثينا تطهير شواطئ البحر من الفرس فقط ، بل تطهير البحر نفسه من القرصان ، وعمال السوء . فذلك هو الواجب الذي كان يقع ، منذ زمن مسحيق ، على القوة الرئيسية في أيجينا ما لم تكن هذه القوة أو الدولة نفسها كبوليسكرانس ، تمارس القرصنة . وهكذا لم نعمل أثينا على التحرر من البرابرة فقط ، بل عملت أيضاً من أجل حرية التعامل ، وحرية التجارة . وكان من صالح المتحالفين أن يشجعوها على ذلك . وحراسة بحر إيجه وتطهيره بسفنها ذات الثلاث طبقات ، لم تكن غير الخطوة الأولى . وإذ لتسلسل طبيعي أن تزيد أثينا في راحة التجار ، بأن تبسط لهم إجراءات التخاصم والتنازع في الأعمال التجارية . ومن هنا تمكنت أثينا من إدخال شرط في معاهداتها يقضى ، بأن كل نزاع يتعلق بعقود تجارية أبرمت في أثينا ، يجب أن ينظر فيه حسب قانون أثينا ، أمام قضاة أثينيين . وبذلك بوعد بين المدعى ، وبين محكمته الوطنية . وقد وافقت خيوس على ذلك عام ٤٦٦ ق . م ، وكانت من أكثر الحلفاء استقلالاً . كذلك أذعنّت الدويلات الصغرى لاعتداء أثينا على كثير من سيادتها القضائية . وفي حالات الثورة والاضطراب ، حيث تسنح الفرص لتطهير تام ، فإنهم يصبحون وإذا كل شيء قد انتهى . وقد وضعت خطة عامة ، اشترط فيها رفع كل نزاع على أكثر من مبلغ معين إلى العاصمة (١) .

---

== يمثل الدولتين ، كما كان الحال ، في مرحلة سابقة من مراحل التعامل الدولي بين « الأصدقاء الضيوف » من الأفراد : أنظر يوربيديس . Med. ، ٦١٣ ، ثم دارميرج مقال أنفوس ( Ephesis ) وملاحظتي ٦٤ و ٦٥ . وقد كان لأثينا بالطبع مثل هذه المعاهدات في القرن الخامس م م دول ليست في حلقها ، أنظر Antiphon ، ٥ - ٧٨ ، وهي على وجه العموم ، تنص على أن المتدعى ، يجب أن يحاكم أمام أهل وطنه ( مثل ما كان عليه الأجانب في تركيا حتى أواخر الإمبراطورية العثمانية ) . ( أنظر التذييل ) .

(١) أنظر ماير الجزء ٣ الفقرة ٢٧٨ ، والحاشية الدقيقة . أما فيما يتعلق بالحد المسالي فانظر كذلك I. O. ، ١ ، - ٢٩ السطر الأخير . أنظر Hicks and Hills رقم ٣٦ ( معاهدة مع فاسيليس » على أسس الشروط نفسها التي عقدت بها المعاهدة مع =

أما في دائرة الأمور الجنائية ، فقد كان سير عملية التوحيد أبطأ من ذلك ، لأن الاستمساك بالسيادة كان هنا أرسخ وأكثر تأصلاً ، حتى أصغر الجزر ، كانت تصر على أن تحاكم القاتلين من رجالها . ذلك بينما كانت أثينا تزداد تلهفاً على التدخل ، لأنها احتاجت إلى السيطرة لتحمي أنصارها ، وتقضى على الخارجين عليها . ولا يمكن أن نتتبع التطور بالتفصيل . ويبدو أن بديء التدخل في الحالات التي تتضمن فقدان الحقوق المدنية . وفي هذه الحالة دعيت أثينا إلى التدخل ، كما دعيت فيما بعد روما ، وكثير من ذوى السلطان والمطامع ، ليكونوا حماة الأقلية . عندما يحدث النزاع الحزبي ويشتد . ومن هنا تدخلت أثينا في إريثراي ( Erythrae ) في المدة بين ٤٥٥ — ٤٥٠ ، لحماية الديموقراطيين ، ضد الحزب الموالي للفرس . واستغلت هذه الفرصة ، وأعطت المدينة دستوراً جديداً نفذته ودافعت عنه حامية من قبلها ، عسكرت في القلعة . وقد كان على الحكومة الجديدة أن تقسم ألا تنقض حكماً بالنفي ، صدر ضد هؤلاء الذين هربوا إلى الفرس ، دون الحصول على رضا الشعب ، لا الشعب الإريثري وحده ، بل والأثيني أيضاً . وحرّم عليهم بمواد مشابهة طرد أحد من الذين لم يغادروا المدينة ، . وبعبارة أخرى حافظت أثينا على الحالة الراهنة ، لا بحاميتها فحسب ، بل حافظت عليها كذلك بقضائها لمدنى . وقد أكدت قبضتها المزدوجة ، بذكر المشرفين ، إلى جنب قائد الحامية . وهؤلاء المشرفون موظفون مدنيون إمبراطوريون ؛ عينتهم الحكومة الرئيسية للإشراف والتبليغ عن الحالة في المدن ، إلا أن مرتباتهم كان يدفعها الحلفاء . وهذا يكشف لنا ، كم كان سهلاً على أثينا بتفوقها الحربي ، التسلل من مركز إلى آخر . وحوالي ٤٦٠ نجد أثينا تتفضل وتسمح لشعب خالسيس أن يوقع العقوبات حسب قوانين خالسيس الخاصة بها ، كما يفعل الأثينيون

---

= « خيوس » . وكانت عقود العمل تسمى  $\epsilon\upsilon\mu\beta\omicron\lambda\alpha\iota\alpha$  كما كانت تسمى القضايا ، التي تنشأ عنها  $\epsilon\upsilon\mu\beta\omicron\lambda\alpha\iota\alpha$   $\delta\iota\kappa\alpha\iota$  (توكيديس ١ — ٧٧) للتمييز بينها وبين  $\delta\iota\kappa\alpha\iota$  .  
ἀπὸ  $\epsilon\upsilon\mu\beta\omicron\lambda\omega\upsilon\upsilon$ .

في أثينا ، إلا في الأحوال التي تستدعي النفي ، أو الإعدام ، أو فقدان الحقوق المدنية . . ونقرأ إبان حملة صقلية ، في خطبة ألقيت في محكمة ، أنه «غير مسموح لأية مدينة متحالفة أن تحكم بالإعدام على أى شخص ، دون موافقة الأثينيين» (١) .

و ثم نقطة أخرى جديرة بالذكر ، ذلك أن الامتيازات التي شملت المواطنين الأثينيين بحق المعاهدة ، شملت كذلك «الأجانب المقيمين ، في أثينا ، أى أولئك الأثينيين الجنسية ، الذين كادوا أن يكونوا مواطنين في كل شيء إلا في الاسم . وهكذا شملت أثينا بجمايتها ، الرجال من كل الأجناس ، ومختلف اللغات . وقد يلقى الإنسان في أى ميناء من موانئ البحر المتوسط ، كما يلقى اليوم المالطي والقبرصي وغيرهما من الرعايا البريطانيين ، أناسا كل ما يفخرون به ، وأحيانا أسلم ما يعتذرون به ( وهو ما يخشى منه ) عن ارتكاب جرائمهم ؛ هو صلته بملك البحار» (٢) .

وهكذا جعلت أثينا من نفسها تدريجيا ، سواء رضى أتباعها ، أم لم يرضوا ، «مدرسة لليونان» . سارت هذه العملية بالتدرج ، وفرضت أثينا سلطتها في حكمة وأناة ، حتى أنه لم يكن سهلا على حلفائها أن يجدوا ما يشكون منه . نعم كان هناك الكثير من التذمر ، وبخاصة لما اكتظت

---

(١) Hicks and Hill ، رقم ٣٢ ( إريثريا ) ، ثم ٤٠ ( خالكيس ) ، حيث لا يرد ذكر لأى نصريع مدني ، فقد نظم من قبل . فيما يخص المراقبين أو الأساقفة الإمبراطوريين ( ἐπίσκοποι ) أنظر فيلاموثتر Aus Kydathen ، ص ٧٥ ، وهو يظن أنهم لم يعينوا في مدن خاصة ، ولكن في أسقفيات . وذكروا كأراكنة ( رؤساء ἀρχοντες ) في توكيديس ، ١ - ١١٥ - ٥ ( أنظر ملاحظة كلاسن Classen ) : وهكذا كانوا يعملون في لجان لافرادى . ولو كنا نعرف قدرا أكثر من ذلك عنهم لأمكننا تقدير عدد المدنيين الإمبراطوريين على نحو أدق ( أنظر ص ٢٠٣ - ٢٠٤ فيما سبق ) . أنتيفون ، ٥ - ٤٧ ( حالات القتل ) . بداية اتفاق مثالي عن القضاء : أرسطو فانيز ، الطيور ، ١٠٣٥ . وقد حددته بنفس التاريخ ، الذي ذكره أنتيفون في خطابه .

(٢) قرار خالكيس في Hicks and Hill ، رقم ٤٠ ، سطر ٥٣ . أنظر فيلاموثتر Aus Kydathen ، ص ٣٦ ، ثم هيريس ، الجزء ٢٢ ، ص ٢٤٩ . وعلى أية حال ، ليس هناك مثل لدخول أثينا حربا انتأر لرهاياها الأثينيين ، لأضرار لحقت بهم ، من جراء عدم دفع ديون تجارية . ( م - ١٥ الحياة اليونانية )

المحاكم بالقضايا ، وصادف ذلك عدة احتفالات زادت من تأخير الأمر ، وتعطيل القضايا . ولكننا لم نسمع إلا القليل من التشكي الفعلي ، أو لم نسمع شيئا ، فقد أحسنت المحاكم الأثينية القيام بعملها . فتوفر قانون معقول يعمل بمقتضاه ، كان ميزة كبيرة لا يمكن أن تغفل أو يستهان بها . بل إن الأمر يستحق أن يقضى المرء أسبوعين في العاصمة ، ليرى بأى حرص كانت تنفق الأموال الإمبراطورية في الأكروبول . وهكذا جذبت المحاكم المتفرجين ، وأثبت البارثونون بهوه الفسيح ، أنه أصلح إعلان للدعاية . ورأى أصحاب العربات وأصحاب الفنادق والنزل ، أن عملهم أجدى من قيامهم بالعمل في المحاكم ، وما يتطلبه من إصغاء مضمئ نظير أجر يومي . وليس بمستغرب بوجه عام ، أن كان في إمكان الأثينيين أن يفاخروا بنزاهة أحكامهم ، أمام أية جمعية معادية ، بلا خوف من اعتراض . والحقيقة أنهم اعتادوا أحوال القضاء سريعا ، حتى أنهم ليتشحوا بشعار القاضي ، حتى حيث لا يكون ذلك لانقا . قال متكلم في إحدى المناقشات الشائكة التي دارت بشأن السياسة متوسلا : تذكروا أنكم لستم في محكمة تفكرون فيما يستحقه ، من عقاب ، نفر من الناس ، بل أتم في برلمان لتكشفوا عن خير سبيل لأنفسكم . . وقد توسل يوربيدس من أجل مساعدة أثينية ، مذكرا بنفس الشيء ، عندما ألقى عليه تيسيس خطابا طويلا من منصة القضاء : لقد اضطلعت أننا بكل واجباتها بشكل جدى على النحو الذي كانت تأخذ به كل شيء ، وبذلت أقصى ما تستطيعه لتتوخى العدل في أحكامها مهما بلغ الأمر من تعقيد ، وذلك في دنيا لم تبلغ الكمال بعد ، ولم يكن أسانذة الخطابة قد ظهروا بعد ليعكروا صفاء عقلية المدنين العاديين بحيلهم العقلية التي تشبه حيل القرودة<sup>(١)</sup> . وهكذا اعترف بأثينا كدولة نموذجية ، وكانت اليونان على استعداد

(١) الأوليغارشى الميجوز ، ١ - ١٧ ، الآخر . ( حيث تعنى كلمة Εἰσῆγοι حيوانات لجر العربات أى للمادل اليونانى لحيل العربات ) ، توكيديدس ، ١ - ٧٧ ثم ٣ - ٤٤ - ٤ ، ثم يوربيدس ، Suppl. ، ٢٥٣ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٥٧٥ .



للاتباع خطواتها ، وتقليدها في كل صغيرة وكبيرة . ويمكن أن نرى ذلك في سرعة انتشار الموازين والمكاييل ، والعملية الأثينية ، أو النظم التي عدلت حتى تتمشى معها . وأخذت أثينا في توحيد العملة اليونانية ، كما كانت توحد كذلك القانون اليوناني . وبالطبع لم ترغب حلفاءها على تداول النقود الأثينية وحدها ، أو النقود المسكوكة على أساس المعيار الأثيني ، ولكن كان طبيعياً أن تفضل أن تدفع جميع الأنصبة بها . وكانت هناك طرق غير مباشرة تستطيع التعامل بها ، فثلاً كانت مجرد مجاملة لأبولون ، وفيما بعد الإله أثينا ، أن تدفع إليهما النقود التي يفضلانها . ولما كانت النقود الأثينية دائماً موضع الثقة ، من حيث تمام وزنها ، ولأن الشكل الذي تحمله ، وهو البومة المشهورة ، كان غريباً شاذاً ، حتى ليعرفه الإنسان من أول وهلة ، فلم تكن هناك في الحقيقة حاجة للإرغام ، الذي قد يكون ضد مبدأ حرية التعامل . إن القدوة لتفضل القانون . فقد أخذت الفضة الأثينية تعمر وتتداول ، لا بين أعضاء الحلف وحدهم ، بل في كل أنحاء اليونان ، وفي المناطق البربرية البعيدة . هذا ولما خبا جليبوس ، بعض أسلاب الدولة الأسبرطية ، بين قراميد سقف بيته ، بعد موقعه إيجوسبوتاموس (Aegospotami) لم يقل الرجل الذي بلغ عنه ، أكثر من أن د البومة في بيت الخزاف ، . والحق أنه بقدر ما كان الأسبرطيون بكرهون الأجانب ، ولا سيما الأثينيين ، بقدر ما اتثرت أعشاش لليوم كهذه ، في أنحاء مدينتهم .<sup>(١)</sup>

(١) أرسطوفانيز ، الطيور ، ١٠٤٠ ( الموازين والمكاييل ) . وقد أوضح كاثينيك ، ص ١٧٧ وما بعدها ، أنه لم يكن هناك إلزام بدفع الجزية بنقود أثينية ، حتى عام ٤١٤ ، أي عندما حاولوا ذلك ( بعد ضياع مناجم تراقيا ) ولم يفلحوا ؛ أنظر ، I.G. ، ١٢ - ٥ - ٤٨٠ . ولم يوجد ذهب أثيني حتى عام ٤٠٦ ( أرسطوفانيز ، الضفادع ، ٧٢٠ ) ، وعلى ذلك كانت النقود من الإلكتروم ( أي من الذهب الأصفر الباهت ) المضروبة في لامبساكوس وسيريكوس ، هي المتداولة باستمرار . أنظر فيلاموثيتز ، Aus Kydathen ، ٣٠ ، فيما يتصل بالسبب الذي من أجله ظلت البومة الأثينية في القرن السادس ، وهي المرسومة على غلاف الطابعة الإنجليزية لهذا الكتاب ، « ظلت دون أن يسمها فن فيدياس » . وأي إنسان يعيش في بلد يتداول فيه أنواع كثيرة من النقود ( برغم أنه ما من بلد حديث ، حتى ولا ألمانيا قبل توحيد جاركها ، يمكن أن =

وهكذا ، كما أراد بركليس ، أخذ النفوذ الأثيني يمتد إلى ما وراء بحر إيجه ، وحدود الإمبراطورية . وكان تجارها يتنقلون شرقا وغربا ، في كل بحر وفي كل أرض ، بحثا عن البضائع ، في مناجم الحديد في إلبا ، أو مع القوافل في غزة وبرقة ، ويدفعون ثمنها نقوداً أو خزفاً . فذلك أيضا كان جزءاً من رسالة الإمبراطورية : الاختلاط الحر مع كافة بني الإنسان ، وتقديم خير ما عندها إلى الرجال ، وإلى الشعوب ، فنشأت صداقات وأبرمت معاهدات مع اليونانيين ، بل ومع البرابرة أيضاً ، دون أى تفكير في الفرس ، أو الهدف الأصلي للحلف . نعم ظلت الحرب الفارسية قائمة مدى ثلاثين عاما ، على نحو متقلب ، وبنجاح متفاوت . ولما عقد الصلح عام ٤٤٨ ء كانت قبرص لا تزال « مستعبدة » . ولكن خلال جيل واحد كان قد تغير مدلول الحرية ، حتى لم يربركليس نفسه ، غضاضا في عقد إتفاق مع العدو القوي ، ولا في أن يتسلم باسم الحلف الضريبة من الكاريين واللكيانين ، ليضيفها إلى خزائنه . لقد أصبحت أثينا الآن إمبراطورية كفارس وآشور ، ولم تنجبل من أن تأخذ الجزية ممن دونها من الدول . والحق أنها كانت في حاجة إليها للقيام بالأعمال التي كان عليها تنفيذها . وصمم بركليس كما فعل دارا ، الحصول على هذه الأموال والاحتفاظ بها . وفي عام ٤٤٤ عند ما أوشك أن يتحطم الأسطول الأثيني كله في مصر ، وتعرض بحر إيجه إلى حين ، للقراصنة والفيثيقين ، رؤى من الحكمة نقل أموال الحلفاء من

---

== يقارن في ذلك باليونان القديمة) سيقدر مزايا وزن معين ، وشكل تقدي سهل التمييز . ويجلس صرافو النفود على أرصفة الموانئ الشرقية ، شأنهم الآن . وكثيرون من السائحين الجدد يشعرون بميل إلى أن يقلبوا لهم موائدهم . ويوجد الآن بعض أمثلة طريفة مشابهة ، ولا زال ريال ماريا تريزا المورخ لعام ١٧٦٦ ، يضرب للاستعمال في الحبشة وبلاد العرب . فان الدولات الوطنية في الهند ، حيث كانت تستعمل طوايح البريد ، والنقود المحلية والإمبراطورية ، كلها جنبا إلى جنب : ( ولما كانت السكك الحديدية إمبراطورية ، فقد أوجد في المحطة عادة صندوق خطابات إمبراطورية ) ، وقد كان توحيد الميار يتقدم تدريجيا بدون إرغام . كذلك الحال بالطبع فيما يخص اللغات اللاتينية ، مع أنه ، من حسن الحظ ، أنه أسهل على الإنسان أن يتكلم لغتين ، من أن يستعمل تقدين . اليوم في اسبرطة : بلوتارخوس في ليساندروس ، ١٦ ، أنطالون ، Alc. ١٢٢، E (هوراس vestigia nulla retrorsum) . ( أنظر التذييل )

ديولوس إلى أثينا ، ولم يكن يعنى هذا فى الظاهر أكثر من تغيير صاحب الجزية ، الإلهة أثينا تأخذ مكان أبولون . ولكن فى الحقيقة كان معناه أن يبعد المال كلية ، عن رقابة مجلس الخلفاء ، وأن يرى كل إنسان ويشعر بما سبق أن جال بنفوسهم منذ زمن بعيد ، أن تلك الأموال ليست إلا أموال أثينا ، يمكنها أن تفعل بها ما تشاء . وما زال العالم يثنى عليها ويباركها ، من أجل ما أتته من أعمالها (١) .

وعند ما عقد الصلح مع الفرس عام ٤٤٨ ، كان هناك فعلا حزب « الأثينيين الصغار » الذى ألج فى ضرورة حل التحالف ورد الأموال إلى أصحابها ، فليس لأثينا حق ما ، فى انفاق هذه النقود على نفسها ، كالمراة المغرورة التى تزين نفسها بالمجوهرات ، . ولكن أحد ألم يعبا باحتجاجاتهم . يرونى زعيمهم من أجل ما تثيره أمانته من متاعب ، فالحقائق الناصعة كانت قوية للغاية . فلم يكن فى إمكان أثينا التراجع ، كما قد لا يستطيع معظم الإنجليز أن يتصوروا إمكان مغادرتهم الهند . لقد استيقظت لتجد نفسها إمبراطورية ، فأصرت على القيام بدورها . وعلى هذا شرع بركليس فى وضع أول نظام إمبراطورى ، وقسم الإمبراطورية إلى مقاطعات ، حتى يكون الوضع أنسب لجبي الجزية . ومنذ عام ٤٤٣ كانت كشوف دفع الجزية فى أثينا ، تدون الأسماء بانتظام ، تحت خمسة أقسام ، ضرائب من أيونيا ، وهلسبون ، وتراقيا ، وكاريا ، ومن الجزر . أما الضرائب التى كانت

(١) إن القبور الإتروسكية مملأى بالأوان الأثينية ، التى ترجع إلى القرن الخامس . وقد غيرت غزاة فى عهد سمسون ( وذكرها هيرودوت باسم Cadytis ) معيار تقودها ، حتى يتلائم ومعيار تقود أثينا . ( ماير الجزء الثالث ، الفقرة ، ٨٥ ) . المحالفات الإمبراطورية الإضافية : سيجتا عام ٤٥٤ ، وريجيوم وليونتيني فى عامى ٤٣٣ إلى ٤٣٢ ( عكس وهيل رقا ٥١ و ٥٢ ) . ، ورجيا كانت نابولى فى عام ٤٣٨ . العلاقات مع البرابرة : الرئيس الإيطالى ، توكيديدس ٧٤ - ٢٣ ( «قنصل» أثيني ) ؟ رئيس صقلى ، ٧ - ١ - ٤ ، أمير من تراقيا أعطى بحق المواطن الأثينى ، ٣ - ٢٩ - ٥ . داخل الإمبراطورية نفسها : أفطر فى ذلك « قائمة الأضحية » فى هيل ، Sources مثل Λύκιοι και συντελείς سنة ٤٤٦ . هذه القوائم لا تورد الاشتراكات نفسها ، ولكن أوردت فقط ، « عمولة » الإلهة أثينا .

تأتى من موانئ البحر الأسود ، والتي لم تكن المذكورة في توزيع الجزية من أول الأمر فقد كونت قسماً منفصلاً . وهذه الأموال ، التي عاشت عليها أبنائه ولا زالت تعيش عليها على نحو ما ، قد يبدو استيلاؤها عليها اغتصاباً ، ولكن كان شططاً التفريط فيها (١) .

ولكن ذلك سبق للحوادث ، فرجال الجليلين الذين كونوا الإمبراطورية لم يشعروا بأى غضاضة فيما يفعلون . لقد ملك العمل حياتهم . فإذا ما استراحوا إلى مجاديفهم ، فإنما ليستشعروا لذة إنجاز الأعمال ، وليتأملوا كيف تصافرت القوى المختلفة من أجل الخير . وربما هذا هو الذى جعل من هذا النصف قرن القصير الأمد ، أعظم وأوفق فترة في التاريخ . لقد كان العالم يتحرك إلى الأمام بسرعة هائلة ، جارفاً كل ما فى سبيله كالنهر القوى في فيضانه . وما أكثر ما كان ذلك الحرية ، القانون ، التقدم ، الحقيقة والجمال ، المعرفة والفضيلة ، الإنسانية والدين ، تلك أشياء سامية ، تضاربها هو مبعث معظم ما يحدث بين الجماعات البشرية من تفرق وفشل — كل هذه الأشياء بدت كلها منسجمة متسقة ، فالرجال الذين ألهموا أعظم مثل البشر هذه ، ما كانوا ليتقاعسوا . لقد آمنوا بأن عملهم حق

---

(١) توكيدس ، ٢ - ٦٣ - ٢ (بركليس يواجه الحفائق) ، ٢ - ٦٥ - ١٣ (طريقة بركليس في التفكير الإمبراطورى ، هي أن يفكر في الأرقام) . وسيجد محبو توكيدس لذة في أن يستخلصوا عبارات بركليس في الخطاب : *ἐροσταὶ τῆς πόλεως* : بالنأ كيد إحدى جملة (أنظر توكيدس ، ٦ - ١٣ - ١ ، *δυσέρωτας* ، ٢ - ٢٤ ، ثم *Ἀχι* ، ١٤٣ ، الفرسان ، ١٢٤١ و ٧٣٢) . وجملة أخرى *δοῦσα ἀείμνηστος καταλείπεται* (مثل تعبير *esse videatur* لشيثرون) ، ٢ - ٤٣ و ٢ - ٦٤ - ٥ . ويمكن أن نفهم الخطاب الأخير جيداً ، إذا أدركنا كل التلميحات التهكمية الموجهة إلى خطاط بركليس وتفسيراته . بلوتارخوس ، الفرس ١٢ (حجج المعارضة) . وفيما يخص قوائم الجزية المبوبة ، أنظر هيل : *Sources* ، ص ٤٣ وما بعدها . وص ١٥٦ (أجزاء من نصوص البحر الأسود) وأيضاً كاثيبيك ، ٤٠ - ٤٣ ، ثم كتابه *Histoire de l'Antiquité* ، الجزء الثانى ، ص ١٦ ، وهذا المؤلف هو الذى أكل لإحداها تماماً . مضيفاً النفس من قوائم الجهات المجاورة — فيما يخص قائمة عامى ٤٢٧ ثم ٤٣٦ ، أنظر Woodward في *B.S.A.* ، العدد ١٥ ، ص ٢٤٣ وما بعدها .

وصواب ، وأنه أقيم على أسس وطيدة ، وأن الخلف هم الذين سيقدرونه .  
ومع أن قوام عملهم كان حياة البشر والامم ، إلا أنهم لم ينسوا أنهم  
يونانيون وأنهم فنانون . وفي نشوة المتكبر ، سواء كان ما يبدعه كلمات  
أو نظماً ، طرحوا عن أنفسهم كل همسة ، يمكن أن تكدر عليهم سعادتهم ،  
أو تفسد نظام حياتهم المنسجم ، ولو لحظة قصيرة . حقاً لم يكن صواباً من  
سوفوكليس أن يتغنى بالعدالة الخالدة في قصة أوديب ، ثم لا يتورع بعد  
ذلك من أن يتخذ وظيفة رجل سيء التصرف بأموال الإمبراطورية . كما  
لم يكن من المنطق في شيء أن يغري الشعب صاحب السيادة - الجماعات  
الشقيقة بالدخول في معاهدة للحرية ، ثم يعاقبها على الخروج منها ، بقدر  
ما لم يكن منطقياً من يترك ، وقد تشبع بروح إمبراطورية لاحقة ، قوله  
عن المستعمرات الأمريكية ، « كلما تحمست لحب الحرية ، كلما صارت  
طاعتها أتم » . ولكن مثل هذه المتناقضات مرت دون أن يلحظها سوى  
قلائل من ناقي النظر ، لا لأن أثينا أرادت وحاولت أن تحمي الحرية ،  
فهذا لم يكن ليضل مواطنيها ، بل لأنهم وهم يقومون بخدمتها « بجرأة الجنود  
المحاربين ، وإدراك العقلاء من الرجال ، وقدرة الرجل الناجح في السيطرة  
على نفسه » ، أحسوا في دخيلة أنفسهم أنهم أحرار سعداء ، يملوون ثقة ،  
منزهون عن الخطأ (١) .

ولم يكن عندهم الفراغ ولا الرغبة ، بقدر ما لم تتوفر للإنجليز في القرن  
الثامن عشر ، ليقيموا لأنفسهم نظرية إمبراطورية . لكن توكيديس الذي

---

(١) موري ، يوربيديس ، ص ٢٣ . كان سوفوكليس الحازن الإمبراطوري عام  
٤٤٣ ، أى في نفس الوقت الذي ابتدأت تستغل فيه القود لأغراض المدينة . أنظر ص ٤١٠  
فيما يلي . إن أعضاء المدن المتحالفة الذين اتصل بهم الأثينيون خاصة ، كانوا من الطبقات  
الفقيرة . وقد عملوا نظير أجور طيبة ، مجدفين على المراكب ذات الثلاث طبقات ، وربما  
كانوا « متحمسين لأثينا تحمس فرق بلاد الراين ، والفرق الإيطالية ، انابليون » ( خطاب  
خاص من أرنولد توينبي ) . وأسمى هذا أثينا ، عن شعور الطبقات الغنية ، التي كانت تدفع  
غالبية الجزية .

كتب بعد أن انقضى كل ما هو فاني من أعمالهم واندثر ، ابتكر لهم نظرية .  
إنها تبدو لنا قدى الأجيال الجديدة عقيمة جوفاء ككل النظريات  
الإمبراطورية ، ومع ذلك فلو بعث الموتى من سيراميكوس (Cerameicus) ،  
أو استطاعت نقوش مقابرهم أن تتكلم ، لا يدت ، ولو بشيء من التواضع ،  
تحليل مؤرخهم . ونحن حاملوا لواء الحضارة ورواد الجنس البشرى .  
مؤاخاتنا والاتصال بنا ، هما أسى ما يمكن أن يوهبه إنسان . ليس الانضمام إلى  
دائرة نفوذنا قيد ، بل هو ميزة . ولا يمكن لثروة الشرق كله أن تعوض  
ما تقدمه من مفاخر . ولذا فيمكننا أن نعمل مغتبطين راضين ، مستغلين  
الوسائل والأموال التي تتوالى علينا . واثقين أننا سنظل دائئهم مهما حاولوا ،  
لأننا بمجهوداتنا ، وما قاسينا من آلام في كثير من ميادين الطعان ، عرفنا  
سر القوة البشرية ، التي هي سر السعادة . وقد حدثت الشعوب الأخرى  
هذا السر ، وعرفته بأسماء كثيرة ، إلا أننا وحدنا ، قد تعلمنا أن نعرفه  
ونؤقله بمدىتنا . والحرية هي الاسم الذى نطلقه عليه ، لأنها علمتنا أن  
المرء يغدو حراً بالعمل . فهل تعجب لماذا أننا الوحيدون بين الجنس  
البشرى ، (وهل يمكن أن يكون هناك شعب آخر يمكنه أن يفهم ما نعى؟)  
والذين نهب ميزاتنا لأرجاء منفعة شخصية ، ولكن لثقتنا التامة بالحرية ، ؟

## الفصل الثامن

### المثل الأعلى لحقوق المواطن

#### السعادة أو قاعدة المحبة

( εὐδαιμονία السعادة )

ΚΗΡΥΞ. Πράσσειν σὺ πόλλ' εἴωθας ἢ τε σὴ πόλις.

ΘΗΣΕΥΣ. τοιγὰρ πονοῦσα πολλὰ πόλλ' εὐδαιμονεῖ.

المنادى : تعودت أنت ومدينتك على العمل الكثير .

ثيسيس : ولهذا الدأب الكثير فهى سعيدة جداً .

يوربيدس ، Supplices ، ٧٦ - ٧٧ .

Τὸ εὐδαιμον τὸ ἐλεύθερον, τὸ δὲ ἐλεύθερον τὸ  
εὐψυχον κρίναντες.

الحرية هى شجاعة الروح وسموها — بركليس .

وسأل ما الخير؟ الخير أن تكون شجاعا .

Nietzsche, Zarathustra, Vom Krieg und Kriegsvolke.

يجب أن يكون شجاعا جداً ذلك الذى يجب كثيراً .

وردزورث ، The Happy Warrior

لا يقتضى الأمر منا سوى بضع كلمات قبل أن يتكلم توكيديدس عن نفسه .  
لا ينتمى توكيديدس إلى الجيلين اللذين أسسا الإمبراطورية ، فقد ولد  
بعدهما مباشرة . ولا ترجع به ذاكرته إلى أكثر من صلح ٤٤٥ . ولذا فقد  
شارك من يكبرونه من معاصريه ، مثل هذا العصر العليا ، ولكن على نحو  
أبعد عن الفطرة . فقد أدرك مثلهم ، أنه يعيش فى عصر عظيم ، ولكنه

وقد كان أبعد منهم نظرا ، رغب في أن يكتب تاريخ هذا العصر وأحداثه ، إذ أنه أدرك كما أدركوا هم ، كلما استلقوا يقظين يفكرون ، أن هذا المجد لن يدوم ، وأن الأجيال القادمة سيسعدوها أن تقرأ عنه . ولكنه لم يخطر بباله أن تكون فترة الازدهار قصيرة الأمد ، أو أنه إبان حياته القصيرة ، سيشهد خريفها ، بل ومنتصف شتائها<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فقد كان في صميم الشتاء ، عند ما تهدمت أسوار المدينة وأصبح الأكروبول مأوى لحامية اسبرطة ، أن كتب مديحه المدينة في شكل ( وأى شكل يمكن أن يكون أنسب من هذا ؟ ) خطبة يؤمن بها من ماتوا من أبطالها النبلاء . لم تكن هذه بالتأكيد الخطبة التي ألقاها بركليس ، ولا هي حتى كما يوصى المتكلم نفسه ، من نوع الخطب المعتاد إلقتها في مثل هذه المناسبات . فما جاء بها عن الأسلاف النبلاء قليل للغاية ، بينما فيها الكثير عن الحاضر . ولكن ليس هناك ما يدعو إلى الشك في أن توكيديس قد سمع بطله يتكلم ، ولربما سمعه أكثر من مرة يتكلم عن الجنود الذين استشهدوا ،

---

(١) في مختصر حياة توكيديس ، أنظر موري ، Ancient Greek Literature ، ثم ( فيما يخص البراهين التفصيلية ) أنظر مقدمة كلاسن لطبعته ، ثم أيضا تلك الصفحات الأربع الحافلة في فيلاموفيتز ، أفلامون ، الجزء الثاني ص ١٢ - ١٦ ، برلين ، ١٩١٩ . أما تاريخ كتابه فغير معروف . وقد كان في عام ٤٣١ في سن جديرة بأن يجعله يحزم أمره ، ويمزم على كتابة تاريخ الحرب ، ( ١ - ١ ) ، ولكنه كان مع ذلك أصغر من أن يتعلم « أسلوب » الكتابة من السفسطائيين . فإذا كان يعني نفسه ، كما اعتقد أنا ، عندما كان يتكلم عن الشباب النجمس المتدفق في أثينا عام ٤٣١ ، ( ٢ - ٨ ) فأذن لا يمكن أن يكون قد ولد قبل عام ٤٦٠ بكتير . ويتفق هذا مع ٢ - ٦٥ - ٥ ، ( إذا وضعت الفصلة بعد كلمة εἰρήνη ، كما في نص أ ك فوردي ) حيث يقصر حكمه العام على بركليس ، على النصف الأخير من حياته . لأنه شديد التحفظ فيما يتعلق بنفسه : فهو لا يقول مثلا من المشول عن نفيه ( ٥ - ٣٦ - ٥ ) ، أو أنه كاد أن يستدعى ثانية حوالى عام ٤١١ ( ٨ - ٧٠ - ١ ) : ولا يرجع موته إلى أبعد من عام ٣٩٦ ، وربما كان بعد ٣٩٩ ، وذلك إذا كان الأمر كما يعتقد كلاسن محتملا من أن ، ٨ - ٦٨ - ٢ تتضمن إشارة خفية إلى موت سقراط . وقد علم بركليس بعد الوباء ، أن الإمبراطوريات مثل الرجال تضعف وتفتي ( ٢ - ٦٤ - ٣ - الملاحظة في خطبه السابقة . ) ( أنظر التذييل ) .



ويستطيع بعد سنين ، أن يسترجع بين أقدس ذكرياته ، درنات صوته وحركات يديه ، والصمت الرهيب المخيم على سامعيه الكثيرين ، ذلك الصمت الذي لم يكن يقطعه إلا بكاء بعض أمهات الموتى . . ونستطيع أن نشعر عن ثقة أنه لم يعطنا مجرد خواطر بركليس الداخلية ، بل أعطانا أيضاً الكثير من أسلوبه ، مضافاً عليه لونا من تجاربه الخاصة . وعلى هذا ، يمكن أن نصغى هنا إلى روحين عظيمتين في وقت واحد ، كما هو الأمر في كل كتب التأويل والتفسير الرفيعة . وإذا ما عرفنا كيف نصغى ، تمكننا أحيانا من أن نسمع الإثنيين سويا ، صوت بركليس ضعيفاً بعض الضعف ، واهنا بفعل مر السنين ، يعلو نبرات المؤرخ العميقة (١) .

لقد كتب الحديث ، لو أمكن ذلك أبداً ، دلاً بالمداد ، وإنما بالدماء ، . فما من كلمة عند توكيد بدس ، ربما أكثر من أي كاتب عظيم آخر ، إلا ولها دلالتها . . فيجب أن تقرأه وتتمعنه سطرأ سطرأ ، حتى تتمكن من قراءة ما بين السطور بوضوح ، مماثل ما تقرأ به السطور ذاتها . وقليل من المفكرين ، من لهم آراء كثيرة محتبئة وراء ما يكتبون ، وكل فن عظيم أشبه ما يكون بشيخ ، يريد أن يعبر عن أشياء أكثر مما يمكنه التفوه بها ، ويشير إلى آفاق بعيدة . وهذا صحيح في التاريخ الذي يعالج أمور الشعوب ، كما هو صحيح في الشعر ، أو أي فن شخصي آخر . وهذا هو السبب في أن المرثية المكتوبة في فجر العالم ، عن مدينة إقليمية صغيرة تجد دائماً صدى لها ، أينما تعيش الشعوب والأمم على سجيتهما ، سواء أ كانوا في خنادق مكدن أم في مقبرة جيتزبرج . إن بركليس و ابراهام لنسكوان ، لم يكونا متشابهين كل الشبه ،

---

(١) والاس (Wallas) ، Human Nature in Politics ، ص ٧٣ . إن المرثية التي يذكرها الأثينيون أكثر من أي شيء ، هي التي قلها بركليس عام ٤٣٩ ، في آخر الحرب السامينية ، عام ١٩٢١ . فيلاموثيتر أشار إليه آنفاً ، يقف بجانب الرأي ، الذي سبق ذكره . من أن المرثية قد كتبت في آخر حياة توكيد بدس - لقد كانت حقاً آخر قطعة كتبها .

ولكن الضرورات المشتركة تخلق لغة مشتركة ، وكبار رجال السياسة ، مثل كبار الشعراء ، يتحدثون إلى بعضهم البعض ، من فوق رؤوس الأجيال . فلنقف بين الأجيال لنصغي (١) .

(٣٤) في نفس الشتاء أقام الأثينيون ، متبعين عرف آبائهم ، الجنائز العامة الأولى لقتلى الحرب . وكان الاحتفال كما يلي : تعرض عظام الموتى لمدة ثلاثة أيام على محفات مغطاة ، ولأى شخص خلالها ، أن يضع قرايينه الشخصية . وفي اليوم الثالث توضع في عشرة صناديق من خشب السرو ، لكل قبيلة صندوق يضم عظام رجلها . ثم توضع هذه على عربات وتنقل إلى المقابر . وأعد فراش خال مغطى بأكفان ، للقتلى ، الذين لم يعثر على جثثهم لتحرق (٢) . ويشترك في الموكب كل من يرغب في ذلك ، سواء من المواطنين أو الأجانب . وتقف جماعات النساء إلى جانب القبر ، يندبن موتاهن . وتجرى حفلة الدفن ، في مقابر الدولة الواقعة في أجمل ضاحية من ضواحي المدينة . وكل من مات في الحرب من الأثينيين دفن هناك ، إلا ضحايا مراثون (٣) ، الذين فاقت شجاعتهم الوصف ،

(١) هذا الاقتباس مأخوذ عن نيقشه ، من فصله المسهب ، « ماذا أدين به للأقدام » ، ( في Götzendämmerung, Works ، الجزء الثامن ) . كثيرا ما لوحظ التشابه العجيب بين خطاب لتكونان في مدينة جيتزبرج وخطاب بركليس . وقد طبع خطاب لتكونان في مجموعة خطبه (Lincoln's Speeches) وذلك في سلسلة Everyman Library . وقد ترجمته من النص المذكور في Greek Reader لفيلاموثيتر ، إذ أتى أفضل هذا النص ، على نص أكسفورد . إن أهم الفوارق بين النصين ، هي أن فيلاموثيتر يقرأ ἡ κείν بدلًا من οἱ κείν في ٣٧-١ ، وفي ٤٠-٢ يقرأ ἕτερα ἕτεροι وبعد ذلك بثلاثة سطور يقرأ αὐτοὶ بدلًا من οἱ αὐτοὶ ثم ἡρημένοι بدلًا من ἡγησόμενοι في ٤٢ ، رابع سطر من الآخر . وقد اتبعت تقريبا تقسيم فقرات فيلاموثيتر ، والأعداد التي بين قوسين ، تدل على الفصول عند توكيديدس . وقد أضفت بعض ملاحظات قليلة ، وبعضها يشير إلى عواصف آتية . ولم يستطع توكيديدس أن يكتفم تهكمه ، حتى وبركليس يتكلم .

(٢) « فراش خاو » : فارن النصب المقام للأشخاص في وستمنستر ، والسكنه ، بكل أصف ، أزعج الستار عنه من غير أن يكون هناك بركليس أو لتكونان .

(٣) « هؤلاء الذين سقطوا في مراثون » : إن الأثينيين الذين قتلوا في بلاتيا ، دفنوا في ميدان القتال أيضا ، (هيرودوت ، ٩ - ٨٥) ، ولكن تلك المعركة لا تعتبر معركة أثينية ، بل هي معركة يونانية شاملة للجميع .

فأقيمت مراسم دفنهم في ميدان القتال . وبعد دفن التوابيت تنتخب المدينة خطيباً معروفاً بالحكمة ، وحسن تقدير الشعب ، ليقول رثاء مناسباً لهذا المقام ، وبعد ذلك ينفذ الجمع . هذا هو الاحتفال التقليدي ، المأخوذ به خلال الحرب ، كما سنحت الفرصة ، وفي جنازة أول فريق من الشهداء انتخب بركليس بن خانتيبوس للكلام . فلما حان الوقت تقدم إلى الأمام من جانب المقبرة إلى منصة عالية أقيمت خصيصاً لهذه المناسبة ، حتى يسمع الجمع صوته إلى أبعد مدى استطاع فقال :

(٣٥) إن معظم الذين وقفوا قبلي في هذا المكان ، أنثوا على فكرة هذا الحديث الختامي . لقد شعروا أن من اللائق أن تذكر بعض الكلمات الحزينة عن جنودنا الشهداء . ولكني لا أشاطرهم هذا الشعور . فالأعمال تستحق لتكريمها أعمالاً أخرى لا كلاماً . ويبدولي أن الدفن على حساب الدولة كما تشهدون ، قد يبدو كافياً . وما كان شعورنا بمجدارة عدد من زملائنا المواطنين ، ليعتمد على ما يلقيه رجل منا من كلام بليغ . زيادة على ذلك ، فإنه من العسير جداً على متكلم ، أن يدعى أن كلامه قد بلغ حد الإجادة ، بينما كثير من مستمعيه ، لا يكادون يعتقدون أنه صادق فيما يقول : فالذين عرفوا هؤلاء الموقر وأحبوهم ، قد يرون في كلماته قليلاً من الإنصاف ، لذكرى هؤلاء الذين يكرمون ، بينما أولئك الذين لم يعرفوهم ، قد تدفعهم الغيرة فيتهمونني بالمبالغة ، إذا ما سمعوا عن عمل خطير فوق مقدورهم . فن طبيعة البشر ألا يطبقوا سماع مدح غيرهم ، إلى أبعد من الحد ، الذي يشعرون فيه ، أنهم يستطيعون منافستهم فيما أتوه من جلائل الأعمال . فتخطى هذا القدر ، يثير فيهم الحقد والشك . ولكن مادامت حكمة آبائنا قد سنت هذا القانون ، فإني أخضع له وأحاول أن أقول على قدر استطاعتي ، ما يناسب رغبات ومشاعر كل فرد في هذا الجمع (١) .

(١) « عقلنا ... شك » (سطور ١٣ إلى ٢٤) . انظر أوضح Steup (الطبعة الرابعة ص ٢٢١ لكتاب كلاس) أن فكرة هذه الفقرة لا تنسجم مع بقية الفصل . « أن »

(٣٦) وسأبدأ حديثي بأجدادنا ، فمن الإنصاف الواجب لهم ، ومن اللياقة أيضاً ، أن تؤدى إليهم فريضة الذكرى ، في فرصة كالتى نحن بصدها . فقد سلموا إلينا تلك البلد التى سكنوها جيلا بعد جيل ، فى تتابع متصل غير منقطع ، سلموها لناحرة ، بفضل سعيهم وجهودهم . فهم إذن جديرون بمدحنا وأجدر بهذا أيضاً أبائنا . فقد زادوا ميراث أجدادنا الأقدمين ، بتلك الإمبراطورية التى نشهدها اليوم . وقد سلموها بعد كثير من العناء والجد إلى جيلنا الحاضر . بينما نحن ، أى من فى منتصف أعمارهم منا ، قد ثبتنا قوتنا فى معظم أنحاء الإمبراطورية ، ووضعنا استقلال المدينة تاما غير منتقص فى الحرب والسلام<sup>(١)</sup> . إتنى لا أرغب أن أزيد فى الكلام عن المواقع التى خضنا غمارها نحن وآباؤنا ، سواء لفنر سلطاننا فى الخارج أو لصد البرابرة ،

== نقول ما يجب أن يقال « رغم عدم تصديق المستمعين ، شئ » ، « ومحاولة مراعاة شعور ورغبات كل مستمع منهم » ، شئ آخر . فهو يرى أن هذه الجملة قد أضيفت فيما بعد . إن الصعوبة التى واجهت بركليس هى جعل أفكاره «التقدمية» ، تتناسب والجو المحافظ الذى يسود الحفل ، وهو يبالغ ذلك ، مثلاً بإدائه « الأسلاف » فى جملتين من الإطراء الفاتر . ( أنظر لزوكراتس Panathenaicus فيما يخص الصيغة التى كان يمكنه أن يتخذها ) . ولكن لما أن راجع توكيدى مسودته ، أدرك ما يواجهه من صعوبة ، فى جعل قرائة يؤمنون بما كانت عليه الإمبراطورية الأثينية فى يوم من الأيام . ولذا أضاف مقدمة من عنده ، إلى الملاحظات الانتحائية المخفضة ، التى ذكرها عن بركليس ، ولكن لم يخف آثار هذه الإضافة تماماً . وهكذا إذا ما قرأت واضعاً ذلك نصب عينيك ، فسترى الفصل يصبح مليئاً بالمعانى . « إن ذلك إنسانى فقط » : تصوير قصير عجيب لعظمة الاعتداد بالنفس ، عند الأثينى فى القرن الخامس . إن الكتاب ذوى النظرة الحديثة ليس لهم أن يخافوا ، إيذاء شعور قرائهم بذلك . (١) « الاستقلال التام » : إن هنا شيئاً يشبه المغالطة فى كلمة « الاستقلال » . المعنى

الطبيعى لهذه الكلمة ، هو الاستقلال الاقتصادى ، فالمدينة تكون « مستقلة » عندما تنتج قوتها ونبيذها وخشبها لبناء السفن ، وكتابتها للأشعة ... الخ . ومن هذه الناحية فإن أثينا ، التى كانت مثل إنجلترا ، معتمدة فى وجودها على الإمداد الخارجى ، كانت أقل المدن استقلالاً فى اليونان ، كما وضع فى الفقرة ٣٨ . ولكنها « بتناسك » إمبراطوريتها ، أى أنها بممارسة قوتها البحرية ، استطاعت السيطرة على تجارة الضروريات . لاحظ التفرقة بين (١) الأسلاف قبل أن « تمهض » أثينا ، (٢) الجيل الأول أو جيل مراتون ، بناء الإمبراطورية (٣) الجيل الثانى ( جيل بركليس ) الذى كان بالأحرى جيل تجار . ولم يذكر أن (٣) قد فقد بعض الأملاك التى آلت إليه من (٢) كما تبين ذلك قوائم الأنصبة ، فموضوع ذلك بالتجارة .

أو اليونانيين في الداخل ، فأنتم تعرفونها حق المعرفة<sup>(١)</sup> . ولكن بالأحرى أريد أن أتوسط في الحديث عن الروح التي قابلنا بها تلك الشدائد ، والدستور والوسائل التي ارتفعنا بها إلى العظمة ، وأن أتقل من هذا إلى الكلام عن الشهداء . لأنني أظن أنه من الملائم أن نتذكر خلال حفلة اليوم هذه الأمور ، ومن الملائم أيضاً أن يستمع إليها جميع الحاضرين ، من مواطنين وغرباء .

( ٣٧ ) إن حكومتنا لم تؤخذ عن البلدان المجاورة ، ولم تقلدها<sup>(٢)</sup> : فنحن مثال لهم يحتذونه ، وليسوا هم لنا كذلك . وقد سمي دستورنا ديمقراطياً ، لأن الحكم عندنا في أيدي الكثرة ، لا الأقلية . وتكفل قوانيننا المساواة في العدالة للجميع ، في خصوماتهم الخاصة . وإن الرأي العام عندنا ليرحب بكل ذي موهبة ، في أي نوع من نواحي العمل ، ويكرمه لا لغرض خاص ، وإنما لتفوقه ليس إلا . وكما أننا نتيح الحرية للجميع في حياتنا العامة ، فنحن أيضاً نتعامل بهذه الروح مع بعضنا البعض ، في علاقاتنا اليومية . ولا ننظر إلى جارنا شذراً ، ولا نوجه إليه كلمات غضب ، إذا ما متع نفسه بالطريقة التي يراها ، ونمسك عن تلك الأعمال الجافية الصغيرة التي ، وإن لم تترك أثراً ، فقد تكون سبباً في مضايقة من يلاحظها . إن علاقاتنا الشخصية تقوم فيما بيننا على الصداقة والصرامة ، وفي أعمالنا العامة ، نخضع خضوعاً مطلقاً للقانون . وإننا نعترف بما للتوقير من سلطان مقيد ، ونطيع أولى الأمر فيما أبانوا ،

---

( ١ ) « معروف لكم جميعاً » : وقد كان ذلك على الأرجح في خريف عام ٤٣١ ، وجيش البلبونيز قد عاد إلى بلده من أتيكا . ومن ذلك كان التعبير الغامض ( الذي عدله بعض الناشرين ) : « مقاومة القتال » . فقد قاوم الأثينيون ، سواء كان ذلك في عام ٤٨٠ ، أو ٤٣١ ، الحرب ، لا العدو نفسه .

( ٢ ) « ليس منقولاً عن ( حكومات ) جيراننا » : هذه إشارة أو ترميز بالاسبرطيين الذين لم يكونوا على يقين فيما إذا كان دستورهم قد استمد من كريت ، أو من دلف . والفصول القليلة التالية ملأى بالنيل ، في إشارات غامضة ، من اسبرطة بلد النظام ، حيث يخاف الرجال من الحرية والابتكار ، ومن كورنث بلد الإباحية ، حيث لا يعبأ الرجال إلا بجمع المال . وربما استطاع القليل من المستميين أن يتذكروا أنه قبل حوالي إثني عشر عاماً ، جاء بعض المبعوثين من مدينة بربرية تسمى روما ، ليدررسوا قوانين أثينا ، وقد ضمنوا بمجموعة قوانينهم الكثير منها ، ( ما ير الجزء الثالث ، فقرة ٣٧٠ ) .

ونستمسك بالقوانين ، وخاصة تلك التي تحمي المظلومين . وكذلك لا تتعدى حدود ما تمليه الآداب غير المكتوبة ، التي يجلب تجاوزها الخجل والعار . ( ٣٨ ) وليست مدينتنا مجرد مدينة عادية ، بل ما من مدينة غيرها تقدم شتى ضروب المتع والراحة للنفس . فثم أنواع من الصراع والتضحية ، في كل يوم من أيام السنة . وثم جمال في منشآتنا العامة ، يشرح الصدر ويسر العين يوماً بعد يوم . وزيادة على ذلك فالمدينة كبيرة متسعة وقوية ، حتى أن كل ثروة العالم تتدفق إليها ، ومن هنا لا تبدو منتجات أتيكا شيئاً خاصاً ببلادنا ، أكثر مما تبدو ثمار أعمال غيرنا من الشعوب الأخرى (١) .

( ٣٩ ) وكذلك يختلف تدريبنا العسكري عن تدريب خصومنا . وأبواب مدينتنا مفتوحة على مصراعها للعالم ، ونحن لا نباشر النفي الإداري ، ولا نمنع زائرينا من ملاحظة أو اكتشاف ، ما قد يكون نافعاً للعدو فيستغله لأغراضه ، لأننا لا نعتمد على تدابير التسليح المادي ، بل على روحنا العالية في القتال (٢) . وكذلك الحال في التعليم ، فغيرنا يكدح منذ الطفولة ويجد في سبيل الشجاعة وترويض النفس عليها ؛ على حين إنا ، ونحن أحرار في معيشتنا ، نطوف في البلاد كما نهوى ، لسنا أقل منهم في مواجهة الأخطار ذاتها (٣) . وهاكم الشاهد على كلامي . عند ما يهجم الاسبرطيون على بلادنا ،

---

(١) جاء في هذه الفقرة الإشارة الوحيدة للديانة الرسمية في المطبة جميعها . لاحظ كيف حشرت وسط الكلام عن الرياضة والعمارة والتجارة . فيما يخص معنى δίδωμι في النص ، أنظر ملاحظة فيلاموفيتز .

(٢) « إن اعتمادنا لا يقوم على تدابير المتاد المادي » : يبدو أن ذلك تقضته كلمات بركليس ، ١ - ١٤٢ - ٩ : « إذا كان هناك شيء ما ، موضوعاً للمهارة فهو الملاحه » ، ثم في ٧ يقول : « لقد كنتم تقومون عملياً بالملاحه منذ الحرب الفارسية ، ومع ذلك لم تلبثوا فيها حد الاتقان الكامل بعد . كيف يتيسر لشرذمة من الفلاحين أن يتقدموا علينا في البحار ؟ » لقد كان الأثينيون دائبي التمرن على السفن الحربية القائمة بالخدمة بصفة دائمة ، وفي الخدمات البحرية التجارية ، ( أنظر الأوليجارشى العجوز ، ١ - ٢٠ ، ثم توكيد بدس ، ٣ - ١١٥ - ٤ ) .

(٣) « تقدموا مع كل ذلك » : هذا هو ما لم يكن يسمح لهم به بركليس ، حتى رجع العدو إلى دياره ، ثم تحامل على نفسه ووقف يفسر قصده تفسيراً ضعيفاً .

لا يأتون وحدهم ، بل يصحبون كل حلفائهم ، ولكننا إذا غزونا جيراننا لا نأتي في المعتاد صعوبة تذكر ، حتى ولو في أرض أجنبية ، للاتصار على أناس يدافعون عن أرضهم . وزيادة على ذلك ، فما من عدو التقى بنا ، ونحن في كامل قوتنا ، إذ يقوم أسطولنا بالحراسة في ممتلكاتنا المتفرقة ، حيث نبعث بجنودنا للقيام بالخدمة هناك . ولكن إذا ما سحقت للعدو فرصة للقاء جزء من قواتنا ، وهزموا قلائل منا ، افتخروا بأنهم قد طردوا جيشنا بأكله . أما إذا ما هزموا هم ، قالوا إن المنتصرين كانوا في كامل عدتهم . وفي الحق إننا إذا اخترنا أن نواجه الخطر بنفوس مطمئنة ، أكثر مما نواجهه بعد مران طويل صارم ، وأن نعتمد على رجولتنا الفطرية ، لا على شجاعة من صنع الدولة ، إذا ما اخترنا ذلك فإنما لمصلحتنا ، إذ بذلك إنما تتفادى متاعب التمريض المضني ، لمواجهة الصعاب المستقبلية . وإذا ما وجدنا بينهم ، فنحن لا نقل شجاعة عن منافسينا الذين ثابروا على المران والتدريب . فهنا إذن كما في أي مجال آخر ، تقدم مدينتنا مثلاً عالياً جديراً بكل إعجاب .

(٤٠) إننا محبون للجمال في غير إسراف ، ومحبون للحكمة في غير ضعف . وليس المال عندنا مجرد أداة للعظمة الزائفة ، ولكنه فرصة لإنجاز الأعمال ، ولا نرى الفقر عاراً نخشى الاعتراف به ، ولكن العار ألا يعمل المرء شيئاً للتغلب عليه . ومواطنونا يقومون بالواجبين الخاص والعام ، ولا يسمحون أن يتعارض وإلمامهم بأمور الدولة ، انهماكهم في أعمالهم الخاصة المتعددة . ونحن نخالف الدول الأخرى في النظر إلى الرجل الذي يقف بعيداً عن الحياة العامة ، فهو عندنا لا يعد رجلاً « هادئاً » ، بل رجلاً لا نفع فيه<sup>(١)</sup> . إننا نفصل بدقة ، ونناقش بأنفسنا كل أمور السياسة .

(١) « لا كهادي » وإنما كان لافتده منه : هؤلاء هم معتزوا السياسة (Mugwumps) ، أي تلك الفئة القليلة من الأثينيين الذين كانوا لا يقومون بأية خدمة عامة . إن كلمة « هادي » (ἀπράγμονες) هي الكلمة التي أحبوا أن يطلقوها على أنفسهم ، ويعنون بها عكس « المشتغلين » بالشئون السياسية . ولكن الأثينيين في القرن الخامس كانوا يخبرين بأن يكونوا من المشتغلين بالسياسة . (أنظر توكيديس ، ١-٧٠ ، ثم فصل المقدمة للأخوذ من نيوربيديس) .

(م - ١٦ - الحياة اليونانية) .

مؤمنين لا بتعارض الأقوال والأعمال ، ولكن بأن الأعمال مقضى عليها بالفشل ، إذا نفذت دون مناقشة . فقد عرفنا بأننا أكثر الناس إقداما في العمل ، كما أننا في الوقت نفسه أكثرهم تفكيراً ، قبل أن نقدم عليه . إن غيرنا من الرجال جريئون بجهل ، بينما يحد التفكير من اندفاعهم . ومن المؤكد أن أشجع الناس ، هم أولئك الذين لهم نظرة ثاقبة فيما يعرض لهم . مجداً كان أو خطراً ، ورغم ذلك يخرج لمواجهة . ونحن أيضاً في عملنا الخير على نقيض تام لباقي البشر . فنحن نحافظ على أصدقائنا لا بقبول المساعدات وإنما بتقديمها . وبذلك فإننا بطبيعة الحال أثبت في علاقاتنا (١) ، لأننا كدائنين هم منا توثيق العلاقات مع أصدقائنا ، بما تقدمه إليهم من صالح الخدمات . فإذا لم يستجيبوا إلينا بالحماسة عينها ، فذلك إنما لشعورهم بأن خدماتهم ليست اختيارية بل هي رددية عليهم (٢) . إننا الوحيدون بين البشر الذين نعمل لصالح الناس ، لا لحساب مصلحة شخصية لنا ، ولكن لإيماننا الكامل بالحرية . (٤١) وفي كلمة واحدة أقول ، إن مدينتنا في مجموعها مدرسة لليونان ، وإنه إذا ما قيس بناؤها بغيرهم رجلاً رجلاً ، فلن يداينهم أحد في استقلال الروح ، وسعة الأفق ، وتنوع المعلومات ، والاعتماد على النفس اعتماداً كاملاً ، سواء في العمل أو التفكير .

وليس هذا كلاماً أجوفاً ، لكنه حقيقة واقعة ، ويشهد بذلك السمو الذي بلغتنا إياه عاداتنا وأخلاقنا . وما من مدينة أخرى غيرها في عصرنا هذا ، تخرج إلى محنتها قوية أكثر مما يخطر لإنسان ، وما من سواها في قدرتها ، بحيث لا يشعر المهاجم بذلة ومرارة عند هزيمته على يديها ، وبحيث لا يحس اتباعها بنجس المهانة تبعيتهم لها (٣) . والحق أن شواهد عظمتنا وأدلتها

(١) « ونحن ثابتون على عهدنا » : حتى أن « الأصدقاء » لا يستطيعون التحال من ذلك القيد ، بل يصبحون رعايا .

(٢) « الوفاء بالدين » : في بداية حرب البلوونيز أخذ ذلك ثانية في صورة جزية ، بانفت حوالي ٦٠٠ ثلثنا سنوياً .

(٣) « لا يرى رعاياها عارا ، فيما يعتبر إهانة لسكونهم تابعين » . هذه هي نظرية =



بالغة ، وسيدهش لها أولادنا ، كما يدهش لها الناس جميعا اليوم . فلنسنا بحاجة إلى هومر أو أى رجل آخر من رجال البيان ليشيد بنا ، لأن مثل هذا يسرنا لحظه واحدة ، ولكن الحقيقة متفوق تصورهم لأعمالنا . فقد شق روانا طريقاً فى كل بحر ، وفى كل أرض ، تاركين بين كل البشر ، إما لتأديبهم أو نفعهم ، ذكريات خالداً لاستقرارهم بينهم<sup>(١)</sup> .

هذه إذن هى المدينة التى من أجلها ، وخشية فقدتها ، مات الرجال الذين نؤبئهم ، ميمية الجندي ، ومن الطبيعى أن نود ، نحن الذين ظللنا بعدهم على قيد الحياة ، أن نتفانى فى خدمتها . (٤٢) وهذا فى الحقيقة ما دعانى لأن أخصص جزءا كبيرا من كلامى لهذه المدينة . فقد أردت أن أظهر أن علينا عهدا كثيرة خطيرة ، أكثر من أى شعب آخر ، ليس له مثل ميراثنا ، وأى أعز إشاراتنا هؤلاء الموتى ، بأن أوضح لكم ما أؤه من أعمال . فإذا ما تغنيت بأجداد هذه المدينة ، فإن هؤلاء الرجال وأشألمهم هم الذين عملوا أجل هذه الأجداد . وهم ، وتليل من بين اليونانيين ، لا تكفى الكلمات لتمجيد ما قاموا به من أعمال . فنهاية كالتى أمامنا هنا ، جديرة . بأن تظهر لنا ما هى الحياة المجيدة ، من أرلى مظاهر قوتها ، إلى نهاية تمام كالمها<sup>(٢)</sup> . فحتى لو كان سجل ماضى حياتهم ، قد حوى همومات وأخطاء ، فن الإنصاف أن نقول ، إن تلك الساعة الأخيرة من

---

== بركايس للتسيطر الإمبراطورى : فالإمبراطورية لم تقم على أساس العدالة ( كما يكون بين الأعداء ) ولكن أساسها المواطن . لم تقم على أساس الحقوق التى تصان للمدن الأخرى ، ولكن على أساس ما يجب أن يشعروا به من الإخلاص المقرون بالإعجاب لأثينا ، فإذا لم يكن ذلك شعورهم ، فليس أمامها إلا استعانة القوة بدون مواربة .

(١) « متخذين من العتاب ، أو فعل الخير ذكريات خالداً لاستقرارهم » : لقد كان يفكر خاصة فى إقامة المواطنين الأثينيين بين البرابرة فى تراقيا وغيرها . ويتوقف ذكر البرابرة بالخير ، على حسن لقاؤهم المستعمرين عند أول وصولهم .

(٢) « ما هى الحياة الطيبة » ، هذا هو موضوع « الأخلاق » عند أرسطو ، الذى كثيرا ما يتخذ مقياسا لنظرية اليونان عن الفضيلة أو الحياة الطيبة . ولكن من المؤكد أن تنوكيدبوس ، كحجة فيما يخص اليونان فى القرن الخامس ، يفضل كثيرا .

الشجاعة والتفاني ، لترجح كل هذا الماضي<sup>(١)</sup> . لقد محوا هناك الشر بالخير ،  
وقدموا لمدينتهم كجنود ، خدمات أكثر ، مما أحقوا بها من ضرر في حياتهم  
الخاصة . هناك لم تن قلب لايثارها الثروة على الشرف ، فأحد لم يتخل  
عن المعركة أملا في الثراء . كل هذا وضعوه جانبا ليضربوا ضربتهم من  
أجل المدينة ، معتبرين نشد النار لعزتها ، أعظم وأروع المخاطر جميعها ،  
تاركين ، الأمل ، ، الإلهة التي يعول عليها ، لترسل لهم ما تشاء ، وواجهوا  
العدو عند ما اقتربوا منه معتمدين على قوة رجولتهم . وعند ما حذى وطيس  
الحرب ، اختاروا أن يقاسوا أخطر الشدائد وأعظمها ، على أن يفوزوا  
بالحياة عن طريق الاستسلام<sup>(٢)</sup> . وهكذا سلمت ذكراهم من قدح البشر ،  
وإن حملت أجسادهم ، بدلا عنها ، طعنات العدو . وفي لحظة من الزمن إذا  
بهم وهم في ذروة حياتهم ، ينتزعون من عالم مليء ، أمام عيونهم المحتضرة ،  
لا بالفرع إنما بالمجد .

(٤٣) هؤلاء هم الرجال الذين يرقدون هنا ، وهذه هي المدينة التي كانت  
مصدر وحيهم ، ونحن الباقون بعدهم علينا أن نبتهل إلى الله ، أن يجنبنا مثل  
ساعاتهم المريرة هذه ، ولكن يجب أن نزدري مقابلة العدو بروح أقل  
انتصاراً وغلبة ، ولنستمد قوتنا ، لامن الحجج المعادة ، فما أسمى وأنبى أن  
نظهر بمظهر الشجاعة في الموقعة ، بل من منظر العمل الدائم في حياة مدينتنا ،  
كما يمثل أمامنا يوما بعد يوم ، هائمين بها حبا كلما رأيناها ، واضعين نصب  
أعيننا أنها تدين بكل هذه العظمة ، لرجال لهم جرأة المحارب ، وإدراك  
الرجل الحكيم لواجبه ، وأخذ الرجل الصالح نفسه بأدائه — إلى رجال  
إذا ما أخفقوا في أي محنة ، احتقروا أن يضنوا على المدينة بخدماتهم ، بل

(١) « ساعة الحماس الأخيرة » : قارن أمثلة العمال في السكروم .

(٢) « لأن نقاسي أشد الصواب ، لخير لنا من الحياة على ومن » : إنه لا يدعى  
أنهم ، كالكهدهاء المسيحيين ، ماتوا راضين : وإنما يقصد أنهم إنما يشعرون أنهم ان استطعوا  
أن يموتوا في لحظة أحسن من هذه ، ولا بطريقة أفضل . إنه يصف عن تجربة شخصية ،  
مشاعر جندي في فرقة الأسلحة الثقيلة . في اللحظات البطيئة التي تسبق بداية الاشتباك .

سَخَّوْا بِأَرْوَاحِهِمْ كَأَحْسَنِ قَرْبَانَ فِي سَبِيلِهَا . وَهَكَذَا وَهَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِصَاحِ  
الدولة، فنالوا ، كل لذكراه ، ثناء لمن ينسى ، ونالوا معه أكبر وأعظم المقابر ،  
وليس هذا الذي وضعت فيه عظامهم الفانية ، وإنما هو مكان في عقول  
الرجال حيث يبقى مجدهم حياً ، يدفع الناس إلى الكلام أو العمل حسب  
ما تقتضيه الظروف . فالأرض جميعها مقبرة للشهورين ، ولا تنقش قصتهم  
فقط على صخور تقام في أرض الوطن ، إنما تعيش في أرجاء نائية ، دون  
رمز مرئي ، مندججة بجوهر حياة الآخرين . لم يبق لكم الآن إلا أن تباروهم  
فيما فعلوه ، بعد أن عرفتم أن سر السعادة الحرية ، وسر الحرية قلب شجاع ،  
لا في الوقوف مترخين متجنين هجوم العدو<sup>(١)</sup> . فليس الفقير أوسى الحظ  
بهما اللذين لهما أكبر الدواعي في اعتبار الموت خسارة طفيفة ، إذ لا أمل  
لهما في السعادة ، إنما أولئك الذين قد يقرب لهم الحظ ظهر المنج ، فيجزعون  
للأحداث إذا ما حلت بهم نائبة . زد على ذلك ، أن الضعف أمام المحنة أشد  
إيلاماً للرجال ذوي الروح العالية ، من مجيء الموت المفاجيء غير المنتظر ،  
ساعة القوة والحساسة .

(٤٤) وعلى ذلك فلن أحزن مع أباء هؤلاء الموتى ، الذين معنا هنا ،  
بل أحب إلى أن أواسيهم . فهم يعلمون أنهم ولدوا في عالم متنوع الحظوظ ،  
وإنه لسعيد ذلك الذي يواتيه أحسن الحظوظ — أحسن الأحران وأفضلها ،  
أي حزنكم أتم اليوم ، وخير ميتة ، أي كما حل بهؤلاء ، الذين قدرت لهم  
الحياة والسعادة بنفس القدر<sup>(٢)</sup> . وإن على يقين من أنه ليس من السهل على

(١) « لا يقف جانبا دون عمل » : هذا هو بالضبط ما اضطر الأثينيون إلى عمله  
أثناء الغزو اليوبونيزي لأنيكلا . أنظر توكيدس ، ٢ - ٢١ - ٢ ، حيث نجد نفس الكلمة  
(περιπορᾶν) التي استعملها الثبان ضد بركليس . والكلمة تعني موقف المتفرج ،  
على حين يعمل الآخرون — وهو الامتياز القاصر على النقاد . وهذا ما كان يجيده اليونانيون  
في العصور المتأخرة ( العصر الروماني مثلا ) .

(٢) « قدرت بنفس القدر » . هذا هو نفس ما قاله سولون لسكروبيس في الأمثلة

الشمورة ( هيرودوت ، ١ - ٣٢ ) .

أن أواسيكم . فإنا أعلمكم سترون في أفراح غيركم تذكرة لما كان يوماً لكم ، وكم يستشعر الرجال الحزن ، لا على فقد ما لم يخبروه أبداً ، ولكن عندما ينتزع منهم ، شئ . عزيز عليهم . ولكن يجب ألا تيسوا يا من أنتم في سن مواتية ، على أمل أن ترزقوا أطفالاً آخرين . إذ سيساعدكم المواليد الجدد على نسيان ما حدث . في أسر تكمن فراغ ، سيساعد المدينة على ملء ما حل بصوف الصناعات والجنود . من نقص<sup>(١)</sup> . فما من إنسان يتسنى له بذل نصيحة عادلة مخلصه في المجتمع ، إذا لم يكن لديه مثل أقرانه ، عائلة معرضة للخطر المحقق بالمدينة<sup>(٢)</sup> . وإليكم يا من تجاوزتم سن الشباب أقول : اعتبروا سنى السعادة الطوال الماضية ربحاً كبيراً ، إذا ما قيست بتلك الفترة القصيرة الباقية لكم ، وخففوا عن أنفسكم أحزانكم بمجد هذه النهاية . فحجب المجد وحده هو الذى لا تبليه السنون ، وإنه بالمجد ، لا بالمال كما يقول بعض الناس ، تصفى البهجة والسرور على نهاية الحياة المحتملة .

(٤٥) ثم أتوجه إلى من قد يكون بينكم الآن من أطفال ومن أخوة للوثنى ، والذين أتنبأ لهم بنضال شديد مع ذكرى الراحين . فدحهم على السنة الجميع ، ومهما تبلغ أعمالكم من ذروة البطولة ، فالأيا ما يحكم لكم بأنكم قد قتم بفعال توازى أعمالهم ، بل أقل قليلاً منها ، إذ بينما أمام الأحياء مقاومة الغيرة من المناضلين ، يكرم الموتى بإعجاب لا مثيل له<sup>(٣)</sup> .

(١) « أن يملؤوا الصفوف » . أنظر عدد السكان من ٢٠٢ ثم صفحات ٤١٥-٤١٨ . كانت أثينا تفتقد كل رجل يموت من رجالها .

(٢) « إذا لم يكن له ... عائلة في خطر » . لا يمكن لأحد أن يكون عضواً فى المجلس ، إلا إذا كان أكبر من ٣٠ سنة ، وهى السن التى يكاد فيها أن يكون مؤكداً زواجه . وحسب قول الخطيب داي نارخوس (الفقرة ٧١) ، لم يكن مسموحاً لأى شخص أن يتكلم فى البرلمان القومى ما لم ينجب ولداً شرعياً .

(٣) « غيرة المتنافسين ... الخ » : إن هذا الشعور استعمله السكيبيادس (٦-١٦) فى أحد انتبাসاته الكثيرة . من تعابير بركليس ، التى كان يقتبسها ويمدحها بدون خجل ، استعمله كاعتذار عن الاستدانة ، من أجل سباق الخيل .

وإذا كان لي أن أقول لأولئك اللاتي تملن كلمة عن قدرة النساء وواجباتهن ، فسأوجز كل نصيحتي في جملة واحدة مختصرة . سيكون مجدكن عظيماً إذا لم تقلن من مزاياكن الطبيعية — فأعظمن هي من يكون مدحها أو ذمها ، أقل ذكراً على شفاه الرجال<sup>(١)</sup> .

(٤٦) قد تسكمت هذه الكلمات ، التي كان علي أن أقولها كما ينص القانون ، كما قدمت القرايين التي يجب أن تقدم ، بجانب القبور في وقتها الملائم . وستأخذ الدولة على عاتقها من الآن رعاية أطفالهم ، حتى يصيروا رجالاً . هذا هو الغار الذي تسكال به الدولة موتاهها ، وهذه هي العناية التي تولها لذويهم نظير ما قاسوا من أجلها من المصائب والمحن . فحيث تكون المسكافة عظيمة ، فإن خير المواطنين ، أيضاً ، هم الذين يناضلون من أجلها .  
والآن وقد انتهيت من نحيبكم ، فليذهب كل إلى سيده .

وقد آن لنا أيضاً أن نذهب ، فقد لبثنا في الميدان العام أطول مما ينبغي . ولنتبع هؤلاء الشكالي ، وهم يتفرقون ذاهبين إلى منازلهم المختلفة . ولترقبهم وهم يواصلون مجرى حياتهم العادية . فهناك مآسي تنتظرنا أعنف من تلك التي شهدناها بين قبور الجنود . فهؤلاء عاشوا سعداء وماتوا سعداء ، وهم يحاربون أعداء أثينا . ولكن ، في النضال الذي سترقبه ان تجلب معركة فوزا ، ولا نصره غلبة . فالمعركة التي ستخوضها أثينا الآن ، ليست ضد اللاسيديمونيين ، أو أي عدو مسلح ، ولكن ضد العدو الجائم في حناياها ،

(١) « أقل لفظاً : أي أن النساء يجب أن يُرين ولا يُسمعن . هذه كانت نظرة القرن الخامس ، لأن نساء المواطنين لم يمتحن مواثبات ، ولا حتى مقياس أجدبيات . وقد سمح لمن بحضور هذا الاجتماع دون أن يكون لمن الحق في ذلك .

ضد الشهوات والأطعام التي غذتها هي نفسها<sup>(١)</sup>. فهل سترحب بها بتامها  
وتجتهد في أن تدها بما تحتاج إليه؟ أو هل ستحاول أن تتخلص منها، خشية  
أن تفسد عليها أمرها، وتعكر صفوها؟ أو بينما هي تبحث عن طريق وسط،  
هل ستنزل هذه العلال بمجدها إلى التراب؟

---

(١) توكيد يدس، ٩١-٥، *ἔστι δὲ οὐ πρὸς Λακεδαιμονίους*، ٧١٨ - ٧١٧، Ag. *ἡμῶν ὁ ἄγων*، أسخيلوس، Ag.

# الجزء الثالث اقتصاديات

Φιλοκολοῦμεν μετ' εὐτελείας.

إننا محبون للجمال في غير إسراف.





# الفصل الأول

## الفقر

Il y a deux sortes de peuples pauvres : ceux que la dureté du gouvernement a rendu tels ; et ces gens-là sont incapables de presque aucune vertu, parce que leur pauvreté fait une partie de leur servitude : les autres ne sont pauvres que parce qu'ils ont dédaigné, ou parce qu'ils n'ont pas connu, les commodités de la vie ; et ceux-ci peuvent faire de grandes choses, parce que cette pauvreté fait une partie de leur liberté. — Montesquieu, Esprit des Loix, Book XX, chap. 3.

الفقراء نوعان : من جرت قوة الحكومة الفقر عليهم ، ويكادون ألا يكونوا أهلاً لأية فضيلة ، لأن فقرهم جزء من عبوديتهم ؛ ومن هم فقراء لأنهم احتفروا متع الحياة ، أو لم يألوها أبداً ، وهؤلاء يمكنهم الإتيان بأعمال جليلة ، لأن فقرهم جزء من حريتهم .  
منسكبو ، روح القوانين ، ٢٠ - ٣ .

τῆ Ἑλλάδι πενίη μὲν αἰεὶ κοτε σύντροφός ἐστι.

Herodotus, VII. 102.

هيرودوت ، ٧ - ١٠٢ .

هيلاس والفقر كانا ريباناً أبداً .

من أهم الحقائق عن الحياة ، أن لا حياة للبشر ، دون طعام ومأوى . ويعتبرها معظم الرجال الآن أهم الحقائق كلها ، وينفقون معظم ساعات عمرهم القصير في محاولة معالجتها . ولم يتفق معهم اليونانيون في ذلك . لقد كان سخفاً مبيهاً وغباءاً ، كما كان جليلاً ، أن يكون لهذه الحقيقة ، الأولوية على الحقائق الأخرى العظيمة الملامعة ، التي تكشف عنها الحياة لمن يبحث عنها . أما هم ، فواجهوها كما واجهوا سائر حقائق الحياة ، ووضعوها في مكانها ، إلى جانبها جنباً لجنب . كما أطبقوا على اشتغالهم بها اسماً ، عرفت به منذ ذلك الوقت ، فسموها « تدبير المنزل » ، أو « الاقتصاديات » .  
إن الاقتصاد السياسي أو الاقتصاديات ، كما يقول أكبر علمائه الانجليز ،

هو دراسة البشرية في نواحي الحياة العادية ، فهو يبحث تلك الناحية من العمل الفردي والاجتماعي ، التي هي أوثق اتصالا بالحصول على المطالب المادية اللازمة لسعادة الإنسان ، واستغلالها<sup>(١)</sup> . ويؤمن على ذلك إغريق القرن الخامس مع تحفظين . فلماذا أمور الحياة العادية ؟ أو ليس العمل الذي يؤدي للدولة ، كالتدريب والقتال وتولى مناصب القضاء ، أمورا عادية كذلك ؟ ولذا فهو يريد أن يستبدل ، خاصة ، بد عادية . ولكن كلمة « خاصة ، تبدو لذهنه فيها مغالاة بعض الشيء . لأنه يعلم كل العلم أن الرجل الذي يشتغل بالسياسة ويتجاهل شؤون تدبير المنزل ، يظل على الأقل ، سليما واجتماعيا ، وإن كان قد يتعرض للجوع ، وأن الناس الذين يتجاهلون العالم من حولهم ، ولا يفكرون إلا في جدرانهم الأربعة ، خليقون أن ينحطوا إلى درجة الأناية . والتحفظ الآخر يشير إلى حرف العطف ( أو ) في كلمات الافتتاح ، علم الاقتصاد السياسي أو الاقتصاديات ، فأنت تستطيع أن تدبر منزلك بنفسك ، أو تساعد على إدارة اقتصاديات المدينة ، ولكنهما ليسا شيئا واحدا . فأحدهما يتصل بالعمل الفردي من أجل السعادة الفردية ، والآخر يخص العمل الاجتماعي من أجل سعادة الحياة الاجتماعية . لا شك أن هناك صلة مباشرة بينهما ، حتى ليتداخل مجال كل في الآخر . فأنت لن تشعر بالسعادة الفردية ، كما قال بركليس للأثينيين ، في محاضراته عن الاقتصاديات ، إذا تفككت عرى الدولة ، ولن تحس السعادة الاجتماعية كاملة ، ( رغم أنك قد تحقق بعضها منها ) إذا كان الأفراد يقاسون . وخير لنا أن نتبع الطريقة اليونانية المسالوفة ، فنتبع على مجالى النشاط منفصلين ، أى أن نتحدث عن الاقتصاديات أولا ، من حيث هي دراسة شؤون الفرد ، ثم من حيث هي دراسة شؤون الدولة ، وذلك طبقا لهدفها المزدوج وهو : الحصول على المطالب المادية اللازمة لسعادة الفرد ،

(١) الكلمات الافتتاحية في كتاب مارشال ، Principles of Economics

ولسعادة الجماعة ، واستغلالها (١) .

لقد عرفنا الأثيني مواطننا ، وأن لنا أن ندرسه كرجل يكسب رزقه .  
فلن نفهم أثينا القرن الخامس حتى نعرف المطالب المادية التي قامت عليها  
سعادتها ، ونرى كم ساعدتها أو عاقبتها ، من أن تعيش حياة تنفق  
ومثلها العليا .

ولكن يجب مراعاة أمرين خطيرين ، قبل أن نسمح لخيالنا برسم  
هذه الصورة بالتفصيل .

ويخص الأول منهما ذلك الفقر المتغلغل في هذه الدنيا التي سنجوس  
خلالها دارسين شئونها ، إلى حد لا يمكن تصديقه .

إننا نتحدث عن اليونانيين كقادة للحضارة . وبدون وعى ننسب إليهم  
النعم ، ووسائل الراحة المادية ، التي شبينا نحن الحداثيين على أن نعتبر  
الحضارة تقوم عليها ، وهو ما نحاول تلقينه للأسويين والأفريقيين . وننسى  
بذلك أنهم كانوا براء من الكثير من هذا ، أ كثر من اليونانيين الساكنين  
الجبال اليوم ، أو أ كثر مما كان عليه معظم الانجليز قبل الانقلاب الصناعي .  
من السهل أن تتناسى السكك الحديدية ، والبرق والغاز ، والشاي والإعلانات  
والموز . ولكن يجب أن تتخلى عن أ كثر من هذا . يجب أن تتصور المنازل  
دون مجارى ، والسرر بلا ملاءات أو لواب . والغرف في برودة الجو ، أو في  
حرارته العادية ، ولكنها أ كثر تيارات دوائيه ، ووجبات من صنف .

---

(١) توكيديس ، ٢ - ٦٠ ( أنظر سوفوكليس ، أنتيجون ، ١٨٧ - ١٩١ ) . كان بركليس  
مفرما بأن يحاضر الأثينيين في الاقتصاديات . أنظر حيلة المحاضر ( σκεψασθε δέ )  
في ١ - ١٤٣ - ٥ . لقد سمحوا له بتلك الحيلة ، لأنهم كانوا يعرفون عنه « الاستقامة »  
( χρημάτων κρείσων ) . إن كلمة ἰδιώτης أى « مواطن محدود المقدرة » ،  
أو « رجل مرتبط نشاطه بقدرته الخاصة » ، غدت تدريجيا تدل على نفس المعنى الذي عناه  
بركليس بكلمة ἀχρεῖος أو « بلا فائدة » ، أو رجل « غير اجتماعي » . وهذه العبارة تقابل  
كلمة « أثر » ( egotist ) أو « مجنون بحب نفسه » ( monomaniac ) عندنا . ولكن  
بينما كان اليونان يذمون الرء الجلهل كل شيء ، إلا ما يخص أهل بيته ، فنحن عادة لا نذم  
الناس إلا لتجاهلهم لكل إنسان إلا أنفسهم .

واحد ، تتبدى بالبودنج وتنهى به ، ثم مدن دون نبلاء أو أصحاب ملايين تتفخر بهم . ويجب أن نعرف الوقت دون ساعات ، ونعبر الأناهار دون قناطر ، ونجوب البحار دون بوصلة ، ونربط ملابسنا (أو بالأحرى القطعتين من التماس ) بدبوسين ، بدل صفيين من الأزرار ، وأن نلبس أحذيتنا أو نعالنا دون جوارب ، ونستدفيء حول جرة بهما رماد ، وأن ننظر المسرحيات والقضايا في الهواء الطلق ، في صباح شتاء بارد ، وأن ندرس الشعر دون كتب ، والجغرافيا دون خرائط . والسياسة بلا جرائد . وجملة القول يجب أن نتعلم كيف نكون متحضرين دون رغد العيش ، أو بالأحرى ، أن نألف عشرة الناس الذين يفهمون من الراحة شيئاً مختلفاً كثيراً عن السيارات ، والبقاع ذات المساند ، الذين رغم أنهم تعودوا أن يعيشوا ببساطة وزهد ، أو بسبب أنهم عاشوا على ذلك النحو ، وجلسوا على مائدة الحياة دون انتظار الحلوى ، عرفوا الكثير مما في الأشياء القليلة التي نعموا بها ، أي عقولهم وأجسادهم ، والطبيعة المحيطة بهم ، عرفوا ما فيها من فائدة ومن جمال ، أو خير وفضيلة . فالأدب اليوناني ، مثل الأناجيل ، يتعارض تماماً والنظرة الحديثة القائلة بأن المهم حقاً أن تكون مرفهاً . فالهناج الذي وعدت به الأناجيل ، (والذي تمتع به اليونانيون سواء كان هو بعينه أو مختلفاً بعض الشيء) ، والرغد الذي يسرته لنا المحترعات ، والوسائل الحديثة يختلف اختلاف المثل العليا<sup>(١)</sup> .

(١) بركت ( Burkitt ) في Essays on Some Biblical Questions of the Day ،

( كبرجج ، ١٩٠٩ ص ٢٠٨ - ١٩ ) . ليطلع القارىء على قائمة متجر يبيع بالجملة ، ثم يسأل نفسه عن عدد الأشياء والأقسام ، التي كانت ممثلة في العصور القديمة ، ثم يتدبر مدى ما يتضمنه هذا من الاقتصاد في التفكير . فلم يكن بأثينا حتى راق أو خاص ، للطبقة الغنية ، أو على الأقل إننا لا نعرف شيئاً عن ذلك . وأناقة اللبس اليوناني يجب ألا نتحجب عما حقيقة بسطته النهائية ، وهو لباس لا يرتزم غير درجة واحدة ، عن أبسط أنواع الملابس كافة ، أي جلد الحيوان . وقد كانت الملابس الداخلية للرجال والنساء ( الخيتون ΧΙΤΩΝ ) ، مجرد قطعة من القماش مستطيلة « أطول من قامة لابسها بقدم ، وأعرض مرتين أى ضعف المدة بين مرفقيه الميسوطيين ، وتثبت بدبوس على كل من كتفيه . أما اللباس الخارجي فهو الهاتيون =

هذه البيئة اليونانية القديمة الفقيرة ، الخالية من الرفاهية ، التي تتطلب تدبيراً اقتصادياً يقظاً ، في مثل هذه التنظيمات الاجتماعية الصغيرة ، تظهر لنا بأجلى ما يكون في أشخاص روايات « ثيوفراستوس » . وهي نماذج مأخوذة عن الحياة الأثينية في القرن الرابع ، عندما عاش الناس في ترف أكثر مما كان عليه أجدادهم في القرن الخامس ، وهو ما أسف له ديموستينز . فهنا نرى أن الأثيني يتأهب إلى عمله اليومي وقد تراجعت عليه مخاوفه التافهة ، والهموم التي تساوره . وأكثر ما يسترعى انتباه القارىء الحديث في الحياة التي وضحت على هذا النحو ، ما يصفه جب ( Jebb ) بلباقة ، بأنه « سذاجة

---

= ( ἱμάτιον ) ، وكان أطول وأعرض من اللباس الداخلي قليلاً ، إلا إنه لم يكن مثبتاً إطلانا . ولذا كان من الممكن أن يلبس على أشكال شتى ، فأحياناً كان يوضع على الرأس إذا لزم الأمر . ( « وكان من النادر الشاذ أن يشكّل الرداء اليوناني بما يناسب جسم الشخص الذي يلبسه ، أو يطابقه تماماً » أنظر C.H. Young في *American Journal of Archaeology* ، الجزء الرابع ، ص ١٦٨ ، بعد تجارب أجراها على عدة نماذج ) . فاللبس إذن ، كان عملية بسيطة ، وهو ما يمكن معرفته من هومر ( مثلاً الإلياذة ، ٢ - ٤٢ ) . أنظر أبراهام في كتابه « *Greek Dress* » ، ( لندن ، ١٩٠٨ ) وهو مزود بالأشكال والصور . وسكان الشرق الأدنى ما زالوا يفضلون ( بحكم الجو ) العاطف بدون أكمام ، وتلبس بوضعها غير مثبتة على الظهر وتترك أذرع حرة ، أو يلفها حول الجسم كله في غير تضيق . ولا يلبس اليوناني لباساً للرأس إلا في الحرب أو في الرحلات والأسفار . أما عن عدم متانة بيوت اليونان ، فانظر كيف حفر أهل بلانيا الجوانب المشتركة لمعظم بيوتهم في فترة لا تتجاوز النصف الأخير من ليلة واحدة ، دون أن يدرك ذلك أحد من الشارع ، ( توكيديدس ، ٢ - ٣ - ٣ ) ، وعلى طريقة اليابانيين ، تنقوا الأجر والأخشاب قبيل النزول إليرونيزي في عام ٤٣١ ، ثم نهبه ( البيوتيون ) في الحرب اندبيلية ( توكيديدس ، ٢ - ١٤ ، ٧ - ٢٧ - ٥ ثم *Hellenica Oxyrhynchia* ، ١٢ - ٤ ) . فالبيوت اليونانية كانت تبني باللبن ، وكذلك كانت معابدهم الأولى ( كما لا يزال ملحوظاً في بقايا المهرابوم في أولمبيا ) . وهذا هو السبب في ضرورة بناء « فراندا » ذات أعمدة ( أو دهليز من الأعمدة ) لوقائهم من تقلبات الجو . وكانت الباني العامة وحدها هي التي تبني من كتل الأحجار الكبيرة ، أو قطع الرخام ، الأمر المألوف لنا . أما فيما يخص ما نحويه غرفة نوم غنية مريحة في القرن الخامس في أثينا ، فانظر قائمة الكيادس لأثاث غرفة النوم ( هيكس وهيل رقم ٧٢ ، وأكملت بما نشر في *Austrian Jahreshette* ، الجزء السادس ، ص ٢٣٦ وما بعدها ) . هذه القرفة تضم كل شيء ، من السيور الجلدية التي تقوم مقام اللولب البدائي للجنشاي ، إلى أواني العطور على منضدة اليبس ، والحصير المصنوعة من السمار ، والفروشة على الأرض . إلا أن تلك القائمة ليست بالقائمة الرائعة ، فليست هناك أية إشارة إلى أدوات الغسيل - دورة مياه - أنظر ص ٤٩ فيما سبق . ( أنظر التذييل ) .

صريحة ، فالأشخاص جميعهم سذج غير متكلفين للغاية ، والبعض منهم ، محدود الذكاء ، صغار النفوس بشكل لا يتصور . فهم يتشاجرون مثلاً على ما يعيره بعضهم البعض من « ملح الطعام ، أو ذبالة المسرجة ، أو بعض الكمون أو عصير الحصرم ، أو أكلة قربان ، أو زهر أو كعك ، . وإذا ما أقيم في منزل أحدهم احتفال عام ، وأعدوا لذلك غذاء ، كانوا يخفون شيئاً من خشب الوقود والعدس والخل والملح وزيت المسارج ، ، ما كان تحت تصرفهم في مثل هذه المناسبات . وإذا فقدت إحدى نسائم « قطعة صغيرة من ذوات الثلاث فارذنج ، نقلوا كل الأثاث والسرر والأصونة ، وأخذوا يبحثون عنها في الستائر ، . ويستعملون في وزن مؤونة منازلهم ، مقياساً قاعه مرتفع من الداخل . وإذا ما أرسلوا معظمهم الوحيد للتنظيف ، فإنهم يستعيرون معطف جازهم ويرفضون رده . وبيننا نحن أيضاً « الرجل الطماع ، و « الرجل البخيل ، ، وإن كانا لا ينزلان في المعتاد إلى هذا المستوى . والفرق بين ثيوفراستوس ، وقصصنا التي تتندر بها عن أهل اسكوتلندا ، من أنهم يقترضون الكبريت ليوفروا ما عندهم ، أو يضنون بدفع مليم واحد زيادة على تكاليف برقية هامة ، الفرق في أن شخصيات ثيوفراستوس منقولة عن الحياة ، أو تكاد تكون طبق الأصل ، دون مبالغة أو إسراف (١) .

إن موازنة بسيطة قد تعمل على زيادة توضيح تلك النقطة . فلا فائدة من أن نحاول إيجاد صلة بين مصادر أثينا ، وبين مصادر أى مجتمع من مجتمعاتنا الحديثة ، فالتفاوت كبير للغاية . ولكن ثمة شبه واحد واضح ، يرجع إلى القرون الوسطى . فلم تكن أثينا غنية كالبندقية ، ولا حتى على ثراء يقرب ثراءها ، وهى الدولة التي ظلت طوال التاريخ تشبهها كل الشبه . فقد

(١) ثيوفراستوس طبعة جب (Jebb) ، ١٩٠٩ ، ص ٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ .

افترض أن القطعة ذات الثلاث « فارذنج » قد ضاعت في غرفة النوم ، كما تدل عليه التفاصيل .  
فان أمثلة ضياع القطعة الفضية ( Luke ، ١٥ - ٨ إلى ١٠ ) .

بنت البندقية بما فيها من أربعين ألف شاب ، قصر القديس مرقس ، وقصر الدوج وغيرهما من آثار عظمتها التي لا تنسى . وكان ذلك من أرباح تجارتها وصناعتها . إذ لم تأخذ كأثينا ، جزية من المدن الواقعة في دائرة نفوذها ، والتي تسيطر عليها ، وتقع على خط واحد يمتد من البحر الإديرياتيک وحول اليونان ، إلى القسطنطينية وآسيا الصغرى وسوريا . وسنرى فيما يلي كم دفعت أثينا : غالباً ، لإخفاقها في أن تعمل المثل ، وذلك لعجزها عن أن تضع عظمتها على أساس التجارة الثابت (١) .

فالمالية اليونانية كانت في الحقيقة مالية محدودة ، وتكاد تكون صيانية في طرقها . فالدول اليونانية لم تتجاوز كثيراً ، مرتبة التليذ الصغير الذي يرى في كل قرش يأتيه خيراً هبط عليه من السماء ، ويصرفه بفرح عظيم دون تفكير في الغد . فأول ، بل أوضح واجب في الإدارة المالية في الدولة الحديثة ، هو عرض الميزانية على البرلمان والموافقة عليها . ولا شأن للميزانية بآلتها كيد ، بالأموال التي دخلت خزائن الدولة ، وصرفت في الماضي ، بل هي تختص بتقدير نفقات السنة القادمة ، وتنضمن تقدير مجموع الدخل المنتظر من كل الموارد . أما البرلمانات اليونانية فلم تعرض عليها ميزانية إطلاقاً . وكل ما كانوا يفعلونه هو مناقشة الموافقة على مبالغ من المال تعرض عليها حينما تدعو الضرورة ، ويقررون في كل حالة من أي باب أتت النقود . وقد يودعون إيراد الدولة خزائنين ، أو ثلاث أو ست خزانات مختلفة ، تديرها لجان مختلفة . وفي ديلوس حيث مكنتنا النقوش من دراسة الإدارة المالية بالتفصيل ، لا تخرج هذه الخزانات عن كونها عدة جرار ، على كل واحدة رقعة مكتوب عليها من أي مصدر جرى بما بها من نقود ، ولأى غرض خصصت . وعلى هذا النحو كانت تصرف الأمور من سنة إلى

(١) التفاصيل في Cambridge Modern History ، الجزء الأول من ٢٥٥ إلى ٢٥٧ ، كتبها هوراشيو براون (Horatio Brown) . إذن فكلام « وورد زورث » لم يكن صحيحاً كل الصحة ، عند ما تحدث عن البندقية كما لو كانت قد « جعلت الشرق العظيم في قبضة يدها » .

أخرى . ولم تبذل أية محاولة لتقدير المصروفات المحتملة سلفاً ، إذ لم يكن هناك أى خبير ، ولا سلطة دائمة للقيام بهذا . وكان الإجراء المعتاد ، هو موازنة مصاريف السنة وإيراداتها ، ثم يوزع الزائد على المواطنين ( إلا إذا كانت الأموال مقدسة ) . وعندما اكتشف في لاوريون عام ٤٨٣ ، مناجم قيمة للفضة ، لاقى نيميستوكليس كثيراً من العناء في إقناع الأثينيين ، بإنشاء أسطول بهذا الدخل ، بدلا من تقسيمه فيما بينهم بقدر عشرة درخمت لكل شخص . أما الاسبرطيون ، فكما هو متوقع ، كانوا لا يزالون أكثر بدائية في أفكارهم . فعندما أغرتهم كورنث بدخول الحرب الكبرى مع أثينا ، وكانت حرباً قدر لها ، أن تستمر زمناً طويلاً ، وأن تحتاج إلى سفن ورجال ، لم يكن عندهم أية موارد ، خاصة كانت أو عامة ، ، لسد هذه التكاليف . فحزانتهم خاوية ، وما من وسيلة للمتها . ولذا أخذوا يتكلمون كلاماً مهماً عن الحصول على مساعدة من خزينة دلف وأولمبيا ، ( هذه المساعدة التي أدركوا تماماً ، أن ليس لديهم الشجاعة الكافية لاستغلالها ) ، وعن تكليف الكورنثيين ببناء السفن اللازمة لهم . أما كورنث فلم تكن غنية إلا على نحو نسبي للغاية . وفي عهد بركليس ، المالى الذى كان يحتفظ دائماً باحتياطي يعمل به ، لم يكن فى أثينا فى أى وقت أكثر من ١٠٠٠٠ تالنت ( ٢ مليون ، ٥٠٠ ألف جنيه ، أى حوالى ١٢ مليون جنيه قوة شرائية ) ، وهو ما بدا لها ثروة محفوظه فى الأكروپول ، لا يهددها فناء . ويجب أن نتذكر أن ذلك لم يكن رأس مال كبير فحسب ، ولكن من المحتمل أنه كان أكثر من ثروات الأهلئ الخاصة كلها مجتمعة . وحين أنفقتها أفلست ، لأنها لم تستطع أن تعقد قرصاً كما تفعل أصغر دولة حديثة ، به تستعين على مواصلة الحياة ، إذ لم يكن قد ظهر بعد المالىون الدوليون (١) .

(١) إن أفيد النصوص عن المالية القديمة هو « اقتصاديات أرسطو » ، الكتاب الثانى ( وقد كتب عليه الآن ريتزلر ( Riezler ) تاليفاً بارعاً فى alten Griechenland ، برلين ، ١٩٠٧ ) . وبعض القصص التى تتحدث عن « مهارة الحصول على المال » ، ترجم بنا كرتنا إلى أيامنا المدرسية . فالتلاميذ لم يجهلوا بيع كتبهم القديمة ، ليشتروا =



كل ذلك يساعد على تذكرنا — وهو ما ينسبنا إياه دائماً الفن والادب اليونانيان ، وتحيلتنا الخداعة أيضاً — بأن الرواد الذين خلقوا حضارتنا الأوربية ، ملك الفقر عليهم حياتهم . وفي كل ما قدموه لنا ، وكل ما أرادوا وحاولوا عمله ، كانوا إنمّا يجاهدون بقوتهم البشرية الضئيلة وحدها ، في سبيل مثالياتهم ، القوى المادية التي لم يستطيعوا السيطرة عليها ، ولا فهمها . فإذا ما اندفعنا نلومهم على ما تركوه دون إنجاز ، فلنذكر الجسارة والمرح والقدرة على الاحتمال ، تلك الصفات التي يتميز بها الفقراء ، والتي مكنتهم من متابعة هذا النضال غير المتكافئ . إذن فليس لنا أن نطالبهم بأكثر من ذلك ، وإلا ففسر دون علينا بما لا يرضينا ، كما فعل الأندريانيون ( Andrians ) القدماء . فعندما حاصر الأثينيون جزيرتهم الصخرية . وطالبوهم بمبالغ كبيرة ، أجاب أهل الجزيرة كما يقول هيرودوت : « لقد كان الأثينيون عن جدارة ، عظام موفقين ، وقد باركتهم وأسبغت عليهم نعماءها آلهة رحيمة . فبما أن أهل جزيرة أندروس ، مهما كانت الأحوال ، فقراء فيما يملكون من أرض ، وقد بلغوا من الفاقة أقصاها ، ولم تغادر جزيرتهم يوماً آلهتان لا خير فيهما ، الفقر والاستحالة ، بل أحببتا السكنى فيها أبداً ، وبذا فإن الأندريانيين ، وهم

== بأنها كتبها جديدة . وقد يعطى هذا مثلاً لكثير من استنتاجات المؤلف ، وهي تعتمد بانثا كيد على « دخول السفينة » . تيمستوكليس : هيرودوت ، ٧ - ١٤٤ ثم Ath. Pol. ، ٧ - ٢٣ . إن اكتشاف منجم مارونيا ( Maronea ) في لاوريون قد غير كل شيء بالنسبة لأثينا . المالية الاسرطية ، توكيديدس ، ١ - ١٤١ ، ١٢١ - ١٣ أنظر أرسطو ، السياسة ، ١٢٧١ ب ١١ : « إنهم لا يملكون نفوداً في خزائهم ، ولا يدفعون الضرائب بسهولة » ، ولم يكن عندهم وزراء المالية . وكانوا يلجأون إلى طرق بدائية صيانة للانصال بموظفهم في الجهات البعيدة . وفيما يتعلق بالبطاقات المدلاة من أذن إلاناء ( إتيكيت ) عند اليونان ، من حيث أنها تقابل عمل الميزانية ، أنظر فرانكوت في ، Les Finances des cités grecques ( ١٩٠٩ ) ، ص ١٣ وما يليها ، التي يبدو أنه لم يظن إلى أن حكومة الولايات المتحدة ، كانت لإتزان وقتئذ تعمل بدون ميزانية . أنظر توكيديدس ، ٦ - ٤٦ - ٣ فيما يخص طبيعة موارد إجستا ( Egesta ) الظاهرة . ويبدو أن كان نظام الملك مينوس في الأزمنة السابقة على ذلك شبيهاً بتلك الحالة . كما يتضح من « المخازن » للسكرشفة تحت الأرض في كنوسوس وفايتوس ، أما توكيديدس فكان ينظر دائماً إلى الثروات العامة والمحاصة معا عندما يحسب الثروة الأهلية ، مثل ٦ - ٣١ - ٥ .

في ظل هاتين الإلهتين ، لن يعطوهم شيئاً . وهذا ما قد يرد به الآثينيون .  
علينا ، إذ كان الفقر ، و الاستحالة ، قدراً لازماً أثينا من البداية إلى النهاية .  
فن عظمة رجالها الخالدة ، رغم كونهم أثقب نظراً من أن يابهاوا بهما ، أنهم  
رفضوا بإباء أن يخضعوا عقلاً وجسداً ، لهذا الاستبداد الدنيء ، الذي  
فرضناه على الجزء الأكبر من بني الإنسان<sup>(١)</sup> .

---

(١) هيودوت ، ٨ - ١١١ تم ٧ - ١٠٢ .

## الفصل الثاني العادات والتقاليد

Οί μὲν γὰρ τῶν τε νόμων σοφώτεροι βούλονται φαίνεσθαι . . . ὡς ἐν ἄλλοις μείζουσιν οὐκ ἂν δηλώσαντες τὴν γνώμην . . . καὶ μὴ ἐν ᾧ ἡ πόλις βραχέα ἤσθεισα μεγάλα ζημιώσεται.

يسعى بعض الرجال دائما إلى أن يكونوا راديكاليين ، في اتجاه خطأ، من ميادين النشاط . دعهم يستعملون عقولهم للوصول إلى غايات أسمى وأبقى ، لا إلى ترضية قصيرة الأمد تدفع فيها الجماعة ثمنا غاليا .

توكيدبس ، ٣ - ٢٧ ، ٤٠ .

كان اليونانيون ، كما رأينا ، أفقر منا بكثير ، كما عاشوا حياة أبعد بساطة من حياتنا . وطبيعي أن يترتب على هذا الاختلاف الأساسي في المحيط المادى ، وفي الامتلاكات ، اختلاف في الفكر والمشاعر والخيال . فالناس الذين يحبون حياة مختلفة ، يفكرون تفكيراً مختلفاً في شؤون الحياة عامة ، وفي أمور المال والاقتصاد خاصة . هذه النقطة الأخيرة ، أى موقف اليونانيين من الشؤون الاقتصادية ، هى التى نريد أن نبهجها . ولنبدأ مناقشتنا هذه المرة مع الفلاسفة لا مع الرجل العادى .

إن المفكرين الحديثين ، كالمفكرين اليونانيين ، مغمومون بتخيل المدن الفاخرة أو الطويريات . . . ولكن المجتمع المثالى الذى يلد لهم أن يصوروه لنا ، يختلف عادة كل الاختلاف ، عن ذلك الذى أولع الخيال اليونانى بتصويره . فهو عالم نظيف مزين ، مرتب ، مليء بكل وسائل الراحة التى يمكن أن يخترعها العلم الحديث . اتخذت فيه أسباب الوقاية من كل الأمراض

المعرض المرء للإصابة بها ، عالم انعدمت فيه المسافات ، قضى فيه على المرض ، أو اتخذت فيه أسباب الوقاية منه ، بحثت فيه أسباب الفقر والعوز ، وعرفت أصولها ، ضمن فيه لكل مواطن عمل دائم ، كما ضمن فيه لكل إنسان حد أدنى من الراحة ، اللهم إلا ان لا يستحق . وما من شيء أكثر يقينا من أن معالم مجتمع كهذا ، لن تسترعى ، مهما كانت ، اهتمام أحد من مفكرى اليونان القدامى ، وأن المواطن اليونانى العادى سيحس القلق ، والحنين إلى الوطن وعدم الارتياح ، إذا ما سكن هذا المجتمع . فلا مرور الزمن ، ولا ازدياد التعود على ما يحيط به ، يمكنانه من أن يلقى ما مثلا أمامه ، ما اعتاده في بيته القديم ، المفتقر إلى التسلية ، أى هذا النوع من السعادة أو الغبطة (εὐδαιμονία) الذى صوره له مفكروه ، على أنه الهدف الذى يجب أن يصبوا الناس إليه في النظام الاجتماعى .

فما سبب هذا الاختلاف في وجهة النظر ؟ كما سنرى ، يرجع هذا على الأقل إلى سبب واحد اقتصادى . وإلى هذا يرجع ابتعادنا قليلا عن مجال البحث الذى اقترحناه الآن . فمفكرينا - إذا ما استعرضناهم - لم يأنوا بمثل أعلى للسعادة يفوق ما نشده اليونانيون القدماء . فهم يذهبون كإفلاطون وأرسطو ، إلى أن هدف رجل السياسة والمفكر السياسى ، هو خاق حالة من الوعى لا وضع تنظيم ، وأن غرضهم الاسمى لا يعنى بالمادة وإنما بالروح . ولكن التغييرات والتعقيدات في الحياة الحديثة أدت إلى مشاكل مادية مهمة عديدة ، حتى أنهم رأوا أنه من الصعوبة قصر اهتمامهم على هذا الغرض الأعلى . فهم على مر الساعات والأيام مضطرين إلى اتخاذ بعض الفروض العملية ، التى ارتأها المشتغلون بالنواحي الاجتماعية في الجيل الماضى غاية قصوى ، وإلى أن يرتضوا العقائد والنظريات التى تيسر حلا للصعوبات الملحة القائمة اليوم ، تاركين المشاكل الأساسية في الحياة الاجتماعية أبعد ما تكون عن الحل . فنحن نعيش في عصر تقدم اقتصادى ليس له مثيل ، فالعلم الطبيعى وكثرة الصناعات ، والنظم التى أدى إليها العلم الطبيعى جذبت ، وهو الأمر الطبيعى الوحيد ، أحسن العقول وأنشطها في عصرنا .

وما زال مفكرونا متأثرين تماماً ، بل حيارى ، بالإمكانات التي وضحت أمامهم ، حتى أنهم لم يسترجعوا بعد ثبات نظرتهم . وهم لم ينجحوا بعد في ترويض تفكيرهم على أن الثروة والتنظيم أيضا غايتين في نفسهما ، وأنه من الممكن لجماعة ما ، أن تزيد من سعادتها ورفاهيتها الحقيقية ، بكل خطوة تخطوها نحو الرخاء المادى والتنظيم .

لقد عاش الفكر اليونانى فى محيط أبسط وأكثُر حرية ، ولم يظنر اليونانيون إلى التعمق المضمئ فى بحث مشكلة بعد أخرى ، من مشكلات التنظيم المادى ، قبل وصولهم إلى مستوى التأمل الاجتماعى الغافى . ولما أرادوا بحث المجتمع الكامل ، أو بالأحرى الحياة المثلى للكائنات البشرية فى المجتمع ، لم يكن عليهم أولاً البت فى مشا كل عملية مثل : هل تدير المدينة شئون الغاز والترام ، أو تديرها جماعات خاصة من المواطنين ، أو ما يجب أن تكون عليه النسبة بين نظام الضرائب المباشرة وغير المباشرة . « فطوبياتهم » ، أى مدنهم الفاضلة ، ما كانت لتعتمد على غاز أو ترام . وبذلك تفادوا ، هم ومفكروهم ، جميع المشاغل التى يتظاهها مثل هذا الترف . فقد استطاعوا أن يضعوا جانباً ، مشا كل النظام المادى الحديث المعروفة ، لعدم تلائمها ، وأن يمحصرُوا كامل انبئامهم فى « أهم الأشياء التى يصادفونها فى الحياة — أى فى نبي الإنسان » . ولذا فقد أطلوا بحث بعض موضوعات مثل : كيف تكفل علاقة صحيحة بين الجنسين ، أو كيف يبلغ الفنان مكانه اللائق به فى المجتمع ، وتأثير المهنة فى أخلاق الشخص ، أو تأثير البيئة والقذوة فى الصغار . وكانوا يناقشون تلك الموضوعات بحكمة أحياناً ، ودون ترو أحياناً أخرى ، ولكن بقوة وإخلاص دائماً . وبما أن المشكلات البشرية هى وحدها التى لا تفقد جدتها أبداً ، فما زال تفكير اليونانيين فى تلك النواحي نافعاً يسترعى انبئامنا . فلم يتناول أفلاطون فى جمهوريته « شيوعية » الأزواج والزوجات ، وناقش بدلا عنها تأميم تجارة أيجينيا ، فن يستطيع القول بأننا كنا سننتفع بهذا التغيير ؟

وبعبارة أدق ، لم يكن هناك طبعاً ما يعرف بمشكلة التنظيم للمادى .  
والمشاكل المختلفة من الغاز والترم ، إلى التعليم وحقوق المرأة ، كلها  
مشاكل بشرية متصلة بالبشر أكثر منها بالأشياء . ولن يكون للفوائد  
والمصروفات أهمية ما ، إذا لم يوجد من يستفيد منها وبها ، ولكن كثيراً  
ما يعمل الناس ، وكأنهم نسوا هذه الحقيقة الأولية كل النسيان . فلماذا  
يكون ذلك ؟

وهنا نصل إلى مشكلة أخرى من خصائص العصر الحديث ، أعنى منها  
المفكرون اليونانيون . وتلك هى اتساع العالم الحديث فى مقاييسه ومداه ،  
وانساع المجال الذى يحول فيه رجال الفكر الحديثين . فما بدأ لأفلاطون  
وأرسطو من مشاكل حياة المدينة ، المحصورة بين الأسوار التى عاشوا فيها ،  
انتقل الآن إلى محيط أوسع وأعمق بالنسبة للمفكرين الحديثين ، هو محيط  
القومية والدولية . وبمعنى آخر أن هذه المشكلات لم تزد وتوسع فقط ، بل  
أنها بهذا قد تغيرت فى خصائصها وميزانها . فقد فقدت لونها ووضوحها  
الأول ، وغدت غامضة مهمة مجهولة .

وهذا الغموض الذى اكتنف العالم ، الذى اضطرت أن تجول فيه أفكارهم ،  
هو الذى أغرى المفكرين السياسيين فى العصر الحديث ، أن يقفوا درجة  
دون الحقيقة . ليفكروا فى كنه الأشياء ، بدلا من أن يعودوا بالمشكلة إلى الورا ،  
يفكروا فى شئون بنى الانسان . فعندما يناقش مدير التعليم مثلا أمور  
التربية ، يميل إلى أن يتجه بتفكيره إلى الأدراج والسبورات ، والأجهزة والمباني  
الحديثة ، ومهابا المدرسين ، أكثر من الاتجاه إلى الأطفال والمدرسين .  
أو هو يفكر فى الأطفال والمدرسين ، لامن حيث هم أفراد أحياء ، بل من  
حيث هم جمع من المواد الأدمية ، أو كأنهم د حالات ، مدونة فى صفحات  
المفكرة اليومية ، أو كأنهم مجاميع حسابية . ولم يكن اليونانيون ، على هذا  
النحو ، فى خطر من انقطاع صلتهم بدنيا الأحياء . فنناقشاتهم الاجتماعية لم تتجاوز  
مطلقا الحدود الطبيعية لمشاعرهم وعواطفهم . لقد كانت دائما متجددة ، وحية

وشخصية ، يحوطها أبدا الشعور بالحقيقة ، الذى ينبع من علاقة وثيقة ظاهرة بين العقل ومادة تفكيره .

وقد آن لنا أن نستنتج ما هدف إليه هذا الاستطراد . فهذا الاختلاف فى كيفية تفكير اليونانيين وتفكيرنا الحديث ، لا يعزى إلى مجرد عمق نظرة المفكرين اليونان ، ولا إلى أفضلية الجمهور الذى خاطبوه ، وكتبوا له ، إنما يرجع جزئياً ، إن لم يكن جوهرياً إلى حالة المجتمع الذى عاشوا فيه ، وإلى ظروف الحياة اليومية التى مسكنت الفكر اليونانى من تناول مشكلات البشر بحرية ، وعلى نحو طبيعى . فغذاء الفكر اليونانى كان على النقيض التام لغذائنا . فقد علتنا ظروفنا الأذى فى أى انقلاب فى الوسائل الاقتصادية ، والنظام الاقتصادى ، أمراً بعيداً عن التصديق ، فعقولنا تفكر بانطلاق فى احتمالات كانت تبدو لفلاسفة الأكاديمية على أنها إسراف زائد ، أما أمام الوسائل السياسية — الاجتماعية ، فيقتصر دونها تفكيرنا ، . فحين حلق المفكرون اليونانيون بخيالهم فيما يخص الرجل والمرأة ، لم يسعهم إلا أن يثبتوا أقدامهم فى الأرض اليونانية الصالحة . وبينما تبدو لنا اسبرطة ، وما توحى به من انقلاب فى الحياة البشرية والعادات ، أمراً بعيداً عن التصديق ، حتى رغم شواهد التاريخ ، فإن د تحرك سيارة فى الأجورا ، ، هو ما كان ليبدو بعيداً عن تصور الرجال ، الذين فكروا بجرأة فى شيوعية الزوجات والأطفال . يكاد يستحيل علينا أن نعود بخيالنا ، لتتصور ما كان عليه العالم اليونانى القديم ، هذا العالم الذى انقضى إلى الأبد ، من هدوء غريب ومحافظة ، لتصور مجتمعاً متحضراً خلا تماماً ، بما فى عالمنا اليوم من توتر وسرعة وتعقيد ، وتغير مستمر ، وتقدم ، . ومع ذلك فهذا هو ما يجب علينا ، إذا أردنا أن نضع أنفسنا فى موضع يبسر لنا فهم الأسس الاقتصادية للجماعة اليونانية . يجب أن نرجع إلى ما قبل الانقلاب الصناعى ، الذى غير حياة الناس العاديين اليومية تغييراً أعمق من أى تغيير وقع فى التاريخ ، إلى ما قبل الإنتاج على نطاق واسع ، وما قبل ظهور الآلات ، وتزايد المخترعات والعمليات الحديثة ،

إلى عالم منعزل مستقر ، لم تعرف فيه المنافسة ولا البطالة بعد ، حيث لا يعمل إنسان ما ، وهو خائف قلق على أجره أو مرتبه ، إلا نادراً ، حيث تنحدر الحياة من جيل إلى جيل ، ومن قرن إلى قرن ، دون ما تغيير واضح ، أو رغبة ظاهرة في التغيير . فالنساء اللواتي راقبهن المسيح يدرن الطواحين في الناصرة ، كن خليفات عائلات أخرى لا حصر لها ، وسلالات عديدة من نساء منهوكات القوى قن بنفس العمل دون كلمة تذمر ، أو أمل في الخلاص . وإن بنتاً ذكية في مصانع لنكشير ( بفرض أنها متأكدة من دوام عملها ) ، لن تتحمل مثل هذه الحياة يوماً واحداً ، دون أن توجه ذكاهها إلى التفكير في تدبير وسيلة توفر عليها كثيراً من عناء العمل . ولكن أثنى القرن الخامس ذا الروح العالية ، المستعد لتقد كل شيء بشرياً كان أو مقدساً ، جدف بذلك المجداف الخشن في سفينة دولته ، دون أن يفكر في نقد أو حتى إصلاح (١) .

(١) إزأدين بكثير مما ذكرت في هذه الصفحة إلى ولز ( Wells ) في ( A Modern Utopia ، ص ٩٨ ، الذي كتب أسعى الطوباويات في العصر الحالي ، لأنه أطلق لقبه العنان في تنأج الآلات في كتاباته الأولى . والواقع أن رجل القرن العشرين قد انتهى تأثره بأحلام التقدم الآلى . فيجب أن نذهب إلى الهند أو تركيا أو بلاد مراكش انرى الناس يرفون الجرافون والسبنا ويقدرونها تماماً . وسيطرة العالم على الهواء أصبحت أمراً لا يستنير العجب ، بينما الحوادث البشرية ، مثل موت إحدى الشخصيات المعروفة ، أو لحظة خطر قومي ، لا تزال تثير الشعوب العام إثارة عنيفة ، كما كانت تثيره في القديم ، والسبب في ذلك لا يرجع إلى أن خيالنا قد جرد ، وصار لا يتأثر كما ينبغي ، ولكننا نعرف حق المعرفة ، أن هذه الاختراعات ليست لها كبير أثر في حياتنا ، وكل اختراع منها أقل أثراً من سابقه . «الخطوة الأولى» في هذه النواحي ، هي التي لها تأثيرها . فثلاً أول مصباح زبني أضاء الظلام ، لأكبر أثراً من أحدث مصباح كهربائي . كذلك البريد الحكومي الأول البطني غير المنتظم ، أكبر أثراً من طابع البريد ذي القرش الواحد ، أو التليفون الرخيص . وأول مركب تجارى ذو الجلبة ، لأكبر أثراً من المراكب التجارية ذات المحركات ، أو المناطيد . وقد كان جيمس وات وجورج ستيفنسن ( Stephenson ) مخترعين أعظم من بولمان ( Paulhan ) وبليربوت ( Blériot ) ، كما كان بروميثيوس ( Prometheus ) أعظم من ستيفنسن وات . أنظر الفصل المتع عن « Le Nivellement des Jouissances » ، الذى كتبه d' Avenel في مؤلفه « Découvertes d'histoire sociale ، باريس ، ١٩١٠ ، ص ١٢٠٠ — ١٩١٠ . وقد حال جراهام والاس تلك المسألة على نحو حاسم في كتابه « The Great Society : a psychological analysis ، لندن ، ١٩١٤ .



وعلى هذا يجب أن نعود أنفسنا ، على الحياة في بيئة مختلفة ، وحسب مقاييس مختلفة ، ويجب أن نتخذ شعارنا الاقتصادي لا التقدم ، وإنما الاستمرار ، ويجب أن نتبع العادة والعرف ، لا المادة ، إذا كنا منتجين وتجاراً . ويجب أن نذكر أن مدينتنا عاشت قروناً في نوع خاص من العزلة عزيز ، وذلك منذ الأيام الأولى لهجرات ما قبل التاريخ ، حتى أنها تعلمت منذ ذلك الوقت أن تفخر بأنها تكفي نفسها بنفسها ، وأن تقوم على حاجات نفسها الخاصة ، أو تسد مطالبها من الترف ، وأن تعمل كل شيء على طريقها الخاصة ، فلها طرقها في تشكيل أواني الفخار وتلوينها ، وزينها في الملابس والأحذية ، ولها ما كولاتها ومشروباتها التقليدية ، ومدرستها الخاصة في الفن والصناعة ، كما لها لهجتها الخاصة وأسلوبها في كتابتها ، ولها آلهتها ونظمها أيضاً . وفي الواقع ، هي في نفسها عالم صغير . فإذا أردت الاتجار معها ، فلا تأتي لها ببيضة العالم الكبير ، وتنتظر منها أن ترحب بها ، بل اجتهد أن تراعى مزاجها الخاص ، وترى ذوقها التقليدي . وكان يرى التاجر في تركيا اليوم ، حيث بدأت تنهار حدود العزلة القديمة ، من مدينتين مثابيتين ، فدمشق عالم بعيد كل البعد عن حلب ، وسمسون تبان طرابزون ، فكذلك أثينا وطيبة ، أرجوس وكورنث ، كلها لها ذوقها ونظمها ، تتغير وتتجدد ، أو تظل على قدمها حسب تاريخها وتقاليدها . حتى أسبرطة الجامدة . كان لها أوانها ، وأحذيتها ، وحساؤها الأسود الخاص بها (١) .

---

(١) إن الحرف السمي بالحرف القوريناى Cyrenaic أصبح يعرف الآن ، باسم الفخار اللاكونى ، من الحمائر التي قامت بها المدرسة البريطانية . ومن أغرب الأمثلة على روح المحافظة عند اليونان في الأشياء الصغيرة ، ما زال ملاحظته ممكناً على مدخل البروبيليا ، فقوام كتف الباب كانت حسب التقاليد تصنع من الحشب ، فكان يجب أن تظل تصنع من هذه المادة القديمة ، حتى في المباني الرخامية ، وكان يقطع الرخام ليخلى مكاناً محله للخشب . وحيث قصد الفن للفن نجد اليونان يشجعون واهبهم للعمل ، وليس لغير ذلك . فعمدنا تنوير الأساليب الفنية بتغير الظروف : فالسفر بالقطار دفع كتابنا إلى إصدار المجلدات ، وكتابة الفصص القصيرة . أما في اليونان فقد كانت تتغير بتغير المحيط الروحي : فإ يقوله أيسخيلوس وسوفوكليس ، هو الذى يغير طابع الكورس . وهذا يجعل أساليب الفن اليونانى ، رغم =

ولكن من المؤكد أن الناس في مدينتنا اليونانية كانوا بشراً مثلنا ،  
معرضة لنفس المشاعر البشرية والضعف الإنساني؟ ومن المؤكد كذلك أن  
جرى دم الرجل الاقتصادي ، في عروقهم حقاً ، وأنهم ككل الرجال  
الأذكياء اليوم ، رغبوا في أن يكونوا أغنياء؟

هذه هي الناحية التي فيها اختلف عنا اليونانيون القدماء اختلافاً واضحاً  
كبيراً ، أو بالأحرى عن تعريف بعض زعماء القرن التاسع عشر للرجل  
الحديث . إن اليونانيين القدماء لم يرغبوا في الثروة لذاتها . فقد كانوا أحكم  
وأكثر اتزاناً من أن يضمنوا رغبة كهذه ، وشعورهم بالاتساق والتناسب  
هو إحدى الحقائق المهمة عن حياتهم ، التي تجلت مراراً في فهم وسلوكهم  
ونظمهم . فقد تفلبوا على شهوة الأطفال المتوحشين ، أي على شهوة الطمع ،  
وما أرادوا الثروة ، إلا إذا ما اعتقدوا أنها ضرورة للحياة وللسعادة  
الاجتماعية . وقد أدركوا ، وهو ما زالت تدركه بعض الشعوب الشرقية الآن ،  
أن ما قيمته قرش من الراحة يساوي قرشاً تماماً ، فلا يستحق الحصول على  
هذا ، صرف ما قيمته قرشان أو أكثر ، من التلق أو من الجهود . لقد كان  
لهم من الفطنة ما يميزون به ، إلى أي حد ترتبط قيمة الثروة بأهمية السعادة .  
فأعنى الرجال ليس أسعد من هذا الذي لا يملك إلا ما يكفي قوت يومه ،  
إلا إذا وانه الحظ الحسن ، ولازمه حتى الموت فيختم حياته سعيداً . فكثير  
من الذين يرتعون في الثروة نعسون ، على حين أن كثيرين ممن ليس عندهم  
إلا ما يكفيهم سعاداء . والذي يرفل في الثراء ومع ذلك ليس سعيداً يفوق

---

== جردما الظاهري وتمسكها بالتقاليد ، طبيعية للغاية ، بينما تبدو أساليبنا الفنية ، رغم حريقنا  
في الاختيار مصطنعة وغير مرضية ، لأن إنتاجنا مقيد بقواعد العرض والطلب ، ونحن على  
استعداد أن نجعل كل شيء وفقاً للعتصيات ، ولذا فأقل ما يبدو صادراً عن أنفسنا حقيقة .  
ونجانبى الصراع بين العادة والمودة ، في مظاهره المختلفة ، أنظر الفصل السابع من كتاب  
تارد *Les Lois de L'Imitation* . وكثير من الانجليز ممن لهم خبرة بالأميرين ، يرون في  
« مدرستهم العامة » مهبط المادة ، وفي جامعاتهم منبع التجديد . وإن أردت زيادة في التفاصيل  
أنظر ص ١٥٤ وما بعدها من كتاب جلوتز ، *Travail* .

الأخر في شئنين فقط ، بينما الآخر يفوقه في أشياء كثيرة . . . إذ هو يتمتع بكامل حرته في تحريك أعضائه ، ثم هو خلو من الأمراض ، وجانبه سوء الحظ ، وقد وهبه الله نعمة الأطفال الجمال ، والجسم الرشيق . وإن أضف إلى كل هذا نهاية سعيدة لحياته ، فهذا هو الرجل الذي نبهت عنه ، ويمكن أن يسمى سعيداً عن حق . . . وهكذا طبقةً للثقاليذ اليونانية ، وجه الحكيم إلى صاحب الملايين كليات لم تكن لتنسى . لقد اجتهد اليوناني القديم في أن يكون مخلصاً لمذهب سولون . وإذا ما حكمتنا عليه وفق أحد أسس المقارنة الحديثة لكان مخلصاً حقاً . فالذي دفع بهم إلى النشاط الاقتصادي ، وإلى التطور الذي علمينا أن نتبعه ، ليس مجرد طمعنا الأخرق في المزيد ، وليس نوعاً من الشره المملح الذي يخاف تماماً بعضاً من أعمق غرائزهم ، ولكنه الاعتقاد الراسخ بأنهم إنما يطلبون الثروة لأغراض حضارتهم . وبعبارة أخرى إن الحضارة التي لا تأبه باليخوت ولا السيارات ، وإنما تعنى جماعة مثقفة مهذبة متعددة النواحي ، محبة للعمل ، هذه الحضارة تتطلب مالا ، والمال لا ينال دون نشاط اقتصادي . وهكذا هناك حد في نمو كل جماعة ناشئة ، عندما تدفعها حاجتها ، مهما كان ذلك رغم إزادتها ، إلى مجال البحث عن المال بكل ما فيه من مغريات ، نحو مقاييس خاطئة في الحياة . هذا ما حدث لليونان ، وخاصة أثينا وهي في أوج عظمتها . ولكن يحسن بنا أن نتذكر ، عندما نحس ميلاً إلى لومها على طريقها غير المستقيمة ، أن نتذكر أغراضها السامية التي من أجلها سعت وراء المال ، وتلك المحافظة الهادئة المتناسقة ، التي امتاز بها عالم التفكير السامي ، والحياة البسيطة التي كانت أثينا على وشك الخروج منها . وليس لنا مع ما نحن فيه من وسائل الترفيه الحديثة ، ومع دوافعنا التي تدفعنا إلى العمل ، أن نكون القاذفين بأول حجر<sup>(١)</sup> .

(١) هيرودوت ، ١ - ٣٢ ( سولون وكريسوس ) . هناك دليل على مستوى السعادة بين اليونان ، وهو ندرة الانتحار . فالإيونانيون يقولون أنهم فقط ، عندما يموتون أنهم ارتكبوا فضيحة عامة مثل أجاكس أو فايدرا ، أنظر توكيديدس ، ٢ - ٩٢ - ٣ . وفي ذلك أنظر Westermarck في مؤلفه ، *The Origin and Development of Moral Ideas* . الجزء الثاني ، ص ٢٤٧ وما بعدها .

## الفصل الثالث

### المدينة الناشئة : فلاحه الأرض

Τὸ δὲ πλεῖστον γένος τῶν ἀνθρώπων ἀπὸ τῆς γῆς ζῆ καὶ τῶν ἡμέρων καρπῶν.

إن معظم الناس يعتمدون في معاشهم على الأرض والمزروعات .  
أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٦ .

وهنا نعود إلى بحثنا ، أي الرجل الأثيني في القرن الخامس ، من حيث هو كاسب مال ، ورب بيت . وأيضا إلى بحث حالة أثينا الاقتصادية ، أو شئون تدير بيتها في القرن الخامس . والذي يجب أن نسأل عنه هو ، أولا ، كيف كان يعيش الأثيني في القرن الخامس كقرود ؟ وثانيا ، كيف سدت الحكومة الأثينية حاجة نفسها ؟ وما هي الأسس الاقتصادية لحضارتها وأعمالها ؟

من السهل أن نوجه هذه الأسئلة ، ولكن الإجابة عنها ليست بهذه السهولة . فكما أنه من أجل أن نفهم السياسة التي جاءت في «المرثية» ، كان علينا الرجوع إلى الأسس السياسية للجماعة اليونانية ، مقيمين المدينة على القبيلة ، والإمبراطورية على المدينة . كذلك لكي نفهم اقتصاديات أثينا عند ابتداء الحرب البيلوبونيزية ، يجب أن نرجع إلى الأسس الاقتصادية التي قامت عليها الجماعة اليونانية ، إلى أصل وتطور «الدولة المدينة» ، وإلى مواطنيها العاديين المتواضعين العاملين ، فبذلك نبني اقتصاديات الإمبراطورية الأثينية - طبقة طبقة .

لنرجع إذن مرة أخرى إلى الوراء ، مسترشدين بتوكيديديس ، إلى بداية

الجماعة اليونانية ، إلى الأيام السابقة على استقرار اليونانيين ، على نظام الحياة في الدولة المدينة ، . فسرى هنا في اقتصادياتهم ، بعض العناصر التي ظلت ثابتة ومستقرة ، وأخرى استطاعوا بتقدم الحضارة أن يتخلصوا منها ، أو يهذبوها ، ولكن جميعها كما سئرى ، ستثبت أن لها أهمية في بحثنا .

ترك لنا توكيديدس في أولى صفحات كتابه ، صورة تصورية حية عن حياة اليونانيين القدماء الاقتصادية ، عندما كانوا في قراهم المتناثرة ، عقب تلك الفوضى التي أحدثتها الهجرات الكبرى فيقول ، من الواضح أنه لم يكن للدولة التي تسمى الآن هيلاس ، سكان مستقرون في العصور القديمة ، بل على العكس كانت الهجرة كثيرة الحدوث ، إذ أن القبائل المتعددة كانت تنخلى عن موطنها ، تحت ضغط تفوق المهاجرين في العدد . ولما كانوا بلا تجارة أو مواصلات مأمونة ، سواء في البحر أو في البر ، ولا يزرعون من أراضهم أكثر مما يمك رمقهم ، يعوزهم رأس المال ، لم يزرعوا أراضهم فاكهة قط ( لأنهم لم يدروا متى يهاجمهم غازى ، فيستولى عليها كلها ، وإن هو جاء فليس عندهم أسوار تصده عنهم ) ، فلم يفكروا في تغيير مساكنهم إلا قليلا ، وعلى ذلك لم يبنوا مدنا كبيرة ، ولم يبلغوا أى نوع آخر من العظمة ، .

وقليل للغاية هنا ، ما يشبه ما كان عليه المجتمع الأثيني في عهد بركليس . إنها الحياة اليونانية في أبسط مظاهرها . فلم يكن هناك تجارة ولا سياحة ، ولا كروم أو زيتون ، ولا أمن ولا حتى أعمال حربية منظمة ، من حصن ثابت مستقر . ومع ذلك فظاهر هنا عامل واحد . وهو أن هؤلاء الناس أقاموا حياتهم ، إلى الفدر الذي استطاعوا ، على زراعة الأرض ، ولم يعتمدوا فيها على النهب إطلاقا . لقد عاشوا على الزراعة .

هذه هي الحقيقة الوحيدة الدائمة في الاقتصاد اليونانى ، من أيامهم الأولى إلى القرن الخامس ، ولذا كان من الضروري أن نبدأ بها هنا هذا البحث ، رغم عدم التسلسل التاريخي . لقد كان هناك طرق عديدة من الممكن أن يقيم

اليوناني حياته عليها ، وإنما طريقة واحدة هي التي بدت بشكل عام ، طبيعية وتقليدية ، هي زراعة الأرض .

أجمع الكتاب اليونانيون الذين تناولوا بالبحث مشكلة المعيشة ( إذ على الرغم مما يقال غالباً ، فقد أخرجت اليونان اقتصاديين ، ) على هذا الأمر . فكلهم ( أى الكتاب ) ينصحون باحتراف الزراعة . وكما يقول إجزينوفون في مديحه الرائع لحياة الفلاح ، مامن عمل غيره ، يملأ مخازن الأسرة ، ويجمع في نفس الوقت ، بين كونه ساراً وصحياً ، وجدير بالرجل الحر . ويقول أفلاطون ، إن الزراعة فن طبيعي أكثر من فن السياسة ذاته لأنها تتعاون مع الطبيعة ، ، مثل الطب والتمرينات البدنية . ويعتبر أرسطو ( دون مراعاة لحياة المراعى أو الغابات ، أوفوردات الشواطئ ) الزراعة ، على النحو المتبعة عليه في اليونان ، الحياة الطبيعية لسكل البشر . ومهما يكن من شيء ، فقد كانت المهنة الحقة المناسبة لرب الأسرة اليونانية . فنذ أن استقر أجداده من قرون خلت ، في سهولهم ووديانهم الصغيرة المقفلة ، وانتقلوا تدريجياً - كما يصف لنا توكيديدس - من الحالة القديمة الشبيهة بحياة البدو ، إلى أوضاع كلها استقرار وثبات ، تعود هذا اليوناني أن يعد نفسه أو لا عضواً في القبيلة أو الأخوة ، ثم أباً لأسرة واحدة ، مرتبطة بقطعة محدودة من الأرض ، يستمد منها وسائل حياته . فالحضارة اليونانية على وجه ما ، حضارة مدن ، إلا أن أساسها زراعي . لقد كانت نسمات الأراضي الزراعية المسكشوفة تهب على البرلمان والسوق العامة . إن التقاليد الزراعية ، هي أقوى وأثبت قوة في الاقتصاد الاجتماعي اليوناني الموروث<sup>(١)</sup> .

ومن الضروري أن نبرز هذا ، حتى نفهم ، إلى أي حد اختلفت أحوالهم الاقتصادية ، اختلافاً أساسياً عنا . إن زراعتنا وفلاحينا في أعمالهم اليومية وعاداتهم في تدبير منازلهم ، هم أقدر من يلمس حياة اليوناني القديم ، لاعلمناؤنا المعنيون

(١) إجزينوفون : Dec ، ٥ ، ثم أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٦ ، ٣٨ ، وأفلاطون :

القوانين ، ٨٨٩ ، وانظر أيضاً ٧٤٣ ، ثم هيرود ، Erga ، ٦٨٣ .

في أبراجهم العاجية ، بدراسة اليونان ، ولا سكان مدنتنا . واليوناني القديم ليس هنا مجرد يوناني الأيام القلقة الأولى ، ولا يوناني العصور الوسطى الهادئة ، إنما هو المواطن اليقظ المخاطر ، الذي عاش في أثينا في القرن الخامس د ولأوضح ما أعنى باقتباسين منفصلين كل الانفصال . كل يذكر الفقرة من ( الأوديسة ، حيث يصف هومر تأسيس مدينة الفوكيين : إنهم يبداون بإقامة أسوار المدينة ، ثم يقسمون الأرض فيما بينهم . وبعد ذلك بقرون عديدة ، نجد أحد الأشخاص في الكوميديا الأتيكية ، يشرح المطالب العامة ، فيسأل عن آخر الأنباء ، ويقول هل هناك تقسيم أرض في مستعمرة ما ؟ إنها دائما هذه الفكرة ، فكرة تملك الأرض ! إن آلاف الأشياء تغيرت منذ هومر ، ولكن حب اليونانيين للأرض ظل باقياً كما هو . فاذهب اليوم إلى جبال الأردنز ( Ardennes ) وتوغل فيها ، تجد بعضاً من أبناء الأرض هؤلاء ، لا يزالون هناك . وستلقى الفلاح على النمط القديم ، جاهلاً كالمعتاد بكل ما يتصل بالتجارة والصناعة . وهو أرسقراطي ومحافظ على طريقتة الخاصة ، يحتج على كل جديد ، مزيدا سنة بعد سنة تراث أجداده . إن الأثيني الذي عاش منذ ألفي عام ليفهمه تماما . أما اليوم فما هو إلا آخر من بقي من جنس انقرض<sup>(١)</sup> .

لأول وهلة يبدو لنا الكاتب البلجيكي مغالياً ، فإذا ما أنعمنا النظر رأينا حكمه صادقا . إذ يجب ألا نأخذ الزراعة كما يمارسها اليوم المهاجرون غير المستقرين حول « ونيج » ، في هذه الأيام ، أيام توفر الآلات والنظام ، ولا حتى كما يمارسها الفلاحون اليوم ، أو زارعو الخضر والبقول في بلادنا ، بل يجب أن نأخذها بالشكل الذي كانت عليه من سنين قلائل مضت ، حينما كانت أكثر المهن الاقتصادية استقراراً ومحافظاً ، فالتاجر والصانع يعتمدان على حدقهما وجرأتهما ، ويمكنهما أن يحولا ويغيرا ما يتناولان .

(١) فرانكوت ، L'Industrie dans La Grèce antique ( بروكسل ١٩٠١ ) ،

الجزء الثاني ، ص ٥٣ .

( م ١٨ — الحياة اليونانية )

تأما الراعي والمزارع فينتظران رحمة الطبيعة ، ولا يتطلعان إلى تحسين الوسائل ، بل إلى الجوامع المناسب ، والآلهة الرؤوفة ، فقد تعلموا الصبر والتأمل ، والرضى عن اليوم القليل الإنتاج . وهم حصن العادات والتقاليد في كل أمة . ولما كان اليونانيون ، رعاة وزراعا حسب التقاليد ، فقد نشأوا محافظين .

وتم سبب آخر لصعوبة فهمنا الفلاح اليوناني ، إذا نظرنا إليه بوصفنا إقتصاديين . إنه لا يريد أن يصبح غنياً . فهو يعمل في الأرض ليقوم بأود نفسه ومن أجل مدينته ، لا أملا في أجر عال ، أو ثروة عظيمة . لقد كان هدفه تموين منزله وإعالة أهله ، وإذا اقتضت الضرورة فإنه يعمل أيضاً على مد الجماعة بالثروة ، فما من فكرة عنده عن جمع المال . والثروات الزراعية الكبيرة المعروفة عندنا من القرن الثامن عشر لم تعرفها اليونان ، أو إذا لم تكن تجهلها تماما ، فقد كانت أمراً شاذاً يمتوتنا ، حتى أنه ليخرج عن حدود الصورة العامة المألوفة . فإذا ما ملك أحد المواطنين جزءاً من أرض الجماعة ، يبدو أنه أكبر مما ينبغي ، ضج الرأي العام في السوق العامة بالشكوى ، مطالباً بوجوب نزع هذا الجزء منه وإعادة تقسيمه . أما إذا أترى تاجر أو صانع ، فلا يشكو من ذلك أحد ، بل قد لا يحس به أحد . وعلى أية حال فلا يبدو ثراؤه أنه يفقر غيره من الناس . ففي المدينة الصغيرة حيث الأرض محدودة المساحة بشكل ظاهر ، فإن كل زيادة في أرض المالك الكبير ، تبدو بوضوح أنها تعني نقصاً من الصغار . ولذا كان الفلاح اليوناني محقاً كل الحق ، سواء من ناحية التقاليد أو السياسة ، في أن ينصرف عن أحلام الطموح إلى الثراء ، إلى تنمية نواحي غيرها في طبيعته . فنزله اللطيف ومباني حقله القديمة ، وآلهة الحقول والينابيع القريبة المألوفة ، كل هذا إلى جانب الصفوف المنتظمة من أشجار الزيتون المعقدة ، التي زرعها أجداده ، تأتمت به أكثر من الثروات التي قد يجلبها أخوه العالمي الصغير إلى البلاد ، من البحار الغربية . فهدفه الفلسفي ( مهما تضاملاً إدراكه له ) هو أن



تتكون طبيعته منسجمة، وكل جزءه في كيانه يتعاون مع الآخر على الخير<sup>(١)</sup>.

كيف كان يحصل اليوناني على ما يحتاجه في معيشته من الأرض؟

في ظل الدولة المدينة المستقرة، كانت له ثلاثة مصادر للحياة: الرعي والزراعة والفواكه. وقد سبق أن تكلمنا عن الراعي. لقد جمعت حياته في وقت واحد بين شدة المحافظة ووفرة الانسجام، لأنها إنما كانت حياة أجداده الأول، كما كانت بعيدة كل البعد عن تأثير المدينة ومصالحها. فلم يربطه، وهو في مراعيه المرتفعة، بعالم المدينة من تحته، إلا رباط اقتصادي صغير، إذ لم يكن لديه ما يكفيه من الطعام إلا إذا ملأ مخزنه من السهول. فرعاة الماعز لا يمكنهم الاعتماد على ما تنتجه ماعزهم وحده، وهو ما يبدو ممكناً في المراعي حيث ترعى الخيل، لقد احتاج الراعي وأسرتة إلى الخبز، كذلك إلى اللبن والجبن. وهذا هو الذي حال بينهم وبين أن يكونوا رحلاً كماخوانهم السيثيين القاطنين إلى الشمال منهم. فإذا ما اضطرت الأمور نزلوا عن أراضيهم المرتفعة وسرقوا ما يلزمهم. أما إذا كانت دولة المدينة قوية مهيبة الجانب، فإنهم يتعلمون أن يبادلوا بمنتجات الألبان، التي كانت تزداد حاجة سكان المدينة إليها بتزايد عددهم. وحتى بعد أن اندمج الراعي على هذا النحو في اقتصاديات الدولة المدينة، فقد ظل باقياً على حياته المنعزلة، أي أقدم أسلوب للحياة، وهي أيضاً كما يقول أرسطو أكسل حياة (عرفها اليونان) لأن الرعاة يجنون رزقهم من الحيوانات الأليفة دون تعب، وبما أنه كان على قطعانهم التجول من مكان إلى مكان بحثاً عن المرعى، فقد كانوا مضطرين إلى تتبعها، وكانهم يوالون مزرعة متنقلة، ولا شك أن الرعاة اليونانيين، سواء أ كانوا عبيداً أم مواطنين، كانوا صريحين مجاملين كما هم الآن، كما كانوا كذلك يتطلعون بشوق، إلى معرفة آخر أنباء المدينة.

(١) انظر إيشان مولر، *Griechische Privataltertümer*، ص ٢٣٦، بشأن تقدم

الزراعيين الأثينيين في القرن الخامس، هذا التقدم الذي يرجع إلى زيادة عدد سكان أتيكا. ومع ذلك لم تتكون ثروات زراعية كبيرة.

فرعاة ، أوديب الملك ، الذين عرفهم تماماً كرسل في روايات أخرى ،  
لا زالوا يبادرون بالكلام المسافرين الحديثين بتلك الصراحة والاحترام ،  
وهو ما يعتبره الرجل الإنجليزي غالباً ، مجرد موقف من المواقف التمثيلية .  
ولكن كثرتهم وهم الذين يقضون شهور الصيف على مراعي الجبل المرتفعة ،  
كانوا بعيدين عن دائرة الحياة في المدينة ، حتى أنهم ظلوا بعيدين عن التطور  
الاقتصادي الذي نحن بصدده ، بل لم يتأثروا به . فعندما تقوم الحرب فقط ،  
وتغدو مراعي الحدود غير مأمونة ، عندئذ ينزلون إلى السهل وينضمون إلى  
صفوف زملائهم كجنود مدنيين ، إذا جاز تسميتهم كذلك (١) .

أما الفواكه والفلاحة ، أي البستان والحقل ، فترتبط بعضها ببعض  
ويعنى بها عائلة واحدة ممثلة في مالكمها . وعلى قدر ما وصل إليه علمنا ، فإن  
الفلاحة قد سادت كل مكان ، إذ قضت التقاليد بضرورة أن تمون كل دولة  
نفسها بالحبوب . حتى حيث بدا ذلك مستحيلاً ، وذلك لتزايد السكان ، كما  
في أتيكا في القرن الخامس ، فمن المحتمل أن زاد محصول القمح عن الزيت .  
وعلى أية حال فإن سكان القرية ، لم يشتروا من المدينة إلا القليل من الطعام .  
ومن المحتمل على الأقل ، أن كان ثلث القمح المستهلك في أتيكا في عهد بركليس  
من مزروعات أتيكا نفسها . ورغم انشغالهم بنواحي أخرى مهمة ، فقد كانت  
أرض أتيكا ، أكثر الأراضى اليونانية مواتية . والذين يعرفون ماهي عليه-

(١) ص ٤٣-٤٤ فيما سبق . إنهم كانوا يعملون في أتيكا كجنود في فرق الأسلحة الخفيفة ،  
لا كجنديين . وبخصوص خطاب ما زال موجوداً ( ربما يكون من أحد الرعاة ) أنظر ص ٢٨٤-  
٢٨٥ فيما يلي ، ثم انظر مايرز ، Greek Lands ، ص ٢٦ . أما فيما يتعلق باعتماد الجبلين  
على سكان الوديان اقتصادياً ، فانظر إجزينوفون . Hell. ، ٦ -- ١ -- ٩ وهي فقرة هامة :  
« بما أن تساليا أرض منبسطة تماماً ، فإن كل القبائل التي حولها (أي التي على الجبال) ، تخضع لها .  
عندما تقوم فيها حكومة قوية ، وكامهم تقريباً من حملة الزاريق » . إن ارتباط الأفكار هنا  
لا يبدو واضحاً لأول وهله للقارىء من أهل الشمال . فالمراد يريد أن يقول ، إنه نظراً لأن  
تساليا سهل منبسط جداً ، أي غير ملائمة لتكتيك حرب العصابات ، ورمي الزاريق . الخ .  
وإن الأمن مستتب تماماً بها ، فلا يمكن للجبلين إذن أن يسرقوا طعامهم ، ولا بد لهم من أن  
يقاضوا به ، أي أنهم يجب أن يعترفوا بسيطرة حكومة الأرض الواظفة .

الآن من جذب ، سيقدرون ما بذله الفلاحون الاثينيون في زراعتها ،  
ورغم كثرة ما كان لديهم من أمور أخرى تتطلب عملاً وتفكيراً (١) .

لمن كانت الأرض ، وبأى التزام كانوا يحصلون عليها ؟

في الدول اليونانية العادية ، كانت كل الأراضى تقريباً في أيدي صغار  
الملاك ، الذين يفلحونها بأيديهم . ولأن نغى هنا بأمر الرق الذي كان قائماً في  
إسبرطة وتساليا . فقد كان ذلك ، كما رأينا ، حالة شاذة نتيجة تطور ملتوقاسى .  
غفلاًغلبية المطلقة من الدول اليونانية ، مثل أثينا منذ عهد سولون ، زُرعت  
أراضيها بيد ملاكها الأحرار . فكانوا يعملون في الأرض مع ذويهم ،  
ويقسمون أملاكهم عند موتهم بين أبنائهم . وقد كان ذلك متبعاً كقيد لزيادة  
عدد السكان كما في فرنسا الآن ، وذلك على أية حال إلى أن تها ، وسائل  
أخرى للحياة . ويكاد يكون كل مواطن في الدولة اليونانية العادية مالكا ،  
سواء كان ما يملكه كبيراً أو صغيراً ، كافياً للعيش أو لا يكاد يمسك الرمق .  
وفي عام ٤٠٣ ، عندما اقترح في أثينا ، وهي الدولة التجارية الأولى ، قصر حقوق  
المواطن على ملاك الأراضى أو المنازل ، فقد أثبتنا أن من كان يبعدهم هذا

καθ' ὑπερβολὴν أتیکا (١) Hellenica Oxyrhynchia ، ١٢ — ٥ :  
ἐξήσκητο καὶ διεπεπόνητο : وأضيف إلى ذلك أنه ما من مال فائض لديهم  
الاتفاق على البناء في المزارع . وكل هؤلاء الفلاحين كانوا تقريباً رجالاً صغاراً ، « Zeugites » مثل  
أرسطوفانيز في Dicaeopolis . وهذا واضح من توكيديس ، ٢ — ١٦ ، وفيما يخص دلائل  
أخرى أنظر Guiraud, La Propriété foncière en Grèce ، ص ٣٩٢ — ٣٩٣ . ووصف  
المؤرخ الجديد لأتيكا يشير إلى الفترة التي بين ٤٢١ — ٤١٤ ، بعد تخريب الغزوات البلغونية  
للبلاد . ولذا فقد يبدو كما لو كانت أتیکا تنتج قحاً أكثر من الزيت ، لأن بلدنا تطغى فيه  
زراعة الزيتون على كل شى آخر ، لا يمكن أن تكون مزارعها قد استعادت قوتها بتلك السرعة .  
ويبدو أن هذا الرأي تؤيده بعض الدلائل من القرن الرابع جاءت في Dem. ، ٢٠ — ٣١ ، وكذلك تقدير  
هاير ، Forschungen ، الجزء الثانى ص ١٨٩ وما بعدها . ولذا فالقصة التي وردت في البردية ،  
المكتشفة فقط في عام ١٩٠٦ ، ساعدت كثيراً بكل تأكيد على تبرير ، أو على الأقل على  
تفسير سياسة بركليس التي عرضت أتیکا للتخريب . أنظر أيضاً الملاحظة التي جاءت في ص ٥٣  
فيما سبق . فيما يخص طرق الحرث والزراعة ، أنظر إيثان مولر (Iwan Müller) ص ٢٣٧ .  
فالإيونان لم يعرفوا شيئاً عن تماقب الدورة الزراعية ، ولذا فإن نصف أراضى القمح كانت  
جدباء دائماً . ( أنظر التذييل ) .

القانون ، لم يعد ٥٠٠٠ مواطنًا . ومن المحتمل أن كان معظمهم من المستعمرين العائدين . وعلى ذلك ، فحتى في حالة الاضطراب الناجمة عن الحرب البلوپونيزية . عندما اضطرت أسس الجماعة الأثينية الاقتصادية ، فإن الرجال الذين هتفوا الكليون ، وأبحروا إلى صقلية للنهب والسلب ، شعروا على نحو ما ، بأنهم أكثر سعادة من غيرهم ، لما ملكوه من قطعة أرض صغيرة ، مهما قلت قيمتها<sup>(١)</sup> .

فلاستجار بالمعنى الذي نعرفه ، لم يكن إذن معروفًا فعلاً عند اليونانيين . ومن بين النصوص الكثيرة المحفوظة ، التي تناولت الأرض بطريقة أو بأخرى ، لم نعتز إلا على عدد قليل جداً من العقود المعقودة بين الأفراد . وإذا كان اليوناني مستأجراً ، فلن يكون مستأجراً إلا لشيء عام . فهو إنما يزرع للدولة ، أو لإله ، أو لبعض الجماعات والاتحادات ، أو بمعنى آخر هو يؤدي للمالك ما يعجز المالك عن تأديته لنفسه . وقد حفظ لنا عدد كبير من هذه النصوص . وجدير بنا أن نذكر أحدها ، لنعطى فكرة عن كنه هذا الظلم . وهذا النص بخصوص قطعة أرض (لارعى) من ممتلكات مدينة بيسا (Poieessa) في جزيرة كوس ، وهو كما يلي :

### الآلهة !

#### أرض مدينة بيسا (Poieessa)

١ - على المستأجر أن يدفع في العاشر من شهر باخيون ٣٠ درخمة ، وإذا لم يدفع فعليه أن يترك الأرض .

(١) ثيلاموثيتز ، A. A. ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٧ (التمليق على Lys. ، ٣٤ : ὑπόθεσις) . إن القروى النموذجي في الأدب اليوناني . هو على نهج الفلاح العجوز المذكور في إلكترا (Electra) يوربيديس ، والذي اختير من هيئة الله الأحرار البلوپونيزيين في عصره . (أنظر توكيديدس ، ١ - ١٤١ - ٣) . وهو مثل Trygaeus ، Dicaeopolis أو أكثر تقنياً للقروى من إسخوماخوس (Ischomachus) بطل إجزينوفون في Oeconomicus . فإسخوماخوس هذا كان من أكبر الملاك ، وأحد هؤلاء اللائل من القرسان أو أصحاب الحبل ، الذين باقوا من الفتي حذاً يمكنهم من القيام بإمداد الدولة بقوة صغيرة من القرسان . أنظر ملاحظة ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ فيما سبق .

- ٢ - عليه أن يحضر النقود إلى پيسا .
- ٣ - عليه أن يسلم المنزل مستقوفا ، وفي حالة جيدة .
- ٤ - عليه ألا يقطع أشجار الفواكه<sup>(١)</sup> .

---

(١) *Inscriptions juridiques grecques* ، الجزء الأول ، ص ٢٥٣ ( أنظر القسم كله وخاصة من ٢٥٠ ) ، ثم أنظر أيضاً ديتبرجر ، رقم ٥٣٢ ، وانظر أرقام ٥٣١ - ٥٣٦ .  
وأهم مؤلف لدينا يبحث في الزراعة اليونانية هو الكتاب المسمى جيوبونيكا *Geoponica* وهو في عشرين جزءا تتناول أبواب الحياة الزراعية المختلفة . وقد صنف حوالي عام ٨٠٠ ق. م. ويتكون من مجموعة من كتابات لعدة مؤلفين معظمهم يونانيين ، عاشوا في عصور مختلفة ، وذوى تجارب متباينة . وهو مليء بالمعلومات ، بعضها غريب شاذ ، وأهم على السحر . والاعتباس الآتي من الكتاب الثالث عشر ، الفصل ١٥ ، ( عن البراغيث المزلية ) . وهو شائق مثل غيره . « إذا أتيت يوما مكانا نكثرت فيه البراغيث فاصرخ قائلا ، أخ ، أخ ( ὄχ, ὄχ ) ، فلن تقربك » . [ أنظر التذييل ] .

## الفصل الرابع

### المدينة الناشئة: الصيد أو السلب

Οἱ μὲν γὰρ ἀπὸ θήρας ζῶσι, καὶ θήρας ἕτεροι  
ἑτέρας, οἷον οἱ μὲν ἀπὸ ληστείας.

يمش بعض الناس على الصيد ، وهو متعدد الأنواع : فبعضهم مثلاً قراصنة .  
أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٦ .

الزراعة هي الاتجاه التقليدي لليونانيين لكسب رزق شريف . وبما  
أنا بصدد إقامة نظام المدينة اليونانية الاقتصادية ، على أسسه الثابتة ، كان  
ضرورياً أن نبدأ بها . إلا أنها ليست الاتجاه الطبيعي المفضل لرجال ذوى  
مشاعر بشرية عادية ، البدائي منهم والمتقدم ، وخاصة اليونانيون الذين كرهوا  
النشاط ذا الوتيرة الواحدة . وبذا لزم تدريبهم عليها . وهو ما استغرق  
أجيالاً لا عد لها ، لإقناعهم فى أناة ، بالرضا عن كسب ضئيل يعرق جيبتهم ،  
بعيشهم كفلاحين . ولكن وجد فى كل أمة رجال مخاطرون رفضوا ذلك  
رفضاً باتاً ، وفضلوا حياة المخاطرة بما فيها من موت مفاجئ ، أو الموت  
البطيء . جوعاً ، على حياة جامدة تافهة أعمالها ، تفرضا عليهم الجماعة . هؤلاء  
الناس عاشوا على الصيد .

فى الأيام الأولى عقب الهجرات الكبرى مباشرة ، حينما كان ما عمر  
من الأرض وغداً آمناً ، لا يعدو جزءاً منها ، كان هناك مجال للصيد كبير ،  
سواء كان حيواناً أو بشراً . فالرجال كانوا يخرجون إلى الصيد فرادى  
وجماعات ، طامعين فى فريسة طيبة ، وكان يستوى عندهم ملء مخازنهم بلحم  
خنزير من الغابات ، أو بالغنم أو الماعز عبر الجبال ، أو من محصول اعنتى

برعايته قوم من جيرانهم ، أكثر منهم اقتصاداً ، وأحسن تديراً . فلم يكن هناك بعد حقوق أو قوانين ، أو عادات ، غير الأخلاق والآداب القبلية . وأينما يخشى المرء السرقة ، يخرج مسلحاً ، ويشعر أن له الحق في استعمال سلاحه ، ضد أى دخيل ، لا لمجرد الدفاع عن النفس ، وإنما لأغراض أخرى تساعد عليها الظروف ، أو يدفعه إليها الفقر . وحتى في القرن الخامس ، يروى لنا توكيد يدس ، لا تزال أنحاء كثيرة من هيلاس تتبع الأسلوب القديم ، مثل الأوزيليين اللوكرانيين ، والأيتوليين ، والأكارنانيين ، وتلك المنطقة من الأرض الأصلية . كما أن عادة حمل السلاح ، مازال مأخوذاً بها بين هؤلاء الناس ، عن عادات الصيد والاعتصاب القديمة . إذ قد اعتاد اليونانيون جميعهم ، حمل السلاح في وقت ما ، حين كانت بيوتهم غير آمنة ، وعلاقتهم ببعضهم البعض غير مأمونة ، فلا عجب ، كما رأينا ، الأيبالوا بزراعة الأرض إذ ذاك بأشجار الفواكه ، إذ لا يمكنك التنبؤ أبداً ، متى لا تغير ، بعض قبائل الصيادين ، الذين فضلوا العيش على جيرانهم ، ، ومتى تغير وتنزع كل هذا ، (١) .

وفي التاريخ اليوناني القديم كله ، قبل أن ينفذ القانون الذي سنته المدينة ، تنفيذاً كاملاً ، كنا نلتقي دائماً هؤلاء الصيادين واللصوص . وقد كانوا الأشخاص البارزين في الفصول الافتتاحية من تاريخ توكيد يدس ، إذ أنهم

(١) توكيد يدس ، ١ - ٥ - ٣ - ٢ - ٢ . كان الأيتوليون لا يزالون « يعبشون على حساب جيرانهم » ، في عصر بوليب . فكانوا يعبشون « حياة كلها طمع ، تفيه حياة الوحش ، لا يرون في أحد صديقاً لهم ، بل يعدون كل امرئ عدواً طبيعياً لهم » : بوليب ، ٤ - ٣ . وكان صيد الحيوانات البرية قليلاً في اليونان في العصر التاريخي ، لأن نباتاتها القصيرة لا تصلح لإيوائها ، والنباتات الصالحة كانت نادرة . أنظر الكتيب الذي وضعه إجزينوفون عن الصيد وهو يتناول أصلاً صيد الأرناب (أما حيوانات الصيد الكبيرة فلم توجد ، إلا خارج اليونان ، أنظر الفصل ١١) ، ثم مهافي (Mahaffy) في Progress of Hellenism in Alexander's Empire ، ص ٩ ، وبخصوص كيف استمتع إجزينوفون بالصيد الطيب ، الذي رتبته الحاكم الفارسي في آسيا الصغرى ، أنظر أيضاً ص ٦٠ ، فيما يخص المقدوني كرجل رياضي قروي . (وهو على عكس اليوناني في ذلك) .

كانوا مصدر فزع دائم للمدينة القديمة غير المحصنة . ومثلاً تجنيا لهم ، كانت المدن تُؤسس عادة في مكان إلى الداخل أمين ، حتى تكون في مأمن من هجمات لصوص البحر المفاجئة ، الذين يمكنهم أن ينقضوا من حول تلك الرأس القريبة الممتدة في البحر ، أو ينسلون تحت ستار الليل من الجزيرة الصخرية عبر الخليج . فعن طريق البحر بنوع خاص ، كان يسعى هؤلاء اللصوص القدماء بتجارهم التي كانت تزداد ازدهارا وجرأة ، كلما ازدادت معرفتهم بالأحوال المحلية والمواصلات . ويقول توكيدبس ، «عندما غدت المواصلات بالبحر أكثر اعتيادا انقلب الهيايانيون الأول ، من الساحلين وسكان الجزر ، وبعض البرابرة أيضاً ، إلى جماعات منظمة من اللصوص وعلى رأسهم زعمائهم الذين يقودونهم للنهب ، طوروا حباً في الكسب ، وطوروا لمساعدة تابعيهم الفقراء . فكانوا ينقضون على تلك البلدان غير المسورة إذ ذاك ، والتي لم تعد أن تكون مجرد مجموعة من القرى ، وينهبونها . والحق أن هذا كان المصدر الأساسي لكسب رزقهم ، ولم يكن يسرى في ذلك من عيب ، بل كان فيه شيء من المجد . ويدل على هذا التمجيد الذي لازال بعض سكان القرية يولونه لقاطع الطريق الناجح ، وكذلك السؤال الذي يمثل به الشعراء القدامى الناس وهم يسألون المسافرين في كل مكان : هل أتم من القرصنة ؟ ، كما لو كان المسئولون لا يميلون إلى إنكار هذا السؤال ، أو أن السائل لا يميل إلى لومهم على ذلك . ومثل هذا السلب حدث برأ أيضاً (١) .

وايكن عندما ازدادت قوة الدولة المدينة الناشئة ، عرفت كيف تضرب

---

(١) توكيدبس ، ١ - ٥ . كان لا يزال لتلك المهنة جلالها عندما كانت تجرى على الطرق القديمة ، فإن شخصا كروبنهود ( Robin Hood ) كان ما زال حتى عام ١٩١٠ حراً طليقا في ولاية أزمير . وكان مشهورا إلى حد بعيد بين الفلاحين ، لمهارته في تحدى بأس القانون ، ولحسن اختياره لضحاياه المديدين - ١٩٢١ . وفي ١٩١٨ - ١٩٢٠ ظهر شخص يسمى بيكاريس ( Bek'aris ) ( قتل في مايو أو يونيو ١٩٢٠ ) وقد تحدى طويلا بنجاح ، كل محاولات البوليس في القبض عليه . واعتاد أن يضم تسعيرة للطعام في قرى أثارنا ، ويحذر المنتهين من زيادة أثمانها على الفلاحين . وكان أحيانا يأمر الأشخاص بأن يرسلوا له على سبيل القرعة ، المبالغ التي تزيد على السعر المحدد ، ليردها لشاري المخدوع . ولذا سماه الفلاحون جميعاً .



يبد قويه على عناصر طائفة اللصوص . فنقبت عن معاقلمهم في الجبال ،  
وطهرتها منهم ، وهى تلك الكهوف الجيرية المنتشرة في جبال اليونان ،  
وأحيانا لا تكون إلا شقوقا غير ملحوظة في سفح النل ، ولكنها  
تؤدى خلال طرق وعرة إلى أهباء مرتفعة واسعة . هنا ، حيث عاش اللصوص  
القدماء ، يلهون ويتنادمون ويحفرون محاريب آلهتهم ، يلتقى الآن مواطنون  
هادئون من الوديان ، ورعاة مع قطعانهم في مراعى الصيف ، يتحدثون  
ويتغنون وينامون ، أو حتى ، كما نعرف من الكتابة التى وجدت على  
الجدران ، أو على الشقف المبعثرة على الأرض ، ليعبدوا بان (Pan) أو الجنيات ،  
أو أية قوة أخرى مسالمة . واضطر القراصنة أيضا ، إلى ترك مخائهم المؤسسة  
منذ عهد بعيد . فلك الجزيرة الصخرية عبر الخليج بمرفأها الصغير ، المناسبة  
تماما للقوارب الصغيرة ، وبعينها المشهورة بصافى مياهها ، غدت قطعة أخرى  
من أرض المرعى الخاص بالمدينة ، لها فى الشتاء نفع عظيم ، وذلك عندما  
تغطى الثلوج المرتفعات . وما من حاجة للكلاب بها ، إذ أن الجزيرة  
كانت صغيرة للغاية ، إلى حد أنها كانت نفسها معقلا طبيعيا . وكذلك  
خضعت بدورها تلك الجزر الكبرى ، أو المسدن الساحلية التى عاشت على  
السرقه وعلى إغراق المراكب . وذلك لأنه قضى على مصدر رزقهم ، كما أن  
حب الكسب ، كما يقول توكيديدس ، أو بعبارة أخرى إن ألم الفقر وليدفع  
بالأضعف تحت سيطرة الأقوى ، ولم يقاوم سوى بعض الأفراد ذوى  
النفوس الجريئة ، ونزحوا إلى أمكنة نائية ، حيث لم يقو بعد قانون المدينة  
على ملاحقتهم (١) .

وهكذا اتسعت الهوة تدريجيا بين المخاطرين والمواطنين الشرفاء .

---

(١) توكيديدس ، ١ - ٨ - ٣ . أما عن رأى الخاس فى التفسير التاريخى لهذه الفترة  
من توكيديدس ، فانظر ص ٧٨-٧٩ فيما سبق . وفيما يتعلق ببيان عن إحدى هذه الكهوف -  
كهف بان (Pan) قرب ثارى (Vari) فى أتيكا ، انظر *American Journal of Archaeology* ،  
الجزء السابع ، ص ٢٦٣ وما بعدها ، وفيه صور للعرايب الصنوع من الحجر الغير مصقول ،  
والتقوش التى جاءت على الصخر .

فالصيادون القدماء الأشداء ، الذين كانوا ذات يوم مفخرة عشائرتهم الصغيرة ، قد أبعثوا عن المجتمع في المدينة الناشئة ، واعتبروا خارجين عليها . ومع أن موضوعنا الرئيس هنا هو المدينة وسكانها العاديون والعاملون ، إلا أنه يجب أن نقف وننعم النظر قليلا في أمر بعض هؤلاء المخاطرين ، لأن روح تأثيرهم وصخبهم ، ظلت ماثلة في أئتنا القرن الخامس . وسنجد كلها تقدمنا ، أن لها علاقة مهمة بموضوعنا . فقد كان هؤلاء الرجال المنبوذين ، ذوى العقول المستقلة ، أقدم وأصدق من مثل في العالم اليوناني القديم ، الرجل الاقتصادي ، فحيث عمل فلاح المدينة القانع ، كما رأينا ، على كسب عيشه ، ذهب هذا القرصان يطلب صيدا أكبر ، فإذا ما صادف حظا كبيرا ، تمكن من أن يأكل ويلبس كذلك . وقد بقيت مهنته حتى نضب معين أهم دخل لها ، الطريقة الوحيدة ، التي منحها هذه الدنيا الأولى لفرد أو لمجموعة أفراد ، التي بها يثرى الإنسان حقيقة ، والتي بها يجمع المال والتابعين . كان كثير من أفرادها يخرجون للعمل وكانهم ملوك صغار . ومن المحتمل أن يكون السؤال ، « هل أنت قرصان ؟ » لم يعن « هل أنت لص ، أم أنت سائح مسالم ؟ » ، إنما عنى حقا « هل أنت هنا لمخاطرة عامة أم خاصة ؟ » . وفي كلتا الحالتين فالزائر المفاجيء غير المرغوب فيه إنما جاء « ليأخذ » . والفرق بين الحالتين ، هو أن الأولى تعنى حربا ، والثانية مجرد نهب . وأحيانا تكون الإجابة على هذا السؤال ، من الصعوبة بمكان (١) .

(١) أنظر الأوديسة ، ٣-٨٢ ، ٤-٣١٤ . ثم بندار ، Ol. ، ١٣-٦٩ ، ثم هيرودوت ، ٥-٦٣ ( εἴτε ἰδίῳ σπόλῳ εἴτε δημοσίῳ ) . ويمكن أن نرى من دراسة عمليات براسيداس الحربية في مقدونيا وتراقيا دراسة دقيقة ( مثلا توكيديدس ، ٤-١٢٤ وما بعدها ) ، وكذلك من بحث للوقف الفاضل للحملة الاسبرطية التي أرسلت لمساعدة سيروس (Cyrus) الصغير ، ترى من ذلك كيف كان الحد الفاصل بين الأعمال الحربية والقرصنة ، ضيلا جدا ، حتى في القرن الخامس . وكذلك يصف أيضا إجزينوفون الإسكندر طاغية فيراي (Pherae) بأنه « لس لثيم في البر والبحر » . راجع إجزينوفون ، Hell. ، ٦-٤-٣٥ . وإلى حد بعيد ، كان كذلك بوليكرات في ساموس . فقد وضع تصميم سفينة ، واسكنها كانت معروفة لقوة البوليس البحري الأثيني كل المعرفة ، كانت =

ما الظروف التي كان يكسب فيها القرصان عيشه؟ من حسن الحظ أن حدثنا عنه هومر كثيرا، مما مكنتنا من تتبعه في عمله. فبدلا من المحراث والمعول، كآلات يعتمد عليها في إنتاجه، كانت مركبه التي اعتبرت إذ ذاك ملكا مشتركا بين كل أفراد المخاطرة أيا كان صانعها، وأيا كان مالكمها الأول. «فأرجو، كانت ملك الأرجونوت جميعا على السواء» (١).

وهذه السفينة صغيرة. ويجب أن تكون كذلك، لأنها ترفع كل مساء إلى الشاطئ، حيث تستعمل منزلا للقرصان، أو حصنا أو استحكاما. ويندر أن يقل عدد نوتيتما عن العشرين، أو يزيد على الخمسين. وتصفها لنا الملحمة القديمة. بأنها مركب بجوف، أي لا سطح لها. عنبرها مكشوف، وليس لها ما يشبه مؤخرة السفينة المعهود، ولا بها أي غرفة من غرف السفن. فهي رغم طولها قارب ليس إلا، إلا أنه، عند طرفيها مصطبتان مرفوعتان لها حاجزان، والمسافة التي تحت هاتين المصطبتين مفتوحة كسائر أجزاء السفينة، وتكون جزءا منها. وفي المقدمة، يقف الملاحظ، وفي المؤخرة الربان والقائد. وهم كغيرهم لا يجردون في المركب ما يقيمهم من المطر والرياح، ولكن ارتفاعهما النسبي يقيهما الأمواج والرذاذ. أما هيكل المركب فيشغله المجدفون، ويجلسون على مقاعد صغيرة عرضية. وعلى طول المركب شبه ممر أو «قنطرة»، يتيسر عليها المرور أو التنقل، عندما تكون غير محملة بالبضائع. وهذه البضائع توضع عادة تحت مقاعد المجدفين

---

سريفة ولها جوف كبير للسلب والنهب، لدرجة لم يسبق لها مثيل. وقد قيل أن الأثينيين، لما أن استولوا على تلك الجزيرة، وشموا أهلها الساموسيين بوشم على عطف شكلها (أي السفينة) الغريب (هيرودوت، ٣ - ٣٩، ثم بلوتارخوس، الفرس، ٢٦).

(١) قد استنتجت ذلك من الإلحاح الدائم على ضرورة مراعاة قسمة عادلة للأرباح (رغم أنها غير متساوية). إن المركب كانت تخمس بالتأكييد الرجل الذي دبر المخاطرة ونفذها. وعلى ذلك فركب الأرجو يملكها جاسون (Jason). وقد ذهب، كما تروى لنا قصة قديمة مؤثرة، ليعيش في شيخوخته ووحده مع سفينته القديمة التي أخذ البلي يعثرها في وقتها على الشاطئ. (يوريبيدس، ميديا، ١٣٨٦، ثم ملحوظة موري). ولكن ربما كانت العادة تقضى بأن يكون لسلك عضو من النوتية نصيب ضئيل من الغنائم.

في جوف المركب ، أو تحت أرصفة المقدمة أو المؤخرة . وفي الوسط ثقب للسارية ، فإذا كانت الرياح مواتية ثبتت السارية في الثقب ، وربطت الحبال في المقدمة والمؤخرة ، وربما في الجوانب أيضا . فالملاحه في البحار كانت لا تزال ناشئة ، ولم تستخدم الرياح إلا إذا كانت خلفية ، أو ما يقرب من ذلك . وعندما تنتهى الحاجة إلى السارية تحل وترفع من ثقبها ، وتوضع وسط المركب . وفيما يخص المون ، فإن البحارة يأخذون معهم في المعتاد دقيقتاً ونبذاً ، أما الماء فكان يبحث عنه من وقت لآخر ، إذ أن التجديف يدعوا إلى العطش ، ولا يمكن للنبذ أن يقوم مقام الماء . وإذا حان موعد الحرب يتقلب المجدفون محاربين ، أو على الأقل جانب منهم . ويحاربون من فوق القلعتين ، لما لها من موقع أنسب من وسط المركب . وجملة القول لم تكن السفينة اليونانية مواتية مريحا ، ولكن يخف أثر هذا النقص ، إذا ما ذكرنا أن كل نوبتها ، يستطيعون النوم على الشاطئ كل ليلة تقريبا . فنادراً ما يكون الإقلاع ليلا ، بل ويتعرض القواد لخطر ثورة رجالهم عليهم إذا ما كفوهم القيام بمثل هذه المهمة الشاقة غير العادية (١) .

ولكن بالرغم من متاعب هذه الحياة فهي حياة شيقة للغاية ، وأكثر إغراء من كسب الرزق بطريقة شريفة ، في كنف رجال القبائل والجيران في السهول الخائفة . ففيها مشيرات متواصلة ، ولذا كانت كما هي الآن ، موضع حنين دائماً لكل من مارسها مرة ، ففي كل يوم جديد ، وحول كل رأس ، يحتمل العثور على كنز مجهول . فإذا ما حصلوا على غنائم ، قسمت بروح المساواة

(١) عن G. d' Azambuja في كتابه *La Grèce ancienne* ، باريس ١٩٠٦ — مكتب العلوم الاجتماعية ، ص ٦٦ . وهو كتاب ممتاز تتجلى فيه كل عمارن محاولة تفسير التاريخ بعلم الاجتماع ، كما يظهر فيه كثير من تقط ضغفها . وفيما يخص بياناً أكثر تفصيلا عن هؤلاء القراصنة الأقدمين ، أنظر *Bérard, Les Phéniciens et l'Odysée* ، الجزء الثاني ، الفصل الأول ، ثم انظر أيضا الجزء الأول ، ص ٣٧٩ وما بعدها ، فيما يخص انشاء المسافرات اللاتي لا نصيب لهن من الراحة في مركب على هذا النمط . ومن أجل ذلك كانت كايتمسترا ( Clytemnestra ) تعبر أجايمون وكاستندرا على جلوسهما جنباً لجنب على مقاعد المجدفين . أسغيلوس ، Ag. ، ١٤٤٢ . وفي رحلة أخرى شبيهة بتلك ، وقعت مربية إيومايوس في قاع السفينة ودق عنقها : الأوديسة ، ١٥ — ٤٧٩ .

والديمقراطية المطلقة ، إذ لا يعاقب على القتل والسرقة في عرف القراصنة الأخلاقي البسيط ، بينما اعتبرت القسمة غير العادلة أخطر الجرائم الاجتماعية . فإذا خدع أجا ممنون أخيل ، وسلب منه فتاة جميلة من السبايا ، انحلت كل أوامر هذا المجتمع البدائي ، وربما تؤلف ملحمة كالإلياذة . فطرق إنتاجهم قد تكون غربية ، مثل طرق بعض أصحاب الملايين المرفين الآن ، ولكن حتم العرف عليهم اتباع طرق التقسيم بدقة (١) .

ولكن إنه لمرهق على مر السنين ، وأمام ازدياد تصلب العضلات ، مزاولة النجديف أهد الحياة ، أوالعيش شتاء وصيفاً في حصون الجبال . وهكذا حتى القراصنة وقطاع الطرق نزعوا بعد فترة ، إلى الاستقرار والعيش في حياة يونانية عادية . وأحياناً إذا لم يجرؤوا على العودة إلى مدينتهم ، اتخذوا لأنفسهم موطناً جديداً ، حيث يستطيعون أن يعيشوا هادئين لا يزعجون ولا يزعجون ، دون ما سؤال . وعلى هذا النحو مثلاً احتل مسينا أولاً قرصان من كوماي ( Cumae ) في إيطاليا . وهكذا كان أيضاً أوتوليكوس ، جد أوديسس الموقر في شيخوخته ، والذي كانت له شهرة كما يخبرنا الشاعر ، ولتفوقه في السرقة على البشر جميعاً ، وفي استعمال القسمة : لقد عليه هيرمس نفسه كيف يكون ذلك ، . ومهما يكن الأمر فإن أبطال حرب طروادة ، الذين كانوا يتلهفون على العودة إلى أوطانهم وزوجاتهم الحزينات ، بعد مخاطرة دامت عشر سنوات ، لم يفضلوا كثيراً اللصوص وقطاع الطرق . وإنا لنسأل كما سأل توكيد يدس ، كيف أمكنهم أن يعيشوا طوال هذه المدة ؟ لقد عاشوا على نحو أشبه ما يكون بذلك الذي عاش عليه أغرب من حكموا أثينا ، أي جماعة الكاتالبيون الكبرى ، الذين استقروا ليحكموا أتيكا ،

---

(١) الإلياذة ، ١ - ١٢٢ ، وما بعدها ، ثم الأوديسة ، ٩ - ٤٢ ، ١٠ - ٤٣ . اتبع قراصنة الفرنجة في القرن السابع عشر ، كما بين ذلك بيرارد ، نظاماً أكثر دقة في حياتهم . فلديهم على المركب ضباط منتظمون دائمون ، لا رؤساء منتخبون ، وكان العصبان يباع على أنه عصبان ، وكذلك فعل Sir Francis Drake .

وقاموا بالخدمة الدينية في كنيسة القديسة ماري على الأكربول ، بعد بضعة سنين مرحة ، قضوها في العيش على النهب من الخيرسوينز في تراقيا ، أمام طروادة<sup>(١)</sup> .

أخذ المخاطرون هؤلاء يتفرقون ويقلون ، ليقظة قوات الحراسة البحرية . وعندما اضطلعت أثينا بحراسة بحر إيجه في القرن الخامس ، ولت أيامهم المجيدة . إلا أنهم كانوا يعاودون الظهور كلما سنحت لهم فرصة ، وبذا ظل الأمن الذي به تباهت أثينا ، أمنا نسبياً لا شاملاً . وكان السفر في العصر اليوناني أمراً غير مأمون أبداً ، إذا ما قيس بالعصر الحديث . وحتى في القرن الخامس في أثينا نفسها ، ظهر قاطع الطريق المشهور المعروف باسم «أوريستس» ، الذي كان ينقض عليك في الطرقات المظلمة ، وأنت عائد بعد سهرة إلى منزلك . وفي البحر سرعان ما ينقلب أعداء القوة الحاكمة إلى جماعة من القرصان . وإنك لتستطيع أن ترى كم كانت هذه المهنة عادية وطبيعية ، من الخدمة البحرية التي لجأ إليها بعض الميجاريين في مناسبة ما ، ليتمكنوا الأثينيين من الدخول إلى ما وراء أسوارهم . لقد تظاهروا بأنهم من القرصنة ، وبذلك حصلوا على إذن يقضى بأن تفتح لهم الأبواب كل مساء ، ليحملوا قاربهم على عربة إلى الشاطئ ، ثم يأخذوه ثانية قبل الشروق . وبمجرد أن انتهت سيطرة أثينا ،

---

(١) توكيدبديس ، ٦-٤-٥ ( مسينا ) ، ١ - ٢ ( قومسارية حرب طروادة ) ، الأوديسة ١٩ - ٣٩٥ ( أوتوليكوس ) . أما فيما يخص تاريخ الكتالانيين العجيب فانظر رنل رود ( Rennell Rodd ) ، الجزء الثاني ص ٦٦ ، وكذا ص ١٣٨ وما بعدها ، وهي قصة تعرفنا كيف حمل أحد القتلة المسنين ذوى القلوب الرحيمة ، طفلاً ملكياً ، فجازوا به مخاطر لا نهاية لها ، حتى أوصالوه إلى جدته في اسبانيا . وربما يسرهم أن يعلموا أن اللغة الاسبانية لا تزال مستعملة في موانئ الخيرونيز الصغيرة ، وإن لم تكن نفس لغتهم ، ولا الذين يتكلمونها من سلاتهم . ١٩٢٦ . ويعلق دون ميجول دي أونامونو ( Don Miguel de Unamuno ) على ذلك بقوله ، « إنه من المعروف جيداً عندنا في اسبانيا ، أن لغة اسباني القرن الخامس عشر ، لا تزال مستعملة في موانئ الخيرونيز الصغيرة ، أما عن آثار الكاتالان في اليونان ، فلدينا كتاب رامون مونتاتر ( Ramon Montaner ) الذي كان نفسه واحداً من تلك الفرق . والكتاب مكتوب باللغة الكتالانية ، ويستحق الإعجاب » . وقد ترجمته إلى الإنجليزية جمعية هاكلميت ( Hakluyt Society ) في المدينين ٤٧ ، ٥٠ .

عاودت تلك السفن نشاطها، وناومت القوى البحرية الصغرى حول جزائر الأرخيل<sup>(١)</sup>.

والآن أن لنا أن نتركهم إلى ما هم فيه، إذا ما اقتفينا آثارهم أكثر من ذلك، جرتنا على فروع الاقتصاد الأخرى. فمن سيضع الحد الحقيقي الذي يقف عنده النهب، وتبدأ الأعمال الحرة الشرعية، وكذلك التجارة؟ فين السرقة والاعتصاب، والاستمالة السلبية للبيع، لفروق غاية في الضآلة: وحتى التعبير الحديث الإغراء السلبي للشراء، أو فتح سوق جديد، لهوشيهها أحياناً بشكل غريب. وعلى أية حال فإن كل ضروب النشاط هذه، لتبعدنا عن موضوع هذا الفصل، أى عن دراسة الصيادين واللصوص القدماء في البر أو البحر. ولنتنقل الآن إلى دراسة كيف تعلت البيئة الناشئة أن تتخلص من غريزة الصيد هذه، وتستغلها في تحقيق أغراضها القومية.

( أنظر التذييل ) .

---

(١) توكيدس، ٤-٦٧-٣، وانظر ٢-٦٧-٤ و٦٩، وفيما يخص «أورستس»  
أنظر الطيور، ١٤٩١. لم يكن شخصية منزلة، أنظر إجزينو فون، Mem. ١-٢-١٥.  
ταῖς ὁδοῖς ἐνθα πλεῖστοι ἀδικοῦνται.  
( م - ١٩ الحياة اليونانية )

## الفصل الخامس

### المدينة الناشئة، الأعمال الحربية

'Αλλ', ὁ Σώκρατες, δυνατόν ἐστί καὶ ἀπο-  
πολεμίων τὴν πόλιν πλουτίζειν.

Νῆ Δία σφόδρα γ', ἐάν τις αὐτῶν κρείττων  
ἦ ἤττων δὲ ὢν καὶ τὰ ὄντα προσαποβάλοι ἄν.

ولسكن بإسقاط ، إنه من الممكن أن نحصل للمدينة على ثروة من أعدائنا الأجانب .  
نعم بالتأكيد إذا كنت الأقوى ، ولكن إذا لم تكن كذلك ، فستفقد حتى ما حصلت عليه .  
· مجز بنوفون ، Mem . ، ٣ - ٦ - ٧ .

'Η πολεμικὴ φύσει κτητικὴ πως ἔσται, ἦ δεῖ  
χρηῆσθαι πρὸς τε τὰ θηρία καὶ τῶν ἀνθρώπων ὅσοι  
πεφυκότες ἄρχεσθαι μὴ θέλουσιν, ὡς φύσει δίκαιον  
τοῦτον ὄντα τὸν πόλεμον.

إن الحرب على وجه التجديد وسيلة للكسب ، نشن على الحيوانات التوحشة ، وعلى  
الأجناس الدنيا من البشر ، الذين لا يريدون أن يخضعوا لنا ، رغم أن الطبيعة قصدت بهم  
أن يكونوا خاضعين : وكل حرب من هذا النوع عادلة بالطبيعة .  
· أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٦ .

منذ قرون عديدة كما رأينا ، أخذت الدولة المدينة الناشئة تتقدم نحو  
الرخاء ، فأدخلت الزراعة أو الرعي إلى الأراضى النائية ، ودعمت سلطتها  
على تفكير الرجال وحياتهم . فخارجها كان المخاطرون الذين لا وطن لهم ،  
يغيرون على البحار الضيقة ، ويسدون ممرات الجبال ، بينما فى داخل حدودها  
الواضحة ، كان الفلاح والراعى والعامل وإلى جانبهم التاجر الصغير ،  
يُعملون من أجل الدولة ، ويعدون أنفسهم للحكم الذاتي . وقد وصلنا الآن  
فى بحثنا السريع لاقتصاد المدينة الناشئة ، إلى الوضع الذى عنده . نُعدّل عن



المزلة القديمة ، التي سادت قرونا عدة ، وبدأت دول اليونان تدخل في معاملات مع جيرانها .

ويعزى هذا التغيير إلى أسباب طبيعية ، بسيطة كل البساطة . فاليونان بطبيعتها ، كما رأينا ، بلاد فقيرة لا تغل تلالها العارية ، ولا سهولها التحلة ، غذاء إلا لعدد قليل جدا من السكان . وبحسب طرق الزراعة البدائية المستعملة آنثذ ، كان لا بد وأن يأتي وقت على كل دولة مدينة ، لا تستطيع أن تنتج الأرض فيه مزيدا عن ذلك . لقد زاد سكانها حتى آخر طاقتها الطبيعية ، حتى إذا ما حدثت أقل كارثة ، كتأخر المطر أو هبوب عاصفة تقتلف المحصول ، واجهت الدولة المجاعة . ويبدو أن الأمر وصل إلى هذا الحد ، في تطور الدويلات الكبرى في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد . وقد تتبعنا فيما ذكرنا من قبل بعض النتائج التي أدى إليها هذا الأمر في محيط السياسة ، أو في حقوق المواطن . أما هنا فنحن معنيون بنتائج الاقتصادية وحدها (١) .

عند ما يتزايد السكان على الإنتاج ، حتى لا يوجد من الطعام ما يكفي ، فهناك حلان مباشران فقط — تقليل عدد السكان ، أو الإكثار من الطعام ، أي إما أن يرسل مهاجرين إلى الخارج ، وإما أن تستورد مئونة منه ، ولتترك مسألة الهجرة جانبا ، إلى الفصل القادم ، لنعالج مسألة المئون الجديدة . كيف يمكن الحصول على الطعام ؟ لا يمكن أن يشتري ، إذ لا يوجد ما يشتري به ، وكذلك لا توجد منتجات أو صناعات تفيض عن الحاجة . فيجب إذن أن يصطاد ، أو يسلب أو كما يقول التعبير اليوناني ، « يغتصب » أو يخطف ، أو بعبارة أخرى يجب على المدينة أن تتبع غريزة الصيد ، وأن تتعلم كيف تستغلها لما فيه مصلحتها . إنها يجب أن تتعلم كيف تقود الحرب .

(١) انظر صفحات ١٢٧ وما بعدها فيما سبق .

أصبحت الحرب موضوعاً مطروقا على منابرنا ، وفي صحفنا . ولكن  
لكي نفهم مكانها الطبيعي في جماعة الدولة المدينة ، يجب أن ننسى كل  
ما سمعناه وقرأناه ، سواء عن شرورها أو قصصها . إذ لم تبد الحرب عند  
اليونانيين القدماء شراً أو شيئاً مبهجاً ، إنما كانت كما هي عند الكثيرين من  
قطاع الطرق في البلقان اليوم ، مجرد شيء مثير ، وطريقة غير عادية لتضيعة  
بضعة أسابيع من أوائل الصيف ، إنها جزء تقليدي من الاقتصاد القومي ،  
ومن الخدمة العامة ، التي يقوم بها الأفراد . فبين حرب اليونان والحرب  
الغربية الحديثة ، فوارق واضحة حيوية ، وإنه لضروري الإلمام بها لسبيين ،  
لفهم التاريخ ، ولفهم السياسة في عصرنا الحاضر .

فالحرب في العالم الحديث تخدم غرضين منفصلين ، أو المفروض أنها  
كذلك . فأولاً بما أننا نعيش في عالم يحوى دولاً متعددة ، ذات سيادة ،  
ليس بينها قانون ملزم ، فالحرب هي الطريقة الوحيدة المسورة لفض  
الخلافات التي تقع بينها ، عند ما يعجز العقل والتريث عن حسمها . فهي  
الحكم الصلب الذي يلجأ إليه الرجال المهزومين مادياً ، إن لم يكونوا  
مهزومين روحياً ، والذي يجب أن يعتبر حكمه فاصلاً ، ولو إلى حين . ولهذا  
الأسباب اعترف بها المفكرون ورجال السياسة منذ زمن بعيد ، ووجدوا  
فيها إذا استعملنا ( تعبير سياسي أمريكي ) « جنونا وحشياً » - إنها وسيلة  
سمجة لا تناسب حياتنا المتحضرة . لأن الأمم المتمدينة - أي الشعوب التي  
نالت الاحترام الذاتي ، الذي هو الطبيعة الثانية لكل قومية حقيقية -  
لا يمكن أن تعتبر الاحتكام إلى القوة ، أمراً حاسماً نهائياً . فمثل هذه الشعوب  
لا تحارب من أجل المادة ، ولكنها تحارب من أجل المسائل المعنوية ،  
ولا لتفادي دفع الجزية ، وتوفير أموالها ، إنما من أجل أوطانها وحراباتها  
وعاداتها ، وكل ما هو عزيز عليها . فالقوة وحدها لا يمكن أن تحسم أي  
مسألة معنوية . فن المعقول مثلاً أن تغزى إنجلترا ، ولكن لا يمكن أن تملك -  
فالناس يهرفون عن الحرب ويرون أنها كالعاصفة تنق الجوّ ، ولقد

أدرك نابليون خيراً من ذلك عند ما وصل جزيرة القديسة هيلانة ، إذ قال مثلاً : إن السيف لا يقر شيئاً ، أبداً ، مطلقاً . قد يمكنك أن تضم إليك مقاطعة ، وتكفل ولاءها لك ، بقوة القلاع أو الحصون ، وقد تذلل كبرياء شعب ما حتى ليتطعنوا للانتقام ، وقد تدفعك مرارة الاضطهاد والحقد على تسميم منبع أفكار ناشئة ، ولكن لن تضع بذلك حداً لنزاع روحي . إذ رغم أنك قد تظن أن الحرب حسمتها الطلقة الأخيرة في سهول طروادة ، فهناك فوق الأولمب بعيدا عن قصف المدافع وقذعة البنادق ، يزن الآلهة المنحاربين بميزانهم الخاص ، وبعد الجيل الثالث أو الرابع ستعرف قضاء رب الآلهة وحكمه .

ولكن هناك وظيفة أخرى تنسب إلى الحرب . فقد قيل لنا أن الحرب الحديثة لا يجب أن تعتبر بعد اليوم ، حرباً دينية أو خلقية ، فهذه الاعتبارات يمكن أن تترك جانباً ، وإنما تعتبر حرباً اقتصادية ، أكثر منها أى شيء آخر . فهى مجرد توسيع لميدان التنافس والتزاحم القومى فى الحياة الحديثة . فالأفراد الذين كانوا يساومون الأجانب فى السوق العامة ، نقلوا إلى ميدان الحرب ليستأنفوا مساومتهم ونقاشهم . فالأمم الحديثة لا تحارب من أجل زيادة فى الولايات ، إنما تحارب للكسب ، تحارب من أجل أسواق بكر ، وضياع محمية .

وهذه النظرة إلى الحرب ، إنما رأى فيها أنصارها - أى أنصار الحرب - صبغة حديثة . وقد قيل لنا أن الناس فى القرون الوسطى حاربوا من أجل الدين ، واليوم يحاربون من أجل التجارة . والواقع أنها بطبيعة الحال ، ما هى إلا حرب فى أقدم صورها العاتية الخرقاء . وهى كما أدرك أحد أنصارها الصريحين ، لا تخرج عن حالة الساب القديمة التى كان يقوم بها رؤساء القبائل أيام هومر ، وعن حالة القرصنة الحكومية التى قادها الملك جوليكرايس ، متخفية فى ثوب جديد ، لتتاسب فلاسفتنا التمانين بالتنازع على البقاء ، إنها حرب كما وصفها أرسطو ، وسيلة للكسب والافتناء ، ،

ود نوع من أنواع الصيد ، إلا أنها قد تحولات ، دون مبالاة ودون محاولة لإدراك العواقب ، إلى ميدان الاقتصاد الدولي الحديث ، أتعتقد إلى حد لا نهاية له . وفي ظل نظمنا المالية الحساسة القائمة على الثقة ، حيث اسكل أزمة أو شبه أزمة في لندن أو باريس ، صداها في برلين ونيويورك ، فهناك على الأقل ، احتمال لوجوب مراجعة نظرية الحرب القديمة . لا شك أن الحرب لا يمكن أن تقوم الآن ، بنفس طريقة القرصنة السهلة الموثوق منها ، فقد علمتنا التجربة أنها تمس حياة وثروات الملايين من غير المحاربين ، تمس العمال ودافعي الضرائب وحملة الأسهم وربات المنازل ، كما تمس المحاربين أنفسهم تماما . وقليل في الحياة العامة ما يفوق التسرع الخطأ ، الذي يعالج المسائل الجدية كما لو كانت تعالج الألعاب ، يفوقه تصديعا وتخطيا للقوى المعنوية . وقد تعرض أثنى القرن الخامس لهذا الخطأ المميت ، وإن كان له أعذار مقبولة إلى حد بعيد . على هذا نجد ربنا اسكى نفهم الاقتصاد في اليونان القديمة ، وفي جرائدنا اليومية ، أن نتبسع تاريخ الدور الذي لعبته الحرب في حياة اليونان القدماء (١) .

لنعد مرة أخرى إلى توكيديدس . ففي جملة قصيرة قوية ، يذهب بنا عبر

---

(١) فيما يخص بحثا جيدا عن الظروف الاقتصادية التي تتم فيها الأعمال الحربية الحديثة ، أنظر نورمان أنجيل ( Norman Angell ) في كتابه The Great Illusion ( لندن ١٩١٠ ، وكثيرا من طبعاته بعد ذلك ) . إن الوهم المقصود هنا ، هو الاعتقاد السائد بأن الأعمال الحربية بين الشعوب الحديثة للنظمة خير تنظيم ، يمكن أن تكون ذات فائدة اقتصادية إن يحوز النصر . ولنعرض مذهب المؤلف في أبسط صورة :: إذا فرض أن نهب جيش الغازي بنك إنجلترا ، فإنه يحسر نظير كل جنيه يأخذه من خزانة البنك ، ألفا من الجنيهات ، نظير زعزعة الثقة العامة فيه . وبهذا أدى إلى تغيير مركز القوى ، في جدال قديم ، تغييرا مزعجا . فصار العاطفيون هم دعاة الحرب ، بينما « إنحاز الرجل العملي » إلى جانب السلم . إن من المهم على أية حال ، أن نتنبه إلى أن الآراء والدوافع ، ( وخاصة الدوافع الجماعية ) ، لا تزول من تلقاء نفسها ، بمجرد ما يتبين أنها غير معقولة ، أو حتى لا فائدة لها . — ١٩١٤ . إننى أترك للملاحظة السابقة والفقرة التي في النص مع إشارتها المسترشدة إلى بولندا والألمانيا واللورين بدون تغيير يذكر . فقد بحثنا بأسرع مما كنت أظن .

هذه القرون الطويلة من العزلة . ثم بإشارة مقتضبة إلى المستعمرات ، يخوض أحب موضوع إليه ، وهو تحسين المواصلات ، لا سيما في البحر . فهو يخبرنا عن أقدم الأساطيل ، وترجع لنهاية القرن الثامن وأوائل السابع ، ويؤرخ تسلسلها حتى القرن الخامس . ثم يتطرق قائلاً : « إن الأساطيل اليونانية في العصر الذى قطعناه هى كما وصفناها . لم تمنع ضآلة قيمتها من أن تكون عنصرأ بالغ الأهمية كبير القوة للذين أنشأوها ، سواء من جهة زيادة الدخل أو تملك الأراضى . فقد كانت الوسائل التى تذهب بهم إلى الجزر وتخضعها لهم ، [ وخاصة الدول التى لم يكن لها من الأرض ما يكفيها ] . أما الحروب البرية فلم توجد ، أو على الأقل تلك الحروب التى بها تمتلك ولايات . لقد كانت كلها مجرد منازعات على الحدود بين الجيران . أما الحملات البعيدة التى ترمى إلى الفتح ، فلم نسمع عنها بين الهيلينيين . . . . فلم يكن ما نسب من حرب هناك سوى معارك محلية بين المتنافسين (١) . »

وهنا يتجلى لنا بوضوح أغراض الحرب اليونانية القديمة وكيفيةها . فهدفها كان الحصول على « دخل وعلى أراضى » ، أو بعبارة أخرى الحصول على الأرض والمؤن . ومنهاجها بحراً ، هو الوصول إلى الأراضى الزراعية والاستيلاء عليها ، وطرد سكانها المقيمين فيها ، أو فرض الضرائب عليهم . أما براً ، حيث كان مستحيلاً الاستيلاء على أرض عبر الجبال ، أو جمع الجزية عنوة ، فلم تخرج الحرب عن القيام بغارات على الحدود ، وحمل ما يمكن حمله .

وعند ما اكتشفت المدينة هذه الوسيلة السهلة للثراء ، ابتكرت النظام الحربى والبحرى الذى يمكنها من أن تقوم بالغزو هى بنفسها ، أو تدافع عن نفسها ضد جيرانها . وبعد ابتكار هذا النظام كان لا بد للناس ، كما نعلم ،

---

(١) توكيدس ، ١ - ١٥ . إن الترجمة هى فى جملتها ترجمة كراولاى ( Crawley ) ( Temple Classics ) ، فيما عدا الجملة المهمة ، التى كتبتها بحروف مائلة ، حيث أخطأ المترجم السبيل . ( هى الجملة التى وضعت بين قوسين مربعين ) .

من أن يتجهوا إلى تطبيقه والاستفادة منه . وفعلنا كان لكل دولة يونانية تقريباً جيشها العامل المكون من مشاة مزودين بالأسلحة الثقيلة ، على استعداد لتلبية الداء عند الحاجة . وكان كثير منها — ومن بينها أثينا منذ وقت طويل — قد درب بحارة للعمل في أساطيلها أيضاً . فن أيام تلك الحملات المبكرة التي وصفها توكيديديس صارت الحرب ، أو بالأحرى السرقة الحكومية أمراً معترفاً به في حياة الدولة المدينة واقتصادياتها . وكما يقول كاتب المأني حديث ، « كان من خصائص قوة الحياة في الدولة المدينة أن تعيش على منتجات رجال غير رجالها . وهذا الدافع لم يخف إلا بعد أن زال كل باع له . وقد اعتبر جلاوكون ، الشاب الذكي في ممورايليا ( Memorabilia ) لإجزيثوفون ، الحرب أول مصدر طبيعي للدخل ، « للحصول على ثروة للمدينة من أعضائها الأجانب ، . لأن العادات التي نشأت عن هذه الحرب القديمة ، والتي أنت لا شك عن السلب الذي سبقها ، كفلت للمتصر كل أملاك المغلوب . وسنرى فيما بعد كيف أن المالية اليونانية كانت تعتمد غالباً على تطبيق هذه العادات . وكلما زاد الصراع على الحياة شدة ، زاد تشابه حروب الدولة المدينة بحملات السلب والنهب . ولن نفهم مركز أثينا الامبراطورية في القرن الخامس ، إلا إذا مثل أمامنا دائماً هذا الإغراء (١) .

ويمكن أن نتبع كثيراً من حملات السلب هذه في صفحات هيرودوت . وحسبنا منها هنا اثنتان : حملة برية وأخرى بحرية . أما الأولى فنخص أثينا ، ونخص واحداً من أكثر أبطالها شهرة . يقول هيرودوت إنه « بالانتصار في مراثون زادت شهرة ميلتيادس ، على ما كان له من حسن التقدير عند الأثينيين . فطلب منهم ٧٠ مركباً وفرقاً من الجنود ومالا ، دون أن يذكر لهم أي بلد يريد غزوها ، بل قال لهم إنه سيجعلهم أغنياء إذا اتبعوه ، فسيقودهم

(١) ريزلر ( Riezler ) في Über Finanzen und Monopole in Griechenland

ص ٦٨ — ٦٩ . فيما يخص جلاوكون ، أنظر شعار الفصل . كلمة عدو ( ἔχθρος )  
عنى « أجنبي » وتقابل ἔθνος « غريب » ، أو ضيف صديق .

إلى بلد ، يستولون منه بسهولة على كميات وافرة من الذهب . وامتلأ  
اللاتينيون بهذه الآمال ، فأعطوه ما أراد . وقاد ميلتيادس الفرق وأبحر إلى  
جزيرة پاروس ، مدعياً أن أهلها قد بدأوهم العداء ، إذ أنهم أرسلوا سفينة  
مع الفرس إلى مراثون . هذا هو السبب الذي ادعاه . ولكن الحقيقة أنه  
كان يضم لهم عداوة خاصة ، لأن ليزاجوراس بن تيزياس ، وهو پارى ، قد  
تسكلم عنه بما لا يرضيه مع هيدارنس الفارسى . ووصل بقواته إلى پاروس  
وحاصرها . والتجأ الباريون إلى حصونهم ، فأرسل ميلتيادس منادياً إليهم  
يطلب مائة تلت قاتلا ، أنهم إذا لم يعطوه هذا المبلغ ، فلن ينسحب جيشه  
إلا بعد أن ييدهم . ولم يدر بخلد الباريين أن يعطوه شيئاً من نقود ، إنما  
عمدوا إلى وسائل قد تمكنهم من الدفاع عن المدينة . ففى أثناء الليل ، بالإضافة  
إلى خطط أخرى ، علوا الأسوار فى الأماكن الأكثر تعرضاً للغزو ، حتى  
ارتفعوا بها إلى ضعف ارتفاعها الأول . وإلى هذا القدر من القصة يتفق  
اليونانيون جميعاً ، . وبعد ذلك تضرب الرواية . ويبدو أن إحدى كاهنات  
پاروس طلبت إلى ميلتيادس أن يفعل شيئاً أدى إلى إيذاء قدمه عند ما وثب  
من فوق الحائط فى الظلام . وعلى أية حال فإنه دعاد إلى وطنه فى حالة سيئة ،  
دون أن يحصل على مال لللاتينيين ، أو يخضع پاروس ، وإن كان حاصر  
الجزيرة ٢٦ يوماً ونهبها ، (١) .

وترجع هذه القصة إلى أوائل القرن الخامس . أما الغزوة البحرية التى  
تعطينا عنها فكرة واضحة ، فمن النوع الذى كان يجرى باستمرار بين مدن  
الشاطئ والجزر ، طيلة أيام اتساع الدولة المدينة . إلا أن هذه الحادثة لها  
أهمية أكبر من هذا ، لأنها تلقى ظلاً مشعوماً على طريق بحثنا الخاص .  
فعند ما أبحر ميلتيادس إلى پاروس لم تكن هناك إمبراطورية أثينية ،  
ولكن لما أنشئت الإمبراطورية ، لم تنس هذه الطارق التى ارتأتها الدولة  
المدينة ، ملائمة لها كل الملائمة .

(١) هيرودوت ، ٦ - ١٣٢ إلى ١٣٥ .

أما القصة الثانية فترجع إلى حرب البلوونيز ، عندما أرسل كريسس ( Croesus ) إلى اسبرطة ، في حوالى منتصف القرن السادس ، طالباً العون ، ولم يتلق منها شيئاً ، إذ كما يروى هيروdot ، وفي ذلك الوقت كان الاسبرطيون أنفسهم في عراك مع رجال أرجوس ، على قطعة أرض في جزيرة تسنى ثيريا ( Thyrea ) ، لأن الاسبرطيين كانوا قد استولوا على ثيريا هذه ، التى من المحتمل أنها كانت من ممتلكات أرجوس . . . فتقدم أهل أرجوس إلى الأرض التى أخذت منهم . واتفق كلا الفريقين بعد مناقشة على أن يشترك . . . ٣٠٠ رجلا من كل جانب في معركة ، والفريق الذى يكتب له النصر يأخذ الأرض المختلف عليها . وانتهت المعركة بأن بقى اثنان من رجال أرجوس ، ورجل واحد من اسبرطة . وظن رجلا أرجوس أنهم انتصروا ، فسارعا بالعودة إلى بلادهم ليذيعا النبأ ، تاركين هذا الاسبرطى يسلب جثث رجال أرجوس على الطريقه الهومرية ، آخذاً سلاحهم إلى معسكره ، مما أدى إلى استئناف المعركة في اليوم الثانى (١) .

وفي هذه القصة المشهورة نقطة واحدة ذات أهمية خاصة ، ترمى إلى تحول غريب في موضوعنا . فهى تبحث في معركة على الحدود من ذلك النوع المعروف قديماً ، والذى كان يحدث بين المواطنين والمنبوذيين ، وبين دولة وأخرى طيلة العصر الذى نحن بصدده ، ولكن النزاع لم يجر وفق روح القرصنة الهوجاء القديمة . لقد حدث تغيير في النهج ، إذ أصبح القتال الآن يسير على قانون ثابت ، وصارت له آداب مرعية خاصة به ، ولم يعد صراعا متوحشاً ، كل مافيه عادل ، أو مشروع ، ، لقد أصبح مباراة رياضية لها قوانينها . والحق أن الحرب غدت رياضة ، بقدر ما هى وسيلة للحصول على الأسلاب ، .

(١) هيروdot ، ١ - ٨٢ . فارت في هذه المناسبة خطبة البيوتارجوس ( Boeotarch ) ،  
توكيديديس ، ٤ - ٩٢ .



ولكن الحرب كرياضة تخرج بنا عن حدود هذا الفصل . لأنها تتصل  
على التحديد بالوقت الذي أصبحت فيه الطرق البدائية للسرقة غير ضرورية  
لحياة الدولة المدينة ، عندما تمكن الرجال من أن يكونوا نبلاء ، لأنهم  
اكتشفوا وسائل أخرى لسد حاجاتهم العاجلة . أما الآن فيجب أن تنتقل  
إلى العلاج الثاني للدولة الناشئة ، وهو صمام الأمان ، أى الهجرة .<sup>(١)</sup>

---

(١) أنظر التذييل .

## الفصل السادس

### المدينة الناشئة ، الاستعمار

Καί δὴ καὶ τὸ γε τέλος, ἂν ἐπίχουσις ὑπερβάλλουσα ἡμῖν πολιτῶν συμβαίνη καὶ ἀπορῶμεν, τὸ παλαιόν που ὑπάρχει μηχανήμα, ἔκπομπή ἀποικιῶν.

وأخيرا — إذا كان هناك فبض من المواطنين ، وحررا في أمرنا ، فأمامنا ذلك التدبير القديم ، وهو إرسال جالية الاستعمار . — أفلاطون ، القوانين ، ٧٤٠ .

رأينا أن الدول الناشئة في اليونان ، واجهت في القرنين الثامن والسابع مشكلة ازدياد عدد السكان في صورتها الحادة . واخفيف هذه المشكلة وضمان بارزان — أفراد أقل ، أو مؤن كثيرة — والوضع الثاني أسهل ، وأقرب إلى الطبيعة ، ولكنه مع ذلك أقل إرضاء للنفوس . وكما قال سقراط لتلميذه الصغير ، أكيد أنه في مقدورك أن تثرى على حساب الأجانب . . . إذا كنت أنت الأقوى ، أما إذا لم تكن كذلك ، فإنك معرض لأن تفقد حتى ما هو معك الآن . وعلى ذلك فاليونان كانت تُدفع تدريجيا إلى اتخاذ أسعب أنواع العلاج ، الهجرة وهو علاج فعال . وكما يعبر عنها أفلاطون بطريقتة المحافظة الرقيقة التي اتبعها في شيخوخته : « عندما يشعر الرجال الذين لا يملكون شيئا ، وفي حاجة ماسة إلى الطعام بالميل إلى أن يتبعوا قاداتهم في هجوم على ما يملكه الأغنياء ، فهؤلاء الذين هم آفة الدولة ، يبعدهم السياسيون إلى الخارج بروح الصداقة بقدر المستطاع ، وقد اصطلاحوا على تسمية هذا الإبعاد اسما حلوا ، أطلقوا عليه اسم جالية . فبالجهود المقصود الذي بذلته الدولة من الناحية السياسية ، بتشجيع كامل من تأثير دلفي الناجح ، انقلبت الحركات غير المنظمة في الوطن

إلى دافع استعازى قوى . وفي خلال هذين القرنين أحيط البحر المتوسط  
من اسبانيا إلى القرم ، بنطاق من المدن أنشأها اليونان و آسيا الصغرى (١) .  
وإنما ظروف نشأة الاستعمار الإغريق هذه ، أكثر من خاصية الجنس  
اليوناني ، هي التي تفسر لنا الفروق العميقة المميزة لصور الاستعمار في اليونان  
القديمة ، وبين أحدث صوره في عصرنا الحاضر — بين مرسيليا القديمة  
مثلا ، والحى اليوناني الحديث في نيويورك . لم تكن حملات الاستعمار  
اليوناني مخاطر أفراد ، أو جماعات من الأفراد ، بل كانت خطة منظمة  
دقيقة ، وضعتها الحكومة لنظام الهجرة . فالمستعمرة اليونانية لم يؤسسها  
جماعة قلائل من الرواد ، ثم عمرت رويداً رويداً ، بوصول جماعات من  
المهاجرين ، يتلو بعضها بعضاً . ولكنها تأسست دفعة واحدة في شكلها  
السكامل وتعدادها . أسسها أفواج من الناس خرجوا من موطنهم الأصلي ،  
يقودهم زعيم منهم ، كما يخرج سرب من النحل على رأسه ملكته (٢) .

وإذا ما أسست المستعمرة ، غدت دون شك ، مدينة كاملة تحيا حياة  
جديدة مستقلة ، لها علاقات قوية أو واهية ، بقدر ما تحسه من ميل ، مع  
المدينة الرئيسية . ووصف هذه الحياة بخصائصها المميزة لها لا يقع في حدود  
بحشنا . فالجاليات اليونانية لاتهمنا ، إلا من حيث الدور الذي لعبته فيما  
يتصل بأثينا في القرن الخامس . ولكن لا بد من ذكر بعض كلمات هنا لمجرد  
إزالة ما قد يكون هناك من أوهام .

لم تكن المستعمرة اليونانية أساساً مركزاً تجارياً . فلزراعة هي الأساس  
الذي يقوم عليه اقتصادياتها ، كما كان الأمر في مدن الوطن الأصلي وقد  
كانت المصادفات وحدها فيما بعد ، هي التي جعلت بعضاً من هذه المستعمرات

---

(١) أنظر ما سبق ص ١٣٨ ، أنطالون ، القوانين ، ٧٣٥ — ٧٣٦ ، ثم توكيد يدس  
١٢ — ٤ ( حيث لا يذكر مستعمرات البحر الأسود ، وروخ نأيسر المدن الايونية  
بتاريخ متأخر جدا ) .

(٢) أنطالون ، القوانين ، ٧٠٨ ، الذي يقارن تزايد السكان الفطرب بحالة حصار .

مدنا تجارية هامة ، كـبعض مدن الوطن الأصلي . فالرجال الذين خرجوا من مدنها إلى تلك المدن ليكونوا هيئة مواطنيها ، اتبعوا التقليد القديم ، وهو زراعة الأرض . والحق أن غالبيتهم كانوا مزارعين ، انتزعت منهم أراضيهم ، وكانوا ينادون في بلادهم بضرورة « إعادة تقسيم الأراضي » . والنصوص التي لدينا ، ترينا إعادة تقسيم الأرض هذه وهو في دور التنفيذ ، ولكن لم يكن يطبق إلا على أراضي البرابرة . وقد جاء في اللوائح التي وصلت إلينا وتخص إحدى مستعمرات أثينا في تراقيا ما يأتي ، « ينتخب عشرة من مقسمي الأرض ، واحدا عن كل قبيلة ، وهؤلاء يقومون بتوزيع الأرض » . والمواضع الوحيدة الأخرى التي عندنا تخص مستعمرة في جزيرة كورزولا بنى دالماشيا ، وهي تفصل الأمر تفصيلا أدق فنقول ، « يعطى لكل من هؤلاء الذين كانوا أول من سكنوا الأرض ، وحصنوا المدينة ، قطعة أرض لبناء منزل داخل الدائرة المحصنة ، مع جزء من الأرض تابع للمنزل . أما من الأرض خارج المدينة ، فيجب أن يكون لكل رجل ثلاثة أرباع الفدان ، كـنصيب أول له ، فضلا عن نصيبه من الأرض التي لازالت باقية تحت التقسيم . أما أفراد الجماعات التي تصل فيما بعد ، فيأخذ كل رجل منهم فدانا من الأرض الباقية تحت التقسيم . أما الوافدون بعدهم ، فقد شغلوا الأرض وحصنوا المدينة » . ثم يلي ذلك النص أسماء الرجال الأول ، الذين استعمروا الأراضي ، مرتبة حسب نظام « القبائل » ، في المدينة الأصلية<sup>(١)</sup> .

هذان النصان هما كل ما بقى لنا من النصوص ، وهما يظهران لنا بالتفصيل الاهتمام والتنظيم اللذين اتبعا في تأسيس المستعمرة اليونانية . ولكننا نعلم من هيرودوت الجهود التي كانت تبذل في اختيار مكان صالح ، وكيف كانوا يلجأون لأبولون ، لا ليجرد أنه قوة ناجعة شافية ، لها تأثيرها الخلق

(١) هكس وهيل رقم ٤١ ، ديـتـنـجر ، رقم ٩٣٣ . لقد تأسست بريا ( Brea ) في القرن الخامس ، وتأسست كورزولا ( Curzola ) في القرن الرابع . أنظر على العموم ماير ، الجزء الثاني ، الفقرة ٢٨٤ ثم الملاحظة ، الذي يبين مدى ضآلة معلوماتنا المفصلة عن الاستعمار اليوناني . ولم يكن هناك ، « حكمة هكلويت ( Heklyt ) يوناني يجمع لنا تفاصيل الرحلات القديمة .

وتعضيدها الأدبي ، ولكن كمصدر مفيد للأخبار عن الجهة التي يراد استعمارها . فيذهب الرجال إلى دلفي بمجموعة من الأسئلة عن عملهم ، وكان كل سياسي في اليونان يعلم أهم الأسئلة التي ستوجه .

وقد ذكر كل من أفلاطون وأرسطو في القوانين والسياسة ، أهم أسس المستعمرة النموذجية : وهي مقادير وافرة من الماء ، وأرض صالحه للقمح والزيتون والعنب ، وأخشاب للسفن ، وميناء صالح ، ومكان للمدينة لا يقرب البحر كثيراً . علاوة على وطنيين مستأنسين سهلي القيادة ، يرغبون رغبة صادقة في زراعة الأرض ، إذا ما أمنهم أسيادهم من الظلم . ولكن فلاسفة القرن الرابع ، إنما كانوا ينقلون البيانات التي وصلت إليهم من أجيال عديدة في حياة اليونان الزراعية . أما النموذج الأصلي فتجده في هومر على لسان أوديسيس ، حين يصف لالكيнос استراحته الأخيرة في الخيام قبل منازلة كيكلويس ( Cyclops ) ، وذلك في جزيرة ملأى بانغابات والمراعي الناضرة ، وبالأراضي الزراعية وأرض الكروم ، وبها قطعان من الماعز لاعد لها ، في وديانها الوعرة . ولكن هذه الجزيرة لم تعرف طوال أيامها البذر أو الحرث ، وها هي تنادى الرجال ليزرعوها (١) .

هنا يجب أن نترك المستعمرين ، إلى أن نقابلهم مرة أخرى ، عندما نخرج في رحلة مع تاجر أثيني . وقد حان الوقت لنبداً ناحية أخرى في بحثنا . فالاستعمار يولد المعاملة ، والمعاملة تسلم إلى التجارة . لقد وصلنا في الحقيقة إلى درجة في تطور اقتصاد المدينة ، عندها غدت مستحيلة ، الحياة الاقتصادية القديمة القائمة على الاكتفاء الذاتي ، حتى رغم كون الاستعمار صمام أمان لهذه الحياة . وبمعنى أدق لقد خرجنا تماماً من هذا الحد الضيق . فكيف

---

(١) الأوديسة . ٩ — ١١٦ وما بعدها ، هيرودوت ، ٥ — ١٥٥ وما بعدها ، إجزينوفون ، Anab. ، ٦ — ٤ — ٣ وما بعدها ( وقد دل هذا على أن كان لإجزينوفون عين خبير ) . أفلاطون ، القوانين ، ٧٠٤ وما بعدها ، ٧٤٠ ، أرسطو ، السياسة ، ١٣٢٧ او ١٣٢٩ و ٢٦١ ١٣٣٠ وما بعدها ( الشعوب المسألة ) .

يصدر أبولون تعليماته البحرية ، أو كيف يعرف مستعمرونا حول أى رأس تقوم مستعمرتهم ، مالم يكن الرواد المخاطرون قد اكتشفوا من قبل المكان ، أو مالم يكن شخصاً ذو قلب ، وشاب مقدام من سادة الأمواج ، قد تحدى الفينيقيين والوطنيين وشق طريقه ، متبعاً مثل الأوديسة ، في بحار لبس لها خريطة أو تخطيط ، حتى يصل إلى الميناء التي يختارها هو ؟ وهؤلاء الرواد بعضهم قراصنة والبعض الآخر عملاء أو وسطاء لتاجر هياب ، في البلدان الداخلية . بل هم أحيانا جنود نظاميون ، أو مكتشفون ، أو باحثون خرجوا لمجرد المشاهدة ، هؤلاء هم الذين خلقوا عصر اقتصاديا جديدا للدولة المدينة ، وهم في الوقت نفسه خُلبوا من هذا العصر . أما الأهالي الذين راقبوا جهادهم للوصول إلى الشاطئ من مسافات بعيدة في البحر ، وقد أحضروا كنوزهم ، أو ما عندهم إلى الشاطئ المقايضة بما يحملون ، في مكان لقائهم المعتاد . هؤلاء الأهالي كثيراً ما عجبوا لما دفع بهؤلاء إلى السياحة ، بعيداً عن وطنهم وأهلهم . وقد أخذ يوريبيدس ، أكثر الشعراء ميلاً إلى التراجيدي ، هذا السؤال عن شفاهم ، وأجراه على لسان زمرة من نساء أسرى ، كن يتلهفن على أن يروا وجهها من وجوه أهل وطنهم .

لقد لمع الزبد ، ثم لمع ،

وعلت المجداف موجة ،

وإذا بهم إلى قلب البحر يخرجون ،

لأنها عربة من الصدف جرتها رياح عاتية .

فهل لشهوة الذهب أتوا ،

أم زهوا ، ليغدو عظيم بيت لهم ؟

لأنهم لم يستطيعوا جواباً ، ولم يستطعه المهاجرون أنفسهم . لقد اندفعوا

وراء الأمل ، خيراً كان أم شراً ، غنياً أو آلاماً ، نصراً أو هزيمة ، كما

اندفع رجال عصر اليصابات من بعدهم .

إنه حلوا الأمل ، حتى لأحزان البشر  
حلوا حتى أحد عنه لن يجيد ،  
من أصاحوا ذات يوم لهذا النداء البعيد ،  
أن سيحوا بين قوم عاتين ، وبين بريق  
من بحار موحشة ، إن في كل قلب لحلم :  
ها ، إن في هذا لقضاء على اليأس ،  
حين يملك أحداً من البشر (١) .

(١) يوربيديس ، I. T. ، ٤٠٧ ، وما بعدها (ترجمة هوري) ، هيرودوت ١ — ١٩٦  
(التجار الهيايون) . ἄμα κατ' ἐμπορίαν καὶ κατὰ θεωρίαν . « يجمعون بين العمل والنظرة الفاضلة » هذا هو بيان الرحلة اليونانية عن نفسه : Ath. Pol. ،  
١١ — ١ ، ثم أيزوكراتيس ، ١٧ — ٤ ، أنظر هيرودوت ، ٣ — ١٣٩ ، توكيديس ، ٦ —  
٢٤ — ٣ . وأفلاطون الذي اعتقد أن الأسفار تضر بالناس ، لم يعرض على ترحال  
الباحثين العلميين ، فقد كان واحدا منهم . ولذا كانوا الوحيدين الذين يسمح لهم بالسفر إلى  
الخارج دون أية شروط . أما المواطنين العاديين فيباح لهم الترحال بعد سن الأربعين ، ومن  
أجل شئون الدولة فقط ، وعند عودتهم إلى الوطن يعملون على تلقين الشباب أن نظم الدول  
الأخرى أقل من نظمهم » (التوانين ، ٩٥١) . إن من الغريب أن أقدم المستعمرات العقلية ،  
وتبدأ بناكسوس وسيراكوز ، قد تأسست حسب التاريخ النقول عن « قصص التأسيس » .  
قبل إنشاء المستعمرات في اليونان الكبرى ببعض الوقت . مع أن اليونان الكبرى « تقع في الطريق  
البحري المؤدى إلى صقلية ، (كان مارا بكورسيرا) ، وكان بها بعض مواضع تصلح لأن تكون  
أراضي زراعية طيبة . ولذا فإن التواريخ التي بين أيدينا ، ربما دلت أحيانا ، لا على تأسيس  
المستعمرة ، بل على تاريخ أول جالية تجارية (ἐμπόριον) ، وربما قد ترك بها من أول  
مرة فريق من الرجال أثناء الشتاء . ويؤيد هذا أن سيراكوز ، وبنوع خاص ناكسوس ،  
ليستا قطعاً خير مكانين لإقامة جالية زراعية . فناكسوس كانت مركزاً طبيعياً يتجه إليها  
الإنسان ، فهي تقع تحت إتنا (Etna) ، كما ترى بعد أن يدور الإنسان حول اسبارثيفتو  
وسيراكوز ، أو على الأصح جزيرة أورتيجيا (Ortygia) التي تقع « بعيداً عنها » (ومي  
من المواقع التي يجيها التجار المارون بها ، توكيديس ، ٦ — ٢ — ٦) ، وكان يرحب بها  
الناس ويتهافون عليها لمذوبة عينها أريثوزا (Arethusa) التي تقع على بعد بضعة ياردات من  
الشاطئ ، عند نهاية طرفه البارز . قارن البيان المذكور في هيرودوت ، ٤ — ١٥١ وما  
بعدها ، عن الطريقة التي استعمرت بها ثيرا بمدينة قورينا (Cyrene) التي جاءت عن  
طريق المعلومات التي أدلى بها بعض صيادي الأرجوان . هؤلاء الزائرون من التجار القدماء  
أتوا بدون زوجات ، ولا عائلات ، ولا آلهة أو نظم . لأنهم كانوا يختلفون تماماً عن حشود  
المستعمرين الآخرين ، كاختلاف صائدي الجيوانات في خليج هندسون عن السكندريين =  
(م — ٢٠ — الحياة اليونانية)

## الفصل السابع

### اقتصاديات المدينة : الصناع والعمال

- إن عمالك وحده ، يمكن أن يباع ، أما روحك فلا .  
رسكين في Time and Tide ، فقرة ٨١ .  
كل حرفة يدوية تمتد عند اليونانيين فدا ، أما عند الرومان فكل فن هو حرفة يدوية .  
ماركاردت .

لقد انحصر همنا في هذا البحث الاقتصادي حتى الآن في اطراد التزايد .  
بورأينا الدول اليونانية المعتمدة على اقتصادها الزراعي البحث ، تواجهها  
مشكلة زيادة السكان على الإنتاج ، التي لا مناص عنها ، وما اتخذته من علاج  
تتاجع إزاءها ، وهو الاستعمار على مدى واسع النطاق .

وتلا عملية تخفيف الضغط هذه ، التي كان لا بد منها ، فترة أهدأ امتازت  
بثبوت القوى الاقتصادية ، على أسس جديدة أوسع من السابقة . ومانحن  
نصل إلى صبح التاريخ ، إلى الدولة المدينة التي نعرفها ، ليس فقط عن طريق  
هدأخ أفلاطون وأرسطو التي لا تجدى ، وإنما من الشعراء والمؤرخين أيضاً ،  
إلى الأوضاع الاقتصادية التي كانت الأسس المباشرة ، التي قامت عليها  
الإمبراطورية الأثينية في القرن الخامس . ويبدو أنه من الأفضل أن نغير

== العاديين ، أو كاختلاف الفيكينجز ( Vikings ) القدماء ، عن النورمانديين . وهم في الواقع  
ليسوا مهاجرين ، وإنما متقلن . وقد اقترح مايرز ( Proceedings of Classical Association ،  
١٩١٤ ، ص ٦٧ ) حلاً آخر لهذا المشكل . فهو يظن أن المستعمرين الأول ، قد مروا باليونان  
السكبرى . « لأنها كانت مستوطنة بأناس من بقايا نظام أقدم ، يرجع إلى العصر المينوي  
المتأخر » : ولكن ذلك كما يقول ، لا يبدو أن يكون مجرد اقتراح . — ١٩٢١ . أنظر الآن  
Aubrey Gwynn, The Character of Creek Colonization ، وهو المقال الذي فاز  
بجائزة كرومر ، والذي يجمع قدراً كبيراً من المعلومات على نحو ملائم . ( أنظر التذييل ) .



حطريقة البحث من الطريقة المتقلبة ، «الديناميكية» ، إلى الطريقة الثابتة ، ونقف عند هذه المرحلة لحظة ، نستعرض الخصائص الاقتصادية في الدولة المدينة التاريخية . ولن يكون ذلك إلا على نحو إجمالى عام ، إذ سنجمع الأدلة من ميادين واسعة مترامية . ولكن من غير بيان كهذا ، سمن المستحيل أن نفهم المشاكل الاقتصادية ، التي واجهت أثينا في القرن الخامس . وستتبع النظام الذى اقترحناه في فصل سابق ، فنبداً البحث باقتصاديات الفرد ، ثم بالاقتصاديات العامة . نتم أولاً بالفرد الأثينى . ووسائله في كسب عيشه ، ثم نترج إلى السياسة الاقتصادية للدولة الأثينية . وبهذه الطريقة سنختار عدداً من العوامل المهمة ، ونضعها في أماكنها الصحيحة ، وهى عوامل لم نذكرها بحكم الضرورة فيما أجمالناه في النصفحات السابقة .

إنالم نعرف حتى الآن ، إلا نوعاً واحداً من المكتسب اليونانى ، وهو الذى يعتمد في حياته على الأرض ، الأم الطبيعية للبشرية جمعاء . فعلينا الآن أن نضع جانبه طوائف المكتسبين الآخرين الذين زادت أهميتهم في عصر تثبيت الدعائم هذا . وأول هؤلاء وأهمهم ، هو الصانع أو كما نسميه الآن العامل الفنى .

وسنحتاج إلى استخدام خيالنا قبل أن نتعرف على هذا الصانع ، إذ أن نألشبه قليل بين الصناعات الفنية كما نعرفها الآن ، وكما عرفها اليونانيون . فأولاً ، لقد شغلت الصناعة في اليونان ، مكاناً قليل الأهمية نسبياً . أما عندنا اليوم ، فالصناعة أهم دعائم الثروة القومية . وحتى عند ما يطالب المدافعون عن الزراعة ، بوضع الأرض جنباً إلى جنب مع الصناعات ، فإنهم إنما يذكروننا بأن الأرض هى «صناعتنا الكبرى» ، أما في اليونان فقد كانت الأرض في المرتبة العليا دون ما جدال . ولم يفكر المواطن العادى في أن يتجاوز بنظره أمنا الأرض لكسب قوته . فلما شقت الصناعة طريقها كوسيلة ممكنة لكسب العيش ، ظلت ثانوية بالنسبة لمركز الزراعة الرئيسى .

والوضع الطبيعي الذي تصوره اليونانيون ، هو أن تكون كل عائلة ريفية نفسها بنفسها . تصنع محراثها ومنجلها ، وتغزل ملابسها وتنسجها ، وتبنى منازلها وتصلحها ، وتؤلف أشعارها ، وتحضر جرعات الدواء ، إذا ألم بها مرض . وإذا اعتمدنا على إحدى مدارس المؤرخين الاقتصاديين ، كان ذلك هو ما اضطلع به اليونانيون طوال تاريخهم<sup>(١)</sup> .

وليس من شك في أن هذه الحالة السعيدة من الاعتماد على النفس ، لم توجد قط في الواقع . فنحن نعرف من القطع المحفوظة في متاحفنا ، أنه حتى قاطع الصوان ، كان لا بد وأن يكون محترفا . وحسب ما اتصل إليه مصادرنا ، نرى الصانع إلى جانب الفلاح في اليونان ، وفي فلسطين أيضاً ، فلا نسمع عن Tubal-cain الحداد وحده ، بل أيضاً عن جوبال (Jubal) الذي كان يلعب القيثارة في ليالي الشتاء . ولكن سيظل صحيحاً على الأقل أن هؤلاء الفلاحين القدماء ، وأيضاً زوجاتهم وتابعيهم قاموا في منازلهم ، وخاصة في نطاق صناعة الملابس ، بالكثير مما ترسله عادة ، نحن الآن ، وحتى بما كانت ترسله اليونان في أيامها الأخيرة ، لمختص يقوم بأدائه ، ويأخذ عليه أجراً . ففي الأصل كانت الصناعة تخصصاً . فالرجل الأعرج أو الأعمى الذي لا فائدة منه للزراعة ، كان يكرس نفسه للحدادة . التي تتطلب جسماً قوياً ، وأذرعاً مفتولة ولا ترهق الأرجل ، أما الأعمى إذا كان قد وهب الذاكرة والقدرة ، فإنه يحترف زوايا الأغاني القديمة ، وإدخال التحسينات عليها . وهكذا صار المجتمع غنياً بأمثال هومر . وهيفايستوس المحليين . وسرعان ما اقتنع الجميع بأنه من العيب ، أن يضيع

---

(١) أنظر ماير في « Die Wirtschaftliche Entwicklung des Altertums » (وقد أعيد نشره في Kleine Schriften عام ١٩٠٩) ويدرس بأمانة رودبرتنوس (Rodbertus) وأتباعه المحدثين . ولا تستحق نظريتهم أن تذكر ، إلا لأنها اختلطت بعمى الآراء المعاصرة ، فعاودت الظهور مثلاً ، في الاشتراكية وغيرها من النواحي التي تعنى بالانقلاب الصناعي . ثم إن ماير نفسه بكلامه عن « الرأسمالية » في اليونان القديمة ، دون تحديد تام لما يقنيه ، قد أوحى إلى مدرسة أخرى منخرقة ، قوامها كتاب معروفون يرون في كل ناحية من نواحي الحياة اليونانية وجهاً من ذلك النزاع الصناعي الحديث . ( أنظر التذييل ) .

مؤقت العائلة الثمين في عمل مجرات أو آنية وسلال ، يمكن للصانع عملها بإتقان  
 أعظم وفي وقت أقل ، أو أن يخاطروا بحياتهم الغالية دون أن يسترشدوا  
 بنصح خبير في العقاقير والأعشاب . وهكذا مع بداية القرن السادس أصبح  
 من المعترف به في المجتمع الاثيني ، بأنه إذا وهب رجل ملكة فنية خاصة ، فمن  
 الطبيعي أن يستغلها لكسب عيشه . ويعطينا سولون في إحدى قصائده ، قائمة  
 مختصرة بأسماء الذين اكتسبوا عيشهم ، عن طريق مهارتهم الفنية في عصره .  
 ففي جانب التاجر والزارع الفنى ، الذى أصبح مشغولاً بمعرفة أسرار زراعة  
 الزيتون ، يذكر سولون صناع المعادن والنساجين والشعراء ، أو بالأحرى  
 الرواة ، والمنجمين والأطباء . وعلى أية حال لم تكن هذه القائمة مستوعبة  
 لكل شيء . فقد نسى على الأقل طبقتين هامتين جداً ، هما قاطعى الأحجار  
 وصانعى الفخار ، ولسكتها تحوى ما فيه الكفاية كمقدمة نافعة لبحثنا . إذ  
 أنها تذكرنا أننا إذا أردنا أن نفهم الصناعة اليونانية ، والروح الطروب التى  
 كانت توحى بها ، فإننا فى حاجة إلى تصحيح وتوسيع فكرتنا المعروفة  
 عن العمل ، بأن ننحو من عقولنا ميولاً كثيرة هاجعة مردها إلى ضيق  
 الاختصاص . وقبل كل شيء ترجع إلى الفروق بين الطبقات فى  
 الحياة الحديثة . فالليونانيون قديما وحديثاً ، لم يميزوا بين المهنة ، أو  
 الحرفة ، و « الصنعة » (١) .

إننا إذا أنعمنا النظر فى هذه المميزات الحديثة ، رأيناها غير حقيقية  
 ولا معنى لها . فالفارق الحقيقى فى هذا المجال ، كما عرفه أجدادنا هو ما بين  
 الرجل فى النقابة أو العشيرة ، الذى له معرفة بشيء ما محدد ، مع القدرة

(٢) سولون ، ١٢٠ — ٤١٠ . وما بعدها . ( لا يشير فى باب ٤٩ ، إلى التعمدين كما قيل  
 أحياناً ) . فيما يخص جوبال ( Jubal ) . وأخاه قابيل ( Tubal-cain ) ، أنظر سفر التكوين ؛  
 ٤٠ — ٢٠ ، ثم تصوير جوبوتو لهذه الجماعة الأولى فى أسفل برج الأجراس ( Campanile ) .  
 وقد كان بعض أصحاب المهن من الأسرى ، أمثال ديموكيدس طبيب البلاط الفارسى ( هيرودوت ،  
 ٣ — ١٢٥ ، ١٢٩ ) . وهكذا ، ربما كان إبيوس ( Epeios ) . صانع الحصان المشي المشهور  
 ( فى الإلياذة الصغرى ) أسيراً من الإيبين ( وهم قبيلة انقرضت فيما بعد عندما اختلق له أصل آخر ) .

المدربة على استعمالها ، وبين الرجل الذي لا يملك شيئاً من معرفة . أو بعبارة  
أصح هو الفرق بين الفنان والعامل العادي . ففي تلك الأيام الأولى كان  
الرجال الذين يعرفون لذة الابتكار والإبداع ، سواء كان بالعقل أو باليد ،  
يوضعون في مرتبة « الشعراء » أو « الفنانين » . بويتاي (ποιηταί) وتختيناي  
(τεχνίται) ، ويقبلون كصناع زملاء .

إذا كنا قد جهلنا هذه الحقيقة التي لا ريب فيها ، وسمحنا لفنانينا  
ورسامينا ومؤلفينا وأطبائنا وميكانيكيينا أن ينكص كل منهم ، ويقتصر  
على « مهنته » أو « حرفته » ، وحدها دون غيرها ، فما ذلك إلا لأننا فقدنا  
السعادة القديمة التي جعلت الغاية المشتركة دائماً نصب أعين الصناع . وقد  
استطاع نظامنا الصناعي أن يبعد اللذة والسرور من الصناعة بمهارة خبيثة  
كل الخبث ، حتى نعتقد أنها مقصودة ، وبذا فضى على ينبوع الفن . فهو  
قد أبدل ، حينما أمكن ذلك ، بمهارة اليد ودقتها ، آلات صماء ، وبالفكر  
المستقل للعقل البشري ، نظاماً لا روح فيه . وأبعد الصناع أو المنتج ،  
عن كل اتصال بالجمهور الذي يعمل له ، وأحل رابطة الدفع النقدي المضي  
للقوة ، محل العلاقات الشخصية القديمة ، أو محل الإحساس بالبدل من أجل  
عمل مشترك . وزيادة على ذلك فقد سلبه حريته ، وأجبره على أن يعمل  
لسيد ليس بفنان ، وأن يعمل بسرعة ودون إتقان . لقد جعل من نساج  
سولون ، غازل صوف خشن مخلوط ، ومن شاعره صحفيا ، ومن كاهنه  
(إذا لم يكن طبيبه) دجالاً . فإذا ما أردنا أن نفهم الصناعة عند اليونانيين  
فهنا صحیحاً ، فلنرجع بأنفسنا إلى الوراثة ، إلى جو أكثر حرية مثل ذلك  
الذي ظل يحيط منازل عمالنا الإنجليز ، حتى قرب بداية الانقلاب الصناعي  
وطبيعي أن يستمتع الإنسان باستغلاله أحسن مواهبه . ولكن  
لم يشعر الناس قط بهذا الاستمتاع شعوراً قوياً ، ولم يبذلوا جهوداً كبيرة  
للحصول عليه ، بقدر ما حدث في اليونان القديمة . وإن شئت دليلاً على  
ذلك فإذهب وانظر رفوف متاحفنا اليونانية ، فينسى أن تجد قطعة من

صنعهم ، مهما بلغت بدايتها ، دون أن تحمل قيس من روح الفن ، قد تكون  
ضعيفة أحياناً ، وأحياناً هي قوية كل القوة (١) .

ما هي الظروف التي كان يعمل في ظلها هؤلاء الصناع اليونانيون؟ لكن  
نجيب على هذا السؤال سنأخذ فرعين نموذجيين من الصناعة ، أحدهما  
بما يؤدي خارج المنازل والثاني داخلها ، وما لدينا من معلومات عنهما يمكننا  
من ملاحظة سير العمل . فترك الدباغ وصانع القيثارة والجوهري والحداد  
وصانع الزجاج ، الذين لا نعرف عنهم شيئاً كثيراً ، ونذهب لزيارة قاطع  
الأحجار والخزاف ، وبشيء من الحيلة والاحتراص الواجبين ، يمكن  
أن نفترض أن ما سنعرفه عنهما ينطبق على أعمال زملائهم الصناع ، الذين  
يعملون في ميادين النشاط الأخرى (٢) .

فالمعابد اليونانية والمباني العامة بكل ما فيها من الأعمال الفنية ، هي  
أشهر ما تبقى من آثار الصناعة اليونانية . ومن حسن الحظ ، أن لدينا الآن  
أدلة من النصوص ، كافية لتتبع بعض هذه الآثار ، أثناء عملية بنائها .  
فالبناؤون والمثالون الذين بنوا المعابد والأضرحة وزينوها ، وأقاموا

---

(١) من سوء الحظ أن الصناع اليونانيين ، لم يتحدثوا إلينا إلا بأعمالهم فقط . فلم يتركوا  
أنا شيئاً من أغانيهم التي كانوا بكل تأكيد يترنمون بها أثناء عملهم ، وكل ما لدينا من ذلك  
ثلاثة أسطر على طاحون قديم :

إطحنى يطاحون ، إطحنى ،

فقد طحن بيتا كوس

الذي كان ملكاً على ميثلين الكبرى .

(Anth. Lyr. "Carmina Popularia" 46.)

(٢) قارن أغنية حفاري الآبار في الأعداد ، ٢١ — ١٧ إلى ١٨) . وليس أبعد من  
أغنية خزان سيلان ، التي ذكرها والاس في The Great Society ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .  
وهي تمثل العامل في كل مراحل وطرق عمله الذي يجب . أنظر جلوتر ، Travail ،  
ص ٣٢٨ — ٣٢٩ ، مع الصور الإيضاحية .

(٢) Blümner, Technologie und Terminologie der Gewerbe und  
Kunste der Griechen und Römern (ليزر ، ١٨٧٥ — ١٨٨٦) ، وهو يجمع  
كل الالفاظ عن المهنة ( وإن لم يذكر شيئاً عن أصحابها ) .

البواكي ، ومخازن الأسلحة وغيرها من المباني العامة اليونانية ، لم يكونوا موظفين في الدولة ، بل كانوا صناعا خصوصيين مثل سقراط ، وقتهم ملكا لهم . ففي الأيام العادية عندما تكون الدولة في غير ما حاجة إلى خدماتهم ، كانوا يعملون في مصانع الأحجار الخاصة بهم ، مع أربعة أو خمسة مساعدين . ينتشون هذه النصوص التقليدية ، ويحفرون على شواهد القبور ، تلك المناظر الهادئة التي نعرفها جيدا من متاحفنا . ولكن إذا ما احتيج إليهم بخصوص مبنى عام كانوا يرفضون العمل في الحكومة وقتاً ما ، ويعملون وفق اتفاق خاص تحت إدارة المراقبين الحكوميين أو وكلاء خصوصيين للأعمال العامة . وأحياناً يصبح رئيس البنائين مجرد ملاحظ أشغال ، وتدفع الدولة رأساً أجور عماله ، وإن ظل هو محتفظاً بإشرافه عليهم في عملهم . وأغلب الأحيان يظل هو مقاولاً صغيراً ، يأخذ العمل على عاتقه ، ويضطلع بكل المسؤوليات لإنجازه . وقد حفظت لنا بعض العقود التي صيغت على هذا النحو . وهي ترينا إلى أي قدر اهتمت المدينة بمراقبة العمل ، الذي أعطته للمقاولين . وعليه أن يعمل باستمرار . . . بعدد كاف من الصناع ، وفقاً لما تقتضيه المهنة أو العمل . (κατὰ τὴν τέχνην) ، ولا يقل عددهم عن خمسة أشخاص . وإذا خالف شرطاً ما ينص عليه العقد ، أو تبين أنه يؤدي عمله بإهمال ، (κακοτεχνῶν τι) فيعاقبه المراقبون ، بما يرونه مناسباً لعدم تنفيذ الشروط المكتوبة . وإذا ظهر أن أحداً من الصناع الذين يعملون معه يؤدي عمله بشكل غير مرضي ، فيجب أن يطرد من العمل ، ولا يشترك فيه بعد ذلك . فإذا لم ينفذ هذا الحكم ، عوقب هو والمقاول معا . . . وإذا أتلّف المقاول أي حجر سليم أثناء العمل ، وجب أن يأتي ببديل عنه على حسابه ، دون أن يعطل العمل ، كما عليه أن ينقله - أي الحجر التالف ، خارج نطاق المعبد ، وذلك خلال خمسة أيام ، وإلا سيعد ملكاً مقدساً . . . وإذا اختلف المقاولون فيما بينهم على أي شيء منصوص

عليه في الاتفاق ، فللمراقبين الفصل في ذلك . . . . (١)

ومن هذا يمكن أن نرى بوضوح ، أى نوع من الرجال كان هؤلاء المقاولين القدامى ، وكيف يختلفون عن المنظم الحديث للعمال المأجورين ، الذى يسمى بنفس الاسم . كان المقاول اليونانى نفسه عاملا ، يعمل إلى جانب عماله ، ويتعرض للعقاب على سوء أعمالهم ، أو لإهماله هو . ولم يكن عنده رأس المال ، ولا العدد الكافى من العمال ، ليأخذ على عاتقه القيام بالعمل كله أو بجزء كبير منه . فهو لا يعدو أن يكون رئيس بنائين ، يعمل فى نفس العمل مع عدد ربما بلغ العشرين من رؤساء بنائين مثله ، فخورين بأنهم لوقت ما سيتخذون الأكروپول مصنعا لهم ، وبأنهم سيمتلكون سمعة فنيهم ، وسمات الصناع الذين دربوهم ، على أثر عظيم من آثار المدينة . ولم يكن ثمة منافسة تحول بين البناء المنافس والعمل ، ولا ثمة منافسة على مكاسب كبيرة .

حقا ، لقد كان رأس مال هؤلاء المقاولين ضئيلا جدا ، كما أن مواردهم تعجز عن مواجهة أى مطلب كبير ، حتى أنه إذا شرعت مدينة فجأة فى عمل من الأعمال ، يحتاج إلى عدد كبير من العمال ، فعليها أن ترسل وكلاء عنها يستدعون المقاولين ، والعمال اللازمين من الخارج . ولا نرى أثرا لصناع مهرة عاطلين ، لا فى أثينا ولا فى غيرها ، بل الخطر هو العكس أى أن نفتقد المدن العمال اللازمين لتنفيذ المشروعات . وهكذا حين قرر أهالى أرجوس أنهم كأثينا ، فى حاجة إلى أسوار طويلة ، تمتد إلى البحر اضطروا أن يرسلوا إلى الأثينيين ، فى طلب مزيد من عمال الخشب والحجر . وكانوا

(١) ديتنجر ، رقم ٥٤٠ ، ٢ - ١١ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٤٢ ، والمبنى يمثل ممهدا لزيوس فى لياديا : وتاريخه يرجع إلى ١٧٥ - ١٧١ ق . م . ولكن نفس الطريقة والتدبيرات المشابهة تظهر فى كل النصوص الباقية . أنظر ديتنجر ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٧ وما بعدها (aedificaciones) . فيما يخص المشرفين (ἐπιτόκτοι) ، أنظر فرانكوت ، Industrie ، الجزء الثانى ، ص ٦٣ - ٦٤ ، وكل القسم الخامس بالأعمال العامة . وفى أثينا فى عهد بركليس ، كان عدد مشروعات الباني ثلاثة أو أكثر ، ويعتقظ بها فى المكتب لأكثر من سنة . ربما كان يقصد من ذلك ، إلى أن تم الباني التى مى بشأنها .

يستطيعون إذا لزم الأمر ، أن يعهدوا بالعمل البسيط غير الفنى ، إلى النساء والأطفال وخدم المنازل . أما هذه الأعمال التى تحتاج إلى مهارة بطرقها الصناعية المتوارثة ، فلم يكن يمكننا ارتجالها بمثل هذه السهولة (١) .

وسيفيد هذا فى تهية عقولنا ، لما سىرى فيه قراء العصر الحديث أبرز موضوع لنصوص المباني الأثينية ، وذلك لأننا تعلمنا من رجال اقتصادنا ، أن نعتبر مستحيلا ، أن يظهر من ثنايا النصوص ، ما يدل على أن بين البنائين عبيداً قاموا بنفس العمل ، وأخذوا نفس الأجر الذى يأخذه البنائون الأحرار . والحقيقة أنه فى مدينة تتطلع لبناء مباني عامة هائلة — أو فى مدينة كما ينبغى أن نقول ، فيها تنتشر المباني انتشاراً سريعاً — فالحاجة كانت ملحة إلى مزيد من العمال ، لسد النقص فى صفوف هذه المهنة ولم يكن من السهل سد النقص من بين أفراد السكان الأحرار ، الذين يسلكون فى الحياة مسالك أخرى لأن حركة التوسع أثرت إلى حد ما ، فى كل نواحي الحياة تقريباً . فلا مفر إذن ، من أن يعوض هذا النقص من الخارج . ومن هنا أكملت أثينا ، نقص عمالها بعمال أجانب ، وذلك فى القرن السادس بل وفيما بعده ، كما سىرى . فى القرن الخامس . وبعض هؤلاء كانوا من المقيمين الأجانب الأحرار ، الذين اجتذبهم أثينا ، والبعض الآخر من العبيد الذين كانت دعوتهم اضطرابية ملحة . والنقطة الجديرة بالملاحظة هنا ، هى أن هاتين الطبقتين ، مهما كان وضعهما القانونى ، قد قبلتا فى المهنة وكان أفرادها يعملون بنفس الشروط التى يعمل بها المواطنون . ومن مراجعة ما دفعته الدولة لبناء الإرخثيوم عام ٤٠٩ ، يتبين أن الأجور دفعت إلى ٢٧ مواطناً و ٤٠ أجنياً من الأحرار و ١٥ عبداً . ويمكن أن نتأكد من صحة هذه الأرقام بمقابلتها بحسابين آخرين لأنيسكا ، خاصين ببناء معبد فى إلوزيس فى السنوات ٣٢٩ — ٣٢٨ ، ٣١٩ — ٣١٨ . وهاتان المجموعتان ، إذا ما ضممتا سوياً

(١) توكيديس ، ٥ — ٨٢ — ٥ . أنظر فرانكوت ، الجزء الثانى ، ص ٣ ، فيما يخص  
مقاولي جمع المال (Κήρυκες) . فاون مساعدة حيرام لسابان ، الموك ١ ، ٥ — ٦ ، ١٨ .



تبين أن هناك ٣٦ مواطناً و ٣٩ مستوطناً و ١٢ أجنبياً ، وعبدين ، فضلا عن ٥٧ اسماً آخر ، من الصعب تحديد إلى أى فريق من هؤلاء تنتمي (١).

لم يكن هؤلاء العبيد وغيرهم من غير المواطنين ( بكل تأكيد كان كثير منهم من المحررين) يعملون فقط في نفس الحرفة التي فيها يعمل المواطنون ، بل كانوا يقيمون فعلا بنفس الواجبات . ففي الإرخثيوم مثلا ذكرت النصوص فرعاً واحداً من العمل ، وهو تخطيط الأعمدة . يقوم بتخطيط كل عمود جماعة يتراوح عدد عملها بين أربعة وستة ، يقودهم رئيسهم أورئيس البنائين . وكلهم بما فيهم الرئيس يأخذون أجراً متساوياً . المواطنون وغير المواطنين ، العبيد منهم والأحرار ، بدوا وحدة بمزوجة . وفي إحدى الحالات ، كان الرئيس عبداً ، وفي حالة أخرى جاء سيد ، يقوم بدور رئيس العمال ، جاء بعبدين من عبيده ، واستأجر عبداً آخر لهذا المناسبة من رجل آخر . وكلهم يأخذون أجراً واحداً ، درخمة واحدة في اليوم ، أو ما قدرته الشراعية . حوالي أربعة شلنات . والحقيقة كما لاحظ فرانكوت ، أن الأجر العادي لجميع طبقات العمال ، في الإرخثيوم ، من المهندس إلى العامل اليومي ، ومن الحر والعبد ، هو درخمة واحدة في اليوم ، (٢).

وهذا فعلا ما يجب أن نتظره من مجتمع يعنى بالفن حق العناية ، إذا لم تكن نظريات أرسطو وغيره ، قد أذاعت الاضطراب في مخيلتنا . فكل الفنانين الحقيقيين ديموقراطيون روحاً ، لأن الاهتمام المشترك في عمل حسن

(١) I. G. ١، ٣٢٤ ، التي حللها فرانكوت ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) فرانكوت ، الجزء الأول ، ص ٣١٦ . لم يكن للعبد الحق في أن يحتفظ بهذه أو بأية ثروة أخرى يمكنه اكتسابها (مثلا بأن يفتح حانوتا) فسيد ومالكه يؤجره ( كما يفعل مالك الأرض بأرضه ) ، نظير ما يستطيع أن يحصل عليه من عمله ، ويستحوذ على دخله الذي يسمى « كراء العبيد » ( ὄποφορα ) . ولكن بالتجربة استطاع مثل هؤلاء العبيد أن يحتفظوا لأنفسهم بقدر طيب من مكسبهم ، على أمل أن يشتروا به يوماً حريتهم . أنظر ص ٣٩٠ - ٣٩٢ فيما يلي . كان العبيد الذين يعملون « لحسابهم » يعرفون بـ χωρῖτες οἰκοῦντες ( Dem. ، ٤ - ٣٦ ) . وفيما يخص قوة الشراء ، أنظر الإحظة ، ص ٤١٢ فيما يلي .

يطغى على كل الفوارق غير الحقيقية . فلم ير الصناع الاثنيون في عبيدهم . آلات حية ، ، كما يسميهم أرسطو ، وإنما مجرد زملاء في العمل ، ، هم أيدي إضافية زبدت إلى مصنع العائلة ، لمساعدة البنائين والحزافين ، على سد حاجيات المدينة . ولا شك أن أرسطو الذي يشبه المحامي ، كان على صواب من الوجهة الفنية ، فقد ظل العبد شيئاً ، وليس شخصاً ، ، ولم يكن في مقدوره أن يؤكد حقه الشرعي في الأجر الذي يكسبه . ولكننا سنرى في فصل قادم كيف أن مركزه في اقتصاديات المنزل ، ونشاطه اليومي في الحياة الخاصة ، كان له أثره على مركزه الشرعي (١) .

وما زالت هذه الأعمدة المخططة في مكانها حاملة الأروقة التي أقيمت من أجلها ، لم يسلبها الزمن جمالها ولم ينل من رشاقته ودقة صنعها ، اللتين كسبتها بهما أيدي هؤلاء الغرباء والعبيد . ولنترك الأكرهول الآن لنذهب لزيارة خزاف صديق في سراميكوس . وإن نرى هنا مصنعا يشع المنظر ، كما هو في العصر الحديث ، فن المحتمل أن نجد في منزله ، مثل العامل الذي يسكن الكوخ اليوم ، ومعه أولاده وجماعة تساعد من عمال صغار آخرين . فنادرا ما كان يستعمل المنزل لشيء آخر ، حتى لم يقيم ما يمنع من استعماله مصنعا ، وليس هناك من سبب يدعو إلى إضافة مصروفات أخرى على العمل ، نظير استئجار مكان آخر . فهذا المصنع أو هذه المدرسة ، ( كما تعلمنا أن نقول عن المصورين الإيطاليين ) . أو كما يعبر عنها الفرنسيون بدقة بقولهم « atelier patronal » ( مصنعارئيسيا ) ، لم يكن قط كبيرا . وكما يقول كاتب فرنسي ، لم يزد عدد العمال عن ١٢ عاملا . وقد ترك لنا نقاشو الأواني رسوما عدة تصور مصنع الخزاف المنزلي من الداخل ، وتوالي مراحل العمل المختلفة . فيمكن أن نرى الرئيس ، كما رأينا في مصنع الأحجار : يعمل إلى جانب تلاميذه ومساعديه ، موجهها ومشجعا لهم على

(١) « العمال الزملاء » : إاجزيفونون ، Mem. ، ٢ - ٣ - ٣ ، إنها فقرة عارضة ، ومع ذلك فهي صادقة تماما ، أصدق شيء بالنسبة لهذا الموضوع .

ما يبذلونه في سبيل الفن . كم كان نجاحهم ، فهذا ما يمكن أن يقدر ، بأنه من بين آلاف القطع التي تملأ المتاحف ، ما من إناء من منقوشين نقشاً واحداً ، ورغم ذلك فإن دوريس وإفرونيس وزملاهما الكثيرين المجهولين لم يعتبروا في زمانهم بين الخالدين . لقد عدوا عمالاً مخلصين ليس إلا ، اكتسبوا الدقة والمهارة من تمرين طويل مستمر ، حتى عرفوا ما هو العمل المتقن حقاً ، وأسعدهم ما يبذلونه من مجهود جبار في إنجازهم . وما شكوه من أوائى لم تكن للزينة ، ولا تحفا تستهوى الجامع — فلم يسمع اليونانيون عن جامعين ولا هواة — إنما كانت هذه أشياء للاستعمال اليومي . ولكنها ما دامت مصنوعة لاستعمال اليونانيين ، فيجب أن يخرجوها جميلة ما وسعهم أى متقنة الشكل ، مصقولة تماماً ، بديعة النقش ، وإلا عدت غير صالحة للاستعمال<sup>(١)</sup> .

لم تقم بين العمال في هذه المصانع المتواضعة ، أية فوارق اجتماعية ، كما لم تقم بين بنائى الأكروبول . فكل يعمل قدر ما يستطيع ، ويكرّم حسب عمله ، ويكافأ في الوقت المناسب على ما أداه ، ولا بد أن كان كثير من العمال المساعدين في أثينا في القرن السادس ، بل وربما غالبيتهم في القرن

(١) أنظر Pottier's Duris and the Painters of Greek Vases ( الترجمة الإنجليزية ، ١٩٠٩ ) ، مع الصور ، وخاصة ص ٢٥ . وبالطبع كانت بعض فروع تلك المهن ، آلية أكثر من الأخرى . فلم يكن هناك مجال كبير ، لإظهار شخصية المصانع ، في صنع الدروع والرماح ، وهذا الفرع هو الذى نجد فيه أكبر المصانع . ويقال أن كان يعمل في المعتاد بمصنع ليسيلاس وأخيه ، ١٢٠ عاملاً . ولكن يشك من الفقرة ( Lys. ، ١٢ - ١٩ ) فيما إذا كان هؤلاء المائة والعشرون عبداً المذكورين استخدموا كلهم في هذا . وإذا كان ذلك كذلك ، فيكون هذا المصنع أكبر ثلاثة مرات من أى مصنع يونانى آخر عرفناه . ويأتى بعده مصنع أبى ديموستير ويعمى ٣٣ عاملاً . ولكن تاريخ كل من المصنعين ، يرجع إلى عصر كانت فيه أحسن التقاليد الصناعية اليونانية في ازدهار ، كما سنرى . ويبدو أن ( فرانكوت ، Industrie ، الجزء الثانى ، ص ٢١ ) قد أبان أن هذه المصانع الكبرى لم تكن تقدم أجراً حسناً للمصانع الصغيرة . وكان شعار المصانع في القرن الخامس هو « هما كانا تعملان فانقنا بأقصى ما نستطيع » ، كما كان شعاره في الوسائل العامة . وقد نادى بذلك سقراط أيضاً . ( إجزونوفون ، Mem. ، ٢ - ٨ - ٦ ) . أنظر جلوتز ، Travail ، ص ٣١٩ .

التالى ، لا بد أن كانوا عبيدا أو أبناء عبيد . ونعلم أن من بينهم ، من لم يكن أثينيا ، بل ولا يونانى الأصل ، حتى من الرؤساء أنفسهم ، بل ومنهم من كان ذائع الصيت مثل بريجوس . إلا أنه لا يمكن لنا أن نتبين ، أى تمييز فى المعاملة ، إلا من النقوش أو النصوص . فسواء كان فى مصنع الخزاف أو فوق قبة الأكروبول ، فالصناع ، عبيدا كانوا أو أحرارا ، أكلوا نفس الطعام ، وعملوا نفس ساعات العمل ، ولبسوا نفس ملابس العمل ، وكانوا يتفقون على خلعها ، إذا ما كانت طبيعة العمل مما تسبب الحر أو يخشى القذارة منها (١) .

ولم يكن الصناع بحاجة إلى رأس مال غير آلات عمله البسيطة ، ( التى تصورها لنا نقوش الأواني ، معلقة على الحائط ، كصورة من صور هوليين وذلك عند عدم استعمالها ) . فاستعمله من أدوات نادرا ما كان غالبا ، وفى المعتاد كان يأتى بها من طلب إليه عملا . إذ كما تأخذ عربتك أو محراثك إلى النجار أو الحداد لإصلاحها ، كذلك تأخذ الجلد إلى الإسكافى ، ( هذا وإذا اعتمدنا على إحدى أواني أكسفورد ) فإنك تقف على منضدته ، بينما يفصلها هو حسب قدميك . وإذا كنت مسرعا ، أو عدت بزوجك وبناتك كسالى ، أو أعتقت إمامك ، أعطيت صوفك لأحد نساجى الصوف الخارجيين . فالصانع لم يكن فى الحقيقة تاجرا ولكنه كان مايسميه

---

(١) فيما يخص المساواة فى المعاملة بين العبيد والأحرار فى المصانع أنظر جيرو ( Guiraud ) فى كتابه ، *La Main - d'œuvre industrielle dans La Grèce ancienne* ، ص ١٩٧ ، بوتير فى *Duris* ، ص ١٠ . إن اسم دوريس ( *Duris* ) نفسه ليس أثينيا ، رغم أنه لم يكن بربريا ، كأسماء كثيرين من الفنانين . وقد اعتدنا أن نعد رسوم الأواني التى تمثل الأشخاص من أمثال الفخراى والحداد وغيرها ، عراة ، أو لا يضمنون من اللباس إلا أقلها ، ليست إلا رسوما « اصطلاحية » . ولكن على إزاء واحد على الأقل ، مثل لباس معلق على الحائط ، أنظر دارمرج وساجليو ، الشكل ٢٩٦٩ ، مقال *Ferrum* . والحقيقة هى أنهم مثل الرجل النخيل فى ثيوفراستوس ، لا يمكنهم وإن يمكنهم أن يقتنوا إثنين . ( القدماء لم يضعوا ملابس ليلية ) . والمصورون الآخرون وبعض كبار النقاشين الذين يتحدرون من أصل رقيق ، هم سكيثس ( *Scythes* ) وكولخوس ( *Colchos* ) وثراكس . وليدوس ثم سيكانوس وسيكاوس وأمازيس ، الذى كان أول مصور أتيكى للأواني ، وقع باسمه عليها . ( موسوعة باولى ، مقال أمازيس ) .

اليونانيون (تحتين) ومعناها فنان ، من غير أن يعلق بهذا اللفظ شيء من صفات البوهيمية ، كما هي الحال عندنا . فلم يكن من اختصاصه شراء المواد ، إنما تشكيلها وجعلها نافعة . وقد وفر عليه ذلك ، الاحتفاظ بكميات كبيرة منها ، ووفر عليك أيضا التعقيدات التي تنشأ عن دفع أرباح متعددة مختلفة<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا فالصانع كان على صلة قريبة بالناس الذين يعمل من أجلهم ، ولم يكن محتجبا عنهم خلف جملة من الموزعين والوسطاء ، شأن العامل الحديث . إنه كان يعتمد على تقدير المواطنين المباشر في كسب رزقه ، ولذا فقد حرص على أن يكون محله في قلب المدينة ، حتى يسهل الوصول إليه ، وحيث يمكن أن يلفت الأنظار بسهولة ، وغالبا ما كان قريبا من السوق العامة حيث يكثر مرور الجمهور . وكان لكل صناعة حياها ، في صفوف خاصة وسط الشوارع الكثيرة المختلفة . فكما في لندن القديمة عندما تغادر حتى تشيپسايد ( Cheapside ) تجد نفسك في « بركسبري » ( Bucklersbury ) أو وود ستريت ( Wood Street ) أو في « آيرن مونجر » ( Ironmonger ) أو ليدرلين ( Leather Lane ) . كذلك في المدينة اليونانية القديمة ،

---

(١) فيما يخص إناه الإسكافي المحفوظ في أوكسفورد أنظر Journal of Hellenic Studies ، ١٩٠٨ ، لوحة ، ٣٠ وتعليق Beazley . وفيما يخص احترام النساء « صناعة الصوف » ، أنظر مقالا ممتعا كتبه تود في Annual of the British School at Athens ، ١٩٠٢-١٩٠٦ ، ص ٢٠٤ ، ثم انظر ص ٣٣٩ فيما يلي . والنساء المذكورون في نصه ، إماء محررات ، وهن يعملن دائما ، حسب اتفاق ، لأسيادهن السابقين . إن عبي سقراط ، سيتذكرون كيف أنه تصح لأحد أصدقائه السيئ الحظ ، الذي ناء ، في وقت عصيب بمن يعملون ، من شقيقات وبنات أعمام وبنات إخوته ، فنصحه بأن يشغلن بمصنع اللابس ، وكيف أنه لما أخذ بنصحه « مارسن العمل أثناء وقت الغذاء حتى العشاء ، وصرن منشرجات بدل أن كن كشيئات » . ولكن لا بد أن تلك التجربة الصناعية الواسعة غير المادية ، تستلزم اقتراض نقود ، اشراء ما يلزم من عدد وصوف . أنظر إجزينو فون ، Mem. ، ٢ - ٧ ، وكذلك عندما هاجر الطبيب المشهور ديموسيديس ( Democedes ) ، لأنه لم يقو على احتمال حدة طبع أبيه ، كافح كفاحا شديدا ، إذ لم يكن لديه آلات جراحية صالحة ، وكان أفقر من أن يشتريها ( هيروdot ، ٣ - ١٣١ ) .

عندما تغادر الأجورا إلى الأرزقة المعتمة الخلفية ، يمكنك أن تدرك في أي حي أنت من الصوت أو الرائحة ، أي من رنين المطارق ، وصرير المناشير ، أو رائحة الدباغة اللاذعة . فأنت تمر بالمصانع الصغيرة المفتوحة الأبواب التي تلاصق بعضها ، وتتنافس منافسة حبيبة ، فإذا ما أحسست رغبة في المشاهدة والتأمل ، أو أردت محادثة ، فعليك أن تدخل وتراقب صديقك الفنان في عمله . فسقراط ، وقد احترف قطع الأحجار ، كان مغرماً بصفة خاصة ، بتمضية أوقات فراغه الكثيرة على هذا النحو . فبينما كان يستميل أصدقاءه الصناع إلى المناقشة ، ويربكم بأسئلته المهمة ، كان يخزن في عقله هذه المجموعة من الصور والأمثال المفيدة ، التي نعرفها جيداً من محاورات أفلاطون . وقد أخذ أحد أصدقائه من صانعي الأحذية ، ويدعى سيمون ، على عاتقه تدوين محادثاته في كتاب أطلق عليه « أحاديث الجلد » ، وبذا صار أول بوزول ( Boswell ) . ففي هذه المصانع المتواضعة عرف سقراط الفائدة التي يجنيها الرجل حقيقة من « معرفة عمله ، وأدرك ضآلة ما يعرفه السياسي العادي من السيامة بالشكل الذي تخيله اليونانيون — وهو خلق مدينة بحيث تكون عملاً فنياً متقناً كعمل حذاء جيد ، أو محراث جيد ، أو إناء جيد من الزجاج . ورجال السياسة في العصر الحديث ، بحاجة إلى دروس مشابهة في هذه الناحية . فبينما صانعوا الزجاج عندنا ، يصلون بأساليب قوية موثوق بها إلى نتائج دقيقة ، ما زال ساستنا ، مثل صانعي الزجاج في أثينا القديمة ، يعتمدون على مبادئ تجريبية ، ومهارة شخصية . فن الصعب ، كما أدرك سقراط ، أن تصل بفن الحكم إلى أحدث تطوراتها (١) .

---

(١) جراهام والاس في كتابه ، *Human Nature in Politics* ، ص ١١٥ . يبدو لي أن هذا الكتاب قد خط أول محاولة عملية بأن قدم للسياسة الحديثة ما قدمه سقراط للسياسة اليونانية . وذلك بأن يفسر لرجال الصناعة السياسيين عندنا طبيعة أدواتهم وطرق استعمالها . وقد سبق أن أخبرهم كثير من الكتاب بما يعملون ، وبما يجب عليهم أن يعملوه ، ولكنهم نموا أن يذكروهم بما يعملون به ، فلا عجب أن يحدث ذلك الفشل الذي منيت به الديمقراطية الحديثة . والتريب حقا ، هو بقاؤها حتى الآن . أما بخصوص بوزول — سيمون ( Boswell - Simon ) فانظر ديوجينيس لايرتيوس ( Diogenes-Laertius ) الجزء =

وعندما يحول السائح الحديث في أثينا ، في زقاق الأحذية ، وهو آخر بقايا السوق القديمة في مدينة ذات محلات حديثة ، حيث لا يمكن لإنسان أن يمر إلا بصعوبة لكثرة الأحذية المعلقة خارج المحلات على جانبي الشارع الضيق ، بينما أصحابها داخل معاملهم الصغيرة منهمكون في العمل يزيدون مالههم ، فإنه سيعجب لهذا الترتيب غير العملي ، الذي جعل كل هؤلاء المتنافسين من صانعي الأحذية يعيشون بجوار بعضهم البعض . فلو كانوا يعيشون في مدينة إنجليزية ، لكان لا بد لهم من أن ينتشروا ويتفرقوا بعضهم عن بعض ، ويعنوا بأن يتركوا مسافة مرمى حجر على الأقل بين كل محل من المحلات المتنافسة . والجواب على هذه الظاهرة ، هو طبعا أن هؤلاء الصناع القدماء ليسوا متنافسين قط ، بل هم زملاء وأعوان ، هم أعضاء في نفس المهنة أو النقابة المحترمة ، ويملكون نفس الفن أو السر . وهناك عمل كاف للجميع . فإذا ما قاسى أحد ، فعالبا ما يكون الجمهور لحاجته إلى الصناع ، لا الصناع لحاجتهم إلى الزبائن . وفي وقت الحرب أو المجاعة ، عانى الصناع كثيرا كجميع أفراد الأمة كما قال بركليس ، ولكن في زمن استقرار العمليات الصناعية ، لم يعانون شيئا في مجموعهم كطبقة (١) .

---

= الثاني ص ١٢٢ . وفيما يتعلق بسقراطي المصنع ، أنظر إجزينوفون ، Mem. ، ٣ - ١٠ ، ١١ ، إذ يعنى تباعا إلى مصور مشهور ، ثم إلى نحات ، ثم صانع دروع . فارتن أتلطون ، Apology ، ٢٢ . كثيرا ما يظهر التصوير على الأواني زائرين في المصانع ، وهم العاطلين الذين ينسكعون في السوق ويسرهم أن يتعدوا عن الشمس ، أنظر ليسيوس ، ٣٤ - ٢٠ . فيما يخص المصانع التي حول السوق في أثينا أنظر فيلاموثيتز ، Aus Kydathen ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

(١) توكيديدس ، ٢ - ٦٠ - ٢ إلى ٣ . إن الطبقة الوحيدة العاطلة التي لم يكن لها عمل ، والتي كان على العالم اليوناني معاملة مشكاتها عمليا ، هي طبقة المرتزقة من الجنود والمجدفين الذين يسرحون ، بعد حرب طويلة ، ولكن ذلك كان إشكالا من إشكالات القرن الرابع ويرجع سببه إلى تدهور جيوش المواطنين ، وكان حقا أحد الآثار السيئة لتطور الذي نحن بصدد تتبعه . وقد جذب أيزوكرانس غزو مقدونيا لآسيا لتأسيس مستعمرات زراعية جديدة ( ٥ - ١٢٠ ، أنظر ٨ - ٢٤ ) . وقد تابع الإسكندر نصيبته حريفا تقريبا ، وذهب باليونانيين يستعمرون الأرض بعدا ، حتى كابول شرقا . ولكن وجود آلاف من اليونان خارج مدنهم ، لدليل يبين كيف أن حرب البلوغونيز والاضطرابات التي نشأت عنها ، قد عصفت باستقرار حياة دوتة المدينة . أي بلاد هيلاس = ( م ٢١ - الحياة اليونانية )

وإذا ما كانت الحياة الاقتصادية آمنة مستقرة ، استطاع الصانع أن يشعروا بأنهم زملاء ، وبما أنهم زملاء فإنهم يستطيعون التعاون على الإبقاء على الحياة مستقرة . ولكل فن أو مهنة اتحادها ، وليس نقابة أو اتحاد موظفين كالمعروف لنا ، بل هو اتحاد رجال ، فهموا بعضهم البعض ، وجمعهم المجهود اليومي ، وممارسة نفس الفن . وكلية تياسوس ( θιάσος ) اليونانية ، أو رابطة الزملاء ، كانت رابطة اجتماعية دينية ، ولم تكن اقتصادية ، ولم يكن أعضاؤها في حاجة إلى حماية مصالحهم الخاصة ، لأن العرف ودستور الجماعة كان يحميها بما فيه الكفاية . فإذا ما أحسوا قلقا بشأنها ، ذهبوا جميعا كمواطنين إلى المجلس . ولم يكونوا بحاجة إلى رفع الأثمان ، لأنهم ما كانوا يعملون للثروة والمال ، بل للشرف وكسب العيش ، وقد حدد الأثمان ، عرف قديم عريق في القدم . وفي اجتماعاتهم الصغيرة المهنية الخاصة ، ما كانوا يفعلون إلا تكريم إلههم ، أو بطلهم أو مؤسس جماعتهم . فصناع المعادن يكرمون هيمفا يستوس ، والأطباء أسكليبيوس ، وشعراء الملاحم والرواة هومر ، ثم يتحدثون عن العمل ، وعن الأسرار التي علموها<sup>(١)</sup>.

= الحقيقية القديمة التي نحاول وصفها . إن الكلمات اليونانية التي تعني « المنافسة » ( ἀγών ) معنى ثم ἀγών اسم ذات ) ليس لها أي معنى تجاري خاص ، إنما تدل على المسابقة في المهارة ، « فالمنافسة عند اليونان في كل مناحي الحياة حتي في الفن والعلم كانت تتخذ شكل صراع أو مسابقة » ، كما نعلم ذلك من القصص والنصوص . أنظر سوفوكليس ، O. T. ، ٣٨٠ — ٣٨٢ ، ثم ولهم في Beiträge zur griechischen Inschriftenkunde ، ص ٤٠ — ٤٢ ؛ ( مسابقة الخزافين ) ، ثم مسابقة الأطباء في Jahreshefte der Numismatik ، الجزء الثامن ص ١٣٣ — ١٣٤ . وقد كانت توزع الجوائز في « الصناعات اليدوية » لأحسن الآلات ، ولأحسن الكتابات الطيبة ، ولأحسن جواب على سؤال معين ، ومن ذلك نرى كيف كان من السهل أن تهين تلك المنافسة الحرة ، وتنتهي إلى مجرد إمتحان إجباري . إن ذلك لا يحتاج إلا إلى تغيير في الروح فقط . ولكن في العصر الذي كتبت فيه هذه النصوص ( وهي نصوص متأخرة ) ، كانت المسابقات لا تزال شرفا وليست عيباً كما يتبين ذلك من دخول تلك المسابقات ، ضباط الصحة العامة ، الذين كانت وظائفهم مدى الحياة .

(١) فيما يخص أشكال الجماعات اليونانية أنظر زيبارت ( Ziebart ) في Das griechische Vereinswesen ، ( ليزج ١٨٩٦ ) ، الذي جمع النصوص الخاصة بها ابتداء من مدارس الفلاسفة ( نواة الجامعات الأوربية ) ، إلى الصياغ ( كما نعلم من القرارات ) وعبيد البلدية =



وأسرار المهنة التي ناقشوها كانت أسراراً حقيقية . والعالم الخارجي ،  
 بولا سيما الدولة ، لا دخل لها بهم . فليس هناك أى نظام حكومى للصناعات  
 الفنية ، إذ ليس هناك إساءة استعمال للصناعة ، أو على الأقل فى المجال الذى  
 نحن بصدده . ولم يكن هناك علامات خاصة تمنحها الحكومة . وكانت  
 المعرفة مباحة للناس جميعاً ، أو بصورة دينيا فى المهنة ، وتتوارث وتزداد  
 من جيل إلى جيل . وهكذا نجد الصناع يكرمون ، لا مجرد أنهم صناع  
 أشياء جميلة رائعة ، ولكنهم يكرمون بوصفهم أعضاء فى مدرسة ، وحراسا  
 لتقاليد الأجداد . إلا أن التقاليد وحدها كانت دائماً خيالية ، لعالم اليونان  
 الواقعى ، مثل عراف أو مشعوذ يأتى بالحوارق . وهكذا نجد كثيراً من  
 الأفكار والمشاعر المتباعدة فى الحياة الحديثة ، قد تجمعت كلها واتحدت  
 فى فكرة الصناعة ، أو تخفى (١) كما يسميها اليونان .

وهكذا ، كما لمع لنا سولون من قبل ، شغلت الصناعة فى اليونان

== ( الذين كانوا أغبي من أن يفكروا فى إنشاء جماعة لهم ، كما يقول أرسطو ) . وتوفر  
 الآن بحث أكبر فى هذا الموضوع كتبه ف . بولاند ( F. Poland ) ، Geschichte des  
 griechischen Vereinswesens ( لبيزج ١٩٠٩ ) . ويجب أن نلاحظ تسمية هذه الجماعات  
 « بالطوائف » ( guilds ) حسب المعنى الذى دلت عليه فى العصور الوسطى ، فهى لم تملك  
 سلطة الرقابة على أعضائها ، أو من فى حكمهم . وكل شخص فى أثينا كان حراً فى زالة  
 أية حرفة أو مهنة يختارها ، وهذا يفسر لماذا كان سهلاً على العبيد ترقية مواهبهم .  
 (١) فيما يخص نظم الدولة أنظر جيروود ( Quitaud ) ، Main-d'oeuvre ، ص ١٩٨ .

ويمكنه أن يهتر على قانونين فقط ، أحدهما لمدينة سيباريس الحذرة ، وهو خاص بإبعاد المصانع التى  
 تحدث ضوضاء إلى الضواحي ، والآخر لأثينا المدينة المحبة للانسانية ، وهو خاص بفرض حكم الإعدام  
 على كل من يستعمل ولداً من أصل حر ، فى إدارة الطواحين . أنظر دايئارخوس ، ١٠ — ٢٣ ،  
 حيث يظهر مما يقوله أن طجانا قد حكم عليه بالإعدام فعلاً . ويظهر ذلك ، مدى شدة تأثير  
 الرأى العام بالنسبة لتلك الأمور . ومن المؤكد أن القوانين العادية كانت تحمى العبيد من التعدى  
 حوماً إلى ذلك ، وخاصة فى أثينا . أنظر جلوتز فى ، « Les esclaves et la peine du fouet »  
 en Grèce ( Comptes Rendus de l'Académie ، ١٩٠٨ ، ص ٥٧١ وما بعدها ) ،  
 الذى يمتد ، وهو على صواب . بأنه لم يكن يسمح لأحد أن يضرب العبيد ، إلا فى  
 ظروف خاصة وليس أكثر من ٥٠ جلدة بالعصا ، وذلك مقابل القرابة التى قدرها  
 خمسون درخمة ، التى هى أقصى غرامة عادية . ويظهر أن هذا التشريع خاص بأثينا ، وهى  
 التى كانت قوانينها فى هذه الناحية ، شأنها فى كل شيء ، أكثر إنسانية من سائر المدن اليونانية .

مجالات أوسع بكثير مما اعتدنا أن نفهمه من الصناعة ، اليوم . فكل إنسان ذو مهارة خاصة ، أو فن ، به يعول نفسه ، سواء كان ذلك « بتأدية خدمات ، ، أو « إنتاج بضائع ، كان يعد صانعا ، من الشاعر الذي « ينظم القوافي الرائعة ، ، والطبيب الذي يعد الدواء ، أو يجرى العمليات ، إلى دايع الجلود ، وصانع الأحذية . والحق أن الحياة في الدولة المدينة ، كانت ديموقراطية فلا يجب أن ندهش ، رغم أننا نندهش عندما نرى الأطباء والمثاليين والمدرسين يأخذون أجراً ، مثل البنائين والنجارين ، والجنود الخصوصيين حسب التعريف المحدودة . فشكل كان يسعى إلى حياة معتدلة ، وهو كل ما تطلعوا إليه عند الدفع . وهم يفضلون أن يأخذوا نصيبهم من « الزيادة ، التي يطلبها الصانع الحديث ، بالشكر وحسن التقدير العام ، أو بمنح التاج الذهبي وإقامة مأدبة عامة ، إذا ما شعرت المدينة بامتنان زائد<sup>(١)</sup> .

والحق أنهم قلما كانوا يعملون من أجل الأجر ، لأن الأجر كما قال الكاتب اللندني عن إجازته الصيفية ، يتعارض كثيرا وعاداتهم اليومية ، وكانوا يعملون كأجراء من أجل المدينة كلما مست الحاجة إليها ، لأنهم

(١) أما من حيث الطبيب « كفنان عملي » ( χείροτέχνης ) فانظر سوفوكليس Trach. ، ١٠٠١ وملاحظة چب . ففي الصيدلية كما في مصنع الخزف أحرار وعبيد . أنظر أفلاطون ، القوانين ، ٧٢٠ ، الذي يقول بأن الزواجر معالجة العبيد كانوا أكثر غلاظة وقسوة في مارقهم . وربما كان يوضع أجر الطبيب ، على أساس الأجر القانوني للعامل ، على الرغم من ارتفاع قيمة خدمات ديموسيد في كل المدن اليونانية ( هيرودوت ، ٣ — ١٣١ ) ، وأن يكون طبيبا عاديا ، وإنما أحد الشخصيات الاجتماعية البارزة في عصره . ( أنظر بوهل ( Pohl ) في De Graecorum Medicis Publicis ص ٦٨ ) ، وقد ارتفعت الأسعار تدريجيا بعد انتهاء القرن الخامس نتيجة انخفاض قيمة العملة ، مما هيا الفرصة للدليل الحديث للتمييز بين نوعي العمل الأعلى والأدنى . وهذا التمييز لم يكن دائما وفق أفكارنا . والقارىء المحب للاطلاع يمكنه أن يراجع ديتنبرجر ، رقم ٥٢٣ ، حيث يرى أن في مدرسة في تبوس ( Teos ) ، كان أستاذ الموسيقى يأخذ أجرا يبلغ ثلاث أضعاف ما يأخذه أستاذ الرياضيات البدنية « (الألعاب) . وفيما يخص تكريم السائيم ، أنظر ديتنبرجر ، المجلد الثاني ، ٥٤٥ . لقد فضل اليونان التيجان الذهبية على الألقاب . أما بالنسبة للثناء والنجات فأنظر G . I . ١ — ٣٢٤ ، حيث دفعت على كل حال بعض الأسعار العالية عن العمل بالقطعة .

إنما هم مواطنوها ، ودرّبوا على الائتمار بأوامرها . ولكن من هم كأحرار ، الذين كان عليهم أن يعملوا في سبيل أجر يأخذونه من أنداد لهم ؟ مثل هذا الوضع كان كفيلا بأن يضع الصانع في مركز عبد تقريبا . إن أملة في الحياة مخالف لذلك كل المخالفة ، فهو يريد أن يحافظ على حرّيته الشخصية كاملة ، وحرّيته في العمل كذلك . إنه يريد أن يعمل عندما يحس ميلا إلى العمل ، وعندما تسمح له واجباته من حيث هو مواطن ، أن يوفق بين عمله وسائر المشاغل الأخرى التي تملأ حياة الرجل اليوناني ، فيشارك في الحكومة ، ويجلس في المحاكم ، ويشارك في فرق الرياضة والاحتفالات ، ويقطع عمله عندما يناديه زملاؤه للذهاب معهم إلى السوق العامة ، أو مدرسة المصارعة ، أو عندما يقيم مآدبة ، زملاء له في المهنة — كل هذه أشياء لا تتفق وعقد بأجر معلوم ،<sup>(١)</sup> .

إذن فليس من المستحيل أن نفهم مصدر الفكرة الزائفة التي شاعت في أيام التدهور ، من أن اليوناني في العصر الزاهر اعتبر العمل اليدوي عملا مهينا ، وإن كان ما زال من الصعب علينا أن نفسر كيف أن الناس لا زالوا يصدقون ذلك ، والبارثون مائل أمام أعينهم . إن هذا الباطل جدير بالسخرية ، ولذا لم يوجد دليل آخر ، فيمكن أن نرى ذلك بإلقاء نظرة على الأسماء التي أطلقوها على الذين مارسوا هذه الأعمال . لقد أسمّوهم «الفنانين اليدويين» ( خيروتخناي χειροτέχναι ) أو «العمال العموميين» ( ديمبورجوى δημιουργοί ) ، وهو لقب يطلق أيضاً على

(١) سالفولي (Salvioli) في Le Capitalisme dans le monde antique ، باريس ١٩٠٦ ، ص ١٤٨ . وقد غيرت كلمة هنا وكلمة هناك ، إذ أن الفقرة والكتاب في جلته ، يمالجان روما ، ولكن الكتاب زآخر باقتراح بهم الباحثين في اليونان أيضاً . فإذن اعتراض سقراط على ، دفع أجرين أن يتكلم إلى الشعب ، أي لمن يدرس لهم ، ويعتبر مثل هذا الأمر بمثابة بيع الشخص نفسه رقيقا ( لجزينوفون ، Mem. ، ١ — ٢ — ٦ ) . زيادة على ذلك ، فربما لم يكن يدفع إليه أجرا . حسب الفكرة اليونانية من وجهة نظر التلميذ ، إذ المدرس المأجور أقل قابلية للشعور بأنه صديق ، « وما من فرد يمكنه أن يتعلم على يد رجل لا يشمر نحوه باهتمام » ( ١٠ — ٢٠ — ٣٩ ) .

الموظفين الذين يقومون بعمل يعد مهنة عامة ، لا غنى عنها ، أو سادة اليد ، ( خيروناكتس χειρώνακτες ) وهو اسم لا بد أن يكون قد سماه في لحظة حسد ، أحد المشاهدين الواقفين أمام عجلة الخراف ، أو كور الحداد . والحق أنهم كانوا يكرمون العمل اليدوى أكثر مما نفعل نحن ، الذين ابتدأنا الآن فقط أن نكتشف سر التعاون بين عمل اليد وعمل العقل . ولكنهم كانوا يصرون على ضرورة الاعتدال ، عن فطرة وغريزة أكثر منها عن خطة موضوعة ، وكانوا يرفضون كما يفعل الفنانون القيام بأى عمل زيادة عما يحتاجونه ، إذ لم يعد لهم من ورائه مسرة ولذة . وأهم من ذلك ، لقد كرهوا كل نشاط يجرى على وتيرة واحدة ، وكل عمل ينطوى على جلوس فترة طويلة جلسة غير مريحة وغير صحية ، وخاصة في جو حار فاسد . وهذه الأعمال أى أعمال الكتبة والسكرتيريين على أنواعهم ، المحترمة عندنا ، وليست تلك التى يقوم بها عمالنا الذين يلبسون الملابس الخشنة ، هى التى اعتبروها دحقيرة . . ويقول إجزينوفون وهو يونانى نموذجى فى ميوله وأهوائه : فإنه من الصواب أن تضع المدن هذه الأعمال فى مرتبة دنيا ، لأنها تغير أجسام من يمضون وقتهم فيها ، إذ ترغمهم على أن يظلوا فى الداخل جلوسا لمدة طويلة ، حتى أنهم أحيانا ، يمضون اليوم كله إلى جانب النار . فالن لا يمكن أن يتأقن فى أحوال كهذه ، عنها غابت البهجة ، ولو أمكن ، لكان دون الإتيان به تحطيم ما اعتبره الإغريق دائما عملا فنيا أكبر ، تحطيم الجسم البشرى . هذا هو مبعث شعور اليونانيين تجاه الوظائف الدنيا . ودلالته الحقيقية أحيطت بإيهاهم بفضل الكتاب المتأخرين ، الذين أخذوا الأهواء الشائعة ، ووسعوا حدودها ، وغيروا معناها ، حتى كادت ألا تكون أية طريقة لكسب العيش محترمة ، من تعليم الفاسفة إلى أصغر الأعمال . ولم تبق ناحية من نواحي النشاط جديرة بالرجل الحر ، فيما عدا التأمل والسياسة والحرب . وقليل من العجب أن أخذ العلماء الذين نشأوا على

هذه النظريات ، بما اعتيد افتراضه من أن اليونانيين طعموا المن وحده  
وشربوا لبن الجنة<sup>(١)</sup> .

ولكن الجماعة لا يمكنها أن تضي قدما دون دعامة من عمل ليس بالطريف  
يجرى على وتيرة واحدة ، فهناك أنواع من أعمال اجتماعية لا يمكن أن  
تصبح فنية أبدا ، ولا تغدو مبهجة إلا بصعوبة كبيرة ، حيث أقصى ما يمكن  
أن يرمى إليه الإنسان من ورائها ، غالبا ما يكون مجرد إرضاء الضمير  
المعتاد . ففي المنزل أعمال يجب أن تؤدي ، جرار تملأ ، وغذاء يطهى ،  
وملابس تصنع ، أو ترتق . وفي الخارج وتحت وهج الشمس ، كان لا بد أيضا  
من أعمال مضيئة تؤدي ، من حفر ورفع وحمل ، أعمال تثقل للغاية على  
رجال اعتادوا القيام بضروب أرق من النشاط المناسب . فكيف كان يؤدي  
هذا العمل الضروري العادي كله في جماعة الفنانين هذه ؟

بعض هذا ، كما سنرى لم يؤد مطلقا . فالجماعة التي لا تحب العمل المتعب ،  
يجب أن تقنع بنظام من المعيشة فيه كثير من عدم التناسق . وهناك بعض  
نواحي في الحياة اليونانية من الحكمة ألا نطرقها . وقد بقي حتى في أكثر  
دول المدينة إهمالا ، عمل كافي لأن يقوم به عدد من هؤلاء العمال ، الذين  
يكسبون رزقهم كما يقول أفلاطون ، « بتأجير قواهم الجسدية » . فلنجمع

---

(١) إجزينوفون، Oec. ، ٤ - ٢ وهي الفقرة الرئيسية لاستعمال كلمة Βαναυσία .  
كان أفلاطون على خطأ كبير مثلا ، في أن يسخر من السفطائين لأخذهم أجرا على قيامهم  
بتدريس الفضائل ، لأنه ، كان هو نفسه في بسطة من العيش . مكنته من مزاوله التدريس دون  
أجر . وقد قام الفلاسفة التأخرون ، وخاصة إذا ما شملهم نفوذ الرؤساء الرومان الأغنياء ،  
بتوجيه حملة شديدة إلى أقصى حد ، ضد القيام بالأعمال الدنيا . لقد اعتقدوا أن الرجل الحبيب  
أعظم من البتكر البدع . فيقول أحد أصدقاء جاليليو « من ذا الذي لا يعجب بزيوس الأولمبي .  
لفيدياس ؟ ومع ذلك من ذا الذي يهتم بأن يكون فيدياسا ؟ » قال ذلك في تصوير أناطول  
فرانس البارغ لتلك الجماعة ( Sur La Pierre Blanche ، ص ٤٣ ) . وهو في ذلك يردد  
صوت لوكيانوس في Somnium ، الفصل التاسع . ونحن فعلا في ثورة ضد هذا النوع من  
الغرور ، وضد النظرية الأكاديمية القديمة عن « الثقافة » التي قرنت به . والنتيجة أننا نميل  
إلى نسيان مقدار ما تنطوى عليه روح التحيز الغالب على القرن الخامس ، من حقيقة مستتره -

باختصار ما يمكن أن نلقاه من المعلومات عنهم<sup>(١)</sup> .

ففيما يتعلق بشئون المنزل ، أى ملء جرار المياه ، وإعداد الطعام والملابس ، قليل من الكلمات تكفي . لقد قام بها في معظم الحالات أفراد الأسرة . فبينما يخرج الأب والأبناء إلى الحقول ، تقوم الزوجة وبناتها بالغزل والنسج والطبخ . ويقطعن ذهابا وجيئة طريقهن الصخرى إلى نبع المدينة ، حاملات جرارا ، وضعت بائزان فوق رؤوسهن . وقد أخبرنا إجزينوفون بصراحته الممتعة ، في كتيبه الطريف عن تدير المنزل ، أخبرنا عن موقف الزوج اليونانى والسيد ، إزاء عروسه الصغيرة . والحالة التى يكلمنا عنها ليست نموذجية ، إذ كانت البنت ابنة لوالدين غنيين ، فربيت باهتمام غير عادى ، إلا أنها أهم عليها من أن يتجاوز عنها . أتى العروس زوجها ، ولما تبلغ بعد خمسة عشر عاما من عمرها . وقد روقت بدقة طول حياتها حتى أنها تكاد تكون ما رأته ، أو سمعت ، ولا حتى قالت شيئا . « ويقول زوجها ، وبعد أن روضتها وتغلبت على حياتها وتكلمت ، قلت لها أخبريني يا زوجتى هل فكرت بعد لماذا استقبلتك فى بيتي ، ولماذا أعطاك لى أبوك ؟ لاني أعلم وأنت أيضا يجب أن تعلمي ، أن قد كان أمامي مجال واسع للاختيار ،» وبعد هذه المقدمة التي يحدوه فيها الأمل ، أخذ يعلمها مسؤولياتها الجديدة كربة بيت وأم فى المستقبل ، منوها بنوع خاص بواجب أن تكون قدوة حسنة . فيجب عليها أن تكون قدوة لغيرها ، فى النظام وحسن الترتيب والمواظبة ، والبساطة والطاعة لإرادة سيدها . والمثابرة دون ما شكوى على الواجبات المتعبة غير المستساغة . فعليها بالاشتراك مع زوجها تقع مسؤولية العمل على « زيادة سعادة البيت ورفاهيته ،<sup>(٢)</sup> .

(١) أفلامون ، الجمهورية ، ٣٧١ .

(٢) إجزينوفون ، Dec. ، ٧ - ٥ وما بعدها ، ٣ ، ١٠ ، ثم مواضع أخرى متفرقة .  
أنظر كتاب The Lady للسيدة بوتنام ، ص ٣٠٠ ، لما جاء به من مقارنة شيقة بين نموذج إجزينوفون لربة البيت ، « والسيدة صاحبة العبيد » قبل عصر تحريرهم . « فكل منهما كانت مديرة لجماعة كبيرة متعددة الألوان ، يضطرها الواجب إلى تنفيذ القانون .... ولاشك =

ومن بين واجبات ربة البيت الصغيرة ، واجب كانت له أهمية كبيرة ، وذلك هو حسن القيام على إدارة شئون العبيد . إذ في المدن الكبرى التي أمكنها الاحتفاظ بالعمال المجلوبين من الخارج ، تمكن عدد محدود من العائلات الغنية ، من أن يحتفظ بعدد من العبيد للقيام بعمل المنزل . وعلى الزوجة في المنزل كما هو على الصانع في المصنع ، أن تتعلم القيام على تدريبهم . وعندما ينتهى تدريبهم كما ينبغي ، وإذا ما كانوا يعاملون برفق ولياقة ، فسيخلصون ربة المنزل وبناتها من بعض أعباء أعمالهن وأكثرها إرهاقا . وإنها لعلاقة مؤثرة للغاية تلك التي تنشأ بين ربة المنزل الطيبة وخدمها ، وهو ما نلمسه من « التراجدى » ، وشواهد القبور . وقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء العبيد الذين قضوا مدة طويلة في المنزل ، أن شغلوا مراكز محترمة لها قيمة عظيمة في حياة المنزل . فؤدب الأطفال ومرافقهم الأمين (بيداجوجس) الذى يصحب أبناء الأسرة خارج المنزل ، شخصية معروفة في الحياة اليونانية ، وكذلك المربية المخلصة العجوز التي نعرفها من « هيبوليتوس » (Hippolytus) « وميديا » ( Medea ) . ولكن ذلك يدفع بنا إلى ولوج موضوعات يجب أن نتركها لفصل قادم (١) .

== أن كل منهما ، إذا لم تكن مثقلة ، كانت تفتبط بأداء عمل هام ، يتصل مباشرة بما فيه خير أحب الناس إليها وسعادتهم ، ولكن لا يمكن أن تسمى إحداها حرة . وفي حالة المرأة اليونانية نرى ذلك واضحا جدا ، فلم تكن هناك في أيامها عاطفة تحجب هذه الحقيقة . فإن كانت قد أرغمت على القيام بحرفة مرهقة ، فما من أحد هناك موه الحقيقة ، بأن دعاها ملكة أو بتغيير أكثر تعويها دعاها ملاكا .

(١) يوربيدس ، Alc. ، ١٩٢ وما بعدها ، وهي فقرة مؤثرة ، صورت في كثير من النقوش الجنائزية البارزة . ومن المحتمل أن نسبة العائلات التي تملك عبيدا في منازلها ، لم تكن كبيرة في المدينة اليونانية المتوسطة . فثلا في بلاتيا في القرن الخامس ، نسم أن ألانا من عبيد المنازل يشتركون في حرب الشوارع ، وفيما عدا ذلك لم يأت لهم ذكر ، عند تحديد غير المحاربين . ( توكيدس ، ٢-٤ ، ٢-٤ ، ٣-٧٠ ، ثم انظر ٧٨-٤ ) . إلا أن الموضوع ليس مما يتطبع أن يتكلم فيه الإنسان بصفة التأكيد . ففي أئينا قديما ، كان البنات يذهبن بأنفسهن إلى البئر ، لأنه « لم يكن عند الأثينيين ، ولا عند غيرهم من اليونانيين عبيد » ، كما يقول هيرودوت (٦-١٣٧) . ويحمل أرسطو فانيز العبيد يقومون بدور هام في رواياته عن الأسرة التي تقطن المدينة . ولم يكن لهم مثل هذا الدور في رواية الأخارنيين أو =

ولنرجع الآن إلى الأعمال الشاقة التي يقوم بها الرجال ، إلى العمل الخشن العادي الذي بمثابة الأسس الضرورية ، حتى في أبسط الجماعات . فلا بد حتى في المدينة اليونانية التي استغنت عن كثير من وسائل الراحة ، من وجود من يقوم بتمهيد الطرق وبناء الأسوار ، وقطع الأشجار ، وكذلك الأحجار ، واستخراج المعادن من سفوح التلال . كما لا بد في جماعة كل قوامها فنانون ، من وجود من يأتي للصانع والحاجر بالمواد ، التي يقوم عليها العمل . فبدون مساعدة العمال العموميين يكون الصناع اليونانيون عاجزين تماما عجز جماعتنا التي يزيد فيها الاختصاص الضيق . وقد أوضح بلوتارخس لنا ذلك تماما في كلامه عن العمل في مبانى الأكروبول . فقد عدد أولا الصناع المطلوبة خدماتهم ، « والمواد المختلفة ، مثل الحجر والنحاس والعاج والذهب والأبنوس وخشب السرو ، ثم النجارين والبنائين والنحاسين والنقاشين والخراطين وغيرهم من الصناع » . ثم ينتقل بعد ذلك طبعا إلى عمال النقل . « إن نقلها بحرا استدعى تجارا وبحارة وربانة . أما برا ، فقد تتطلب نقلها صانعى العجلات ، وسائق عربات الثيران ، وعربات الخيول ، وصانعى الحبال والجلد ، وعمال الطرق ، وسباكى الحديد . وتضم كل مهنة من هذه عددا من هؤلاء العمال غير الفنيين ، مرتبين على درجات متفاوتة ، مثل الجنود تحت قيادة القائد ، (١) .

ومن الصعب علينا أن ندرك ثقل وطأة عمل كهذا قبل استعمال الأدوات الرافعة ، وعجلات البخار ، وسائر الوسائل الحديثة التي توفر الراحة . وقد بقيت لنا بعض الوقائع الحية ، لتنبهنا إلى ما كان عليه هذا العمل . فيمكننا

---

== في باكس (Pax) . أنظر أيضا أرسطو ، السياسة ، ١٣٢٣ ، ٥١ ، ثم أرسطو الإكليرييا ، ٥٩٣ . وقد قدر تشارلس بوت نسبة الخدم في لندن بإحدى عشر في المائة من مجموع سكانها (Life and Labour in London ، الجزء الأخير ، ص ٨) . بداجوج : أفلاطون ، ليسياس ، ٢٢٣ (حيث اندفع إثنان من العبيد ، لما لعبت برأسيهما الحجر ، في الكلام بلغتهم الوطنية ، أى أنهم لم يولدوا في وسط أهل المنزل الذي يعملان فيه) .

(١) بلوتارخوس ، الفرس ، ١٢ .



أن نقرأ تفاصيل كاملة عن نقل المواد التي لزمت لإقامة أثر مهم ، في نص من القرن الرابع من إيلوزيس . لقد تضمن العمل ثلاث مراحل ، أولاً تهديد الطريق من المحجر إلى المدينة ، وكان يرصف بأحجار منحوتة مع وجود طرق جانبية على مسافات عدة . ثم عمل عربات تقوى على حمل كتل الأحجار . وأخيراً عملية النقل نفسها ، ويقوم بها عربات تجرها ثيران . ويتكاف كل زوج من الثيران ، أربع درخمت ونصف أو بل يوماً . ويستغرق النقل ثلاثة أيام ، لمسافة طولها ٣٠ ميلاً . ولما كان جر الكتلة الواحدة يستلزم من ٣٠ إلى ٤٠ زوجاً من الثيران ، فهذا تتكلف الدولة لنقل كل كتلة ، من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ دراخمة . وعندما نقرأ هذا ، ثم ننظر إلى تلك الكتل الكبيرة من الأحجار ، المستعملة في مباني الحكومة في أثينا ، فإننا نبدأ في إدراك ما بذل في بنائها من مجهود بشري وحيواني . وهؤلاء الرجال الذين عملوا في هذه العربات التي تجرها الثيران ، من الصعب أن يكونوا في مستوى الجماعة العقلية ، كما قال أفلاطون ( وإن كان يشك في هذا ) ، ولكنهم أنجزوا عملاً لا يمكن أن تحجل منه أية آلة حديثة . وما زال الطريق الذي مدوه من المحاجر ، يرى إلى الآن بخطوطه ، على منحدر بينيلسكوس . وما زال ملقى على جانبيه ، على مسافات ، في قسمه الأعلى ، كتلا كبيرة جداً من حجر نصف مصقول ، لم يتمكنوا من نقلها إلى أبعد من ذلك (١) .

إن عملاً مثل هذا ، كان غالي النفقات ، ولا يمكن أن يقوم به إلا المدن التي تملك موارد كبيرة . ولكن كان هناك كثير من العمل الشاق الذي لا بد عنه ، سواء استطاعت المدينة أن تدفع قيمته ، أم لم تستطع . فثلاً كيف تسنى لمدينة عادية بناء أسوارها وأبراجها ؟ كان ذلك بالطريقة الوحيدة .

---

(١) فرانكوت ، المجلد الثاني ، ص ٨٦ ( من I. G. ، الجزء الأول ٨٣٤ C ) . يبدو أن كان جميع الرجال المستخدمين أحراراً . أنظر أرسطوفانيز ، الضفادع ، ١٦٧ ، حيث يقترح العبد الموثوق به أن يستأجر رجل آخر غيره ، ( أى ربما رجل حر ) ليحمل الأثمة الثقيلة بدلاً منه . ( أنظر التذييل ) .

الممكنة في تلك الظروف ، أى بالتجنيد . فكلما أنهم عند إعلان الحرب ، يدعون الناس إلى حمل السلاح ، فيترك كل مواطن عمله اليومي ، ويذهب للانضمام إلى فرقته ، كذلك عندما يستلزم الأمر تشييد مبنى عام هام ، أو إجراء حفر ، كان يعلن عن ذلك ، فيهرع الناس لتقديم المساعدة كما يفعل الإنجليز عند عمل الدريس . وعلى هذا النحو تم بناء أسوار أثينا عام ٤٧٩ ، وأسوار أرجوس عام ١٧٤ ، فقد اشترك النساء والأطفال ، وخدم المنازل كلهم في العمل . وثمة مثل أحسن من ذلك ذكره هيرودوت ، فقد اشترك سكان كنيديوس وهي مدينة يونانية في آسيا الصغرى ، في حفر خندق عبر البرزخ ليفصلهم عن الأرض الرئيسية ، وذلك لتحصين مدينتهم ضد هجوم فارسى وشيك . « وفي أثناء عملهم في جمع كبير ، بداهم أن العمال كانوا هدفًا لضرر غير مفهوم ، فمن المحتمل أن أرسلت السماء بما أصابهم في كل أجزاء جسمهم وخاصة أعينهم ، وذلك من جراء شظايا الأحجار . ولذا أرسلوا رسالة إلى دلتى يسألونها ماذا أحاق بهم ، فأجابت الكاهنة شعراً ( وذلك حسب قول الكنيديين على الأقل ) : « لا تحصنوا برزخكم ، لا تواصلوا الحفر ، فلو أرادها زيوس أن تكون جزيرة ، لخلقها كذلك . » وهكذا أوقف الكنيديون الحفر ، وخضعوا للفرس دون مقاومة<sup>(١)</sup> .

هذه القصة اليونانية النموذجية تصور أكثر من أى من الأدلة المترجمة الأخرى ، الموقف الذى كان اليونانيون دائماً يميلون إلى اتخاذها ، إزاء أنواع العمل الممل الغير مستساغ . وهي تفسر لنا لماذا فضل اليونانيون البقاء في الشمس ، دون أن يكون لديهم ما يأكلونه ، على العمل في المناجم في جوف

(١) هيرودوت ، ١ ، ١٧٤ ، ثم انظر توكيديس ، ١ - ٩٠ - ٣ ، ٥ - ٨٢ - ٦ (الدعوة إلى العمل) ، ثم انظر ديتنبرجر ، رقم ٥٢٩ ، فيما يخص نموذجاً من هذا النوع من النداء للدولة . ومهما يكن الأمر ، فإن الجندي الذى في قسم الأشغال ، كان معتبراً جندياً أيضاً . إن قصة بناء أسوار أثينا على وجه السرعة ، عام ٤٧٩ أثناء غياب ثيمستوكليس في اسبرطة ، التي اعتبرت مادة عمل «غير ممكنة فنياً» قد بررها الآن الأثريون : أنظر كافينيك ، ص ١٨ - ١٩ ، وكذلك بوزولت في Klio ، الجزء الخامس ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

الأرض ، ولماذا كانت هناك كذلك ، كما سنرى ، بعض الأعمال التي كلف بها — كلما أمكن ، العبيد ، والمحرون والأجانب ، المقيمون . إلا أنه من المؤسف أن تترك بذلك فكرة ، أن الإغريق لم يكتشفوا ، أو لم يتذوقوا السعادة الناجمة عن العمل ، الشريف ، المنجز كما ينبغي . فن المؤكد أن فخامى أخارناى القدماء ، الذين تفوح منهم رائحة الثوم ، قد استمتعوا كل الاستمتاع بعملهم القاسى فى غابات پارنس . ويمكنهم أن يحدثوا القراء عن أنفسهم من بين أحاديث أرسطوفانيز . ولنذهب بدلا عنهم إلى زميل لهم أقل شهرة ، وهو حطاب مثلهم ، ولكنه من دم فريجي ، ومن الرقيق أصلا . فعندما غزا الجيش البلوونيزى أتیکا ، فى ربيع عام ٤٣١ ، وقعت أولى المناوشات فى مكان يعرف بفريجيا قرب أخارناى . وهو حى صغير لسكنى بعض الخطابين الفريجيين . ويبدو أن بعض هؤلاء الخطابين قد اشترك فى القتال ، ومات أحدهم فى المعركة ، وكان رئيس الجماعة ( إذا اعتبرناه كذلك حسب قوله ) . وهاك ما كتبه على شاهد قبره وهو يذبح ( إن نبضت شواهد القبور يوماً ) بروح رجل قوى ، لم يتخل من أصله أو عمله ، ولا من مركزه فى بلده الجديد . إنه لصوت عزيز يدوى باسم الألوف المجهولين ، الذين عاشوا وعملوا بنفس هذه الروح ، ولكنهم لم يتركوا وراءهم ذكرى لهم ، :

دهنا فى هذا القبر الجميل يرقد مانس بن أوريماس ، الذى كان خير الفريجيين فى أراضى أثينا المترامية ، قسما بزىوس لم . أر أبدا أحسن منى حطابا . لقد مات فى الحرب (١) .

(١) وأحسن من أوردها مصحوبة بالتعليق وللم فى ، Beiträge zur griechischen Inschriftenkunde ، ص ٣٥ ٣٧ . يعتبر الحجر تصحيحا سليما ( وربما كان مقصودا ) للرأى الشائع عن الأسويين المقيمين فى أتیکا ، وقد خلده أرسطوفانيز فى « الفرسان » ( أنظر يوريبندس ، Alc. ، ٦٧٥ ) وحى كما يأتى :

Φρυγῶν ὃς ἄριστος ἐγένεατ' ἔ — هو أحسن الفريجيين المقيمين  
 =ν εὐρυχώροισιν Ἀθήναις Μάν — فى أثينا ذات الأرض الواسعة

## الفصل الثامن

### اقتصاديات المدينة : تجارة التجزئة

Ἔστι χώρος ἐν μέσῃ τῇ πόλι ἀποδεδεγμένος ἐς τὸν συλλεγόμενοι ἀλλήλους ὁμύοντες ἕξαπατῶσι.

في وسط المدينة مكان خاص ، فيه يجتمعون ويحافون ويتشرون بعضهم البعض .

الملك كورس في هيرودوت ، ١ - ١٥٣ .

إن الأسواق ، وهي تلك المنظمات الحكيمية التي نظمها أجدادنا ، الذين كانوا حريصين كل الحرص على حسن إدارتها ، قد مكنت المنتجين والمستهلكين من أن يتصلوا ببعضهم البعض . . . أما محل البيع والوسيط فيجعلانها منفصلين . . . إن السوق يجعل كل شيء مكشوفاً .  
Cobbett في Rural Rides ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ (طبعة ١٨٨٥) .

عينا إلى الآن بالرعاة والفلاحين واللصوص والصناع ، أي بالرجال الذين يكتسبون معاشهم لأنفسهم ، ولأهل بيوتهم بالعمل ، أو باغتصاب الأشياء ، أو بانتظار ما تنبته لهم الطبيعة . وجميعهم فيما عدا اللصوص منتجون : وبما أن اللص ، كان فلاحاً أو سماكاً ، في حالة من الضنك والشدة ، وكما يقول أرسطو ، يسد نقص عمل بآخر ، ، فيمكن إذن عده من المنتجين أيضاً ، وهو على أية حال ، يتخذ مكاناً بين الرجال المحترمين . ونصل الآن إلى طبقة من مدبري أمور المنازل ، وقد تحامل عليهم اليونانيون دائماً ، ويرجع السبب الأساسي لهذا ، لا لكونهم غير منتجين بالمرّة ، بل لأنهم وسطاء يعيشون بطريق غير طبيعي ، ، بتوزيع ومبادلة منتجات غيرهم<sup>(١)</sup> .

== مانس بن أورياس — Ἔστι ὁ μνημα τόδ' ἐς ὅρουμαιος , ὅ

راقد في قبره الجليل — Δί' οὐκ εἶδον καλόν· καὶ μὰ ἔμαυτῷ ἀμείνω ὑλοτόμον .

أقسم بزيوس أنني لم أر حطاباً أحسن مني .  
لقد مات في الحرب . ἐν τῷ πολέμῳ ἀπέθανεν .

(١) أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٨ ب ، أنظر Dem. ، ٢٥٠ - ٤٦ (ومي  
فقرة نموذجية) .

ومع ذلك فلا يخفى أن الجماعة لا يمكنها الاستغناء عنهم . فكما قال أفلاطون ، لنفرض أن مزارعا ، أو صانعا قد أحضر بعض المنتجات إلى السوق ، ( في طريقه إلى المحكمة أو المجلس ) ، وجاء في وقت ليس فيه من يبادلها بها . فهل يترك عمله ويجلس عاطلا في السوق ؟ كلا إنه سيلتقي هناك بأناس أدركوا هذه الضرورة ، فاحترفوا عمل البائع ، ولكن لاشك أن الفيلسوف ، وقد تذكر بين ما يتذكره ، اعتراضه الطريف على الذين يجلسون طوال النهار بلا عمل ، « فإما من شخص يمكنه أن يكسب قوته بهذه الطريقة ، إذا أمكنه أن يعمل شيئا آخر ، ثم يواصل قوله متبعا طريقة التعليل الطبيعية اليونانية ليقرر أنه « في الدول المنظمة يكون هؤلاء عادة ، أضعف الناس في قوائم الجسمانية ، ولذا لا يرجى منهم فائدة كبيرة في أي عمل آخر . فواجبهم البقاء في السوق ، يعطون النقود بدلا من البضائع ، لمن يريد البيع ، ويأخذون نقودا ممن يريد الشراء» (١) .

وبدهى أن ذلك يبدو للقارىء الحديث أمرا لا ضرر منه ، بقدر ما هو ضروري ، في عالم يقوم على المحلات التجارية ، وفي أمة من التجار . ولكن لا يمكن أن يكون لا ضرر منه في نظر الفلاسفة . لقد رأوا بالتجربة ، أن تجار التجزئة اليونانيين ليسوا أحسن مما يجب أن يكونوا عليه ، ( وكثير من رجال العصر الحديث يؤيدونهم في ذلك ) ، وبدلا من أن يقبلوا ذلك كأمر لا مفر منه ، أو كمجرد مادة للتندر المألوف ، كما تعلمنا نحن أن نفعل فيما يخص أثر المهن الحديثة على الأخلاق ، بدلا من أن يقبلوا ذلك ، أخذوا يبحثون فيما حولهم عن السبب ، ورأوه في ارتباط تجار التجزئة الوثيق بتمتية الثروة (٢) .

(١) أفلاطون ، الجمهورية ، ٣٧١ .

(٢) إن إعمال دراسة أثر الحرف الحديثة المختلفة في الأخلاق ، على حين أنا نصر — بحق — على أهمية التربية التي ترمى إلى « تكوين الخلق » ، ليعد من أغرب المفوات ، التي ترجع إلى تأثير طفيان الاقتصاديات في القرن التاسع عشر . إلا أننا نعلم جيدا ، كما علم اليونانيون ، أن أخلاق الرجال والنساء ليست كما يدعى الآباء وللدرسون . « تتكون » =

فإذا ما فكر إنسان في الوضع ، لرأى أن تجار التجزئة يكادون أن ينفردوا في المدينة اليونانية بالتعامل الدائم بالنقود ، ولذلك كانوا معرضين بنوع خاص ، إلى الميل إلى قياس الثراء أو السعادة ، بهذه الوسيلة الخداعة فهم يقضون أيامهم في لجاجات مستمرة في سبيل أقل المكاسب ، حتى انتهى بهم الأمر إلى الاعتقاد بأنه يمكن شراء كل ما في الحياة ، وما من شيء مهما كبر ، يصعب التعبير عنه بالنقود . وقد نسوا ، كما قال أحد الكتاب اليهود الفكهين ، أن دفكة نابليون ( قطعة نقود ) لا تكون مساوية لنابليون ، ، أو كما يقول الرسول لأصدقائه التجار في كورنث إن كلمة الرب ، لا يمكن أن تعامل بالتجزئة<sup>(١)</sup> .

وعلى أية حال ، سنرى الأمر بأنفسنا ، فلنتأكد أولاً من أن البرلمان غير منعقد ، ثم ننضم إلى إحدى جماعات القرويين الممتطين بغالهم إلى المدينة . وأفضل من ذلك أن نركب إحدى عربات القرية التي ازدحمت بزقاق النيذ ، أو المنتجات الثقيلة ، ثم ننطلق إلى أبواب المدينة عبر طرق وعرة غير ممهدة ، ثم نخترق طرقاً ملتوية بين بيوت مبنية من لبن ، ومتاجر مزدحمة ، حتى نخرج إلى ميدان السوق الفسيح ، حيث يعمل تجار التجزئة . فنجدهم منهمكين في العمل ، عبيداً وأحراراً ، يقسمون ويحاجون في مساوماتهم . وفي فترات الهدوء التي بين هذه الصفقات ، يتلفون ما بقي فيهم من صوت بالصراخ العالي ، ( على طراز أحسن مناد في المدينة ) حتى أنه من العيب أن نفكر في الذهاب إليهم . مستعجلين عن شيء ، وإذا فعلنا ،

---

وتتصلب في الوقت الذي فيه يبدأون الكسب . وإنه لمن المؤسف أن ندرس ( وفي بعض الحالات تقاوم ) الآثار الفيزيائية التي تركها المن ، ونجهل الأثر العقلي ، أو أن ندرس سيكولوجية الشواذ ، كالجرمين أو « القديسين » ، ثم نهمل دراسة الرجل المهني .

(١) ٢ ، Cor. ، ١ - ٢ ، οὐ καπηλεύοντες τὸν λόγον ، وقد ترجمت بـ « يفسد » ، أي يفس . إن نقش نابليون لتراخييل كان موجهاً إلى الصهيونيين في ١٩٠٥ ، بعد موت هيرتسل ( Herzl ) .

فذلك يكلفنا أكثر مما يستحق ، فن الحزير الاكتفاء بالمشاهدة<sup>(١)</sup> .

إن تصميم السوق يشبه على وجه العموم ، مربعا على جانبين من جوانبه وبواكى ، ذات أعمدة ، مفتوحة من جهة السوق ، وعلى حوائطه الداخلية نقوش زاهية الألوان ، تمثل بعض مناظر القتال بين الآلهة والمردة . أو بين المواطنين وجيرانهم ، الذين فى الناحية الأخرى من الجبل . وبما أن الشمس لم تبلغ مداها بعد ، فزالَت هذه البواكى خالية ، ولكن ما من شك ، فى أنها ستمتلئ فيما بعد بالمتسكعين . فقد بدأ الناس فعلا يخرجون من الأزقة الضيقة ، التى تقاطع هنا وهناك ، مراتها المستقوفة . ويقوم على الطريق كما نعلم ، فقد مررنا بها توا ، المصانع وصالونات الحلاقين ، ومحلات الخزافين وغيرهم من الصنائع . وعلى جانبي السوق الآخرين تقوم مباني عامة . فعلى أحدها نجد معبدا ذا محراب كبير ، أمامه جملة تماثيل وقرابين النذور . وعلى الجانب الآخر الپريتانيوم أو مبنى الحكومة حيث يأخذ الرئيس اليوم وبعض الموظفين طعامهم ، وكذلك ينامون ، وربما كان هناك أيضا ، سجن وخزانة عامة . وقد تركت نصف ساحة المربع تقريبا خالية ومفتوحة للشعب ، الذى أخذ يتوافد ويتجمع لحديث الصباح . أما النصف الآخر ، فقد اكتظ فى غير نظام بـ « بنخاشيب » ، شتى ، وصواوين ومظلات خشبية ، وألواح وأكواخ ، وكل نوع من أنواع المحلات التى تقام مؤقتا ، وقد رتب بإهمال على شكل دوائر ، أو صفوف ، حسب طبيعة البضائع التى تباع عليها ، أو تحتها أو حولها ، هذا إذا جاز لنا استعمال كلمة الترتيب ، لمثل هذه الفوضى من الرجال والسلع ، ولما يكتنفها أيضا من تباين الأصوات . وأكثر هذه المبيعات تتألف من الأغذية التى لا يمكن أن تباع حيث تصنع ، شأنها فى ذلك شأن الأحذية والأواني ، ولذا وجب حملها إلى

(١) فى أيام انقضاء الإكباتريا ، يمد جبل مقدوس فى صيفه حمراء ، حول مكان السوق ، ثم يسحب تدريجيا إلى الداخل ، ليدفع كل من يقبض فى المسير إلى الپينكس أو تل البرلمان ، أنظر أرسطو ، Ach. ، ٢١ - ٢ . إن أصحاب الحوانيت من العيد ، كانوا بطبيعة الحال ، معروفين فى المدن الكبرى ، وكان يسمح لهم بقدر فى المائة مما كسبوه .

السوق ، وهى الدقيق وربما الخبز كذلك ، والخضر والجبين والعسل والفواكه  
والثوم والنيذ ، يصب من الرقاق ، واللحم ( لهؤلاء الذين يستطيعون دفع  
ثمنه ) الحديث الذبح ، حتى أنه مازال يخضب الأرض بالدماء ، والسماك  
المعروض على صفايح من الرخام البراق . وعندما تقترب من محل السمك ،  
ترى رجلا يتصبب عرقا يندفع بين الزحام ، يدفع الجمع في طريقه ، ويدق  
ناقوسا في يده بكل قوة ، وقد قيل لنا أن هذا أحد كتبة السوق ، وأن  
الناقوس يؤذن بفتح سوق السمك . وما من حاجة لأن يخبرنا أحد بذلك ،  
فحسبنا أدلة ما نسمعه من ضوضاء تزداد فجأة ، وما نراه من تدافع الناس ،  
فضلا عن تلك التعبيرات الصادرة من لغة السامكين الاتيكيين ، التي أخذت تصك  
أسماعنا . بعد ذلك نفسحب باحثين عن جو أكثر رقة وتهديبا ، فنمر مسرعين  
بصرافى النقود ، الذين تتقد عيونهم شررا ، بينما هم يقومون بعادتهم الذميمة ،  
وهى رن النقود على منضدتهم ، فإذا بنا أمام جمع من المتأنقين الصغار ، حول  
محلات العطور والبخور . فقد وصلت من بلاد العرب عن طريق مصر ،  
شحنة من بضائع جديدة ، تحوى أنواعا بديعة غريبة من العطور ، لم تعرفها  
المدينة من قبل ، ولكن الأثمان المطلوبة مرتفعة كل الارتفاع ، فلننتظر  
يوما أو يومين ، حتى تخمد الحماسة الأولى ، معتمدين على الحظ ، فى أن  
تكون الشحنة أكبر من توقع المستهلكين . ولتجنب سوق العبيد ، فإنا من  
حاجة إلى استعراض أجسام بشرية عارية ، ولتذهب إلى محلات الكتب  
المتواضعة المنزوية فى أهدأ أركان السوق . وهنا نلقى أصدقاء ، يشغلونا  
بالمناقشة عن « أسلافنا الهمجيين » ، بآخر أنباء سيثيا ، أو بالمفاضلة  
بين التراجدى والكوميديا ، مع الإشارة بلباقة إلى روايات اليوم الثانى ،  
حتى يأتى وقت الغذاء (١) .

(١) أنظر بوزانيس ، ٦ - ٢٤ : لا نعلم إلى أى حد اتخذت المدن الأخرى ، الطريقة  
التي سارت عليها أثينا ، من فصل نل البرلمان ، عن « ساحة السوق » . كان أفلاطون وأرسطو  
حريصين على جعل الأثنين منفصلين بعضهما عن بعض ، لا كالأثينيين بدافع توفير الراحة ،  
ولكن لدوافع أدبية . أنظر السياسة ، ١٣٣١ ، ٣٠١ ، والقوانين ٨٤٩ ، فيما يتعلق بقوانين =



يرى القارىء من ذلك ، أن منظرا كهذا يستدعى تنظيماً كبيراً ، وبذا  
هذان كتبة الأسواق يستحقون أجورهم كاملة . ولكن الأجدد بنا أن نرج  
بأنفسنا برهة في الإدارة الحكومية ، لنبحث عن واجباتهم ، وسيرينا ذلك  
كيف حاولت المدينة جاهدة ، في أن تدع كل واحد يكسب معاشه ، وأن  
يتصرف ما شاء في أعماله الخاصة ، ما دام الأمر لا يتعارض وواجبات  
المواطن .

إن أهم أعمال الكتبة هي المحافظة على نظام السوق ، وإخماد التنازع -  
وإن كان ذلك أمراً بعيداً - فعلى الأقل يحولون دون أخطر تطوراته  
السبئية . وعليهم أيضاً مراقبة الموازين والميكاييل ، ومنع الغش ، وجمع  
إيجار التخاشيب والصواوين ، لا بأنفسهم ، ولكن عن طريق الملتزمين .  
ونعثر بين صفحات إجزينوفون ، على إشارة إليهم ، فتراهم يزنون خبز المنازل  
ليضمنوا تساوى وجهه وظهره في الوزن ، كما هو مقرر (١) .

وكان عليهم أيضاً حماية المدنيين ، من أسعار المجاعة ، وذلك بالنسبة

---

== الأجداد . في « القوانين ٩١٧ يحرم أفلاطون المساومة فعلاً ، وبصرعى « تحديد الأسعار » ،  
التي ربما تقضى على كل روح للفكاهة . في القرن الرابع وما بعده ازدادت غفامة المياني العامة  
( الأبهاء ذات العمد ... الخ ) في ميدان السوق وحوله ، وصار المنظر جميعه أقل اتسافاً ونظاماً .  
فيما يخص التفاصيل أنظر Wachsmuth في Stadt Athen ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٣ ، وما  
بعدها . وفيما يتعلق بمكان السوق في القرية ، أنظر ديقنبرجر ، رقم ، ٤٣١ ، إعداد سوق  
جديدة في سونيوم . وقد كان الرجال اليونانيون يقومون بشراء حاجاتهم بأنفسهم ، إلا  
إذا كانت حالتهم تسمح باقتناء عبد . وبما أن النساء الأحرار لا يقمن إطلاقاً بشراء ما يلزمهن ،  
فكان على أزواجهن إذن القيام بذلك ، حتى وقت قيامهم في المدمه كتراس : أرسطو ، Lys .  
٥٥٥ - ٥٦٤ . وفيما يخص الإجراءات بسوق المييد ، أنظر الوصف الحى في لوكيانوس  
βίωων πρασις . ويوحى هذا بأنه بيع خاس بالزاد ، ولكننه في الحقيقة مجرد بيع عادى  
بالشروط العادية ، التي يتبعها اليونان في العمل علناً ( أنظر موسوعة Pauly ، مقال Auctio ) .  
وهذا العمل علناً أمام الجمهور ، يمكن تاجر التجزئة من الاستثناء عن كل أدواتنا ووسائلنا  
للإعلان والنشر ، لأن الإعلان ما هو إلا « فن البيع مضافاً إليه ، فن النشر والإعلان » .  
والمعلمون المهرة عندنا ، يجتهدون في أن يلفتوا نظرنا ، من الإعلانات أو الجرائد ، بمثل ما  
كان يفعل التاجر اليونانى القديم ، بصيحاته في آذان العملاء المارين أمامه .

(١) إجزينوفون ، Symp . ، ٢ - ٢٠ ، حيث يقارن سقراطاً برغيف الخبز هذا .

للمواد الضرورية ، التي لا غنى عنها . ولكن مجهوداً مالم يبذل لتحديد الأسعار بصفة عامة ، وإن كان ذلك غالباً ما يرى في أما كن أخرى ، في ظروف اقتصادية مشابهة . ففي الجماعة الصغيرة التي تكاد تسكن نفسها بنفسها ، حيث تقوم سوق واحدة ، وحيث يصعب النقل إلى مركز آخر ، كما أنه يتكلف نفقات كبيرة ، تتجه الحكومة الرشيدة غالباً ، إلى إصدار قوائم تحدد الأسعار تحديداً عادلاً . أما السلطات اليونانية ، التي في يدها الإشراف على السوق ، فلم تستعمل أبداً هذا الحق الطبيعي ، إلا في ظروف خاصة استثنائية . فقد فضلت ترك الشارى والبائع يحددان ذلك بحض حريتهما ، عن طريق الإقناع ، أو حسب الاتجاهات الاقتصادية التي لها أثرها السريع ، بين باعة البضاعة المقابلة للتلطف في جوارح . لقد كان التدخل في المساومات الخاصة لا يتفق وطبيعتهم . وكما يقول بركليس ، وهذا المثل من السوق يضيف معنى آخر إلى الكلمات ، نحن في حياتنا العامة ، نعطي الجميع حرية التصرف ، ونعمل بنفس الروح في معاملاتنا اليومية ، مع بعضنا البعض . فإذا ما هزمتنا في المساومة هزيمة شتعا ، هكذا نقرأ في جملته التالية ) تقبلنا هذه الهزيمة بروح طيبة ، ودون أن ننظر إلى جيراننا متجهمين ، أو نوجه إليهم كلمات قاسية (١) .

(١) أنظر أرسطو ، Ar. Ach. ، ٨١٦ ، فيما يخص كسبة السوق . حيث يذكر أن ديكابوليس أقام سوقاً خاصة به ، وكان هو كاتبها . وفيما يخص نص نموذجي بين واجباتهم أنظر ديقنبرجر رقم ٥٠٣ ، فكانوا في أيام السوق المتصلة بالاحتفال بمنعون السكان حسب التعليمات العامة التي لديهم ، من التغال في الأسعار ، وأن يقدموا خدمات طيبة للجمهور . وفي اليونان الحديثة ، نجد أن السلطات المحلية تلك ، حق إصدار قوائم بالأسعار ، وقد رأيت بنفسى مثل هذه القوائم معلقة على بوابة إحدى مدن جنوب إيطاليا . وأمكن الدليل الوحيد الذي استطعت أن أجده ، لتفسير السلم العادية ( أى حيث لا توجد اعتبارات خلفية ، ولا كالية ، ولا أية ضرورات خاصة توجب ذلك ) كان إشارة في بلاوتوس ، بد Miles Glor- iosus ، ٧٢٧ ، حيث من المحتمل أن يكون « المفسر الرومانى » ، قد أخطأ . ويجب إن نحترم كل الاحتراس في اتخاذ ، تيرس وبلاوتوس ، دليلين على الحياة الأثينية ، كما نحترم في اتخاذ الروايات الإنجليزية المقتبسة عن الفرنسية دليلاً على ما مى عليه باريس الحديثة . أنظر فضلاً عن ذلك ، النص الهام من القرن الثالث الذى وجد في ديبلوس ، والذى عولج في =

وفى متخف برلين ، لوحة صغيرة من الرصاص ، بها بضعة سطور بأحرف متأكلة جدا ، وهي أقدم خطاب يوناني لدينا ، ومن المحتمل أنه يرجع إلى آخر القرن الخامس قبل الميلاد . ولكن موضوعه يشابه كثيرا الخطابات التي نكتبها الآن ، بعد ٢٣ قرنا . وهو بشأن عمل صفقة طيبة وها هو نعرضه كاملا ، بعد أن كانت قراءته مستحيلة ، لولا مهارة الأستاذ وللم التي لا تبارى :

« أحمله إلى سرق الخزافين ، وسله إلى ناومياس ، أو إلى ثراسيكليس ، أو إلى ابني ، » .

يبعث منسیرجوس ( Mnesiergos ) بحجته لكل من في البيت ، ويرجو أن يخدم هذا ، في أحسن حال ، كما كان هو عندما تركه .

أرجو أن ترسل لي سجادة من جلد خروف أو جلد ما عز ، رخيصة بقدر ما تستطيع ، خالية من الشعر ، وبعض النعال المتينة ، وسأدفع لك الثمن فيما بعد ، (١) .

---

= الجزء ٣١ من Bulletin de Correspondance hellénique ، ص ٤٦ وما بعدها ، ( ويجب أن نتذكر أن ذلك كان خاصا بمعبد مزدحم ) وأشبه ذلك في اليونان والعصور الوسطى جموا مما في ذلك المقال . والنس خاص ببيع القود ، والشروط الخاصة به ، وجميعها قصد بها صيانة الجمهور من النفس والابتزاز . فثلا غير مباح لتجار تغيير الأعمان ، التي سبق تحديدها ولكن لا حاجة لنا أن نستخلص من هذا وغيره من القوانين المشابهة له ، الخاصة بسوق السمك الأثيني ، ( ومن اعتراض أفلاطون المشار إليه آنفا ) ، أن سلطات الدولة المدينة أصرت على « تحديد الأسعار » عموما . ولكن ما كان مذموما ، وهو ما زال أيضا ، وعلى سلطات الدولة مقاومته بقدر استطاع ، هو أن يقول التاجر لزبونه أن الأسعار محددة ، في حين أنها في الحقيقة ترتفع وتنخفض حسب المهارة التي يبديها الشاري ، ومن الجائز أن يكون هذا وحده هو المشار إليه . وعلى أية حال فإن ديلوس لم تكن دولة مدينة عادية ، كما لم يكن القود ولا السمك ( وهو صنف مفضل عند فقراء أثينا ) بضاعة مألوفة والنس هام أيضا لما يلقبه من ضوء على نظم الجريك ، وعلى معنى « الاعفاء » الممنوح لبعض التجار . أنظر أيضا في هذا الصدد ديبتنجر ، رقم ٩٣٦ . أما فيما يخص قوانين المجاعة ، فانظر ص ٣٦٥ فيما يلي .

(١) Jahreshefte des österr. arch. Inst. ، الجزء السابع ، ص ٩٤ وما بعدها . لم يستطع ولهم أن يخبرنا عن الظروف السعيدة التي حفظت لنا هذه اللوحة . وقد نشرت أولا في مجموعة « نصوص اللغات الأتيكية » ، وهي لوحات من الرصاص رفيعة =

# الفصل التاسع

## اقتصاديات المدينة

### الملكية الخاصة والملكية العامة

Κοινὰ τὰ φίλων.

كل الأشياء مشاعة بين الأصدقاء — مثل يوناني .

Δεῖ γὰρ πως μὲν εἶναι κοινά, ὅλως δ' ἴδια

يجب أن يكون للفرد حقوق شرعية كاملة ، إلى جانب ما في المجتمع من عرف وعادات ..

أرسطو ، السياسة ، ١٢٦٣ .

رأينا كيف كان يقوم اليونانيون بأعمالهم الخاصة داخل حدود مدينتهم دون تدخل قوانينها ، بل لم تقيدهم هذه القوانين في الجزء الأكبر من أعمالهم

= متشابهة كانت توضع في القبور ، وربما تكون هذه الاوحة قد أخذت خطأ على أنها واحدة ، منها فوضعت في المقبرة معها . وهي كالآتي :

Φέρειν ἰς τὸν κέραμ—  
ον τὸν χυτρικόν·  
ἀποδόναι δὲ Ναυσίαι  
ἢ θρασυκλῆι ἢ θ' υἱῶι·  
μνησίεργος  
ἐπέστελε τοῖς οἴκοι  
χαίρειν καὶ ὑγιαίνειν  
καὶ αὐτὸς οὕτως ἔφασκε ἔχεν·  
Στέγασμα εἶ τι βόλεστε  
ἀποπέμψαι ἢ ὦας ἢ διφθέρας  
ὡς εὐτελεστάτας καὶ μὴ σισυρωτάς  
καὶ κατύματα : τυχὸν ἀποδώσω.

وقد عثر في روسيا أخيراً ، على خطاب مشابه لذلك ، (ربما عثر عليه في أولبيا ( Olbia ) . ونشره ولهم في Jahrshefte ، الجزء الثاني عشر ، ص ١١٨ وما بعدها : وهو أحدث . قليلاً من النص الآخر ، فتاريخه بلاشك يرجع إلى القرن الرابع ق م . وتكاد صيغة الافتتاح تكون واحدة : .: τοῖς ἐν οἴκωι χαίρειν . ( تحياتي لمن بالبيت ) .

هذه . وعلينا الآن أن نعود إلى المدينة نفسها ، لنرى كيف كانت تشرف على أمور مواطنيها الخاصة . إذ لما غدت المدينة في القرن الخامس ، كما رأينا ، أم عنصر في حياة المواطنين ، فلا بد أن كان لديها خطة معينة وسياسة معلومة لإزاء المسائل الاقتصادية أيضاً . وعلى هذا فإننا نترك اليوناني من حيث هو عامل ، لنتناوله مرة أخرى كمواطن يؤدي عمله في مجلس الشعب ، يجتازين الحد الفاصل بين الاقتصاد الفردي ، والسياسة الاقتصادية العامة .

كان من تقاليد المدن الإغريقية ودواعي فخرها ، أنها كانت دولة ذات سيادة مستقلة عن أى نفوذ خارجي . وقد دعمت تلك القرون الطويلة من العزلة ، حبها العنيف للاستقلال ، وكان هذا الحب كما رأينا أحد الدوافع القوية في الحياة القومية . وسنكون مجرد محتذين مثلاً سينا لتجار ورواد القرن التاسع عشر إذا نحن فسرنا هذا الشعور بمعنى سياسى بحت . لقد كان في أصله وجوهه ، عند اليونانيين وغيرهم ، فكرة اقتصادية في كل ناحية من نواحيها ، بقدر ما هي سياسية أيضاً . فالسياسة والاقتصاد ، أى حكومة الدولة وتدير شؤونها الاقتصادية ، ليسا بالنسبة للشعوب الساذجة ، ( كما يجب أن تكونا بالنسبة لنا ) سوى مجرد مظهرين لشيء واحد . وبذا هيا ما كان لقرون عدة نواة لسياسة اليونان الاقتصادية . فلكي تكون الدولة مستقلة يجب أن تحكم نفسها ، لا بطريقتها الخاصة فحسب ، بل يجب أن تكفل لنفسها أيضاً ، الغذاء والكساء كما يترامى لها . فليس عليها أن تدبر أورها فحسب ، بل عايتها كذلك أن تسد حاجاتها الخاصة . فالحكم الذاتي والكفاية الذاتية ( أفتونوميا αὐτονομία وافتاركيا αὐτάρκεια ) هما من وجهة النظر اليونانية التقليدية تعبيران متعادلان ، يحل أحدهما محل الآخر . ويمكن أن نرى قوة هذه التقاليد من امتمرارها قائمة سنين طويلة ، بعد أن أخذ التجار اليونانيين

في جلب البضائع بوفرة من الشرق والغرب . وذلك فيما كتبه الفلاسفة عن الاقتصاد السياسي (١) .

لذا فقبل أن تواجه المدينة اليونانية مشكلة كيف تضيف إلى مواردها المحلية ، موارد جديدة من وراء حدودها ( تلك المشكلة التي صارت ، كما سنرى ، ملحة في القرن الخامس ) ، قبل أن تواجه ذلك بزمن طويل ، نشرت مذهبها عملياً عظيماً عن كيفية مباشرة واستغلال ما ورثته ، متمشية مع تطورها السياسي .

فاذا كان هذا المذهب العملي ؟ وكيف كان موقف المدينة اليونانية العادية إزاء ما نسميه الملكية الخاصة ؟

لقد كان بكل تأكيد مختلفاً كل الاختلاف عن موقفنا ، لأن نظمهم الاقتصادية مثل نظمهم السياسية ، نشأت عن أصول تختلف تماماً عن تلك التي نشأت عنها نظم الدول الغربية اليوم . فإن أردنا أن نفهمها ، يجب أن نمحو من أفكارنا ما فيها من أهواء كثيرة . ويجب أن نرجع بتفكيرنا إلى الوراثة ، إلى عالم بدت فيه الملكية العامة ، بل الشيوعية المطلقة ، للجادين فيه أقرب إلى الطبيعة وأوفق ، وأكثر تمشياً مع الماضي ، من الحقوق المطلقة التي لأصحاب الملكية الفردية ، وإلى عالم بشر فيه المحافظون والرجعيون بنظريات وليم موريس « News from Nowhere » ، ونظريات الاشتراكيين العاطفيين . بينما لم يكتبف الراديكاليون ، الذين بدأوا متهمين ، لم يكتبفوا فعلاً بالمناداة بالمذهب الذي مازال باقياً حتى الآن بين أمثال Rip Van Winkles ، القائل بأن للواطن الحر المولد « أن يفعل ما يشاء بما يملك » . لقد كان في الواقع عالماً يسير في الطريق المضاد تماماً لعالمنا . وذلك فيما يخص النظريات الاقتصادية ، عالماً لا يسير من الفوضى إلى النظام ، بل من الرقابة الاجتماعية إلى الحرية الفردية .

---

(١) أنظر الصورة التي تخيلها أرسطو عن أصل المدينة (السياسة ، ١٢٥٢ أ ٢٤ إلى ٥٣ أ) ، وهي تهدف إلى « الاكتفاء الذاتي » الذي هو « الغاية والأحسن » . ويبدو أن Critias لأفلاطون ، قد بنيت على نفس النص .

إن النقطة التي بدأ منها اليونانيون ، تخالف تلك التي بدأنا نحن منها . ففي عالمهم الأول ، عالم القبائل والعشائر والأسر ، لم يفكر أحد في حقوقه ، ولم يناقش مطالب الجماعة ، فعمليا للعشيرة كل ما يملكه . ولن يدعى حقا له في حياته ، إذا ما طلبوها منه وقت الحاجة . فلماذا إذن يفكر بالمطالبة بينته أو بحقله أو بماشيته ؟ نعم إنها كانت ملكا له ، لأنه كان يحتاجها يوميا ، ولا يمكنه الاستغناء عنها . لقد استأثر بها باستخدامه إياها ، وكان مطلبه الرئيسي ، طيلة كونه أبا للأسرة أو رئيسا للقبيلة ، ألا يستعملها أحد غيره ، وذلك كقوس أوديسوس . وعلى ذلك إذا ما أُلقيت إليه إدارة ثروة الأسرة ، فهذا لن يعطيه حقا ما ، في منحها والتصرف فيها ، إذ لا يقدر أن يهبها ويفقر بذلك أتباعه ، أو أن يتنازل عنها إلى الأجنبي ، إذا انتهت حاجته منها . فهو يحتفظ بثروته من أجل الجماعة الصغيرة التي حوله . لأنه إذا كانت هذه الثروة تخصه بوصفه رأس العائلة ، أكثر مما تخصهم ، فذلك لأنه خلال تطور الأجيال البطيء ، روى أن الملكية الخاصة بهذا الشكل المحدود البدائي خير للجماعة كوحدة . فإن الأملاك التي تملك بهذا الوضع ، لا تتضمن حقوقا ، وإنما تفرض واجبات فقط . لقد كان دأب السياسة الاقتصادية اليونانية — وما من ميدان آخر كان فيه الذكاء العملي اليوناني أكثر توفيقا منه هنا — فرض هذه الواجبات على أجدر الناس للقيام بها ، وعلى نحو يستثير خير ما فيهم من قوى أثناء أدائها<sup>(١)</sup> .

ومن ثم نجد نفس الخيط الذي صحب التطور الاقتصادي . وكذلك التطور السياسي في اليونان . فكما أن المواطن اليوناني قد استفاد من حيث الفردية والحرية الشخصية ، كلما قويت صلته بالمدينة ، فكذلك

---

(١) لستنا في حاجة إلى أن نناقش هذا السؤال المخرج ، فيما إذا كان اليونان قد عاشوا في فترة ما قبل التاريخ حياة شيوعية ، وما بدا للكتاب اليونانيين والكتاب المحدثين معا ، أنه البداية « المنطقية » لتطورهم الاقتصادي ، له دلالاته الكافية . ولكن النظام الاسبرطية التي اتخذها أفلاطون وآخرون أساسا لهذه النظرية ، لم تكن بدائية حقيقة ولكنها حالة تقدم محرف . أنظر ص ١٢٣ ، ١٢٤ فيما سبق .

ازداد المالك حماسة وإقداما ، كلما زاد شعوره بالجماعة الكبرى التي يعمل فيها ، وبالآغراض التي من أجلها تحتاج المدينة إلى ثروته . وكانت سياسة المدينة ألا تقيد حريته بقيود جديدة ، وأن تزيل بالتدريج ، كما رأينا في تشريع سولون ، القيود التقليدية التي تتدخل في حريته في العمل . ولكن كل توسع في الحرية عنى ازديادا في الوطنية ، فالواجبات التي تعود أن يؤديها للعائلة أو العشيرة ، أصبحت تؤدي الآن إلى المدينة التي وحدث بين كل هذه الوحدات الصغرى ، أي إذا كان قد أصبح حرا في أن يوزع ثروته كما يشاء ، بل أن يورثها ، وإن كان ذلك في حدود معينة ، فقد غدا ميالا بل متحمسا لأن تكون المدينة أول من يستفيد من كرمه . فلها حق على ثروته ، كما لها حق على وقته . وقد رأينا أنه أعطاها أكثر من عشر وقت عمله ، وكذلك كان يبذل ثروته لها في سخاء وكرم . وكما لاحظ الكورثيون ، بكل ما يشعر به متنافسون في التجارة فاشلون من مرارة ، فإن الأثنيين في القرن الخامس كانوا جسورين مغامرين في العمل ، حتى أنه « لم يكن لديهم ، سوى وقت قليل للتسلية والاستمتاع ، إذ هم دائما يسعون وراء الكسب » . ولكنهم كانوا كذلك متحمسين كمواطنين حتى « أن فكرتهم الوحيدة عن أيام العطلة والراحة ، هي القيام بواجباتهم . وإنهم ليأسفون لبعدهم عن الحياة العامة ، أكثر مما يأسفون على تعطلهم عن القيام بأشق عمل مرهق من أعمالهم الخاصة ،<sup>(١)</sup> .

فالمدينة اليونانية إذن في سياستها حيال الملكية الخاصة ، كان هذا التقدم المزدوج ماثلا بالفطرة أمامها ، وأميز نظمها ، ولا سيما في أثينا ، تبين مدى غيرتها على صيانة وتقوية تقاليد الحرية الشخصية ، وكرم النفس . وإذا اعتاد إنسان البذل بسخاء للمدينة ، فلا بد أن يقوم طواعية بخدمتها

(١) توكيديس ، ١ - ٧٠ - ٨ ، أنظر ٢ - ٦٥ - ٧ فيما يخص رأى توكيديس عن الميل إلى الجد في طلب « الكسب الخاص » .



بشخصه كذلك ، وأن يضحى بحياته إذا لزم الأمر ، كما قال بركليس ،  
في سبيل المدينة (١) .

فليس من الصعب إذن ، أن نبين السبب في أحجام الديموقراطيات  
اليونانية دائماً عن فرض الضرائب المباشرة ، إلا إذا اضطرتها الضرورة ،  
إذا اعتبرتها مهينة لكرامة المواطن الحر . فالغرباء المقيمون ، والمحرون ،  
قد يدفعون الجزية وهم شاكرون لهذا الامتياز ، ولكن المواطن يجب أن  
أن يترك حراً ليساعد البلاد بطريقته الخاصة . فكان يدفع كل نوع من  
الضرائب غير المباشرة عن رغبة ، سواء أكانت الضريبة من وقته أم من  
ماله . والضريبة المباشرة الوحيدة التي قدمها كموطن ، لخزانة الدولة ، كانت  
منحة اختيارية حرة ، أو هي ما يسمى في أثينا وغيرها « ليتورجى » ، أو  
« العمل العام » . وكان جزء كبير من نفقات الدولة الأثينية العامة ، أى  
إخراج رواياتها ، وتسليح سفنها ، والاستعداد لألعابها وحفلاتها وأعيادها ،  
من إعداد العربة والحصان ، وسباق المشاعل ، وفرقها الموسيقية ،  
وسباق الزوارق ، سواء في المدينة أو في الأقاليم ، يقوم به المواطنون من  
النبلاء طواعية ، وكانوا يفخرون ويزدهون بمنافسة أسلافهم ، أو جمع من  
منافسيهم ، في قيامهم بهذا الواجب . « وبهذه الهبات الحرة سلاح الأثينيون  
أسطولهم ، الذى ظل صاحب السيادة مدة طويلة في البحار ، كما كونوا بها  
أيضاً تلك الفرق التي قامت بالرقص وإلقاء الأناشيد التي عليهم إياها ،  
أيسخيلوس وسوفوكليس ، ويوريبيدس وأرسطوفانز ، . وقد لا تلقى  
نظماً آخراً في حياة الدولة المدينة ، يقف الإنسان تمام الوقوف على  
سير أعمالها مثل هذا النظام . فلينكراتس « متعهد الفرق الموسيقية ،  
منح في مباراة غنائية ، جائزة أحسن فرقة من الصبيان ، وقد سره ذلك

، τοῖς σώμασιν καὶ τοῖς χρήμασιν λητουργεῖν، (١)

٢٩ — • من Ath. Pol. : ( τὴν ἀρετὴν τῇ πόλει )

، κάλλιστον ἔρανον προϊέμενοι ، توكيديس ، ١ — ٤٣ — ٢ .

تماماً حتى أنه أقام النصب الذي لا يزال قائماً في «شارع القواعد المثلثة» (Street of Tripods)، تخليداً لهذه الذكري ، وذلك مثل ما يقدمه الأفراد الآن (وإن كان نادراً ما يكون ذلك على سبيل المنافسة) ، من كتب وصور وكؤوس المباريات ، إلى المنظمات التي يهتمون بها اهتماماً خاصاً . إن الحديث عن الضرائب في مثل هذا الجو ، خطأ ، بل خطأ جسيم ، فالضريبة دفع مال يفقر الشخص عن ذى قبل ، بينما التطوع للعمل العام (Liturgy) يزيد ثراه . فهو لا يزال مالكا لما وهب ، ومع ذلك فقد أضاف شيئاً إلى التراث العام . فالعظمة القومية ، تتلاقح عن بركليس ثانية ، «أذنع وأجدي لصالح المواطنين ، من أى سعادة فردية يصحبها الفقر العام» . هذه هي البديهيات في النظرية المالية اليونانية العامة ، إلا أن تعقيد الدولة الحديثة ، وبعثرة الثروة الخاصة ، تحولان دون أن يظل ذلك أمراً بديهياً<sup>(١)</sup> .

ونلتقي هنا باختلاف هام بين المشاعر اليونانية القديمة والحديثة ، كانت له آثار غير متوقعة في الحياة اليونانية الاقتصادية . فأثرياء الانجائز يميلون أيضاً إلى أن يفكروا يامعان في نفقاتهم ، ولكن نظرنا لأصلنا الإقطاعي ، جرى هذا الحرص على طريقة مختلفة . فتقاليدنا الانجليزية تؤكد ، أن حسن الانفاق أمر خاص شخصي . فهو واجب يدين به الرجل نحو مكانته ومركزه . فالرجل الغني يفضل أن يحتفظ لنفسه بالإشراف الكلي على ثروته ، وأن يجود بسخاء مما يفيض عن حاجته ، ولكن بطريقة الخاصة

---

(١) توكيدس ، ٢ — ٦٠ — ٢ . والاقتياس الآخر من مقال Leitourgia في دارميرج وساجليو ، ويغطي تفاصيل عن كفيته . وهذا النظام رغم أنه أثبت في طابعه ، إلا أنه ساد أنحاء اليونان ، التفاصيل في موسوعة باولي . مقال Choregia . ثم انظر أيضاً دارميرج مقال Trierarchia ، فيما يخص واجبات نوتية السفن (Trierarchs) الحقة ، التي هي موضع النزاع وهم الـ ٤٠٠ مواطن الذين يختارون سنوياً . وكان على كل منهم تقديم سفينة . وواجباتهم هي : — (١) جمع النوتية (وليس دفع أجورهم) ، (٢) إعداد السفينة ومدّها بالسلاح (المواد ... الخ كانت تقدمها الدولة) ، (٣) المحافظة على أن تكون السفينة سالمة . (٤) النفقات الإضافية فيما يتصل بتعويم المركب ، وجوائز المجدفين ... الخ .

ولما يراه هو من أسباب . وفي الواقع أنه يظل في نظر الناس ، وفي نظر نفسه أيضاً ، د باروناً ، أو سيداً عظيم الجاه ، أكثر منه مواطناً عادياً ، صادفه حظ ، أكثر قليلاً مما صادف زملاءه . أما شعور اليوناني فيختلف عن هذا ، وبذلك كان مقياس بذله وعطائه أعلى بكثير . فعندما يجبرنا لسياس عن مواطن أعطى ما متوسطه ٧٠٠٠ درخمة سنوياً ( أى بما قوته الشرائية ١٣٠٠ جنياً ) لمدة تسع سنوات ، فلا ينبغي أن تقدر ثروته بمقياس كرم أغنيائنا الزهيد . بل أخرى بنا أن نقيس ذلك بمقياس الفقراء ، فما هو إلا كالارملة التي ستصرف نصف ماتركة عائلتها على جنازته وشواهد مقبرته ، أو بمقياس المتحمسين من الطبقة العاملة ، الذين يقترنون على أنفسهم في طعامهم وملبسهم ، لبناء قاعة اجتماعات ، أو إصدار صحيفة (١) .

ولكننا لا نبحث هنا عن الشعور الذي دفع إلى هذا الكرم الفياض الموصول ، بقدر ما نبحث عن أثره في اقتصاد المدينة التي زادها ثروة . فقد أحدث ما يعد في نظرنا علاقة ، غير معهودة لنا كلية ، بين الثروة العامة والخاصة ، أى بين مصادر الدولة ومصادر المواضع الخاصة . ففي جماعة فقيرة ، فقر أية دولة مدينة يونانية عادية ، لا تتجه المدينة فقط إلى أن تملك مصادر عظمى دائمة ( منفصلة تماماً عن دخلها السنوي من الهدايا والضرائب ) ، تفوق كثيراً مصادر ثروة أى مدنى ، ولكنها بأراضيها العامة ، وخزائن معابدها يمكنها أن ، تفوق بسهولة مجموع ثروات الأفراد جميعاً . ولم تكن الزيادة الكثيرة في مصادر الثروات الحديثة ، من نصيب الدولة والكنائس ، أو الهيئات العامة ، بل كانت من نصيب الأفراد . وقد أدى هذا إلى تغيير نسبي ، كما أدى إلى تغيير مطلق . فقد قلبت لأول مرة ، وإلى الأبد ، التوازن

(١) كثيراً ما لوحظ أن الأمريكي الذي يتبرع للمشاريع العامة بسخاء أكثر من الإنجليزي الموسر . والأمم في الأمر أن شعورها إزاء التبرع يختلف كما يختلف شعورها إزاء بيع جزء من أملاكها ، أو بالنسبة لإقاص عدد كلاب الصيد .

اليوناني القديم بين المصادر العامة والخاصة . فقد كانت الثروة الخاصة تشغل دائما نطاقا أوسع من الثروة العامة ، فالدولة أو الإقليم أو المعبد شيء واحد ، أما المدنيون أو العابدون فكثيرون . والحديقة العامة أصغر من ١٠٠٠٠ حديقة خاصة ، وهو المدينة أصغر من ١٠٠٠٠ غرفة استقبال . ولكن الميزان يتعادل في المدينة اليونانية القديمة ، بجمال أبنائها ، وعظم محاكمها ومبانيها . ولا زال ذلك حقيقة في قليل من مراكز العالم القديم ، مع أن المباني في أغلب الأحيان كاتدرائيات أكثر منها دور بلديات . فاستانبول تشغل مساحات واسعة ، ولكن السائح سواء اقترب من اليوسفور ، أو من بحر مرمرية ، يستقر نظره أولا على المساجد التي تتوج مرتفعاتها . وعند نزوله إلى البر فقط ، ومحاولته الوصول إليها ، يستطيع أن يدرك فقط بحاسة من المقارنة ، غير مألوفة للعقل العربي ، مدى بساطة هذه المساكن الخشبية وتواضعها ، وهي مساكن تتراكم حول مساحات المدينة الواسعة . فأثينا في القرن الخامس كانت على مثل هذه الحال من التباين ، بل وأكثر منها ، فكما يقول ديموستينز ، إنك لتتطلع معجبا إلى معابدها ، وأقبيتها ذات الأعمدة ، ومخازن أسلحتها وأحواض سفنها ، وإلى مبانيها الخالدة على الأكرابول ، التي تلقاها أثناء مرورك بالمدينة ، جيئة ورواحة ، بارزة لامعة على كل جانب من حافة الصخر . ولكن إذا ما سألت عن بيت ثيمستوكليس أو كيمون أو أرسطيدس أو أي عظيم آخر ، فمن تتردد أسماؤهم على شفاه الجميع ، لا تكاد تجد من يعرفه ، وإذا ما وصلتته في النهاية ، تلقاه أشبه ما يكون ببيوت جيرانه ، « فيلا ، بسيطة من اللبن . إن ثروتهم الحقيقية لم تكن في الواقع في بيوتهم حيث تعمل العتة والصدأ على اتلافها ، واللصوص على اقتحامها من طريق الحوائط الضعيف لسرقتها ، ولكنها كانت مشتركة بين زملائهم المواطنين ، وتجسمت في أعمال فنانيهم ، لتكون متعة للجميع . فجماعة كهذه مهما كان فقرها ، لا بد وأن تعرف كيف تستغل قدرة فنانيها ، ومهندسيها ، ونقاشيها . وقد لا يكون لها حماة من الأغنياء ،

ولكن ستوفر لشعبها الغيرة والحماسة ، ولفتننا الوحي والإلهام . على حين أن جماعة يعيش رجالها في بيوت مزخرفة بأبداع الزخارف ، عرف أفرادها كيف يتذمرون ويجأرون بالشكوى من الأجور ، كالاثنين في عهد ديموستينز ، تلك الجماعة لا يمكن أن تأتي بأعمال خالدة ، ولا هي على الرغم من تقدمها الفني ، تستطيع أن تخرج من بين أعضائها ، مدرسة للفنانين لتقوم بتلك الأعمال (١) .

إن ذلك يوحى بسؤال طبيعي ، إذا كانت الدولة تقوم بدور كبير في حياة المواطنين ، لا سياسياً فقط ، بل اقتصادياً أيضاً ، ليس فقط بالأعمال العامة التي باشرتها ، ولكن بالثروات التي ملكتها كذلك ، فلماذا لم تبسط رقابة أكل على مختلف نشاط هؤلاء المواطنين ؟ لماذا لم تكفل لنفسها جميع ما في حدودها من ثروات خاصة ، وتديرها مباشرة ، ولا بد أنها كانت تواقفة لذلك ، كما يحدث في دولة ديمقراطية ؟ وبمعنى آخر ، لماذا لم تقدم أئتنا

---

(١) Dem. ، ١٣ — ٢٨ . متجها بناظره من البكس الى البني الذي يقع أمامه مباشرة ، انه يتكلم عن « هذه البرويليا » . ويبدو أن فكرة بركليس عن الأكرويل ، أن يكون بناء يطل على كل جبهة من الجهات الثلاث . إن الصلة بين الثروة الخاصة والثروة العامة في أثينا ، موضع نزاع ونقاش ، ولكن من المتفق عليه أن هناك توازن عادل بين الإثنين . يقول بوليب ، ٢ — ٦٢ — ٧ ، أنه في عام ٣٧٨ عمل تقدير ، ولا شك أن ذلك كان في وقت ركود ، فقدر مجموع رأسمال الثروة الخاصة في أثينا ، بما في ذلك الأرض والبيوت والمنقولات بـ ٥٧٥٠٠ ثلثا ( أقل من ٧ مليون جنيتها قوة شرائية ) ، وهو ما أيده Dem. ، ١٤ — ١٩ ، إجمالا ( ٦٠٠٠ ثلثت ) . وكان هذا الرقم الذي يعادل ست مرات مجموع دخل الإمبراطورية الأثينية ، منخفضا بشكل يثير الدهشة ، إلى حد أن قامت محاولات كثيرة لتفسيره بما يفي به . ولكن أحدث الآراء ، تعتبره صوابا ، مع مراعاة وجود مجال كبير لتمرره للخطأ والتدليس والحداع ( مقال « Eispnora » في دارميرج وكتبه Lécrivain ، فيلاموفيتز . Staat und Ges. ، ص ١١١ ، والطبعة الثانية ، ص ١١٦ ) . وبين كاثينياك ، ص ١٢٥ ، أسباب تقدير الثروة الخاصة في أثينا عام ٤٢٧ ، بمبلغ ٢٠ ألف ثلثا . وليس لدينا وسائل لتقدير مجموع ثروة الدولة الأثينية في القرن الخامس ، من الأراضي والمناجم الخ . وقد قدر مجموع ثروة المملكة المتحدة بمبلغ يتراوح بين ١٨ إلى ٢٠ ألف مليون جنيتها ( Quarterly Review ، ١٩١٠ ، ص ٣٠٤ ) ، بينما كان دخل بيت المال للسنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ، ١٥١٠٥٠٠٠٠٠٠ ، والأموال المحصلة من الضرائب في إنجلترا ، وولز ، ٥٩ مليون و ٥٠٠ ألف جنيتها .

للعالم مثلاً للاشتركية الإقليمية ، كما فعلت منافستها البنديقية فيما بعد؟<sup>(١)</sup>

سبق أن أعطينا إجابة بسيطة لهذا السؤال . فأثينا لم نشعر مطلقاً بميل إلى عدم اتخاذ نظام اشتراكي ، بمثل ما شعرت في القرن الخامس ، لأنها كانت تبتعد بشكل حاسم عن الشيوعية ، وتحكم الدولة متجهة نحو حرية فردية غير مقيدة في العمل والنشاط . ولكن ذلك ، في ذاته لا يعتبر تفسيراً مرضياً ، إذ لو كسب الأثيني حياته كموظف في بلدية مدينته ، فلم يكن ليشعر بحرية أقل ، بل بحرية أزيد ، من كونه يكسب حياته من عمل خاص . وعلى أية حال ، فلم تكن الاشتراكية في أثينا لتشل الكد والعمل كما تقول بذلك ، بدون تفكير ، التأكيدات الحديثة ، فما جد الأثيني أبداً في عمله ، أو بذل مجهوداً فكرياً في شؤونه ، بقدر ما يفعل ذلك عندما يعمل من أجل المدينة ، فيجب أن نبحث عن سبب أعمق من هذا التفسير السطحي .

إن السبب الحقيقي الذي حدا بالأثينيين إلى إدارة أعمالهم على مثل هذه الأسس الفردية القوية ، هو كره اليونانيين المتأصل ، وخاصة الأثينيين منهم ، للنظام والترتيب ، وذلك رغم ميل أفلاطون وغيره من الكتتاب للنظام الاشتراكي . والسبب لم يكن رفضهم العمل حسب نظام حكومي ، بل رفضهم العمل بأي نظام كان . لقد كان هواهم المتأصل ، وأعظم مفاخرهم ، أن يظلوا هواة ممتازين ، وأن يكونوا كما قالوا عن رجل ، لعله أعظم سياساتهم ، موفقين ، في ارتجال العلاج الصحيح للأزمات المفاجئة . وقد زاد ذلك الميل قوة ، هذا النجاح المفاجيء الذي ساقهم إلى العظمة والتفوق ، والذي اتسع باتساع تجاربهم ، ولم ينتابه فتور ، بل دفعهم إلى ارتجال أعمال جديدة أروع

---

(١) فيما يخص أسطول دولة البنديقية (الجاري) انظر هوراتيو براون (Horatio

Brown) في Cambridge Modern History ، الجزء الأول ص ٢٧٧ . وهناك اقتراح مماثل قال به المؤلف الأثيني للمقال الغريب المتمع عن « الطرق والمسائل » الذي يترجم إلى القرن الرابع . وعلى هذا فلم يكن النقص في القدرة على التفكير في اتخاذ تطبيقات عملية للاشتركية هو الذي جانب أثينا لها ، ولا لأنها لم تكن بحاجة إلى الأرباح التي قد تحصل عليها من ذلك .

وأجد ، بازدياد تعقد العالم الذى رأوا أنفسهم يقومون فيه بدور هام . فالمنهج الأثينى يقدم لنا صورة للزجاج الفنى فى العمل ، لو توفرت يوماً مثل هذه الصورة ، والمزاج الفنى كما نعلم من صراعه الشاق مع الظروف الحديثة يتحاشى بفطرته وغريزته ، لا عن سياسة وقصد ، شقاء العمل فى المكاتب ، وقيود الوظيفة المستقرة ، وكل ما تتطلبه الخدمة المنتظمة من نظام وترتيب فهذه الأمور إنما هى لغير الأثينيين ، ولن يحسدكم الفنانون على ما يتناولون من مكافأة . وإننا ليمكننا الاستماع إليهم يقولون ، كما قال زعيمهم العظيم ، إذا اخترنا أن نواجه الحياة بعقل مطمئن ، أكثر من أن نواجهها بتدريب مهنى شاق ، وأن نعتمد على وحى ذاتى ، أكثر من اعتمادنا على خطة تملها الحكومة ، فنحن الراجحون . لأننا نكون قد تجنبنا كل متاعب الاستعداد للغد وما يحجى به . وعندما نرى أنفسنا فيما يتفق وميولنا ، سررنا بقدر ما يسر منافسوننا المكثرون . فليدربوا أنفسهم منذ الطفولة سعياً وراء الحصول على الكفاية ، على حين إننا ونحن أحرار فى أن نعيش كما نشاء ، وننتقل حيثما شئنا ، لعلنا استعداد لأن نواجه المشا كل نفسها ، إذا ما حان الوقت . فنحننا ليست فى الخيل المهنية والتسليح المادى ، ولكن فى روحنا العظيمة ، فى تحمسنا لحياة المدينة ،<sup>(١)</sup> .

وإذا أردت الحق ، فإن تدايرهم المادية كانت ذات عيوب كثيرة ، وتطلب أناساً ذوى روح عالية ، حتى يتجاوزوا معها . وإنه لتناقض غريب حقاً ، ذلك التباين الذى بين المدينة كمسيطرة على حياة الناس ، وبينها من حيث هى منظمة لأمورهم ، أى بين أثينا كمنبع النشاط وواهبه الحكمة ، وبينها بوصفها بلدية ليس إلا . ومن الصعب أن نصدق بعض الحقائق ، لو لم ندعم فكرنا بملاحظة نفس التباين الشاسع ، فى محيطات مشابهة فى بلاد أقرب إلينا ، فى الجماعات التى تنشر الضوء الروحى على نطاق واسع ، ثم تأبى أن

(١) تولا عن توكيدس ، ٢ - ٣٩ . فيما يخص تيميستوكليس الرئيل أظنر توكيدس ،

تدخل النور الكهربائي ، والتي تبشر « بأن العقل السليم في الجسم السليم » ،  
وتستخدم المهندسين المعماريين في إنشاء مبان ينقصها أبسط المرافق المريحة  
العادية ، والتي تبذل نشاطاً وإخلاصاً في تقديم غذاء عقلي لا نظير له ،  
ولا تواجه مشكلة كل يوم ، فتكفل للناس الحصول على الطعام بثمن زهيد .  
فالآثينيون عاشوا تحت الأكروبول ، كما عاشت أجيال كثيرة تحت أبراج  
أ كسفورد في « أهة قدرة » . إنه ليصعب تماماً على النفس البشرية ، أن تعمل  
في وقت واحد عملين مجيدين .

إنه بالرغم من كون المواهب كلها تحت تصرفها ، فلم تتطلع لأكثر من  
تنفيذ ما تريد . وقد كان نظامها مبدئياً أكثر من نظام أية مدينة متأخرة من  
مدن الأقاليم عندنا . كان عندها الماء حقاً ، بفضل طغاتها ، وبالرغم من أنه  
يكاد أن يكون ألزم شرط أساسى لحياة المدينة اليونانية ، فإنه لم يمتد إلى  
بيريه ، التي ظلت حتى عصر « الوباء الكبير » ، تعتمد اعتماداً كاملاً على  
الصهاريج . وكانت شوارعها ضيقة متعرجة قدرة ، غير مضادة ولا مهيبة ،  
وليس بها مجارى ولا حتى بالوعات . وخير لنا أن نسدل ستاراً كشيافاً على  
كل المرافق الصحية . أما رجال الشرطة ، فمعظمهم من الهواة ، والباقي برابرة  
من ثيسيا ، وكانوا أضحوكة الأحرار من المواطنين . أما البوليس السرى  
الرسمى فلم تسمع المدينة به مطلقاً ، ويقوم بعمله جواسيس خصوصيون ،  
أو مايسمونهم « سيكوفانت » ، الذين كانوا يحدثون في مثل هذه الجماعة الثرثرة  
أضراراً أكثر من تلك التي يكتشفونها . ولا ننتظر أن يكون عندهم رجال  
بريد ، رغم أن كان للفرس ، وللباطمة من بعدهم ، بريد قويم . ومن العجيب  
حقاً ، ولا سيما لو اتهمنا للتو من قراءة نظم التعليم القومية عند أفلاطون  
وأرسطو ، أن نجد أن أثينا في عهد بركليس ، لم توجه اهتماماً ما إلى الأطفال  
( الذين لم يصبحوا فعلاً أطفالها إلا عندما يبلغون سن الثامنة عشرة ) ، وأنها  
لم تخرج أى معلمين حكوميين ، إلا المواطنين الذين يدرسون المجندين . وهؤلاء  
ليسوا ضباطاً دائمين أعدوا إعداداً خاصاً للقيام بهذا العمل ، ولسكنهم كانوا



ينتخبون سنوياً ، وهم كما يجب أن ننتظر من نظام فيه « الطاعة ، تماثل  
« الإقناع » ، كان مهمهم أن يفوزوا بتقدير الناس ، لا لكلماتهم ، وإنما  
للطافهم . وإنما لندش مرة أخرى ، عندما نرى المدينة ، قد بلغ بها الكسل  
حداً ، حتى أنها لا تجمع أموالها بنفسها . وكانت الخزانة الإمبراطورية ،  
التي تمس مُشَلها في الصميم ، موضع عناية خاصة في كل صغيرة في الأمور ،  
وإذا تأخرت الجزية كان هناك موظفون يستعجلون دفعها . ولكن كل  
الضرائب البلدية ، وجزية الرأس المفروضة على الأجانب والجارك ، وضرائب  
السوق والرخص المختلفة ، كانت تعطى بالالتزام « لجباة » ، نظير ربح يربحونه  
من وراء التزامهم هذا . وأحسن ما يصور لنا كم بدا هذا الترتيب ( الذي  
ما زال قائماً دون شك ، في أنحاء كثيرة من الشرق ) طبيعياً للتفكير  
الاثيني ، وكم كانت التدبيرات المالية الإمبراطورية بالنسبة له خطوة  
كبيرة إلى الأمام ، هو شرح دقيق لحفظ لنا مصادفة . فالحيوانات التي تذبح  
في القرابين العامة الكبرى ، وهو ما يتكرر عدة مرات كل عام ، لم تكن  
الدولة الشاربه لها ، أو يرسل بها المستأجرون من مراعي الدولة وفق نظام  
خاص ، وإنما يوردها ملتزمون خصوصيون ، ويمنون بها الحفل ، وفق سعر  
محدد (١) .

(١) توكيديس ، ٢ - ٤٨ - ٢ ، (صهاريج المياه) ، وديتبرجر رقم ٤٤٤  
(الزصف) . وفيما يخص الشوارع والظفر الخارجى لأثينا ، أنظر الوصف المتبع ،  
والذى يرجع إلى القرن الثالث في Heracleides (Geographi Graeci Minores) ، الجزء  
الأول ، ص ٩٧ وما بعدها . Fragmenta Hist. Graec. ، الجزء الثاني ص ٢٥٤ وما  
بعدها) . لم يتجه اليونان إلى تصميم نوى المدن ، إلا في العصر الهيلينسى . وقد كان ذلك إحدى  
نتائج التفكير قصداً في المدينة كعمل فنى ، كما فعل الفلاسفة . وقد كانت الأعمال المماثلة  
السبرى في عهد بركليس ، إما دينية أو دفاعية ، أى أنها في كلتا الحالتين كان أساسها السياسة  
لا الجمال الفنى . إن كل ما حاولوه أحسنوا أداءه ، ولكنهم لم يفكروا في مجالات واسعة ،  
بروح الإيقان التي يستلهمها المهندس الممارى الحديث . وتصميم هيبوداموس المستطيل لمدينة  
بيريه ، لم يكن مهنياً مطلقاً ، وإنما كان هندسة محضة ، وكما يلاحظ فيلاووفيتز ، كان  
« تصمياً كشيئاً بشكل لا يحتمل » . ومهما كان تصميم بركليس ، أو بالأحرى تصميم  
مذسكلين للأكروبول ، فترتيب الباني النهائي ، وقد أمته ، إلى حد كبير ، الاعتبارات

وليس من شك في أن كل هذه الأشياء، كما يقول لنا بركليس، ليست أساسية، ولا ينبغي لنا أن نطيل الكلام عنها. فيجب أن نتقبل الآهية،

= التقليدية، ليبدو أيضا شيئا أمثاله المصادفة. إن المدينة الهيلينية الكبيرة، مثل الأسكندرية أو أطاكيا، كانت عاصمة حقا بمعنى الكلمة الحديثة، وتماثل لندن وباريس وينا ونيويورك ولكنها تختلف ككل الاختلاف في الشكل والروح، معاريا واقتصاديا وسياسيا، عن البلديات صاحبة السيادة في اليونان القديمة. أنظر التفاصيل في شريبر (Schreiber) في "Zur Typologie der hellenistischen Stadtgründungen" (Kiepert's Festschrift; Pöhlmann; Die Übervölkerung، برلين ١٨٩٨)، ص ٣٤١ بنوع خاص، Körnemann، Stadtstaat und Flächenstaat des Altertums in ihren Wechselbeziehungen في Neue Jahrbücher für des klassische Altertum، ١٩٠٨، ص ٢٣٣ وما بعدها، وهو يوضح منها (رغم تلاعبه قليلا بكلمة « لإقليمي ») كيف أن الرغبة في التوسع الإقليمي (« بلاتون الحريصة بالأحرى »)، كان أمرا غريبا على دولة المدينة الحقبة، وأن الشكل الذي قامت عليه تلك الرغبة في التوسع بدأ لساسة اليونان لا بشكل الضم أو التملك، بل النهب والسرقعة. أنظر أيضا هافر فيلد (Haverfield) Ancient Town-Planning، (أكسفورد، ١٩١٣)، الذي يبين أن تصميم المدينة اليونانية، ابتداء بالطريقة المعروفة بـ Processional، (ص ٢٨). وفيما يخص دورات المياه أنظر، أرسطو، الإكليزيا، ص ٣١١ وما بعدها، ثم بلوتارخوس، ١١٨٤، التي لا تشير (كما جاء في دارميرج وساجليو مقال Latrina)، إلى وجود صراحيض عامة. قارن في هذا المقال عدم التناسب بين التسمين اليوناني والروماني. ليس هناك مثل يوناني، وذلك لسبب واضح. إن أشياء قليلة هي التي أثرت في نفوس اليونان الذين زاروا روما مثل « المجرى الكبير » (Cloaca Maxima): أنظر سترابون، ص ٢٣٥، Hal. Dion.، ٦٧-٣. وربما ازداد الأثينيون دهشة لو عرفوا ما كانت عليه طريقة المجارى من دقة وإتقان، في قصور ما قبل التاريخ في كريت. ويبدو أن أثينا لم يكن لها سوى مصرف، أو ميزاب كبير مكشوف، غطى فيما بعد (Merkel, Ingenieurtechnik im Altertum، ص ٤٥٢). ومن المؤكد أن هناك وجه آخر لكل هذا. فكما لاحظ، John Burns، افتتاح معرض تصميم المدن فقد نشأت عيوب حديثة، لم تتعرض لها الجماعات السابقة فلم يكن بأثينا، كما في لندن، ٦٠٠ ميلا من أشرطة السكك الحديدية، على جسور قبيحة، بنشأ عنها أزقة مقلقة حقيرة فقيرة، مضافا إلى ذلك ٥٠٠ محطة قبيحة شوحتها الإعلانات المتبدلة. ولم يكن بها أعمال جاز، ولا الـ ٧٠٠٠ حانة القائمة في لندن، وكلها تقريبا في نواحي الشوارع، وفي مواضع كان يجب ان تشغلتها فقط بنوك، أو مكاتب، أو مكاتب بريد، أو مراكز بوليس. فنحن نعمل في ظل مضايقات عدم توفر معدات الإنارة والحراسة والدخان والمواصلات السريعة (جريدة التيمز ١١ أكتوبر سنة ١٩١٠). التوضيحية بواسطة العقود، أيزوكراتيس، ٧-٢٩. وفيما يخص تنظيم التزام الضرائب تفصيلا أنظر Böckh، Attische Staatshaushaltung (طبعة ١٨٨٦)، الجزء الأول ص ٣٨٢ وما بعدها. وبعد عام ٤١٣ أصبحت جزية =

هو نستمتع بها ، وأن ندع القاذورات في سلام ، لنقصد إلى الأشياء العظيمة مباشرة كما فعل هو ، ولنتجاهل ماعداها . والمهم هو ما أنجزته أثينا من أعمال الحضارة ، لا تلك العقبات النافهة التي لاحصر لها ، والتي كانت تقاومها كل يوم .

ولكن هل لدينا ما أنجزته ؟ يا حسرتاه فإن بركليس نفسه لأول من يأسف على هذا . لقد أتمت أثينا البارثون ، ولكنها لم تنجز أكثر من ثلاثة أرباع البروپيليا أو نصف الإرخثيوم . وقد أثبتت مشروعات مبانيها العظيمة ، أنه من الصعوبة — بما هي عليه من النقص — على الأحفاد أن يتقبلوها ويفهموها ، لقد انقضى ٦٣ قرناً قبل أن يعرف الناس حقيقة أمرها . والحقيقة هي أن بركليس ، ورجال العصر العظيم ، لم يعالجوا فقط شئون حركة فكرية ليس لها من قبل مثيل ، وإنما عالجوا أيضاً مجموعة من حقائق مادية لم يسبقهم إليها أحد . فإن أثينا وقد جرفها تيار مغامرات روحية عظيمة ، أخطأت تقدير ضرورة الاهتمام بالتفكير في تفاصيل الحياة العامة . ولما حان وقت هذه التفاصيل ، كانت حكماً ضدها . ففي أول سنة من سني الحرب البلوپونيزية ، أثقل فيض سكان القرى الذين توافدوا عليها ، مصادر البلدية

---

الإمبراطورية ، بالالتزام أيضا . والبنغال هي المثال الذي يعتمد عليه في التزام الضرائب في العصر الحديث حيث كانت تمهد الحكومة الانجليزية ، بجمالية الدخل إلى بعض الملتزمين وورثتهم من بعدم على الدوام ، نظير مبلغ محدود يدفعونه . وفيما يتعلق بشئون التربية أنظر ، Aeschines ، ١ — ٩ ، ( Solon's regulations controlling private schools ) ، وبنسوخ خاص فريمان ( Freeman ) ، Schools of Hellas ، وهو بحث طريف ، ولكنه لم يكمل ( حيث لم يوضح بما فيه الكفاية ، الفرق بين النظام في القرن الخامس والرابع ، فنلا لم يكن في أثينا « تعليم ثانوي » ، في الثلاثة أرباع الأولى من القرن الخامس ) . أنظر أيضا النصوص الهامة ( ليس بينها واحد من القرن الخامس ) التي جمعها فريمان ص ٢٢١ — ٢٢٣ ، والجزء الثاني من ديتنبرجر ( أرقام ٥١٨ — ٥٢٥ ) . وفي ( رقم ٥٢١ ، سطر ٧ وما بعده ) امتدح شخص « لمحافظة على روح الصداقة والوفاء ، بين الأولاد طوال السنة » ، ولسداده التزامات التي جلبوها على أنفسهم ، وإرجاعهم سالمين صحبيين من « رحلات » عديدة ، إلى الحدود . ومن الطريف فقط أن نضيف أن الأولاد قد اعترفوا بالامتثال ، لما اثره العديدة ، بأن توجهه في حفل عام .

بشكل لم يحدث من قبل . ونورد هنا ما يقوله توكيديدس عن كيفية مواجهة هذا الضغط . وعندما وصلوا أثينا ، رغم أن منهم من كان لهم بيوتاً يذهبون إليها ، أو كان يمكنهم أن يجدوا مأوى عند أقاربهم أو أصدقاءهم ، إلا أن كثير منهم اضطر أن ينام على الأرض الخالية ، وفي المعابد وأضرحة الأبطال . . . . . وعسكر كثيرون أيضاً في أبراج الأسواق ، أو حيثما استطاعوا ، إذ اتضح بعد أن جاء جميعهم ، أن المدينة أصغر من أن تتسع لهم ، . وعلى أية حال ، فلم يخطر لأولى الأمر ، هذا الإشكال . فبينما كان المهاجرون يقسمون فيما بينهم المساحة بين الأسوار الطويلة وجزء كبير من يريه ، أقساما يستقرون فيها ، . كانت الحكومة تفكر في أمور أعلى . ويسترسل توكيديدس في كلامه قائلاً ، « يجرى كل هذا بينما وجه اهتمام كبير إلى الحرب ، فجمع شمل الحلفاء ، وأعدت مائة سفينة مسلحة للبلوبونيز . وعلى هذا النحو ، كان الاستعداد في أثينا ، . إن المؤرخ لم يظن في الوصف ، ولم يسرف في الألفاظ . إن أولئك الذين قاسوا أخف الضررين ، « بأن استضافهم أصدقاؤهم في منازلهم ، في مدينة يونانية أثناء الاحتفال ، وناموا أرضاً مع عشرين أو ثلاثين صديقا ، في غرف مقفلة لا هواء فيها ، هم وخدم الذين يمكنهم أن يقدروا مدى تعاسة الذين حرروا هذه الامتيازات (١) .

لقد صدر الحكم بعد ذلك بثمانية عشر شهراً . إن شيئاً واحداً هو مافات بركليس التنبؤ به ، كما قال للاثينيين في خطبة الوداع . ولكن هذا الشيء الوحيد كان نقطة الضعف التي أصابت أثينا . فإن الوباء الذي تنكر للآهية ، موالياً إلى القذارة رأساً ، كان أول خطوة في طريق اضمحلال أثينا المحتوم . لقد ذهب الوباء بواحد من كل أربعة من المواطنين ، ومعهم ذهب ، لا بمصادرهما من الرجال والمسال ، التي رعتها بعناية ، وإنما أيضاً بشجاعتها الشائخة المقدمة الفتية . لقد وهت مثالية أثينا لأول مرة مع هذا

(١) توكيديدس، ٢ - ١٧ . وقد اتبعت دورفيلد ( Dörpfeld ) في رسم الإرخيوم .

الصدع ، ولم ترتأب تماماً خيوطها المنحلة ثانية أبداً . فقد كانت الذكريات  
أليمة مفجعة . وكما يقول المؤرخ ، وقد رجع بنا إلى الفقرة الأولى ، إن  
القادمون الجدد من القرية ، كانوا أكثرهم معاناة . فهم ولا بيوت لهم ،  
اضطروا أن يسكنوا في أشد فصول السنة حراً ، غرفاً مكتومة خانقة ،  
بها كثير الفناء كثيرة لاحد لها . فترا كمت جثث الموتى بعضها فوق بعض ، وترنح  
أنصاف الموتى في الشوارع ، وتجمعوا حول الينايبع متلهفين على الماء .  
ونصت الأمكنة المقدسة بموتى من عسكروا فيها ، إذ وقد تجاوزت الكارثة  
الحدود ، وأصبح الرجال وهم لا يعلمون ما ذا سيحدث لهم ، صاروا  
لا يعباون بشئ ، مقدساً كان أو غير مقدس . فأوقفت تماماً كل مراسم الدفن  
المعتادة ، ودفنوا الموتى قدر ما استطاعوا ، . وكما يتوقع منا المؤرخ أن  
تذكر ، فإن طقوس الموتى هي أقدم المقدسات في حياة اليونان . ولكن  
شيئاً ما لم يعد مقدساً الآن (١) .

وحتى توكيديديس نفسه ، الذي كان أكثر من نعرفهم من كتاب اليونان  
تفكيراً عميقاً ، حتى هو لم يقو على لوم أثينا على إهمالها عالم الأشياء الصغيرة ،  
إلا في تهكمه الرقيق المعتاد ، من تلك الجملة التي تفيض ثقة واعتداداً ، والتي  
بها شاد بركليس بعظمة الهواة الأثينيين . ولكن المؤرخ امتلاء شعوراً قويا  
بما رآه قد تم ، في استرجاعه للماضى بعد سنين ، أعجزه عن توجيه أى لوم  
أو تقريع ، على ماترك من غير إنجاز . وبعد أن رأينا الأثيني في بيته وعرفناه  
على طبيعته مهملاً كسلان بدون نظام ، رديئاً ، خادماً كان أو سيداً ، يمكننا  
أن نكون أكثر تقديراً لما قام به في الخارج ، ومن أجل الأجيال القادمة .  
كما يمكن أن ندرك مقدار أى مجهود بذلته ، فرقة المحبين المختارة ،  
لتلبية نداء أثينا ، لا من شجاعة المحارب وحسن إدراك الرجل الحازم .

(١) توكيديديس ، ٢ - ٥٢ ، ٣ - ٨٧ - ٣ ( خسائر الطاعون ، تفررت نسبة  
الوفيات نهائياً بـ ١ إلى ٤ في الفرسان ، حيث يجب أن تتوقع أن تكون نسبتها بينهم أقل منها  
بين عامة الشعب ، ٢ - ٦٤ - ١ ( الحدث الوحيد الغير متوقع ) .

لواجبه فحسب ، ولكن من دقة مسلك المرء في أدائه ، أيضاً ، إذ أنه ، إذا كان لا بد للعمل العظيم من الحماسة ، ، فكذلك لا بد للعمل الخالد من البذل الشاق . فالآثار التي تركتها لنا أثينا ، سواء في الفن أو في الأدب ، أو في دستورها وعاداتها وتاريخها ، كلها سجلات تدل على ما بذل فيها من مشقة متناهية . وإن كانت قد قصرت هذه المجهودات على ما هو أجدر دون سواء فإنها بدلا من أن ترهق نفسها بخدمة أوسع ، وأن تنظم بلدية نموذجية ، فقد اختارت أن تصنع الجمال قبل الأمن والسلامة ، وأن تبني معابدها على الأكروبول ، بدلا من أن تمد مواسير المياه إلى بيريه . ولكن كل ذلك الذي نعرفه أدركته هي نفسها بعد فوات الأوان ، فأخذ مفكروها يخططون تلك البلديات النموذجية التي كانت تشبه كل الشبه أصولها الحية من جهة ، وتختلف عنها كل الاختلاف من جهة أخرى —

لا في عالم اليونان كلية ، ولا فيما تجاوزها كذلك —

ومع كل ذلك فقد كان الواجب عليها أن تنجز كل هذه الأشياء ، دون أن تترك غيرها دون إنجاز ، .

## الفصل العاشر

### اقتصاديات المدينة : النقود

Εἰ δὲ τοῦτ' ἀγνοεῖς, ὅτι πίστις ἀφορμὴ τῶν πασῶν ἐστὶ μέγιστη πρὸς χρηματισμοὶ πᾶν ἄν ἀγνοησεῖας.

إذا لم تعرف أن الإيمان هو السبب الأكبر لنجاح الجميع فأنت إذن لا تعرف شيئاً .  
ديكسون، ٣٦ - ٤٤ .

كلما أعمنا النظر في أسس الدين ، كلما ازداد وضوحاً أن الأساس نفسه يقوم إلى حد بعيد على الثقة نفسها .

Hartley Withers في مؤلفه The Meaning of Money ، ص ٢٦٤ .

لقد بحثنا العلاقة بين الثروات الخاصة والعامّة في المدينة الدولة ، والموقف العام الذي اتخذته الدولة بصدد المشاكل الاقتصادية ، وسندرس الآن مصادر هذه الثروة الفعلية ، كما سندرس بعض المشاكل التي نشأت فيما يتصل باستغلالها .

في كل جماعة مهما كانت بدائية ، أو ذات كفاية ذاتية ، قليل من الأفراد لهم من الثروة أكثر مما يحتاجونه فعلاً لحياة بسيطة ، ويقدرّون على إدخاره . وإنه لميل طبيعي في البشر أن يدخر الإنسان شيئاً يتفقّه وقت الحاجة ، أو ينفق الأسرة بعد موته . والذي يفعل ذلك هو الرأسمالي ، لأن رأس المال ليس مجرد الثروة في ذاتها ، ولكن الثروة تعتبر من حيث الاستفادة منها في المستقبل ، لا استعمالها الوقتي ، واتخذت مثل هذه الثروات في اليونان القديمة صوراً مختلفة . فنسمع بها في أشكال حية مثل العبيد والماشية ، وهي وسيلة للاستثمار تدر أرباحاً وفيرة ، لأن الأشياء الحية تزداد وتتكاثر وتدفع الفوائد تلقائياً . ونسمع عنها في شكل كنوز منوعة ، مثل التيل الرفيع والبلط والأسياخ ، أو المراجل النحاسية . ولكن أكثر

أشكالها اعتياداً ، كان بلا شك الذهب والفضة ، وخاصة الذهب . وقد ظل الناس أجيالاً عديدة يتحدثون عن مسيناي ، عاصمة قادة الجيش الذين ذهبوا إلى طرواده للسلب والنهب ، بأنها ذات الذهب الكثير ، وعثر الآثريون الذين نقبوا عن خباياها ، على كثير مما يؤكد هذه الصفة . وقد أخذ الناس يعرفون في الذهب والفضة الثروة التي ما بعدها ثروة ، وذلك لندرتهما وبريقهما ولاستغلالهما في أغراض الزينة للبداية . وحتى عندما كف سادة مسيناي عن الغزو والنهب ، وغدت مدينتهم مجرد مدينة إقليمية عادية ، ظل الذهب والفضة معتبرين في دنيا الفلاحين كقياس مناسب لتقدير القيمة . فلم يكن للثيران والنساء ، ولا حتى المراحل ، نفس القيمة دائماً ، بينما يظل قضيب الذهب هو ، كتلة صلبة طيبة براءة تبهز النظر (١) .

وعلى الرغم مما لكتل الذهب من إغراء ، فلم يكن لها فائدة خاصة في شؤون التجارة مع الشعوب البعيدة . واعتقاد الناس في أن الذهب هو العودة الطبيعية لرأس المال ، وأنه دون شك الطريق التي يمكن أن يكتز بها الرجل الحازم ثروته ، لم يجعل من الذهب على أية حال ، سلعة عادية كالنساء .

(١) ربما كان أحسن فقرات هومر في الفقرة المشهورة في الإلياذة ، ٦ — ٢٣٦ ، ديوميدي Diomed القيمة « بالذهب بدلا من البرونز وهو ما يسمون بالبرونز ، وفيها يعطى جلاوكوس ويبين هذا أن الرجال يقدرون القيم بالثيران والمعادن ، والأغرب من هذا ، أنهم يقدرون ذلك من حيث كل من النوع والكم سوية . والفرق بين الذهب والبرونز هو فرق النوع ( فأنت لا يمكنك أن تقول ، كم كانت النسبة بين الإثنين ) وأن ما بين تسعة ثيران ، ومائة ثور هو فرق في السكينة . إن فضل النظم النقدية العظيم ، هو أن دفع الناس إلى أن يفكروا في السكيات ، أي أن يفكروا في حرس ودقة في مجال واحد على الأقل من الحياة . فإلا إذا فكروا في الثمن الصحيح سواء كان ذلك في سوق شرقية ، أو في لندن ومنشستر ، كان ذلك عملية تفكير دقيقة تتضمن في كل حالة ملامحة دقيقة لظروف الخاصة ، وهذا هو ما جعل الاقتصاد علما دقيقا بالمعنى الصحيح ، ولأنه يبحث بتوسع كبير في النقود ، أي في مقادير يمكن أن تقاس أو توزن ، وفي أفراد يفكرون ويعملون ، ويتأثرون من حيث المقياس والوزن . فهو أول المعارف الإنسانية تطورا إلى علم صحيح دقيق . وهذا بدوره بطبيعة الحال أدى به إلى التورط في شرك كفيل بأن يجعله فرعا من الرياضة ، وبأن يباعد بينه وبين العلوم البشرية الأخرى . [ أنظر التذييل ] .



والغرم والمراجل . ولا حتى ختم هذه الكتل بما يشير إلى وزنها ، جعلها كذلك . فالناس في اليونان ، وكذلك الحكومات ، كانوا يجمعون كتل الذهب ويكثرونها في المعابد ، وفي بيوت المال ، أو في ركن من حقلهم ، وذلك قبل أن تتوفر الثقة ، لاتخاذها وسيلة للتعامل فيما بينهم بزم من طويل . وفي القرن السابع قبل الميلاد فقط ، حين بدأ الأمن يتوطد والمواصلات تتحسن ، أخذ الناس يشعرون جدياً بالحاجة إلى مقياس عام معترف به في معاملتهم . لقد سأموا العملية المملة ، أى تقدير القيمة الحقيقية لاستبدال الخادمة بشور للحرث أو لامة من السلاح ببيغال ، أو سد أى نقص ببعض كتل من الذهب ، التى لا بد من وزنها أولاً . وهكذا فبدلاً من مجرد وزن وختم ذهبهم وفضتهم وحلهم المختلفة الأنواع والأحجام ، أخذت الدول فى جعلها فى شكل بسيط يمكن حمله ، وتصديرها إلى رعاياها بقيمة يعترف بها ، وذلك لاستعمالها فى معاملاتهم اليومية ، أو بمعنى آخر لقد اختاروا المعادن النفيسة قصداً ، وخصونها وحدها بعملية التبادل . وقد أدى ذلك بالطبع فى البداية ، كما رأينا ، إلى انقلاب فى العادات الاقتصادية ، كان من جرائها القضاء على الأضعف والأجمل ، ولكنها كانت أول خطوة ضرورية فى سبيل الانتقال بالمدينة انتقالاً مأموناً دائماً من مرحلة الكفاية الذاتية فى الحياة الاقتصادية . وأول من ضرب النقود واستعملها أى أصدرها كوسيلة معترف بها فى المقايضة ، ملوك ليديا فى بداية القرن السابع . وبعد ذلك بسنين قليلة كانت أيجينا أول دولة يونانية تستعملها ، بعد أن مهدت جارتها أرجوس الطريق قبل ذلك بجيلين ، بإنشائها مقياساً للأوزان والمسكائل . وأيجينا هذه جزيرة صغيرة ، قليل مالديها للتجار فيه ، إلا أن الأيجيين غدوا الوكلاء الموزعين بالنسبة للعالم الذى يحوطهم . وباشتغالهم كناقلين فى البحر ، وكبائعين متجولين فى البر ، اعتبروا منذ زمن كستعملين للنقود ، وتجار تجزئه دون منازع ، وقد ظلت وحدة النقود الخاصة التى اتخذوها المعيار السائد ، والسائد دائماً ، فى العالم اليونانى أجيالاً طويلة ، وما زال يعثر على

النقود المنقوش عليها السلحفاء في كل أنحاء البلوبونيز (١) .

ولكن استعمال النقد المنظم سرعان ما خلف مشا كل جديدة خاصة به ، إذ دفع بالدول وحكامها إلى إغراءات معينة . وقد استعمل هيرودوت في ذكره أول ظهور للنقد الحكومي جملة كانت موضع نقاش طويل . فيقول : كان الليديون أول من عرفنا عنهم أنهم سکوا واستعملوا عملة من الذهب والفضة . فإذا كان معنى هذا أنهم أنشأوا أول نظام نقدي حكومي بضرهم نقوداً من الذهب والفضة فهذا ليس حقاً ، لأن أول نقود ضربوها كانت من الذهب والفضة معا ، أى من خليط منهما يعرف باسم الذهب الأبيض أو الإلكترولوم وما زالت هذه النقود في متاحفنا حتى الآن ، وإن بريقتها الباهت الذى يقع من الجنيه الإنجليزي بلونه الزاهى ، موقع القمر من الشمس ، ليعبر بفصاحة ناطقة عن سياسة الذين اخترعوها (٢) .

(١) أنظر ما سبق ص ١٢٦ — ١٢٨ ، وفيما يتعلق بالعملة البدائية في اليونان وغيرها ، أنظر ريدجواى ، Ridgeway في Origin of Currency and Weight Standards ، كمبردج ١٨٩٢ . أما فيما يخص أوزان فيدون ومقاييسه الأرجويه فانظر بوزانياس ، ٦ — ٢٢ . وأتلمسك بالتاريخ المينيه ، أى عام ٧٥٠ ق.م. وفيما يتصل بهذا الموضوع المختلف فيه انظر موسوعة باولى مقال Geld ، وقارنه بلهمان — هاوبت ( Lehmann—Haupt ) في هيرميس Hermes ، الجزء ٢٧ ، ص ٥٥٧ ، والجزء ٣٥ ص ٦٤٨ . صرت فترة ستة قرون ( ابتداء من الملك أوفال إلى إدوارد الثالث ) بين أول معرفة استعمال المعادن المحتومة كقياس عادى للقيمة في إنجلترا ، وبين أول استعمالها كوسيلة للتبادل ، موثوق بها في التجارة الخارجية . وهناك فترة مشابهة لتلك ، دامت عدة قرون في دول الشرق الأدنى . وقد عثر على « سبائك من المعادن الثمينة » ، في كنوسوس وفي خرائب مايسى . في قبرص ، تدل « أنه على الأقل ، فيما لا يزيد على القرن ١٢ ق. م . قامت في المسالم الهنوى وسيلة نقدية ، من المرحلة الحقيقية السابقة على سك النقود في أيونيا وليديا » . أنظر إيفانز Evans في J. H. S. ، ١٩١١ ، ص ١٣٢ ، الذى يشير إلى قطعة قديمة من الإلكترولوم الأيونى اكتشفت حديثاً ، عليها « أسدان متقابلان كل منهما قدمه على رأس عامود ، كما هو على بوابة الأسد في مايسىناى » . فيما يخص أيجينا ، أنظر توكيديدس ، ٥ — ٤٧ — ٦ ، ثم لاجزينوفون ، Hell. ، ٥ — ٢ — ٢١ ثم انظر Head في Historia Numorum ، الطبعة الثانية ، عام ١٩١١ ، ص ٣٩٥ . [ أنظر التذييل ] .

(٢) هيرودوت ، ١ — ١٠٩٤ — ٥٠ ، سوفوكليس ، Ant. ، ١٠٣٨ . [ أنظر التذييل ] .

فأنت إذا أمعنت النظر فسترى أن رغم أن كل القطع باهتة ، إلا أنها تختلف في لونها ، فهي في أما كنها على الرفوف تزداد أو تقل اصفراراً . والحق أن الذهب في العملة الإلكترونية لم يكن بنسبة ثابتة ، فقد كان يختلف بنسبة ٨٠ إلى ٥٢ في المائة من الخليط . وهذا ما جعلها مناسبة لحكومات المدن الدول ، إذ يمكنها أن تقتصد في الذهب وهكذا ، إذا راعت الدقة في العمل فستكسب قدراً من مواطنيها في كل عملة تخرجها . وهذه في الواقع هي سياسة النقد في المدن ذات الكفاية الذاتية . فسك النقود احتكار حكومي ، وهو كمثل هذه الاحتكارات تقريباً ، أشبه ما يكون بضريبة غير مباشرة<sup>(١)</sup> .

وفي الحقيقة لم تكن القطع الإلكترونية منتشرة انتشاراً كبيراً ، إذ أن الدول اليونانية فضلت النقد الفضي . وكانت الفضة تخلط بالرصاص والنحاس ، كما خلط الذهب بالفضة ، ومثل ليديا كان درساً من الدروس ، ما كانوا لينسوه . وهكذا اعتادوا تخفيض تقديم دون ما خجل ، وحتى عندما بلغت التجارة حداً كبيراً في القرن الرابع ، بين الدول بعضها البعض كان ما زال في مقدور ديموستينز أن يصرح بأن « معظم الدويلات تضرب النقود الفضية مخلوطة صراحة بالنحاس والرصاص » ، وحتى إذا لم تكن نقودنا الموجودة مخلوطة فهي ناقصة الوزن غالباً . والواقع أن الشاذ هو العملة الخالصة الكاملة ، وهو ما يمكن أن نراه ، لافي كثرة استعمال أنواع المجاز المختلفة للتعبير عن العملة المخلوطة فقط ، وإنما أيضاً في التغييرات المستعملة للدلالة على النقود الجيدة . وكما قيل كانت نقود داريوس « أنقى ، نقود » . وهذا ليس دلالة على نقائها المطلق بل أنها أنقى من غيرها<sup>(٢)</sup> .

(١) موسوعة باولي مقال Elektron .

(٢) هيرودوت ، ٣ - ٥٦ و ٤ - ١٦٦ ، Dem. ، ٢٤ - ٢١٤ . فارن استعمال الكلمتين κίβδηλος و βασιανίζω . واثني مدين بهذا القسم الى ريتزل Riezler في كتابه Finanzen und Monopole ، ص ٦٢ - ٦٣ . فيما يخص بعض المشابهات الحديثة - وأثرها ، أنظر ردجواي صفحات ٢٢٣ - ٢٢٦ . كانت الممالك الآسيوية تستعمل نظام المدينين ، بنسبة ثابتة تقدر بـ ٣ و ١٣ : ١ بين الفضة والذهب . ( أنظر هيرودوت ٣ - ٩٥ =

إن الحكومات المتعدينة الحديثة لاتغش عملتها ، نعم قد تفقد نقودها أو أوراقها النقدية قيمتها ، ولكن ذلك رغما عنها ، إذ هدفها أن تجعلها -موزابة دائماً لقيمتها الاسمية ، وأن تحافظ أن تكون دائماً مساوية للقيمة المكتوبة عليها ، أى مساوية تماماً لمثيلاتها في سائر العالم . والدافع إلى هذه السياسة ظاهر جلي ، فالدول الحديثة لن يضرها تخفيض قيمة عملتها ، إذ ليس نقدها مركز حياتها الاقتصادية . وأكبر اهتمامها هو الثروة نفسها لا وسيلة التبادل ، وهي تراعى في سياستها المالية الثقة أولاً ، لا السبائك الذهبية . فأى كسب صغير تناله من جراء الاقتصاد الصحيح في السبائك الذهبية ، ايضاح أمثاله ألف مرة في ميدان الثقة . إنها لتفقد مركزها بين الدول ، وتخفض قيمة نقدها في الدوائر المالية الدولية ، ويتحتم عليها وعلى كل من يملك ثروة في بلادها أن يدفعوا غالباً في المعاملات الأجنبية نظير ضعف الثقة بهم . وفي الأحياء المعرضة للتأثيرات الأجنبية ، ترفع الأسعار كلما انخفضت قيمة النقد . ويصبح في الأوساط التجارية نوحان من الأسعار — كما حدث في اليونان في الأزمنة الحديثة بالنسبة للورق والفضة — سعر للعاملة اليومية ، وآخر للعاملة الدولية (١) .

كيف كانت الديورات اليونانية إذن قادرة على إتباع هذه السياسة ؟

== رغم أنه لم يذكر الكسر العشري ) . وكانت المقاييس اليونانية الرئيسية ، أى مقاييس أيجينا وأيونيا وأثينا وكورنت تقوم كلها على اختلافها على المعدن الواحد ، المعيار الفضى . ومن هنا يكون مؤلف *Ways and Means* على حق تماماً ، مادامت الأمور كانت على هذا النحو ، حين يقول ، إن وفرة الذهب تسبب انخفاضاً في قيمته ، على حين لا يمكن أن تتوفر الفضة ، ( ٤ - ٧ إلى ١٠ ) . وقد انقطع التعامل بالفضة تدريجياً في القرن الرابع ، قبل استعمال مقياس الذهب المفقود . أنظر في *Keil* و *Anonymous Argentinensis* ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١) أنظر ، *Laws* ، ص ٧٤٢ ، حيث يقترح أفلاطون ، الذى ربما صادف هذه الطريقة مستعملة ، في أثناء رحلاته ، ولكن لا يمكن أن يكون قد عاش أثناء استعمالها ، يقترحها لمدينته النموذجية . وأكبر مزاياها ، أن تمنع الناس من الترحال إلى الخارج دون تصريح من السلطات المختصة . إنه يأمل أن يجعل الرجال الناضجين أفاضل وذلك عن طريق حيل صغيرة ، نالجا إليها نحن ، لنمنع التلاميذ من شراء الدخان ، أو المنشردين من دخول المجال العامة . ولا بد أن أفلاطون لم يذهب إلى اسبرطة مطلقاً .

ومرة أخرى نجد السبب ، يرجع إلى عزلتها وكفائتها الذاتية ، فإذا كنت تضرب وسيلة للتعامل لمنطقة محددة تماماً ، والذين يتداولونها يكونون تحت إشرافك ، فيمكنك أن تخرجها بأى شكل يروقك ، وترغم الناس على استعمالها ، سواء أكان ذلك في شكل تذاكر مقهى ، أو على هيئة الأقراص النحاسية المستعملة في غرف الملابس أو في صورة القضبان الحديدية التي اتخذها الاسبرطيون البؤساء ، إذ لا بد أن كان لهم وسيلة للتعامل . وإذا كانت القضبان الحديدية هي كل ما يستطيعون الحصول عليه ، وكانت تصدر بإشراف السلطات العامة ، فستداول بينهم مهما كانت غير عملية وغير مريحة في الاستعمال اليومي . واسبرطة مثل متطرف ، وقد استمسكت قصداً بنقدها هذا ، الذي لا يقبله العقل ، لكي تعوق الأعمال . فساستها عملوا كالمعتاد ، ونصب أعينهم أغراض نظامية لا اقتصادية . ولكن التدهور العادي الذي ظل مستمراً ، إنما يكمل مرحلة الحياة الاقتصادية عينا . فالحكومات اليونانية تستطيع أن تخفض قيمة نقدها ، لأنها كانت تعرف كل الأشخاص الذين كانوا يستعملوه ، وتستطيع مراقبتهم ، ولذا يمكنها اتخاذ خطوات تحول بين نفسها وبين أن تخسر ، على مر السنين ، ما كانت تكسبه في بدء إصدارها للنقود . فهي تعطي مواطنيها خمسة مليات وتسميها ستة ، ولكنها تستطيع أن تمنع مواطنيها وسائر العالم من اتخاذ نفس الحيلة ضدها .<sup>(١)</sup>

(١) إن أسياخ الحديد التي ظلت تستعمل نقوداً ، فترة طويلة في اسبرطة ، بقيت إلى جانب ذلك اسماً في أتيينا أيضاً . فقديمًا كان ستة من هذه الأسياخ أو الأوبول ( ὀβελοί ) تكون حفنة أو درخمة ( δραχμή ) . وقد عثر على حزمة من تلك الأسياخ ، طولها حوالي أربعة أقدام ، ومربوطة بحزامين من الحديد في هيرايوم ( Heraeum ) في أرجوس ، وهو ما يؤيد الاشتقاق القديم للكلمة « حفنة » من ستة أسياخ . ويؤيد أيضاً خرافة النقود الحديدية المستعملة في اسبرطة . وقد عثر المكتشفون الانجليز هناك على عدد من « قطعهم » وقضبانهم الحديد ( B. S. A. ، ١٣ - ١٧٣ ) . وربما طال استعمالها ، لأنه عندما مات ابيامينوندياس كان فقيراً للغاية ، ويقول بلوتارخس ( ٢٧ ، Fap. Max. ) « أنه لم يعثر على شيء عنده ، سوى سيخ واحد من الحديد » .

كيف يمكنها منع ذلك؟ ذلك بكل أنواع الخيل البارة . والبعض منها حفظ لنا ، وهو يضع أمامنا بوضوح مقدار ما يحمله المواطن اليونانى من مدينته ، كما يبين لنا — الأمر الذى سبق أن أبرزناه — أى المكانة العليا التى شغلها الدولة فى اليونان إذا ما قورنت بالأعمال الخاصة . فالدولة تستطيع مثلاً أن تلزم الناس بوجوب الدفع لها بالوزن الكامل الصحيح ، متبعة السابقة البابلية التى تقول بوجوب وجود مكيال للدولة وآخر للشعب . أو يمكن أن تسترجع فجأة كل نقودها ، وتدفع لمن يحضرها حسب وزنها الحقيقى . أى أنهم يضيفون بذلك إهانة إلى الضرر الذى لحق بهم ، كما فعل الطاغية هيبياس فى أثينا ، بأن سارع وأعاد إصدار النقود القديمة بقصد تكرار العملية . أو أن يحاكوا ما فعله خازن حكومى أقسى من هيبياس ، وهو ديونيسيوس السراقوزى ، مفترضين أنهم وجدوا أنفسهم مدينين لمواطنيهم البارزين . فقد أمر دائنيه ، مهدداً إياهم بالإعدام ، أن يحضروا كل ما يملكون من فضة . فلما أحضروها ختم كل قطعة من ذات الدراخم بزيادة قيمتها درخين ، وبهذا دفعوا الدين من نقودهم . ولقد طرب لهذه الروايات مؤلف الاقتصاديات ، فغزاها دائماً واحداً ؛ حيث تكون دولة مسيطرة كل السيطرة على كل من يستعملون نقدها ، يمكنها بسهولة أن تستعمل نقودها لى تستفيد من معاملتها معهم . أو بعبارة أخرى ليس هناك ما يمنع الدولة من سرقة نقود مواطنيها ، كما أن شيئاً لا يمنعها من سلب حياتهم فى حرب غير عادلة . والفارق الوحيد هو أن النقد المغشوش يفعل فعله بطريق غير مباشر ، حتى أن الديمقراطيات لم تدرك ، إلا بعد انقضاء وقت طويل ، كيف أنهم كانوا يسرقون أنفسهم بحياتهم ، فعندما تسرق اليد اليمنى اليد اليسرى يحتاج الأمر إلى اقتصادى بارع ليلاحظ الفرق . إن الهواة الأذكياء هم الذين يستهويهم الغش فى العمل . وإن الأمر

ايتطلب إحصائياً ليظهر للناس أن الأمانة هي «أحسن سياسة»<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فقد كان لا بد لهم أن يكتشفوا ذلك بمرور الزمن لأنهم كان ولا بد أن يدركوه ، وإن لم يحل ذلك من كلام عنيف لاذع ، من التجار الذين أتوا إليهم من أقطار أكثر حضارة . إن أكبر ميزات أثينا كسوق ، كما يقول مؤلف «الطرق والوسائل» ، هي أنك يمكنك أن تحصل على فضة نقية هناك . ففي أغلب المدن يكون التجار مرغمين أن يشحنوا السفن بالبضائع عند عودتهم إلى بلادهم ، وذلك لأنهم لا يمكنهم أن يحصلوا على أية نقود صالحة لهم في الخارج . وبمعنى آخر ، أن النظام السيء للنقد يكاد يجعل التجارة الخارجية مستحيلة . فالتاجر لا يمكن أن يأتي إلا عندما يستطيع أن يبادل ببضاعته بعض الصادرات الثابتة ، لأن صرافى النقود الذين على رصيف مينائه الوطنى ، لا قيمة عندهم لنقود مضروبة في الخارج . وبذلك نستطيع أن نرى لماذا أن دولا مثل أثينا وأيجينا وكورنث وكيزيكوس ، التي افتخرت بنقاء نقدها استطاعت أن تنشره تدريجياً في كثير من أجزاء العالم اليونانى المنزوية . حتى إذا لم يكن نقدها مستعملا في الجهات الداخلية بين الرعاة والفلاحين الذين يترددون في قبول شكلها الغريب ، فإن ميزات هذا النقد الظاهرة ، جعلته الوحيد المستعمل في الميناء . وبالتدريج تخلت الحكومات عن ذلك الواجب الثقيل ، أى محاولتها جعل نقودها غير المقبولة متداولة بين

---

(١) [أرسطو] ، Oec. ، ٤١١٣٤٧ — ١١ (هيبياس) ، وهيد (Head) في

Historia Numerum ، ص ٣٦٩ إلى ٣٧٠ يفسر هذه القصة بأنها «إحلال الميار الأيونى الخفيف محل الميار الثقيل» ، ولكنه يوضح أن هيبياس «نجح بهذا» ، في أن يضاعف موارده اسماً ، إن لم يكن فعلياً . وبمثل تلك الروح صادر «الأدوار العليا من المنازل والسلام والسياس والأبواب التي تبرز أو تفتح على الشوارع العامة» ، وذلك بحجة أنها من ممتلكات الدولة ، ثم باعها ملاكها الأصليين للتكردى الحظ ، ١٣٤٩ ب ٢٧ (ديونيسيوس Dionysius) . وقد تلجأ بعض الدوليات الحديثة إلى مثل هذه الحيل أحياناً ، بالنسبة لطوايح بريدها ، ولكن ذلك لأن جامعى الطوايح يشجعونهم على ذلك . ولم يكن عند اليونان هوأيات مثل هذه . — ١٩٢٤ . لقد تركت هذه الفقرة بدون تغيير ، لتفكير القراء الممارفين بمالية الحكومات بعد الحرب .

سكان غير راغبين فيها . وأحد الأسباب الذي من أجله قبلت الحكومة أول الأمر اتخاذ تلك النقود ، هو صعوبة الحصول على سبائك جيدة ، وما تتطلبه ذلك من نفقات . فلما أدركت خطأها كان الوقت قد فات على إصلاحه ، بإصدار نقود صحيحة خاصة بها ، وكان الموقف في أيدي أثينا وأيجينا لما لهما من نفوذ . وهكذا تنوقف عن العمل الدار المحلية لسك النقود ، كما تنقص عملة رديئة مما على منضدة الصراف من نقود ، وكذلك سهم من سهام الشر التي في جمعته الملية بالخدع ، ويقترّب العالم اليوناني خطوة نحو الطريقة الاقتصادية القومية ، ويتعد عن الطريقة الاقتصادية المحلية البحتة<sup>(١)</sup>.

ولكن إذا قارنا ذلك بتقدم اليونان الباهر في النواحي الأخرى ، لتبين لنا أنها كانت بطيئة في تقدمها نحو تحطيم تلك الحواجز ، وهو ما يسهل التعامل . فالدول اليونانية لم تكن في يوم ما جماعات تجارية كبرى ، بالمعنى الذي نقصده نحن . حتى أثينا في القرن الخامس ، في عهد بركليس المالى العظيم ، الذي كان له إدراك لروح الأعمال أكثر من أى يوناني قديم عرفناه ، لم تنجح في تذليل العقبات التي اعترضت طريقها .

وطبعاً كان أهم هذه العقبات تلك الحتمية البديهية ، وهي فقر العالم اليوناني . فقد كان لهذا تأثيره على كل نواحي الحياة العملية . ولا سيما أنه جعل مستحيلاً توفر شرط أساسى هام في الاقتصاد الحديث ، وهو تداول النقد تداوياً حراً سليماً . فالدولة المدينه لم تتعلم أبداً ، ولم تنجح في تعليم مواطنيها الكف عن اكتناز السبائك ، وهو ما كان يفعله بخلاء القرون الخالية ، و « وضعها في البنك » ، وكما يقول المثل اليهودى « فرما احتجت إلى مالى ، وأيضاً فوائده » . وبعبارة أخرى بعد أن يستغل لأغراض التجارة وتمويل

---

(١) Ways and Means ، الجزء الثالث ، ٢ . فيما يخص وقت الضرب الملى اختيارياً في عهد الامبراطورية الأثينية ، أنظر الجدول الهام في كتاب كافينياك : Études Sur l'hist- oire financière d'Athènes ، ص ١٧٩ وما بعدها . ويرجع اشتهاار « الفلورين » الفلورنسى ، إلى نفس السبب الذي من أجله اشتهرت البومة الأثينية .



المشروعات . لقد فضل الناس لف ما لديهم من ثلاثيات في فوط ، يخبئونها في الحقول ، حيث كما قيل لنا « يسرون بها » ، كما لو كانوا يستغلونها ، وغالباً ما بقيت حيث كانت ، إلى أن عثر عليها كلكية للمتاحف الحديثة . حتى أرسطو ظل يذكر دائماً ، ويشيع الهرطقة القديمة بالنسبة للربا . وعلى ذلك فإلى أن تطلق حرية النقد ، كان لابد للتجارة والصناعة من أن تضعفا ، وتبقى حوارد الدولة المادية مضمحلة من عرصة<sup>(١)</sup> .

لننعم النظر في أسباب هذا التعصب العنيف ضد السبائك الذهبية ، لأننا سنكشف فيما يلي عن أنه يتصل اتصالاً حيويًا بالغرض الخاص من بحثنا . فقد قيل أن الجماعة المتمدينة تقوم « أساساً على القوة » ، ومن الصواب أيضاً القول بأنها تعتمد على السبيكة . والمقصود في كلتا الحالتين ، هو أنه إذا آلت الأحوال إلى أسوأ ما يكون ، فإننا نصطدم لاشك بهذه الحقيقة العارية . فإذا تهدم صرح حياتنا الدينية والاجتماعية ، الذي استغرق بناؤه أجيالاً طويلة ، بذل فيها ما بذل ، من الجهود الخلق والادنى ، فإننا سنحارب من أجله بأيدينا ، أو بأحدث المدافع حسب الظروف . وهكذا إذا قدر لصرح حياتنا التجارية أن ينهار ويتحطم ، وإذا رغب كل فرد في وقت واحد أن يصفي شئونه ، فليس أمامنا إلا أن نرجع إلى الذهب الخام الذي هو الأساس الوطيد لماليتنا ومشاريعنا . إلا إننا نعلم جيداً ، ولا حاجة إلى أن يقول لنا ذلك أصحاب المصارف ، أنه إذا وقع هذا فلن يكون هناك ما يكفي من الذهب للتداول ، فالذي نعيش عليه ليس الذهب على الإطلاق ، بل الثقة

(١) أرسطو ، السياسة ١٢٥٨ ب ، ثم Ways and Means ، الجزء الرابع ، ص ٧ و Matt. ، ١٣-٤٤ ، ٢٥-٢٥ ، ثم Luke ، ١٩-١٢ وما بعدها ، ومتخذاً كالمادة من صميم الحياة في ذلك الوقت . حتى يبدو أن رجلاً مثل تيمستوكليس المعروف عنه ، أنه كان عاشى عصره ، يبدو أنه كان يكثر أمواله : توكيد بنس ١-١٣٧-٣ . فبما يخص مخزائى ثروات الدول في الزمن القديم ، أنظر توكيد بنس ؛ ٢-١٣-٤ ، وقائمة خزينة البارثون ( هيكس وهيل رقم ٧١ ) ، ثم أنظر أيضاً الملوك ، ٢-١٨-١٦ ، الذى يبين أن للعبد في بيت للمقدس ، كان بيت مال مثل البارثون تماماً . إن اليونان لم يعرفوا أبداً ، الفرق بين المصارف والتعصب .

والطمأنينة . إنا نعيش على صور من ثروات يمكن أن تتحول إلى سيكة تحت ضغط الحاجة الفردية ، ولكنها لا يمكن أن تصير كذلك إذا كانت الحاجة عالمية . فاحتياطي الذهب في بنك باركينز ، مائل دائماً مثل المسدسات وسياط الخيل التي يعتبرها جيراننا البارزون أمراً لا غنى عنه للحضارة . ولكن كما قال ديموستينيز منذ زمن بعيد ، « إذا كان ثمة رجل يجمل حقيقة وأكيداً ، أن الثقة هي أحسن راس مال في التجارة ، فلا بد أنه يجمل كل شيء . » وذلك مثل لوجهل الرجل حقيقة وفعلاً ، أن التأدب وضبط النفس اللذين اعتادهما الرجل المتمدين الحديث ، أحسن ضمان للحضارة ، وليس الغضب الغنيف العارض . فرجل كهذا لا بد وأن يكون قضى أيامه كلها في سبات عميق . وإذا أردنا أن نفهم مهام الحياة في اليونان ، بل وفي العالم القديم كله ، يجب أن نبعد تفكيرنا كل البعد عن هيكل الثقة ، يجب أن نبعد عنه ما لدينا من فرص للحصول على معلومات سريعة وثيقة عن الأسواق والبيوتات التجارية في الخارج . فالإيونانيون لم يتمكنوا إطلاقاً من أن يحيوا حياة مريحة في ظل الثقة ، دولا كانوا أو أفراداً . إن مهام الحياة تجري الآن ، كما كانت ، على عجلات مليئة بالهواء ، فهي منتفخة بالثقة . ولم يمس الإيونانيون في تقدمهم طوال التاريخ إلا أطوارها الخارجى . وقلما جرت الجماعة أن تتعدى حدود موارد سباتكها . ولو فعلت لعرضت نفسها لسكارثة . وقد حدثت مثل هذه السكارث ، مرة أو مرتين في التاريخ القديم ، بعد فترات من التضخم ، عندما بدت الثروة لحين وكأنها لا تفي ، وجرت معها خسائر بعيدة المدى أكثر مما ينجم الآن عن إفلاس بنك ما<sup>(١)</sup> .

(١) Dem. ، ٣٦ - ٤٤ ( فيما يخص اليونان أنظر شعار الفصل فيما سبق ) . رعباً

كان مرجع السكارثة التي صحبت مؤامرة كانيلينا ، وعمت روما وكل إيطاليا - هو تدهور الثقة المعاصر . بعد عصر طويل من الإسراف في الضاربة . أنظر فيربرو ( Ferrero ) ، الجزء الأول ص ٢٣٤ ، ٣١٩ ، ثم الجزء الثانى ص ٢٣١ ( الترجمة الإنجليزية ) ، وأيضاً ديفيز ( Davis ) في The Influence of Wealth in Imperial Rome ، ( نيويورك ، ١٩١٠ ) الفصل الأول ، بشأن بيان حى - وإن كان خيالياً إلى حد ما - عن الفزع الذى انتشر فى دوائر الأعمال عام ٣٣ .

وعلى ذلك وعلى أية حال ، لقد كان محالا دائما لاي جماعة في اليونان ،  
وعلى الأفراد بالأكثر ، أن يعيشوا على القروض ، وذلك طيلة بقاء نظام الدولة  
المدينة ، وعدم قيام مراكز عالية مثل الاسكندرية وأنطيوخ وبرجاموس .  
هقد عاشت المدن مقتصرة على ما عندها ، وهو ما شمل بطبيعة الحال الممتلكات  
الفردية لسكانها . فالمواطن كما رأينا لم يكن له أية حقوق قبل مدينته . لقد كانت  
المدينة كل شيء له ، أو ذلك هو ما ادعته ، فإذا ما طلبت منه ممتلكاته عند الحاجة ،  
فسواء كانت منحة اختيارية أو قرضا إجباريا ، فلم يكن الاختلاف إلا مجرد  
اختلاف مشاعر . ومامن يوناني صادق يتطلع إلى استثمار ماله في دين مدينته ،  
وبذلك يستفيد من محنتها . فإذا لم يمكنها الاقتراض داخلها ، لأنه لم يكن في  
وسعها إلا أن تأخذ قهرا ، فلن يمكنها الحصول على مال من الخارج ، لا من  
أجل حرب تغنم من ورائها ، ولا الأعمال العامة المنتجة ، . والواقع أنه  
لم يكن ثم إنسان يقترض منه . فالرأسماليون الكبار في ذلك الوقت ، كانوا  
هيئات عامة مثل المعابد البانيلينية في دلفي وأوليمبيا والمدن الكبرى . ولكن  
الذهب المقدس كان محرما ، وما كان لدولة أن تقرضه أخرى ولو بفائدة  
كبيرة . كذلك لم يكن يمكننا أن تأتي مساعدة من مصادر خاصة . فلم يكن في  
اليونان بيوت مالية دولية ( أنترهيلينية ) وليس هناك فجرز ( Fuggers ) ،  
أو أكسياچولي ( Acciajuoli ) ، مثل التي كانت في عصورنا الوسطى ،  
والرجال القلائل الذين كان عندهم فائض من المال ، أغلبهم من السكان  
الأجانب المقيمين في مدنهم ، والذين لم يكن لهم حق شراء الأرض ، فضلوا  
أن يودعوا نقودهم في مراكب القمح ، ويضاربوا في أوقات المجاعات المحيية ،  
على أن يكونوا دائنين لدولة قد لا يستطيعون استرداد نقودهم منها أبدا . لأن  
الدولة إذا رفضت أن تدفع ما عليها فن يحاكمها ؟ فالدائن لا يمكن أن ينتظر  
من مدينته المؤقتة أن تحارب دولة أخرى لتسترجع له دينه منها . إنه لا ينتظر  
ذلك أكثر مما أنتظره اليهود في العصور الوسطى . وزيادة على ذلك فتوظيف

المال كان على أحسن تقدير مخاطرة أكثر من التعامل مع جماعات أمريكا الوسطى المتقلبة . وفي عالم يعيش على هذا النحو ، قريبا من الفقر والعوز ، لا يدري المرء إن كانت المدينة في أي وقت ، دستصاب بأزمة ، كما يقول التعبير ، أي بمحصول رديء ، أو بحرب ، فتنحتاج إلى كل مايم في حوزتها من ربح ورأسمال ، لشراء الطعام حسب سعر أوقات المجاعة . فلا عجب إذن أن نرى قروض الدول التي تذكرها النصوص التي لدينا ، وهي ترجع إلى عصر متأخر عن هذا العصر الذي نحن بصدده ، كانت قاسية في شروطها قسوة لا رحمة فيها . وإذا ما سمعنا من المؤرخين أن دولة دفعت ماعليها من الالتزامات ، فن الواضح أن ذلك لا يعد إكثالا لعملية مالية ، إنما يعتبر فضيلة (١) .

(١) Ways and Means ، الجزء الرابع ، ٩٠ ( يمرض ) ، إجزينوفون ، Oec . ، ٢٠ - ٢٨ ، Athenische Mitteilungen ، ٣٦ ، ص ٨١ ( المضاربات في المجاعات ) .  
أخطار البنوك الخاصة . هيرودوت ، ٦-٨٦ . وقرض حرب دلف - أولمبيا المقترح في توكيديس ، ١ - ١٢١ - ٣ ، لم يحدث مطلقا . إن هذه الأضرحة لم تخرج نقودا إلا مضطرة ، كما اضطر الفوكيون دلف في القرن الرابع . وتقاليدهم جعلت من المسير على اليونان إدراك ما هو « القرض » . و « السعى وراء دين » في أيام هومر كان أمرا غير قانوني ، وربما كان يعني مجرد « مقابلة اللئيل بالئيل » . أنظر الإلياذة ، ١١ - ٦٨٧ ، ثم الأوديسة ، ٢١ - ١٧ ، حيث يذهب أوديسيوس « يجمع الدين » ، أي يذهب باحثا عن تمويضات عن الاعتداء على المواشي . وهكذا فكلمة χρέος المستعملة هنا ، تعني أن « لا بد أن يدفع المرء عن ما يريده ( Liddell and Scott ) وهو تعبير طريف غامض . وأمثلة حالات القروض بين الدول لا تخرج عن كونها حالات مساعدة صديق لآخر وقت الشدة . وهكذا نجد السكورثيين في إحدى المناسبات يقرضون الأثينيين « الذين كانوا وقتئذ أصدقاتهم الحميمين » ، ٢٠ ، سفينة بفائدة جنية واحد أو ثلاثين شانا للقطعة ، « لأن قوايتهم كانت تحرم إعطاء السفن دون مقابل » . ( هيرودوت ، ٦ - ٨٩ ) . كذلك أقرض الاسبرطيون الثلاثين طاغية في أثينا ، الذين وصلوا إلى السلطان بمساعدة اسبرطة مائة ثلثنا . وقد دفع هذا الدين إلى اسبرطة بعد أن عادت الديمقراطية فيما بعد - وهذه حقيقة تستلفت النظر بشكل ملحوظ ، حتى أنها ظلت ماثلة في الأذهان لأجيال عدة ( أيزوكراتيس ، ٧-٦٨ ، ثم أرسطو ، السياسة ١٢٧٦ ١٠١ ) . ومثل آخر لقرض حكومي رواه Aeschines ( ٣ - ١٠٣ ) . فقد أعطت مدينة أوريوس ( Oreus ) ديموستينيز ثلثنا نظير « خدمة أداها » . « ولما أن أفقوا كل تقوادم في الحرب ، وغدوا معدمين ، سألوهم أن يرد لهم ما أعطوه ، واعدن إياه بإقامة تمثال له من البرونز في مكان السوق عندهم عوضا عن ذلك . فرد عليهم ديموستينيز « بألا حاجة له لتمثالهم البرونز » ولكنه يرد إليهم المبلغ إذا دفعوا له واحدا في المائة كل شهر ، كغائبة بضائع دخلهم العام ، إلى أن يردوا له دينه . وعلى ذلك فقد كان عليهم =

وتنطبق معظم هذه الصعوبات على التعامل بين الأفراد داخل المدينة . لقد كان صعباً دائماً الحصول على المال، ومن وجهة النظر الحديثة تبدو الترتيبات التي كانت تتخذ، صبيانية وغير مرضية . وقد رأينا أى صفقة صوبها ممولون إلى جماعة العمل الناهضة في أثينا في القرن السادس، عندما حرم عليهم الاقتراض بضمان أشخاصهم . وقد كان ذلك قانوناً ضرورياً ، ولذلك أخذ به في جهات أخرى، ولكنه كان مع ذلك تدخلاً في حرية التعاقد . فالرجال لم ياجأوا إلى الاقتراض بضمان أشخاصهم ، إلا حين لم يكن لديهم ما يقدمونه غيرها . وإذا لم تخاطر بالعبودية لتبدأ عملاً من الأعمال التجارية ، فمن المحتمل أن تضطر إلى عدم البدء في هذا العمل أبداً . وفي ظل هذه الظروف لم يكن الاقتراض إلا أمراً

---

= أن يدفعوا فائدة قدرها ١٢ في المائة سنوياً . فيما يخص بالمعروف العادية للقروض فيما بعد ، عندما غدت مثل هذه القروض أعمالاً عادية في المعاملات ، انظر دبتنجر ، رقم ٥١٧ ، وهو يعالج مسألة الدين العام في أمورجوس ، ويصحب ذلك ملاحظات ، وذكر المراجع . وقد اقتضت أمورجوس من رجل من ناكسوس مبلغاً من المال ورهنت له « كل أملاكها الخاصة والعامية ، سواء في داخل الجزيرة أو خارجها » ، أى أن الدائن له الحق في أن ياتي القبض على أى مركب تابع لأمورجوس فيما وراء البحار . وفيما يختص بالثروة العظيمة الهائلة ، في العهد الاسكندري والبرجاسي ، عندما غدا النظام الاقتصادي قومياً بعد أن كان عملياً ، انظر ملاحظة فيلاموفيتز الهامة ، وهي لسوء الحظ ، مخفية في كتيب عن نص واحد ( Ein Gesetz von Samos برلين ، ١٩٠٤ ، ص ١٢ ) . إن الصعوبة في ذلك الزمان لم تكن الانتقار إلى رأس المال ، بل إلى ندوة مالية ( بورصة ) لاستخدامه . فقد ظل كما هو قابلاً في خزانات عامة وخاصة ، ولم يكن هناك وسائل صالحة لاستثماره . وأخيراً ، كما يقول ، أتى الرومان وسلبوه ، إما في الفنائم أو في النقابات . ولم تحم الإدارة الحسنة في عهد الأباطرة الأراضى اليونانية من الوقوع في النهاية في الفقر والبربرية . ذلك لأنه في عهد أباطرة الرومان ، لم يكن هناك بورصة تحسب ، بل إن مصارف العصر الهيليني قد تركت حتى أفلست « وفي Greatness and Decline ، Ferrero ، of Rome ، الجزء الأول ، الفصل ١٨ ( الترجمة الإنجليزية ص ٣٠٣ وما بعدها ) ، وصف دقيق لأعمال هؤلاء الرومان بنسبة الامبراطورية ( الذين فاقوا أسلافهم من اليونان في طمعهم وقسوتهم ، بقدر ما كانوا دونهم في جهلهم بطرق استفلال ثروتهم ) . انظر أيضاً ديفيز ( Davis ) في The Influence of Wealth in Imperial Rome . ووجه عام انظر ، « ريتزل » في كتابه Über Finanzen und Monopole im alten Griechenland ، ص ٥٦ وما بعدها .

مهظا للغاية يكلف أكثر من ١٢ في المائة ، أو ينجز على أنه شيء خاص يجرى بين الأصدقاء . وكانت الأرض والبيوت أكثر ضروب الضمانات اعتيادا في الأعمال المالية . وقد أدى ذلك إلى إشكال ، لأن المقيمين الأجانب مثل بازيون ( Pasion ) الشهير ، هم في المعتاد الذين كانوا يملكون فائضاً من المال ، لم يكن مسموحاً لهم امتلاك العقارات ، وذلك لأسباب تقليدية ، وهذا أفضى بدوره إلى الوقوف في سبيل المشروعات التجارية ، أو إلى رفع سعر الفوائد . وهكذا كانت العمليات التجارية تتم غالباً بوصفها أموراً خاصة لها طابع الصداقة ، مما تناسب وروح الزمالة الرائعة في المدينة اليونانية . فكان يجتمع عدد من الأصدقاء ليسكونوا جمعية مختارة خاصة أو يسمى بنزهة مشتركة ( إيرانوس Ἐρανος ) ، ولا يأخذون فوائد على أموالهم مطلقاً ، فسداد رئيس المشروع للدين اعتبر وفاء بعهد شرف . وفي الواقع يبدو أن علاقات العمل بين الأصدقاء كانت حية خالية من الإجراءات الرسمية ، كذلك بين ابن العم القروي وبين الصديق الذي يعرف شيئاً بديعاً في المدينة . وغالبا ما كانت تحتفي النقود في أعماق البحار ، أو في جيوب القراصنة . ولكن لم ينجم عن ذلك كبير اختلاف ، ما دام خامس النقود له قطعة أرض ضمناً له . ومع ذلك فن الغريب أن نرى في جماعة « تقدمية » ، مثل أننا ، حيث الناس يغمون بالنفرة الدقيقة ، أن حياة الأعمال كانت بدائية لدرجة كما نخبرنا القواميس ، أن الناس لم يتعلموا بعد ، أن يفرقوا بين قرض حر يتم بين الأصدقاء ، وبين إيداع الأموال في عمل منتج (١) .

---

(١) إن كلام من كلمتي δόκειον ، χρέος استعملت بالمعنيين . أنظر مقال Foenus في دارميرج وساجليو ، ومقال Eranos في باولي ، الذي يقتبس من Hyperides ، ٥ - ٩ ، كيف أن « ديون الشرف » قد ترجع إلى المدينة لتستقر (في القرن الرابع ) ، بعد أن تنتقل من يد إلى أخرى . وفي الاقتصاديات ( Economics ) قصة ( ١١ ١٣٤٧ ) تروي ، كيف باعت مدينة بيرنطة مرة ، لبعض الدائنين من المستوطنين حق امتلاك الأراضي التي كانت مرهونة تحت أيديهم نظير دفع الدين . وفي مصر ، كما يروي هيرودوت ( ٢ - ١٣٦ ) مرت على الرجال فترة إفسار وضييق بالنسبة لشكل ما يتخذونه تأميناً ، حتى أنهم اضطروا إلى أن يرهنوا موميائهم . =

ولكن برمنجهام وماثسستر تسخران منا . ولقد آن لنا أن نختم  
هذا الفصل .

---

وفيما يخص مثالا « للشيء الجميل » في ألعاب « المدينة » ، أنظر ليسياس ، ١٩ — ٢٥ .  
وقد سميت في المحاكم قصص كثيرة مشابهة منذ ذلك الوقت . إن دليانا على نسبة الفائدة لتشغيل  
الأموال الخامسة في أئينا ، مستمد كله من القرن الرابع . وأدناها نسبة ١٢ في المائة ( كانت عادية ) .  
وأعلى فائدة من التي حددها « الرجل المستهتر في ثيوفراستوس » ، الذي أقرض النقود لرجال  
السوق بفائدة ٢٥ في المائة في اليوم ، و« كان يطوف بالمطابخ ومحال الأسماك وملحى السمك ،  
فيرمون في وجهه الفائدة التي يأخذها مما يربحون » . ويسميه اليونان « المستهتر » ( رغم أننا  
يجب أن لا نسميه كذلك ) لأنه « مجرد من أى شعور شريف يحد من غيه » ( ثيوفراستوس ،  
١٦ ، وملاحظة جب على الاستهتار ، ص ٩٢ ) .

## الفصل الحادي عشر

### اقتصاديات المدينة : التجارة الخارجية

Αί έσχατιαί κως τής οίκεομένης τὰ κάλλιστα  
έλαχον.

توفر في أقصى أجزاء المعمورة إلى حد ما ، خير المنتجات .

هيرودوت ، ٣ - ١٠٦ .

وأخيراً وصلنا إلى مركز يتيح لنا معالجة موضوع التجارة الخارجية ،  
التي لعبت دوراً له أهميته في حياة أئتنا في القرن الخامس .  
إن إنشاء نظام صالح للتعامل ، وإن لم يكن مرضياً كل الرضى ، قد تمكن  
دول المدينة الكبرى منذ القرن السابع وما بعده ، من أن تدخل في علاقات  
تجارية مع البلاد الأجنبية . ولنرى الآن كيف فعلت ذلك .  
كانت المدينة في القرنين السابع والسادس لا تزال متمسكة بتقاليدها  
القديمة في الكفاية الذاتية ، فهي مازالت تأكل من حقول قمحها ، وتلبس من  
أصوافها . ولكنها وقد أرسلت بمستعمرين إلى مناطق بعيدة ، وترامت  
إليها قصص عجيبة عن البلاد التي زاروها ، استنارت فضولها أكثر ، أثارت  
طموحها ورغبتها في الثراء والترف ، رغبت في إنعاش حياتها اليومية بهذه  
الاشياء الجديدة الواردة من وراء البحار . فمكل ما تأمل كسبه من وراء  
إنشاء هذه العلاقات التجارية ، هو طرق جديدة للاستمتاع بالحياة . فقد  
قالت للتاجر إعطيني وسائل الترف وكليات الحياة من الخارج ، ولن أسألك  
عن ضرورتها ، فالتجارة تبدأ بالكليات كما تبدأ العادات بمحالات شاذة  
تماماً . ولكن من المستحيل عادة أن تقف إحداها عند هذا الحد ، فما إن  
اكتسبت اليونان عادة التجارة ، لم تستطع أبداً التخلي عنها<sup>(١)</sup> .

(١) الأوليجارشى العجوز ، ٢ - ٧ . لا أتذكر أول من عكس ملاحظة بنيامين فرانكلين  
الحكيمة عن عدم طلب الكماليات .



ولكن ستواجه اليونان بعض المصاعب لتكون تلك العادة ، فالتفاليذ كلها عندها . ففي العالم الذي خاطرت بإرسال تجارتها إليه ، كان كل رجل معادياً لجيرانه وكذلك كل دولة . وكل من أراد الاشتغال بالتجارة ، كان معرضاً لأن يظنه الناس قرصاناً مرة ، أو مستكشفاً أو رسولا ، أو طليعة جيش غاز . مرة أخرى . فلا بد من الوقت والصبر ليبرر موقفه ، ويجعل مركزه ثابتاً منظماً (١) .

ولدينا بضعة ملاحظات شيقة عن هذه الفترة التي اندمج فيها التاجر والقرصان والضابط البحري في شخص واحد . فقد بدأت العلاقات الخارجية بالحرب واللصوصية . وكان للدولة التي اعتدى عليها بسرقة ، أو لحقتها ضرر في شخص أحد أعضائها ، أو فقدت هيلين أو إيو ( Io ) ، أو مركباً تجارياً محملاً سلعاً ذات قيمة ، هذه الدولة كان لها حق معترف به في الأخذ بالتأثر ، من الدولة المعتدية ، أو من مركب من مركبها ، أو من أفرادها ، ويظل لها حتى بين كلا الفريقين ، أو ينصف المعتدى عليه . أي أن الدول عاشت في حالة انتقام مستمر . وأول واجب على الداعين إلى مذهب الدولية ، ما كان التبشير بالسلام والنية الحسنة ، في عالم يصخب بالمخاطرة ، بل كان إقامة جزر قليلة ثابتة صلدة وسط خضم من القرصنة . ولذا فالمعاهدة ليست ( كما يقولون لنا دائماً في عصرنا هذا ) ضماناً إضافياً لسلام العالم ، بل كانت في هذه المرحلة المتقدمة مجرد ترتيب بين الدول لتجنب مؤقتاً ( فقد كانت المعاهدات الإغريقية تنص دائماً على وقت محدد إذ كانت الحرب الحالة الطبيعية ) لئلا الأخذ بالتأثر من بعضها البعض ، وذلك لصالح عمليات مشتركة على نطاق أوسع . وعلى أية حال يبدو أن القانون الدولي في اليونان ابتداءً على أساس الشرف بين اللصوص ؟ . ونورد هنا فقرة من اتفاق بين مدينتين صغيرتين تجاورتا عصرأ جنباً إلى جنب ، في تلك السهول الفيضية الصغيرة التي بين جبال لوكريس ( Lucris ) وخليج

كريزا ( Crisa ) ومن هناك كانوا يرقبون يوماً بعيون نهمة، سفن الحجاج الغنية عندما تدور في عظمة حول آخر منعطف إلى دلف . والويل لهذه السفن إذا اجتاحت هذا الركن المنعطف في ليلة مظلمة ، مقتربة من الشاطئ . أكثر مما ينبغي ، ليس لرجل من أويانثيا (Oeantheia) إذا استولى على غنيمة ، أن يخطف تاجراً من خاليا في أرض خالية ، وليس لشخص من خاليا أن يخطف تاجراً من « أويانثيا ، » في أرض « أويانثية ، » وليس لأى أويانثي أو خالي ، أن يستولى على حمولة مركب تاجر من داخل المياه الإقليمية لمدينة الآخر . فإذا أخل أحد بهذه القاعدة ، يقبض عليه قانوناً . ولا جناح على من يقوم بالقبض . وأملاك الأجنبي يمكن أن يستولى عليها في البحر دون أن يتعرض الإنسان للعقاب ، إلا إذا كان فعلاً في ميناء المدينة . . والمكيدة التي في هذه المعاهدة تتركز طبعاً في نهايتها فنذا الذي يتنازل عن لذة سرقة رجل من لوكريس ، وعلى مرأى منه في عرض البحر سفن محملة ؟ (١)

(١) هيكس وهيل ، رقم ٤٤ . والنص على لوحة من البرونز في المتحف البريطاني . وأنى اتبع هنا ترجمة ريتزل ( Finanzen ، ص ٧٩ ) وهي على عكس ترجمة ماير وهيكس . من الممكن القبض على الأجنبي في أى مكان إلا في الجهة المقابلة من الميناء . إن أعضاء « الفريقين المتماقين » في أمان ماداموا على أرضهم . هذه المعاهدة ترجع إلى القرن الخامس ، وعلى ذلك يمكننا الافتراض بأن أويانثيا (Oeantheia) وخاليون ( Chaleion ) كانتا تملمان على انفراد في أيام دلف الزاهرة . إن Oeantheia هي جالاكسیدی ( Galaxidhi ) أول محطة في طريق السفن التجارية من إيتيا ( Itea ) إلى باتراس ( Patras ) . أما خاليون فنقع بعد ذلك ، في زكن من الخليج . قارن هيرودوت ، ١ — ١ ثم ٦ — ٤٢ ، وتوكيديس ، ٥ — ١١٥ — ١ ثم Dem. ، ٣٥ — ١٣ ، ٢٦ . وأنظر مناقشة ٢٤ . والتفاصيل في بولوى مقال  $\alpha\sigma\upsilon\lambda\iota\alpha$  الذى صححه ريتزل ، ص ٦٩ . إن حق «الالتجاء» الذى تمنحه الولايات لاطنى بعضها البعض كان يعطى أحياناً للأفراد بقرار خاص . وإلى جانب هذه الفكرة السياسية ، قامت فكرة أخرى دينية ، للاسيلييا (  $\alpha\sigma\upsilon\lambda\iota\alpha$  ) ، إذ أصبحت المعابد والأضرحة ملاجئ اللاجئين ، زعماء المعارضة مثلاً ، أو العبيد المهربين . ولأمثال حديثة للنظم اليونانية فيما يخص الأخذ بالتأمر ، أنظر Dareste في *Revue des études grecques* ، الجزء الثانى ، ص ٣٠٥ وما بعدها . راجع في هذا الموضوع بأكمله تود في *International Arbitration among the Greeks* . (أكسفورد ، ١٩١٣) . ومع ذلك فالواقع أن كل الدلائل ترجع إلى ما بعد القرن الخامس .

وهكذا كانت التجارة عبر البحار عملاً ينطوي أحياناً في هذه الفترة الأولى على مخاطر خطيرة . وفضل الرجال التعامل برأ ما أمكنهم ذلك . ونقرأ عن أسواق للحدود مقامة على بعض مراعى الحدود ، حيث يجتمع الرعاة ويتبادلون بعض توافه السكايات ، فيقايضون عسل أتسكا بالخنزير والخضر من ميجارا ، أو سمك المياه العذبة من سهول بيوتيا ، وأثناء المساومة تنام كلاب أغناهم وإحدى عينيها مفتوحة . ومع ذلك فليس من السهل أن يقوم الانسان بكثير من التجارة برأ . فالبلاد وعرة ، والطرق رديئة . وحتى في القرن الخامس لم يكن في اليونان طريق واحد للعربات يعبر الحدود الوطنية إلا نادراً . فالتجار الذين يسافرون برأ يسرحون كباعة متجولين أو سمكرية ، مثل باعة البصل والبرقوق الذين يعبرون البلاد بين انجلترا وويلز ذهاباً وإياباً في عصرنا هذا ، وقد علقت بضائعهم حولهم فهم أنفسهم حاملون لأنفسهم كما يقول اليونان . وليس من شك في أننا نجدهم يجتمعون في دلفي وأولبيا وفي البرزخ وفي المناسبات الدولية . ولكن حتى في هذه المراكز حيث تتلاقى الطرق البرية الموجودة ، فإن أغلب من يقدمون بحيل أخاذة ، أو يبيعون طرفاً أجنبية ، إنما يشقون طريقهم بجرأ<sup>(١)</sup> .

(١) « أسواق » الحدود ( وعندنا في الإنجليزية كتي market ، march كلمتان متشابهتان ) : Dem. ، ٢٣-٣٩ ، الذي اقتبه Büchschütz في Besitz und Erwerb ، ص ٤٧٤ ، حيث وردت بعض مراجع قيمة تتصل بما كان عليه دلف وأولبيا ، لارجم إليها أيضاً . ويجعل ميناندر ذلك في خمس كلمات : « الازدحام ، والسوق ، والاصوس ، والمهلوانات ، والنليات » . ويستطعن بين تلك الكلمات كلمة سادسة هي « العجاذون » . أنظر تينوس في أي ٢٥ من مارس أو أي ١٥ من أغسطس ( النظام القديم ) « الطرق القديمة » ، كاتي نخرق فوكس ( Phocis ) إلى دلف ، والتي سار فيها Laius في موكب حافظ في مركبة من مركبات الريف ، كانت الطرق الأهملية الوحيدة في اليونان . ومن ذا الذي كان يمكن أن ينفي طرفاً أخرى ؟ إنها كانت تساعد الغزاه وخدم كما أغرى اجزرسيس بالذهاب إلى دلف : أنظر هيرودوت ، ٦ - ٣٤ ، ثم سوفوكليس ، O. T. ، ٧٥٠ - ٣ ، ١٢٢ . وزيادة على ذلك فقد كان مقدوراً أن تبقى هذه الطرق غير مأمنة . إن عقدة قصة أوديب الملك قامت كلها على أساس أن سكان طيبة لم يفكروا أبداً ، أنه يجدر بهم أن يحققوا في مقتل ملكهم . « نقد في الجبال : إذن الاصوس طبعاً » ، ثم انصرفوا عن =

ومهما يكن الأمر فالبحر في منطقة اليونان هو الوسيلة الطبيعية للنقل . ولا يمكن لشخص أن يعيش في اليونان دون أن يشعر كما يشعر اليونانيون ، أن الأرض هي التي تفصل بين الناس ، بينما يجمع البحر بينهم . فالرعاة يمكن أن يتسلقوا الجبل ويقضون شهور الصيف مع بعض أصدقائهم الفاطنين وراء الجبال . ولكن الرجل العاقل الذي يريد أن ينطلق ليسكب عيشه كان يلقي بزورقه إلى البحر الهادئ ذى المياه الزرقاء ، ويذهب رأساً إلى إحدى المرافئ عبر القناة . ولذا كان اليونانيون يسمون تجارهم عابري القناة ، لأنهم راقبوه وهم ينتقلون ذهاباً وإياباً ، من خليج إلى خليج ، ومن جزيرة صغيرة إلى أخرى ، على متن أسهل طريق ، حيث يستطيع أن يتجه فيه الإنسان حينما أراد . والسفر كما كان دائماً في نظر اليونانيون وسيلة حقيرة في المرتبة الثانية ، كما أن التجديف في بحر هادئ وتحت شمس محرقة ليس إلا وسيلة عقيمة في مرتبة ثانية بالنسبة للانديفاع في سفينة شراعية أمام نسيم موات . إن الطريق البطيء المتعب الذي تسلكه القوافل في الصحراء ، أو نقل البضائع إلى الممرات على ظهر الخيل في طريق متعب تناثرت فيه الأحجار — ليس طريقاً لليونانيين ، فالرجل ذو الذكاء المتوقد يفضل الرحلات النشيطة ، وتنتقل سفينته في رفق كالفراشة من مرسى إلى آخر ، حتى يصل إلى آخر المطاف سواء في أسبانيا أو القرم ، ماراً بمحدودات من البلاد الأجنبية ،

الموضوع . وفيما يخص تفاصيل عن الطرق المقدسة أنظر ( ميركل ) ( Merkel ) في Die Ingenieurtechnik im Altertum ، ص ٢١٧ وما بعدها . وأنظر أيضاً ليف ( Leaf ) في Homer and History ، ص ٢٢٣-٢٢٥ . الباعة المتجولون : في إيسيجيوس ، Choeph. ، ٦٧٥ ( αὐτόφορος ، مثل خائنياس على حمارة ، الضفادع ، ٢٥ ) . إن الحد الفاصل بين البائع المتجول الذي يحمل بضاعته ، والصانع المتجول ( مثل السمكري ) ومنه عدده — ضيق جداً كما يوضح ديمولان ( Demolins ) في قسمه الخاص « باقتصاديات الفجر » ، ( في كتابه Comment la route crée le type social ، الجزء الثاني ، ص ٧٨ ) . وفيما يخص التجارة الداخلية في أثينا في عهد بركليس ، أنظر Acharnians ، ٨٧٠ . إن حصة تلك التجارة كانت صغيرة جداً ، إذا ما قورنت بالتجارة البحرية « . ويبدو لأنه لم يكن لها ديوان جارك : Ach. ، ٨١٨ ( أنظر فرانكوت Finances des cités grecques ، ص ١١-١٢ ) .

وهو مرتاح الضمير إلى أن الطريق لم يضطره مرة ، في تلك الأسابيع التي استغرقها لانجازه إلى دخول أرض من أراض البرابره . فمن مزايا السفر بحرا ، كما لاحظ هوراس منذ زمن طويل ، أنه يملك مسافات بعيدة دون أن تغير شيئا من عاداتك . فأنت تبقى بين قومك طوال الوقت ، إلا إذا نزلت من المركب . وحين تصل ، وليكن ذلك إلى أبعد مستعمرة يونانية على نهر الوادي الكبير ، أو الدون ، فأنت تستطيع أن تتخيل أنك لازلت في بلدك ، لأن من أنشأوا تلك المستعمرة حملوا معهم وطنهم أيضاً (١) .

(١) δεύτερος . ولماني περάω من ὁ ἐν πόρῳ = ἔμπορος (١) πλοῦς التعبير الذي سرى مسرى المثل للدلالة على « الثاني الأحسن » ، أنظر ، Liddell and Scott ، أو أعلم عن طريق التجربة العملية . إن عبارة « Caelum non animum mutant qui trans mare currunt » تساعد على تفسير طبيعة الاستعمار اليوناني في ذلك الوقت والآن . والحقائق المعروفة أن اليونان والإيطاليون يكرهون أن يرحلوا إلى بلاد أمريكا ، لأنهم لا يرغبون في ترك وطنهم . وكان الإسكندر أول سياسي نجح في مقاومة تلك الفكرة عندهم . وكل إنسان يتذكر كيف كان هذا الشعور متمكنا من العشرة آلاف في رحلة إجزينوفون ، كما يتذكر سببهم المشهورة لما أن خرجوا من جبال أرمينيا ورأوا البحر الأسود تحتمهم ، فصاحوا « البحر » أو « الآن يمكن أن نرجع إلى الوطن بسهولة » . وفيما ينحس الطريق البحرية من حيث مقارنتها بالطرق البرية أنظر الأوليجارشى العجوز ، ٢ - ٥ : « إن السفر برا يعد عملا بطيئا ، ومن المستحيل أن يأخذ الإنسان معه مثونه كافية لرحلة طويلة » . وأنا أبرز هذه النقطة هنا وأؤكدها ، إذ أن بيرارد ( Bérard ) قدمها في قول له أتى به جزافا عن « قانون البرزخ » . إنه محق في اعتقاده أن التجار القدماء غالبا ما يأخذون البضائع عن طريق البر (١) لتجنب جهات معينة خطيرة أو متعسبة في البحر ، أو (٢) لتوفير ساعة من التجديف المنهك خارج الثغر . أي أنهم يسلكون الطرق البرية خصوصا إذا ما مهدها لهم أمثال أجاممنون أو ألكينوس إما عبر برزخ ، أو من الرنا الداخلي إلى أقرب مكان للنقطة التي يبتدئ عندها الريح . إلا أن ذلك يختلف كثيرا عن القول بأن القدماء كانوا يفضلون « التقليل من الانتقال بحرا » ، والإكثار من النقل برا ، هذا القول الذي لم يكن لينطبق على حالتهم . أنظر ص ١٥ وما بعدها فيما سبق ؛ ثم الجزء الأول من Le Phéniciens et l'Odysée ، ص ٦٨ ، ١٧٨ ( والمراجع أيضا ) ، ثم ليف ( Leaf ) في Homer and History ، ص ٢٢٠ . وتبدأ طرق القوافل خلف أو وراء التلغوم اليونانية مباشرة ، والإبل التي لاتزال تروح وتقدو في شوارع أزمير ، رغم السكك الحديدية ، شاهد على ذلك . إن فكره انتقال مدينة على ظهر مركب ، ومعها آلتها وكل شيء يخصها ، كانت معروفة عند الشعوب اليونانية البحرية . فارن هيرودوت ، ١ - ١٦٥ ، ثم ٨ - ٦٢ ( الأثينيون يهددون بالانتقال إلى سيريس ) ، وتوكيديدس ، ٨ - ٧٦ - ٤ إلى ٧ ( أيهما أثينا الحقيقية ؟ مدينة الأسلاف ، أو التيجيم المتحرك ؟ ) .

فتاجرنا إذن يحمل بضاعته بحراً ذهاباً وإياباً ، بين دول أقلعت عن  
والأخذ بالنار ، فيما بينها ، وأعدت ملجأ آمناً في موافئها . ولم يكن ليجزو  
على ذلك كتاجر ، ( وإن كان يجزو بصفات غير هذه ) ، حتى تحميه الشروط  
التي تملها المعاهدات ، أو يجد من يدخله من المواطنين على أنه ضيف أو صديق .  
فله إذن على نحو ما ، طابع الممثل لبلاده وإن كان قائماً بعمل خاص بحت ،  
لجنسيته تحميه أو كما نقول الآن بحميه عليه ، رغم أنه قد يكون في بلده في  
عداد الأجنبي المقيم ليس إلا . ولنفس هذا السبب يمكنه أن يمكث مدة طويلة  
في البلاد الأجنبية . ومع ذلك فقد كان يفخر وهو بين السبيليين والإبريين ،  
بل وفي سراكوزا وقبرص بأنه من أثينا ، إذ لعظمة مدينته ، كان له حق  
جلب البضائع إليها (١) .

فندتبع أعماله بالتفصيل فترة ما . فوسائله تختلف كل الاختلاف عن  
وسائل أمثاله في العصر الحديث . لقد تعودنا أن نتصور التاجر في صورة  
رجل يجلس في مكتبه يوجه ، بالبرق أو التليفون ، على أساس معلومات وصلت  
إليه بالمثل ، سواء كانت معلومات خاصة أو يتلقاها عن طريق الصحافة ،  
يوجه نشاط عملائه وأتباعه الذين لا عد لهم في البلاد البعيدة ، وإشارة منه  
وهو في مكتبه البسيط في لندن ، يعمل الرجال في جنوب أفريقيا وأمريكا  
الجنوبية ، في تشریط أشجار المطاط ، ويحمّلون مراكب القمح في أوديسا ،  
أو يكبدون ويعرقون في مناجم جنوب أفريقيا ، وعلى أرضفة سنغافورة ،

---

(١) توكيدس ، ٢ - ٣٨ - ٢ . فيما يخص المعاهدات التجارية أنظر ما سبق ص ٢٢٢ .  
هيرودوت ١ - ١٦٣ و ٦ - ٢١ ( « الفوكيون » في تارتوس ، « الملبزيون »  
في سباريس وهذا لا يعنى ، كما يمكن أن يفهمه أحد مؤرخى البندقية ، من أنهم يقومون  
بالتجارة على مراكب حكومية ) . فارتن الجالية الأجنبية في نوكراتيس ( ٢ - ١٧٨ ) ، حيث  
يمكن أن نأكد أن أحداً لم يسأل أبجينا أو رجل « ميليزى » ( Milesian ) عن كان أبوه .  
إن الامتيازات كانت تعطى للأفراد أو الجماعات من الأصدقاء ، ولكن لم يحدث أن أعطى  
امتياز لفئات كبيرة ، مثل نقابات روما أو شركائنا ذوات الحقوق المكتوبة . ولا زال الكثير  
من آثار تلك الجزليات التجارية باقياً عندنا من عصورنا الوسطى . فنلا الحفاظ الطويلة الخشبية  
للأعضاء من مختلف الشعوب ، الذين كانوا يتجرون في بمار الفروج ، لاتزال ترى في برجن .

أو يشتركون أسهما في شركة من بورصات عواصم المال العالمية المزدهمة بالناس . فهو في مركز الرجل العادى ، ولكن في قوة الإمبراطور أو على الأقل الأوليجارشى ، لأن تزايد تداخل الأمور الاقتصادية ، وترابط نظم الأعمال العالمية بعضها ببعض ، في كل أنحاء الكرة الأرضية ، دفع إلى تركيز القوة على أكتاف العالقة القليلين ، الذين يستطيعون الاضطلاع بالعبء . إن الطموح يتحين الفرص كما تندفق المياه على منحدرات الجبال ، وإن أشد رجالنا طموحا اليوم ليسوا قادة الجيش ورجال السياسة ، كما كان الوضع قديماً ، وإنما هم التجار والمليون و «كبار رجال الصناعة» .

وفي اليونان ، كما نعلم ، لم يكن الأمر كذلك . فلم يكن لدى التجار إلا القليل من رأس المال ، ما دامت الجماعة لم تملك إلا القليل لتقدمه لهم . وحتى إذا توفر لهم ، فما كانوا يعرفوا كيف يستغلونه . فهم لا يستطيعون العمل في نطاق واسع ، دون أخبار سريعة ، موثوق بها من الأسواق البعيدة ، أو مع زمرة طائشة متقلبة من اليونانيين غير قابلة للتنظيم ، تقوم على تنفيذ أوامرهم . فلو ظل جزء معين من هيئة العمل دائماً كحلفين اتعقدت مهام الحياة في لندن . ومع ذلك فإن جانباً كبيراً من الأعمال اليونانية ، كان لا بد وأن يكون قد تم في مثل هذه الأحوال ، وأنجز على دورين . ومن هنا اقتصرت الأعمال التجارية على حين ضيق محدود ، وظلت حتى القرن الخامس ، على أية حال ، يغلب عليها طابع الهواية وطابع الارتجال ، الذى يسود كثيراً من نواحي الحياة اليونانية .<sup>(١)</sup>

وزيادة على ذلك ، فإن الحياة القديمة كما رأينا ، كانت تنقصها لوازم الراحة . ويقوم الجزء الأعظم من التجارة في أمة كبيرة حديثة على وسائل الراحة ، أكثر مما يقوم على الكماليات أو الضروريات . فليس قوام ،

(١) إن حالات « قرض النقود مقابل رهن السفن » التى جاءت في خطاب ديموستينيز الخاصة ، تمت بالتأكيد إلى مرحلة من مراحل الحياة العملية أكثر تعقيداً إلى حد ما ، من تلك التى نحن بصدددها هنا . وليس نحة دليل على طريقة منظمة لتأمين البحرى أقدم من القرن الرابع ، أنظر هامش صفحة ٣٧٦ فيما سبق .

وارادتنا ، صنوف اليبانو الفخمة أولوحات كبار فناني إيطاليا ، التي كعاج ، الملك سليمان وقرذنه وطواويسه ، لاثير سوى اهتمام طبقة محدودة ، ولا الطعام والكساء اللذين لاغنى عنهما لمنع الموت جوعا والعري ، ولكنها قوائم طويلة من أشياء ( قد يتبين لنا مقدار طول تلك الكشوف إذا أتيج لنا رؤية كشف الأسعار العامة ) مثل الشاي أو الساعات ، أو الورق أو التيل أو القطن اللازم لصناعة قصائنا الداخلية ، تلك الأشياء التي أصبح لاغنى لنا عنها أبدا ، بل أصبحت جزءا من حياتنا اليومية المتحضرة ، حتى إننا نسينا منذ وقت طويل أنها ليست ضروريات على الإطلاق . ولم تكن مثل هذه الأشياء عند اليونانيين ضرورية ، ولا من وسائل الراحة ، ولو وجدت عندهم لأعتبرت شيئا نادرا أو كاليا غالى الثمن ، ولتعامل مستورديها من التجار مع طائفة قليلة غير ثابتة كمثل التي يتعامل معها الرسامين وتجار الصور عندنا . بل لكان يحظهم يغدو أفسى ، إذ إذا كانت هذه الأصناف الممتازة من التجارة غير رابحة اليوم ، فذلك ليس لعدم توفر النقود ، ولكن لأنها تنفق في أشياء أخرى - في أعمال البر أو في الضرائب الإضافية أو في مونت كارلو . أما في اليونان فكان على التجارة أن تكسده بمجرد ، أن المجتمع لم تتوفر له النقود ، حقا لا ادعاء . وفي العصر الحديث تقوم المنافسة التجارية المعتادة ، بين تاجر وتاجر وبين صنف وصنف . أما في العصور القديمة فكانت ، بين عدوين لدودين : مطالب الإنسان وشرح الطبيعة . فلحد بعيد لم يكن ما يخشاه التاجر اليوناني أو يكرهه ، زميله في مهنته أو أى مهنة أخرى . فقد كان البحارة التجار يجتمعون كالصناع في نقابة كأخوة ، ويعبدون في معبدهم العام زيوس الحامي . فلم يحقد تجار العطور على تجار البخور ولا مستورد العبيد من الشمال على زميل له جاء بعدد من الزنوج والزنجيات من ليبيا . فذلك مخاوف وهو اجس نظامنا الحديث حيث كل فرد لنفسه ، وللشيطان ما تخلف . أما في عالم تجار اليونان الصغير فخاوف الناس اختلفت تماما . فإذا كانت الجماعة في وضع أحسن ، وكانت الطائفة المتاجرة أقل متاعب وأقل



تأثراً ، فليس ذلك لأن الأخطار التي كانت تهدد حياتهم ، كانت خيالية أو بعيدة أو أقل إثارة وتأثيراً ، إذا ما أحذقت بهم . فأخوف ما يخافه التاجر اليوناني ، وهو ساهر عند مؤخرة المركب يحسب رحلته بالنجوم ، وما من أجله دعا آلهة عشيرته كلها أن تجنبه إياه ، إنما هو بعض الكوارث العامة المألوفة لكل زملائه التجار ، من حرب أو مجاعة أو زلزال أو نوبة تصوف ، أو حركة سياسية قد تقلب في لحظة مجرى الأعمال كلها<sup>(١)</sup> .

لنضع هذه الصعوبات أمام أعيننا ، ثم نراقب تاجرنا في عمله . عندما تنتهي زواجب الشتاء تماما ، يبحر من أثينا أو كورنث في مركبه الخاص « المستدير » ، أو في سفينة لجساعة من أصدقائه أو شركائه ، يضعونها تحت تصرفه ، مجهزة بنفر من الملاحين يبلغون نحو العشرين من المواطنين أو الأجانب المقيمين الذين رحبوا بالرحلة ، حبا في التغيير ولكونها فرصة للتدرب على التجديف وإدارة الدفة ، أو ربما لأشياء أخرى بجانب هذا أو ذاك . وسيحمل تاجرنا من بلاده زيتا مختلف الأنواع في قدور من صنع بلاده منقوشة أو غير منقوشة ، وقدر أكبر من الخلي الرخيصة المغربية التي قد تنفع المتوحشين . وأول ما يقصد موافى ومحطات إيطاليا أو سوريا ، وإن كان ليس لديه أوامر محددة ، ولا برنامج موضوع ، ولا جدول معين لأوقات الوصول

---

(١) أنظر ما سبق من ٣٢١-٣٢٢. آلهة التجار : Ζεύς Σωτήρ ١٨-١ ، I. G. ، ٣٠-٣٤-٣٥ (Ανακερ) أي δαίμονες ، وهو أيضاً (θεοὶ σωτήρες) . أنظر نما أطول (ولكنه متأخر عن ذلك ، والتجار الذي يذكرون من أصل صوري) في ميشيل ، Recueil ، رقم ٩٩٨ ، أو (أفضل) في ولهبج ، Beiträge zur griechischen Inschriftenkunde ، من ١٦٣ . مخاوف التجار (وال مواطنين) : سوفوكليس ، O. T. ، ٢٢ ، أفلاطون ، القوانين ، ٧٠٩ . « موسا حساد رديشان أو مذبحه » ، ذلك هو قانون المشتري الغربي للسجاد الرخيص في الأناضول اليوم . إنه حسن بالنسبة للمشتري الغربي الذي يصيد الصفقات ، ولكنه عكس ذلك بالنسبة للبائع المحلي الذي يحاول أن يبيع أي شيء . — ١٩٢١ . ويمكن أن يقرأ كل ذلك على ضوء حصار الحمس سنوات لأوروبا الوسطى والشرقية وآثاره .

والارتحال . وهو حر تماماً في أن يغير مسيره حسب الرياح أو كما يعن له ،  
أو لمعارضة من أحد زعماء البحارة ، أو لخبر يلتقطه من مركب مار به .  
فاذا ما ألقى مراسيه في إحدى الموانئ ، باع ما يمكنه بيعه ، وشحن مركبه  
بما يجده ، معتمدا على ما ينصح به الأهالي المحليين لتصرفه بضائعه هذه .  
وهكذا يسير في طرق البحر المتوسط المعتادة ، كموزع أو حامل عمومي ،  
لا يأخذ أرباحه من بضاعته التي جلبها معه من بلاده ، بقدر ما هي من البضائع  
التي يشتريها ويبيعها ، أو من الصفقات التي يجريها مع التجار المحليين عبر  
طريقه . وفي الحقيقة ، هو بتعبيرنا قبطان وبحار وناقل بضائع وتاجر في  
آن واحد . وتجارته ليست قاصرة على القمح أو الزيت أو أى نوع معين  
من المهام ، بل يتجر في أى شيء يصادفه في طريقه . فبكونه سيد نفسه تماماً  
أو على الأقل حراً في تفكيره ، ولعدم ارتباطه بشركة أو بمطالب ينفذها ،  
فقد كان في مقدوره توجيه نفسه أينما شاء . فإذا كسدت التجارة أو غفل  
بوليس البحر عن عملهم ، فليس هناك ما يمنع من الالتجاء المؤقت إلى سبيل  
آخر من سبل الحياة . وفي الحقيقة لم تكن دعامته في التجارة حمولته ،  
كأسلافه القراصنة ، وإنما مركبه الذي يعبر به البحار الضيقة ، كما يجوب  
الحوذى الطرقات بحصانه وعربته . وفي آخر الموسم عندما يأخذ النهار في  
القصر ويحين هبوب العواصف ، يحمل شحنته الأخيرة ، وتكون أوفق كلما  
حوت ما هو جديد وغريب . وهكذا يرجع بسفينته إلى الميناء (١) .

---

(١) الأوليغارشى المجوز ، ١ - ٢٠ ، توكيديس ، ١ - ١٤٣ ( البحرية  
التجارية ) . إن ναύκληρος صاحب المركب وقبطانها في الوقت نفسه ، كان قبل القرن  
الرابع على الأقل أعم من φορτηγός التاجر الذي يحمل بضاعته على مركب ليس ملكه .  
وقد كان أرسطو دقيقاً في التفرقة بينهما ، ثم في التفرقة بينهما ، وبين الوكيل المحلي الذي يتعاملون  
معه في الجهة الأخرى ، والذي يسمى عمله παράστασις : السياسة ١٢٥٨ ب ٢٢ ،  
أنظر برانتس في Revue de l'instruction publique en Belgique ، الجزء ٢٥ ، ص  
١٠٩ وما بعدها . والأمثلة هي : التاجر في فيلوكتيتيس (٥٤٧) ، كولايوس الساموسى  
الذى « اكتشف » تارتسوس ، هيرودوت ٤ - ١٥٢ ، وواضح أن معظم الأيجيبيين كانوا  
صعاليك متجولين من الدرجة الأولى ، لأن جزيرتهم لم تنتج شيئاً للتصدير . فارق القوانين ، =

و فقط عندما يرجع التاجر إلى وطنه ، يمكنه أن يتبين إذا كان من المحتمل أن يبيع هذا الشتاء ما جمعه من البضائع ، أو على الأصح إذا كان سيأخذ مقامه بين الموسرين أو بين المعسرين ، بين الموقرين أو المزدرين . فهذا يتوقف على محصول الزيتون ، وعلى الموسم ، كما يتوقف على أمزجة الناس والأحوال السياسية . إن أحسن فرصة له أن يكون كل إنسان مسورا متهجأ ، تقدمى التفكير ، مستعدا لانتهاج أى أسلوب جديد رائع دون أن يعبا بالنتائج . وهكذا نراه يفرغ متباهاً ، مامعه من قرده وعاج وعبيد ، وغير ذلك من الطرائف الأجنبية التي عمل على إحضارها سالمة إلى الوطن ، معلناً عنها في أنحاء المدينة بمساعدة أصدقائه الذين تعودوا تنسيق الحقيقة ، ثم يبذل ما في وسعه لإغراء ألكبيادس أو أى رجل آخر ، ذى أطماع متواضعة ، بالإطباب في مدح البضائع العربية . هذا بينما يعمل جاهداً كموطن له نصيبه في

---

= ٩٥٢ ( E ) . ، فيما يخص رحلة نموذجية في جيم مراحلها ، ارجع إلى مناقشة ديموستينيز ، ٣٥ . وكما ينقلب التاجر غالباً محاربا ، فن الممكن أن ينقلب المحارب تاجرا عندما يجد السبيل إلى ذلك . أنظر توكيديس ، ٧ — ١٣ — ٢ . كلا كانت التجارة بدائية زادت سيطرة الموزع على المنتج ، فيما يخص الأسواق البعيدة . فإرن الطرقت التي بها يخضع المنتجون في القرى الإنجليزية لرقابة الموزعين في القرن الثامن عشر ، تحت ما يسمى طريقة القومسيون . لا بد وأن عانى الفخرايون في أثينا ، كما بين ذلك فرانكوت ( Industrie ، الجزء الأول من ٣٠٨ ) ، الشيء الكثير كذلك ، إذ أن القبطان التاجر كان حلقة اتصالهم الوحيدة في الأسواق الإتروسكية . ولكن التجارة القائمة على التصدير في أثينا لم تكن من الأهمية بمكان حتى يكون لهذه الضايقة تأثيرا ، كبيرا . ولا يزال محفوظا في علامات التجار على بعض الأواني الأتيكية ، بيان متم عن هذه التجارة . فالتاجر يذهب إلى المصنع ، ويأمر بنقش ما يريد على الأواني المعتبرة عينته . ومعظم هذه العلامات كان مكتوبا بحروف أيونية ، وهي تدل على أنه قبل ٤٨٠ ، أثناء أزهق فترة للتجارة الإتروسكية ، كانت التجارة في يد الأيونيين . ونحن نعرف من هيودوت ( ١ — ١٦٣ ) أن الفوكيين هم الذين فتحوا الطريق . وقد عرقلته الحرب الفارسية ( ٤٨٠ — ٤٧٩ ) ، والحرب اليونانية الإتروسكية عام ٤٧٤ ثم استأنفه الأثينيون فيما بعد . التفاصيل في Haekl ، Münchener Archäologische Studien ، ١٩٠٩ ، ص ٩٢ وما بعدها والمراجع ، ويجب أن يضاف إلى هذا بوتير ( Pottier ) في Revue Archéologique ، الجزء الثالث ( ١٩٠٤ ) ، ص ٤٥ وما بعدها .

تشكيل الرأى العام على توسيع أفق زملائه ، وهدم بقايا تحامل السنين على كل ما هو جديد<sup>(١)</sup> .

وهكذا فما خشاه المستورد اليونانى من مدينته لم يكن تحديد أسعار البضائع الأجنبية بما فيه صالح المنتج المحلى ، وإنما الأوضاع المتوارثة لمصاحبة نفسه . لأن رجال السياسة فى المدينة القديمة لم يفقدوا غريزة المحافظة على الذات ، وأدركوا أن العادات والفضائل التى نشأت مع الوطن ، قد تتوارى عن الأنظار بتوارى البضائع الداخلية . وبذا كان فى حساب التاجر أنهم قد يصممون على معاملة أى عمل شريف ، المعاملة التى تعامل بها نحن تجار الخور والأفيون . فهناك جماعة المغالين ، التى لم ترفيه وهو يمضى مرحا على رصيف الميناء بوجهه الذى لو حته الشمس وبضائعه الغربية مسرورا كطفل يعرض لعبته الجديدة ، إلا رسول شر وبائعا للهلاك الأبدى . وقد لعن صائد سمك يهودى قديم ( إن كان حقا هو الكاتب ) مهنة التاجر تصحبها قائمة بضائعه . إن خبز الشعير والأسماك الصغيرة التى يأتى بها هؤلاء الذين يكبدون طوال الليل دون أن يغنموا شيئا ، لأفضل له ولمدينته من د سلع الذهب والفضة والأحجار الكريمة والآلىء ، والتيل الرقيق والحريير ، وكل الأخشاب العطرية ، والأوانى على اختلافها ، عاجية كانت أو من أجود الأخشاب ،

---

(١) أنظر ثيوفراستوس ٧ ( ج ب ، ص ٦١ ) بشأن « الرجل ذى المطمح الضئيل » ، ومعه عبده ذو الأسنان البيضاء ، يحمل يماما صقليا ... الخ » إنه أيضا لذلك الرجل الذى يقتنى قردا . وقد رأى اليونان أن للزنوج طلعة لطيفة ، وتفكها بشعورهم الجمدة التى تشبه الصوف ، ولكنهم لم يظهروا أى « تعصب ضد اللون » . أنظر رؤوس الزنوج التى استعملت فى تزيين الأوانى فى *Austrian Jahreshefte* ، الجزء التاسع ص ٣٢١ ، ثم منظر سمون بين الفيلسوفين على الأنية المصورة فى *Furtwängler and Reichhold* ، الجزء الأول ، الشكل ٥١ ، الذى يمثل « هيراقلا » ضحيا أحمر يذبح جما من المصريين الضعاف ذوى الأنوف المنحنية ، بعضهم أسود ، والآخر أبيض ( مرتدين تلك الملابس المشهورة النظيفة ، والمصنوعة من التيل ) ، بينما يصل الحرس القوى من السود فى مشية منتظمة بديعة ، بعد فوات الوقت . ويبدو أن الشمور « ضد الملونين » إنما ذو نشأة حديثة نسبيا ، ولم يمتد إلى اليونان الحديثة . أنظر الملاحظات فى كتاب اللورد كرومر ، *Ancient and Modern Imperialism* ، ص ١٣١ إلى ١٤٣ .

أو من النحاس أو الحديد أو الرخام ، أو القرقة والروائح العطرية ، والطيب  
والبخور والنبيد ، والزيت والدقيق الممتاز والقمح ، والحيوانات المفترسة  
والغنم ، والحيل ، والعربات ، والعبيد وأرواح الرجال ، (١) .

---

(١) Rev. ، ١٨ — ١٢ . إن الإجراءات الواقية الوحيدة التي نسمع عنها في اليونان هي  
« القوانين الخاصة بالقصد في المصروفات » ، مثل قوانين سولون ، أو المقاطعة السياسية  
والدينية ، وضروب التحريم الدينية والسياسية كذلك ، ( أنظر هيرودوت ، ١ — ١٦٠ ،  
ثم ٥ — ٨٨ ) والقرار الميجارى . وفي بعض الأحيان تكون البضاعة وأحيانا جنسية التاجر  
هي التي تقرر الاعتراض . فإرن الطريقة التي اتبعها الأتراك أخيرا ، وهم قوم ليسوا تجارا ،  
فاستعملوا سلاح المقاطعة ضد النمسيين واليونان . ولو كان قرارا بريا ( Brea ) ( هيكس  
وهيل ، ٤١ ) قد أبقى في تهشمه على سطر أزيد ، لمرقنا الأشياء التي كان لا يمكن دخولها  
في المستعمرات الأثينية . إن دخل الجمارك كان يعتبر كله دخلا للدولة . قارن القوانين ، ٨٤٧ ،  
حيث يلقى أفلاطون المكوس ولكنه في نفس الوقت يحدد الواردات . وقد يبدو هذا متناقضا  
في دنيانا الكبرى ، ولكن لو أننا نظرنا المسألة بعقل الرجل العادي لبدا أمرا معقولا . فإلحاق  
المنزلة يدخلون بدون دفع رسم ، ولكنه غير مسموح لهم أن يبيعوا السجائر ، وليس ذلك  
لأن المدرسين يزرعون الدخان في حدائقهم الخلفية . كما أن الأتراك يقطعون الطراريش النمسيية  
لأنهم يريدون صناعتها بأنفسهم . قارن جيرو في Propriété foncière من ٦٣ — ٥٦٤ .

## الفصل الثاني عشر

### اقتصاديات المدينة : السكان

Οὐδέν ἐστὶν οὔτε πύργος οὔτε ναὺς

ἔρημος ἀνδρῶν μὴ ξυνοικούντων ἔσω.

ليست المدينة المسورة ، ولا المركب بشيء يذكر ، إذا كانتا خاليتين

وليس بهما أناس يعيشون فيها . سوفوكليس ، O. T. ، ٥٦ - ٥٧ .

Οὐ γὰρ τάδε τοὺς ἀνδρας ἀλλ' οἱ ἀνδρες  
ταῦτα κτῶνται.

إن هذه الأشياء قد خلقت من أجل الرجال ، ولم يخلق الرجال

من أجلها . بركليس في توكيديس ، ١ - ١٤٣ - ٥ .

يعنى السياسى بالناس والأشياء معا . ففى اللجنة غالباً ما يكون عليه البت ،  
مثل المهندس أو العالم ، فى قدر جاف من التفاضيل المادية التى لا تؤثر فى  
الناس إلا بطريق غير مباشر . بينما عليه أن يعنى فى البرلمان بالقوى الحيوية  
فى الحياة القومية . وكذلك على رجل الاقتصاد السياسى ، نفس هذا الواجب  
المزدوج ، فى قياسه وتديره لموارد وطنه . فهو لا يعنى بقوة المال وحدها ،  
ولكنه يهتم بالناس كذلك . إنه لا يهتم بالثروات المادية وتوزيعها فحسب ،  
ولكنه يهتم أيضاً بالبشر المنتجين والمستهلكين لها ، والتى بدونهم  
لا تساوى شيئاً . فمشكلة السكان تعتبر الآن بحق إحدى المشكلات الخطيرة  
الدائمة التى يجب أن يواجهها كل اقتصادى .

وهذه المشكلة التى نحن بصدددها الآن لا تعنى فقط ، كما يدعو إلى الافتراض  
أحياناً ، بالمسائل التى تؤثر فى مقدار زيادة السكان وسرعة هذه الزيادة فى  
داخل المدينة الدولة ، بل تعنى كذلك ، إذا لم يكن ذلك أهم ما تعنى به ، بالمسائل

التي تؤثر في قيمهم . وهذا مذهب قديم واضح ، قد أخذنا في تعلمه من جديد من علماء تحسين النسل ، وقد عرفه اليوناني منذ أمد بعيد . وبوضعنا مشكلة السكان في موضعها المناسب في بحثنا الاقتصاد الأثيني ، نجد أنفسنا معنيين لا بمسألة العدد وحدها ، ولكن بجملة مسائل أصعب واكبر أهمية ، تتصل بما في الحياة الأثينية من أخلاق وآداب .

ويجب أن نبدأ بحثنا بالتعداد لأن ذلك ، وهو أظهر جوانب مشكلة السكان وأخطرها ، كان أول ما استرعى تفكير رجال السياسة في بلاد اليونان . فقد رأوا أنفسهم وجها لوجه أمام مشكلة فعلية خطيرة ، هي الازدياد الطبيعي لعدد السكان .

وهي نفس المشكلة التي حفزت مالتوس ( Malthus ) ومن بعده داروين ، وبذلك أصبحت معروفة في شكلها النظري لأجيال متعددة من رجال الفكر . ولكن لم ير فيها المفكرون اليونانيون الأول مجرد مشكلة بيولوجية أو أخلاقية ، بل رأوا فيها خطراً دائماً على كيان الدولة السياسي ذاته ، ولم يكن قد توفرت لهم معرفتنا العلمية ، ولا الخبرة التي تنير لهم الطريق . ولم يعرفوا شيئاً عن أمر التنارع على البقاء القائم أبداً بين المخلوقات الحية ، ولا عن علاقات الإنسان المادية الوثيقة بمملكة الحيوان . ولم يحفلوا بالوازع الخلق ، بذلك الحافز الأخلاقي اليقظ الذي يرفع الإنسان عن مستوى الحيوان ثم يستبقه . فاعرفوه في نطاق مدينتهم الضيق هو أن الناس آخذون في الزيادة باستمرار ، وأنهم يفوقون في تزايدهم الزيادة في الإنتاج . وقد كان ذلك أكثر من مشكلة ، لقد كان خطراً مفرعاً يزداد اقتراباً كل عام . ولم يكن في اقتصادهم البدائي سوى رصيد ضئيل ياجأون إليه . كما كان هناك حد طبيعي لعدد الناس الذين يعيشون في الدولة ذات الكفاية الذاتية . وقد انتشرت الزراعة في بقعة بعد أخرى على جانب التل العاري ، ومهدت الأرض وحرثت ونقيت مماها من الحشائش ، حتى تنتج ذلك الكفاف الذي لا يغني ،

ولكن جاء يوم فيه أصبحت زيادة السكان على الإنتاج أكبر من أن تحتل، وأضطر رجال السياسة اليونانيون أن يبحثوا عن مأوى لشعبهم في مكان آخر .

وقد خفف الضغط حركة الاستعمار الكبرى التي حدثت في القرنين الثامن والسابع . ولم يظهر بعد ذلك مطلقاً بهذا الشكل الحاد ، لأن التحسن الاقتصادى الذى تبع ذلك ، فضلاً عن تحسن المواصلات ، ونمو التجارة الخارجية ، جعل الدول أقل اتكالاً على مواردها الزراعية ، ويسر أعمالاً دائمة لبعض أعضائها الذين لا أرض لهم . وفى العصر الذى نحن بصدده ، لم تكن الدولة اليونانية العادية منعزلة تماماً ، أو مقتصرة على الكفاية الذاتية . فقد كان فيما اتخذته من معالجة لتفادى زيادة السكان الطبيعية شئ من المرونة . ومهما قل اعتمادهم عليها ، فيجب أن نذكر ذلك عند كلامنا على موقف رجال السياسة والفكر فيها ، حيال هذه المشكلة .

ومع ذلك فقد ظل الفرع القديم باقياً ، وإن لم يكن فى شكل ملح ومهدد كما كانت الحال قديماً ، ظل أكثر وقعا واستمراراً عما يمكن أن نلسه فى سهولة ويسر ، فى ظل النظام الدولى اليوم ، بعد أن اعتدنا اعتبار السكان قوة متزايدة غير ثابتة ، بل وظل أبداً كعامل للقلق . ولن نفهم مطلقاً موقف رجل دولة المدينة من هذا الموضوع وأمثاله ، حتى ندرك قوة التأثير الخفى التى كانت له على أفكاره وسلوكه .

وليس من السهل علينا أن نفعل ذلك ، لأن الكتاب اليونانيين لا يساعدونا على فهم ما يدور بفكرهم ، فإذا ما قرأناهم دون تمعن ، بدوا لنا أنهم قد أغفلوا أمر هذا المشكل . لقد فضلوا أن يتكلموا كما لو كان عدد السكان يتجه من تلقاء نفسه إلى أن يظل ثابتاً ، كما لم يكن هناك ازدياد طبيعى للبشر . ويبدو أن تنظيم الجماعة الكلى فى الدولة المدينة وضع على أساس فكرة أن عدد أعضائها يظل ثابتاً . فالمدينة تتكون من عدد عديد من الأسر ومن أقسام ثانوية أخرى ، كما حدد عدد أعضائها ، واعتبر ثابتاً غير متغير . فأثينا مثلاً



قبل انظام كليستينز ، كانت مقسمة إلى أربع قبائل ، ١٢ أخوة و ٣٦٠ عشيرة ، وكان المفروض أن كل من هذه العشائر تتكون من ٣٠ شابا ، فيكون عدد رجال المدينة ١٠٨٠٠ . وبعد ما أحدثه كليستينز من تغيير ، ازداد العدد ، وتراوح عدد الأثينيون في القرن الخامس بين ٢٠ إلى ٣٠ ألفاً ، كعدد صحيح ، ولكن مهما كان العدد فقد كان معتبراً ثابتاً لا يتغير ، وأنه الأساس الذي تقام عليه نظم المدينة . ويمكن أن نرى ذلك بشكل أوضح في التدابير التي كانت تتخذ لإنشاء مدن جديدة . فأول ما يعمله الرجل السياسي هو تقدير عدد السكان ، الذي يمكن للأرض الجديدة أن تستوعبه ، ثم يمدّها بالسكان في حدود ذلك التقدير . ويجب أن يعلن عن هذا الحد ، وأحياناً يعبر عنه بوضوح في اسم المستعمرة الجديد مثل مستعمرة مدينة العشرة آلاف على ساحل كيبكيا . ونلقى نفس الفكرة عند أفلاطون وأرسطو . وهي تناسب تماماً وفكرتهم العامة عن المدينة في كونها عملاً فنياً ، وتلائم وإحجامهم عن السماح بمجال كاف لتطور قوى جديدة . ويحدد أفلاطون ، العدد اللازم ، لمدينته الفاضلة ، عن طريق حساني . بينما يفضل أرسطو تعريفه بأنه ، أكبر عدد يكفي لأغراض الحياة ، ويمكن أن يستوعب بنظرة واحدة . وكلاهما يرى ضرورة قلته وثباته . وقليل من التفاصيل ترينا بشكل واضح ، ماذا تعنى الدولية الحديثة ، أكثر ما تظهره لنا تلك المقارنة بين هذه البلاد الريفية القديمة البالية ، وبين اتساع المدينة الحديثة السريع المعروف مثل شيكاغو وجوهانسبرج ووينج . فمثل هذه المدن لا يرى فيها اليونانيون مدناً بقدر ما لا يرون في الأولومبيك ، أو أ كويتانيا ، سفناً . فكيف تدعو شيئاً سفينة مع أن طوله يبلغ فرسخاً ، أو تسميه مدينة إذا كنت لا تستطيع أن تسمع منادى القرية من الطرف الآخر (١) ؟

(١) سترابون ، ٦٧٣ ( Μυρίανδρος ) ، أرسطو ، السياسة ، ١٣٢٦ ،

ثم أفلاطون ، الجمهورية ، ٥٤٦ ، والقوانين ٧٤٠ (٥٠٤٠ بيتا) وفيما يخص الأرقام الأثينية =

ومع ذلك إذا اهتم اليونانيون وفكروا في ذلك لعرفوا ، كما نعرف نحن ، أن فرضهم العادى ، لا أساس له . فعدد السكان لا يميل حقيقة من نفسه أن يبقى ثابتاً ، والظروف التى اعتادوا الكلام عنها بأنها طبيعية وضرورية فى الدولة المتحضرة لم تكن طبيعية على الإطلاق . فقد كانت مصطنعة إلى حد كبير ونتيجة لفعل أسباب خاصة ، كان بعضها على أية حال فى نطاق مراقبتهم .

وأول هذه الأسباب وأعظمها هو نسبة الموتي المرتفعة . وإنما الحقيقة معروفة الآن ، أن علم الطب دائب على زيادة ، الأمل فى الحياة ، على اختلاف العمر . ومن المستحيل تقدير الفرق فى نسبة الوفيات عند اليونانيين وعندنا اليوم ، ولكن من المحتمل ألا نكون قد تعدينا الحد إذا قلنا أنها كانت فى وقت السلم مثل نسبة الوفيات فى تركيا أو روسيا اليوم ، أى أنها كانت تقريباً ضعف النسبة فى المملكة المتحدة الآن . وفى عبارة مشهورة يلوم بوليب يونانى عصره رفضهم تربية أكثر من ابن أو ابنتين ، وبهذا لا يتركون رصيذاً للحرب أو المرض ، كما أنهم يعملون على انقراض عائلاتهم . وواضح جداً هنا أنه يعتبر الموت قبل سن الزواج مصادفة محتملة حتى بين الأطفال الذين اختيروا قصداً للحياة . ومن الخطر أن نستنتج من عبارات متفرقة أو من مجرد التأثير العام ، إلا أنه جدير بالملاحظة كثرة الإشارات

---

= التى يمكن قبولها أنظر هامش ٢٠٣ ، فيما سبق . وفى ميناندر ، Epitrepontes ، ٥٤٨ - ٥٥٠ ، فقرة جيدة تظهر الفكرة المشهورة عن الأرقام المحددة ، حيث يتكلم شخص عن العالم كما لو كان مكوناً من ألف مدينة ، تحوى كل منها ٣٠٠ ألف من السكان . أما فيما يخص الافتراض المعروف القائل بأن عدد سكان الدول يجب أن يكون بقدر إنتاجها الغذائى ، أنظر هيرودوت ، ١ - ٦٦ ( قارن به إجزينوفون . Pol. Lac ، ١ - ١ ، الذى يوضح كيف أن اقتصاديات اسبرطة كانت خرقاء كسياستها ) ، هيرودوت ١ - ١٣٦ ، إجزينوفون ، Hell. ، ٥ - ٢ - ١٦ ، وهى فقرة من أهم الفقرات من عدة وجوه ( ذلك مثلا : للضوء الذى تضيفه على حياة الفنادق فى اليونان ) ، بوليب ، ٢ - ١٥ - ٤ إلى ٧ . « إن سهل لومبارديا غنى إلى حد أنك لا تحتاج أن تساوم فى ثمن الطعام فى الفنادق . ومن ذلك يمكنك أن تحم (١) كيف كان المكان آمناً بالسكان ، (٢) وأى رجال أذكىاء ضخم يأتون بهم ، (٣) وهم كانوا يحسنون الحرب » .

في الأدب الإغريقي إلى ما اعتبره اليونانيون دائماً أكثر ما في حياتهم إثارة للشجون ، وهو انتزاع الحياة في شرح الصبا وذروة الجمال . فالليونانيون ، كما نعرفهم ، كانوا جنساً قويا سليم الصحة ، ولسكننا قد نفسى الاختبار القاسى الذى ساعدهم على أن يكونوا كذلك (١) .

والسبب الثانى الذى يجب ألا نغفله هو انتشار الحروب . فالحرب كما قيل من قبل ، طريقة لعملية اختيار معكوس ، فهى تقتل خير الناس وتبقى على الأقل صلاحية . ولقد كانت المدن اليونانية في حرب باستمرار ، ولذا كانوا دائماً بحاجة لسد النقص فى صفوفهم . وصحيح أن نسبة الوفيات فى العمليات الحربية العادية لم تكن عالية ، ولكن من وقت لآخر تنشأ ظروف تكون فيها النتيجة أشد وأخطر من المعتاد ، وذلك عند ما يشتمد حنى المحاربين وغضبهم ، ويغدو القتال قتالا حتى الموت . من هذه الحروب مثلاً ، الحرب التى يحدثنا عنها هيرودوت أنها كانت بين الاسبرطيين وأهل أرجوس عندما حاصروهم كليوميز فى غابة مقدسة ، وأبادهم حرقاً ، تاركا أرجوس خلوا من الرجال ، حتى أن عبيدهم أخذوا يحكمون البلاد ، ويديرون أمورها ، حتى كبر أولاد هؤلاء الناس الصرعى ، . فالدول اليونانية كانت معرضة دائماً لفرص فجائية من هذا الاستفزاز . وقد كان جزءاً من الواجب الوطنى أن يستعد لمثل هذه الأحداث . وقد كان هدف المواطن اليونانى الثابت الذى يتفق . كما رأينا ، والتقاليد القبلية العتيقة المتأصلة فى نفسه إلى حد بعيد ، أن لا تقصر أية عائلة فى إعطاء نصيبها من الأبنس للدولة ، فإذا حدث بعض النقص المؤقت فعلى الآباء الذين لا يزالون فى سن مناسبة الاحتفاظ بشجاعتهم على أمل إنجاب غيرهم ، إذ أن ، ( ولنستمع إلى

(١) بوليب ، ٣٦ — ١٧ — ٧ . فارن مايرز ، Greek Lands and the Greek

People ، ص ٢٠ ، الذى يوضح كيف أنه « ما زال فى مثل هذه الأماكن الفنية بشكلا واضح ، وقابة فيزيقية فعالة إلى حد أنها تحمل التأقلم عسيرا جدا وبطيئا » . وعلى ذلك فالنصر الدخيل ، مثل أغلبية دول المدن اليونانية لابد أن كان معرضا إلى اختبار قاس مصدره عوامل الجوى وغيرها . والملايا التى تهدقوى الإنسان أكثر مما تقتله ، ليس لها أهمية فى العصر الذى نحن بصدده .

الاقتصادى الذى لا يعرف رافة) ، الأطفال الجدد سيساعدونكم على أن تنسوا الفراغ الذى حدث فى دائرتكم ، ويساعدون الدولة على ملء الشغرات التى حدثت فى صفوف عمالها وجنودها، (١) .

إلى هنا عالجنا السبيين اللذين ليس للسياسى أو المواطن سلطان عليهما ، وسنتناول الآن السبيين الآخرين اللذين يدخل اختصاصهما فى مقدورهم . وأول هذين السبيين ليس بحاجة إلى تفصيل . وهو التخلص من زيادة عدد السكان بإقامة مستعمرات خارجية . ولقد سبق أن أشرنا إلى الاستعمار من حيث هو وسيلة اتخذت لتخفيف ضغط السكان فى القرنين الثامن والسابع . وكل ما يجب علينا أن نضيفه هنا، هو أن وسيلة الاستيطان فى الخارج هذه ، بقيت دائماً طوال تاريخ الدولة المدينة علاجاً ممكناً عند الحاجة . وسيل الهجرة الذى حبذته الدولة لم ينقطع تماماً . فلم يمض عصر دون أن ترسل فيه البعثات من أول ارتفاع الملاحين القدماء ، حتى حركة إحياء الرغبة فى الاستعمار ، تلك الحركة الكبرى التى أوحى بها الإسكندر المقدونى .

ولنترك ذلك ونمضى إلى بحث جملة أسباب يمكن أن تعرض إجمالاً بعنوان عام ، تجنب الموت بين الأطفال . وهو موضوع صعب ولكن إذا أردنا أن نفهم الحضارة اليونانية يجب أن نهرب من الدليل ، بل يجب أن نعمل على وضعه الصحيح بالنسبة إلى سائر مظاهر الحياة فى الدولة المدينة . ليس من السهل على المعجبين باليونانيين أن يسلموا بأن اليونانيين نظرياً وعملياً كانوا يوافقون على القيود التى كانت تفرض فرضاً على تزايد عدد السكان . ومع ذلك فإن الدلائل تثبت لنا أن هذه كانت فعلاهم الحاله . فإذا ما ولد مولود ، فطبقاً لعادة متبعة فى أنحاء اليونان ، كان يتوقف على حكم أبيه ما إذا كان ينبغى أن يعيش . وقد ظل ذلك على الأقل حتى القرن الرابع

---

(١) توكيدس، ٢ - ٤٤ - ٣ ، ثم هيرودوت، ٦ - ٨٢ إلى ٨٣ ، ثم توكيدس ، ٣ - ٧٣ ( وهى وسيلة شبيهة إلى حد ما ) . أنظر هيرودوت ٦ - ٢٧ ، ثم توكيدس ٧ - ٢٩ ( مصيبتان كبيرتان حلتا بأطفال المدارس ، والحسارة التى لحقت الدولة من جراء ذلك ) .

حسب ما وصل إليه علمنا . وفي اليوم الخامس من مولدهم على الأكثر ، يقدم المولودون الجدد إلى الأسرة ، حيث يحتفل بقبولهم في عضويتها . وحتى يقام هذا الاحتفال ، للأب الحق الكامل في اختيار الحياة أو الموت لطفله . وزيادة على ذلك يبدو أن هذا الحق كان يمارس في كثير من الأحوال ولا سيما بإزاء البنات . لأن تدير أمر صداقهن كان يشغل فمكر الأب اليوناني ، ، أليس الأسهل عليه أن يتجنب ذلك ويتدرع منذ البداية بعجزه ؟ وعندما يتقرر أن لا يعال ، الأطفال ، فينبغي وضعهم في مهد أو قدر ، كما هو الغالب ، ثم يوضعون في مكان عام . وكانت الأم المسكينة تأمل عبثاً بلا شك مثل د كروسا ، في د إيون ، ( Ion ) ، أن تأخذ أحد المواطنين الرحماء الشفقة بوليدها . وإنه لأمر غريب بل ومروع ، أن تصور أنه قد يعترض سبيلك في يوم ياحدى مدن اليونان طفل معروض في جرة ، ، كما يسميهم الأثينيون ، ملقى في ركن من أركان السوق ، أو بجانب أرض المصارعة أو عند مدخل معبد ، أو في كهف مقدس . وقد ترى جارية تتطلع حول المسكان هلعة لترى إن كان ما زال ممكنا إنقاذ الطفل ، أو راجعة تجرى حاملة الأبناء إلى أمه الصغيرة الكسيرة القلب . إذ رغم أن هذه عادة وحشية دفعت إليها ، إن لم تكن فرضتها ، ضرورة وحشية قاسية ، فإن اليونانيين الذين أخذوا بها ظلوا مع ذلك متمدينين رجالا ونساء . وهذا نص خطاب خاص كتبه زوج يوناني عثر عليه أخيراً . د أرجو بل أتوسل إليك أن تهتمني بالطفل الصغير ، وحالما تتسلم أجورنا أرسلها إليك . وإذا وضعت - وإني لأرجو لك حظاً سعيداً - وكان المولود ذكراً دعيه يعيش وإن كان بنتاً فعرضها للدوت ، . وزيادة على ذلك فللأثيني كراهية تقليدية للقسوة والعنف ، وكان يتدخل إذا ما استطاع في جانب من لاسنده . فإذا ما وافق على ممارسة هذا الحق الذي اختص به منذ زمن قديم بشأن أولاده ، فإنما يفعل ذلك بأسف بالغ ، من أجل مدينته وأطفاله الآخرين ، فذلك أكثر رحمة في النهاية . وليس لنا أن نلقى عليه ،

أو على أحد من أقرانه أى لوم . فقد كانوا فريسة قسوة المجتمع مثل آلاف الأمهات العاملات اللاتي يرغمن في عصرنا هذا على إهمال أولادهن ، ومثل آلاف من الآباء والأمهات الغربيين الذين ، صواباً أم خطأ ، يفضلون الأسرة القليلة العدد . فالطبيعة والمجتمع يفرضان واجبات قاسية ، وليس للورث أن يحكم ، وإنما واجبه أن يفهم ، ويشفق<sup>(١)</sup> .

(١) *Oxyrhynchus Papyri* ، الجزء الرابع من ٢٤٣ وما بعدها ، الذى أعيد طبعه بنصه في مجموعة مليجان النافعة ، *Selections from the Greek Papyri* . وكان الكاتب في عمل بالخارج بعيداً عن بيته : التاريخ ١٧ يونيه عام ١ ق. م. أنظر التفاصيل الخاصة بعصر دولة المدينة في دارميرج وساجليو مقال ، *Infanticidium, Expositio* ، جلوبوز ، الذى أعاد كتابته (مع مراجع أقل) مؤلفه ، *Études sociales et juridiques* . وعلى أية حال ، لقد أوردت فيما يلى باقتضاب ، وجهة نظره من حيث مدى سرعان العادة . فيقول (*Études* من ١٨٨ — ١٨٩ ) ، « حيثما نلاحظ أحوال اليونان ، تمكنتنا مصادرنا أن نتبع أثر هذه العادة القاتلة » حتى في أثينا في القرن الخامس التى كانت تستعظم أكثر من معظم الولايات أن تقدم مئونة أكبر لشعب مترابيد . « ويعتبر أرسطوفانيز مثلاً ، ذليلاً له قيمته ، عندما يتحدث عرضاً عنها في صوت هادى مترن على أنها شىء طبيعى » . والإشارة هنا إلى الضفادع ١١٩٠ ، والسحب ٥٣١ . إن مسرحيات ميناندر التى يجب بالطبع ألا تعتبر ذليلاً على القرن الرابع ، تتناول كثيراً هذا الموضوع (أنظر *Four Plays of Menander* التى طبعتها كابس (Capps) ، نيويورك ١٩١٠ ) ، فمثلاً في منظر من مناظر الـ *Epitrepontes* تدور مناقشة طويلة حول هل إذا عثر رجل على طفل ملقى في الطريق ، ثم أعطاه لآخر يريه ، فهل له حق في الهدايا (*γνώρισμα*) التى وضعت مع الطفل (*συνεκτιθέμενα*) . وبالرغم من كثرة المسرحيات التى يكون فيها دور الأطفال اللقاة ومهم هداياهم ، يرى جلوبوز أن نسبة هؤلاء الأطفال ، التى وصلت إلينا أنياؤها ، قليلة جداً . فترية مثل هؤلاء الأطفال كبيرة التكاليف ، وأرخص منها شراء عبيد كبار من الخارج . وزيادة على ذلك إذا تصادف وعرف آباء هؤلاء الأطفال ، فالقانون يحتم أن يردوا إليهم ، وبذا كانوا ملكية غير ثابتة . وتوكر (Tucker) في مؤلفه ، *Life in Ancient Athens* (وهو كتيب رائع عن الحياة الأثينية كتب بأسلوب سهل) متفائل جداً في هذه النقطة (ص ١١٨) . أنظر فيلاموثير ، *Staat und Gesellschaft* ، ص ٣٥ . إن القانون الوحيد المعروف الذى صدر ضد « تعريض » الأطفال في طيبة ربما يكون قد صدر في تاريخ متأخر ، وليس الحافز على سنه الإنسانية ، وإنما قصد به الوفاية من خطر نقص عدد السكان . أنظر البيان (Aelian) ، *V. H.* ، ٢ — ٧ ، ثم ثارن بوليب ٣٦ — ١٧ — ٥ إلى ٨ (الذى أشرنا إليه فيما سبق ص ٣٩٤) . وفي أسبرطة ، كان الأطفال مرضين لمحنة مزدوجة ، فكانت الدولة تعمل على التخلص من بعض الأطفال الذين احتفظ بهم أهلهم . وكما هو المنتظر ترى أن أفلاطون وأرسطو ، بما جبت عليه طبيعتهما من قسوة معتادة نحو الفرد ، قد وافقا وأثنيا على تطبيق هذا الإجراء أو ما يعادله . فهما يستندان إلى ضرورة تحسين النسل ، لتدعيم =

إلى هنا لم نعالج سوى مسألة العدد ، ولقد رأينا أن الدولة اضطرت إلى الاحتفاظ بعدد سكانها ثابتا ، أو تقريبا كذلك . كما درسنا نوعي القيود « الأوتوماتيكي » والموضوع قصداً ، اللذين كانا يعملان على مقاومة قانون ازدياد السكان الطبيعي . ولكن بحثنا قد حملنا إلى الشطر الثاني من موضوعنا ، أى إلى الكيف إذا ما قورن بالكم .

فهذه القيود التي أتينا على ذكرها لم تنق الحياة دون تمييز . لقد مورست وفق مبدأ ما للاختيار ، وإن كان ذلك على غير أساس علمي . فالساسة اليونانيون الذين عملوا بعمل هذه القيود لم يقصدوا إلى مجرد عدد ثابت ، بل رغبوا في إيجاد جنس صالح . ويقول أيزوقراط في سياق مرثية له « إنه شيء نادر وصعب ، أن يكون للإنسان عائلة كبيرة ، هي في نفس الوقت عائلة ناهية . ولكن هذا الرجل قد حقق ذلك ، فالفكرة التي ينطوى عليها خطاب المتكلم واضحة . فكلما كثر عدداً يأتي به الرجل من أولاد ، كان ذلك أفضل ، ولكن يجب أن يكونوا جميعاً أطفالاً ناهين جديرين بمدىنتهم التي سيكونون مواطنين فيها ، بل وجديرين بالجنس اليوناني كله . وعلى هذا تخلص الأب اليوناني من كل من كان كسيحاً مشوهاً ، أو من كان رقيقاً أكثر مما يجب ، إلا في حالات قليلة مواتية . وهكذا تخلصت الجماعة اليونانية بسهولة من مسؤولياتها نحو هؤلاء الذين يكونون اليوم مشكلة من أخطر المشاكل في حياتنا الاجتماعية . فالمدينة اليونانية كانت وطن صحاح الأجسام فالضعف والعلّة لا يجدان مدخلا سهلاً إليها ، وإذا حدث ومثلاً فيها فلن

---

= السياسة والاقتصاد ( أفلاطون . الجمهورية ، ٤٥٩ وما بعدها ، ثم أرسطو « السياسة » ١٣٣٥ ب ٢٣ ) . وقد أيدوا الإجهاض « وتمريض » الأطفال في حالات خاصة ، ولكنهم لم يمالجوا منع النسل . ومن المؤكد أن أطفال الرقيق كانت لهم فرس أقل نباتاً من فرس الأطفال الأحرار ، إذ أن من الأسهل دائماً أن يشتري الإنسان عبداً ، بدلا من القيام على تربيته ، كما وضع ذلك كيرنس ( Cairnes ) في ( Slave - power ، ص ١٢١ وما بعدها ) . أنظر لاجزينوفون ، Oec. ، ٩ ، — ٥ ثم [ أرسطو ] ، Oec. ، ١٣٤٤ ب ١٧ . وكلا السكتين يؤيد وجوب السماح للعبيد بإنجاب الأطفال مكافأة لهم ، وتشجيعاً على سلوكهم الطيب . ( أنظر التذييل ) .

يؤثرا في الحالة العامة . وإن روحا من الشدة ، بل من القسوة لتسود الحياة كلها في اليونان ، كما في جامعة داخلية حديثة . فالصحة السليمة والقوة الجسدية تحيط بنا سواء في الأحياء أو د الرخام ، . د بينما يبدو أنه لم يكن للعواطف الرقيقة وجود إلى حد ما ، لا مجرد السكون والحنو اللذان في غرفة المريض ، ولكن مراعاة شعور الغير والمشاركة الوجدانية اليومية للذين هما النتيجة الطبيعية للاختلاط الدائم بين القوي والضعيف . وقد اعتدنا أن نعد أفرادا كما كان يفعل كل يوناني ، على أساس المحاربين منهم ، مغفلين باقي السكان من شيوخ ونساء وأطفال ، باعتبار أن لافائدة منهم . فقد رأى إخصائيو المدينة في الإحصاء أن المجتمع كما نعرفه ، إنما واضح للغاية ، أنه يقوم على القوة قبل كل شيء ، فإذا يمكن أن يفعل هذا الجمع الذي لا فائدة منه ، عندما يكون العدو على الأبواب ، كما قد يحدث في أى فصل من فصول السنة ؟ ويقول توكيدس : « إن المدينة قوامها الرجال ، لا أسوار وسفن لم تزود بهم ، ويمكننا أن نضيف إلى قوله معبرين عن أفكاره التي لم يعبر هو عنها : وليس عماد للمدينة النساء أيضا ، فأى فائدة منهن في مثل هذه الأزمات ، إلا القليل منهن للقيام بطهى الطعام ؟ (١) »

هكذا كانت الدنيا التي يولد فيها الطفل اليوناني ، والتي من أجلها كان على الأبوين تقرير صلاحيته لها بقلق زائد . فهل نعجب إذن أن تكون فرص البقاء للولد أكثر منها للبنت ؟ فإذا كان للاختيار من نتيجة مهما كانت ضيقة المدى ، فالنتيجة التي لا مفر منها أنه رجح إلى جانب واحد ، التوازن

(١) أيزوقراط ، ٩ — ٧٢ ثم توكيدس ، ٧ — ٧٧ — ٧ و ٢ — ٧٨ — ٠٣  
لما رحل ، « جمهور » غير المحاربين « الذين لا جدوى منهم » ، من بلاتيا ( Plataea )  
قبل الحصار ، تركت ١١٠ امرأة ليقمن بإعداد الطعام لأربعمائة من الرجال . أما فيما يخص  
المقارنة بين المدينة اليونانية والجامعة الحديثة الداخلية فانظر الفقرة البديعة في ليفنجستون  
(Livingstone) في مؤلفه ، The Greek Genius and its Meaning to Us (١٩١٢) ،  
س ١٣٧ . إلا أن أكسفورد وكبردج ليستا إلا مدرستين نهائيتين يعد فيهما الشباب للحياة  
وليستا الحياة نفسها ، كالمدينة اليونانية . إن النظام الجامعي الحقيقي لا يزال في دور التكوين .



الطبيعي بين تعداد الجنسين ويمكن كما نعلم اليوم ، في انحراف الميزان بفعل تأثير مستمر ثابت ، مهما يكن طفيفا ، نتائج خطيرة اجتماعية وخلقية . فالتتبعها في اليونان القديمة لأنها تمت إلى موضوعنا بسبب قريب (١) .

يتضح مما لدينا من الأدلة ، أن عدد البنين في المدينة اليونانية العادية ، كان دائما أكبر من عدد البنات من سكانها المواطنين . وكان عدد الرجال الذين في سن الزواج دائما — أو تقريبا — أكثر من عدد البنات اللاتي في هذه السن ، إلا عقب الحروب الطاحنة . وبعبارة أخرى كان عدد الأزواج أكثر من اللازم . وعلى ذلك فالبنات كن يربين على أمل حق في الزواج ، وأغلبهن تزوجن فعلا ، وإن أردت الحق كن يتزوجن في سن مبكرة جدا . فسن الخامسة عشرة لم تكن إلا استثناء مألوفة . وفي الحقيقة إن قليلا جداً من بنات المواطنين يبقين دون زواج . فأتيجون وكذا إليكترا التي يعنى اسمها العانس ، يجعلنا نحس مأساة الوحدة للمرأة المستقلة في نظر رجل أثيني صادق مثل سوفوكليس . وفي الحقيقة لم يكن لمن قط أى استقلال فعلى . إذ لاغراض قانونية ظلت المرأة في أثينا ، على أية حال ، في حماية الرجل . وإذا تكلمنا من الوجهة العملية فلم يكن للمرأة المواطنة غير الزواج . ولنبحث النتائج الاجتماعية التي تنجم عن مثل هذه الحقيقة البسيطة ، على أسلوب وطابع الحياة اليونانية الخاص (٢) .

ونساء عالم الدولة المدينة ، كالرجال ، لم يعرفن شيئاً عما هن ، وإنما عرفن فقط ما عليهن ، وقبلن بالرضى والانشراح الواجبات التي فرضتها المدينة عليهن . وأول هذه الواجبات وأعظمها ، الإبقاء على الأسرة ، بإنجاب الأطفال لخدمة الدولة . فالرجال يخرجون للعمل والحرب ، ليخلفوا

---

(١) أتأخذ ثلاث عائلات يونانية عادية تصادف أننا نعرف شيئاً عنها . كيمون وبركليس . وسقراط جميعهم أتجبوا ثلاثة ذكور ، وواضح أنهم لم ينجبوا بنانا .

(٢) كانت إليپينيس ( Elpinice ) أخت كيمون تعتبر مثلاً لطبقة النساء المواطنات ، اللواتي اشتهرن بتفكيرهن المستقل . ومع ذلك فهي لم تظل بدون زواج ، ولكنها تزوجت فقط استثناء في سن متأخرة . فسن الرابعة عشرة هي السن المعتادة التي فيها يتزوج البنات في الأقاليم اليونانية في عصرنا هذا .

الثروات المادية للبدينة ، ويدافعوا عنها ومن أجلها . أما النساء فيقيمون في المنزل يخلقون ويرعين أندر وأصدق مصدر للثروة . وكن يلقين كل عناية ومحافظه عليهن ، في حى البيت الأمين الوداع . وكن يحطن بالرعاية كأمين الممتلكات حتى لا يسهن أى تأثير من العالم الخارجى . ولكننا عندما يأخذنا الضحك من الزوج اليونانى وتشدهه في مطالبة زوجته بالسلوك اللائق بحق الزوجية ، فإننا ننسى أحياناً ما كان عليه يجتمع الرجال الذى عاش فيه ، من طيش واستهتار وسرعة انفعال . حيث لم يتعلم الرجل بعد ضبط نفسه ومقاومة طيشه الطبيعى ، ينبغى ألا ننتظر منه أن يعطى زوجته مسئوليات الحرية . فالزوجات والأمهات اليونانيات عشن في منازلهن الصغيرة هادئات منعزلات . ولم يتحدثن إلينا خلال تلك العصور لأنهن لم يكن على علم بالبيان ولا دراية لهن بالقلم . إلا أن الشعراء والفنانيين تكلموا عنهن . ولندع واحداً ممن فهموا رسالتن يحدثنا عنهن .

يقول فيلاموفيتز ، إن يوم عرس الفتاة اليونانية كان في الحقيقة أكبر عيد لها في حياتها . فهي تزوج في سن مبكرة جدا حتى أن المشاعر التى تحرك اليوم الفتاة عند تعميدها ، بما أنها طبيعية وعن حق ، كانت تجتمع بتلك التى تصحب الزواج . لقد انتهى وقت الحرية واللعب . فتحضر دميتهما وكرتها إلى آرتميس ( Artemis ) التى كانت ترعى طفولتها . إنها تواجه الآن عهد جد وعمل وإنكار للذات . فتنقل من منزل آباتها ومعها خادمة أمينة مخصصة لتقوم بتدريبها ، بينما تنحل سائر الروابط الأخرى . فلن تصنع إلا كليل بعد ذلك للذبح أمام البيت القديم ، ولن تحمل أبداً القرابين لأجدادها ، إلى المقابر عند ظهور الهلال الجديد ، وإن ترقص بعد الآن مع أنرابها ، أو تحمل سلة الآلهة في الموكب الكبير ، بل ستكون تحت رعاية آلهة أخرى من آلهة المنزل ، وستحمل القرابين إلى قبور أخرى . وستقبل إلى آرتميس لالهوا ، وإنما في ألم مرير ، وستجالس في عقر البيت كما كانت تجلس أمها . الطيبة تدير بحملة العمل وتأمّر الخادومات ، تعمل وتدير ، وتهب في المساء .

ملأى بالسرور والرغبة في العمل ، تستقبل زوجها وسيدها عندما يعود،<sup>(١)</sup> والذين يدرسون الحياة اليونانية كثيرأما يعجبون ، لا سيما في هذه الأيام الأخيرة ، لماذا عندما كان العالم من حولهم يحيش بالتعبير الذاتي ، بقيت المرأة وحدها في عصر اليونان الزاهر في عزلة بعيدة عن الحياة الجديدة ؟ لهذا هنا جواب واحد على الأقل . ففي تراث أثينا ما هو قديم وآخر حديث . ويقوم الكثير من عظمها كما رأينا عند دراستنا حقوق المواطنين على تبجيل وتعزير بعضا من قواها الاجتماعية المسرفة في المحافظة ، ومن بين هذه الأشياء كان للزوجة والام ، زميلة الرجل في بيته ، وشريكته في الاضطلاع بشئون الأسرة أو في نصيب . فأثينا كانت تقدر زوجاتها وأمهاها وتعظمهن كما نرى ذلك في مئات الدلائل . وهي تكرم وتقدر فيهن الصفات نفسها التي تسكرمها وتقدرها في الرجال ، مثل ضبط النفس والإيثار والشجاعة والدمائة . وإنا لنستطيع أيضاً أن نجلهن أكثر من الإشفاق عليهن . فإذا ما نأينا بأنفسنا عن تطاحن الصراع الاجتماعي اليوم ، ورجعنا إلى الأم والزوجة اليونانية كما صورت لنا بين المناظر التي تصور حياتها اليومية ، على شواهد المقابر والأواني ، شعرنا بالفطرة نحن الحديثين ، إنه ولو أن هذه الأشخاص الوقورة الرقيقة ، كان ينقصها المعرفة والحرية وبعض عناصر الكرامة الإنسانية ، إلا أنهم كن مع ذلك نفوساً رقيقة نبيلة جدرة بمدينتهن وجنسنهن .

وإذا كنا مخلصين لأنفسنا وللدلائل ، نحس أنه لا يزال أمامنا الكثير ليقال . فرجال أثينا قد أدوا أعمالهم وكانوا سعداء راضين ما دامت المدينة مزدهرة سعيدة ، وكذلك قامت نساء أثينا بأعمالهن أيضاً . ولكن عملهن يجعلهن سعيدات تماما ، لأنهن شعرن شعورا غامضاً غير واضح في البداية ، ثم سرعان ما تبين بعد ذلك بجلاء ، أن ليس في عملهن هذا حرية كاملة .

(١) فيلاموثيتز ، Hippolytus ، ( الترجمة ) صفحات ١٠ - ١١ . ثم أنظر أرسطو ،

Lys. ، ص ٦٤١ وما بعدها .

فهذه الخدمة لا ترضى كل أما نهن وغرائهن الطبيعية . ولذا ، وكما رأينا ، بينما كانت سنو عظيمة أثينا أسعد فترات رجالها في كل تاريخ العالم ، كانت النساء اللواتي يعملن بجانبهن غير مستقرات ومبيلات الفسك . كان هناك خطأ ما . ولكن لاهن ، ولا الرجال ، أمكنهم أن يضعوا أيديهم على موطن العلة . وقد كتب أحد الباحثين الأذكياء اللامعين الدارسين للحياة اليونانية يقول ، « في كل نقطة يمكن أن نختبرها ونفحصها ، كان الرأى فى اليونان غير مستقر بالنسبة لمركز المرأة الصحيح فى مجتمع متمدين . . . ولسنا بحاجة إلى أرسطو فانيز ليؤكد لنا بأحدث فكاهاته صدق هذا الحكم على أثينا فى القرن الخامس . فهو مكتوب بشكل واضح للجميع ، فى كل مؤلفات يوربيدس من « هيبوليتوس » ، « دهر قليداى » ، إلى الاستفزاز الثورى فى « باخاى » . فالنساء كن يشعرن أنهن أيضاً نفوس يونانية حرة . فهن أيضاً خدمن المدينة وأعطينها الرجال الذين كانت فى حاجة إليهم . وهن أيضاً يبذلن عند الضرورة أرواحهن فى سبيل المدينة . وقد سئمن سماح القصة التقليدية عن ضعف المرأة ومر كزها الثانوى . وكن مغيظات حانقات من أنهن حبيسات المنازل كأفراد أقل قيمة من الرجال ، بعيدات عن أروع نواحي الحياة فى المدينة . فلسن بعيدات ، فقط عن النشاط فى الأعمال العامة ، ولكنهن بعيدات كذلك عن مجال المرح والثقافة ، وعن موسيقى المدينة وشعرها ومناقشاتهما . وفى الربع الأخير من القرن الخامس شهدت أثينا بداية حركة تحرير المرأة التى باستحواذها على قلب أفلاطون أكبر المحافظين ، تركت أثرا لا يفنى فى أدب العالم . ومع ذلك فإن يوربيدس ، لا أفلاطون ، هو الذى كان أصدق مشاعرا ، وأكثر المفكرين إخلاصا لقضيتهن . فلنسمع إلى صيحة الحرب من نساته المتألمات ، تلك الصيحة التى تقع فى الأذان الحديثة التى اعتادت مثل هذا النشاز ، فتهزها ذكريات غريبة عن الماضى .

تراجع الأمواج على النهر الدائم الجريان :

الحياة ، الحياة تغيرت وقوانينها وطئت ،

سيغدو الرجل هو الخاضع ، الجزع ، الكائن الضعيف ا  
لقد نسى الرجل الإله .  
والمرأة ، نعم المرأة ستكون في التاريخ مرهوبة :  
والقصص ، أراه أيضاً ، مخالفا لما كان عليه في ماضى الأزمان .  
فثم خوف من المرأة ، و ثم مجد ونفار ،  
لن تنالها أصوات الحقد البغيضة بعد لليوم ا  
سيصمت الشعراء القدماء ، وما بقي من ذكراهم  
في تلك العرائس الواهنة الجاحدة ، سينضب ، كما لو تآنى  
عليها النيران .  
إنهم لم يحبونا ، ولم يعرفونا ، فكانت شفاهنا صماء ،  
وأصابعنا  
لم تقو على استئثاره سر القيثارة .  
وإلا ، فيأيها الإله المغنى ، لقد تغنيت وسط العواصف  
بقصة طويلة عن الرجل وأعماله ، عن حسناته وأخطائه .  
ولسكن العالم القديم يعلم — فهي حديثه عبر العصور —  
أخطاء الرجل وأخطائنا : إنه يعلم وما زال يعلم .<sup>(١)</sup>

(١) Medea ، ص ٤١٠ وما بعدها ، ( ترجمة موري ) . مايرز ، Anthropology and the Classics ، ص ١٥٤ ، أنظر أيضا برونز ( Bruns ) في مؤلفه Fraueneman — cipation in Athen ، ( كيل ، ١٩٠٠ ) ، وقد أعيد طبعه في Reden und Vorträge لنفس المؤلف، وفيلاموثيتز ، هيرميس ( Hermes ) ، الجزء ٣٥ ، ص ٤٨٠ وقد أجمعوا على إظهار كم يبدو تفكير القرن الخامس الفلسفي جامدا من خلال هزليات أرسطوفانيز ومقالات أفلاطون عن المرأة . أنظر Medea ، ٢٥٠ ، فيما يخص مناقشة أن المرأة لا يمكن أن تموت من أجل وطنها ، الذي كان يجب أن تمنحه كل جهودها . فالنساء كن يدخلن المسرح حيث يجلسن كما يقول براوننج كل على شاكته « فالطيبات مع الطيبات ، والمرحات مع المرحات » ، ولكن ليس من الضروري أن يصطهبهن أزواجهن أو حراسهن . أنظر الشراح لأرسطو فيما يختص بالإكليريا ٢٢ ( قد وضع روثرفورد ( Rutherford ) مع ذلك جزءا منها بين قوسين : تاريخ القرار المذكور غير معروف ) ، ثم Balaustion's Adventures ، وهي صحيحة من حيث موضعها العام صحتها في تفاسيلها . وبالطبع كان النساء أيضا يشتركن في الاحتفالات العامة ، والدليل على ذلك رسوم لإفريز البارثنون . وعن المشكلة العامة أنظر أيضا كتاب الرئيس دونالدسون ، Woman : her position and influence in Ancient Greece ad Rome and among the early Christians (١٩٠٧) وبه مراجع .

لقد انتقلنا بعض الوقت من عالم القرن السادس إلى أواخر القرن الخامس،  
أى من دولة المدينة العادية إلى عصر الامبراطورية الاثينية . ولكن هذا  
الاستطراد كان ضروريا لموضوعنا ، لأن عدم الاستقرار الذى كنا نتكلم  
عنه ، كان النتيجة الطبيعية لأسباب كانت تعمل فى صمت فى مجتمع الجيل السابق .  
فما هى تلك الأسباب ؟ ما الذى جعل نساء القرن الخامس هؤلاء حاققات  
كل هذا الحقد ؟ فهن لم يرهقن أو يكددن بالأعمال ، ولم يذقن مرارة تأثير  
الصناعة . فن هم إذن سادتهن الذين يرهقونهن ؟ وما هى تلك الأصوات  
القاسية الغاضبة ، التى يتكلمن عنها ؟ لنترجع إلى المراثية ، فسيعطينا بركليس  
الجواب ، لأنه قد بين الروح التى كن يحاربها فى شكلها الكلاسيكى بقوله :  
« فإذا كان لى أن أقول كلمة أيضا لأولئك اللاتي تملن ، عن حقوق وواجبات  
النساء ، فسأضع نصيحتى فى جملة واحدة مختصرة . سيكون مجدكن عظيما إذالم  
تقلن من مزاي كن الطبيعية ، فأعظمكن فخر أنلك التى ستكون سيرتها من مدح  
وذم أقل جريا على أسنة الرجال ، فهذه الكلمات نفسها مؤلمة للمرأة ذات  
النفس الحساسة والعقل . ولكن إذا أردنا أن نحس كل قوتها فيجب أن  
نذكر الوقائع التى يقررها المتكلم . فالرجل الذى نادى بهذا المذهب بين  
شعب أثينا المجتمع ، كان فى ذلك الوقت عشيق أسبازيا المعروف ، وكانت  
أسبازيا من أمهر وأذكى نساء المجتمع الاثينى وأشهرهن ، وهى المرأة التى لم  
تكن موضع ثقة رجال السياسة وخدم ، بل والفلاسفة كذلك . فكيف  
جاءت إذن هذه الكلمات على شفتى عشيقها ؟ وكيف حدث هذا التفاوت  
الغريب بين كلامه وفعله ؟ هذا هو السؤال الذى علينا الآن أن نحاول له  
جوابا . (١)

وتفسير ذلك أنه كان فى أثينا فى عهد بركليس نوعان من النساء الأحرار .

---

(١) توكيدبندس ، ٢ — ٤٥ — ٢ . فيما يخص أسبازيا ومركزها فى المجتمع بصفتها  
امرأة مفكرة ، أنظر ماير ، Forschungen ، الجزء الثانى ، س ٥٥ — ٥٦ ( الذى يعارض  
فيلاموفيتز ، A. A. ، الجزء الثانى ، س ٩٩ ) ، ثم لاجزبنوفون ، Mem. ، ٢ — ٦ — ٣٦ .

أحدها النساء اللواتي وجه إليهن بركليس كلامه ، وهن أزواج المواطنين وأمهاتهم ، والآخر النساء الأجنبية المولد مثل أسباريا المطلية ، ووضعن في وضع مختلف كل الاختلاف . وقد كان هذا التقسيم في دور التكوين، طيلة العصر الذي نحن بصدده : ويرجع أصله إلى هجرة الغرباء غير المقيدين بالمدينة ، التي كانت نتيجة حتمية لتحسن طرق المواصلات وزيادة التجارة . وقابلتهم أثينا في أول الأمر بصدر رحب ، رجالا ونساء ، لأنها كانت تقدرهم كجار بين وعمال ، فمنحت الرجال امتيازات عظيمة ، كما رأينا ، وكانت سياسة طبيعية أن تعطى النساء حقوقا كاملة كذلك للدخول في حياة المدينة . ولما كان الكثيرات منهن قد جئن من أيونيا ، حيث الحياة أكثر حرية ، فقد أحدثن أثرا في المجتمع الأثيني . وقد استغل بعض التقدميين منهم ما لهم من حرية الاختيار ، واتخذوا زوجات أيونيات ويقول ماير : « كان هذا الزواج أمرا عاديا بين العائلات النبيلة بنوع خاص . فكثير من أبرز الشخصيات الأثينية ، مثل كليستينز وثيميستوكليز وكيمون وأبناؤه من زوجته الأولى ، كانوا أبناء أمهات أجنبيات . فأثينا كانت تتقدم بخطى واسعة نحو فكرة عن المجتمع والمواطنين ، تحطمت بها كل التقاليد القديمة التي كانت سائدة في حياة دولة المدينة . وهي وقد قبلت الأجانب في الكورة وفي المدينة ، قبلت الآن الأجنبيات حتى في أضيق دائرة في الحياة العائلية الخاصة (١) .

ولكن هنا صاح الشعب أن قفوا ، لأنهم لم يكونوا قد استعدوا بعد لهذا التحرر الذي لا يعدو أن يكون انتهاكا لحرمة المقدسات القديمة في الحياة القبلية . فاتخذ زوجة أجنبية بدأكفرا ، وخر وجاخطر أعلى التقاليد . وفي عام ٤٥١ وجد هذا الاعتقاد الغامض منفذا وبجلا ليعبر عن نفسه .

(١) ماير ، الجزء الرابع ، الفقرة ٣٩٢ . أنظر فيلاموثيتز ، Staat und Ges. ، ص ٤٠ ، العليمة الثانية ، ص ٤١ ، فيما يخص كم كان اليونان بطيبين في الأخذ بأن يكون الزواج ( conubium ) بعد العاشرة ( commercium ) .

فقد سن قانون ينص على أن الأطفال الذين يولدون بعد هذا التاريخ لا يستحق منهم حقوق المدينة ، غير الأطفال الذين من أباء أثينيين ، وأمهات أثينيات أيضاً . وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ ، عندما أهدى أحد الأحكام الأجانب كميات كبيرة من القمح إلى الشعب الأثيني ، جعل لهذا القانون أثراً رجعياً ، وشطب أسماء كثير من المواطنين . ولم يكن أثر ذلك الإجراء على هؤلاء الذين ينطبق عليهم ذابال . فقد ظل من ولد من زواج مختلط عضواً في الكورة ، كما كان يخدم كأجنبي في الجيش والأسطول ، ويتمتع بكامل الحرية في المجتمع الأثيني ، ولكن آثاره على المرأة الأجنبية كان كارثة لاعلاج لها . فقد أصبحت منفصلة تماماً عن أخوتها الأثينيات ، مقصية عن مكانها الكريم في البيت اليوناني ، وانحطت إلى ما نسميه على التحديد محظية . وهكذا عافت عقلية الديمقراطية الأثينية الحرة ، بنزوة شاذة من تلك النزوات العمياء التي قد تصاب بها شعوب عظيمة ، تقدم حركة قوية نحو تقوية روابط المدينة ، وإقامتها على أساس أوسع وأفضل ، وهي نفس الديمقراطية التي في نزوة جامدة كهذه ، ودفاعاً عن الأمور المقدسة عينها ، أودت بسقراط إلى الموت (١) .

(١) Ath. Pol. ، ٢٦ — ٣ ؛ ثم بلوتارخوس ، الفرس ، ٣٧ . فيما يخص معالجة وافية دقيقة للموضوع كله أنظر مولر في Untersuchungen zur Geschichte des attischen Bürger-und Eherechts ، الملحق ، ٢٥ ، Fleckeisen's Jahrbücher ، ١٨٩٩ ، حيث يبرز المؤلف الشعور الديني الذي أثارته هذه المواضيع ، وهو ما يمكن تتبعه « كالخيط الأحمر » ، في كل التعديلات التي أدخلت على القانون الأثيني المتصل بهذا الموضوع (ص ٧٤٢) : فلم يكن مجرد العزلة السياسية ( كما قيل عادة ) ، بل الشعور الديني كذلك هو المسئول عن تحديد حقوق المواطنين عام ٤٥١ . لقد أدى القانون إلى الاعتراف « بزواج شرعي ثانٍ معترف به بين الرجل والمرأة » سباه مولر (ص ٧١٠) « الزواج الأعسر » . فزوجة « اليد اليسرى » تقف في الوسط من حيث الاعتبار الاجتماعي بين γυνή أو أم المواطنين ، والشريكه ἑταίρα ، ولكن القانون القديم قد اعترف فقط بنوعين من النساء اللاتي يمكن للرجل معاشرتهن هما الزوجات والحليات (παλλακαί) ، وهكذا عرفت « زوجة اليد اليسرى » بالاسم الغير معتبر تماماً « خلية لإنجاب أبناء أحرار » ( = παλλακῆ ἢν ἄν ἐπ' ἐλευθέροις )



وهنا عند هذا الحاجز العظيم ، الذى يفصل بين قسمين من النساء ، والذى زاده قوة ودواماً قرار عام ٤٥١ ، وصلنا إلى سبب من أقوى الأسباب لعدم الاستقرار الذى كنا نتكلم عنه . فكل من هذين القسمين يحتاج إلى الآخر ليستمد منه القوة والشجاعة والزمانة ، وذلك العون الذى يأتى من اختلاف التجارب ، واتحاد الطبائع المتباينة . فقد جر التفريق بينهما ، الذى دفع إليه عادة قاسية ، ابتدعها الرجال أو أيدها على الأقل ، تعاسة الفريقيين لأنه ذهب باحترامهما الذاتى .

فكيف تسقى للديمقراطية أن تحافظ على مثل هذا الحد الفاصل ؟ وما الذى فصل هاتين المجموعتين بعضهما عن بعض ، لا من الناحية القانونية فقط ، ولكن من الناحية الواقعية أيضاً ؟ وهنا نرجع مرة أخرى إلى النقطة التى ابتدأنا منها . وعلى أية حال ، فإن أحد أجوبة هذا السؤال اقتصادى . فيما أن النساء المواطنات كن أقل عدداً من الرجال ، فنادراً ما اضطرت إحداهن لكسب عيشها معتمدة على نفسها . والقليلا التى فعلن ذلك كان معظمهن أرامل . ولم تكن المرأة الأثينية فى حاجة إلى استقلال اقتصادى ، والنضال من أجل الاستقلال الاقتصادى ، كما نعلم ، هو غالباً الحافز إلى مطالب أكبر .

---

παισιν ἔχῃ = التى تزوجها بركليس بعد عام ٤٥١ ، كانت « زوجة ثانية » من هذا النوع (مولار ، ص ٨١٤ ، ٨٢٣) . وقد خفف الحزب الأوليجارشى هذا القانون عام ٤١١ ، وهو الحزب الذى كان يشابع الزواج المختلط . وهذا تفسير لإشارة الضفادع ، ٤١٨ (عام ٤٠٥) إلى المواطن البالغ سبع سنوات الذى لم « يبلغ مرتبة الأخوة » بعد . فارت هذا بالطيور ، ١٦٤٩ وما بعدها (عام ٤١٤) . وقد أعيد العمل بهذا القانون مرة أخرى عام ٤٠٣ ، أعاده الزعماء الشهبون أنفسهم الذين أعدموا سقراط . فيما يخص القداسة التى استقبلت عنها المرأة الأجنبية أنظر ديموستينيز ، ٥٩ — ٧٣ . وبعد الحلة الصقلية ، عندما تناقص عدد المواطنين ، حتى أن البنات اللاتى فى سن الزواج لم يجدن أزواجا ، سن قانون يبيح الزواج للزوجة . وقد تزوج سقراط زوجة ثانية بهذه الطريقة ، ومن المحتمل أن ذلك كان إلى حد بعيد لإغاظه Xanthippe . وقد كانت أرملة معدمة ، وابنة مواطن كامل بدعى ميرتو وحفيصة أرسطيدس ( . مولار ، ٧٩٥ ، أنظر Diog. Laert. ، ٢ — ٢٦ ، Athen ، ١٣ — ٢ ، س ٥٥٥ ) . ويقال أن يوربيدس قد فعل نفس الشئ . أنظر أيضا دونالدسن ص ٢١٣ .

ولما كانت الزوجة أو الأم الأثينية آمنة اقتصادياً ، فقد ظلت منعزلة لاصلة لها بأخواتها الأجنبيات المولد . وفي مجال الرجال ، كون المواطنين والأجانب مع خدامهم وتلاميذهم في الصناعة ووحدة اجتماعية متصادمة متجانسة . أما بالنسبة للنساء فلم يكن الأمر كذلك ، لأن حياتهن ونشاطهن كانا منفصلين بعضهما عن بعض ، وبذلك سارا في اتجاهين مختلفين ، ربة البيت تحت وصاية الزوج ، أو أى رجل آخر قوام عليها ، والمرأة العاملة المعتمدة على نفسها ولها دولها ، كما يحتم القانون الأثيني ، ولكنها تحتفظ به لمناسبات خاصة ، كما نعمل نحن مع المحامين (١) .

ومن مجموعة نصوص أثينية ترجع للقرن الرابع أهداها بعض المعتقين والمعتقات ، نعرف بعض المهن التي احترفتها هؤلاء النساء العاهلات . فثلاث وثلاثين امرأة محررة على الأقل و صفن بأنهن دعاملات نسيج الصوف ، وهو وصف يعنى أعمال تحضير الصوف وغزله ونسجه . وهى عمليات تجرى

(١) فيما يخص حراس النساء « التوك ، أنظر الضفادع ٥٦٩ — ٥٧٠ ، ثم فيلاموثيز ، Hermes ، الجزء ٢٢ ص ٢٢٣ . الأرامل : أرسطو ، نيمستوكليس ، ٤٤٦ ، والإلياذة أيضا ، ١٢ — ٤٣٣ . وفيما يخص النساء الوطنيات الأصل كعاملات ، أنظر ديموستينيز ، ٥٧ — ٣١ — ٣٥ ، حيث يمكن أن يرى المرء إلى أى حد كن شخصيات معروفة . وانظر أيضا إجزينوفون ، Mem. ، ٢ — ٧ ، خاصة فقرة ١٠ ( التي ذكرت في ص ٣١٩ فيما سبق ) ، حيث يذكر مواطننا أثينا قد انحدر إلى العوز ، لأنه كان يعول عددا من النساء من أقاربه ولم يخطر له مطلقا أن يدفعهن إلى عمل نافع كما يفعل الإماء ليدفنن قيمة إعانتهم . فإرن نفس هذه الفكرة البعيدة عن اللياقة عند الزراع الأمريكين . « لقد تملك المزارع خوف حقيقى عند ما سمع عن تشغيل الإماء في الولايات الشمالية لأغراض نافلة . انحدر توماس دابني إلى الفقر المدقع في أخريات أيامه ، لإصراره على أن يدفع ديونا تسببت عن سوء نية آخر . إن هذه الصورة الموقرة لبطولة هذا الرجل المجزوبناته ، بتخليهم عن راحة الحياة كما تركتهم الحرب ، لتوضح أنه مازال باقيا بعضا من الروم ( وتقول ابنته ) إن طبيعة الشهامة في أيها كانت تنفر لمرأى امرأة تعمل عملا مضنيا ، ولم يكن ليقوى على تحمل معرفة أن بناته قد وقفن على حوض النسيل . ولذا فقد كان يغسل الملابس بنفسه . وقد أبدأ ذلك وهو في نهاية السبعين من عمره . لقد صنع العقل البشرى صياغة مجيبة ، حتى أن من استخدم النساء راضيا طول حياته في حرت قطنه دون مقابل — لا يستطيع أن يحتمل انهيار سيده » . ( بوتنام ، The Lady ، ٣٢١ ) .

كلها في بيوتهن ، وطائفة أخرى توصف بأنهن نساء سوق أو بائعات تجزئة ، بل كان هناك أيضاً امرأة إسكافية . ولكن أهم وأشهر عمل أمام المرأة الأجنبية المولد في مدينة يونانية ، هو أن تكون ما عرف باسم « الخليعة » . فإن أولئك اللاتي كان يلقاهن الثمان الأثنيين في الاجتماعات الجامعة للجنسين كن خليات لا بنات حريات بالزواج ، وربما كن يلازم بعضهن من أرقى وأشهر رجال العصر . وكن يكسبن عيشهن من الاشتراك في إنجاح هذه الاجتماعات المحرمة بشدة على النساء الأثنيات المولد . ويقول ديموستينيز ، واضعاً حداً فاصلاً لا يرتقى إليه أدنى لبس : « عندنا ريفيات من أجل اللذة ، ولنا زوجات لتلد لنا أبناء شرعيين ، وليكن حارسات أمينات على منازلنا . وإذا أقننا أنفسنا قضاء نحكم على تلك المهنة التي تكسب العيش ببذل « اللذة » ، فيجب علينا أن نستعمل تفكيرنا وشفقتنا معاً . فأفراد هذه المهنة كن صانعات السرور والمرفهات في دنياهن الصغيرة . والصفات التي تتطلبها كانت اجتماعية بقدر ما هي جسمانية ، فأجوبتهن المفحمة ، ونكاتهن اللبقة ، التي تبدو فاترة إذا ما كتبت على الصفحات العديمة الحساسية ، كانت تذكر وتحفظ كمنكات مهرجى العصور الوسطى . وبالرغم من أن أثينا خلت من شكسبير يساعداً على تفهمهن ، إلا أنهن لا بد وأن شعرن بأنهن وحيدات كسيرات القلب شأن « المهرج » المسكين . فلو منجن تأييد إخوتهن المحجبات اللاتي لم يكن لهن إلا مراقبتهن من نوافذهن باشتياق ، في اختلاطن بالرجال في الشوارع والسوق ، لكان يمكن أن يضعن مسألة اختلاط الجنسين لأول مرة في التاريخ على أساس معقول ، ولحافظن على ذكرى أثينا من اللوم الذي لا يمكن أن نخليها منه (١) .

(١) ديموستينيز ، ٥٩ - ١٢٢ . ثم تودق ، British School Annual ، الجزء الثامن من ١٩٧ وما بعدها ( المرأة المحترفة ) . وكما يوضح ( Mahaffy ) Social Life in Greece ( ص ٢٨٤ ) فسافو لا تزال تستعمل الكلمة الأوثنة « رفيقة » بدون أى معنى خاص ( Fr. 10, Bergk ) . وقد انحط مدلول هذه الكلمة إلى ما انحطت إليه الكلمة الإنجليزية « mistress » . فيما يخص سيرة رفيقة نموذجية ، أنظر هيرودوت ، ٢ - ١٣٥ ، أما فيما يخص أخلاقهن فانظر إجزينوفون ، Mem. ، ٣ - ١١ والمحطاب الذي كتبه لإحداهن =

ولنرجع الآن مرة أخرى إلى الجزء الأساسى لمناقشتنا الاقتصادية . لقد كان هناك عامل آخر غير مباشر حال دون تزايد السكان ، ذلك هو إعراض الرجال عن الزواج المبكر نسبياً . فالموطن الأثينى لا يتزوج في المعتاد حتى

= إلى ديمتريوس بوليوركينيس ونشره فيلاموفيتز مع ترجمة ألمانية ، في هيرمس الجزء ٤٩ ، ص ٤٦٨ . وهذا الخطاب يحمل طابع القرن الثالث لا الخامس ، ولكنه أقرب الخطابات التي يمكن أن نحصل عليها لهذا العصر . وفيما يخص أمثلة عن ذكائهم ، أنظر Athenaeus ، ١٣ . وكما في كل الحرف كان يذمهم بالطبع ، الحسن والرديء المحترم والمقبر ، ولكن يجب أن نكون حذرين كما كان اليونان ، فلانعاملهم معاملة واحدة ، أو أن نخطئ بين أثينا في القرن الخامس ومدينة أنطاكيا والإسكندرية ، حتى ولا بين وسط لا يمثل اليونان حتى التمثيل ، مثل كورنت . فليس في أثينا مثلاً إملاء العابد ، ويجب أن نضيف أن هذا الموضوع كله لم تعقده بعد مسألة انتشار الأمراض التناسلية . وتكون الجيشتات ( geishas ) في اليابان ، فئة تشبه « الخليلات » في اليونان القديمة ، وهي حرية بأن تساعدنا على إضفافهن . ومن الخطأ اعتبار يونان القرن الخامس ( كما يمثل إلى ذلك « اليونانيون » الحديثون ) ، « شهوانيين » . فملم يجروا وراء اللذة ، كما لم يكونوا نساء كما متقشفين . ولم يسروا عن أنفسهم أكثر من أن يفعلوا أو يحجموا عن الأشياء ، « بحسب ما تعلمه عليهم ضمائرهم » . هذه مواقف اضطرارية حساسة ، ولم يكن اليونان القداماء ينجلون لهذه المسائل . وليس على الإنسان إلا أن يرجع لهودودوت ليتأكد من ذلك . ولكنه من العسير أن يقرر الصفات الإيجابية التي تعادل هذه النواحي السلبية ، فاليونان كانوا أكثر حيوية مما نحن عليه ، فقد ملكوا ميزة الاندماج كلية في أي عمل يقومون به ، أو أي شيء أملته عليهم الطبيعة أو العادات الاجتماعية التي ترمى إلى إيجاد الانسجام . وعلى ذلك فبالرغم من أنهم « يطلقون الزمام لأنفسهم » أحياناً ويحدثون فسحة في نظمهم للمناحي الديونيزية الصاخبة ، فقد ظل Dionysus دائماً كما نراه في نقوش الأواني « مثلاً للسلوك الرفيع » رغم أتباعه الحسيدين . كذلك كان الميتاد ( Meanads ) . اقرأ Bacchae ، صفحة ٦٧٧ وما بعدها ، جاعلاً أمثلة من الفن ماثلة أمام عينيك ، مثل الميتادتين الجميلتين اللتين مثلنا على الآنية في Furtwängler وفي Reichhold ، الجزء الأول ، الشكل ٤٤ . ولم يكن وصف يوربيديس دعارة مكشوفة ، وإنما هو مراسم صباحية . أنظر « نيكته » وملاحظته الرائعة على هذا الموضوع ( Works ) ، الجزء ١٧ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ ) ، ثم تارن مورى في يوربيديس ص ٥٩ وما بعدها . إن الحياة تسير في المدينة بطيئة ، كما تسير في خطوات إفريز البارنتون ، بينما تسير سرية في الأرض الغراء والفياني ، ولكن في كلتا الحالتين يمثل « شعور الصباح الباكر » الذي هو بعيد كل البعد عن التورع ، بل هو عكسه . إن الإنسان يبدو وكأنه واقف على حافة ضيقة تشرف على واديين عميقين ، وذلك لا شك مركز خطر ، ولكنه « الحياة نفسها خطيرة » ، والجماعة مثل الإنسان ، لا بد من أن تخاطر . وعندما كان هذا الشعور على وشك الزوال من الحياة اليونانية ، كتب أرسطو ميلورا له في مذهبه الذي كان بعيداً عن الإيماء « الفضيلة وسط بين طرفين » .

يقارب الثلاثين ، أو حتى بعد هذه السن . وشجع على ذلك الرأى العام ، والمفكرون الذين يوجهونه ، وكان الأثر المباشر لانفصال الجنسين في صدر الشباب ، وإخراج المرأة من دائرة الأمور التي يهتم بها الشباب . فقد كانت المدينة اليونانية كالكلية الانجليزية عادة نادياً للرجال ، وكان من السهل ، بل وطبيعى ، على الرجل اليونانى أن يتخطى بداية منتصف عمره قبل أن يشعر بالحاجة إلى الارتباط الدائم بشيء آخر غير الزمالة في حياة النوادى . فمثل مثله العليا ، وكل أعماله في شبابه ، كان يتقاسمها مع زملائه الذكور . وكان من الطبيعى أن يتجه إليهم بما في طبيعته الآخذة في النمو من إخلاص وولاء . فأخيل وبازروكليس وأرستيس وبيلاوس وهارموديوس وأرسطوجيتون ، كانوا المثل التي يعجب بها ، والتي شجعه ، بل وحثه على الإعجاب بهم أبواه ورجال السياسة والشعراء . ومن أعظم ما خلفته لنا اليونان ، فكرتها السامية عن الصداقة العميقة لغرض نبيل . وتدعمت مثل هذه الروابط في ملاعبهم ، وفي الخدمة الحربية ، وغالباً ما تختتم بالموت في ميدان القتال . فهي صداقة فيها شهامة وقوة حصينة كالصداقة الحديثة التي تنشأ في مدارسنا الداخلية وجامعاتنا ، وتبقى مع تقلبات الحياة المتباينة ، وأحياناً تصنع التاريخ . فإذا ما أدهشنا أن نرى مثل هذه الصداقة هي التي اختارها أكبر فلاسفتهم ليحكيك حولها بحوثه عن الحب والجمال والخلود ، فيجب أن نتأكد أن تبجيلها إنما يرجع إلى الأحوال الاجتماعية ، حيث سادت مشاعر الرجال وما يحوز اهتمامهم سيادة طبيعية .

فإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن الجو الذي نمت فيه هذه الزمالة ، والذي عاش فيه الشباب اليونانى الخيالى وتحرك ، كما شعر بكليانه ، فلنرجع في الختام لحظة إلى الدولة المدينة في زمن الحرب ، لأننا إن لم نر المدينة في ظل هذه الحالة ، فلن نعرف إلا نصف مايجول في خاطرها . ويقول كاتب من أحسن كتابنا المفكرين الحديثين : « إذا بحث الإنسان ودرس بعناية ما في التماثيل

اليونانية من تعبير ، ووعى ما في الأدب اليوناني ، لرأى بوضوح أن مثل الحياة اليونانية الأعلى كان مثلاً عفيفاً نزيهاً ، هو اليوناني المدرب ، ذلك الرياضي المعتدل الضابط لنفسه ، بل الورع ، وذلك من أجل تحسين قواه . وحول هذه الفكرة اضطرت أرفع مشاعر اليونانيين . ، فن أجل أي شيء كان الرياضيون الذين تمثلهم التماثيل يدربون ؟ لا من أجل الآكليل والجوائز ، أو من أجل الشهرة ، بل من أجل أن يقوموا على أحسن وجه بخدمة المدينة وخدمة أصدقائهم . من أجل أن يذهبوا إلى الميدان مستعدين عن جدارة ، لبذل حياتهم في سبيلها<sup>(١)</sup> .

(١) تتسكون « فرقة طيبة المقدسة » كلاهما زملاء شديداً الصلة بعضهم ببعض : ولما تم جمع الموتى بعد موقعة خايرونيا (Chaeronea) ، قيل إنه لم يفقد من بينهم رجل واحد . ومع ذلك فإن الرأي في طيبة لم يكن متشدداً بالنسبة لروح هذه العلاقات كما علمنا . أنظر إجزينوفون ، Pol. Lac. ، ٢ — ١٢ إلى ١٤ ، ثم أفلاطون ، Symp. ، ١٨٢ ، والجمهورية ، ٤٦٨ ، وأيضاً الـ Charmides والـ Lysis . واسكن كل هذه الفقرات الرئيسية القديمة ، عن الصداقة اليونانية تتعلق بالقرن الرابع ، وعلى ذلك فهى مريحة بالنسبة لعصرنا . فيجب أن نتذكر هذا ، في أي حكم نكون بصدد إصداره على موقف اليونان ، إزاء الإسراف في العناصر الفيزيقية في مثل هذه الصداقة — « الحصان الأسود » في فيدروس (Phaedrus) لأفلاطون . إن الشعور الحديث الذي يعتبر هذه العلاقات مستنكرة وغير طبيعية ، كان بالنسبة لظروف الحياة في مجتمعهم ، لا وجود له مطلقاً في عقول اليونان . وما لا شك فيه أن هذا يرجع من جهة إلى عدم استطاعة اليونانيين أن يقابلوا بهذه العلاقات ، كما يمكننا نحن ، مثلاً أعلى آخر للمشاعر يختلف تماماً عن مثلهم ، ويمكن أن تتركز حوله أفضل عواطفهم . ولكنهم على أية حال ، لم يفكروا في القرن الخامس في أنفسهم كثيراً : فكانت عواطفهم غضة حساسة ، وكانت أيضاً خالية تماماً من كل خجل وارتباك . حتى لم يكن سهلاً عليهم أن يفصلوا بإحكام بين الجيد والردىء . إن الموضوع صعب ، وفي مثل هذه الحالات تتكون الأمثال غالباً من أضعف دليل . وسيجد القارئ في مؤلف هان (Hahn) : Albanesishe Studien (١٨٥٣) ص ١٦٦ ، على لسان شاب ألباني من الجيج (Gheg) لا يعرف شيئاً عن اليونان القديمة ، تقريراً عن جو عاطفي مماثل بين الجيج (Ghegs) في شمال ألبانيا . ففي هذا التقرير نجد التفاصيل ، وحتى الجمل في بعض الأحيان ، تشبه كل الشبه ماورد في أفلاطون وإجزينوفون ، والمشاعر الموصوفة قد قيل عنها بمقارنتها مقارنتها ساخرة مع شبيهاها التركية والألبانية الجنونية ، « إنها ناصعة كضوء الشمس » . أنظر أيضاً ص ١٤٧ — ١٥٠ حيث ذكرت مقطوعتان شقيقتان من أشعار الحب عند الجيج . فالجيج ، مثل اليونان في دائرة بندار ، لم يكن لديهم « أشعار الحب حول المرأة » . أنظر أيضاً فيلا موفيتز في Orestie ، =

لم تكن المدينة بطبيعة الحال في حرب مستمرة ، ولكنها كانت دائماً تتدرب استعداداً لها . لأن الحرب إذ ذاك لم تعد كما كانت ، مجرد وسيلة لإنتاج عن طريق النهب والسلب ، ولكنها اتخذت شكلاً طبيعياً من أشكال الخدمة العامة ، يدعى لها كل مواطن ، بل لقد كانت أكثر من ذلك . لقد أصبحت تقليداً رياضياً يستهوى الناس . ومن الصعب أن يتبين الإنسان هذه الأيام ، بعد ما أصبحت الحرب ترهق الأعصاب وتتعب الجسم ، بل فقدت معظم ما فيها من روعة واستثارة وكل مثيراتها الحيوانية ، من الصعب أن يتبين كم كانت رياضة بديعة في تلك الأيام التي فيها اعتبرها الرجال رياضتهم العظيمة ، بل الوحيدة . إن المدينة اليونانية ، كما ذكرنا تشبه تماماً مدرسة كبيرة ، أو كلية ، فيها الحرب وما يتصل بفنونها من تدريب ومباريات ، أهم ضروب الرياضة البدنية . فإذا ما اعتز شاب بجسده واحتفظ به قويا سليما ، إذا ما رمى الرمح في الاستاد ، وتسابق جريا عاريا ، أو في آتم سلاح ، وإذا ما خرج سائراً أشواطاً بعيدة في طريق صعب غير مهاد ، تحت وهج الشمس ، واستراح ليلا على جانب التل في العراء ، أو استلقى على فراش من القش يرقب القمر عندما يطلع على البحر ، بعد يوم قضاءه في تجديد مضن ، كل ذلك إنما كان ليعده نفسه لليوم العظيم ، الذي يحل في أي ربيع ، إذا ما نادته المدينة ممثلة في مجالسها ، أو في أصحاب السلطة فيها . وهكذا كان يعيش المواطن وأصحابه في جو المعسكرات ، تدور كل مناقشاتهم حول الحراب ، وأربطة الدروع وأرض المعسكر ، ومن أين يحضرون أكلهم وهم في التلوث المرتفعة ، أو عن مساند المجاديف والأماكن التي تربط منها السفينة ، والبثور وما إليها التي تنشأ من الخدمة في البحار . كما كانت تدور حول كيفية إنزال الخيل إلى المراكب ذات الثلاث طبقات بنزع المقاعد ، أو النزول إلى صخرة للعدو وإقامة حصن دون آلات ، وذلك بأن يحمل الناس الملائط

== ص ١٣٩ وما بعدها ، ثم Staat und Ges. ، ص ٩١ ، الطبعة الثانية ص ٩٥ ، وادوارد كاربنتر ، The Intermediate Sex ، ص ٦٨ (سبق ذكره) . (أنظر التذييل) .  
( م - ٢٧ الميعة اليونانية )

على ظهورهم المنحنية ، لافتقادهم الأحواض التي يحمل فيها هذا الملائط عادة .  
أو كيفية الإغارة الفجائية الخاطفة على ميناء العدو الرئيسي ، وذلك بالإبحار  
ليلاً مع الرياح ، وإشعال النار في أسواقها حتى يتساقط الأمر مع حمرة نور  
الفجر ، أو عملاً إذا كان من العدل والشرف ، ووفق أصوب تقاليد اللعب  
القديم ، أن يوقع العدو في شرك مستنقع أو أن يضعوا له كميناً في واد ضيق ،  
أو أن يستعينوا بكتيبة من رجال تراقيا المتوحشين ، لتعوضهم عن قلة  
عددهم . إن قراء العصر الحديث ليعجبون أحياناً من أن توكيديدس وإجزينوفون  
قد أغرقا بم تفاصيل القتال ، وقد يستامون أو يسخرون من تلك التفاصيل  
الصيانية ، التي عنى هاذان المؤرخان الوقوران بسردها ، وينبغي أن  
يتذكروا تلك المناقشات التي استمعوا إليها ، أو ربما اشتركوا فيها في غرف  
تدخينهم أو اجتماعاتهم ونواديمهم ، وتدور حول شتى ضروب اللعب والتسلية  
ثم ليسألوا كم منها يكون واضحاً مفهوماً ، مهما كان مكتوباً بأسلوب بديع ،  
لخلف يشغفه البحث والاستقصاء ، وأنجه إلى أنواع أخرى من التسلية .  
لقد كانت الحرب جزءاً طبيعياً من حياة المدينة اليونانية كالألعاب الرياضية  
عندنا اليوم . ولا شك أن هناك فوارق كبيرة من حيث الدرجة . فانت  
تجارب بأسلحة برنزية ، وتحتاج إلى درجة عالية من الشجاعة البدنية وضبط  
النفس ، وإذا خانك الحظ ربما تؤخذ أسيراً أو تقتل . وأنت بحاجة كذلك  
إلى جسارة للهجوم أو لمواجهة لاعب كرة سريع . وفي كلا الأمرين الغرض  
واحد وهو أن تلعب دورك ، وأن تعمل ما في وسعك لصالح فريقك .  
وإذا كان قتل الرجال لم يعد بعد رياضة ، فقتل الحيوان ما زال كذلك . (١)

---

(١) قارن أقوال توكيديدس عن محاصرة بلاتيا (٢ - ٧٥ إلى ٧٩) وسيراكوز ،  
وخاصة من الحركة الضروس التي انتهت بموت ٢١٢ + ٥٠ شخصاً (٤ - ٤٣ إلى ٤٤) ،  
وعن الآلة العجيبة في ديليوم ( Delium ) أيضاً ، (٤ - ١٠٠ - ٢) ، وكذلك ٤ -  
٤ ، ٢ - ٩٣ ، ثم إجزينوفون ، Hell. ، ٥ - ٤ - ٢٠ ، ثم أرسطو ، الفرسان ،  
٥٩٤ - ٦١٠ ، وتوكيديدس ٢ - ٥٦ - ٢ (النقل بالحصان) ، وأرسطو ، السلام  
(Peace) ، ٣٤٧ (الأسرة بجواب شاطئ البحر) ، ثم الضفادع ٢٢٢ ، ٢٣٦ (التأليل) .  
ومن هنا كنا نخطر دائماً عن «بيان» الحسائر (هيرودوت ٧ - ١٧٠ ، وتوكيديدس ، =



ما من عصر اعتبرت فيه الحرب أمراً شاذاً طلحة حياة الدولة المدينة .  
فالحرب القائمة أو حرب الأمس أو الغد هي الحال الطبيعية للمدينة اليونانية .  
وكما لاحظ هيرودوت الذى يعرف روح اليونانيين الرياضية ، لا بد وأن  
ترتبط الدول ببعضها برباط وثيق إذا ما أريد الدوام لانفقاتها ، وقد يكون  
من السهل تهدئة بعض الخلافات التى تنشب فى جو أقل سرعة للاشتعال ،  
أو حين تكون فرق الجيش بعيدة عن التدريب . وقد تحدث إغارة ليلا  
على المزارع الواقعة على الحدود لسرقة الماشية . فللماشية والغنم والخيل  
والأواني النحاسية ، أشياء معرضة للغارات ، كما لاحظ هومر ، وقد ضرب  
الأبطال ، بل والآلهة أنفسهم المثل فى ذلك منذ زمن بعيد . وهذا يدفع إلى  
الأخذ بالأسار . فتوطأ بعض حقول القمح ، وتدمر مزارع الزيتون  
وتحرق ، وقد يفقد بشكل غامض القليل من النساء ، والكثير من الماشية  
والأغنام . وما أن يبزغ الفجر إلا ويكون هؤلاء الناهبين قد عبروا  
الحدود سالمين يسوقون أمامهم ما أسروه واغتصبوه عن بشر وماشية دون  
ما رحمة . وترد الأنباء المدينة ، وينطلق المنادى بصوت حزين متظلماً ،  
طالباً التعويض السريع ، فيقابل بالمعارضة والنقض ، فينصرف فى وقار  
هادى على لسانه الأسف لا الغضب ، ويعاد إلى الحدود مخفور حتى لا يرى  
كثيراً مما فى الطريق ، وقبل أن تغرب شمس اليوم نفسه يكون  
فى بلده ثانية .

لقد أعلنت الحرب . وابتشر الخبر بين الدساكر ، فيأخذ الفلاحون  
دروعهم ورماحهم من أماكنها فى ركن إلى جانب مخزن القمح ، ويأخذون  
مناخيس الثيران ويسرعون إلى أرض الاستعراض ، مرحبين وإن كانوا

٣ — ١١٣ — ٦ ) ، وعن « بيان » الفرق ، (توكيد بس ٦ — ٣١ — ١  
و ٣ — ١٧ — ٥ و ١٧٤ — ٧ — ٥٦ — ٤ ) ، وعلى وعلمهم التثبت من الأهداف  
السامية « للحرب (٢ — ١١ — ٤) . وتقى كل الألعاب الأخرى ، بد كانت معرضة لأن تنهار  
بالاحتراف . فارتن مقال Sir George Trevelyan الطريف عن « An Ancient Greek  
War » ( طبع فى Interludes in Verse and Prose ، ١٩٠٥ )

وجلين ( وإنما لعرف شعورهم هذا حق المعرفة ) بن محنة المعركة المعتادة ، آمئين أن تنتهي قبل موعد الحصاد . وبعد بضعة أيام هب الجيشان في الفجر المبكر ، وبصطفان وجهاً لوجه في السهل القريب من أبواب المدينة ، ويقطع قوادهم النصف ساعة الأخيرة القلقة التي تسبق بدء المعركة في نقاش مناسب ، محفزين الناس بالصحين لهم ، كما يعلم ذلك حق العلم رؤساء التجديف وكرة القدم . فإذا كان القائد أثينياً أخبرهم بأن العقول هي التي يكون لها النصر ، وأن تفوق جيش العدو في العدد ليس سوى دليل على اضطراب أعصابهم . أما إذا كان اسبرطياً ، فيذكر جنوده بأن الاسبرطيين لا يقولون نموت أبداً ، وأن كل ما عليهم عمله هو طاعة تعاليم مديريهم . وأخيراً ينطلق النداء بالانتباه ، ويتقدم الزحف البطيء الثابت ، والدروع متلاصقة — كم تبدو تلك اللحظة لانهاية لها — ويلعب البرنز على بعد قريب ( شكراً للآلهة فإن الشمس ورائنا ) ، وتتشابك الرماح ، ويتصادم المجن بالجن ويشتد الطعان والمصارعة والالتحام ، ويحمر وطيس المعركة (١) .

(١) هيروdot ، ١ — ٧٤ والإلياذة ، ٩ — ٤٠٦ ، ثم فارن النشيد الهومري للإله هرميس وتظهر على الهزاة السيكيونية في دلف ، توكيديس ، ٢ — ١٢ ( آخر بعثة سياسية ) ، ٢ — ٨٩ ، ٤ — ١٠ ( خطب المارك الأثينية ) ، ثم ٢ — ٨٧ ، ٥ — ٩٠ ( وكذلك الاسبرطية ) ، ٥ — ٧١ ( « النروس مجتمعة متلاصقة تماماً » ثم اضطراب الرجل التي على اليمين ) ، فيما يخص الاشباتك أو « دفع النروس » ، أنظر توكيديس ، ٤ — ٩٦ — ٢ ، وهيروdot ٧ — ٢٢٥ ، ٩ — ٦٢ . وفيما يخص جيشا مهزوما يتقهقر ، أنظر الصورة البديعة سقراط في أفلاطون ، Symp. ، ٢٢١ . القتال في الإلياذة وتيرتايسوس ( Tyrtaeus ) قد اضطرب ، إذ جمع بين أبطال الطراز القديم ذوى طريقة الأبطال المستقل ، وبين « فرق ذوى الدروع » من هيئة دولة المدينة الماديين . فارن Trachinae ، ٥٠٧ — ٢١ حيث « تم الدروع ورتبوا صحة » كما يقول جبب ( Jebb ) ، فهرقل يحمل هراوة وقوساً ، وسلاح دولة المدينة وتاريخ اليونان وشعرهم مليشان « بحروب الجيران » العادية ، مثل توكيديس ، ١ — ١ — ٢ — ٤ — ١٣٤ ثم ٥ — ٣٢ — ٢ ، وهيروdot ، ١ — ٨٢ ، ثم يوريبيديس ، ٦٥٥ ، supp. ، وما بعدهما : دار الحرب في السهل لأن رجل الحرب المادي اليوناني كان لا يرجح منه تقهقه في الحرب على أرض وعرة . وكان يلبس خوذة ودراعا على صدره ، وآخرها على ظهره ، ثم يلبس على ساقيه حافية من البرونز ، ويحمل رماحاً طوله ستة أقدام ، ثم ترساً بيضاوياً وله ثلاثة أقدام وسيفاً . جرى الميل المشهور في مراتون ، لم يكن إلا « مشياً » δρόμο في توكيديس ، ٤ — — ٥ . وانظر في هذه =

وعلى هذا النحو كان هذا الزوال يسير ، عند ما كانت الدول تحارب من أجل مزيد في المؤن أو المال ، وقبل أن تتجه إلى اتخاذ السرقه مصدر دخلها الرئيسي ، وتجعل من فلاحها وصناعها محاربين محترفين . وقواعد المباراة التقليدية كلها تبين نفس الروح ، فليس هناك أى محاولة للاحتلال أو الإبادة ، فالعدو قوة ذات سيادة ، وجار قريب في وقت واحد . فهو لن يخضع للاحتلال ، وإذا أنت قضيت عليه فلن يبقى أمامك ما يسرق . فإذا كانت الأرض هى ما تريده ، فأولى بك أن تطلبها بين البرابرة ، الذين لن يبالوا بخضوعهم إليك مختارين ، وأن يصيروا لك عبيدا . فكل ما تتطلبه الحرب قتال عادل بأسلحة متكافئة ، على سهل وراء أسوار المدينة . فإذا انتهت الحرب قبل غروب الشمس بكثير ( إذا بقيت بعد فترة الغذاء ) ، يقيم الجانب المنتصر نصبا لذكرى فوزه ، ويسلم الفريق الآخر قتلاه ، ويمضى بالغنائم حائزاً لشرف الموسم . أما إذا كانوا أنيروا بشكل مثير ، فإنهم قد يمشكون للحصار ، مما يضر بموسم حصاد الجانب الآخر ، ولكن معناه أيضاً سحب عدد من رجالهم . ثم يحاولون الاستيلاء على الأسوار عنوة ، فيصدون خاسرين إذ تكشف الغامهم ، وتكسر أنوف كباشهم ، ويرتد رجال السلحفاة ، بسلاهم مرتاعين ، إذا ما طاف أحد بهامة الطاحون المستديرة ، منقبا حول الحائط التي كانوا يستعدون لتسليقها من هذه الناحية . فإذا ما كمن خمسون رجلا ، أو حتى خمسون امرأة في زى الرجال ، خلف سور يوناني فهما كانت قوة تحصينه ، فهم يوازنون مائة مرة عدد من بخارجه ، ماداموا لا يرمون بشيء ( أى لا يتشابكون ) . وقليل في تاريخ الدولة المدينة الحصارات التي انتهت بانتصار المهاجم . وكما يقول نيكياس إن مدينة بأكملها لازمة للاستيلاء على مدينة أخرى . ثم إذا كنت بعيداً عن قواعدك فقد

---

== النقطة جرندي ( Grundy ) في Thucydides and the History of his Age ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، التي يكتب عن خبرة شخصية ، سواء عن وزن الأسلحة اليونانية ، أو النقل من موضع إلى آخر على سفوح التلال اليونانية . « كان حديد الحوذة اليونانية سميكا جدا ، واستطيع أن أقول أن وزنه قد يبلغ تقريبا ضعف وزن أثقل حوذة في العصر الإقطاعي » .

تعدو الأوضاع ضدك . إن آمال المحاصرين تنحصر في تجويع المحصورين ، أو في الخديعة ، رغم أن معظم المدن على استعداد كامل . وعند رؤية العدو على الأبواب يشعر المناوئون المشاغبون ، وحتى العبيد المتمردون ، بتجاوب العواطف ، والتعلق ببيوتهم وبساداتهم . وعلى هذا فمن المحتمل أن ينظر المنتصرون إلى ما سيتكبدونه ويعدلون عن الحصار ، كما فعل الحاكم الفارسي حسب ما ترويه القصة ، وقد نصحه قائد اليونان المرتزقة الذين كان يحاصرهم بأن « يقدر الوقت الذي تستغرقه العمليات الحربية ويحسب أيضاً التكاليف التي تتطلبها . » لأنى ، كما قال « على استعداد لأن أخلى المدينة فوراً ، إذا دفعت لى مبلغاً زهيداً من المال ، » (١) .

وقواعد الحرب فى البحار مشابهة لتلك وإن كانت شكلت حسب اختلاف الظروف . بل إن الحرب البحرية لأبسط وأسلم وأكثر إرضاء ، إذ كما لاحظ الأوليغارشى العجوز ، يمكنك أن تصل إلى الهدف فى السهول الغربية الفسيحة ، دون أن ترهق نفسك فى أرض معادية ، ويمكنك أن تقوم بعمل باهر ، تعجز عنه القوات البرية . فانت « يمكنك ، أحياناً أن تدمر حقول قوة أعظم من قوتك ، لأنك تستطيع أن توصل الإبحار حيث لا مقاومة ، أو حين تكون المقاومة ضعيفة . ثم عندما تبتدىء الجيوش

---

(١) توكيدىس ، ٣ — ٤٦ — ٣ (لم يبق شيء يسرق) : إن أحسن تصوير لثقة اليونان البالغة فى الأسوار ، اعتقادهم أنهم قد ردوا الجيش والأسطول الفارسيين عام ٤٨٠ بتحصنهم وراء السور عبر البرزخ . إن أحسن الأسوار القديمة الباقية من أسوار القسطنطينية ، التي لم تسقط إلا فى عام ١٤٥٣ بعد كثير من الحوادث رغم التفاوت بين المحاربين ، إذ أن ١٥٠ ألفاً حاربوا ضد ثمانية آلاف . توكيدىس ، ٦ — ٢٣ — ٢ (مدينة ضد مدينة) ، أرسطو ، السياسة ، ٣١١ ١٢٦٧ ، وهيرودوت ، ١ — ١٧ وما بعدها . توكيدىس ، ٣ — ١٠٢ — ٤ إلى ٥ . إن أحسن المراجع عن الحصارات هو بالتأكيد Aeneas Tacticus الذى عرف كل حركة فى المعركة ، كما كان يعلم أنه « يمكنك أن تعرف على المرأة من طريقة قذفها مهما بعدت المسافة ، (٤٠ — ٤ إلى ٥) . وعلى أية حال فيمكن لأى إنسان « مهما قلت قدرته » أن يدافع عن السور مادام هذا السور عالياً وسميكاً بالقدر الكافى (توكيدىس ، ١ — ٩٣ — ٥ إلى ٦) ، وكذلك لم يكن من الضرورى إبقاء رجال من ذوى الأسلحة الثقيلة بالمدينة لهذا الغرض . وبعض المدن كانت تخطط محيطها واسماحتى يشمل داخله مزارع القمح ، كما يظهر جلياً من الآثار الباقية فى ميسينى (Messene) . فان Jonah ، ٤ — ١١ .

في التجمع ، تنسحب إلى مركبك وتقلع ، . فواضح إذن أن المخاطرة بحرب  
جبلية ، سواء برأ أو بحرأ لم يكن مأخوذاً بها . ولا بد أن نذكر الرهائن  
وإن كانت تبدو بعيدة عن الروح الرياضية . فإذا ما أسر رجل أثناء معركة  
أفقرت أرض وطنه فقد تمر سنين قبل أن يتمكن أصدقاؤه من جمع  
النقود المطلوبة لافتدائه . وقد سمعنا عن رجل أنقذ من الأسر بفضل  
زيارة عارضة قام بها ممثلي مدينته ، وكان أسيراً منذ أمد طويل حتى أنه  
اكتسب لهجة أجنبية ، لدرجة أن كاد مواطنوه أن ينكروه . ولكن هذا ،  
وهو ما يجب أن نعترف به ، ما كان ليكون من جراء حرب مع الجيران  
الاقربين (١) .

والآن لقد آن أن نترك هؤلاء الرياضيين لأنفسهم ، وسنرجع إليهم  
مرة أخرى فنجدهم أحسن نظاما ، وأحكم قيادة ، وأكبر خططا ، وأكثر  
غنائم . وزيادة على ذلك تدفع لهم أجور منتظمة ، ولكن لن يكونوا ثانية  
سعداء جسورين كما كانوا في معاركهم الصاخبة في اليونان القديمة .

---

(١) الأوليجارشى المجوز ، ٢ - ٤ ، ثم ديموستينيز ، ٥٧ - ١٨ .

## الفصل الثالث عشر

### اقتصاديات الإمبراطورية : القوة البحرية

Τὴν πόλιν τοῖς πᾶσι παρεσκευάσαμεν καὶ ἐς πόλεμον καὶ ἐς εἰρήνην αὐταρκεστάτην.

لقد جهزنا المدينة بكل شيء ، حتى أنها لتسكني نفسها في الحرب والسلام .

بركليس في توكيدس ، ٢ - ٣٦ - ٣ .

لم يفسر أحد للشعب بوضوح وظائف التاجر الصحيحة . . . . إن عمل التاجر أن يمون الأمة .

راسكين ، فقرة ٢١ ، ٢٢ من Unto this Last

عندما وصفنا اقتصاد المدينة كنا نبنى صرحنا طبقة طبقة ، مبتدئين بأبسط الأسس . وقد قدمنا الآن كل العناصر الأساسية للحياة ، التي علمنا المفكرون اليونانيون أن نعدّها الحياة العادية ، في دولة المدينة . لقد زودت المدينة بالفلاحين والصناع وتجار التجزئة والتجار الأجانب . فهي تنتج محلياً كل ضروريات الحياة ، وتستطيع أن تستورد الكماليات التي تحتاجها ، لتعيش كما ينبغي أن تكون عليه دولة متمدينة . فهي لم تكن صغيرة جداً ولا كبيرة كذلك ، لم تكن فقيرة للغاية ، كما لم تكن غنية أيضاً . فلو كانت أصغر مما هي عليه ، لتعرضت لخطر هجوم جيرانها عليها . ولو كانت أكبر مما هي عليه ، لتعرضت لفقد وحدتها . ولهذا صعب حكمها . أما إن كانت أفقر مما هي ، فلن يستطيع سكانها أن يحيوا حياة متمدينة . وإن كانت أغنى ، تعرضت لمغريات التطرف والإسراف . فهي قد وصلت إلى ما بدا للمنطق اليوناني ، أنه منتهى التوسع السليم . وكل ما بدا واجباً على ساستها ، هو الإبقاء بحرص على توازن القوى الاقتصادية الموفق هذا<sup>(١)</sup> .

(١) أرسطو ، السياسة ، ١٣٢٦ ب .

هذا هو ما كانت عليه الكثير من المدن اليونانية في مرحلة ما من مراحل تطورها. ومثلاً ، على هذا النحو ، كانت أثينا في القرن السادس . وعلى هذا الوضع كانت بلا شك مدن أخرى كثيرة عاشت في هدوء وسعادة ، حتى إننا لا نعرف كثيراً عن تاريخها الداخلي . لقد كان تطوراً ظل حياً في ذاكرة الرجال ، ليكون نموذجاً بديعاً لعالم قديم ، اتخذه الفلاسفة المتأخرين رمزاً للمدن المثالية . فأرسطو وإيزوكراتس ، وأفلاطون أيضاً ، بعد أن صار أكثر ليونة في أواخر أيامه ، حنوا جميعاً إلى العهد الذي كان فيه الرجال عاملين نشطين ومقتصدين ، لا يعرفون إلا أعمالهم ، ، عندما كانت حاجات الناس على نحو ممكن الدولة من أن تكون ذات كفاية ذاتية منتجة لكل ما تحتاجه ، ، وكان كل أمرى يعيش معتدلاً وحرراً في تمتعه بأوقات فراغه ، ، عندما كانت فضائل التقشف القوية تبرز في تناسق بما في الحضارة الناشئة من روعة وتقدم (١) .

وقد كانت هذه المدن الفاضلة الطوبيات ، التي نودى بها في القرن الرابع صوراً خيالية في كثير من وجوهها الأساسية ، كما يخبرنا كتاب العصر الحديث . ولكن حتى إذا لم يكن هذا كذلك ، فقد يكون وصف مؤلفيها لها مضللاً لأنهم ادعوا أن القوى السياسية يمكن أن تستبقى ثابتة . وما دام القالب الصحيح قد وضع ، فما على السياسي إلا أن يصونه بدقة ويعجب به أيضاً . وقد ارتكبوا الغلطة المألوفة التي هي من خصائص الفكر اليوناني ، أي اعتبار المدينة عملاً فنياً ، ولم يتفخوا ليسألوا أنفسهم لماذا رضيت القوى التي تعاونت على الإتيان بمثل هذه النتيجة المرغوبة ، أن تقلل من حماسها ، وتغدو حواجز مانعة تقف في وجه أي تطور جديد (٢) .

(١) أيزوكراتس ، Areop. ، وبخاصة الفقرة ٢٤ وما بعدها ، حيث نجد وصفاً جيلاً لأثينا القديمة ، ثم أرسطو ، السياسة ، ١٣٢٦ ب ٣٠ . وقد فضل أفلاطون جواً أكثر نقشاً لجمهوريته فأجبه نحو أسبرطة يتخذها نموذجاً له .

(٢) وإن أردت نقداً جيداً لتصور « الطوبيات » في القرن الرابع أنظر ماير ، ه ، الفقرة ٩٢١ ، حيث شرح « التناقض الداخلي » الذي ساد كل هذه المحاولات ، وذلك أنه « افترض أن أساسها حضارة من بيئة راقية » . إن أهل « المدينة المتملمين » الأثرياء ، في القرن الرابع ، الذين افترضهم الفلاسفة ، والذين كانت تؤخذ منهم طبقة المستمعين ، ما كانوا يطبقون أبداً « الحياة البسيطة » ، التي رؤى ضرورة فرضها عليهم .

ونحن في العصر الحديث نعرف أن القوى الاقتصادية لا تحفل أبداً بالانسجام الاجتماعي ، أو « الحدود الطبيعية » ، فإذا ما أطلقت مرة فليس من السهل كبحها . فأتينا في القرن السادس ، بعد أن حلت مشكلة الأرض بسياسة سولون وبيزستراتوس ، قد تبدو للملاحظ المعاصر ، كما بدت للمفكرين المحافظين بعد ذلك بقرنين ، صورة مثالية لدولة استقرت بسهولة ، في نهاية سعيدة لمرحلة طويلة شاقة . ولكن الحقيقة أن أئتنا كانت في بداية أشق نضال في تاريخها ، إنه نزاع روحي بين اثنتين من أشد القوى في الجماعة البشرية ، سوف يودى بحضارتها ، في اللحظة التي بلغت فيها أوج عظمتها . فنحن في الواقع إنما ننتقل من اقتصاد الدولة المدينة ، إلى اقتصاد الامبراطورية .

وقد أحس كل الناس بهذا الصراع في كل الأراضى اليونانية ، التي دخلتها التأثيرات الاقتصادية الجديدة ، من أيونيا إلى أيتوليا ، ومن صقلية إلى القرم . ولكنه استقر في أئتنا المستمسكة بالتقاليد القديمة ، الشديدة الحساسية بالتأثيرات الجديدة ، بمنتهى القوة وترك أعماق الأثر في المجتمع والأدب . فهنا كما رأينا ، كانت آمال الرجال عظيمة ، ومن هنا كان فشامهم أسرع ، وشعورهم بخيبة الأمل حاداً مؤلماً . فن عصر المرثية التي قيات عند ما كان كل شيء على مايرام في الإمبراطورية الأئينية ، إلى عهد جمهورية أفلاطون ، التي كتبت في عصر لم تكن فيه حتى ذكرى تلك الإمبراطورية لامعة ، لم يرض إلا مايزيد على نصف قرن قليلاً . وبين سوفكليس في أوج إيمانه المشرق ، وبين السكآبة المظلمة التي خيمت على روايات يوريبيديس الأخيرة ، فترة لانعدو بضع سنين . لم يحدث أن قامت مدينة يونانية أخرى ، اضمحلت بمثل هذه السرعة ، أو تركت سجلاً صادقاً مستمراً ، لتتابع حياتها العقلية . فلنترك من الآن المدن القليلة الأهمية جانباً ، ولنتجه إلى أئتنا وحدها ، كما



انجهنا إليها في وصفنا لتقدم اليوناني كموطن ، لتتابع القوى الاقتصادية التي جمعناها (١) .

رأينا في الفصول السابقة فصلاً فصلاً ، العناصر التي غدت أجزاء أساسية في اقتصاد أثينا ، بعد حوالي منتصف القرن السادس . والذي علينا عمله الآن هو أن نرقب ونحلل المؤثرات الجديدة ، التي صارت ملبوسة في المائة سنة التي تلت هذا العصر ، حتى نفهم القوى التي غيرت أثينا في عهد المارثية ، عن أثينا في عهد سولون وبيزستراتوس .

وليس من الصعب أن نتبع أولى خطوات هذا التطور ، فقد وصفها لنا بلونارخوس في كلامه عن حياة سولون ووصفا واضحاً . كانت مشكلة الأرض في طريق الحل ، والبحار تتحول إلى بحار آمنة ، واتخذت أثينا مقاييس وموازين جديدة ، والأثينيون في طريقهم إلى أن يكونوا تجاراً نشطين . وكانوا على استعداد لا ليتاجروا مع غيرهم فقط ، ولكن ليتاجر الناس معهم أيضاً . ويقول بلونارخوس ، « لقد غصت المدينة بأشخاص تجمعوا من كل الجهات ومرد ذلك إلى الاطمئنان العظيم الذي أظلم الناس في أتيكا . وعندما لاحظ سولون ذلك ، وهو يعرف أن معظم أراضي البلد قاحلة غير منتجة ، وأن التجار الذين يجوبون البحار لم يتعودوا توريد البضائع إلى الأماكن التي لا يمكن أن يجدوا فيها ما يقايضون عليه ، وجه اهتمام الناس إلى الفنون والصناعات . ولهذا الغرض سن قانوناً ينص على أن الابن ليس مضطراً لأن يعول أباه ما لم يكن عليه حرفة . ويواصل بلونارخوس قوله : لقد كان حسناً من اسبرطة التي لم تقبل أي غريب ، والتي تستطيع بلادها أن تكفي ضعف سكان أتيكا ، أن ترغم الهيلوت ، وخدمهم على العمل ، وأن تعفى مواطنيها

(١) أنظر ص ١٤٨ — ١٤٩ فيما سبق ، ثم قارن موري « ريببديس » ص ٢١ .  
وسيجد القارئ بياناً عاماً عن النزاع في مؤلف Pöhlmann : Geschichte des antiken Sozialismus und Kommunismus ( في جزئين ، ميونخ ١٨٩٣ — ١٩٠١ ، ولا سيما الجزء الثاني ) ، وهو عمل نافع مفصل ، وإن كان عنه يقول ماير بحق ( ٥ ، الفقرة ٨٨٣ ، ملحوظة ) أن عنوانه نفسه يدل على افتقار المؤلف إلى الحكم السديد .

من العمل الشاق والنشاط الآلى لتستخدمهم فى الحرب بصفتها الفن الوحيد الذى عليهم أن يعملوه ويمارسوه . ولكن سولون وقد جعل قانونه ، وفقاً لحالة البلاد ، أكثر من أن يجعل البلد وفق قانونه ، ولعله أن أرض أتينا التى لانكاد تكفى زارعها ، لا يمكن أن تكفى الكسالى والعاطلين ، أمر بأن تعتبر الفنون والصناعات أعمالاً شريفة وعلى مجلس الأريوپاجوس أن يفحص الوسائل التى يتخذها كل مواطن للعيش ، وأن يعاقب الماطلين<sup>(١)</sup> .

هذه الفقرة تحمل طابع عصر متأخر ، ولكن وقائعها صحيحة إلى حد بعيد . فليس حقاً كما يشير بلوتارخوس ، أن الفنون والصناعات لم تعتبر مهناً محترمة ، ، حتى جعلها سولون كذلك ، وإن كان من المؤكد أن بذل سولون ما فى وسعه ليجعل من أئينا مركزاً صناعياً . فالثروة هى أولى احتياجات البلد فى ذلك الوقت ، الثروة التى تجعل الزراعة يقفون ثانية على أقدامهم آمنين ، وتخفف من حدة النزاع المدنى . ولكن أحسن وأسرع طريقة لجمع الثروة كانت خارجية ، عن طريق البضائع ، وأكثر من ذلك عن طريق عقول التجار الأجانب ونشاطهم . والبضائع لا بد أن يدفع ثمنها طبعاً ولكن كيف ؟ ليس بمنتجات الأرض ، لأن أئينا لم يكن عندها إلا القليل ، أو لم يكن عندها ما تستغنى عنه ، إنما بالمصنوعات ، وهنا الصعوبة فإنه وإن كان لديها من الخامات الكثير : الرخام من بنتليكوس ، والفضة من لاوريون وأنواع من أجود صلصال اليونان ، اللازم لصنع الأواني ، فلم يكن لديها من الأيدي ما يكفى لصنعها ، وهكذا فهى لم تكن فى حاجة إلى ثروة فحسب ، إنما إلى أيد أيضاً ، لم تكن فقط فى حاجة إلى تجار يأتون كراترين فى الصيف ليقايضوا على بضائعهم ، وإنما إلى مهاجرين يأتون للاستقرار ويهبون أنفسهم وعقولهم وسواعدهم للخدمة الاقتصادية بالمدينة . وعلى هذا يكون بلوتارخوس قد وضع العربية أمام الحصان عندما قال لما كانت المدينة

(١) بلوتارخوس ، سولون ، ٢٢ .

ملاى بالمهاجرين ، رأى سولون أن الواجب عليه أن يبدأ بالصناعات حتى يتمكن من إطعامهم . والواقع كما يخبرنا هو بعد ذلك بصفحات قليلة ، أن تشجيع الهجرة ، كان أحد أركان الزاوية في سياسة سولون . فهو يريد مستوطنين لانتجارا ، أى رجالا يكشون في أثينا ليزيدوا ثروتها ، بدلا من مجرد كازى ذهب ، يجمعون أكداسهم ثم يرجعون إلى أوطانهم . ويعود بلوتارخوس فيعطينا الحقائق ، وهو ولم يتوفر لتوجيهه المثل الحديثة المتوفرة لنا ، فإنه يحار في فهم معانيها فيقول : إن قانون تجنيس الأجانب صعب الفهم ، لأنه يحرم منح حق المواطن لأى إنسان ، إلا للذين نفوا من وطنهم إلى الأبد ، والذين استقروا في أثينا بعائلاتهم لممارسة حرية يدوية . لقد نسي بلوتارخوس ، أو أنه لم يدرك مطلقاً ، كم كان صعبا على مدينة من مدن العالم القديم ، أن تدخل الغرباء في هيئتها . ولكن السكاتب الذى تبعه بلوتارخوس كان يفوقه في فهم هذا ، فأوحى إليه أن يقترح التأويل الصحيح ، فيقول : إن هذا القانون سن كما قيل لنا ، لا ليبعد الأجانب ، بل ليدعوهم إلى أثينا ، على أمل مؤكد من أنهم سيحصلون على حقوق المواطن . وقد توهم سولون أنه سيجد عونا مخلصا من بين هؤلاء الذين طردوا من بلادهم اضطراراً ، أو بمن تركوها بمحض اختيارهم ،<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الناحية نجح سولون ، والسياسة الذين اتبعوه ، أكثر من كل ما يتوقع . لقد جذبوا إلى أثينا سيلا دائما من المهاجرين ، وأثرك هؤلاء القادمون الجدد مع السكان القدامى ، في العمل على تقدم الموارد القومية وزيادتها . وستترك النتائج الصناعية التى أدت إليها الهجرة إلى فصل قادم . أما الذى يهمنا هنا ، فهو أن نجاح هذه السياسة ، قد أوقع هؤلاء السياسيين في مشاكل اقتصادية جديدة . فأثينا لا شك قد نمت ثروتها في هذه الظروف . ولكنها أخذت أيضاً في إيواء سكان أكثر من أن يضمن الانتاج كفايتهم .

(١) بلوتارخوس ، سولون ، ٢٤ . أنظر فيما يخص موارد أتيكا الطبيعية ، Ways

and Means ، الفصل الأول .

وأخذ تضخم عدد سكانها يفوق بسرعة موارد غذائها المحدودة . وبذا تعلم  
الآثينيون بالتجربة إغفال المذهب القديم القائل بأن الاستقلال والكفاية  
الذاتية يتحتم بالضرورة ، أن يتمشيا مع بعضهما البعض .

ولا شك أن اكتشاف إمكان زيادة عدد سكان المدينة ذات السيادة ،  
على كفايتها الغذائية ، دون ما خطر ، إنما كان خطوة إلى الأمام كبيرة في  
الاقتصاد السياسى العملى ، ولكن ذلك جر على رجال السياسة الآثينيين  
واجبات جديدة معينة . إنه ألقى على عاتقهم مسؤوليات ضمان وصول المواد  
الغذائية من الخارج ، كما دفعهم إلى ضرورة إنشاء علاقات خارجية ، لم تكن  
كما كانت قديما وليدة الظروف ، وذلك حتى يكفلوا أسواقا لتجارهم كلها  
تسنى لهم ، بل كانت على نحو مستمر حاسم حتى يتثبتوا من إبعاد شبح المجاعة  
الذى كان يهددهم باستمرار . وهكذا فإن الحالة الاقتصادية الجديدة الناشئة  
عن اجتذاب المهاجرين من العمال ، غيرت تماما حالة الدفاع القومى ، وغيرت  
معها كل اتجاهات رجال السياسة الآثينيين . وبعبارة أخرى غيرت  
خصائص الدولة الآثينية تدريجيا .

ولكى نفهم كيف حدث ذلك ، يجب أن نقف لحظة لننعم النظر فى مسألة  
الدفاع القومى . فى الأيام السالفة كانت المدينة التى تقوى على الدفاع عن  
حقوقها وجمع حصاتها ، تستطيع أن تعيش فى سلام داخل أسوارها فى  
عزلة مريحة ، على شرط واحد هو أن يكون مواطنوها المحاربون على أهبة  
الاستعداد للقتال عندما يدعون إليه . فلم تكن الدولة فى حاجة إلى اتباع أية  
سياسة خارجية على الإطلاق . وكل ما كانت فى حاجة إليه هو أن تكون  
مثل السالحفة ، تحفظ نفسها لنفسها ، ويمكن أن نلخص سياستها فى الكلمات  
التي ادعى الخبراء المحايدون من أهل أرجوس أنها وجهت إليهم عام  
سلاميس ، عن طريق ذلك الوحى الذى يدور مع الزمن :

دعوا العالم كله يكرهكم

ما دامت الآلهة رحيمة :

دعموا أسواركم بالجنود وانتظروا

خلفها بالرمح مطمئين. (١)

ولكن أيام هذا السبات السهل ، قد مضت إلى غير رجعة ، واضطرت المدينة إلى اتباع طريقة دفاع جديدة أشد خطراً . فلم تعد قوتها الآن في الهدوء والثقة ، بل أصبحت في حاجة إلى التطلع إلى الخارج لصيانة نفسها وأمنها ، في حاجة إلى أن تكون نشيطة في حذر ، مقدامة في حزم . لقد سلكت طريقاً خطراً على كل الشعوب الطموحة ، هو طريق الهجوم للدفاع ، فكان لا بد من مد خطوط مواصلاتها ، وبسط نفوذها تدريجياً عبر البحار ، من إيوبيا إلى الخرسونيس التراقي ، ومن البسفور إلى القرم ، بل من كريت وقبرص إلى أفريقيا . فهي الآن أصبحت تعتمد على غيرها ، لا من أجل الكماليات ، إنما من أجل الضروريات ، لا من أجل كسب العيش ، بل من أجل الحياة نفسها . فهي تعتمد على محاصيل مصر أو قبرص أو القرم ، وعلى القوة لضمان وصولها سالمة إلى موافئها . وهذه الخطوط البعيدة المعرضة للخطر ، لاساحة المدينة بما يجري بين جدرانها من نبضات سريعة لأعمالها اليومية ، هي التي غدت الشرايين الأساسية التي تجري فيها دماء حياتها . لقد أوغلوا في بحار غريبة خطيرة ، لم يعرفها الكثير من مواطنيها ، إلا في الروايات . ومن هناك وبعد أسابيع كثيرة ، بالرغم من سرعة سفنها ، ترد الأنباء متقطعة إلى قلب الامبراطورية . فإن جاءت الأخبار سيئة ، فلم يعد في إمكان أثينا أن تجمع احتياطي جندها من الشيوخ والشبان ، كما كانت تفعل قديماً ، لتخرج وتخلص جيشها ، على أبواب حصن على الحدود . ذلك لأن حراسها قد صفوا الآن ، لا في أبراج المراقبة الرمادية ، تلك التي تطل على الميجاريد ، أو على جانبي ممرات بيوتيا ، ولكنهم الآن في الموانئ التي لا عد لها ، وفي النقط الممتازة في منطقة بحارها الجديدة . هؤلاء الستة آلاف جندي وبحار ، وهم سبع عدد مواطنيها الذين عرفناهم في الخدمة الدائمة في أوقات السلام في الإمبراطورية الأثينية ، لم يرسلوا

للحرب . فقد كان واجبهم واجباً متعباً ، هو حماية السفن ، التي تقوم بتموين المدينة بالقمح ، أو حراسة الأموال التي تحتاج إليها أثينا لدفع ثمن ما تحمله هذه السفن . إنهم :

لا ، لم يكونوا محاربين — إنما  
فراً تحمي الخطوط ،

وبما أنهم لم يموتوا في حرب ، فإن بركليس عندما تكلم عن الموتى ، لم يتمكن من أن يعترف بمخدراتهم إلا بطريقة غير مباشرة . لقد كانوا حماة أثينا الحقيقيين ، لا الشيوخ أو الصبية ، الذين تخلفوا أيضاً لتزويد حصون الحدود وأسوار المدينة . فلحظة وجيزة من الإهمال ، في بعض الطرقات البعيدة قد تؤدي إلى انهيار كل شيء . لقد كانت فترة قيلولة بعد ظهر صيف على شواطئ الدردنيل المتوهجة بفعل الشمس ، هي التي غدرت بأسطول ديجوسيبوتامى ، وهبطت بأثينا إلى الرغام . فإذا ما وقع هذا الخط المماتى في يد العدو ، فلا الأسوار الطويلة ، أو أبراج المراقبة ، أو أرصفة موانئ بيريه ، ولا انتعاش الروح المعنوية ، كما حدث في مراثون ، ولا الإيمان بقدره صمود الأبطال يمكن أن ينقذ المدينة من المجاعة . لقد صارت أثينا تحت رحمة ليساندر ، وما كان عليه إلا أن يحسب كم شهراً أو أسبوعاً ، تستغرقه الخفقة الواهنة الباقية من المقاومة (١) .

(١) توكيديس ، ٣ — ١٣ — ٥ ( شروط جديدة للدفاع ) ، ٢ — ١٨ — ٢

( حصن قديم على الحدود ) ، ٨ — ١ ، واجزينوفون ، Hell. ، ٢ — ٢ — ٢ إلى ٥ ( أخبار سيئة في أثينا ، فليساندر يتباطأ في هجومه ) . لقد اصطفت المرتبة كلها ، كما رأينا ، بمسحة عافضة ، وقد قصر بركليس نفسه بقدر الإمكان على المشاعر الملائمة للنظرية القديمة في الدفاع . فالوثن الذين يتكلم عنهم في رثيته ، كانوا كامهم أو جاههم ، جنوداً لا بحارة ، وقد جره ذلك إلى قول بعض جل غير حقيقية غريبة . أنظر توكيديدس ، ٢ — ٣٩ ثم ٢٤٠ — ٢٤١ والملاحظات فيما سبق . وكانت ἀπραγμοσύνη ( « عدم التدخل » ) ، الكلمة التي ميز بها بركليس النظرية القديمة في الدفاع . وإنه لمن الطريف أن تتعقب استعمال بركليس واستعمال خلفائه لها ، في خطب توكيديدس . أنظر توكيديدس ، ٢ — ٦٣ — ٣ ، ٤ — ٦٤ ، ٤ ، ثم المرافعة الكورسيرية ( ١ — ٣٢ وما بعدها ) ، ثم فازن ٦ — ١٨ ( كلام من الحجة والصياغة ، ثم ٤ — ٦١ — ٧ ) . أما من حيث تجارة القمح الأثينية في القرن السادس ، مع قبرس ومصر فانظر مؤلف فيلاموثيتز ، Reden und Vorträge ، ص ٤٠ ، الملاحظة الأولى ( الطبعة الثالثة ، ١٩١٣ ، ص ٤٢ ) وقد أيدتها رحلة سولون إلى هذه البلاد ، وكذلك المكتشفات الأخيرة في قبرس .

هذه هي حقائق السياسة الإمبراطورية في أثينا . ولكن الناس لا يواجهون الحقائق بسهولة . وهم إذا ما اتجهوا انجماً مخالفاً لعادات كثيرة موروثه في الأفكار والأعمال ، عزيزة عليهم ، كما حدث في مثل هذه الحالة ، يكونون بطيئين في إجبار أنفسهم عليها . وقد صار بركليس في سياسته على فكرة الدفاع الجديدة ، وإن لم يعبر عنها أبداً في خطبه ، أى بكل ما فيها من قسوة مجردة لازمة . ويجب أن نسبق ذلك بنصف قرن لنعرف ما صار معروفاً لدينا منذ ذلك الوقت كما ماكن عامة لبعض النظريات الإمبراطورية . «إننا لا ندعى أن لنا الحق في إمبراطوريتنا ، لأننا قضينا وخذنا على البرابرة ، أولأننا خاطرنا بوجودنا من أجل رعايانا ومن أجل الحضارة ، فالدول مثل الرجال لا تلام على تأمين سلامتها . فإذا كنا اليوم في صقلية فذلك لسلامتنا . . . . إنه الخوف الذي يدفعنا إلى التمسك بإمبراطوريتنا في اليونان ، وهو الخوف أيضاً الذي يدفعنا إلى البقاء هنا ، بمساعدة أصدقائنا ، لتنظم الأمور بأمان في صقلية . فيالنسبة للعالم الخارجي وبالنسبة لبلاد اليونان ، التي كلها عيون مترقبة ، وحتى بالنسبة لآبولون في دلفي المطلع على كل شيء ، بدت حملة أثينا على صقلية ، كأنها اعتداء لا مبرر له . وفي أثينا اعتبرت مجرد خطوة لتأمين دفاعها ، أو هي كانت تخدع نفسها بأنها كذلك»<sup>(١)</sup> .

وإننا وقد دلفنا إلى المستقبل بخطى واسعة ، فلنرجع وننعم النظر في مسألة قومييسارية (إدارة تموين) المدينة اليونانية ، إذ هي المقدمة الطبيعية لتحليل الاقتصاد الإمبراطوري في أثينا .

وربما كان من الأحكم أن ندرس هذا الموضوع قبل ذلك ، لأنها مسألة كان على كل دولة يونانية ، صغرت أو كبرت ، معالجتها بشكل ما . فالجاعة كانت بالنسبة لكل دولة خطراً دائماً ، عاينها أن تؤمن نفسها منه بحذر . والواقع أنه من أجل ضرورة تأمين الدولة هذا ، وذلك بتدخلها في إنتاج القمح

(١) توكيديديس ، ٦ - ٨٣ - ٢ إلى ٣ .

(م - ٢٨ الحياة اليونانية)

وتوزيعه ، وهو أكثر الأعمال التجارية المحلية حيوية ، من أجل هذا كان أن تورطت المدينة في أمور السياسة الاقتصادية لأول مرة . وطالما كانت التجارة لا تعنى إلا بالكاليات والترف ، فقد تركت الحكومة التاجر وشأنه إلا من حيث تدخلها فعلا كريب . ولكن بتميز كان انتهاجه طبيعياً بالنسبة لها ، بقدر ما هو عسير الفهم علينا ، دخلت الضروريات في نطاق قانون مختلف تماما . ويقول مؤرخ إيطالى ، « إذا قدر لرجل من العالم القديم أن يعود للحياة ثانية ، فما من شيء يبدو له غير مفهوم أكثر من قوانيننا الخاصة بالقمح ، . فروسيا وكندا اليوم يتوقان لبيع القمح لنا ، توقهما إلى بيع أية سلعة أخرى ، ونرى من الصعب علينا أن نتخيل ( والكتاب الذين يتكلمون بشكل غامض عن « سياسة أثينا التجارية ، لم يحاولوا حتى هذا ) الفارق بين الأشياء السهلة النقل ، المخصصة لعدد قليل من المواطنين ، الذين لديهم وفر من المال ، وبين الأشياء ذات الكميات الضخمة ، التي تعتبر ضروريات عامة ، والتي بما أن الحاجة إليها أكثر نسيها ، فلن يبقى منها إلا القليل ليشتريه الخاصة . فستوردو القمح في العصر الحديث ، حتى ولو كان الثمن مرتفعاً ، يلقون بالقمح على شواطئنا . أما عند اليونانيين فستوردو القمح ، ومثلهم مثل كثير من العمال ، يجب أن يجتذبوا إلى ذلك العمل بوسائل مصطنعة . ومن الأفضل تتبع بعض الوسائل المتبعة في ذلك<sup>(١)</sup> .

ولكن أولاً يجب أن نبين أن السياسة التجارية التي سنصفها ليست خاصة بالقمح وحده . فالقمح كان الأهم ، ولكن ليس من الضروري أن يكون هو الوارد الوحيد الذي لا غنى عنه . فهناك أشياء أخرى ليست لها هذه الأهمية من ناحية السكم ، ولكنها لا تقل عن القمح من حيث ضرورتها .

---

(١) فريرو ( Ferrero ) في ( Greatness and decline of Rome ) الترجمة الإنجليزية ) ، الجزء الأول ، ص ٣١٨ - ١٩٢١ . إن حرب القواصات وحصار المتحالفين ، كان يمكن أن يساعد على تقريب هذه الظروف إلى أذهان الطلبة في بريطانيا وفي القارة الأوروبية .



وهذه تختلف طبعا باختلاف الأمكنة حسب سياسة الدول المختلفة وظروفها .  
فنجد دبلوس تشرع للوقود ، وتشرع أثينا في القرن الخامس للسّمك  
الرخيص . ولكن من أهم هذه الأشياء ، على أية حال ، وذلك في أثينا ،  
كانت المواد المختلفة اللازمة لبناء السفن ، مثل خشب شجر الصنوبر الطويل  
الجميل في تراقيا ومقدونيا ، والكتان والقنب للأشعة ولحبال السفن ، والحديد  
والبرونز وشمع العسل والزفت . كل هذه البضائع المختلفة ، كما يقول  
الأوليغارشي العجوز ، توجد غالبا في جهات مختلفة . فحيث يكثّر الفول  
تكون التربة خفيفة وخالية من الأخشاب . وكذلك لا يكون الحديد  
والبرونز من منتجات نفس المدينة . ونفس الشيء بالنسبة لبقية المواد ،  
فلم يحدث مطلقا أن توفر صنفان أو ثلاثة أصناف على الأكثر في دولة  
واحدة ، ولكن شيئا هنا وغيره هناك . وكل هذه البضائع في بلدانها المتعددة ،  
وعلى الطرق المختلفة المؤدية إلى المدينة المستوردة ، كانت موضع عناية  
واهتمام المدينة وبمماثلة ، خط حربها الطويل المدى ، (١) .

(١) الأوليغارشي العجوز ، ٢ — ١١ . فيما يخص تجارة الخشب الأثينية ، أنظر  
توكيديس ، ٤ — ١٠٨ ثم لجزينوفون ، Hell. ، ٥ — ٢ — ١٦ و ١ — ١ — ١١  
( تراقيا ومقدونيا ، أنظر ، ٢ — ٩٨ — ١ ) ، توكيديدس ٧ — ٢٥ — ٢ ، ٦ — ٩٠ — ٣  
( أخشاب كلاريا ، للاستعمال في صقلية ) ، ٤ — ٥٢ — ٣ ، ١ — ١ — ٢٥ ( جبل  
إيدا ( Ida ) في تروادة ) . فإرن الماهدة بين مقدونيا والمدن الساحلية في خالسيديا ولوانجها  
الماهدة بحق تبادل تصدير الخشب فيما بينها . لاحظ أن دول الساحل قد احتفظت  
لنفسها بحق ( على عكس المقدونيين الذين كانوا الجانب الضعيف في هذه الماهدة ) ووقف  
تصدير الخشب لبناء السفن في أية لحظة بإصدار قرار . وقد جاءت هذه الماهدة في هيكس  
وهيل ، رقم ٩٥ ( ولكنهما لم يدركا هذه النقطة ) وفي ديتبرجر ، رقم ٧٧ ، حيث يرجع  
إلى الملاحظة الخامسة بخصوص مراجع أخرى . إن سياسة أثينا كما يوضحها الأوليغارشي العجوز  
تشمل كذلك واجب منع الدول الأخرى من الحصول على مواد بناء السفن . وتصدير هذه  
المواد من أثينا كان ممنوعا (ربما كان ذلك إبان الحرب فقط) : الضفادع ، ٣٦٢ ( أنظر ، القرسان  
٢٨٢ بخصوص نفس كلمة ἀπόρρητα عن تصدير الطعام ) . وكان من ضمن الصعوبات  
الكبيرة التي صادفت أعداء أثينا أثناء الحرب البلوونيزية ، صعوبة بناء السفن . وقد كان من  
العسير عليهم الحصول على الخشب ، فضلا عن صعوبة العمل . لم تكن السفن ذات الثلاث  
طبقات تحتاج إلى مهارة في التصميم والتركيب ، وليس هناك ما يشمّر الإنسان بالفخر في تصميم  
هيكل السفينة كعمل منفصل عن الوازم التي كان يقدمها المواطنون البارزون رغبة للدولة . =

ولنعد الآن لعملية التموين بالقمح . ويرجع فضل تمكننا من تتبع هذا التموين في جميع مراحلها ، إلى النصوص والأبحاث الحديثة . وسنرى أصبح الدولة يعمل في كل مرحلة .

يحدثنا أرسطو أن في أثينا ، عندما يجتمع المواطنون جميعا في اجتماعهم البرلماني المقرر في ابتداء كل «رياسة» ، كانت ترد في جدول الأعمال عبارة «خاص بالقمح» ، فاهتمام الشعب يوجه رسميا إلى هذه المسألة عشر مرات في السنة . وسنرى بعد قليل كيف كانت تعالج أثينا هذه المسألة بوصفها دولة ومدينة كثيرة الاستيراد . ولكن يجب أن نقف أولا لنبين أن نفس المسألة كانت تظهر في آن واحد في جدول الأعمال ، وفي تفكير جماعات أصغر من ذلك بكثير ، لأنه حتى إذا ظهرت دولة بمظهر الكفاية الذاتية ، فقد تعرض المجاعة في أي سنة عن طريق تلف عام أو جزئي يصيب محصولاتها . ولهذا كانت «إدارة التموين» الوطنية دائما ، وفي كل مكان في عالم الدولة المدينة ، موضع اهتمام عام ومراقبة الدولة . ولم يسمح أبدا بتصدير القمح دون مراقبة ، واتخذت خطوات محكمة ، كما تبين النصوص التي لدينا ، للإبقاء على مورد رخيص دائم للتموين ، سواء في الداخل بصفة مطلقة ، أو إذا ثبت أن ذلك غير كاف ، ففي الخارج بمساعدة التجار .

و ثم اثنان من هذه النصوص جديران بالذكر هنا . ففي ١٩٠٣ عثر على حجر في ساموس ، يعطينا تفاصيل هامة عن كيفية تنظيم الدولة المدينة لإدارات تموينها في القرن الثاني قبل الميلاد . فساموس كانت تعتمد في تموينها ، أو الجزء الأكبر منه على مزارع مقدسة للإلهة هيرا ، واقعة في الأرض الرئيسية . وهذه الأرض كانت تؤجر بالطريقة العادية إلى وسطاء ، كانوا يبيعون القمح بأسعار تعتبر مرتفعة جداً . وبذلك عازمت دولة ساموس على الاضطلاع

---

= ولم تكن الصعوبة في نوع العمل ، بل في القدر المطلوب لبناء أسطول بسرعة . وفي هذه المناسبات — بل وعموما في الواقع — يبدو أن المشب لم يكن يحفظ وقتا كافيا ، حتى يحف ويكون صالحا عاما للعمل . أنظر توكيديس ، ٧ — ١٢ — ٣ ، ٨ — ١ — ٣ ، ٨ — ١٥ — ١ إلى ٨ — ٢٥ — ١ ( ست وحدات صغيرة بنيت على عجل ) .

إدارة الأراضي . وبين النص كيف كانت تعمل لتنظيم هذا العمل . فقد جمعت المال اللازم لنفقات العمل ، لا بفرض ضريبة ، ولكن بفتح قائمة اكتاب واعدة كل من يكتب من المواطنين أرباحاً سخية (الزقم المضبوط لم يعرف بعد) . فسيباع القمح إلى المواطنين إذن بثمان زهيد ، وبعبارة أدق ستوزعه الدولة بهذا الثمن على كل من يطلبه من السكان إلا أكثر فقراً . وكما يشير الناشر فلدينا في أبسط الاحتياطات الضرورية هذه ، التي اتخذتها الجماعة الصغيرة ذات الكفاية الذاتية ضد خطر أسعار الجماعة الدائمة المتول ، نواة سياسة التخزين والسرك ، التي اتبعتها روما الإمبراطورية . فلما آلت إلى روما تمتلكات بروجاموس ، عاملتها كما عاملت ساموس ضيعة هيرا الصغيرة . ولم يكن خطيراً عندما يكون السياسيون منطقيين للغاية ، أن يوسعوا خيالهم بالتوسع في مسؤولياتهم . وكما نقل شيشيرون نظرية أرسطو السياسية ، فعل كايوس جراجوس المسيطر على عاصمة الإمبراطورية ، واتخذ سياسته عن خبرة دويلات اليونان السياسية<sup>(١)</sup> .

أما النص الآخر فقد عثر عليه في تاورومنيوم أو تاورومينا ، في صقلية التي لم تكن في ذلك الوقت بعد مركز سياحة . وهو يعطينا بعض حسابات المدينة الحقيقية خلال عدة سنين ، ومن بينها حسابات « حراس القمح ، الذين يشرفون على المخازن العامة ويبيعون القمح للمواطنين . وهذا القمح يأتيهم من مصدرين ، فبعضه من موظفين مسمون « شراء القمح » ، وكان اختصاصهم أن يمونا الشؤون لحساب الدولة وذلك بالشراء من التجار ،

(١) Ath. Pol. ، ٤٣ — ٤٤ (مفكرة) : فيلاموفيتز وفيجاند (Wiegand) في Ein Gesetz von Samos über die Beschaffung von Brotkorn aus öffentlichen Mittein ، أنظر هيرميس ، المجلد ٣٩ ، ص ٦٠٤ وما بعدها : أنظر أيضاً Jahreshefte ، الجزء العاشر ، ص ١٩ وما بعدها ، فيما يخص نصا هاما عن القرن الأول ق. م. في تكريم رجل ميجارى لمناسبة شغله وظيفة « قدم طعاما لكل المواطنين والفرباء والقيمين الرومان ، ولكل العبيد وأولادهم » — ويخالف هذا كثيرا الاحتفالات الرومانية المنظمة تنظيماً عكسا ، وما يفرق من هبات ، التي نشأت عن تلك الحفلات الرسمية الصغيرة السارة للدولة المدينة .

والباقى من موظفين آخرين يسمون « بالمتسلمين » ، ويتسلمون المحصول من  
أراضى الدولة التى يزرعها زراع خصوصيون كما فى ساموس . وهكذا تقع  
المسئولية فى أيام المحنة على حراس القمح ( وأمامهم تكون مسئولية الموظفين  
التابعين أنفسهم ) ، الذين قد يحاسبهم الشعب على قصر نظرهم فى توفير  
المثونة لهم (١) .

فإذا مارأت بلدة صغيرة مثل تاورومينا ، أنه من الضرورى أن  
تستخدم ما لا يقل عن ثلاثة مجموعات من الموظفين لتأمين تدير تمويلها ،  
فكيف يكون الأمر إذن بالنسبة لبلدة كبيرة ، مستوردة مثل أثينا ، حيث  
اتخذت المسألة شكلا أوسع بكثير ؟

فلنتبع إذن سياسة هيئة تمويل أثينا ، كما تتبعها سامتها ، من خارج أثينا  
من ساعة شحن السفن بالقمح وإبحارها ، حتى يبعه فى سوق أثينا العامة .  
فأول واجب على المدينة المستوردة طبعاً ، هو أن تعقد معاهدة تجارية  
مع بلدة تزرع القمح ، حتى يصبح لتجارها الحق فى أن يذهبوا بسفنهم إليها  
لإحضاره . ويبدو أن أولى علاقات أثينا كانت مع قبرص ومصر . ولما  
أقفلت هذه الأسواق فى وجهها أثناء عدائها مع الفرس المسيطرة على تلك  
البقاع ، كالتحقيق بقوة لاسترجاعها . فأرسلت حملات عدة « لتحرير »  
قبرص . ولما أن أظهرت مصر استعدادها لطردهم الفرس والتخاص من  
نيرهم ، دخلت أثينا فى علاقات مع أمير وطنى كان على استعداد لأن يبيع  
لتجارها « التجول الحر فى بلاده » . ولما فشلت تلك الخطط ، شقت أثينا  
طريقها نحو الهيلسبونى والبسפור ، وأنشأت علاقات لها مع الإمارات  
الصغيرة فى جنوب روسيا ، حيث « يزرع » الرجال القمح ، « لا لياكلوه  
بل ليبيعوه » ، كما يقول هيرودوت . وهذه العلاقات الأخيرة التى قويت

(١) ديتنجر ، رقم ٥١٥ ، خصوصاً الملاحظة رقم ١٥ . ويرجع ذلك الى حوالى  
عام ١٠٠ ق.م .

بزينة بركليس الشخصية ، وتوطدت عندما ضم تماماً طريق البسفور الهام ، بعد ثورة بينظة القصيرة المدى ، بقيت حتى آخر القرن الخامس ، بل وبعد ذلك ، المصدر الأساسي لتموين أثينا بالغذاء . أما أهميتها فيمكن أن ترى من التمجيد الذي رأت أثينا من الحكمة أن تسبغه على الأمراء الوطنيين الذين يشرفون على التموين ، تمجيداً دفع بالأثينيين المستقرين في بلدتهم ، والذين لم يقدرُوا مصاعب إدارة مستعمرات متمردة على حدود الإمبراطورية ، إلى الغضب<sup>(١)</sup> .

فإذا ما حصلوا على الإذن بالتجارة ، فالواجبان التاليان هما إغراء التجار بالذهاب لإحضار القمح ، وتأمين الطرق . وأول هذين الواجبين ليس سهلاً كما يبدو ، فالحبوب صعبة النقل . وزيادة على ذلك فالتجارة فيها لا يحتمل

(١) توكيديس ، ١ - ٩٤ ثم ١ - ١٠٤ - ٢ ثم ١ - ١١٢ - ٢ ( قبرص ) ، ديودور ، ١١ - ٧١ - ٤ ( مصر ) ، هيرودوت ٤ - ١٧ ، بلوتارخوس ، الفرس ، ٢٠ ( بركليس في بونتس ) ، ولم يحدد لذلك تاريخ ، ولكن يمكن أن تربط عن ثقة بأحداث عام ٤٣٩ . أنظر توكيديدس ، ١ - ١١٧ وديوسقينيذ ، ٢٠ - ٣١ وما بعدها ( الأمراء الوطنيون ) . - ١٩٢١ . فان أشكال الضغط والمداجاة المختلفة ، وكتابة القوائم السوداء ، وتقدير المنح ، وحتى الأوسمة التي اختيرت في ظروف مشابهة قبل الدول المحايدة ، وبعض الأفراد في أثناء الحرب . ) أنظر فرانكوت Le pain à bon marché et le pain gratuit dans les cités grecques . جنيف ١٩٠٥ ، ص ١٣٥ وما بعدها . وهذا المقال ، الذي يجب إعادة طبعه على نحو تلخص فيه الموضوعات الأخرى ، مليء بمراجع نافعة . أما ما انتهى إليه من نتائج فلم تتأثر إلا قليلاً بالجزء من الموضوع الذي عالجه L. Gernet حديثاً بشكل أكثر إسهاباً في ، L'Approvisionnement Mélanges d'histoire ancienne) d'Athènes en blé au Ve et au IV<sup>e</sup> Siècle . باريس ١٩٠٩ . وقد جم جبريت عددًا من الوقائع والمراجع بشكر علمها ، ولكن أسسه الاقتصادية مزعومة . فبلا هو لا يؤيد فقط عدد عبيد أتيكا الذي كان يقدر قديماً بـ ٣٠٠ ألفاً ، وهو رقم مستحيل ، بل يذكر مؤيداً أيضاً ، التقليد الذي حفي عليه الدهر ، ويقضى بإرجاع الأزمات الاقتصادية في اليونان إلى إغراق السوق بالقمح الرخيص (ص ٣٣٠ ملاحظة) ، أي أن الضرائب المفروضة على القمح لحايته ربما كانت مفيدة في بعض الأحيان . وقد ثبت بطلان هذا الرأي نهائياً ، حتى في ظروف روما التي كانت أكثر اتساعاً ولينا . أنظر الجزء الثاني من مؤلف فيروو Greatness and Decline of Rome ، التذييل رقم ١ ، الذي أكمله سالفولي ( Salvioli ) ، Capitalisme ، ص ١٦٩ وما بعدها .

أن تكون عملا ماليا مربحا ، مثل التجارة في طرائف ، أرض البرابرة الداخلية ، التي كانت أقل منها في المقدار . ولذا كان التجار في حاجة إلى حسن الإدارة . وقد ساست أثينا أمورهم على طريقها الخاصة بسياسة مزدوجة ، من الملاطفة والإرغام . فرحبت بتجارها وفتحت لهم ذراعها ، وكانت تسرف في إغداق التيجان الذهبية ومراسم التكريم على الأجانب الذين استحقوا شكرها بإحضارهم حمولة مركب تجارى . إلا أن الإغراء لم يكن كافيا في هذا المجال ، بل كان لابد من القوة لتدعمه .

وبرينا قانونان محفوظان في ديموستينيز الصورة التي اتخذها هذا الإرغام . أولهما كما يلي : « لا يجوز لأى أثينى ، أو لأى أجنبى مقيم في أثينا ، أو لأى شخص تحت إشرافهم ، ( وبهذا جعلت أثينا السادة يشرفون على ما يدخره عبيدهم ) أن يقرض مالا على مركب لم تكلف بإحضار قح لأثينا ، أو أى شيء آخر ذكر بوجه خاص . » ويحتمل هنا ألا تكون الكلمات الأخيرة جزءا من نص القانون الأصيل ، ولكن أحلها المتكلم ، رغبة منه في الاختصار ، محل قائمة طويلة تحوى ضروريات أخرى موضحة — مثل مواد بناء السفن التي قد أشرنا إليها . وحتى بهذا التصريح ، فالقانون كان شديدا ، بما فيه الكفاية ، ولابد أن أحس التجار وقعه الشديد عليهم .

أما القانون الثانى ، فقد كان أشد وأفوى من الأول . هو يحرم على أى شخص يسكن أثينا أن يشحن الحبوب مباشرة إلى ميناء غير بيريه . وأثر هذين القانونين واضح . فما من تاجر يستطيع أن يترك القرم أو مصر دون شحن سفينته قحها ، وسيقوم هذا بدور المغناطيس لجذبه ثانية إلى أثينا . وحتى إذا ما صادفته مجاعة في الطريق ، فلن يجرؤ أن يمس الكنز الذى يحمله في قاع مركبه ، لأن النقطة الوحيدة التي اتفقت فيها النصوص الثلاثة ، هى أن كان عقاب من يخالف هذا القانون الخاص قاسيا منتهى القسوة . (١)

---

(١) القانون الأول : ديموستينيز ، ٣٥ — ٥١ ، الثانى ، ٣٤ — ٣٧ ، ٣٥ .  
• • • ليكوج في Leocr. ، ٢٧ . إن العقاب البريطانى في مثل هذه الظروف يكون رفض تموين السفن بالفحم .

وطبعاً كان الطريق إلى الوطن محمياً بقوة أئتنا البحرية العامة . ولكنها اتخذت تدابير خاصة لتتأكد من أن أوامرها مرعية . فعند سستوس في الدردنيل ، وهي أخطر نقطة في طريق قبحها المطروقة ، أقامت مجلساً خاصاً من الموظفين الرسميين ، أي « حراس الهيلسبونوت » ، ليراقبوا السفن المارة ، للتأكد من أنها قصدت بيريه رأساً . ومن قرار صدر في سنين حرب البلغونيز الأولى ، نعلم أن أئتنا صرحت لمدينة صغيرة على ساحل مقدونيا بنقل قبحها إليها رأساً من بينزطة ، بدلا من طريق بيريه ، وأعطت الحراس تعليمات لتسهيل هذا الامتياز . ومواد النص تبين كم كان هذا القانون العادي شديداً ، وكم كان هذا التصريح عظيماً وسمحاً<sup>(١)</sup> .

وعلى ذلك كانت سفن القمح تطلع من المضائق ، وتوجه جنوباً مع التيار عند سيجيوم ، ثم تشق طريقها بين الجزائر وتمر قريبة تحت صخرة سونيوم يعلوها معبدها المتألق ، ثم إذا بها تفرغ حمولتها في بيريه . ولكن أصحاب الشحنة لم ينتهوا بعد من النظم الأخرى . فالقمح يجب أن يخزن في أهراء الدولة . حيث تشرف عليه هيئة مكونة من عشرة مفتشين رسميين ليتأكدوا من أن ثلثي القمح ، قد نقل رأساً إلى أسواق أئتنا . أما الثلث الباقى ، ففي الظروف العادية ، كان التجار أحراراً في إعادة تصديره<sup>(٢)</sup> .

(١) هيكس وهيل ، رقم ٦٠ ويتكلم كما لو كان مركز الحراس بينزطة . وطبعاً كان مركزهم في هيلسبونوت كما يدل اسمهم على ذلك وربما كان في سستوس (أنظر توكيديدس ، ٨ — ٦٢ — ٣ ، ١٠٢ — ١ ثم هيرودوت ٩ — ١١٥ ) ، وفضل بيزستراتوس سيجيوم : هيرودوت ٥ — ٩٤ . وليس لدينا وسائل نعرف بها مدى التوسع في الامتياز الذى منحه القرار . وفي توكيديدس ٣ — ٢ — ٢ تنتظر ميتيلين « الرماة والقمح من البحر الأسود » ، وواضح أنه وارد إليها مباشرة وربما بتصريح من موظفى الدردنيل مادام الأمر يتعلق بالقمح .

(٢) Atb. Pol. ، ٥١ — ٤ ( دليل من القرن الرابع . ومن المحتمل أن كان يشرف على واجبات هؤلاء المفتشين المحصنين في القرن الخامس مراقبو القمح في المدينة ، ولكن المهم أن تلك الواجبات كانت تؤدي فعلاً ) . الخزن : توكيديدس ٨ — ٩٠ — ٥ . ويتحدث توكيديدس ٨ — ٤ ( أنظر ، ٧ — ٢٨ — ١ ) بأن سونيوم حصنت في شتاء ٤١٣ — ٤١٢ ، « لتكفل الأمن لسفن القمح في طريقها حولها » . وقد كانت المحصنون في أعلى =

لم تبق إلا آخر عملية مالية ثم ترك ربان سفينتنا التجارية . فإزال عليه بيع ثلثيه إلى تجار التجزئة المحليين . وهنا أيضاً يجب أن يكون حذراً . فالدولة تحرم عليه أن يبيع أكثر من خمسين مكيبالا ، إلى تاجر واحد . والغرض من هذا الشرط واضح ، وهو وضع القمح في أيدي كثيرة ، ومنع كل محاولة لاحتكار السوق . ولكن هذا القانون ككثير غيره ، قد يفضي إلى النتائج نفسها التي وضع لتجنبها . فربان السفينة التجارية كان إلى حد بعيد محتكراً ، مثل تاجر التجزئة المحلي أو الطحان ، فإذا ما كان في الميناء مركب واحد أو اثنان من مراكب القمح ، وكانت مخازن المدينة آخذة في النقصان ، أمكنه دفع تجار التجزئة إلى مضاربة بعضهم البعض في رفع ثمن الحنسين مكيبالا . ومن هنا ، وعلى أية حال عطل هذا القانون وقتياً في إحدى المناسبات ، عطله هذا الموظف الجريء ، هذا العجوز الشجاع نفسه أنيتوس الذي بهوره قدم سقراطاً للمحاكمة . أغرى أنيتوس تجار التجزئة ، على مسؤوليته هو ، بتكوين جماعة ضد المستوردين . وهؤلاء بالطبع قاموا بضجة ، بخصوص عدم شرعية هذا الإجراء ، وعهدوا إلى ليسيئاس أبرز نواب المجلس في الدفاع عن قضيتهم . ولا زالت مرافعته ، وهي مثل بارع على كيف يستطيع محام قدير تكبير المياه لإخفاء موضوع النزاع الحقيقي . ولكنه التقى اليوم أخيراً بالمفسر الذي يعادله مهارة وذكاء ، فنجح فيلادوثيتز ( بالتأكيد أكثر بكثير من خصم ليسيئاس في ذلك الوقت ) في أن يجعلنا نرتي طولاء الأبالسة ، تجار التجزئة (١) .

---

= المرتفع ، إلى جانب العبد ، حتى لم يكن واضحاً من أول وهلة ، الغرض منها . وكان الاحتفاظ بسفن الحراسة في الميناء المجاورة الصغيرة يبدو عملياً أكثر . ولكن ذلك « الأمن » المنشود ربما كان ضد الجو والهجوم من ناحية البر ، وليس ضد سفن القرصنة . فالسفن التي تبحر في الشتاء تستطيع أن ترسو وتنتظر في سونيوم رغم احتلال اليولوبونيزيين لأتيكا . لقد اضطرت أتيينا في الواقع إلى أن تحصن بييلوس ( Pylos ) أخرى في أرضها .

(١) ليسيئاس ، ٢٢ وفيلادوثيتز ، A. A. ، الجزء الثاني ص ٣٧٤ وما بعدها . وتؤرخ الخطبة بالشهور الأولى من عام ٣٨٦ قبل إضاءة معاهدة « سلم الملك » . بإثارة ، تلك المعاهدة التي لاشك في أن ثمن القمح المرتفع كان له صلة بها .



وأخيراً ، بعد أن تمت إجراءات المخازن ، ينقل القمح إلى السوق .  
ولكن ما يتعرض له من التقلبات لم ينته بعد . فبينما تركت السلع العادية  
تحت مراقبة كتبة السوق فقط ، كانت هناك لجنة خاصة من حراس القمح ،  
قوامها خمسة أشخاص ، ثم أصبحت فيما بعد حوالى ٢٠ لمراقبة بيعه .  
ولم يكن واجبهم بالضبط تحديد الأسعار ( رغم أنه يكاد أن يكون وصل  
إلى ذلك ) ، ولكن أن يكفلوا للجمهور العدل والنزاهة . وهذا يشمل  
مثلا الحق في منع الطحان أو الخباز من العمل على الحصول على ربح مُبالغ  
فيه . فيجب أن تبقى أسعار الدقيق والخبز في مستوى شديد الارتباط  
بتكاليف المواد الخام . وثم واجب آخر أدق وهو إغراء بائعي الحبوب  
بالتزام « الثمن المقرر » ، والتنازل عن الأرباح الفاحشة عند ما يسر لهم  
ذلك ، نقص القمح وقلته . « الثمن المقرر هو ثمن البيع المحدد في المصفق  
( البورصة ) . وهو الثمن الذى تبيع الدولة به قمحها عند الحاجة ، . ولكن  
الدولة لم تجرؤ على اتخاذ إجراء عنيف ، كأن تحرم على التجار تجاوزه . وكل  
ما تفعله ، هو أن تستعمل كل الوسائل الممكنة لإقناع التجار ليسكونوا  
كرما إلى حد أن يتعاملوا طوعاً بهذا الثمن ، . وقد كان لمثل هذه الأساليب  
أثرها في القرن الخامس في أثينا ، حيث كان الشرف والواجب العام يعدلان  
عند معظم الناس ، الذهب والفضة . أما فيما بعد فلم يكن لهما هذا الأثر ،  
كما يمكن أن نرى ذلك على الأقل ، من ازدياد عدد الموظفين الذين يعملون  
في تموين القمح (١) .

---

(١) فيلاموثينز ، A. A. ، الجزء الأول ص ٢٢٠ ، ولا سيما ملاحظة ٦٧  
و Ath. Pol. ، ٥١ - ٣ ، ثم ديموستينز ، ٣٤ - ٣٩ ، ٥٦ - ٨ ( « الثمن المقرر » ) .  
فان النصوص التى درسها وللم في هيرميس ، الجزء ٢٤ ص ١٤٨ وما بعدها ، ثم ديتنبرجر ،  
رقم ١٥٢ ، وأيضاً ( ١٩٢١ ) : طرق التسمير وأقصى ثمن تقرر أثناء الحرب .

هذا إذا ما عناه بركليس ، حين قال لمستمعيه ، مستعملا الجملة القديمة ،  
إن المدينة كانت د تكفي نفسها بنفسها كل الكفاية في الحرب والسلام .  
فالكلمات بالنسبة لمن يستمع عرضاً ، لتعني صوت عجلات نقل القمح عندما  
تحمل المحصول من الخمول إلى أهراء المدينة . ولكن بركليس عندما تكلم  
إذ ذاك ، تراءى له المراقبون في سستوس وفي أراضي الحراث السيثيون ،  
البعيدة .

## الفصل الرابع عشر

### اقتصاديات الإمبراطورية : التعامل الحر

Ἐπεσέρχεται διὰ μέγεθος τῆς πόλεως ἐκ πάσης γῆς τὰ πάντα.

إن عظمة مدينتنا تجذب منتجات العالم إلى موانينا .

توكيديس ، ٢ - ٣٨ .

إن النتيجة الطبيعية للتجارة هي أنها تؤدي إلى السلم . فالامتان اللتان تتعاملان سوياً تنتهيان إلى الاعتماد المتبادل على بعضهما البعض ، فإذا كان لأحدهما صالح في الشراء ، فصالح الأخرى في البيع . وكل الصلات قامت على الحاجة المشتركة .

مونتكيو ، ٢ روح القوانين ، ٢٠ - ٢٠ .

أصبح في مقدور أثينا أن تتسع بعد أن ضمنت موارد الغذاء ، فقد زال العائق الكبير الذي كان يحول دون تقدمها المادي ، فجعلت من نفسها بعد عناء بالغ وهي مدينة ليس إلا ، إمبراطورية . ولم يكن عليها ، كما قال بركليس إلا أن تحتفظ بما كسبته لتتق على الجهود التي بذلها آباؤها . ومهما ازدادت عظمتها فلم تكن لتخشى الجوع أبداً ، فقد تم انقلبها الاقتصادي ، وكما حدث في أوروبا الغربية في بداية القرن التاسع عشر ، بدت كل الحضارة بين يديها . لقد أوتيت الكثير بوسائل قليلة ، رغم حكم الطغاة لها وانحصار اعتمادها على موارد أتيكا الضئيلة . فأى شيء لا يمكنها الآن ، وهي في فيض من الحرية ، والعالم كله في وسعها أن تشارك في مشروعاتها (١) ؟

(١) هناك أكثر من اتصال لفظي بين الحرية السياسية ، والتجارة الحرة كما أكدته مرارا المرثية . أنظر هيرودوت ، ٥ - ١٦ : « لقد كانت أثينا من قبل عظيمة ، ولكنها لما أن تخلعت من الطغاة ، زادت عظمتها » . إن هيرودوت يكاد يتندر استمعية من الديمقراطيين في القرن الخامس المئتين بحرية التجارة ، بالتقدم الاقتصادي الذي أحرزته أثينا في عهد آل بيرسثاتوس .

وعلى هذا النحو بدت آمالها لبركليس وأقرانه ، الرجال وأبناء الرجال الذين جعلوا أئينا ذات كفاية ذاتية ، فقد تطلعوا إلى عهد رخاء مادي ، وتقدم روجي يعززها ويحميها سلم مسلح ، يسود الإمبراطورية الأثينية . يجب ألا يكون هناك أى اعتراض على سيادة البحرية الأثينية ، وألا يضمن بوقت أو مال لصيانة كفالة قوتها ، فالأثينيون يجب أن يضربوا للعالم مثلاً للولاء المدني للخدمة الشهيرة التي اعتمدوا عليها جميعاً ، إلا أن هذا لم يكن إلا أساس نظرية بركليس الإمبراطورية . وهما كان ما قد أوحوا به من ولاء ، فالأساطيل والدفاع ليسا سوى وسائل لأغراض روحية ، ولم يخطيء بركليس مطلقاً بخلط الوسائل بالغايات . فبالنظرة الثاقبة التي امتاز بها جيشه وعصره ، وضع بركليس نصب عينيه الأمور الجوهرية . فأئينا يجب أن تسبق العالم في التسلح ، إذ عليها أن تقوده في الحضارة ، ويجب أن تكون سيدة بالمعنى المزدوج حاكمة ومعلمة<sup>(١)</sup> .

فماذا تعلم ؟ للجواب على ذلك يجب أن نعود مرة أخرى إلى المرثية . هي لن تعلم الفن أو الأدب ، أو ما نعرفه حديثاً بالهيلينية ، وإنما هو مجرد ممارسة الفضيلة المدنية ، ما هي الحياة الخيرة منذ مظاهر قوتها الأولى ، إلى تمام كمالها . ولكن أئينا منذ أن غدت إمبراطورية ، نأت بلواء الفضيلة المدنية عن ما قد نلحقه به من واجبات تافهة جامدة . فإذا كان مواطنوها سيغدون حقاً قدوة لليونان ، فيجب أن يهيشوا مكاناً في طبيعتهم ، ووقتاً في حياتهم لعالم الفن والآراء الجديد ، الذي انفتح لهم باتصالهم الحر بالعالم الخارجي . ويجب أن يضطلعوا بعملهم لا باستقامة الاسبرطيين الجامدة ، لكن بروح وضاعة مرحة ، بروح مستقلة ، وإدراك متشعب التواحي ،

---

(١) توكيدس ، ٢ - ٣٧ - ٤١ ، ٦١ - ١ . أنظر ١ - ١٤٤ - ١ ، ثم ٤ - ٦٢ - ٢ . اعتبر بركليس حرب البلوبونيز فترة لا بد منها لتنقية الجو . ولكنه يبدو أنه كان يتطلع دائماً إلى الاستقرار الدائم الذي كان ليها . وكذلك فعل المهندس الذي استخدمه في البروبيلايا والإرخثيوم .

وسلوك كله سهولة وسماحة تلقائية ، . ويجب أن يرحبوا بالترحيب كله بما يقدمه العالم لهم ، كما كانت تسعد مدينتهم دائماً بالترحيب ، كما تقضى التقاليد ، بالوافدين من كل فج . ويجب أن يكونوا محبين للجمال والحكمة ، حب لهذا بدون إسراف ، ولذلك بدون تخنث . وبهذا وحده يستطيعون ، لا بأقوالهم إنما بأفعالهم أن يعلوا البشرية السر العظيم ، الذى لم تعمل أى جماعة للكشف عنه جدياً على هذا النحو ، وهو كيف يمكن للرجال ، بل وكيف يجب أن يعيشوا معاً ، فى مجتمع متمدن ، وكيف يمكن للحرية والصلاح والجمال والمعرفة والعدل ، أن تعيش معاً فى مكان واحد ، وتشيع السعادة فى الجماعة (١) .

(١) أنظر توكيديس ، ١ — ٢ — ٦ والأفكار المشابهة فى الرثية . إن الترحيب بالأجانب والأخذ بالآراء الأجنبية ، أمور متشابهة تخطر لعقول الناس ، ويجب اعتبار المجتمع الأثينى فى عصر بركليس ، أنجح مثل للتنظيم الاجتماعى عرف فى التاريخ . فجمعتها قد رتب ( arranged ) ( كلمة منظم ( organized ) كلمة فيها كثير من الدقة والقصد ) ، الترتيب الذى يمكنه من أن يستفيد أكبر فائدة من الناس الذين تحت تصرفه . وبدون أى نظام للتربية القومية ، كما نفهمه نحن من معنى هذه الكلمة ، فقد استطاعت أن « تستخلص » من أعضائه كل ما فيهم من قدرة وميزات . « وتلاحظ Galton ( Hereditary Genius ، طبعة ١٩١٤ ، ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ، القاعة ، ص ٣٠ ) العدد الذى أخرجته أثينا « من الشخصيات المتنازة » فى ذلك العصر ، وحاول أن يبين أن الأسباب المواتية لظهور ذوى الكفاية المتنازة ، لا بد وأنها أخرجت أيضاً مثل هذا العدد وأكثر منه ، من رجال ، بمدون ذوى قدرة استثنائية ، وإن لم يكن لديهم ما نسميه « نبوغاً » . وبعبارة أخرى ، إن المستوى الروحى لهذه الجماعة كان مرتفعاً بشكل يثير الدهشة . « ومستوى الكفاءة فى الجنس الأثينى يكاد أن يكون ، على أقل تقدير ، على درجتين أعلى من مستوى جنسنا ، أى نحو مقدار ما يملو به جنسنا عن مستوى زنوج أفريقيا . وهذا التقدير الذى قد يبدو ليهض غريباً أثينته ، ما للشعب الأثينى من فكر وقاد ، وثقافة عالية ، ذلك الشعب الذى كانت تلقى أمامه المؤلفات الأدبية ، وتعرض عليه الأعمال الفنية ذات الطابع الجدى ، الذى يملو كثيراً ما يمكن أن تدركه أوساط الناس من بنى جنسنا . هذا صحيح ، ولكن العبرة الخاصة بتجسين النسل التى استخلصها جالتون منه لم تكن مقنعة ، أى أن أثينا « بطريقة انتخاب لا شعورية إلى حد ما استطاعت أن تنشئ سلالة رائدة من الحيوانات البشرية » ، أنجبت فى مدى قرن ( ٥٣٠ — ٤٣٠ ق.م . ) ١٤ « شخصية ممتازة » . وبقدر ما كان الاختيار اليونانى أمراً مقصوداً ، فقد كان يتم بدون أى مراعاة لصفات العقلية والحلقية ( أنظر ص ٤٠١ فى سابق ) . إن السلالة يمكن أن تفسر لنا جزءاً من ذلك ، ولكننا لا نفسر كل عظمة اليونان القديمة . لماذا ازدهرت كل هذه الكفاءات فى أثينا بصفة خاصة وفى هذا الوقت بالذات ؟ طبيعى أن ذلك لم يكن لأن البراعة حلت بالأثينيين فجأة ، إنما ذلك يرجع لأسباب اجتماعية . ويجدر بنا أن لا ننسى أننا لانرجع تحت البارنتون =

ولكن إذا كان على أثينا أن تؤدي رسالة الحضارة العظيمة هذه ، كان لا بد من توافر شرطين ماديين ، الأمان المطلق ، والثروة الكافية . وقد رأينا أن الشرط الأول قد ضمنته قوتها البحرية . فكيف تحصل على الشرط الثاني إذن ؟

وهذه المسألة التي يجب أن نتناولها الآن ، كانت المشكلة الدائمة في سياسة الاثينيين في القرن الخامس . ودار حولها في الصور العديدة التي اتخذتها باختلاف الظروف ، معظم المناقشات الكبرى في السياسة الأثينية . إذ على الجواب الصحيح عليها ، يتوقف كل مستقبل أثينا ومثلها العليا ، وهو ما شعر به الناس على نحو مبهم .

وكان أحكم سياسيين في الإمبراطورية على ثقة من الجواب الصحيح . وكان أحدهما مؤسس الإمبراطورية والآخر أكبر نصير لها . فأفضل طريق لجعل أثينا دولة غنية ، كما ناديا ، هو ألا تقنع بدخولها بما يدفع للإمبراطورية

---

= إلى ذكاء وعبقريّة فيدياس وحده ، وإنما يرجع ذلك أيضاً إلى عبقرية النظام الاجتماعي الذي عرف كيف يستفيد منه . وعلى هذا القياس فإنشاء Albert Memorial لا يرجع لأن أحدا لم يولد في هذا البلد وله تلك القدرة الكاملة اللازمة لتصميم ما هو أحسن منه ، ولا حتى لأن أحدا لم يقدم مشروعاً أحسن من ذلك ( فقد أرسل على الأقل مشروع يفوقه كثيراً ولا يزال موجوداً ) ، ولكن ذلك يرجع إلى النظام الاجتماعي والصناعي الذين أشرفوا على إنشائه . ومن المستحيل أن نفكر من الكفايات تفقدها إذن في ظل إدارتنا السيئة ، ولكن سيادة أفقر الصفات ( إجمالاً هي تسلط قوة الإرادة على العقل والشعور ) المعهولة في الحياة الغربية الحديثة تبين لنا ، كم هي كبيرة هذه الخسارة . ومن حيث أخطاء « التربية » الغربية في هذا الموضوع ، أنظر كتاب What is and what might be لإدموند هولمز ( Edmond Holmes ) كبير مفتشي المدارس الأولية ، التي أقتنته تجاربه « أنه في الأحوال المواتية ، من الممكن أن يندو الطفل العادي هو الشاذ النادر ، ويصل إلى ما يعتبر عادة درجة مرتفعة من التقدم العقلي والروحي » ( ص ٣٠٣ ) ، وهذا تمايل على تقدير جالتون . ١٩١٤ — وقد تركت هذه الملاحظة بدون تغيير . فتجارب سنتين في نفس العمل الذي كان فيه المستر هولمز ، قد أبدت اعتقادي في رأيه الذي لا ينطبق على الأطفال والمراهقين لحسب ، بل إلى حد ما على البالغين أيضاً . أنظر في هذه النقطة ، University Tutorial Classes الذي كتبه ألبرت مانزبردج ( لندن ، ١٩١٣ ) ثم انظر مقالا بعنوان Education & National and Social ، في كتابي Nationality and Government ( لندن ، ١٩١٨ ) . أنظر أيضاً في موضوع البيشة كله R. M. Maciver في بحثه البديع Community, a sociological study ، الطبعة الثانية ، ١٩٢٠ ص ٣٧٣ وما بعدها .

من جزية ، بل يجب أن تنهض بتجارها وصناعتها . وكما أدركا لم يكن هذا بأسرع الطرق ولا أقربها للتقاليد ، كما لم يكن أوفق وسيلة تغرى بالتقدم إلا أنه كان أسهلها ، بل لقد تضمن الحرية ، مثل الإمبراطورية الأعلى الجديد .

إذن قبل ان نسأل ما هي وسائل الإثراء الأخرى التي تراءت لساسة أثينا ، ينبغي أن نتوجه بتفكيرنا إلى مواردها التجارية والصناعية ، وما يعول عليهما ، فهل كانت كافية لإمدادها بالثروة المادية التي تحتاجها إذا ما أرادت إنجاح مشاريعها ؟

طبيعي أن تتوقف التجارة على القوة البحرية ، فبعد موقعة سلاميس وميكالي في عام ٤٨٠ ، ٤٧٩ ، حل الأسطول الأثيني محل أساطيل مدن آسيا الصغرى في بحر إيجه . وذلك نفس ما حدث في نهاية الأمر لبحريتها التجارية . لقد تأثر بالحرب الفارسية أهم منافسي أثينا في ميدان التجارة ، تأثروا بها بشكل واضح فهبت ميلتوس ، واستعبد سكانها بعد الثورة الأيونية ، وضرب الفرس إريتريا في طريقهم إلى مراثون . وفقدت مراكز تجارية هامة أخرى ، مثل فوكيا ، بعضا من أكثر شخصياتها نشاطا وإقداما ، الذين ما كانوا ليخضعوا لنير الفرس (١) .

ولكن تقدم التجارة الأثينية كان أبداً من تقدم أسطولها . فالقوة البحرية يمكن أن تكتسب بعد حرب منتصرة واحدة . أما التجارة فلها قوة دافعة تظل فعالة حتى بعد فتور الباعث الأصلي . فإذا ما قامت العلاقات ، وأنشئت الوكالات ، ونسقت الطرق ، ووضع الخطط ، فسيظل مأخوذاً بها مدى طويلا ، حتى بعد أن يزول عنها كونها أكثر نفعاً وملائمة ، ومرد ذلك العادة . وهذا صحيح حتى في العالم الحديث ، حيث اعتماد الناس التخبيرات السريعة . كما ألفوا تبجيل الأساليب المندثرة . فها قد انقضت أربعة قرون على

(١) هيرودوت ، ٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٠١ ، وما نقش على القبر من تعبير بديع بشأن الإثوريين الأسورين في بابل ، المجلد السابع من Anth. Pal. ، ص ٢٥٦ ( Mackail ، الطبعة الثانية س ١٥٢ ) .

اكتشاف العالم الجديد، ولا زالت عاصمة الإمبراطورية البريطانية، مع ما لها من علاقات عديدة عبر المحيط، لا زالت تطل شرقاً من مصب التيمز متطلعة إلى أوروبا. وليس بمستغرب في اليونان، حيث ملكت العادة الرجال أكثر منها في غيرها من البلدان، ليس بمستغرب أن نرى تأثيراً قوياً بدافع القوى الاقتصادية الطبيعية. ونجح تجار أثينا، وإن كان بخطوات بطيئة، في الاستيلاء على الوكالات، والعلاقات التي كانت أصلاً في يد منافسهم، وفي أن يجتذبوا إلى بيريه البضائع التي كانت تشحن إليها ليعاد تصديرها منها إلى ميلتوس وساموس وفوكيا. ولم يكن ممكناً حتى منتصف القرن الرابع، اعتبار أثينا المركز التجاري العظيم، وسوق العالم اليوناني الذي على كل تاجر أن يقطع مسافات طويلة لير به. وحتى في أعظم عصور إمبراطوريتها، عندما كان يوجه بركليس سياستها التجارية، وكانت تجارة أثينا لا تزال أضعف من تجارة مدن آسيا الصغرى، ويضيف فيلاموفيتز، وهذا دليل على استطاعة تلك المدن الاستفادة من الأمن والعدل اللذين تمتعت بهما في ظل الإمبراطورية الأثينية. وكان تقدمها التجاري في الغرب الذي ظل خارج نطاق نفوذها البحري، أبطأ من ذلك، إذ كان لها بعض المنافسين الناجحين المتحمسين للتجارة، وأشد هؤلاء خطراً سيراكوز. فقد كان لها مشاريع ومطامع مثل أثينا نفسها. وكان لها شهرة تشهدت قواها، ترجع إلى حريين ناجحتين ضد البرابرة<sup>(١)</sup>.

فلنضع تلك الاعتبارات نصب أعيننا، ثم نلخص ما نعرفه عن التطور التجاري لأثينا من القرن الخامس حتى حرب البلوپونيز، وما نعرفه من العلاقات الجديدة التي أقامتها أثينا في الشرق والغرب، مع مراعاة تأثير ملاميس عليها.

(١) Ways and Means ، ١ - ٦ - ٨ ، فيلاموفيتز ، Reden und Vorträge  
( = Aus Kydathen ، مع ملاحظات مختلفة ) ، الملاحظات على ص ٣٩ و ٤١ ، الطبعة الثالثة ، ١٩١٣ ، ص ٤٢ ، و ٤٤ بنيت على أساس « المعلومات المطبوعة والشفوية عن الاكتشافات التي تمت في السنين القليلة الأخيرة ». وفيما يخص التقدم الذي حدث في صقلية في القرن الخامس أنظر ديودور ، ١١ - ٦٨ - ٦ - ٧٢ و ١ ( من تيبليوس ) .



لقد كان الشرق أقرب لها ، وهي أكثر معرفة به ، فهي فيه تعمل على أرض مهدها لها بيزستراتس . ولكنها رأت أنها هي نفسها قد أقامت عقبات في طريقها هنا . فبينما مدن آسيا الصغرى الساحلية كانت لا تزال على علاقات طيبة مع السلطة المسيطرة على طرق التجارة في الأقاليم الداخلية ، فقد تدفقت بطبيعة الحال تجارة آسيا الداخلية عبر وديان الأنهار ، إلى الموانئ اليونانية الواقعة قرب مصباتها . وبما أن اليونان وفارس صارتا عدوتين ، فقد تعطلت طرق القوافل ، ومنذ ذلك الوقت لم تنتعش التجارة الداخلية المعتمدة على المدن الساحلية . حقا لقد ضعفت حدة العداء بعد المعارك الأولى ، وسحب الفرس قواتهم إلى الداخل ، ولم يجرؤ الأسطول الفينيقي أن يظهر فيما كان معتبرا إذ ذاك مياه يونانية . ولكن ظلت القوة البحرية والقوة البرية ، الإمبراطورية الفارسية والإتحاد الآثيني ، ظلنا في حرب اسمية مدى ٣٢ عاما منذ سلاميس . وكانت النار الخاملة تتأجج من وقت لآخر وتضطرم . ولقد كان أثيمستوكليس ، وهو أبعد نظرا من معاصريه ، من الشجاعة مادفعه إلى معارضة استمرار حالة الحرب هذه . إلا أن الرأي العام المعاصر اتهمه بالخيانة العظمى للقضية الوطنية ، وانتهت مجهوداته من أجل الصلح بنفيه ليس إلا . وبعد موته بذل خلفاؤه محاولات مفضية للمضى بآرائه دون التخلي عن آراء معارضيه . أي انتهاج سياسة تجارية في المياه الشرقية ، دون عقد صلح مع العدو القومي . فبذلت جهود لجعل قبرص مستقلة دائما عن الفرس ، لتصبح مطروقة للتجار . كما يبدو أن قامت الجيوش الآثينية بغزوة لفينيقية . ولكن هدف هذه السياسة الحقيقي كان مصر ، التي كانت وقتئذ في ثورة صريحة ضد النير الفارسي . فأرسلت أثينا أكبر حملة أمكنها جمعها طوال تاريخها ، وذلك لتطرد الفرس من أفريقيا ، وتكفل لنفسها بابا مفتوحا في مصر . إلا أنها كانت تراهن على رهان عال . وفشلت المحاولة تاركة قواتها البحرية مزعزعة ، حتى أن بحر إيجه ظل تحت رحمة أسطول أجنبي لفترة قصيرة . أما بركليس الصغير

الذى أوحى بتلك الفكرة ، فقد عاد نهائياً إلى سياسة ثيمستوكليس القديمة الداعية إلى السلام وإلى التعامل التجارى . وأخيراً فى عام ٤٤٨ غدت أثينا وفارس صديقتين . وكان معنى ذلك بالضرورة الحد الأبدى لأطماع أثينا البحرية فى المياه الشرقية . حقيقة لقد ضمنت أثينا حرية التجارة الكاملة وهو كل ما تمناه لها ثيمستوكليس . فتجارها وسياحها تمكنوا من الذهاب حيثما شاءوا كما نعرف من رحلات هيرودوت ، ولكنها أخضعت مطالبها إلى القوة المسيطرة فى الشرق ، واضطرت أخيراً أن تقبل النزول إلى ميدان المنافسة مع غيرها . ومنذ ذلك الحين تركت كل أمل فى احتكار محصول القمح المصرى لأغراضها الخاصة ، وسرها مشاركة تجار فينيقيين مديريين فى نقل التجارة الشرقية . ولا بد أن اعتماد الأثينيين رؤية بحارة ساميين برابرة فى بيريه ، يغممون من امتياز التبادل الذى اضطرت أثينا إلى منحه لهم . ونود لو نعرف ما الذى كانوا يتحدثون به على رصيف الميناء ، ولأى مدى كانوا عاملاً فى نقل الأفكار بين اليونان وفلسطين ، إلا أن كتاب القرن الخامس البارزين فضلوا جميعاً تجاهلهم . ولم تولهم أثينا اهتمامها ، لأنها كانت تفكر فى أمور أخرى (١) .

(١) فيما يخص سياسة ثيمستوكليس التى اتبناها لتوثيق العلاقات التجارية مع الفرس . أنظر ماير ، ٣ ، فقرة ٢٨٣ . وطبيعى أنها تقيم توكيديدس ، ١ — ٩٣ — ٤ ، فيما عدا بعض أدلة مفصلة . لم يفهم ثيمستوكليس كنه القوة البحرية لغرب ، بل أدرك أيضاً فهم ما يجب أن تؤدى إليه . لقد كان لثيمستوكليس لساناً حاداً ، وكان ينقصه بشاشة خصمه كيون ، ولذلك لم يكن محبوباً من الشعب طيلة حياته . ويبدو أن حلفاءه تطلّعوا لسرقة أفكاره بعد موته ، وإلى الخط من قدر خدماته — وقد أرسلت أثينا ٢٠٠ + ٥٠ سفينة إلى مصر على دفعتين . بينما أرسلت إلى سيراكوز ١٣٦ + ٧٥ سفينة . وبينما كانت جنودها فى مصر كانت مشغولة فى نفس الوقت فى إيجينا وميجارا ، وفيما بعد فى بيوتيا ( توكيديدس ١ — ١٠٥ — ٣ ، ١٠٧ — ١٠٨ ) ، رغم أن مواردها المالية كانت أقل كثيراً مما صارت عليه بعد جيل . وبكل أسف يهوننا بيان معاصر عن أثينا فيما يخص حوادث هذه السنين . إن أهم تقرير عندنا عنها هو نص يرجع إلى عام ٤٥٩ — ٤٥٨ ، ذكر ١٦٨ امماً من أفراد قبيلة إرخثيس ( Erechtheis ) الذين ماتوا فى حرب قبرس ، وفى مصر وفينيقيا ، وفى هالييس ( Halieis ) وميجارا فى نفس السنة . وهو لإحدى القوائم العشرة المشابهة الخاصة بكل قبيلة ( هيكس وهيل ، رقم ٢٦ ) . وفى توكيديدس ، ٦ — ١٧ — ٧ ، صدى لهذه السنين المحيطة حيث ترى

فلنلق الآن نظرة سريعة غربا ، فهنا اتصلت أثينا ، نظراً لإطاعتها المتزايدة ، لابقنافسين برابرة ، ولكن يونانيين . كانت الثلاث قوات البحرية اليونانية التالية ، لها إذ ذاك ، واقعة في طريق تجارها المتجهين غربا . فالطريق البحري إلى إيطاليا وصقلية يمر أولاً في مياه كورنث وما يتبعها ، ثم بمياه كورسيرا ، ثم على جانب المضائق الأيونية المقابل ، ماراً بمنطقة سيرا كوز البحرية . وسيطرت كورنث نفسها على الخليج ، بينما سيطرت مستعمراتها على البحر من الشمال الغربي حتى مصب خليج أمبرا كيا . وهنا يدخل التاجر في مياه كورسيرا الإقليمية ، تلك التي تعيش على ضرائب المرور التي تأخذها من السفن التي ترسو بها عند مرورها . أما حدود المناطق البحرية على ساحل إيطاليا فلم تكن واضحة على هذا النحو ، إلا أن سيرا كوز قد اعتبرت نفسها على قوة كافية لمد نفوذها البحري شمالاً حتى خليج تارنتم إذا ما لزم الأمر . وهكذا كان على أثينا إذا ما رغبت في الاتجار غربا ، إما أن تقهر هؤلاء

— ألكيبيا داس الشاب في مناقشة بخصوص الحملة الصقلية ، يستشهد بسياسة بركليس الصغير . وطبقاً لماهدة ٤٤٨ صارت بحار اليونان تمتد من جزائر *Cyanean II* ( عند مدخل البوسفور إلى البحر الأسود ) إلى جزائر *Chelidonia* على ساحل ليكيا ، التي لا تبعد كثيراً عن نهر *Eurymedon* حيث هزم الأسطول الفينيقي في عام ٤٦٦ . وكان مسلماً بأن البحر الأسود بحراً يونانياً ، ولم تجرؤ سفينة فارسية على الظهور فيه . ونحن نعرف القليل عن الحياة التجارية في قبرص ومصر والسواحل السورية في السنين التي تلت عام ٤٤٨ ، فيما عدا ما يمكن أخذه عرضاً عن هيرودوت ، الذي أمكنه أن يسبح هناك بكثرة . وقد ظلت العلاقات بين أثينا وفارس حسنة ، وكررت البعثات الأثينية إلى سوسة ( *Susa* ) ، حتى كادت تتخذ صبغة سفارة دائمة ... بينما لم تكن معرفة الفارسية أو الأرامية أمراً غير عادي للأثينيين ، ( فيلاموفيتز ، *Reden und Vorträge* ، ص ٤١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٤ ) . أما ما يخص العلاقات بين أثينا وعزة فانظر ص ٢٢٩ فيما سبق ، وانظر هيرودوت ، ٣ — ١٣٦ فيما يخص رحلة فينيقية ساحلية . ويشير إجزينوفون ، *Oec.* ، ٨ — ١١ في تعبير مألوف إلى « السفينة الفينيقية العظيمة » ، التي كانت نموذجاً لما يجب أن تكون عليه شكل السفن . هذا وقد عرف القليل عن تبادل الأفسكار بين الأثينيين والساميين . وقد قامت في بيرايوس مستعمرة فينيقية صغيرة ، ولدينا حوالي ٣٠ نصاً لها صلة بها مقابل نقش واحد جاء على قبر رجل قرطاجي : كليرك في *Métèques ath.* ، ص ٣٨١ — ٣٨٢ ، فرانكوت ، *Industrie* ، الجزء الأول ، ص ٢١٨ ( أنظر ، *Hyper* ، ٥ — ٤ ، بشأن صاحب محل مصري في أثينا ) . ( أنظر التذييل ) .

المنافسين ، وتضم إليها ممتلكاتهم البحرية ، وتقوم على حراستها ، وإما أن تسير على سياسة التفاهم والتفاوض ، وأساسها المنفعة المتبادلة للطرفين . وهنا كما في الشرق ، اتجه بركليس إلى سياسة التفاهم . وهذا كانت أئينا على علاقات طيبة مع كورسيرا وسيرا كوز طيلة حكمه ، ومع كورنث أيضا في الجزء الأخير من عهده (١) .

لا يمكننا أن نتبع بالتفصيل اتساع العلاقات التجارية التي كانت أئينا . قد أنشأنا في موافء ايطاليا وصقلية . إذ لم تبق إلا حقائق متفرقة قليلة ، تشهد بازدياد نشاط تجارها . فنحن نعرف من علامات التجار على الأواني الأتيكية ، أن الرجال الذين حملوها إلى السوق الغربية ، لم يكونوا منذ ٤٨٠ فصاعدا أيونيين على الإطلاق ، بل كانوا أثينيين . ونعلم ، وهو ما يجب أن نتوقعه ، أن ثيمستوكليس قد أيد هذه الحركة بسلطانه ، وأنه كان على علاقات قوية بشمال البلوبونيز ، كما عقد علاقات وثيقة مع كورسيرا ، وربما أيضا مع هيرو ( Hiero ) ، طاغية سيرا كوز الغني . ونحن نعرف أيضا — إذ أن شواهد ذلك من الأحجار محفوظة — أن أئينا ابتدأت ترتبط بمعاهدات وثيقة مع المدن الغربية ، مع سيجستا أولا عام ٤٥٤ ، ثم مع

---

(١) توكيديدس ، ١ — ٢٩ — ٣ ثم ٣٠ — ٣ ( المياه الكورثية ) ، ٣٦ —  
٢ — ٣ ( المياه الكورسيرية ) ، ٢ — ٧ — ٢ ( معاهدة أئينا التجارية مع صقلية ) ،  
٣ — ٨٦ — ٣ و ٤ — ٦٤ — ٣ و ٦ — ٢١ — ٢ و ٣٤ — ٤ ، وانظر  
معه ديودور ، ١٥ — ١٣ — ١ ( المياه السيرا كوزية ) . كانت أئينا في حرب مع  
كورنث فيما بين ٤٥٩ و ٤٥١ ، وقامت بفزوات في مياهما ، حتى أن سفن البحرية  
رابطت في بيجاي على رأس الخليج . ولكن منذ عام ٤٤٥ أصبحت الدولتان في سلم ، بأن  
قبلت كل منهما سيادة الأخرى على مياهما ، وظلت كورنث مخلصه لهذا الاتفاق حتى خلال  
ثورة أهل ساموس في ٤٤٠ — ٤٣٩ . أنظر توكيديدس ، ١ — ٤٠ — ٥ و ١١٧ —  
١٢٠ — ٢ ( حيث أشير بوضوح إلى هذه الترتيبات ) . إن كورنث بما فيها من  
أراضي القمح الجيدة ، ومن خلفها حلفائها البلوبونيزيون ، لم يكن يحق لها أن تخشى الجوع ،  
مثل أئينا . ولم ترى دولة من دول البلوبونيز ضرورة ، لأن تحاول تنظيم الحصول على  
القمح من وراء البحار . ويبدو أن العجز السنوي كان يسد أولا ، من جنوب روسيا ، وفيها  
بعد ، بعد أن احتكرت أئينا مصدر القمح هذا ، من صقلية ومصر ( هيروdot ، ٧ — ١٤٧ ،  
توكيديدس ، ٣ — ٨٦ — ٤ و ٤ — ٥٣ ) .

رجيوم وليونتيني فيما بعد ، في عام ٤٣٣ . كذلك في عام ٤٣٨ نسمع عن وجود أمير بحر أثيني في مستعمرة نابولي اليونانية ، وواضح أنه كان يساعد المدينة ضد هجوم برابرة من الأراضي الداخلية (١).

ولكن أهم وثيقة ترينا طبيعة خطط أثينا ومدائها ، هي خطة استعمار ثوري ( Thurii ) . كانت عاصمة جنوبي إيطاليا التجارية القديمة مدينة سيباريس الشهيرة التي تسيطر على طريق المضيق الموصل من شرق البحر المتوسط إلى غربيه . وفي عام ٥١٠ خربت سيباريس هذه ، وآلت علاقاتها الخارجية إلى أيدي أخرى . وآوى الباقون من سكانها إلى موانئهم على الساحل الغربي . وبعد فترة من الزمن أرادوا الاستقرار ثانية في المكان القديم ، ولكن حقد جارهم القديمة وعدوتهم كروتون ، حال دون ذلك . وفي عام ٤٤٣ صممت أثينا على أن تحقق لهم ذلك . وما كانت المستعمرة الجديدة لتغدو فرعاً لأثينا في نطاق دول اليونان القديمة ، إنما لتكون مستعمرة بانهيليدية تحت رعاية أثينا ، وتكون تجسماً دائماً لمثلها العليا الجديدة في حرية التجارة والتبادل . وكان ذلك بأن يدمج رجال من جميع الدويلات اليونانية في هيئة المواطنين الجديدة . فدعت اليونان كلها لتشارك في هذا العمل . وتوافد عليها المستعمرون والزائرون ، لا من أثينا وامبراطوريتها فقط بل من أركاديا وإيليس وآخيا ، ومن بيوتيا وباقي اليونان الوسطى . ومن بينهم شخصيات معروفة تماماً إذ ذاك ، مثل بروتاجوراس السفسطائي ، وإميدوكليس الشاعر الفيلسوف ، وهيبوداموس المهندس ، وهيرودوت المؤرخ .

(١) الأواني . أنظر ماسبق ص ٣٨٨-٣٨٩ . الماهدات : هيل ، Sources ، الفصل الثالث ، فقره ٣٢٧ ثم هيكس وهيل رقمي ٥١ ، ٥٢ . نابولي ، هيل ، الفصل الثالث ، الفقرات ٣٨١ إلى ٣٨٣ ، ماير ، ٤ ، الفقرة ٤٣٥ . نيمستوكليس : توكيديدس ، ١ — ١٣٥ — ١٣٦ و ١ — ١ ، بلوتارخوس ، نيمستوكليس ، ٣٢٤ و ٣٢٥ : سميت بنتان من بناته إيطاليا وسيباريس . مات هيرود ( Hiero ) عام ٤٦٦ أي في نفس الوقت الذي هرب فيه نيمستوكليس . فإذا افترضنا أن هذه الأنباء واثمة في كورسيرا ، في طريقه إلى صقلية ، فإننا نعرف سبب الطريق الدائري الذي سلكه إلى فارس .

وقد أنشئت المدينة توا ، فدهيبوداموس الشوارع على الطراز المستطيل السائد ، واشترك بروتاجوراس في وضع الدستور النموذجي . ومع ذلك فإن كل من جمعهم من حكام لم يمكنوها من أن تحيا الحياة المثالية التي رنت إليها . فطبائع الدولة المدينة القديمة كانت أقوى من أن يتخلص منها . فخلال عام أو عامين ، انقسمت هيئة المواطنين الجدد إلى قبائل حسب الجنسية السابقة لأعضائها . وفي عام ٤٤٠ رجعت إلى أثينا هيرودوت وغيره من البارزين المناصرين للباديء الجديدة ، رجعوا كاسني البال تاركين المدينة في أيدي الأغلبية التي كانت ضد أثينا . وهكذا فشلت على نحو مشين أول محاولة لممارسة التعاليم الأثينية عملياً . فتقايد الدولة المدينة كانت متصلة للغاية . ولم تكن اليونان صالحة لتلقي فكرة البانهيلينية ، كما فهمها بركليس . كما لم تكن أثينا ، كما سنرى ، مستعدة حقاً لذلك<sup>(١)</sup> .

هذه هي سياسة أثينا البركليسية في الشرق والغرب . فهي لم تكن في كلتا الجهتين قوة بحرية بمعنى الكلمة اليونانية ، فلم تسيطر ، ولم يكن غرضها أن تسيطر ، على الخطوط البحرية . وما كانت لتأمل ضم البحار الشرقية والغربية إلى إمبراطوريتها . فهي لم تكن في الحقيقة حاكمة ، ولكنها كانت مجرد مبشرة ورائدة . أما ما أرادته تجارها ، وحاول

(١) ديودور ، ١٢ — ٩ وما بعدها ، ماير ، ٤ ، الفقرة ، ٣٩٧ وما بعدها ، وفيما يخص هيرودوت ، أنظر Forschungen ، الجزء الثاني ص ١٩٦ وما بعدها . وآخره مصدر في ذلك على أية حال ، مقال جاكوبي في موسوعة Pauly-Wissowa ، الملحق الثاني ، ص ٢٤٢ وما بعدها . ويرى المؤلف أنه مكث في نوري حتى موته . ولم يذكر أن ساهم الكورنثيون في المستعمرة . ولا شك أنه كانت لديهم علاقاتهم التجارية الخاصة ، وأنهم نظروا شزرا إلى أثينا في محاولتها إنشاء علاقات جديدة . ولكن لا أثينا ولا كورنث كان لديها القوة السكافية في المياه الغربية ، لتفكر في القيام بحرب لتخرج الأخرى منها . من هنا أذعن كلاما مضطراً لبهاء الآخر هناك . وفي ذلك الوقت ، نقلا عن فيلاموثيتز ، ( Reden ، ص ٤١ الملاحظة ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٤ ، من Helbig ) ، كانت مدن صقلية ، وخاصة سيراكوز ، صاحبة ، السيطرة على التجارة المحلية مع ساحل إيطاليا الغربي . ومع ذلك فإن Pottier ( Revue Archéologique ، ١٩٠٤ ، ص ٤٦ ) ، يعتقد أن الإيتروسك شاركوا الصقليين هذه السيطرة .

مسانهم الحصول لهم عليه ، فلم يكن احتكار الأسواق الخارجية لشراء البضائع وبيعها ، بل سهولة الاتصال ، والمعاملة الحرة ، والتمسك من الاختلاط والتبادل مع أمم أخرى ليس غير . إن فكرة حرية التعامل الحر بين الرجال وحرية تبادل البضائع والأفكار هذه ، هي هبة العصر البركليسي البارزة للسياسة والاقتصاد الأثيني . وهذا ما نراه مؤكداً في المرثية مراراً . فجيل مرثون وسلاميس أعطى أثينا مظهر إمبراطورية ، تعمل على توسيع تراث الأجداد ، في أتيسكا ، وذلك عن طريق عضوية حلف ديبلوس . وقد استغل الجيل الذي تلاه هذا النفوذ ، ليصون للمدينة كفايتها الذاتية في الحرب والسلم . وقد قال بركليس ، « إن طلائعنا شقت طريقها إلى كل بحر وأرض » . وترتب على هذه الصلات التي أطلقت ، أن اتخذت المنتجات من أقصى بقاع الأرض طريقها إلى أثينا .

ويقول الأوليغارشي العجوز ، إن الأشياء المختارة من صقلية وإيطاليا ، وقبرص ومصر وليديا ، ومن بونتس أو البلوبونيز أو من أى مكان آخر ، استهلكتها كما لو كانت في مركز واحد ، . فإلى هذه الأشياء المختارة ، لحسن الحظ أعطانا كاتب هنلى مسن قائمة لكثير منها ، جمعت في السنة الرابعة من حرب البلوبونيز ، وكأنه يعبرها عن مدى قلة استطاعة اسبرطة وخلفائها على اعتراض طريقها . وهاك بعض الأشياء من أقاليم خارج نفوذ أثينا البحري : جلود ، وخضر من سيرين ، وحبوب ولحوم من إيطاليا ، لحم خنزير وجبن من سيراكوز ، وقلوع وبردى من مصر ، ولبان وبخور من سوريا ، وخشب السرو من كريت ، وعاج من أقاصى أفريقيا ، وأبو فروة ولوز من بافلاجونيا ، وبلح ودقيق القمح الممتاز من فينيقيا ، وسجاجيد ووسائد من قرطاجنة . وكان على أثينا أن تستغنى عن أشياء كثيرة أثناء حرب البلوبونيز فقد اجتاحت أراضيها ، وقطعت طرق تجارتها البرية ، فلم تستطع الحصول على خنازير وخضر من ميجارا ، ولا سمك الثعبان الحبيب إليها ، من بحيرة بيوتيا . ولكن أمكن بركليس

أن يحافظ على تموين أثينا بهذه الأصناف الكالية ، التي ترد إليها من الأقاليم البعيدة ، إلى أن صارت هذه الأصناف كما يقول لنا ، « مالوفة » ، أكثر من منتجات حقولهم الفقيرة (١) .

كل هذه الأشياء كانت جزءاً من الحياة الطيبة التي رغب الأثينيون في دوامها . ولكنها بالتأكيـد كانت كاليات يمكن من وجهة نظر السياسي الاستغناء عنها إذا اقتضى الحال . وكان موافقاً للحصول عليها بطريقة الاستمالة والإقناع الأثينية الطبيعية ، بالاتفاقات الاختيارية والمعاهدات . وقد ضمنت أثينا ضرورياتها الحقيقية ، كما رأينا ، عن طريق رباط أقوى ، هو رباط السيادة البحرية الذي لا ينازعها فيها منازع . وفي الختام لنلقى نظرة عجيـل على هذه الناحية من التجارة الأثينية . فن المهم لهدفنا ألا نرى فقط حدود السيادة البحرية الأثينية ومداهـا ، ولكن يهـمنا أيضاً أن نلاحظ إلى أي مدى كان بقاؤها ملائماً للنشل البركليسي الأعلى ، أي حرية التعامل .

إن معارك سلاميس وميكالي وإيريميدون ، والمعاهدات الفارسية التي تلتها عام ٤٤٨ ، وإخضاع إيجينا قبل ذلك بسنين قليلة ، كل ذلك جعل أثينا سيدة بحر إيـجا الوحيدة ، والتي لا منازع لها . وفي فترة العشر سنوات التي سبقت قيام الحرب البلورونيزية . بسط بركليس هذه السيادة ، لأعلى بحر مرمرة فقط ، إنما أيضاً على الجزء الأكبر من البحر الأسود . ومنذ عام ٤٣١ تحول البحر ، من كريت إلى القرم ، إلى بحيرة أثينية فيما عدا بعض مراكز قليلة الأهمية . وقد أصبح هذا كله منطقة نفوذ الشعب الأثيني ، بل أصبح ملكاً لهم ، أكثر من موطنهم أتيكا ، لأنهم اعتمدوا عليه كل الاعتماد في حياتهم اليومية . وما من أحد يبـحر فيه إلا يـأذن من أثينا ، وتعدي تعاليمها هناك كان

---

(١) Herinippus ، قطعة ، ٦٣ ( Kock ) ، ap. Athen. ، الجزء الأول ، ص ٢٧ ، المكتوب في عام ٤٢٨ ، الأوليجارشى المجوز ، ٢ - ٧ ، Ar. Ach. ، ٨٧٠ ، وما بعدها - ١٩٢١ . قارن السجاد التركي الذي كان لدى ألمانيا منه أكثر من حاجتها أثناء المرممان الناشئ عن الحصار !



جرما لا يعدله إلا غزو أنيكا . والحق أن سياستها هنا ، كما في كل مكان ، كانت سياسة التعامل الحر . لقد حررت البحار اليونانية ، لتسكفل الحرية المدن اليونانية ، وكان تجار الدول الداخلة في امبراطوريتها ، وحتى تجار الدول الخارجة عنها ، مثل كورنث وميجارا ، يمكنهم استغلالها زمن السلم ، كما لو كانوا تجارها ، ولكن بإذن منها . لقد أدركت أثينا ، كما أيقنوا هم ، أنه ما أن تعلن الحرب ، إلا وتكون تجارتهم بين أيديها . فسفن الحراسة الأثينية كانت توضع في كل مكان يصلح للهجوم ، والمواصلات قد تتعرض للقطع بين اليونان وآسيا ، بل وبين جزيرة وجزيرة ، حتى أن أعداء الدولة صاحبة السيادة ، أو رعاياها التائرين ، لا يمكنهم متابعة خططهم إلا في رحلات خفية ، أو اجتماعات محتلثة ، كالقراصنة والمتآمرين (١) .

و ثم فقرة من فقرات الاوليجارشى العجوز ، بها يضع هذا المتذمر الشيخ نصب أعيننا بوضوح يفوق به حتى توكيديدس ، ماعنته حقاً هذه السيادة الإيجينية فيقول : إن المركز الاستراتيجي لقوة بحرية هو لاشك أحسن من مركز القوة البرية . د فرعايا القوة البرية يمكنهم أن يتحدوا ويكونوا مدينة كبيرة من جملة مدن صغيرة ، وبذلك يستطيعون أن يخرجوا إلى الحرب مجتمعين . أما رعايا الدولة البحرية ، فإن كانوا جزريين فلن يمكنهم ضم مدنهم بعضها إلى البعض ، لأن البحر يفصلهم ويباعد بينهم ، ولأن حاکمتهم

---

(١) إن «الاستثناءات القليلة الأهمية» في إيجينا كانت رؤوس خاجان أزير وأدرا مينيوم (Adramyttium) ... ثم يضم مراكز منزلة مثل أنايا (Anaea) تجاه ساموس (توكيديدس ، ٤ - ٧٥ ، ماير ٣ ، الفقرة ٢٩٢) . وربما يرجع سبب تجاهل أثينا لهم ، إلى تدمير سرى مع الفرس . سفن الحراسة الأثينية : توكيديدس ، ٢ - ٢٤ - ١ ( السنة الأولى من الحرب ) : لم تكن دائماً مرابطة على مصب خليج كورنث لمنع السكورنتيين من الخروج ، وذلك حتى شتاء ٤٣٠ - ٤٢٩ ، بعد زوال سلطة بركلييس ( توكيديدس ، ٢ - ٦٩ ، أنظر ١ - ٣٠ - ٢ ) . أما كيف أرسل أسطول البلوونيز لمساعدة بيتياين في ٤٢٧ ، وعبر خلسه إلى أيونيا ، ثم ارتد في الحال « عبر البحر المفتوح مصمماً على ألا يقف في أية جهة ما استطاع السبيل إلى ذلك ، حتى وصل البلوونيز » ، فانظر توكيديدس ، ٣ - ٢٩ إلى ٣٣ ، ولا سيما ٣٢ - ٣٣ . وأيضاً رحلتي أريستوس (Aristeus) في ١ - ٦٠ و ٢ - ٦٢ و ١ - ١١٠ .

قوة بحرية . وحتى إذا أمكنهم أن يجتمعوا سرأ في جزيرة واحدة ، فهم إنما يتعرضون بذلك للوت جوعا . ولم تكن المدن الساحلية الواقعة في ظل النفوذ الأثيني بأحسن حال . فالمدن الكبيرة منها يضطرها الخوف ، والصغيرة ترغمها الحاجة القاسية ، إذ ليس هناك دولة في الوجود لا حاجة لها إلى الصادرات والواردات ، ولا يمكن لأى دولة أن تكفل ذلك ، إلا إذا بقيت خاضعة للقوة البحرية المسيطرة . وزيادة على ذلك فهناك كثير من السبل مفتوحة أمام القوة البحرية ، ومحرومة منها القوة البرية . فيمكنها مثلا أن تغزو وتخرب أرض دولة أقوى منها عسكرياً ، لأن قواتها يمكن أن تبحر طول الساحل إلى نقطة خالية من القوات المضادة ، أو تكاد أن تكون كذلك . وإذا ما لاحت الإمدادات نزلت القوة إلى السفينة ثانية ، ثم تبحر تاركة القوة البرية في أسوأ حال . هذا والقوة البحرية يمكنها أن تبعد عن قواعدهما حسبما تريد ، بينما القوة البرية لا يمكنها أن تتحرك إلى أبعد من سفر أيام قليلة ، إذ المشى عمل بطيء ، والقوات البرية لا يمكن أن تحمل مئونة تكفيها مدة طويلة . وزيادة على ذلك فإن الجيوش البرية يجب أن تمر بأرض صديقة ، أو تحارب لتشق طريقها ، بينما القوة البحرية... يمكنها أن تمشى على طول الشاطئ ، حتى تصل إلى أرض صديقة أو أراضي دولة أقل قوة<sup>(١)</sup> .

هذه الحجج يصح أن تكون قد نقلت من مذكرات بركليس ، فهي تطابق كل المطابقة كل ما نعرفه من توجيهه السياسة الأثينية . على أن هنا ليس مكان مناقشة هذه السياسة بالتفصيل ، ولا مكان بيان كيف أن كل حركة فيها كانت تقوم على فرض تفوق أثينا في مناطق نفوذها ، في بحر إيجه وفي البحر الأسود . ويكفي لذلك مثل واحد . ففي عام ٤٢٣ بعد حرب دامت ثماني سنوات ، تهادن الأثينيون والبلوبونيزيون على قاعدة الاحتفاظ بالحالة

(١) الأوليجارشى العجوز ، ٢ - ٢ ، أنظر قول بركليس في توكيديدس ، ١ - ١٤٠

وما بعدها ، ثم أرخيداموس في ١ - ٨١ - ٣ .

الحاضرة . والمادة الرابعة من الاتفاق ، تقول : أما بالنسبة لاستخدام البحر ، فطالما أن الأمر يخص سواحلهم وسواحل حلفائهم فيمكن للاسيدمونيين وحلفائهم ، الإبحار فيه على أى مركب ذات مجاديف ، لا تزيد حمولتها عن ٥٠٠ تلت ، ولا تكون مركباً حربياً ، . هذه المعاهدة قبلها مثلوا اسبرطة وكورنث وسيكيون وميجارا وإبيسدورس ، الذين أذعنوا بذلك لاستبعاد سفنهم من بحر إيجا استبعاداً تاماً . وتضاد المثل الأعلى للحرية التعامل ، وضرورة المحافظة على الذات ، لا يمكن أن يكون أوضح من ذلك . وسرعان ما كان ذلك مصير كثير من المثل العليا الأخرى (١) .

---

(١) توكيديس ، ٤ — ١١٨ — ٥ وانظر ، ٨ — ٥٦ — ٤ وكذلك هيرودوت ، ٦ — ١٠٤ ( قبل السياحة البحرية الأثينية وبعدها ) ، وأيضاً توكيديدس ، ٥ — ٤٧ . فيما يخص التضاد ، وعدم التلاؤم التام بين التجارة وأقدم أنواع التوسع ( الامبرياليزم ) ، تارن فقرة بديعة في مونتسكيو ، *Esprit des Lois* ، ٢٠ — ٤ . فهو ينقل ملاحظة شيشرون ( *De Rep.* ، ٤ — ٧ ) ، *'Nolo eundem, populum imperatorem et portitorem esse terrarum'* . ويوضح أن سجايا الجنس الامبراطورى القديم الطابع وعاداته ، مثل الرومان في عهد الجمهورية ، تختلف تماما عن تلك في شعب من التجار أو « الصناع » ( *facteurs* ) ، ولكن لسوء الحظ ، أنه في هذا ، كما في الأمور الأخرى ، لا تختفي هذه السجايا عندما تصبح ضارة أو عتيقة . تارن هامش ص ٢٩٤ فيما سبق . إن التلت كان يساوى قدما مكعب من الماء ، أى حوالى ٧٥ لبرا ( رطلا ) خمسمائة تلت تساوى حوالى  $\frac{1}{4}$  ١٢ طنا .

## الفصل الخامس عشر

### اقتصاديات الامبراطورية : العمال

Τὴν γὰρ πόλιν κοινήν παρέχομεν, καὶ οὐκ ἔστιν ὄτε ξενηλασίαις ἀπείργομέν τινα.

لقد فتحنا أبواب مدينتنا على مصراعها للعالم ، ولم نتخذ قرارا لمنع الأجانب أبدا .

بركليس في توكيديس ، ٢ - ٣٩ .

Οἰκέτας οἱ δυνάμενοι ὠνοῦνται ἵνα συνεργοὺς ἔχωσι.

إن ذوى المقدرة يشترون عبيدا ليكونوا لهم عمالا

اجزينوفون ، Memorabilia ، ٢ - ٣ - ٣ .

وبقدر ما قيل أن الأصواف المصبوغة في تركيا ، هي أثبت الأصواف وأحسنها لونا ، . . . فعليك أن تفكر في طريقة لتحسين الصباغة في إنجلترا بإرسال شاب فريد في هذا الفن إليها . . . فإذا لم يمكنك أن تفعل ذلك بالطرق المعتادة ، فعليك أن تلجأ إلى طريقة سامية في تنفيذه - ذكريات عميل : ماذا تصنع في تركيا إلى جانب مهنتك كوكيل . ١٥٨٢ . (رحلات هيكلوت ، الجزء الخامس ، ص ٢٣٤ - طبعة Maclehose) .

لم تفتح أثينا في القرن الخامس أبوابها على مصراعها للبضائع الأجنبية وحدها ، إنما كانت تجتذب أيضا الأدميين وتدعوهم إليها .

في العصور القديمة ، كما رأينا ، كان عدد السكان وإنتاج الطعام مرتبطين ببعضهما البعض ، فإذا ما ضمنت أثينا لنفسها موردا للغذاء من الخارج ، أمكنها الترحيب بالمهاجرين . وقد فعلت ذلك بسرور

دون ما حقد ، إذ كان ساستها من الحكمة بحيث أدركوا أن الثروة إنما  
تتكون بالعقول والأيدى ، وأن كل عامل يزداد إنما هو زيادة  
محتملة في مصادر تلك الثروة . وكان هذا في الحقيقة إحدى بديهيات  
رجال الاقتصاد في الدولة المدينة . وكان لكلمات بركليس التي ذكرناها  
في أول هذا الفصل ، صدى دائم عند الكتاب الآخرين . ويقول ديودور  
ذاها مذهب بعض المؤرخين القدماء ، « لقد حدث ثيمستوكليس الشعب  
على أن يمنح الأجانب المقيمين والصناع إعفاء من بعض الواجبات  
الخاصة ، حتى يأتي المدن أناس كثيرون من جميع الأرجاء ، وحتى يمكنهم  
بسهولة إقامة صناعات أكثر ، . ويقول مؤلف « الطرق والوسائل » ،  
إن لانيكا مزايا طبيعية كثيرة : فلها جو معتدل ، وموقع حسن ، ثم هي  
غنية بنوع خاص بمحاجر المرمر ومناجم الفضة ، « ولكن كل هذا يمكن  
أن يضاف إلى مراعاة الدقة في معالجة شئون المقيمين من الأجانب ، وهو  
ما كان في المقام الأول . أما أنا فلا أكاد أتصور مصدرا للدخل أبدع من  
هذا الذي يأتي إلينا من هذه الناحية ، . فاذا يقصد بعبارة « مراعاة الدقة  
في المعالجة » ؟ إنه لا يعني إجراءات النفي ، ولا حتى إجراءات التفتيش ،  
كتلك التي اعتدناها في الوقت الحاضر للاحتفاظ بمستوى المعيشة ، أو للحد  
من المنافسة غير العادلة ، ولكنه يعني اتخاذ خطوات « تقوى من عزيمتهم ،  
حتى » يمكن أن يتطلع كل من لا مدينة له إلى مركز المقيم الأجنبي في أثينا ،  
وبذلك يزيد دخل المدينة ، . ويعبر الأوليبارشي العجوز عن هذا الرأي  
بطريقة أكثر وضوحا . فقد كتب أثناء السنين الأولى من حرب البلوپونيز يقول :  
« إن المدينة بحاجة إلى مقيمين أجانب لازدياد صناعاتها ، ولمصلحة أسطولها .  
ولهذا السبب أقمنا المساواة . . . بين المقيمين الأجانب عندنا وبين المواطنين  
الأصليين ، . وهكذا لا يمكن أن يعبر عن تدهم نظام المدينة القديم كهيئة  
قائمة بذاتها ومقصورة على أهلها بأصرح من هذا التعبير . وفي ظل النظام  
الاقتصادي الجديد ، رحبت أثينا بعمال من جميع أنحاء العالم ، وكيفت نظامها

لتطابق مقتضياتهم . وقد ساهم سولون وكليستينز ، ثيمستوكليس وكيمون ، ساهموا جميعا في هذا التغيير ، حتى كان في وقت المرثية حوالي ١٢٥ ألف أجنبي في أتيكا ، ولم يكن هذا بأقل كثيرا من عدد الشبان المواطنين ونسأتهم (١) .

وقد سبق أن قابلنا بعضا من هؤلاء المهاجرين ، من أحرار وعبيد ، يعملون جنبا إلى جنب مع المواطنين في مختلف نواحي الحياة في الدولة المدينة . ولم نزل الوقوف عندهم ، لأنهم لم يكونوا في المدينة العادية إلا صورا عابرة . ولم يصبحوا عنصرا من السكان كبيرا ، بالغ الأهمية ، إلا في ظل نظام السيادة فيه للسلطة البحرية ، كما كان في أثينا . وعلى ذلك كان من الطبيعي أن ترجىء إلى هذه المرحلة من دراستنا معالجة الموضوع معالجة كاملة ، وخاصة معالجة أعظم ظاهرة محيرة في الحياة الأثينية ، بل ومتناقضة ، أى نظام الرق .

وقد أمدنا الأوليجارشى العجوز بنقطة ابتداء مناسبة لمناقشتنا ، إذ بطريقته التصميمية ذكر قولة عامة ، تمس صميم الموضوع كله . فهو يقرر بشكل قاطع أن أثينا قد أقامت مساواة ديموقراطية ، بين مواطنيها والمقيمين الأجانب . وبهذا عنى هذا البيان ، لا الرجال الأحرار فقط ، بل والعبيد أيضا (٢) .

فما الذى يعنيه ؟ أما بخصوص الأحرار الأجانب الذين يبلغون ثلث الأجانب المقيمين ، فبياناه ليس صعب التفسير .

---

(١) Ways and Means ، ٢-١ ، الأوليجارشى العجوز ، ١-١٠ إلى ١٢ ، ديودور ، ١١-٤٣-٣ ، وأيضاً بلوتارخوس ، سولون ، ٢٤ ، وذكرت مراجع أخرى ص ٢٠٩ فيما سبق ، أنظر أيضا ص . وأنا أقدر عدد الشبان العبيد بثانين ألفا ( أى أكثر من ثلاثة أرباع العدد كله ) ، وأقدر عدد الشبان الغرباء ، من نساء ورجال ( والنساء أقل ) بخمسة وأربعين ألفا .

(٢) الأوليجارشى العجوز ، ٢-١٢ . إن كلمة *ισθγορία* ، هى نفسها التى استعملها هيردوت فى مدحه النظم الأثينية الحرة ، ٥-٧٨ .

لم يحصل كل أجنبي أتى أثينا على حقوق الأجنبي المقيم أو دمنك (metic) ، فالكثير منهم لم يكونوا سوى سائحين عابرين ، أتوا من أجل موسم التجارة ، ورحلوا قبل أول عاصفة . ولم تمنح أثينا هؤلاء أية امتيازات . فلكي يكون المرء مقيما أو دمنك ، يجب أن يستقر نهائيا ببيته وعائلته في المدينة ، وأن يكون قد أقام هناك وقتا معلوما ، ويكون مساهما في بعض الواجبات العامة . أو بمعنى آخر يجب ألا يكون تاجرا عابرا بل مستقرا ، والأفضل أن يكون ذا حرفة . فما ابتغته المدن اليونانية ، وما احتاجته أثينا بصفة خاصة ، كلما ازدادت تجارتها المتنقلة إنما كان الصناع . ولم تكن حاجتها لهم لمجرد سد حاجيات الحياة الداخلية لسكانها المتزايدين ، ولكن لينتجوا بضائع تحملها سفنها إلى الخارج في تجوالها الصيفي . ولم تغد أثينا ، كما نفهم نحن ، مركزا صناعيا عظيما ، فمعظم منتجاتها التي تمنع في مصانعها الصغيرة وفي المدارس ، وفي المعامل ، إنما كانت للسوق المحلي . ولكن مع ذلك فهي الآن تحاول أن تجعل صادراتها تسار بقدر المستطاع ازدياد تجارتها ، ولم ترسل تجارتها وطلائعها بالنبيذ والزيت فقط للذين كانوا يفيضان عن حاجتها في السنين الطيبة ، بل أرسلتهم أيضا بقدر من الفخار ليعبئا فيها ، وأواني منقوشة وتماثيل صغيرة وتروس وغير ذلك من أنواع المصنوعات المعدنية المصنوعة من المواد الخام المستوردة إلى أثينا ، وكذلك بالمصنوعات الفضية المصنوعة من منتجات مناجم لاوريون ومعها أيضا كتل الرخام والبنتيليك ، الخام اللازمة لنحت التماثيل المهمة في المزارات الأجنبية . تلك هي صادرات أثينا الصناعية في القرن الخامس . فهي مجرد مدينة ريفية إذا ما قورنت بالمراكز الصناعية الحديثة ، أو حتى بالمراكز الهيلينية كالاسكندرية ، أو بالبندقية في القرون الوسطى . وحتى هذا المستوى ما كانت لتباغته دون جاب العمال المهرة (١) .

(١) استعمل الرخام البنتليكس لإصلاح واجهة باب فدياس في أولمبيا . وكذلك في

مرايوم أرجوس .

هؤلاء الأجانب لم يكونوا مواطنين بمعنى الكلمة، على الأقل بعد تنفيذ قانون ٤٥١ . ولكنهم تمتعوا بكثير من امتيازات المواطنين ومسئولياتهم . فخدموا في الجيش وفي الأسطول ، وربما كان ذلك بعد تدريب مماثل لتدريب المواطنين . وكانوا يؤدون نفس الهدايا الحرة ، أو التكليف ، كالمواطنين تماما ، ويدفعون نفس ضريبة الدخل في زمن الحرب وبنفس النسبة . وإلى حد كبير أيضاً كان مركزهم الاقتصادي مماثلاً لمركز المواطنين . ومع أنهم لم يتمتعوا بحق تملك الأرض ( وهو نقص أراد مؤلف الطرق والوسائل أن يزيله ) فقد كان بينهم ، كما نعرف ، بعض المزارعين على الأقل ، واندجت غالبيتهم في صفار التجار والصناع . وصفت أقلية صغيرة غنية منهم في صفوف كبار التجار وأثرياء النبلاء . ولكن كطبقة اجتماعية ، لم يكن لهم مصالح مادية خاصة بهم . فلم يكونوا كما يظن بعض العلماء جماعة غنية من النجار تضرر خططاً سياسية ضارة ، كما أنهم لم يكونوا وهو ما قد يبدو أكثر احتمالاً ، طبقة وضيعة محترمة من العمال المهاجرين ، كذلك التي تأوئها بعض البلدان الحديثة اليوم . وواقع أن تكوينهم الاجتماعي جعلهم عنصراً مستقراً ومتناسقاً في الحياة الأثينية . وهم بوصفون في القرن الخامس دائماً بأنهم لم يكونوا حملاً ثقيلاً ، ولا هم كانوا بأى حال مكروهين بالمدينة . وهو ما يقر له الملك أدرستوس عن الأجنبي المودجى المقيم (الملك المودجى) في Supplices ، الذى احتل مكاناً مناسباً له تمام المناسبة هناك بين صور متحف أثين صغير . وفي الواقع لماذا إذن يكونون مدعاة لكره الشعب في بلد مثل أثينا في عصر مثل ذلك العصر ؟ إنهم كانوا فخورين وسعداء أن يكونوا هناك حتى كغرباء ، كما ينبغي أن نكون نحن لو أتيجت لنا الفرصة . لقد اجتذبتهم « مدرسة اليونان » ولم يكن ذلك بالتأكيد لمجرد سياسة « الباب المفتوح » ، ولكن لأنهم أعجبوا بمثلها العليا ، وكانوا متحمسين للتعاون في نظمها . وأغلبهم كما نعلم من شواهد قبورهم ، لم يكونوا برابرة ، بل كانوا يونانيين أمكنهم تقدير سمو أثينا وعلى استعداد ، كالمؤمنين الجدد دائماً ، أن يكونوا أكثر



التابعين والداعين حماسة . وهكذا فليس من الصعب أن نرى كيف أقيمت  
للمساواة بين هؤلاء الغرباء ومضيفهم المواطنين ، والذي يحتاج إلى تفسير  
هو لماذا حرّموا حق المواطن الكامل ، أكان ذلك لسبب ديني  
أو لحسد وضيع<sup>(١)</sup>.

ولكن ماذا كان من أمر الرقيق ؟ هل كانوا أيضاً بمثابة في الروح  
والأخلاق للسكان الأحرار ، وهل كانوا على استعداد لأن ينسجموا مع  
النظم الأثينية ؟ يبدو أن الأوليغارشي العجوز يقول بذلك ، وهو المصدر  
الوحيد المعاصر الذي يدل برأى مبائر في هذا الموضوع . وهذه هي العبارة  
وهي وافية معبرة ، بما تمكّم بديع للغاية وبذا لا تحتل اختصاراً . « هناك  
نقطة أخرى عن (الديموقراطية الأثينية) ، هي الامتيازات العظيمة التي منحت

(١) يوربيدس ، Supp. ، ٨٩٢ . فيما يخص « الملك » أنظر فيلاموفيتز في « هيرميس » ،  
١٨٨٧ (مبنيًا أنهم كانوا رجالاً ينتمون إلى اندم) ، كايك (Clerc) في Les Métèques  
athéniens (فيما يخص النقطة المشار إليها أعلاه أنظر ص ١٣ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٨٢ ، ٤٠٩ - ٤١٠) .  
خرانكوت في De la condition des étrangers dans les cités grecques (لوقان ،  
١٩٠٣) ، فيما يخص رتب الامتياز المختلفة والحصانة . وفيما يخص الغرباء « كراس »  
(περίπολοι) يساعدون شبان المواطنين المجندين أنظر Freeman في Schools of  
Hellas ، ص ٢١٥ - ٢١٦ والراجع ؛ مثلاً : توكيديس ، ٨ - ٩٢ - ٢ مع ليباس ،  
١٣ - ٧١ ، أنظر توكيديدس ٤ - ٦٧ - ٢ . وأيضاً تود في British  
Annual ، الجزء الثامن ص ١٩٧ وما بعدها ، حيث الملاحظة في صفحة ٢٠٥ تذكر أن ثمانية  
من « الملك » المحررين وصعدوا في طبقة ال γεωργοί الفلاحين أو « عمال الحقول » .  
ويفضل أفلاطون وأرسطو أن تكون المدن ذات كفاية ذاتية ، ولكنهما اضطررا إلى أن  
يسلما بمبدأ ضرورة وجود الغرباء من أصحاب المهن « من أجل الحياة الطيبة » ، أنظر السياسة ،  
٢٠١٣٢٦ ، والقوانين ، ٨٥٠ حيث يقول أفلاطون ، إنه لن يأخذ من أي غريب ضريبة  
أكثر من الزامه بالخلق الطيب . إن نظريات السياسة الخارجية الأثينية المبنية على اختلاف زعموم  
في المصالح بين المواطنين والسكان الأجانب ، يبدو أنها لا أساس لها كفاية . إن التمييز الحقيقي الذي  
أحسه الرجال كان بين « الأجنبي القيم » والغريب العابر (Ξένος) . أنظر كيف لوحظ  
ذلك مثلاً في أوديب الملك . فلم يكن أوديب ( كما هو المفروض ) طيب المولد ولكن كان غريباً  
(metic) (لأنه قد عد « طيبياً بين الطيبين ») (السطر ٢٢٢ وتعبير ، Teiresias ، سطر  
٤٥٢) . تارن قائمة الموتى في ديتنبرجر رقم ٣٢ ، حيث قسم القتلى إلى : (١) مواطنين  
نظموا حسب القبائل ، (٢) غرباء في قائمة الجيش (Έγγραφοι) ، (٣) الرماة وربما  
كابوا مرتزقة ، (٤) الغرباء (Ξένοι) أي فرق من الإمبراطورية .

للعبيد والاجانب المقيمين في أثينا، حتى اعتبر ضربهم مخالفاً للقانون، ولم يكن العبد ليتنحى عن الطريق ليدعك تمر . وسأشرح سبب هذه التقاليد العجيبة . هب أن ضرب المواطن للعبد كان أمراً شرعياً ، فقد يحدث غالباً أن يختلط الأمر فيضرب أثيني خطأ ، على أنه عبيد أو أجنبي ، إذ أن الشعب الأثيني لم يكن يلبس ملابس تفضل أحسن ملابس العبيد أو الاجانب ، ولا هم ينجير منهم في المظهر الشخصى . هذا وإن كنا ندهش من أن العبيد في أثينا كانوا ينغمسون في الترف ، ويحيون حياة نعمة أحياناً ، فهذا أيضاً يمكن أن يقال أنه وضع لغرض معين . فإذا كان عندك قوة بحرية تعتمد على الثروة ، فنحن مضطرون أن نكون عبيداً لعييدنا ، حتى يمكننا الحصول على أجر عبدنا ، وأن ندع العبد الحقيقي يعيش حراً . وعند ما يكون لك عبيد أغنياء ، فما من فائدة في أن يخشاك عبدى . وفي لاسيديمونيا يخافك عبدى . ولكن عندنا إذا خافنى عبدك فهناك خطر من أن يضحى بنقوده في سبيل صون شخصه . ولهذا السبب إذن قد أقمنا مساواة بين عبيدنا ورجالنا الأحرار (١) .

يحتاج بعض هذا إلى شرح أكثر ، ولكن المغزى الرئيسى واضح . فعبيد أثينا كانوا ينعمون بمعاملة حسنة جداً ، بل أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من حياة المدينة ، حتى أنهم لم يتميزوا في مظهرهم عن المواطنين . وزيادة على ذلك ، فبالرغم من أننا أقمنا دائماً أن العبد شيء ، والشئ لا يمكن أن يملك شيئاً آخر ، فقد كان عبيد أثينا أحياناً من الثراء ، بحيث ينغمسون في الترف ، أو يدفعون أموالهم ، فدية حتى ينجوا بأنفسهم . ولم يكن السبب في معاملة العبيد معاملة حسنة والسماح لهم بالإثراء سبباً إنسانياً .

---

(١) الأولبجارشى العجوز ، ١ - ١٠ إلى ١٢ (ترجمة داكنز) . والقانون المشار إليه المذكور فى Dem. ، ٢١ - ٤٧ . وهو كما يأتى : « إذا ارتكب أى إنسان إساءة شخصية ضد رجل أو امرأة أو طفل ، سواء كان حراً أو عبداً ، أو ارتكب أى عمل غير قانونى ، ضد أى واحد ممن ذكروا ، فلائى أثينى ، ما لم يكن محروماً من حقوقه القانونية أن يقاضيه أمام القضاء » . انظر . Aeschin . فى Tim. ، ١٧ .

بل كان سيديا اقتصاديا . ذلك لأن أثينا تريد المال ، وكان العبيد ينتجى الثروة ، فلن بنتجوها إلا إذا عوملوا معاملة حسنة .

هذه هي نظرية عن العبد العامل ، تخالف تماما ما اعتدنا أن نسمعه من مهاجميها أو مؤيديها . فالرق كما نقرأ عنه في أرسطو ، وفي كتابات المزارعين الجنوبيين ، يقوم على فكرة عن طبيعة العبد تختلف تمام الاختلاف . يقول أرسطو : « إن أدنى الأنواع البشرية هم عبيد بطبيعتهم ، وإنه لمن الخير لهم ، كما هو بالنسبة لكل الطبقات الدنيا ، أن يكونوا تحت إمرة سيد . فذلك الذى يمكن أن يكون ، وعلى ذلك فهو فعلا ، ملك لآخر ، والذى لا يستطيع بما لديه من التفكير إلا أن يفهم ما يلقى عليه ، دون أن يملك قدرة التفكير بنفسه ، هو عبد بطبيعته . على حين أن الحيوانات الدنيا لا يمكنها حتى أن تتبع العقل ، فهى تستجيب لغرائزها . الحق أن استخدام العبيد ، واستخدام الحيوانات المستأنسة ، لا يختلفان كثيرا ، فكلاهما يخدم بجسده مقتضيات الحياة . فالعبد بالنسبة لأرسطو والمزارع الجنوبي ، وسط بين الإنسان الحر والحيوان ، دقضى عليه فى شخصه ومستقبله ، أن يعيش دون معرفة ودون قدرة على امتلاك أى شىء امتلاكا شخصيا ، وأن يعمل شخصا ليجنى غيره ثمار عمله ، . وإذا بنينا حكمتنا على ماورد على لسان الأولمجارشى العجوز ، فالعبد فى أثينا فى القرن الخامس كان رجلا مثله تماما ، حتى أن أحسن طريقة للحصول منه على عمل متقن ، هو أن يسمح له بأن يندمج روحا ومظهرا بعالم الأحرار الذى يحيطه . د فلسكى نحصل على أجر عبيدنا ، يجب علينا أن نكون عبيدا لعبيدنا ، وأن نترك العبد الحقيق حرا ، . ما هو تفسير تناقض وجهات النظر هذه ؟ (١)»

(١) أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٤ ب . أما الاقتباس الآخر فأخوذ من الحكم الشهير للقاضى Ruffin من شمال كارولينا ، الذى ذكره كيرنس ( Cairnes ) فى - Slave Power ، ص ٣٨٥ . أنظر أيضا ص ٣٩٠ وما بعدها ، فيما يخص مقال عن "The Philosophy of Secession" فى Charleston Mercury ، عدد ١٣ فبراير ١٨٦١ ، وهو أوضح تعبير عن المثل الأعلى لأرسطو فيما يخص المجتمع القائم على العبيد ، «المراعى فيه التناسب بين =

أما التفسير فسهل جداً . إنه كامن في طبيعة العمل الذي يدعى العبد لأدائه . فإذا كان كل ما يطلب عمله إليه لا يتطلب إلا جهداً آلياً لقواه الجسدية ، فسيعمل العبد كآلة ، وسيعتبره أصحاب النظريات آلة . وبعد فترة قصيرة ، سيضرب بالسياط وينحط إلى الحيوانية ، وتسلب مشاعره حتى يتبدل ، وينزل إلى المساواة التعسة بالآلة التي لا حس لها والتي يقوم مقامها . بينما ، من جهة أخرى ، إذا دعى العبد للقيام بعمل مهم مسئول عنه ، بل عمل فني يستدعي مواهب خاصة وبصافى مطمحة الطبيعي وهو ، فيحتمل أن يرقى إلى عنصر نشيط في الجماعة العاملة له قيمته ، حتى أنه ليدفع المفكرين في مركزه والمدافعين عنه إلى نواحي مختلفة تماماً من المناقشة . وإذا أضلنا الشرح ، ففي الواقع كان هناك نظريتان عن الرق ، لأن هناك نوعين مختلفين من العمل للعبيد . وعلى هذا فهناك نوعان من العبيد . وقد ضمت أئمتنا في حدودها كلا النوعين ، فن الضروري إذن أن تناقش هذين النوعين مناقشة فيها شيء من الدقة . ولكن من المستحسن أولاً أن نعرض باختصار إلى نظم الرق عامة ، إذ ما من ناحية في الحياة اليونانية يسودها مثل هذه البلبلة .

لقد درجنا على اعتبار الرق في جميع صوره بصفة خاصة ، شيئاً خاطئاً غير طبيعي . فإذا كان علينا أن نفهم مكان الرق في الحياة اليونانية ، ونترك نظرة اليونانيين إليه ، فيجب أن نترك جانباً هذه النظرة الحديثة . أو بالأحرى يجب أن نرتفع ، متخذين من اليونانيين مرشدين لنا ، إلى مستوى أعلا من التفكير تغلب عليه الصبغة الفلسفية . فنظم العمل كلها هما كانت ، ليست

---

= العمل والأنحاء ، فيه العقل والمادة متناسبان نسبة عادلة ، مصوراً لنا أسمى ما نصل إليه الطبيعة الحية . . . . إن سفينة الدولة لديها ما يثبتها ويحفظ توازنها بوجود طبقة المحرومين من الحقوق المدنية ، وليس هناك إذن أي مجال لاضطراب سياسي ، وعلى ذلك فن المقول أن تسير المركب بعد أن أنزنت بهذا الشكل متجهة إلى الأمام مدة لا نهائية لها . . إن الفلسفة الاجتماعية المعقدة هنا لا تقتصر على الدول القائمة على العبيد .

إلا تنظم العلاقات بين الكائنات البشرية ، أو بين مجموعات هذه الكائنات وعلى ذلك ليس لنا أن نحكم عليهم ، حتى ننظر إليهم على ضوء هذا المجال الأوسع ، وحتى نرى أية علاقات بشرية أخذوا بها ، وما كانت عليه حياة الكائنات البشرية التي تأثرت بهم ، وحالتها المعنوية . فلتقدم نظم العمل العالمية أسام تلك المحكمة فلن يرى الرق في نفسه المذنب الوحيد ، ولا حتى أكثر ، المذنبين بشاعة . وسيقول الفاضل إنه من الخصاص دائما أن يستعبد أو يستغل أو يُسخر الرجال بعضهم البعض ، أو أن يعامل بعضهم البعض الآخر كما لو كانوا أجسادا مجردة من الروح . فكل نظام للعمل يؤسس وينظم على افتراض أن الإنسان ما هو إلا آلة وسط آلات أخرى كثيرة ، ويجب أن يعامل على هذا الأساس ، هو نظام غير إنساني وغير طبيعي ، يلحق ضررا بالغا بطبيعة المرء الحقيقية . ولكن هل كان هذا الخطأ يظهر في نظم الرق إلى درجة أكبر منها في غيره من النظم ، ذلك أمر لا يحكم عليه بالعقيدة المتوارثة ، أو التأكيد الاعتقادي ، ولكن يجب ألا يقضى فيه إلا بالدراسة الدقيقة المفصلة .<sup>(١)</sup>

(١) ليست مسألة شروط العمل مجرد مسألة قانونية وإن الرق بمعناه الأوسم يعني معاملة العمال ، كأنهم آلات لا روح فيها ، ولا يمكن أن يلقى بشتريم قانوني فهو أمر يخص بالقوى الأدبية ، ويرأى الجماعة وشعورها العام . وهو بهذا المعنى سيظل مشكلة قائمة بيننا ما دام سوء استعمال القوة باقيا كإغراء بشري طبيعي . إلا أن المجال سيظل مفتوحا لنشاط المصلح المطالب بالناء الرق ، إذا وافق على الاعتراف بقصور التعريف القانوني للرق . ففي المناطق المدارية كما يقول نيفنسون ، فيما يتصل بأجر العمال المتعاقدين معهم في جزر السكاكاو البرتغالية ( وهذه الملاحظة تنطبق أيضا على دقنى الضرائب الأحرار في السكتفو ) « إنه يجب أن تواجه المسألة كلها من جديد ، لأن الحلول التي تمت على أبدى أسلافنا لم تعد مرضية البتة » . بل يجب أن تواجه من جديد في ظل نظامنا الصناعي الأكثر تعقيدا ، حيث يمكن أن يتشكل استغلال العامل ألف شكل ، كما يعلم جيدا أي فرد على صلة بظروف طبقة العمال . وقد يفزعنا أحيانا ظهورها بظهوره يشابه الظروف القديمة مشابهة مجيبة . « وأجر العبد هو طامامه » ، كما يقول مؤلف اقتصاديات أرسطو ( δούλω μισθός τροφή ) . وهناك عمال كثيرون حديثون ، وفلاحون ، وعمال زراعيون ، وعمال محلات وغيرهم ممن لازالوا يأخذون أجرهم مقابل كالمبيد في اليونان القديمة . والفارق الرئيسي بينهم هو أن من مصلحة صاحب العمل القديم أن يدفع لهم أجورا بالقدر الذي يجعلهم يستمرون في العمل ، لأنه يتحمل تكاليف استبدال غيرهم بهم .

وعلى أية حال فالليونانيون لم يشاطرونا وجهة نظرنا الحديثة . فالرق عندهم ، وهو أبعد من أن يكون غير طبيعي ، كان جزءاً من نظام الطبيعة . وقد شبوا على معرفة أن كان باليونان عبيد من قديم . فصلة السيد بالعبد لم تكن عندهم أمراً يختلف عن صلة الزوج بالزوجة أو الأب بالابن . وكان للعبد مكانه في العائلة ، في الملاحم والمساعي ، وفي إنجيل النظم اليونانية . ولم يفكر أحد أن يلوم سيدياً يستغل عبده دون أجر . فلم يعتبر اليونانيون امتلاك عبد واستغلاله ، جرماً أو خطأ أخلاقياً ، ولا حتى عدم لياقة ، فقد كان ذلك إلى حد بعيد جزءاً لا يتجزأ من العالم القديم الذي درجت فيه جماعتهم . إلا أن هذا الرق على طول المراتم والنعود ، لم يترك شعور اليوناني المرهف سليماً دون ما تأثير . فعلى خلاف صاحب العمل الكبير ، أو المساهم في العصر الحديث ، فقد كانت معظم أدواته الحية هذه تحت يده لا بعيدة عنه بعدا يجعل مشاعره لا تتأثر تأثيراً مباشراً . وعلى ذلك مع أنهم لم يعتبروا الرق خطيئة بالنسبة للسيد ، إلا أنهم رأوا وشعروا بأنه سوء حظ للعبد ، كما شعر الضمير اليوناني العام ، الذي رفض أن يلوم السيد ، بالأسى للعبد . والأدب اليوناني من عهد هومر إلى يوربيدس وما بعده ، مليء بالعطف على الأسير ، مليء بصرخة الألم التي تصدر عن الرجل القوي الذي فقد باستعباده نصف رجولته ، مليء بالنساء والأطفال اللاتي لم يعد له قدرة على حمايتهن من الخجل والمهانة . وكان الفرع الحقيقي في الحرب اليونانية ، والهول الأكبر الذي يتمثل خلف تلك المباراة العظيمة المثيرة ، هو طول أمد الأسر الذي قد ينتظر من بقي من المهزومين التعساء . وإن الشعراء والمعلمين الذين أحبوا أن يطيلوا البحث في تقلب الأمور الإنسانية وتغيرها ، لم يدعوا هذا الخوف يتضاءل أبداً في عقول جمهور قرائهم ومستمعهم . وإن أثيني القرن الخامس ، وفي حوزته عبيد يساعده في أعماله اليومية ، ليستمتع بتأثر وانفعال إلى قصة هيكوبا وأندروماخوس أو إيفيجنيا ، ثم يرجع من

المسرح إلى منزله ، لا ناقدا ولا مستهجننا نظام العبودية ، ولكن مصمماً على أن يكون أكثر شفقة وصبراً على البرابرة الصغار الذين بإرادة غريبة من السماء ، صاروا جزءاً من كيان منزله . فإزالت تتردد في أذنيه كمن ذكر حتى أبدى ، كلمات جماعة المنشدين الأخيرة ، وهم يهيمون بمغادرة المسرح :

هناك كثير من الأسرار

وعديد من الأشياء ، الله يخلقها

تخفى على الفهم .

والغاية التي إليها رنا المرء لانكون ،

ولكن هناك طريق لم يخطر لإنسان ،

وهو ما هنا كان .

وعندما يشعر أنه كان على وشك أن يتفجر غضباً من جراء السرقة التافهة التي ارتكبتها خادمته من تراقياً ، أو من سماجة الصغير الشقي خائثياس المتناهية ، عند ذلك ، بحس أنه ، لولا فضل الآلهة العلى لكان لك هذا المصير .<sup>(١)</sup>

Πολλαὶ μορφαὶ τῶν δαιμονίων,

(١)

πολλὰ δ' ἄέλπτως κραίνουσι θεοί·

καὶ τὰ δοκηθέντ' οὐκ ἐτελέσθη,

τῶν δ' ἀδοκῆτων πόρον ἦυρε θεός.

τοιόνδ' ἄπεβη τόδε πρᾶγμα.

Bacchae ، ١٣٨٨ ، ترجمة موري ، أنظر ميديا ، ١٤١٥ .

لم يكن في القرن الخامس أي أثر لفكرة أرسطو من أن الرق فيه خير للعبيد ، فذلك لم يكن سوى دفاع في القرن الرابع وضع ليوقف نقد عصر كثير فيه الشك . فيونان القرن الخامس لم ينتقدوا الرق ، ولكنهم كانوا بأسفون امبيدتم ، وهذا هو الوضع الآن أيضاً بالنسبة لنظام العمل الذي يعد من بعض الوجوه بربرياً أيضاً . فصاحب العمل ينقص عدد عماله في أيام الكساد لا ينتقد النظام الصناعي ، ولكنه غالباً ما يشعر بالأسف من أجل العمال الذين يفصلهم ، وهو كصاحب العبد يشعر بالأحول له ولا قوة . والأسطر الهومرية المشهورة عن الرق جاءت في الأوديسة ، ١٧ ، ٣٢٢ - ٣٢٣ . ( أنظر التذييل ) .

ولنعد الآن إلى اقتصاديات أعمال العبيد ، وإلى دراسة نوعيهما .  
إن معظم العبيد في أثينا كانوا برابرة مجلوبين من الخارج . فبصفة عامة  
لم يسمح بتربية الرقيق في المدينة نفسها . فهم إما أن يكونوا قد خطفوا  
أو أسروا من بلاد تراقيا ، أو آسيا الصغرى أو سوريا أو دلماشيا ، وجرى  
بهم إلى بيرييه لبيعوا مع سائر ما يجلبه التجار من سلع . فلننتبع حياتهم منذ  
أن يصلوا إلى أيدي تجار الرقيق (١) .

فأول ما يعمله التاجر كان أن يتعرف نوع بضائعه ، وأن يحدد مدى  
صلاحيتها للأعمال المختلفة . ويجب أن يعرف أى مشترياته يمكن أن تحمل  
أو تدرّب على العمل بسهولة ، ومن منهم شديد الخطر وكثير المشاكسة ،  
أو في منتهى الضعف أو الغباوة ، مما يجعلهم لا يصاحون إلا أن يعملوا  
عمالا يدويين تحت مراقبة صارمة . وقد ينجح التاجر أحيانا في جعل بعض  
هؤلاء الآخرين يفتدون أنفسهم . ومن المحتمل ألا يعيش بعضهم طويلا ،  
ويذهب معظم الباقيين إلى مناجم النضرة حيث لا يمكن أن نتبعهم الآن .  
ولا يبقى مع التاجر سوى طائفة صالحة وديعة من الممتلكات . فمن منهم  
في سن الحرب ، إما أن يكونوا فنوا أو تخلص منهم ، والنساء ، رغم أنهن  
في المتوسط عادة يكن أكبر من الرجال قليلا ، فإن قليلات منهن من يكن  
تجاوزن مقتبل العمر ، إذ ليس هناك سوق للعجائز من النساء . هذه هي  
مجموعة الوافدين الجدد ، أو المبتدئين الذين سيشركون في العمل في المدينة  
فيدربون كصناع أو بائعين أو عمال في البيت ، أو مضحكين يعودون بالرجح  
على ساداتهم (٢) .

---

(١) أنظر قائمة العبيد اللذويين إلى وطنهم الأصلي في منزل غريب غنى ، المذكورة في  
هيكس وهيل ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .  
(٢) إن الاصطلاح اليوناني بعد نهب مدينة ماهو ، « قتلوا الرجال الناضجين ،  
واستعبدوا النساء والأطفال » تؤكد بديس ، ص ٣٢ و ١١٦ ثم ٣ — ٣٦ — ٢ ،  
أنظر بوليب ، ص ٣ — ٨٦ — ١١ . ويبدو أن كان بأثينا نفسها ، عدد قليل من العبيد  
اليونان ، وإن كانوا بلا شك غير معتادين في أسواق الرق اليونانية . ويقال أن أفلامون  
نفسه قد خطف مرة وافتدى نفسه .



فكيف كانوا يدربون؟ كانوا يدربون على الطريقة اليونانية الحقة . عن طريق الإقناع أكثر من أن يدربوا بطريقة الإجبار . فهم لم يعلموا أن يؤدوا واجبهم فحسب ، ولكنهم سيعلمون أيضاً أن يعشقهوا عملهم . فالخدمات التي يدعون للقيام بها كانت من كثرة التنوع والصعوبة ، حتى مالم يكن فنياً منها ، حيث لا تتعلم بطريق التمرين الآلى أو الإجبار .

وهذا هو ماختلف فيه حياة العبد اليونانى العادى عن حياة الآلات الحية فى المزارع المدارية . صف المنظرين يتضح لك الفارق من أول وهلة . ويقول نيفنسن ( Nevinson ) : « لقد كان صفاً طويلاً من الرجال والنساء يمتد على مسافات متباعدة إلى ما يقرب من الباردة ، كأنهم فرقة من المشاة ذاهبة إلى الحرب . لقد كانوا ينظفون مزرعة بن منحنيين على العمل أزواجاً ، ويتقدمون عبر الأرض بطيئاً ، يعزقونها أينما ذهبوا . . . ويقف إلى الورا . على بعد خمس أو ست ياردات ، المشرفون على الجماعة أو السواقون أو موجهوها ، كقواد فرقة فى خط النار . . . يمسك كل بعصاً طولها ثمانية أقدام ، من الخشب الصلب ، مدببة الطرفين ، ومظهر هذه العصى يفسر تماماً الدافع إلى إتقان العمل والمثابرة عليه ، وكذلك الهدوء الذى يسوده ، الأمر الذى لم يكن مألوفاً بين الأهالى ، سواء كانوا يعملون أو يلعبون . . . فكم يختلف هذا عن الحياة الحرة السهلة فى المحاجر ، أو فى المصانع أو السوق العامة ، أو حتى بينها وبين الأعمال اليومية المتنوعة التى تجرى داخل المنزل . فالإرهاب فى المزارع المدارية هو الوسيلة الوحيدة المطلوبة ، والإرغام الجثمانى هو المهماز المستعمل الوحيد . ولكن إذا ما بعدت الجماعة أو الفرد عن تناول السوط ، يصبح كما يقول أفلاطون « بضاعة متعبة » ، واليونانى الذى يملك العبيد مهما أراد أن يكون قاسياً ، فإنه لن يقدر على إدارة بيته . بالإرهاب وحده ، إذ العمل لم يكن آلياً بحتاً ، والإشراف يتطلب نفقات كبيرة ، فضلاً عن أنه مرهق . وقد دفعه منطق الأشياء ، إلى أن يجد لعبيده دافعا آخر يدفعهم إلى العمل . ولنذكر هذا الجانب الجائر فيما يخص عبيد-

المزرعة ، فهو لن يجنى شيئاً من وراء العمل ، لانتفسه ولا لعائلته ، بل إن هناك مزيداً من الألم يقاسيه إذا ما كان كسولاً . وإنه لو اوجب مالك العبيد اليوناني ، كما هو واجب صاحب العمل الحديث ، أن يرغب عماله في العمل . فعليه أن يشعرهم بأن هناك غاية من وراء عملهم . وهكذا يتعلم تدريجياً أن يطرح جانباً ( إلا وقت الضرورة ) السوط المرغم البغيض ، وأن يتجه إلى نوع من الدوافع أقيم ، أو على الأقل أثبت ، إلى الأمل أو الطموح ، أو المنفعة أو المنافسة ، أو حتى إلى المودة الشخصية ، أو إلى روح الفن الصادق ، إذا كان معلماً ناجحاً .<sup>(١)</sup>

وتترتب كل النتائج الأخرى على هذا التباين الأولى في القوة المحركة . فالحقيقة الأساسية عن العبد فيما يعنيه الزارع بهذه الكلمة ، أنه ليس في دخيلة نفسه أى دافع على العمل ولا حتى للحياة ، لأنه هو وكل ما ينتجه ملك لغيره . فالعبد الذى وهب على نحو ما بعض الرغبة الشخصية في العمل ، وبهذا أدرك بريقاً من الأمل ، واسترجع بعضاً من الاحترام الشخصى ، إنما هو كائن مختلف عن غيره من العبيد تمام الاختلاف ، إنه يشغل أدبياً واقتصادياً مركزاً آخر فى المجتمع . فهو ينتمى فى الحقيقة إلى طبقة جديدة من العمال ، أوثق اتصالاً بطبقة ذوى الأجور والصناع المهرة ، التى تعلوه فى المرتبة الاقتصادية ، أكثر من اتصاله بجماعة العبيد البهيمية المملوكة الذين هم دونه . وهذه قفزة إلى الأمام من مركز العبد المساعد عند حلاق فى بيرييه ، إلى العتق وحقوق المواطن . ولكن بالنسبة للاقتصادى هى أول درجة فى السلم ، هى إدخال دوافع جديدة إلى العمل ، وهو أمر بالغ الأهمية . فالعبد الذى يعمل دون إجبار مباشر إنما يدعم حقه فى الحرية .

(١) نيفنسون فى A Modern Slavery ، ص ٣٣ — ٣٤ ، أفلاطون ، القوانين ،  
(δυσκολόν ἐστὶ τὸ θρέμμα ἄνθρωπος) ، فقرة توضح كيف  
أن أفلاطون أدرك كل الإدراك وحدة الطبيعة البشرية ، وسخف تقسيم البشر إلى طبقتين  
منفصلتين ، ولكنه على أية حال يوافق فى « القوانين » على تقسيمهم إلى أحرار وعبيد ،  
كتقسيم أساسى ، ويحاول أن يستفيد من ذلك التقسيم أقصى فائدة .

كيف كان يحمل السيد الأثيني عبده على العمل ؟ وأي خطوات اتخذها ليعيد إليهم احترامهم الشخصي ؟ إن مالدينا من أدلة من القرن الخامس من القلة بحيث لا تمكنا من إعطاء جواب مفصل على هذا السؤال . فإذا تكلمنا بإسهاب وبشكل عام ، فقد انتهج في هذا الصدد سييلان . لقد كان ممكناً لإدماج العبد في العائلة حتى أنه لم يعد يشعر بوضاعة مركزه ، وأصبح نخوراً أن يعمل من أجل سببه حتى يماته كما يفخر الخادم المخلص . وتلك كانت الطريقة الهومرية القديمة التي أخرجت إيوما بوس راعي الخنازير ، وإيريكليا مربية العائلة ، وقد بقيت هذه الطريقة قائمة مع تقاليد البيت حتى بلغت عالم القرن الخامس الواسع . ولكن بازدياد هجرات العبيد في العصر الذي نحن بصددده انتشرت وسائل أخرى وأصبح معروفاً على وجه عام بين رجال الفكر ، أن الطريقة المثلى لتزويد عبد بدافع مناسب للعمل ، هي إعطاؤه أملاً في أن ينال الحرية في النهاية — أي بأن يدمج في السكان الأجانب الأحرار . ونعلم أنه أخذ بهذه الطريقة في أثينا منذ وقت مبكر ، فمن بين الأجانب الذين منحهم كليستينيز عام ٥٠٧ ه حقوق المواطن ، عدد من المعتوقين . ولا بد أن كان في أثينا منذ ذلك الوقت فصاعداً ، عدد ما من السكان المحرومين . وهذا خليق بأن يفوتنا لأن الاسم لم يكن يذكراً إلا نادراً . فالرجل المحرر كان يعد في مرتبة الغريب ، وإذا ما حصل على حقوقه المدنية لم يثر أحدهم شكاً أصله . لقد كان من تقاليد الأثينيين في إكرام الضيف إغفال الماضي ، حتى في المنازعات المثيرة أمام ساحة القضاء ، قلما كان يزاح الستار عن ماضى الرجل المحرر . د فياسيون ، الأثيني العظيم صاحب المصرف المعروف في القرن الرابع ، كان من أغنى الرجال ومن أكثرهم تشبهاً بالروح العامة . هذا الرجل ابتداءً حياته عبداً . ولا بد أن عرف ذلك كل من كان في أثينا . وكان ممكناً أن يظل ذلك خافياً علينا لولا جملة قيلت عفواً في سياق حديث . إذ صاح ابته في قضية ضد أحد المحررين قائلاً : من أنت حتى تبحث عن أصل أبي ؟ من منكم لم يحنق على هذه العادة يا رجال أثينا ؟ ، إتنا لانعرف أصل فاسيون فهل

« ولد في المنزل ، أو هو أحد هؤلاء ، اللبديين أو الفريجين أو السورين ، أو غيرهم من برابرة الجهات المختلفة ، الذين ألفوا جزءا مهما من المقيمين الأجانب كما يقول مؤلف الطرق والوسائل ، فاسمه لا ينم عن جنسيته . واسكن أيا كانت جنسيته فإنه يمثل ما كان ، طبقة كبيرة وهامة في أئينا في القرنين الخامس والرابع .

إن التلويح بالأمل في الحرية كحافز للعمل ، كان وسيلة شائعة الاستعمال ويظهر ذلك واضحا من اتفاق الآراء بين رجال الاقتصاد اليونانيين في هذا الصدد . لقد كان أفلاطون الكاتب الوحيد الذي اقتنع بصلاحيّة النظام القديم الذي يقضى بمعاملة أبوية . وقد رأى أن يكتبني بمعاملة العبيد بشفنة في حزم ، كما كان الحال في الأيام السابقة الطيبة ، « لا أن يحذروا فقط كما لو كانوا أحرارا ، الأمر الذي لن يجعل منهم إلا متغضرين ، . وقد اعترف أرسطو بأن هذه الطرق الحماضة ، لن تكفل حلا مرضيا لمشكلة الخدم في أيامه . ورغم أنه لا بد وأن شعر أنها تخالف بقية نظريته عن العبيد ، فقد استرسل بشجاعة في الحديث عن موضوع الحرية قائلا : « إنه من الأوفق أن يلوح بالحرية دائما للعبيد كمكافأة لهم على خدمتهم ، ثم يعد بمتابعة مناقشة الموضوع فيما بعد . لكن لم يرد ذلك في النص الذي لدينا من كتاب السياسة . إلا أن لدينا بيئة أقم ، وهي وصيته الأخيرة . فقد أوصى بالحرية لخمس من عبيده البالغ عددهم ثلاثة عشر . واضطر إجنينوفون ، الأكثر واقعية ، إلى الوصول إلى نفس هذه الخلاصة ، رغم أنه يعبر عنها بشكل أقل وضوحا . فيقول : يحتاج العبيد إلى أن يمتنوا بالأمال الطيبة أكثر من الرجال الأحرار ، وذلك حتى يمكن الإبقاء عليهم في مراكزهم ، بينما يذهب مؤلف الاقتصاديات الأرسطوطاليسية ، حتى إلى أبعد مما ذهب إليه أرسطو فيقول : « مرضى العبيد أن يتكبدوا المشاق ، عندما تكون الحرية جائزتهم بعد وقت محدود . وبمعنى آخر إنه ينصح قراءه أن يتخذوا وضعا ثابتا مع عبيدهم ، بأن يتعهدوا بمنحهم الحرية بعد عدد معين من السنين ( أو بعد حادث معين كموت السيد

مثلا ) ، فذلك أفضل من تركهم في حيرة وشك . وأخيرا إذا لزمنا بدقة حدود العصر الذي نحن بصددة فلنقتصر على تقرير الأوليجارشى العجوز القائل بأنه من الخطر أن زهب عبدا أثينا ، لأنه سيجازف بإعطاء نقوده ليتجنب المخاطرة بشخصه هو ، ، أى أن يدفع دية غريب الإضرار بمصالح سيده ، أو ربما لأن يطلب أن يشتري حريته بما يوفره من المال ، حتى يتخاص من المعاملة القاسية . كل ذلك لا يرينا فقط ما نعرفه جيدا من مصادر أخرى من أن العبيد في أثينا كان يتاح لهم عادة امتلاك المال ، بل يوعز أيضا بأن الفسكرة التي كانت تشغل تفكيرهم دائما عند ما يحصلون على النقود هو شراء حريتهم كاملة . وقلنا نحتاج إلى دليل على ذلك فالحرية بالنسبة للعبيد والأسرى في كل العصور حتى ولو كانت حرية الموت جوعا ، تلوح لهم عن بعد كأنها الخير الوحيد . وبالنأ كيدلم تخرج أثينا في القرن الخامس على هذه القاعدة (١)

(١) Dem. ، ٤٤ — ٨١ إلى ٨٢ ( Pasion ) : أنظر أيزوقراط ، ١٧ فيما يخص حياته الأولى التي وصفت على نحو غامض ، فقرة ٢٢ ، بأنها « بتواضعة » ، ، Ways and Means ، المجلد الثاني ، ص ٣ ، أفلاطون ، القوانين ، ٧٧٧ : ويعترف في فقرة ٩١٥ بأنه يجب أن يحسب حسابا للرجال المحررين ، ويضع الشرط الهام ، أنه يجب ألا يكونوا أغنى من سادتهم السابقين . أرسطو ، السياسة ، ١٢٧٥ ب ٣٦ ، ٣٢١ ١٣٣٠ ، Diog. في Laert. ، ٥ — ١ — ٩ ( وصية أرسطو : خلفاؤه ، الثلاثة في اللوكيوم ( Lyceum ) زادوا نسبة المتق . فالأول أعتق خمسة من تسعة عبيد ، والثاني أعتق أربعة من ستة عبيد ، والثالث أعتق أحد عشر عبدا من اثني عشر ) . اجزينوفون . Oec. ، ٥ — ١٦ ، [ أرسطو ] ، Oec. ، ١٣٤٤ ب ١٥ ، إن بحث الرق كله هنا زاجر بأراء واقترحات قيمة ، أما بخصوص الصروف الشخصي فأنظر ميتاندر في Hero ، ٢ — ١ إلى ١٠ ( طبعة Teubner ) ، حيث تبرع عبد بأن يحمل عمل عبد آخر ، إذا وقع في مشكل وأن يكبل بالسلاسل ويرسل إلى الطاحون ( التهديد المتاد ) كعقاب له . ولسوء الحظ ، تكاد أن ترجع معظم الأدلة التي لدينا من النصوص المفصلة عن المتق ، إلى عصر متأخر عن القرن الخامس . ويبدو أن ذلك كان إلى حين عرضا ، بما أن كالدربني ، الذي جمع تلك النصوص ، يقول إن النصوص القليلة التي بقيت من القرن الخامس تبين أن المتق غدا بعد ذلك عاما في اليونان . أنظر مؤلفه ، La Manomissione e la condizione dei liberti in Grecia ( ميلانو ١٩٠٨ ) ، ص ١٨ . ولكن من ناحية أخرى ، فذلك يرجع إلى تهذيب العادات العامة ، وزيادة الميل إلى الشعور بعدم الارتياح إلى نظام ارق . عن هذا الموضوع أنظر تشيكوتى ( Ciccotti ) في Il Tramonto della schiavitù nel mondo antico ، تورينو ١٨٩٩ ، خصوصا =

وهكذا لم تقم موارد أثينا المادية على أساس من عمل العبيد كما يقال غالباً. إنما أقامتها على مر القرون ، جماعة مؤلفة بصفة رئيسية من عمال أحرار .

— س ١١٨ وما بعدها . وهناك بعض التفاصيل الهامة عن عقود العتق المتأخر في فرانكي (Francke) de manumissionibus Delphicis ( مونستر ، ١٩٠٤ ) . وهناك شكلان من العقود هاما بصفة خاصة . أحدهما يشترط فيه « البقاء في العمل » ( παραμονή ) ، أى أن العبد يعتق ، ولسكنه يبقى عند سيده ، بعقد مكتوب أحيانا لمدة محددة تختلف ما بين سنتين إلى عشر سنين ، وأحيانا يبقى حتى يدوم ثمن شرائه أقساما . وهناك ضروب من الشروط الخاصة في مثل هذه الحالات ، فمثلا إذا مرض الرجل المحرر أطبلت مدة خدمته تبعاً لذلك ، ليعتاض الوقت الضائع ، وأنه في حالة النزاع يدعى المحكوم للفصل في شروط العقد ، وإذا ولد له طفل في أثناء الخدمة فهو حر في أن يخنقه ( εἶ καὶ μὲν θέλη ἀποπνεῖσαι ) ، أو أن ينشأه كرجل حر ، الخ . أما الشكل الآخر من العقود ( وأغلبه يرجع إلى حوالي ١٧٠ ق.م ) ، فهو الذى يقوم فيه العبد بسداد دين سيده نظير حرية ، ويحدث هذا إذا استدان سيد عقوداً مقدماً عبداً غنياً كرهينة . وقد كشفت نصوص داني عن حقيقة أخرى هامة ، وهى أن الأثان التي اشترى بها السادة العبيد ، كانت أقل بكثير من المبالغ التي دفعها العبيد ثمناً لتحريرهم . فالأثان الأولى تختلف ما بين مين وثلاث مينات ، بينما الثانية ( أى المبالغ التي يدفعها العبيد ) تختلف بين ثلاث وخمس مينات . وعلى ذلك فإن أسياد العبيد فرضوا على عبيدهم أن يدفعوا ثمناً غالياً للشيء الوحيد الذى يطلبونه ، وهو الحرية . وأحيانا يطلب منهم أن يبرنوا عبداً سانماً ليحل محلهم ، لقيام بعمالهم القديم . والآن وقد جمع كلدريني الأدلة ، فإن موضوع هذا النظام الوسيط بين الرق والحرية بأأكله ، يستحق أن يبحثه بحثاً دقيقاً ، أحد الاقتصاديين ، الذى يجب أن يكون محامياً أيضاً . أنظر مقالتي في Sociological Review ( يناير وأبريل ١٩٠٩ ) ، التي حاولت في أولها عمل تحليل عام لنوع العبيد المأجورين ، وأضافت ترجمة لمقد تهرير نموذجي . وهناك مجموعة منتخبة من هذه العقود في ديقنبرجر ، رقم ٨٣٥ وما بعده . إن أسماء العبيد مهمة إذ تكشف عن نوع العاطفة التي قامت بين السيد وعبده ، وقد ألحق بكتاب Dialektinschriften ، ( الجزء الرابع ص ٣١١-٣١٧ ) فهرس بأسماء العبيد في نصوص داني ، يبدأ باسم Ἀβροσύννα ( الرقة ) وينتهي باسم Ὠφελίωv ( «المساعد الصغير» ) . وهذه التسمية ، يشب العبد فلا يعرف من أى جنس هو ، أسورى أم فريجي فقد دخل في دور الإعداد للهيلينية . أنظر ، في Dem. ، de Cor. ، ١٣١ ، حيث يتهم Aeschines بأنه قد حسن اسمى والده . أنظر أيضاً ثيلاموثينز ، A. A. الجزء الثاني ص ١٧٥ — ١٧٩ . وقد كانت الأسماء الوحيدة المحرمة على العبيد الأثينيين هي هارموديوس وأرسطوجيتون ، لانصالحها الوثيق بالحرية وهى قاعدة خاصة للغاية . أنظر لنا المقام ، أن تعالج موضوع العبيد الذين يعملون أحيانا في أعمال ذات مسؤولية في الدولة أو المعابد . وأحسن مثل لهذا هو مبيد أيون ( Ion ) الذى ذكره يوربيدس . وقد كان يكنس أفضية العبد ويعيش على ما يهبه القرباء ، وهو أيضاً أمين خزانة المعبد ، ويتمتع بقسط وافر =

ولم يكن إلا في وقت متأخر من تاريخها عند ما أصبح عبء حضارتها أكبر من أن تضطلع به أئتنا بجهودها الخاصة دون مساعدة ، أن احتشد بها العبيد والمهاجرون الأحرار ليساهموا في البناء . وهؤلاء لم تعاملهم أئتنا في معظم الحالات كأنهم مجرد آلات حية ، بل عاملتهم « كعمال زملاء » ، يعملون مع مواطنيها ، « وكشركاء أحرار في الامبراطورية » . وعسى أن نكون بذلك قد خلصنا اسم أئتنا من قذف جائر علق به ، منذ أخذ وعى الإنسانية بهم هذه المسائل . فالديمقراطية الأثينية كما يقال لنا غالباً ، لم تقم إلا على ما كان لدى سكانها الذين يملكون العبيد من فراغ . فجبال اليونانيين الجسماني ، إنما يرجع لسكراهيتهم للأعمال اليدوية . ويعزى تقدم الفن اليوناني والآداب والفلسفة اليونانية وما تميزوا به ، إلى تحرر الرجال من القلق الفعلي وانشغال البال ، تحرراً يحسدون عليه . وبالإجمال فالحضارة اليونانية بكل هذا التراث من الأعمال الباهرة ، متصلة اتصالاً لا ينقسم بقسوة وظلم مقصودين . ولا يمكن بحال أن نستعيد لمجتمعنا روح وطابع ذلك العصر المجيد ، لأن الرجل العصري لا يمكن أن يحتمل بدائية ذلك العصر وخصائصه التي لا غنى عنها . كل ذلك غير صحيح ، غير صحيح في نظرتنا للماضي وفي بأسه من المستقبل ، بل هو غير صحيح ، ومعنى في ذلك ، في تقديره الساخر للطبيعة الإنسانية . فالمجتمعات مثل الرجال لا يمكن أن تعيش في صوامع مغلقة .

---

تتمن « أعز شيء إلى قلب الإنسان ، وهو الفراغ » . لأنه يقوم بهذه الوظائف المتعددة التي لا يرغب في التنازل عنها ليحيا كأمير في أئتنا ، وهو يقوم بها بلباقة وحزم خادم حديث في كنيسة ، أو بواب كلية من الكليات . أنظر ٢ — ٥٤ و ١٠٢ و ٣٢٣ و ٥١٧ وما بعدها ، خصوصاً ، ٤٤٤ (أباجة) ، ٦٣٤ وما بعدها . وفيما يخص عبيد الدول أنظر فازينسكي (Waszynski) في *De servis Atheniensium publicis* (برلين ١٨٩٨) ، وبنوع خاص فيما يتعلق بمرکزيم الشرعي ، راجع مقاله ، في هيرميس ، الجزء ، ٣٤ ص ٥٥٣ وما بعدها ، حيث يبين مدى ما تتمتعوا به من استقلال : « مع أن كل واحد من هؤلاء الـ *ὑπηρέται* » ( *γραμματεῖς* ، الخ . ) « كوظائف حكومي كان يتبع *ἀρχή* » (موظفاً رئيساً أو وزيراً) ، « فهو في الحياة الخاصة سيد نفسه » ، مثل موظفينا المدنيين الدائمين . ( أنظر التذييل ) .

ولا يمكن أن يأملوا في الحصول على العظمة ، بأن يعوضوا من حسن استخدام الفراغ ، تلك الأرواح التي قسوا عليها في سبيل الحصول عليه .  
مخالفن والآداب والفلسفة وكل إنتاج عظيم لعبقرية أمة ما ، ليست مجرد نباتات غضة تنمو في أمكنة مصطنعة مقفلة ومنعزلة ، بل يجب أن تتمكن بقوة وتتأصل وترعى باستمرار ، في تربة الحياة القومية العامة الواسعة . وإذا كنا نبحث عن الدروس والعبر ، فهذا درس يجب أن نأخذه عن اليونان القديمة .<sup>(١)</sup>

---

(١) أنظر أثينيوس (Athenaeus) ، ٦ ، ص ٢٦٥ (من Theopompus) عن إدخال العبيد المشتريين إلى اليونان ، ولسكن دخولهم بكثرة ، لم يكن على نطاق واسع إلا بعد أن استطاعت الدويلات أن تشتريهم وتمولهم ، وكما لاحظ أورى (Ure) في (J. H. S. ، الجزء ٢٦ ، ص ١٣٥) ، فعصر الطغاة كان لا يزال عصر العمل الحر . أنظر كذلك كتيبى ماير Die Sklaverei (١٨٩٥) و Die wirtschaftliche Entwicklung des Altertums im Altertum (١٨٩٨) ، وقد أعيد طبعهما في كتابه Kleine Schriften (١٩١٠) ، وهذان الكتيبان قد قضا على الرأي القديم القائل بأن الرق كان أساس الحياة اليونانية . وإن أردت تقريراً بديعاً ، وإن كان فيه شيء من المغالاة عن هذه النظرية ، فانظر باترسن (Paterson) في The Nemesis of Nations ، الذى حاول فيه أن يبحث فيما تضمنته مذاهب الكتاب الذين اتبعهم ، بأدلا مجهوداً في التخيل والتصور أكثر مما بذلوا هم .



## الفصل السادس عشر

### اقتصاديات الإمبراطورية : مناجم الفضة

ملكية الفرس :

Καὶ τί πρὸς τούτοισιν ἄλλο; πλοῦτος ἔξαρκῆς  
δόμοις;

جماعة المنشدين :

ἀργύρου πηγή τις αὐτοῖς ἐστὶ, θησαυρὸς [χ]θονός..

ملكية الفرس : وماذا عندهم غير ذلك ؟ هل في أوطانهم ثروة كافية ؟  
جماعة المنشدين : إن لديهم من الفضة ما يمكن أن يقال عنه إنه نبع ،  
إنه كنز في الأرض .

أيسلوس ، الفرس ، ٢٣٧ — ٢٣٨ .

ترجمة هديلام

اعتمد ثيمستوكليس وبركليس على تنمية موارد أئينا من حيث هي مركز  
تجاري وصناعي ، وذلك للإبقاء على قوتها ونفوذها . وقد شرحنا هنا معظم  
هذه الوسائل باختصار ، ولم يبق إلا موضوعا واحدا للنقاش .  
إذا ما نزل تاجر العبيد إلى بيرييه ومعه شحنة من الأسرى البرابرة ،  
باع أكثرهم بأثمان طيبة ، إلى أصحاب المنازل والمصانع . إلا أن بعض ضحاياها  
كانت لا تصلح لمثل هذا ، وذلك لبعض الظروف أو لما هي عليه من طباع .  
فهم بضاعة من صنف أدنى ، فمنهم من هو شرس أو شرير ، أو غير قابل  
للتعليم لسبب ما . فلماذا إذن يتحمل التاجر العناية في سبيل نقلهم عبر البحار ؟

ذلك لأن أثينا اكتشفت استعمالا خاصا لهذا الصنف من العبيد . فعندما ينتهى المزداد الأول ، يجمع التاجر الخثالة الباقية منهم التي لم يجد لها سيذا أو معلما ، ويبيعها بثمن بخس إلى ملاك ليسوا في حاجة إلى عبيد ذوى خصال طيبة أو رغبة أو طاعة أو ذكاء أو جمال جسماني ، أو في الحقيقة ليسوا في حاجة إلى أكثر من أذرع وسيقان قوية . فلا تمضى بضعة أيام أو ساعات حتى يرون أنفسهم مسوقين جماعات ليعملوا كآلات حية في مناجم الفضة في لاوريون . (١)

لقد أدرك الاثينيون دائما ، أنه من المحتمل أن يكون في مناجم الفضة والرصاص الواقعة في الركن الأقصى من شبه جزيرتهم ، مصدرا من مصادر ثروة مدينتهم . ولكن في الايام الأولى لم يبذلوا إلا قليلا في استغلالها .

(١) ليس لدينا أى بيان عن مزداد للعبيد في القرن الخامس ، ولكن الفرق في النوع بين عبيد المناجم والعبيد العاديين ، كان ظاهرا من طريقة الكلام عن عبيد المناجم مثلا في *Ways and Means* ، الجزء الرابع ، « أنظر سترابون ، ٥٦٢ » ( يصف بعض المناجم بجوار سينوب : « كان يدير العمل في هذه المناجم المحرمون المحكوم عليهم » : ( *τοῖς ἀπὸ κακουργίας ἀγοραζομένοις ἀνδραπόδοις* ) : إن الكلمات المختلفة الدالة على العبيد ، *ἀνδράποδον* « الرجل الوائف » أو « الأسير » ) و *σῶμα* ( « الجسم » ) ، هذا بالنسبة لعبيد المناجم . أما بالنسبة للعبيد العاديين فيسمون *οἰκέτης* ( « عبد المنزل » ) وأيضا *παῖς* ( « الغلام » ) ، ومى توجه بهذا التمييز النوعي ، ولكنهما غالبا ما كانت تستعمل استعمالا غير دقيق ، ويلاحظ كقنيانك ( مر ١٧٢ - ١٧٣ ) أنه بينما كانت أثمان الأشياء جميعها في صعود في القرن الخامس في أثينا ، كانت أثمان العبيد وحدها تميل إلى الهبوط . والسبب في ذلك أنه في ذلك الوقت تيسر استعمال مادة أرخص لم تمرض في السوق من قبل . ولم يؤثر ذلك في عبيد المناجم وحدهم ، ولكنه أثر كذلك في عبيد كل العبيد ، ذلك لأن عادة استعمال المحصول الثانوى قد سبب هبوط تكاليف الإنتاج عامة . كان على حالي العبيد وتجارهم أن يدخلوا في حسابهم خسارة كبيرة جدا ، ولكن هذه الخسائر قد قلت كثيرا ، بسبب كثرة الطلب على عبيد المناجم . وأما عن الأسعار فقد سمعنا كثيرا عن مبلغ ٢٠٠ درخمة كقندية عادية في القرن السادس ( هيرودوت ، ٥ - ٧٧ ) ، بينما كان متوسط ثمن العبيد في أثينا عام ٤١٥ في مزداد لعبيد المنازل ، ١٦٦ درخمة للرجال و ١٧٠ درخمة للنساء ( ٣٣ بينها ، نجازيا وأرته شلنات و ٣٤ غيرها ) . وبحسب مؤلف « الطرق والوسائل » في عام ٣٥٥ ، كان يمكن شراء عبيد المناجم بـ ١٥٨ درخمة للعبيد ، ويتحدث ديموستينيز ( ٣٧ - ٤ ) عن صفقة كان عبد النجم فيها يساوى ١٥٠ درخمة .

فقد رفض الرجال الأحرار العمل تحت الأرض ، ولم يكن في إمكانهم جلب عدد كاف من العبيد . وزيادة على ذلك فإن تحديد موقع تلك المعادن واستخراجها ، كان عملاً مجهوداً مشبطاً للهمم ، لأن وضعها كان مما يشير حيرة كل جماعه يتقصها المعرفة اللازمة أو الخبرة . وحتى في القرن الرابع فإن المستغل الذي يحفر بئراً كان لازال معرضاً لمخاطرة ألا يجد شيئاً يفقد كل ما أنفقته . أما في القرن السادس ، فيبدو أنه لم يكن هناك عدد كاف من الأثينيين المغامرين الذين كانوا على استعداد لفقد أية مبالغ كبيرة . فالعالم اليوناني كان لا يزال يعتمد في معادنه النفيسة بصفة غالبية على مناجم سفنوس وتازوس .<sup>(١)</sup>

ولكن في عام ٤٨٣ ، قرب نهاية الفترة القصيرة التي مرت بين مراثون وسلاميس ، تغير الموقف كله . فقد وقع الأثينيون فجأة ، وربما كان عن طريق المصادفة ، على عرق جديد من المعدن الحام كبير النفع في بقعة تسمى مارونيا (Maronea) . ومن المحتمل أنها تطابق المكان الذي لازال إلى الآن أكثر البقاع إنتاجاً ، في هذا الإقليم . فاندفع الناس نحو المناجم ، فشكل من كان يملك مالا وعبيداً صالحين للعمل ، حصل على تصريح من الدولة نظير أجر يدفعه . وما أن جاءت نهاية العام ، إذا اعتمدنا على مصادرنا ، إلا ورأت الدولة نفسها ، مالكة لثروة غير منتظرة تبلغ على الأقل ٥٠ تلتاً ، وهي نصيبها من مناطق التعدين وذلك خلاف أرباح الباحثين أنفسهم .<sup>(٢)</sup>

(١) Ways and Means ، ٤ ، ٢٩ ، وكافيناك ، ص ٩ ( التأمينات ) ، هيرودوت ، ٣ - ٥٧ ( سفنوس ) و ٦ - ٤٦ ( تازوس وأرضها ) ، أنظر ١ - ٦٤ ، حيث نعلم أن بيرستراتوس اعتمد على موارد أتيكا وتراقيا ، ولكن أورى ( Ure ) ( J. H. S. ، الجزء ، ٢٦ ، ص ١٣٥ وما بعدها ) كان قد أخطأ في اعتقاده بأن العمل فيها قد اتسع . سولون ، ١٢ - ٤٩ ، يشير إلى الأشغال المعدنية لا التعدين ، ولا شك في أن الجليليين ( δῖάκριοι ) لم يكونوا معدنين .

(٢) النصفان هما هيرودوت ، ٧ - ١٤٤ و Ath. Pol. ، ٢٢ - ٧ . ويقدر النصف الثاني ربح الدولة بمائة تلت ، والأول بمئتي درخات للرأس . كما أن هيرودوت في =

فإذا كان يفعل بهذا المبلغ الكبير ؟ حسب تقاليد اليونان المالية لم يكن  
ممكننا هنا إلا جواب واحد . يجب أن يقسم هذا المبلغ بين المواطنين . لقد  
قاسموا المدينة شقاءها ، واقتطعوا عن رضى من مواردهم القليلة ليكفوا  
حاجة المدينة . والآن وقد صادفها هذا الخير ، فقد جاء دورها لتكون  
سخية . لقد اعتادت المدن اليونانية أن تعيش من اليد إلى الفم مثل مواطنيها .  
وفي هذه الحالة بنوع خاص ، حيث لم يكن هذا الخير الوفير مجرد غنيمة  
جاءت بها المصادفة ، بل بدأ محتملاً أن يتكرر ويزداد من عام إلى عام ، فلم  
يكن ثمة حاجة للاذخار . وسرعان ما عمل الحساب . فتنقسم خمسين  
تلتنا بين ٣٠٠٠٠ معناه ١٠ درخمت لكل . ولو كانت الأحوال عادية وفي  
عهد قادة عاديين ، لأنفق المبلغ على هذا النحو .

ولكن أينما لم تعثر على كنز فقط ، بل عثرت أيضاً على أمين للكنز .  
فيمستوكليس الذى كان فى تلك اللحظة السياسى صاحب التصرف ، أدرك  
احتمالات الموقف . ورفض أن يترك هذه الأموال تبثر ، فأقنع زملاءه  
المواطنين بأن ينفقوا تلك النقود ، بدلا من ذلك ، فى تعزيز الأسطول  
حتى يبلغ ٢٠٠ مركب . وهذا الأسطول هو الذى أنقذ اليونان وأوربا بعد  
ذلك بثلاث سنوات ، وذلك فى موقعة سلاميس . ومنذ ذلك الحين لم تقدم  
اقتراحات أخرى لصرف الفائض من الدخل السنوى على الطريقة القديمة .  
وبذا دخلت أيننا عصرأ جديداً ، سواء فى الناحية المالية أو السياسية .  
فبتزايد العبيد الذى تلا الحرب استؤنف أستخراج المعادن بنشاط جديد ،  
بعد ما توقف العمل فيها وقتياً ، بسبب الغزو الفارسى . وفى بداية الحرب  
البلو يونانية قدر أن ٢٠٠٠٠ عبد ، من بين ما يقل عن ١٠٠٠٠٠٠ عبد ، بمن

---

== مكان آخر ( ٥ - ٧٩ ) ، يقدر عدد السكان المواطنين بثلاثين ألفاً . فعلى حسابه إذن .  
يصل ربع الدولة إلى ٥٠ تلتنا فقط وهو رقم يوافق عليه كاثينيك كتقدير لدخل الدولة العادى  
السنوى من المناجم . وليس لدينا وسائل لتقدير مجموع الإنتاج السنوى ، لأننا لا نعرف  
الشروط التى عقدتها المدينة مع الملتزمين . أنظر أيضاً أسخيلوس ، Eum. ، ٩٤٧ .

كانوا في أتيكا عملوا هناك ، إما فوق الأرض أو تحتها ، فليستبعهم في عملهم (١).

يقوم العمل في لاوريون على مرحلتين ، استخراج المعدن الخام ، ثم جملة فوق الأرض لسحقه وطحنه . والعمل تحت الأرض كان موكولا كله إلى العبيد ، الذين أصبحوا بذلك منفصلين تماماً عن مجتمع الأحرار . وكان العمل يجرى إما في آبار أو في ممرات . هذا وقد اكتشف حوالي ٢٠٠٠ بئر ومن ٨٠ إلى ١٠٠ ميل من الممرات . وكانت الآبار عادة عميقة ، بلغ عمقها في بعض الأحيان ٢٥٠ قدماً ، وجوانبها ملساء ، وغالباً ماتكون رأسية ، بها حافات تتخذ كسلم . ويقدر الخبير الذي فحصها أنه إذا اشتغل في حفر كل بئر عاملان ، أمكن أن يحفر فيها بمعدل ١٦ قدماً في الشهر . ولكن معظم العمل كان يجرى في الممرات ، وهذه كانت حلزونية تتبع عرق المعدن الخام ، وروعي أن تكون ضيقة جداً ، وذلك لتوفير مجهود تدعيمها من ناحية ، ومن ناحية أخرى للحصول على نتائج سريعة . وكانت في المعتاد تتراوح بين قدمين وثلاثة أقدام في ارتفاعها ، وبين ٣ و٢ في عرضها . ويتم تهويتها عن طريق فتحات أعدت لإدخال الهواء . وبما أن تلك الممرات كانت مظلمة تماماً ، فقد كان المعدنون يعملون على ضوء مسارج من الفخار ، خصصت لها بعض التجاويف في الصخر ، وتظل المسرجة عشر ساعات ، وغالباً ما كانت هي التي تحدد طول العمل اليومي . وقد قدر

(١) فيما يخص عدد العبيد أنظر ما سبق هامش ٢٠٨ . ولإني أنحو وفق مذهب كاثينيك (س ١٧٢) ، الذي لا يريد أن يتعدى المائة ألف ، ويقدر المجلة عام ٤٣١ كما يلي :

|       |                      |
|-------|----------------------|
| ٩٠٠٠٠ | العدد الكلي في أتيكا |
| ٢٠٠٠٠ | عبيد المناجم         |
| ٧٠٠٠٠ | عبيد آخرون           |
|       | وهم مقسمون إلى :     |
| ٣٥٠٠٠ | شبان                 |
| ٢٥٠٠٠ | شابات                |
| ١٠٠٠٠ | أطفال                |

ولكن هذه التقديرات افتراضية إلى حد كبير .

أن في إمكان العامل حفر حوالى ١٢ ياردة من الصخر خلال دورات يومية منتظمة مداها شهر . وكان العمال يعملون وهم مكبلون بالأصفاد ، ويكادون أن يكونوا عراة ، ويوسمون بسمه سيدهم . وكانوا يصلون الليل بالنهار كي يزيدوا الإنتاج .<sup>(١)</sup>

ومن أول وهلة يمكن أن نلاحظ كيف أن نظام العمل هذا يكاد أن يطابق ماسبق أن عرفناه من أحوال المزارع المدارية . فالعمل غير الفنى فى التعدين تحت الأرض ، هو فى الحقيقة نوع من العمل يناسب تماما ذلك الصنف من الرقيق . فكل ما يتطلب فى العبد هو جسم قوى ، وما يكفى من ذلك النوع من التفكير الوضيع ، الذى يحدثنا عنه أرسطو بأنه لا بد منه لتسكين العبد من أن يفهم أمراً شفوياً . وكل ما يتطلب من السيد هو مراقبة يقظة قوية ، أو رأسمال كاف لاستخدام مراقبين مهرة ، يقودون له بذلك . فالعمل آلى لا يتغير ومستمر فعلا ، ولا يحتاج إلى مهارة فنية كلية . وغالبا ما كان العمال ثابتين فى أماكنهم ، حتى أنه من الممكن أن يسكلوا بالسلاسل دون أن يحول ذلك دون قدرتهم على العمل . وهم يعملون بأبسط الأدوات والعدد . ولا ينجم ضرر عن هذا العمل ( وهو ما كان معناه ضياع رأس المال ) ، وإن كان مرهقا للغاية ، حتى أنه يقلل من الحيوية ، وبذا يجعل احتملا أن يعقب الموت انهيار القوة العاملة . ويجرى العمل فى عدة آبار منفصلة وممرات تحت الأرض ، فى ظروف تجعل من السهل معرفة مقدار العمل الذى أنجز ، وتقدير مدى نجاحه ، كما تجعل من المراقبة واجبا بسيطا فوق ما ينتظر ، لا يكلف كثيرا . فالمرقب ( وهو عادة عبد موثوق به ) ،

---

(١) للتفاصيل أنظر أردايون ( Ardaillon ) فى Les Mines du Laurion dans l'antiquité ، ولفس المؤلف مقال فى دارميرج وساجليو بعنوان Metalla . وانظر كذلك باترسن ( Paterson ) فى The Nemesis of Nations ، ص ١٩٠ وما بعدها . وفيما يخص بيانات أخرى عن التعدين القديم ، أنظر ديودور ، ٣ — ١٣ إلى ١٤ و ٥ — ٣٦ إلى ٣٨ . وقد أثار تلك التقارير انتباه ماركس ( Capital ، الترجمة الانجليزية ، ص ٢١٩ ) ، الذى استنبط منها مقدار قلة مثل هذه الأحوال الاقتصادية قديما .

يمكن أن يولى اهتمامه لشكل ما يملكه صاحب منجم عظيم ، أو ملتزم .  
وفوق كل ذلك فقد كانت يتوسع في استخراج الفضة إذ هي تقريبا المادة  
الوحيدة ، التي يمكن أن يقال أنها ذات سوق دولية ، وطلبها غير محدود. (١)

وهكذا كانت أئينا تتعلم تدريجيا أن تتخلص من تقاليدنا القديمة ، حتى  
في المحيط الصناعي . فقد استخدمت طبقة جديدة من العمال لنوع جديد  
من الإنتاج . وكانت تستغل الأولى للنتج الثاني بكميات كبيرة كما نستغل  
العمل اليوم ، ونتاج البضاعة الآن . وكان للدروع ووجود الضأن وزقاق  
الزيت خصائصها كما لصناعاتها ، وصيبيانهم ، الذين صنعوها شخصياتهم ، ولكن  
التقود التي ضربت في لاوريون ، وشقت طريقها عبر بحر إيجه ، سكت كلها  
متشابهة ، وتحمل على وجهها طابعا هو طابع السياسة الصناعية الموضوعه ،  
مثل الوشم الذي وشم به العبيد ، الذين عدوا معدنها الخام . وما زالت في متاحفنا  
كثير من قطع التقود لم يترك لنا صانعوها طابعا خاصا . وإنما نعرف فقط  
أن في أزمة الحرب الكبرى ، حين كان زملاؤهم القدماء في أئينا مستعدين  
للموت في الحرب على ظهور السفن ، إلى جانب أسيادهم ، لم يشعر هذا  
الحشد المكثود في لاوريون بشيء من هذه الروح . ولم يروا في تلك  
الأزمة إلا فرصة ليهربوا بجمعهم إلى ما أملوا أن يكون أهون استعبادا .

---

(١) دفع نيكياس تلتنا واحدة ، إلى مراقب عمال ماهر ( إنجزيونوفون ، Mem ،  
٢ — ٥ — ٢ ) . وما كان ليدفع مثل هذا المبلغ الكبير ، إذا كان في حاجة إلى عديد  
منهم . أنظر أرسطو ، السياسة ، ١٢٥٥ ب ٣٥ . كان السنون من العبيد دائما ، عقبة  
في طريقة نظام الرق . وقد أشار « كاتو » ، وهو أقى الاقتصاديين ، بيعهم مع الأدوات  
القديمة الأخرى نظير أى ثمن — « بيعوا الثيران العجوزة ، والحراف الربيضة ، والخبوانات  
الأخرى ، صوفها وجلودها ، والعربات والأدوات ، وأى عبد مسن أو مريض ، أو أى  
شيء ، تالف آخر » (boves vetulos. armenta delicula, oves deliculas. lanam, pelles  
plostrum vetus, ferramenta vetera, servum senem, servum morbosum et  
siquid aliut supersit vendat» — De Agric. II-7). ولم يجرؤ أى يوناني ، في أى عصر على  
أن يكتب جملة تلك القسوة والغلظة كهذه . فبما تعلق بتحليل أكثر تفصيلا خاص بمشكلة العبيد ، أنظر  
كيرنس ( Cairnes ) في Slave - power ، ثم أنظر كذلك ، Sociological Review ،  
١٩٠٩ ، ص ٤ — ٥ .

وفيما عد ذلك لا يمكن أن تتصور كيف كانت حياتهم إلا على ضوء المثل الحديثة . فقد كتب نيغسن في وصفه تلك المحنة البر تغالية ، وجاء الطبيب في زيارته الرسمية ولاحظ عرضاً في أثناء الأكل ، أن نسبة الوفيات هنا بلغت حوالى ١٢ أو ١٤ فى المائة بين العمال . فسألت «ما هو السبب، الأساسى قال «أنيميا» . فقلت مجيباً ، «هذا حدث غامض . وما الذى يحدث الأنيميا؟» قال بصراحة «الشقاء» . ويمكن أن نتأكد أن هذا الداء الغامض نفسه قد أتى على العمال فى لاوريون يوماً بعد يوم . فهل فكر أسيادهم الاثنيون عندما جاء دورهم ليموتوا فى محاجر سيراكوز بردا ، أو من الآمال المحطمة ، هل فكروا فى تلك النفوس التى أرسلوها إلى ذلك الموت فى أرض الوطن ؟ يقينا لا . فلو أنهم فكروا فى عبيدهم بشكل ما ، للعنوا السماء لما ألحقت بهم من جور جزاء شفقتهم بهم . ولما عذب السيراكوزيون المنتصرون بقسوة ، قاندهم نيكياس وأعدموه ، قال توكيديدس ، هكذا مات رجل كان من بين اليونانيين الذين عاصرتهم ، آخر من يستحق نهاية مفجعة كهذه . فقد كان يأخذ بدقة بفضائل الحياة المرسومة . ومع ذلك فإن نيكياس هذا نفسه ابن نيكراتوس ، كما عرفنا من كاتب فنانه ، كان يملك ألف عبد فى مناجم الفضة ، وتلك كانت سخريه الصناعة . (١)

(١) توكيديدس ، ٧ - ٨٦ - ٥ ( أنظر ملاحظة كلاسن على νενομισμένη )  
 وهى ليست تهكمية ) ، Ways and Means ، ٤ - ١٤ ، وأنظر ٢٥ - ٤٣ إلى ٤٤ .  
 فيما يخص أثر الحرب الديكالية على المناجم ، إجزينوفون ، Mem. ، ٢ - ٥ - ٢ ، توكيديدس ،  
 ٧ - ٢٧ - ٥ ( حيث لا بد وأن تشير كلمة χειροτέχναι إلى عبيد المناجم ،  
 وإذا كان توكيديدس نفسه من أصحاب المناجم ، فإنه لم يفرق بينهم وبين العمال الآخرين : أنظر  
 ٤ - ١٠٥ - ١ و ٦ - ٩١ - ٧ ، حيث لمح إلى فرارهم ، إن العبيد الموجودين  
 داخل أسوار لا يمكن أن يهربوا ) ، Hellenica Oxyrhynchia ، ١٢ - ٤ ( إن العبيد  
 الهاربين ، قد غمروا السوق فى طيبة ) ، العبيد فى المراكب : إجزينوفون ، Hell. ، ١ - ٦ -  
 ٢٤ ، وثلاثة الموتي منهم فى I. G. ، ٢ - ٩٥٩ ؛ ثم نيغسنون فى A Modern Slavery ،  
 ص ١٩٠ ، فارتن بما ذكر أخيراً ترنر ( J. K. Turner ) فى Barbarous Mexico (لندن  
 عام ١٩١١ ) ، الذى يقرر أن الذين يستخدمون العمال فى زراعة القنب فى بوكاتان ، يقدرون  
 الموت بين عمالهم بـ ٦٦ فى المائة سنوياً ، وفى حقول التبغ فى Valle Nacional فى Oaxaca  
 يقدرون بـ ١٠٠٪ سنوياً ( ص ١٢ و ٦٣ وما بعدها ) .



## الفصل السابع عشر

### اقتصاديات الإمبراطورية : المالية

Ὡνητή ἢ Ἀθηναίων δύναμις μᾶλλον ἢ οἰκεία.

تعتمد قوة أثينا على المال أكثر من اعتمادها على القوة الأهلية .

الكورثيون في توكيديس ، ١ - ١٢١ - ٣ .

لو أن أثينا أرادت تحقيق مثلها العليا لاحتاجت إلى ثروة مناسبة . وقد بحثنا كل الوسائل المختلفة التي أراد بركليس أن يعنى بها أثينا ، واحدة بعد الأخرى . وقد اعتبر بركليس التجارة والصناعة ، وما يتطلبه انتشارها من كد وبراعة دعائم متينة ثابتة لرخاء أثينا وازدهارها . فهما ، كما اعتقد ، دون قوى الإنتاج الجالبة للثراء في أيامه ، كانتا تفقدان ومثل المدينة والإمبراطورية .

ولكن التجارة والصناعة والحجرة ، لا سيما في العالم اليوناني القديم المحافظ ، تحتاج في تقدمها المستمر إلى عناية وصبر . بل وفوق كل ذلك إلى وقت ، وقد كانت أثينا في القرن الخامس تتقدم بسرعة ، لم يحدث أن تقدمت بها أية جماعة سبقتها أو أتت بعدها . ولقد كانت في حاجة إلى مصادر أسرع وأكمل لتتفق وأطباعها في ذلك الوقت . ولم تكن أثينا لتعيش على الآمال والأمان ، فكان طبيعيا أن تعود إلى الوسيلة القديمة وهي السرقة الحكومية .

رأينا أن تقدم التجارة الأثينية قد عاقه كثيرا في المياه الشرقية استمرار الحرب مع الفرس ٣٢ عاما ، بعد معركة سلاميس . فالسلم لم يعقد نهائيا إلا في عام ٤٤٨ . بفضل بركليس . وحل التجار المسالمون والسائحون مثل

هيرودوت محل الغزاة النظاميين وقطاع الطرق . وخلال هذا القرن والنصف  
أتى أثينا كثير من الخير في شكل أسلاب الحرب . فقد بعث القواد إلى  
وظنهم بالذهب والفضة ليحفظ في خزانة الدولة ، وبأفواج الأسرى إلى  
السوق العامة لتباع لحساب الدولة ، كما بعث الجنود والبجارة ، الذين يعملون  
تحت إمرتهم ، إلى منازلهم بزيادات مرغوبة أضيفت إلى مخزن العائلة . وبعد  
الاستيلاء على سيسستوس وبيزنطة ، تمكن كيمون عند تقسيم الغنيمة ، من  
أن يشتري مؤونة أربعة أشهر لسفنه . فضلا عن أنه أرسل كمية من الذهب  
إلى خزانة أثينا . بعد ذلك بسنين قليلة ، آل إليه ، كما قيل لنا ، من موقعة  
إيريمدون ( Eurymedon ) التي انتصر فيها على قوات الفرس البرية والبحرية  
ما يزيد على ٢٠٠٠٠ ألف أسير وكمية كبيرة من الثروات ، منها حصل الشعب  
على المال الكافي لبناء السور على جانب القلعة الجنوبي ، ووضع أساس  
الأسوار الطويلة حول بيريه لقد ، أخذت أثينا تثرى على حساب أعدائها ،  
بوسائل السلب القديمة .<sup>(١)</sup>

ولسكن بعد عام ٤٤٨ ، عندما عقد الصلح مع فارس ، جف معين مصدر  
الثروة هذا ، وكان مطمح بركليس ألا تسلب أثينا فارس بعد ذلك ، وإنما  
تتجر معها . ولم يعد يتدفق عليها مزيد من الذهب والأسرى من الانتصارات  
البعيدة في آسيا لبناء الأسوار والمعابد . وكان لابد لأثينا أن تبحث عن  
وسائل أخرى إذا كان لابد لمشروعاتها من أن تنفذ . وقد توفر لها ذلك ،  
لا في مصادر الأفراد ونشاطهم التي كان بركليس يفضل كثيرا الاعتماد عليها  
إذا اعتمدنا على أقواله ، إنما في خزائن الدولة . فباني الأكروبول العظيمة  
التي أفرغ فيها الأثينيون الكثير من قوتهم المبدعة ، خلال أسعد سنينهم  
التي لم تدم طويلا ، بنيت بما في خزينة الدولة من أموال . فيجب علينا إذن  
أن ننقل من مصادر ثروة الأفراد ، إلى مصادر الدولة ، وأن نتناول بالبحث  
طبيعة المالية الأثينية العامة ونظم إدارتها .

(١) بلوتارخوس ، Cim. ، ٩ ( من ميون خبوس ) ، ١٣ ، ديودور ،

لقد اعتادت الولايات والأفراد في ظل فقر العالم اليوناني العام ،  
الاعتماد على قوت يوم بيوم . وكان للدول والهيئات العامة ممتلكات كثيرة .  
أحيانا تكون مساوية لأمالك كل مواطنيها ، أو تكاد أن تكون كذلك .  
ولكن قليلا من هذه الدول من كسب مالا يكفي لتفقات الإدارة المستمرة .  
وإذا أمكن أن نعرف ميزانية هذه الدول من المصروفات والإيرادات ،  
لتبين لنا أنها كانت قليلة جدا بشكل يدعو للسخرية . فقد سادت  
اسيطرة البولوبونيز دون أن يكون لهذا إطلاقا دخل حكومي منظم . لكن  
أثينا في القرن السادس لم تكن بدائية إلى هذا الحد . وحتى ذلك الوقت  
كانت خزائنه حكومتها القديمة تؤدي عملها معتمدة على مصادر محدودة . وكان  
لها ثلاثة مصادر منتظمة للدخل : إيجار أراضي الدولة ، ورسوم المحاكم  
والغرامات ، والمبالغ الصغيرة التي تأتي من الضرائب والتكاليف غير المباشرة .  
المختلفة . وإلى أن استغلت مناجم الفضة ، لم يكن أحد من هذه الأبواب ذا  
بال . فقد كانت هذه المصادر تستغل لسد مصروفات الإدارة الجارية ، التي كانت  
بالقياس على ذلك بسيطة . وتشمل صيانة الأعمال العامة وإعالة عبيد الدولة  
القليلين ، ومكافآت لقتل الذئاب ، وجوائز للشعراء والأطباء ، ومنح  
للعجزة ، وفي مقدمة كل هذا ضحايا وقرابين للآلهة القومية والبانثيلية ، .  
وهذا الواجب الأخير الذي لا بد أن كان له النصيب الأكبر بالنسبة للجميع  
بلغ في القرن السادس ثلاث تلمنات (١)

وهكذا من السهل أن يرى الإنسان ، كم كانت ترحب الدولة بهبات  
المواطنين الحرة للسفن والقرابين والتبثيل ، وغير ذلك من الأغراض العامة ،  
وكم كان طبيعيا أنه كلما أتى المدينة ثراء ، وجب توزيعه على هؤلاء الذين  
ساعدوها . وحتى الحرب الفارسية ، لم تقم في أثينا أية فكرة عن جمع  
احتياطي من دخل الدولة الجاري .

(١) ليباس ، ٣٠-٢٠ ، كافنيك ، ص ٥ فيما يخص الـ δημόσιον أى خزائنة  
الدولة القديمة . وخزنتها هم الـ κωλακρέται أو الحفارون ( Carvers ) . أنظر هامش  
ص ٩٢ فيما سبق .

ولكن خزينة الدولة القديمة لم تكن المستودع الوحيد للأموال العامة في أثينا. فهناك مصادر دينية للأموال أيضاً: الكنوز والهبات المحفوظة في معابد الآلهة المختلفة. وأهم هذه الآلهة د أثينا، التي كانت تعبد فوق الأ كروبول. وترجع عبادتها، كما ترجع الكنوز التي جمعتها، إلى عهد د مجهولة نائية. وفي القرن السادس اعتبرت هذه الخزينة ذات أهمية عامة كافية لاعتبار الخزنة الذين يشرفون عليها موظفين عموميين. وقد وضع سولون قواعد جديدة لطرق تعيينهم في تشكيلاته القانونية الجديدة. ولا يمكن تقدير قيمة الكنز الذي أشرف عليه هؤلاء. ولكننا نعلم فقط أن هذا الكنز لا بد أنه كان يزداد سنة عن أخرى، لأن الدولة سمحت للآلهة أن تفيد من بعض مصادر دخلها الخاصة. على أن هذه الاستفادة لم تكن في شكل نقود دائماً. لقد أخذت قدرأ من الغرامات التي تفرضها المحاكم، وعشر الأسلاب في حالة النصر المهم. وبما أن النفقات المقدسة كانت أقل بكثير من المصاريف الدنيوية، فإن الآلهة رغم كونها أفقر بكثير من الآلهة البانهميلية في دلف وأولمبيا، أخذت تشغل تدريجياً مركزها ما في الاقتصاد القومي. وقد كان هناك أيضاً خزائن أخرى في المعابد المختلفة، لا يمكن أن نقدرها في القرن السادس. وقد ضمها ماليو القرن الخامس إجمالاً إلى بعضها، وعرفت بمالية د الآلهة الأخرى. (١)

ولما احتل الفرس أثينا عام ٤٨٠ لم نبذل أية محاولة لنقل هذه الكنوز المقدسة. وأمل الأتقياء عبثاً أن تنجو بمعجزة. ولكن العدو حاصر الأ كروبول، وشق طريقه إلى الداخل عن طريق منحدر جانبي، وسلب المقصورات من ثرواتها، محرقاً كل ما لم يمكن حمله. ولما عاد الأثينيون رأوا أنفسهم لم يبقوا فقط الأموال والكنوز المقدسة التي جمعوها عبر قرون، إنما فقدوا أيضاً المحاريب التي حوتها. لقد أنقذت الإلهة أثينا حقاً، ولكن هي نفسها فقدت كل شيء. وعاد عبادها إلى مدينتهم الخربة يحملون

(١) Ath. Pol. ، ٧ — ٣ ، هيرودوت ، ٥ — ٧٧ ، كاثينياك ، س ٣٠ إلى ٣١ .

في قلوبهم الممتنة مشروعا عظيما ، هو بناء معبد لإلهتهم القومية جديراً بأثينا  
حامية بلاد اليونان . فبدأوا باهدائها بخشوع أفضل ما في أسلابهم من قطع  
مثل عرش إجزر سيس وسيف مردونيوس وغير ذلك من التحف الشهيرة ،  
ثم شرعوا في العمل على إعادة تدعيم المالبتين القومية والمقدسة ، وهو ما يبدو  
أن كان عملا طويلا شاقا . (١)

وقد كنا في حاجة إلى هذا التقدير كمقدمة لمالية الدولة في القرن الخامس .  
ويجدر بنا أن نبحث هذا الآن في شيء من التفصيل بادئين بالمدينة أولا ،  
ثم بالإمبراطورية .

في عهد بركليس كان على بيت المال القديم أعباء أكثر كثيرا مما كانت  
عليه قبل ذلك بقرنين . ربما لم تعد هناك مكافآت الذئاب ، ولكن نشأ عدد  
كبير من التزامات جديدة أكثر أهمية : أعياد أبهج وأكثر عددا ، وأعمال  
عامة أكبر وأكثر عددا كذلك ، ذلك إلى ضرورة مراعاة إعداد ،  
ودفع سبل الأجور المتزايد إلى أفراد المواطنين ، مقابل قيامهم ببعض  
الخدمات كمستشارين وقضاة في المحاكم . ولكن مصادر الدخل أيضاً كانت  
قد اتسعت . فازدهار التجارة جعل فرض الضرائب في پيريه ، والسوق  
العامة ملاماً ، وازدياد الهجرة ازداد ما يدفع من رسوم الرخص على  
العبيد والأجانب ، وتضخمت مصاريف المحاكم بازدياد الواجبات الملقاة  
عليها . وأهم من كل هذا دعم بيت مال الدولة إذ ذاك بدخل ثابت منتظم  
يقدر بحوالي ٥٠ تالنتا ، إن لم يكن أكثر من ذلك ، قوامه مناجم الفضة  
بأنيكا ، ومبالغ أخرى كبيرة من ممتلكات جديدة من بينها مناجم تراقيا .

---

(١) هيرودوت ، ٨ - ٥١ ، كاثينيك ، ص ٣٢ ، الذي يشير إلى حالات أخرى  
( في أولمبيا ودلفي وبرانشيداي ) من محاولات جمع النقود لإصلاح ما ألم بالأضرحة الكبيرة  
من تخريب . وقد ظل الكرسى والسيف المهدب بين كنوز الأكروبول حتى سليمان « خازن »  
غير أمين في القرن الرابع : ديوسستينز ، ٢٤ - ١٢٩ .

ريبدو أن مجموع الدخل السنوى الذى حصلته الخزينة فى عهد بركليس قد بلغ أكثر من ٥٠٠ تلمت. (١)

لكن غذا لأثينا الآن مصادر أخرى تعتمد عليها . فى عام ٤٧٨ اختيرت أثينا لرئاسة حلف أو اتحاد الدول اليونانية ضد الفرس . وقد حدد أرسطيدس العادل ، الذى وكل إليه هذا العمل ، المبلغ الكلى السنوى اللازم لأغراض هذا الحلف بـ ٤٦ تلمت . وهذا المبلغ حصل بطريقة اتفق عليها بين الدول المتحالفة ، وربما قام فى أغلب الحالات على تقدير إجمالى لأراضى تلك البلدان . وكان يعاد النظر فى التقديرات بالتفصيل كل أربع سنوات ، ولكن القواعد الأساسية لدفع هذه الضرائب كما أنشأها أرسطيدس كانت جزءاً من النظم الأصلية المتفق عليها ، بين أثينا والمدن ، ولا يمكن أن تغير أو تبدل دون قصد سيء . ولدينا دلائل كافية تعيننا على إعادة بناء التقديرات التى حدد أرسطيدس على أساسها هذا المبلغ . كان أكبر عدد لأسطول الحلفاء العامل ، مكوناً من ٢٠٠ تريريم ، تجهز كل بمائة وسبعين مجدواً ، وثمانية ضباط وعشرة نوتية ، أى أن الجميع كانوا ١٨٨ رجلاً . وتمتد سنة خدمتهم من مارس إلى أكتوبر ، عندما ينتهى الموسم فى أثينا بدفن القتلى رسمياً فى احتفال عام . والمبلغ الذى كان يحتاجه الفرد إذ ذاك لشراء غذائه وحاجياته الأخرى من موانى أبجينا ، هو ٢ أو بل يومياً (ثلث دراخمة) فتقدير أرسطيدس كان إذن كما يأتى :

يتسكف كل جندى فى الموسم وطوله ٢١٠ يوما ،  $\frac{1}{4} \times 210 = 52.5$  دراخمة .

يتسكف كل تريريم عليها ١٨٨ رجلاً ١٣١٦٠ دراخمة .

يتسكف الأسطول المكون من ٣٠٠ مركب ٢٦٣٢٠٠٠ دراخمة .

---

(١) إجزينوفون ، Anab. ، ٧ - ١ - ٢٧ ، كاثينيك ، ص ٥١ . فرانكوت فى Finances des cités grecques ، ص ١٧٥ ، يقدرها بستائة . توكيديدس ، ١-١٠١-٣ (أراضى جديدة) .

وبما أن التلنت يساوى ٦٠٠ درخمة ، فهذا يعادل ٣٨٤ ٤ تلنت وعلى ذلك فالمبلغ الذى يجبى سنوياً وهو ٤٦٠ درخمة ، يتضمن مبلغاً احتياطياً يكفى لتجديد السفن. (١)

من يملك هذه الاموال ؟ إنهم هؤلاء الذين يشرفون على صرفها . وقد كانت « جزية » ، وسميت بذلك صراحة ، تدفع إلى المهيمين على التحالف . بنفس الطريقة التى كانت تدفع بها معظم البلدان المتحالفة الجزية إلى ملك الفرس سابقاً . ومن هم هؤلاء المهيمون ؟ كانوا نظرياً يمثلون دول الحلفاء أنفسهم ، لكن فى الواقع ، هم قادتهم المعترف بهم ، أى الشعب الاثينى . فالقائمون على الخزينة الذين يتسلمون النقود كانوا موظفين أثينيين ، والقواد الذين تدفع لهم هذه النقود كانوا ضباطاً أثينيين منفذين ، والهيئة التى تعينهم وتشرف عليهم هى الشعب الاثينى . وإذا أردنا الحق ، لقد كانت أموالاً تدفع للأثينيين بشرطين معروفين ومتفق عليهما . أولاً : يستمر فى جبي النقود وفق الطريقة التى اتفقت عليها الدول المتحالفة والتي اقترنت باسم أرسطيدس . وثانياً : على أثينا أن تحمى هؤلاء الذين يدفعونها من كل عدوان فارسى . ويقول كاتب ، تعمق فى بحث الجانب القانونى للوضوع ، أنه فيما عدا ذلك فهى ، كإى جزية ، تخص هؤلاء الذين دفعت لهم . وعلى ذلك أصبحت ملكاً للدولة الاثينية . وقد وقفت أثينا أول الأمر على نفقات الحرب ولكن توحى للتحالفين بثقة أكبر وضعتها فى بند منفصل عن دخلها وأموالها العادية ، واحتفظت بها فى ديلوس. (٢)

(١) توكيديدس ، ١ — ١٠٤ ، ١١٢ — ٢ ، بلوتارخس ، Cim. ، ١٢ ، (٢٠٠ مركب) ، أنظر توكيديدس ، ٢ — ٧ — ٢ ، بلوتارخس ، أرسطو ، ٢٤ (تقدير الأرض) ، بلوتارخس ، نيمستوكليس ، ١٠ وأرسطو ، Wasps ، ٨٨ (Schol) . (٢ أوبل) ، توكيديدس ، ٢ — ٢٣ — ٢ (البحرية) ، كافينيك ، ص ٤٤ ، ماير Forschungen ، الجزء الثانى ، ص ١٧٠ . إذا كانت خمسون تلنتاً تكفى لبناء ٣٠٠ سفينة فى عام ٤٨٣ ، فإن عشرين تلنتاً لتبدو احتياطياً كبيراً لتعويض ما قد يتلف . وكانت الأجهزة تقدم هبات من الأفراد . إن مدة الأربع سنوات كانت الفترة بين الأعياد الباناثينية . (٢) فرانكوت ، ص ١١٤ و ٦٣ وما بعدها . فيما يخص معنى كلمة φόρος و = (م) — ٣٢ الحياة اليونانية )

ولم يكن أرسطيدس مالياً عادلاً فحسب ، بل كان أيضاً مالياً حريصاً .  
وفي الحق إنه كان ، كما تبين من الحوادث ، أكثر دقة من اللازم . لقد بنى ،  
تقديره على افتراض وقوع غزوة كل موسم ، وعلى أن هذه الغزوة قد لا تأتي  
بأية فائدة . وسرعان ما نقض هذان الافتراضان . فقد انسحب الفرس إلى  
البر ، وتركوا لليونانيين البدء بالهجوم ، وهو ما تباطأوا في تنفيذه . ولما أن  
قاموا به ، كما حدث في تراقيا وإيريميدون ، اتبعوا بصفة عامة ، سياسة أن  
« الحرب تغذى نفسها ، ورجعوا إلى أوطانهم محملين بالغانم . وفي أثناء ذلك  
استمرت الجزية السنوية ترد إلى الخزينة ، وقد تركها الخازنون تتزايد حتى  
بلغت احتياطياً لإمبراطورياً ضخماً . وفي عام ٤٥٤ — ٤٥٣ عند ما نقلت  
الخبزينة إلى أثينا ، إما إشاراً للأمان أو المنفعة ، لا بد وأن كان هذا  
الاحتياطي قد بلغ ٣٠٠٠ تلنت .<sup>(١)</sup>

وابتداء من عام ٤٥٣ صار الأثينيون في الظاهر والحقيقة  
هم المسيطرون على أموال الخلفاء . فأودعت الأموال الأكروپول ، حيث  
حفظت أموالهم الأخرى . وبذا غدا لأثينا الآن ثلاث خزائن منفصلة  
تخص على التوالي المدينة والإلهة والإمبراطورية . فلتتبع ما كان من أمر  
هذه التعقيدات المسالية .

دأبت أثينا طوال ذلك الوقت على جمع المال لبناء معبد الإلهة الجديد  
أشاسع . وقدمت الدولة هبات شخصية من الأسلاب ومن مصادر أخرى  
لدخل المدينة ، وقام المواطنون بنصيبهم في اغتباط . فخائط الأكروپول  
الجنوبي الذي أقامه كيمون من الأسلاب ، بنى لتدعيم أسس المقصورة المراد

---

ϑόρος = οὐνταξις ، أنظر بصفة خاصة ١١٧ . إن كلمة φόρος ( الجزية ) كانت  
تستعمل منذ البداية ( توكيديدس ، ١ — ٩٦ — ٢ و ٥ — ١٨ — ٥ ) ، وترتبط  
مالية الاتحاد بحالمة مملكة فارس . أنظر هيرودوت ، ٣ — ٨٩ ، حيث يوصف داريوس بأنه  
صار إلى نفس ما أصبحت أثينا أي « جايباً للنفود الصغيرة » .

(١) كافينيك ، ص ٦٨ — ٦٩ ( أنظر ص ٦٢ فيما يخص التحويل ) ، فرانكوت ،



بناؤها . لكن كان تقدم العمل بطيئاً . أما معبد زيوس في أولمبيا ، الذي انتهى من بنائه عام ٤٥٦ ، فقد بنى من مال استغرق جمعه قرناً . وكانت أولمبيا تعتمد على تبرعات اليونان كلها . وعلى حين كادت كل معابد المدن الغنية في اليونان الكبرى (ماجنا جريكيا) وصقلية المعاصرة لها ، أن تكون نتيجة نشاط طويل ، استؤنف عدة مرات . وكل هذه المعابد كانت من الحجر العادي ، بينما كان المقرر أن يكون البارثون من المرمر . . ولكن كانت أثينا فقيرة بالنسبة لهذه الدول ويبدو أنها سميت بأماها بعيداً .<sup>(١)</sup>

ومنذ حوالي ذلك الوقت نرى أنها تخطو خطوات حاسمة للإسراع في تنفيذ مشاريعها الدينية والفنية الكبيرة . ويقول بلوتارخس إن بركليس وقد حرص على استنهاض روح الشعب وتشجيعه على الأعمال الجليلة ، اتخذ قراراً بأنه ينبغي على كل اليونانيين أينما أقاموا ، سواء كان ذلك في أوروبا أو آسيا ، سواء كانت مدنهم صغيرة أم كبيرة ، أن يبعثوا بممثلهم إلى أثينا ليتداولوا في إعادة بناء المعابد اليونانية التي أحرقتها البرابرة ، وليبحثوا أيضاً كيفية توجيه تلك الهبات التي نذرت أثناء الحرب الفارسية لسلامة بلاد اليونان ، ولتفاوضوا أيضاً بشأن البحار حتى يبحر عابها الجميع دون ماخوف ، ولتدعيم السلام . . ولا يمكن تحديد تاريخ هذا القرار الهام ، الذي جمع بين سياسة بركليس في السيطرة البحرية ، وبين مشاريعه العمرانية تحديداً دقيقاً . ولكن يبدو أنه يرجع إلى الفترة بين عامي ٤٦٠ و ٤٥٠ . ويقول بلوتارخس : « لم يكن لهذا المرسوم أي أثر ولم ترسل المدن ، مثلها ، وقيل أن السبب في ذلك معارضة اللايسيديمونيين ، التي كانت تعمل في الخفاء ، إذ أن الاقتراح رفض أولاً في الپلوپونيز . ولكنني كنت أود أن أذكره كنموذج لعظمة روح الخطيب ، وميله لوضع مشروعات عظيمة . »<sup>(٢)</sup>

إلا أن أثينا قد اتخذت في نفس الوقت سبيلاً آخر أقل طموحاً ، ونفذ

(١) كاثينيك ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) بلوتارخس ، الفرس ، ١٧ ، كاثينيك ، ص ٦٠ ، وقد اتبع في ذلك كابل (Keil) .

بسهولة أكبر . فقد جعلت الحلفاء يساهمون في مشروعاتها الدينية ، بأن يدفع كل إلى خزينة الآلهة ، أولى ثمرات ، الجزية . وهكذا كانت النسبة التي خففت تبليغ سدس كل ضريبة . وإلى تسجيل هذه الهبات ترجع معرفتنا المفصلة عن النظام الإمبراطوري ، فقد نقشت القوائم على ألواح حجرية وصلنا الكثير منها. (١)

وبمجرد أن وضعوا المبدأ نفذوه . ولا يمكن تتبع تقدمه بالتفصيل ، ولكننا نعرف القصة بوجه عام . فالحقائق تتحدث عن نفسها . في عام ٤٤٨ عقد الصلح بين أثينا وفارس ، ولكن رغمًا من أنه لم تعد هناك حاجة إلى الضرائب المقروضة على الحلفاء ، فإنهم لم يعفوا منها . وفي عام ٤٤٧ ابتدئ في بناء معبد البارثون العظيم . وفي عام ٤٤٥ عقد الصلح بين أثينا وأعدائها في بلاد اليونان نفسها . وفي عام ٤٤٤ نارت في أثينا مناقشات حامية فيما يخص باستغلال أموال الإمبراطورية . وإن كانت هذه المسألة قد صدعت الجبهة ، إلا أنها حسمت نهائياً عام ٤٤٣ ، بنفي السياسي الذي كان معارضاً لسياسة بركليس المالية . وفي عام ٤٤٣ - ٤٤٢ قسم الاتحاد ، أو الإمبراطورية كما سميت إذ ذاك ، خمس مناطق ضرائبية تيسيراً لجمع الأموال . وفي عام ٤٤٠ وحّد في يدي خازني أموال الآلهة احتياطي مالية الآلهة والإمبراطورية . وهكذا وفرت أثينا النقود اللازمة لمشروعاتها. (٢)

وفي عام ٤٤٠ - ٤٣٩ فوجئت أثينا أثناء تنفيذ مشاريعها بثورة قام بها اثنان من أهم حلفائها أو رعاياها هما ، ساموس وبيزطة . وقد كافها إخماد تلك الثورة حرباً دامت فصلين ، فضلاً عن مبلغ ١٢٧٦ تلتنا من احتياطياتها ( غير الدخل الإمبراطوري الجاري ) ، وهكذا تعطل العمل في بناء البارثون فترة قصيرة . لكن الدفع ظل مستمراً لإعداد التمثال الذهبي.

(١) كاثينيك ، ص ٦٠ - ٦١ . وليس هناك دليل على أن جنية أولى عمالة من

الهبات ، قد قدمت لأبولون بينما كانت الخزينة في ديلوس .

(٢) كاثينيك ، ص ٧٦ ، ملاحظة ٢ ، ص ٨٥ ملاحظة ٢ ، ص ٩٢ ، ملاحظة ٣

( أنظر التذييل ) .

العاجي الذي كان يجب أن يكون الميزة البارزة للمعبد الجديد . وعند نهاية الحرب استؤنفت المشاريع الأخرى. (١)

وشهدت السنوات السبع التالية ، أى حتى قيام الحرب البلوونيزية ، ذروة الثراء والنشاط الأثيني . وفي عام ٤٣٨ كان بناء البارثنون قد تقدم تقدما كافيا ليفتح رسميا في الاحتفال اليانائيني ، ، في صيف هذا العام . وفي الوقت المحدد لهذا الاحتفال أتم فيدياس تمثال أتنا الذهبى العاجي ، ثم وجه الفنانون اهتمامهم إلى الأكروپول ، فرسم منيسكليس تصميم البهو العظيم ، وبدأ العمل فيه عام ٤٣٧ . وقبل ذلك بسنين عديدة ، حدد مكان على حافة ، الأكروپول الغربية البارزة لمعبد صغير لآتنا المنتصرة . إلا أن البناء تأخر لنقص الأموال ، ولكنه بدأ في تنفيذه إذ ذاك رغم أن تصميمه واتجاهه قد تدخل إلى حد ما في تصميم هو منيسكليس واتجاهه . وابتدىء كذلك في بناء عدد آخر من المعابد — الإرخثيوم على الحافة الشمالية للأكروپول ، ثم معبد هيفايستوس ( المسمى ثيسيوم Theseum ) في المدينة نفسها ، وكذلك معابد سونيوم ورامنوس على الشاطئ . وكان هناك بالإضافة إلى هذه المعابد ، عدد من الأبنية العامة الأخرى ، الأوديوم أو صالة الغناء ، والسور الثالث ، أو السور الطويل الأوسط لتسهيل عملية الدفاع عن المدينة والمرفا ، ثم أحواض جديدة وأعمال أخرى في بيريه. (٢)

ولا يزال كثير من هذه الأبنية قائما ، شاهدا على إقدام وأناة الفنانين الذين صمموها أو أقاموها . كذلك بقيت أيضا كثير من سجلات المبالغ التي دفعت لهذه المناسبات ، تشهد على أنها بنيت حقا ، كما يخبرنا بركليس ، مع مراعاة شديدة للاقتصاد . وهذا واضح في كل صغيرة ، ، حتى في الترتيبات الدقيقة التي اتخذت لبيع الخشب الذي استعمل في سقالاتها . وقد نوقش كل فرع من فروع المصروفات بدقة ، وروقب بشدة ، لأن العمل

(١) كاثينيك ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(٢) ( أنظر التذييل ) .

كان يجرى ، كما أدرك كل فرد ، لاعلى حساب مصادر المدينة القومية أو العادية ، إنما من الأموال التي كانت مخصصة في الأصل للأغراض الحربية ، ومن المحتمل أن تحتاج إليها أثينا ثانية في أية لحظة . وإليك تقدير عام للمبالغ التي صرفت على الأعمال العامة بين ٤٤٧ و ٤٣٢ .

عدد

|      |   |
|------|---|
| ٧٠٠  | ثلثت ( ٨٤٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي ) البارثون.         |
| ١٠٠٠ | ( ١٢٠٠٠٠٠٠ ) د ) تمثال أثينا الذهبي العاجي .    |
| ٤٠٠  | ( ٤٨٠٠٠٠٠ ) د ) البروبيليا أو البهولم ( يتم )   |
| }    | ( الأوديوم أو (صاللة الغناء) )                  |
|      | دور للسفن                                       |
|      | السور الأوسط                                    |
| ٣٠٠٠ | ( ٣٦٠٠٠٠٠٠ ) د ) أعمال في بيريه                 |
| ٢٠٠  | ( ٢٤٠٠٠٠٠ ) د ) إلهتان للنصر من الذهب           |
| ٢٧٠٠ | ( ٣٢٤٠٠٠٠٠ ) د ) معابد أخرى بما فيها معبد النصر |

المجموع ٨٠٠٠ ( أى ما يساوى ٩٦٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي ) .

انفقت هذه المصروفات في مدى ستة عشر عاما من عام ٤٤٧ إلى ٤٣١ . لكننا بلغت حدتها في الجزء الأخير فقط من هذه المدة ، عندما سيطرت الإلهة على زمام أموال الاتحاد الزائدة . وعلى قدر ما تمدنا به النصوص فقد بلغ متوسط الصرف السنوى بين ٤٤٧ و ٤٣٨ ، ما بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ ثلثت . بينما كان معدل الصرف ٦٥٠ ثلثتا فيما بين ٤٣٨ و ٤٣١ . ويؤيد هذا تقرير توكيديديس ، وهو أن أقصى ما بلغته الخزانة قبل البدء في بناء البهولم ، كان مبلغ ٩٧٠٠ ثلثت كاحتياطي تحت يده . ويكاد أن يبدو كما لو كان بركايس ، وقد أدرك أن حربا كبيرة كانت على وشك الاندلاع ، وأنه وفنانوه سيدركهم الكبر ، صمم على إنجاز ما بقى من العمل ما دام في الوقت بقية .

وفي عام ٤٣١ عند ما انفجرت العاصفة ، كانت معظم الأعمال قد أنجزت ،  
لا جميعها. (١)

ومن العسير علينا في هذه الأيام الموسرة الحديثة ، أن نكون فكرة  
عن طابع أثينا خلال هذه السنين القليلة الغاصة بالإنتاج البديع . فهذه الـ ٨٠٠٠  
تلذت التي دفعت لصناعتها وعمالها ، ليعبر عنها بالعمل القاسي والقدرة  
الفنية ، وفوق كل شيء بالضححية الذاتية ، أكثر بكثير مما يمكن أن تعبر  
عنها التمود في لغتها الواهنة في هذه الأيام . فن وجهة نظرنا الحديثة الخدرة ،  
التي تضع العمل المريح قبل كل اعتبار ، وتأخذ الفن كفكرة ثانوية ، فمالياتها  
كانت مختلفة . وكما قال اقتصادي حديث ، « إن أعمال بركليس لا يمكن أن  
تدر ربحا ، أو تصدر للخارج ، أو تستغل لتنمية الثروة . حقا إن بناءها قد  
أتاح وسيلة لتشغيل الشعب ، لكن عندما تمت لم تقدم أية خدمة للصناعة  
أو أي حافز للتجارة . وعندما تصرف مبالغ كثيرة في أعمال عامة منتجة  
مثل تلك المبالغ التي صرفها المصريون على بحيرة موريس ، فالثروة التي تنفق  
على هذا النحو لا تعطى فرصة للعمل وقت القيام به فقط . لكنها تتيح فرصاً  
للعمل المستمر فيما بعد . مثال ذلك المرافق والقنوات والرى والطرق

---

(١) فرانكوت ، ص ١٧٥ وقد اتبع بوزولت (Busolt) في ذلك ، وبوافق  
كافينييك بصفة عامة (على ما يخص البارنتون مثلا ، ص ٩٩ ثم ما يخص البروبيليا ، وما يخص  
معارضة Heliodorus ، ص ١٠٢) . آخرون على أية حال (مثل ديكينز في خطاب خاص) .  
قد خفضوا المجموع إلى أربعة آلاف تلت . إن أقدر قوة الدراخمة السمرائية بأربعة شلنات .  
أما كافينييك ( ص ٨٨ ) فيقدرها بخمسة شلنات . وقد كانت بطبيعة الحال آخذة في الانخفاض  
طوال القرن .

(٢) فرانكوت ، ص ١٧٥ ( المصاريف السنوية ) ، توكيديدس ، ٢ — ١٣ — ٣  
( ٩٧٠٠ تلت ) ، ٢ — ٦٤ — ٥ ( المخاطرة في سبيل العظمة ) ، ولم يعتقد كافينييك بوفرة  
أكثر من ٦٠٠٠ تلت في أي وقت معين ، ويبدى حججه في تنقيح نص توكيديدس تبعاً لذلك .  
( ص ١٠٨ ) . ولم أجرؤ أن آخذ برأيه ، رغم أنه من العسير تبرير وجود مثل هذا المبلغ  
الكبير بعد الحرب السامانية مباشرة ، وبعد تكملة البارنتون وتمثاله . يفضل ماير  
Forschungen ، الجزء الثاني ، ص ١١٩ ، ألا يأخذ كلمات توكيديدس بمعناها الحرفي .  
أنظر أيضا قول كافينييك الأحدث في Histoire de l' antiquité ، الجزء الثاني ، ص ٨٤  
اللاحظة .

والسكك الحديدية أو أى شىء آخر يزيد فى إمكانات مملكة ما وبركليس فى سعيه لإيجاد عمل مريح للشعب ، إنما وجه نشاطهم قصداً إلى أعمال عامة غير منتجة . وهكذا ابتلعت المباني الفخمة العظيمة التى شيدت فى حكمه وتحت إشرافه ثروة المدينة واستنزفتها ، دون أن تكون أى مصدر طبيعى ، أو تقدم أية تسهيلات للتجارة مقابل ذلك . فالخزينة قد نصبت إلى الأبد ، وقد صبت أموالها فى أعمال عظيمة من الوجهة الفنية ، ولكنها من الوجهة الاقتصادية والسياسية ، ولا شك أن بركليس نفسه كان ليقره . لقد ذهب صديقه هيرودوت إلى بحيرة موريس وأخبره ، كما أخبرنا ، عن المنشآت العامة المصرية المنتجة . ولم يكن الأثينيون من الغفلة بحيث لا يدركون أن معايدهم لن تأتى بدخل إلا عن طريق المشاهدين ، وأن المبالغ التى بنيت بها إنما كان نفعها محدوداً للغاية . كما أدركوا أنهم إنما أضاعوا الوقت ، وأنفقوا على ذلك العمل ، مبالغ كان الرجل العاقل يدخرها للدفاع القومى والتقدم التجارى والصناعى . ولكن ينبغى لهم معارضة الاقتصادى الحديث بقوة فى نقطة واحدة فقط . فهو يتكلم كما لو كانت تلك المباني قد شيدت لتوفير عمل مريح للشعب ، ، وكما لو كان البارثونون قد أقيم للترف . لقد شاد البارثونون صناعات مخلصون مشوقون لتكريم إلهتهم ، وقد أعطوا أجراً زهيداً نظير خدماتهم المتفانية . فالفنانون لا يعملون المال وإن كانوا كغيرهم يحتاجون المال ليحيوا . هذا وتوידنا النصوص فى قولنا عن الصناع والعمال الذين استخدموا فى المعابد ، شأنهم فى ذلك شأن من استخدموا فى المدينة بوجه عام ، من أنهم إنما كانوا عشاقاً للجمال مع ثمن زهيد . (١)

(١) هيرودوت ، ٢ - ١٤٩ ، ٣ - ٩١ (بحيرة موريس) ، النظارة : الأوليجارشى العجوز ، ١ - ١٧ ، أنظر سطرًا حفظ من لسيبوس (Lysippus) الكوميدي (floruit ، ٤٣٤) « إذا لم تكن قد رأيت أئينا فأنت أبله » (-) Aθή- εἰ μὴ τεθέασαι τὰς « ، كاتنجهام (Cunningham) فى Western Civilization ، ص ١٢٠ - ١٢١ . ويرد ذكر الإرخثيوم أكثر من غيره لما يحويه من قروش بارزة =

هاقد استعرضنا بوجه عام تاريخ المالية الاثينية حتى ما قبل حرب  
البلوونيز ، ولحسن الحظ وصلنا الآن إلى حقائق ثابتة في بحننا ، إذ يخبرنا  
توكيديديس بالدقة ، كم بقي في الخزينة عندما أوقف البناء بسبب نشوب  
الحرب . وفيما عدا الدخل الآخر ، ( أى خزينة المدينة القديمة ) متمثلاً  
بقول بركليس ، ولقد سمحنا ٦٠٠ تلت من الفضة في المتوسط من دخل  
الحلفاء ، ولا يزال موجوداً ٦٠٠٠ تلت من العملة الفضية محفوظة  
في الأكروروبول . . . . وهذا لا يشمل الذهب والفضة غير المسكوكين من  
الهباب العامة والخاصة ، ولا الأواني المقدمة للوأكب والاحتفالات  
والمباريات ، ولا الأسلاب الميدية والمصادر المشابهة ، بما يساوي ٥٠٠ تلت .  
وقد أضاف بركليس إلى هذا دخل المعابد الأخرى . . . . حقاً لو أن الاثينيين  
اضطروا إليها ، لربما نزعوا أيضاً زخارف الإلهة أثينا نفسها الذهبية ، إذ  
كان الثمالي يحمل ٤٠ تلتاً من الذهب الخالص ، كلها سهل نزعها . وهذا

---

== إذ استؤنف العمل فيه عندما كانت أثينا عامرة — وهو لا شك عمل من أهم الأعمال  
الفنية القومية الرائعة التي تمت في التاريخ كله . وقد انتشرت الفكرة القائلة بأن الاثينيين  
في أوج عظمتهم كانوا جشعين فيما يتصل بالمسائل المالية ويرجع هذا من جهة ، إلى انتقاد  
أفلاطون الذي عارض طريقة الدفع فيما يخص الأعمال العامة ، ومن جهة أخرى يرجع إلى الحقيقة  
التي لا شك فيها وهي ارتفاع مستوى الصروفات : ويرجع هذا إلى الارتفاع العام في الأسعار  
التي كان النتيجة الطبيعية ، لفيض السائك الفضية من المناجم ، وفي شكل جزية . لقد كانت  
أثينا كأنها تعيش على تمويض مستمر يدفع تقداً . وكما اتضح حديثاً ، فالتعميضاات ليست نعمة خالصة  
للبلاد التي تأخذها . ( أنظر أنجيل ( N. Angell ) في The Great Illusion ، الفصل  
السادس ، وقد كتب هذا الفصل بعناية أكثر في أحدث طبعات الكتاب ) . ولا شك في  
أن ارتفاع الأسعار قد أدى على نحو ما ، إلى عرقلة ازدياد الصادرات الاثينية ، وأنه كان  
لاسترجاع القوى السريع وما تبعه من اتساع التجارة الاثينية بعد عام ٤٠٤ ، صلة بهبوط  
الأسعار الذي نشأ عن فقدان الإمبراطورية وإفقال المناجم . إن هذا الموضوع من المواضيع  
التي تستحق بحثاً آخرًا دقيقاً . فثلاً من الصعب القول كم كان مدى تأثير الأسعار هذا . ويرى  
كاثينيك ( س ١٢٧ ) بأن هذا الأثر كان ملموساً في منطقة بحر إيجه عامة ، ولكن يبدو واضحاً  
من توكيديديس ، ٨ — ٢٩ ، إذا ما قورن به ٣ — ١٧ — ٤ أن هذا الأثر لم يكن على  
هذا النحو . أنظر أيضاً ٥ — ٤٧ — ٦ ( حيث تساوى ثلاثة أويل أيجينية خمسة أتيكية  
وزناً ) . أو بما لا شك فيه أن الاثينيين قد حملوا معهم معيار أسعارهم ، وأن بانهم السوق في  
منطقة بحر إيجه كانوا يعملون إلى معاملتهم بالمثل .

يمكن استغلاله في المحافظة على النفس ، على أن يحدد كاه بعد ذلك . وهكذا كان مركزهم المالى ، وبالتالي كيد هو مركز مرضى ، . هذه هى الموارد التى زود بها أثينا أعظم رجالها المالىين ، والتى وصفها أعظم مؤرخيها بأنها « وفورة بكثرة » . ملايين قليلة من السبائك الخام وليس بعدها أمل فى قرض أو مساعدة أخرى من أصحاب رؤوس الأموال ، لافى الداخل ولا فى الخارج ، إلا فى المتحف الوطنى الذى يمكن أن يتحول إلى أموال سريعاً . وما من شئ يمكن أن يصور أحسن من هذا ، كم كان الأساس الذى حاولت أثينا أن تبنى عليه صرح الحضارة الباهظ التكاليف ضعيفاً بشكل يرنى له (١) .

وإنحاول أن نعمل فى الختام لبركليس ما فعلناه لأرستيدس من قبل ، أى أن نوضح بالأرقام تقديره لتسيير دفعة الحرب المرتقبة . والى نفع ذلك يجب علينا أن نتذكر أن الأسعار كانت فى ارتفاع فى أثينا ، وأن المبلغ الذى قدره أرستيدس للوقاية ، لم يعد على أية حال كافياً . وسيرينا ذلك مدى فقر مصادر أثينا لافى المال فقط ، بل وفى الرجال أيضاً . فإذا ما أخذنا بمقاييسنا الحديثة ، فلقد كانت حفنة قليلة من البشر هى التى هزمت الفرس ، وأنشأت الإمبراطورية ، وجلت أثينا بمبانيها الخالدة ، وهى الآن على استعداد فى ٤٣١ء أن تأخذ مكانها فى صفوف المقاتلين ، أو على متن البحار ، لتدافع عن تراثها ، وتسلمه سليماً إلى المستقبل . ولكن لقد أدرك بركليس كم يستحيل على أثينا أن تحارب وتواصل عمالها الخاص ، فلم يرد أن يوجب عليها الحرب . ومن الأفضل أن نبدأ تاريخ هذه الحرب وأماننا هذه الأرقام :

---

(١) توكيديدس ، ٢ — ١٣ — ٣ إلى ٥ ، ٦٥ — ١٣ . ربما كانت ال ٦٠٠ تلتزم تتضمن التعويض الذى كان يدفعه سنويا أهل ساموس منذ عام ٤٣٩ ، وكذلك بعض ملحقات الإمبراطورية ( فى البحر الأسود مثلا ) وذلك منذ أن حدد أرستيدس المجموع السكى أصلا . فإرن الوسائل التى اضطرت الجمهورية النسوية إلى اتخاذها بأن رهنهت ذخايرها الفنية الخ . للحصول على اعتمادات للطعام والمواد الخام .



عدد الشبان في أتيكا عام ٤٣١ :

| عدد    | حوالي   |
|--------|---------|
| ٤٠٠٠٠  | مواطن   |
| ٢٤٠٠٠  | د أجنبي |
| ٥٥٠٠٠  | د عبيد  |
| ١١٩٠٠٠ | المجموع |

هذه هي القوة السكالة من الأيدي العاملة والعقول المفكرة التي اعتمدت عليها أثينا في بقائها كركز للحضارة . ويمكن أن نرى لأول وهلة ، مدى خطر ما يصيب تلك القوة العاملة من عجز إذا ما تحول ، ولو جزء صغير منها ، من فنون السلم إلى فنون الحرب .

ولنحاول الآن دراسة نفس السكان لو نظموا لأغراض الدفاع القومي . فبجب أن نسقط الـ ٢٠٠٠٠ من العبيد الذين يعملون في المناجم ، والذين لا فائدة منهم ، ثم الـ ٣٥٠٠٠ من العبيد الآخرين الذين لا يمكن استدعاؤهم إلا عند الضرورة القصوى ؛ وبذلك ينقص المجموع إلى ٦٤٠٠٠ (منهم ٤٠٠٠٠ ، من المواطنين ٢٤٠٠٠ من الأجانب) . وهذا كان مجموع القوة الحربية لسكان أتيكا نفسها مكتوباً على الورق . ولكن يجب أن نضيف إليهم المقيمين في الخارج ، ويبلغ عددهم من ستة آلاف إلى عشرة آلاف ، في جاليات منتشرة في دائرة بحر إيجا ، الذين كانوا حتى ذلك الوقت يدعون إلى الخدمة العسكرية ، ويعطينا هذا الأرقام الآتية :

|       |       |         |
|-------|-------|---------|
| ٤٨٠٠٠ | حوالي | مواطن   |
| ٢٤٠٠٠ | د     | أجنبي   |
| ٧٢٠٠٠ | د     | المجموع |

كيف نظم هؤلاء الـ ٧٢٠٠٠ لأغراض الدفاع القومي ؟ إن طبيعة الواجبات العسكرية على كل رجل في أثينا تتوقف على مرتبته في الإحصاء ، أي ما لديه من أملاك . فإذا كان غنياً بحيث يستطيع أن يزود

تنفسه بالعدد الحربية ، عمل في سلاح الفرسان ، أو في فرق الجنود الثقيلة ، وإذا لم يكن كذلك ، عمل في فرق الأسلحة الخفيفة ، أو كمجدف ، وهو الأمر الأكثر اعتباراً . وإذا اعتمدنا على تقديراتنا السابقة نصل إلى الأرقام الآتية : (١)

|                                       |       |
|---------------------------------------|-------|
|                                       | ٥٤٤   |
| المواطنون المسلحون بالأسلحة الثقيلة . | ٢٨٠٠٠ |
| "    "    "    "    الاجانب           | ٨٠٠٠  |
|                                       | <hr/> |
| المجموع                               | ٣٦٠٠٠ |
| المواطنون المسلحون بالأسلحة الخفيفة . | ٢٠٠٠٠ |
| "    "    "    "    الاجانب           | ١٦٠٠٠ |
|                                       | <hr/> |
| المجموع                               | ٣٦٠٠٠ |

ولنضع إلى جانب هذه التقديرات التي لا تعدو أن تكون تخمينية ، تنظيم ركائس الخاص للجيش ، مستعينين بالأرقام التي أوردها توكيديدس . (٢)

|       |                                    |
|-------|------------------------------------|
| ١٥٨٠٠ | ١ - جيش خدمة الميدان               |
|       | فرسان                    ١٠٠٠      |
|       | المشاة الثقيلة        ١٣٠٠٠        |
|       | سلاح الفرسان الخفيفة    ٢٠٠        |
|       | "    المشاة                ١٦٠٠    |
|       | <hr/>                              |
|       | المجموع                    ١٥٨٠٠   |
| ١٦٠٠٠ | ٢ - احتياطي (كله من السلاح الثقيل) |
|       | مواطنون (شيوخ وشبان)    ٨٠٠٠       |
|       | أجانب                    ٨٠٠٠      |
|       | <hr/>                              |
|       | المجموع                    ١٦٠٠٠   |

(١) أنظر ص ٢٠٢ - ٢٠٥ فيما سبق .  
 (٢) توكيديدس ، ٢ - ١٣ - ٦ إلى ٨ .

|                              |          |
|------------------------------|----------|
| حاميات في الامبراطورية       | ٢٥٠٠ - ٣ |
| واليهم يجب أن يضاف :         |          |
| بجارة الاسطول                | ٣٠٠٠ - ٤ |
| بمجموع (٤، ٣)                | ٥٥٠٠     |
| المجموع الكلي <sup>(١)</sup> | ٣٧٣٠٠    |
| ويتسكون من :                 |          |
| السلاح الثقيل                | ٣٥٥٠٠    |
| الخفيف                       | ١٨٠٠     |

أما فيما يختص بشئون البحرية فلم يكن توكيديديس واضحاً مثل ذلك  
الوضوح . ويبدو أن كان هناك ٣٠٠ سفينة من نوع التريميم على قدم  
الاستعداد دائماً ، وكانت ثمة مائة أخرى احتياطية . وفي حالة الضرورة يعين  
لها القواد سنوياً . وكان العدد الذي ينزل به فعلاً إلى البحر سنوياً وقت  
السلم للتمرين وجمع الجزية وحراسة الطرق البحرية ، ستين مركباً .

فالبحرية زمن السلم كانت تتسكون إذن من  $١٨٨ \times ٦٠ = ١١٢٨٠$  ،  
منهم حوالي ٣٥٠٠ مدنيين ، والباقي من الاجانب والمجدفين المأجورين .

---

(١) إن عدد الحامية مأخوذ عن Ath. Pol. ، ٢٤ ، وأخذ عدد القناصة من الحيالة  
( لم يقدر منفصلاً عن الفرسان في توكيديديس ) عن ماير . Forsch . الجزء الثاني صفحة  
١٦٢ . وإني أخافه فيما يخص عدد النرباء المشاة . هناك صعوبة من حيث المعنى الذي يقصد إليه  
توكيديديس بقوله « من الأكبر سناً إلى الأصغر » وكما أرى فإن احتياطي المواطنين كان بنسبة  
١ إلى ٢ بالنسبة للمشاة العامين ، كما هو بالنسبة لليلويونيزيين ( توكيديديس ٢ - ١٠ - ٢ ) .  
لماذا قام تكوين الاحتياطي المخصص للدفاع عن الأسوار على حملة الأسلحة الثقيلة كناية ، كما يقول  
توكيديديس بوضوح ، هذا أمر عسير التفسير . وكما بين فاوكوس ( Fawcus ) ( J. H. S. ) ،  
الجزء ٢٩ ، ص ٢٧ ) فالفرق الحقيقية يمكن أن تكفي لهذا العمل . وربما أمكن تفسير ذلك  
بانخفاض قيمة العملة مما أوجد عدداً من المواطنين الفقراء في دائرة « اعداد المشاة »  
( أو الموبليت ) ، سواء كان في إمكانهم شراء أسلحتهم ، أو لم يكن ، أنظر كاثينياك ،  
ص ١٦٨ . بوضوح توكيديديس ، ٣ - ١٨ - ٤ ، أن هناك مشاة في أثينا ، قد تدربوا  
من قبل على أن يكونوا مجدفين .

أما في زمن الحرب فتتكون من :

$$١٧٠ \text{ مجرداً } \times ٣٠٠ = ٥١٠٠٠$$

$$٨ \text{ ضابطاً } \times ٣٠٠ = ٢٤٠٠$$

$$١٠ \text{ بحارة مسلحين أسلحة ثقيلة } \times ٣٠٠ = ٣٠٠٠$$

$$\text{المجموع السككي } ١٨٨ \times ٣٠٠ = ٥٦٤٠٠ \text{ (١)}$$

ولكن ذلك يزيد كثيراً على العدد السككي أى المواطنين والأجانب المدعويين للخدمة البحرية ، والذي يبلغ فقط ٣٦٠٠٠ . فإذا ما أرسل الأسطول كله ، أو حتى جزء كبير منه إلى البحر ، كان على أئتنا أن تستأجر مجدفين أجانب . وكل شيء كان يتوقف على مقدرتها في الدفع لهم بسخاء لقاء خدماتهم . وهنا ، كما علم أعداؤها ، كانت نقطة الضعف في دفاعها . وليس أمامنا إلا أن نقول ، كما قال الكورنثيون ، « اعتمدت قوة أئتنا على المال لا على قوة أهلها » .

لنحسب الآن مع بركليس النفقات التي ينبغي وقفها على هذه القوات .

من المحتمل أن يكون الأجر في الجيش والأسطول قد زيد في ذلك الوقت إلى درخمة واحدة في اليوم ، وذلك أيضاً في كل الرتب . فإذا استمر جيش الميدان في العمل خلال فصل الحرب ، أى ستة أشهر ، لسكان التكاليف كما يأتي :

$$٤٧٤ \text{ تلمتاً } = \frac{١٨٠ \times ١٥٨٠٠}{٦٠٠٠}$$

(١) توكيديس ، ٢ - ١٣ - ٨ - ٢٤ - ٢ ، في الأوليجارشى العجوز ، ٣ - ٤ ( ٤٠٠ تبرارخ ) ، وبلوتارخس ، الفرس ، ٢ ( ٦٠ مركبا كانت في العمل ، أنظر فيلاموثيتز ، A. A. ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٦ ) ، ثم الأوليجارشى العجوز ، ١ - ١٩ ، توكيديس ١ - ١٤٢ - ٦ إلى ٨ ( المناورات البحرية ) ثم Ar. Ach. ، ١٦٢ ( كان للمواطنين يعملون رؤساء مجدفين ) ، توكيديس ١ - ١٢١ - ٣ ، ١٤٣ - ١ ( مجدفون مأجورون وضباط من المواطنين ) .

بينما مدة الخدمة في البحر لثلاثمائة مركب لنفس المدة لا تكلف أقل من :

$$1680 = \frac{180 \times 56000}{6000} \text{ تلنتا .}$$

وإزاء مثل هذه المبالغ كان مبلغ الستة آلاف تلنت الذي في الأكروبول، لا يمكن أن يكفي أثينا مدة طويلة في حرب غير معروفة المدى . ومن المؤكد أن بركليس لم يفكر مطلقاً في إنفاق هذا المبلغ<sup>(١)</sup>.

وفي الختام لننتقل مرة أخرى من فنون الحرب ، ونعود إلى فنون السلم ، ونضع في جدول مختصر نتائج بحثنا في الاقتصاد الأثيني . وليس هناك حاجة لأن نوجز عملية الإنتاج والتوزيع في حدود الدولة المدينة نفسها أي عمل الزراعة والصناع وتجارة التجزئة في السوق العامة . فهذه سارت في أثينا أثناء السلم ، كما سارت عليه كل مدينة أخرى . أما جدولنا فلان يبين إلا ما كان جارياً في أثينا زيادة على اقتصاديات الدولة القائمة على كفايتها الذاتية ، أي علاقتها الخارجية . ومن الأنسب أن نعبر عن ذلك في شكل كشف ميزانية قومية ، وقد رقنا المفردات حسب ترتيب أهميتها النسبية :

| ديون   | رصيد   |
|--|--|
| ١ - الضروريات وتشمل :                        | ١ - الجزية من الخلفاء ( ٦٠٠ )  |
| ( أ ) ثلثي تموين القمح لـ ٣٥٠٠٠٠ شخص .       | تلنت سنوياً ) تتداول بين الأثينيين لمصاريف الحكومة ، وتشبيد الأعمال العامة والمراب الخ . |
| ( ب ) خشب لبناء السفن وبعض الضروريات الحربية |  |
| الأخرى ( مثل حديد الأسلحة والكتان للأشعة ) . |  |

(١) الدفع : توكيديس ، ٣ - ١٧ - ٦٤٤ - ٨ - ١ - ٣٠ ، ٣ - إن معركة بوتيديا قد تكلفت من البداية إلى النهاية ٢٠٠٠ تلنت ( توكيديس ٢ - ٧٠ - ٢ ) ، وقد بلغ عدد القوات التي استخدمت هناك لمدة الثلاثين شهراً ، ٣٠٠٠٠ محارب فقط من المشاة وأقل من ٥٠ سفينة . ولم تسكن أثينا في مركز يسمح لها أن تقوم بمبارك أكثر من ذلك في الشتاء والصيف .

ديون

رصيد

٢ — الأرباح من نقل التجارة . ٢ — الكماليات وتشمل :

٣ — الصادرات : ( ١ ) المواد الخام للمصنوعات ( فيما عدا

( ١ ) فضة من المناجم ، الصلصال والرخام والصوف ) ،

( ب ) زيت زيتون ( ب ) عمال مشترون ( أى العبيد ) ،

( = زبد وصابون وإضاءة ) ، للصناعات والخدمة في البيوت

( ح ) أوانى من الفخار منقوشة ، والمناجم ،

وتمائيل صغيرة الخ ، ( ح ) مصنوعات جاهزة من كل نوع .

( و ) رخام ،

( هـ ) مصنوعات من المواد الغفل

المستوردة مثل التروس ،

( و ) واردات معاد تصديرها :

هـ ، و = أشياء تافهة . والكل

فيما عدا ، ( ١ ) عرقلها ارتفاع الأسعار بسبب ( ١ ) و ( ١ ، ٣ ) .

٤ — ما دفعه الزوار الذين جاءوا لأعمال قضائية أو كتفريجين .

عندما نضع هذه الحقائق والأعداد المتفرقة إلى جانب بعضها البعض ، ونحاول أن نتصور تأثيرها الاجتماعى جملة ، فإننا نبتدىء أن نفهم بشكل ما ، معنى كلمات بركليس عن زملائه المواطنين ، كيف ، أن أحداً لا يفوقهم فرداً فرداً فى استقلال الروح ، وتشعب نواحي المعلومات ، والاعتماد الذاتى التام ، فى النواحي الصناعية والفكرية . فنحن نعجب بهم منذ أكثر من ألفى سنة فى كتاباتهم وآثارهم لهذه البساطة التى لا مثيل لها ، وتعدد آفاق العقل وصفاء الروح التام . والآن فقط وقد أمكننا أن نجمع شتات صفحات ماليتهم

المنزلية ، فلنا أن نعجب أيضا بتلك الشجاعة القوية الدائمة التي تواجه بجرأة حقائق الحياة القاسية . والآن فقط يمكننا أن نقدر لماذا تكلمت أثينا ، التي أظهرت لنا في كل سطر كتبته وفي كل حجر قطعت ، كيف أنها خضعت برغبتها ومحض إرادتها لقوة الفن القاهرة ، وكيف تكلمت باحتباس ، وبعقل بالغ ، عن العناية التي أولتها قضيتها — لماذا أنها ، لا عن اختيار بل عن ضرورة قد أحببت الجمال وقلة التكاليف ، . (١)

---

(١) أنظر التذييل .

# الخاتمة

## الحرب البلو بونيزية

“Ο πόλεμος, ύφελών τήν εὐπορίαν τοῦ καθ’  
ἡμέραν, βίαιος διδάσκαλος καὶ πρὸς τὰ παρόντα  
τὰς ὀργὰς τῶν πολλῶν ὁμοιοί.

إن الحرب بما تذهب به من وسائل الراحة في الحياة اليومية ، إنما هي  
معلم يعلم بالقسوة ، ويجعل أخلاق الناس تتناسب وظروفهم .

( توكيدس ، ٣ - ٨٢ - ٢ ) .

في عام ٤٣٤ ، بينما مازال العمال منهمكين في عمل ، الردهة ، ظهرت  
سحابة في الغرب . فقبل ذلك بعامين عمّت المدينة الصغيرة المسماة إبيدامنوس ،  
وهي مستعمرة كورسيرية على شاطئ ألبانيا ، اضطرابات داخلية . فلجأت  
جماعة من مواطنيها إلى كورسيرا طالبة العون ، لكن الدولة الرئيسية  
الأم كورسيرا رفضت أن تساعدهم . وعلى هذا اتجهوا إلى كورنث لتكون  
بدلاً عن كورسيرا ، ووافق الكورنثيون في الحال . ويخبرنا توكيدس  
بالتفصيل عن دوافع ذلك القرار ، مرتبة دون شك حسب أهميتها في نظره .  
وهي تكشف عن مزيج من العواطف والمصالح المادية امتاز به البونانيون .  
فهم وقد اعتقدوا أن المستعمرة تنتمي إليهم ، كما تنتمي إلى الكورسيريين ،  
رأوا أن من واجبهم القيام بواجبها . وزيادة على ذلك فقد كانوا يكرهون  
الكورسيريين لتغافلهم البلدة الأم ( كورنث ) بدلاً من أن تقابل  
بالاحترام المعتادة في الاجتماعات العامة الواجبة على كل مستعمرة أخرى  
نحو المدينة الكبرى ، مثل السبق في تقديم القرابين ، فقد رأت كورنث  
نفسها تعامل باحتقار من دولة ، إذا أخذت من ناحية الثروة ، فيمكن أن  
تقارن بأغنى دول الإغريق إذ ذاك ، ومن ناحية القوة فقد ملكت قوة



حرية كبيرة ، لا يمكنها أحياناً أن تسكبت اعتراضها بمركزها البحري السامى  
بجزيرة ترجع شهرتها البحرية إلى أيام سكانها الأقدمين الفاكين الذين تحدث  
عنهم هومر . وهذا كان أحد أسباب الاهتمام الذى أسبغوه على أسطولهم  
الذى كان قوياً للغاية ، حتى أنهم بدأوا القتال بقوة تبلغ ١٢٠ سفينة . كل  
هذه الإحن جعلت كورنث توافقه لأن ترسل إلى إبيدامنوس المساعدة  
التي وعدت بها : (١)

وقد كان قرارها هذا خطيراً فيين كورنث وإبيدامنوس تقع منطقة  
كورسيرا البحرية . ولذا كانت موافقة كورنث على ما دعت إليه تحدياً  
مباشراً لابنتها العائنة . لقد كانت كورنث وكورسيرا القوتين البحريتين  
الرئيسيتين فى اليونان الغربية . وكانت كورسيرا أقواهما ، فسفنها المائة  
والعشرون كانت المسيطرة على البحار ، شمالاً وغرباً من مصب خليج أمبرا كيا .  
ولكن وإن كان أسطول كورنث يصغر أسطولها ، فقد كان لها عضد ،  
فى أصدقاء وجيران مخلصين ، بينما ظلت كورسيرا فى عزلة متعالية ، لبعدها  
عن عالم دولة المدينة . وقد التجأت كورنث إلى حلفائها وسرعان  
ما جندت قوة من ٧٥ سفينة و ٢٠٠٠ من المشاة الثقيلة . وعند ما وصلوا  
حدودهم ، أى أكتيوم على مصب خليج أمبرا كيا ، د حيث يقوم معبد  
أبولون أرسل الكورسيريون ، كما يقول توكيديس ، منادياً فى قارب  
خفيف يندرم بالأيسروا ضدهم . وفى أثناء ذلك أخذوا يزودون سفنهم  
بالرجال ، وكانت كلها على استعداد للقتال ، بينما كانت تُصلح السفن القديمة  
لتسكون صالحة للبحر . وعند رجوع المنادى بلا رد سلمى من الكورثيين ،  
كانت السفن قد زودت إذ ذاك بكل شئ ، وأقلعوا لمقابلة العدو فى أسطول  
من ٨٠ سفينة ( ٤٠ منها كانت مشغولة بحصار إبيدامنوس ) صفت صفاً  
واحداً ، ومضت للقتال . فأحرز أهلها نصراً حاسماً ، وحطموا ١٥ سفينة

(١) توكيديس ، ١ - ٢٥ . ( أنظر التذييل ) .

من سفن الكورنثيين . وشهد اليوم نفسه إبيدامنوس وقد أرغمها محاصرها  
على التسليم ، (١)

وكان من أثر هذه المعركة أن أصبحت كورسيرا قوة مهيمنة على البحار  
الغربية اليونانية ، كما كانت أنينا في بحر إيجا . وأقام الكورسيرون نصب  
النصر في لفكيمي (Leucimne) ، وهي رأس في كورسيرا ، وذبحوا جميع  
أسراهم عدا الكورنثيين ، فقد أبقوهم كأسرى حرب . وعاد الكورنثيون  
وحلفاؤهم تاركين الكورسيريين سادة بحار هذه الجهات جميعها . فأبحروا  
إلى لفكاس (Leucas) المستعمرة الكورنثية واجتاحوا أراضيها وأحرقوا  
Gyllene ميناء الإيليين ، لأنها أمدت كورنث بالسفن والمال . وقد ظلوا  
تقريباً سادة البحار طوال المدة التي تلت المعركة ، واكتسحت سفنهم الحربية  
حلفاء كورنث ، وأخيراً حوالى الخريف أرسلت كورنث ، وقد استفزتها  
آلام حلفائها ، سفناً وجنوداً . . . لحماية لفكاس ، وسائر المدن الصديقة ،  
فأقام الكورسيرون مركزاً مائلاً في لفكيمي ، ولم يشترك الفريقان إنما ظل  
يواجه كل منهما الآخر حتى نهاية الصيف . وأصبح الشتاء على الأبواب ولم  
يرجع أحد منهما إلى موطنه بعد . (٢)

وإلى هنا لم تسر الأمور إلا في الطريق المألوف لغزوة بحرية موسمية .  
ولكن كان من الواضح أن الأوضاع لا يمكن أن تبقى على هذا المنوال .  
فالتائج التي تضمنتها كانت بالغة الأهمية . فكورنث لا يمكن أن تقبل ضياع  
سيادتها البحرية خارج خليج كورنث ، ولا أن تتخلى عن الدول البحرية  
الصغيرة التي كانت تعتمد على حمايتها لتقع تحت رحمة القراصنة الكورسيريين ،  
التي لا ترحم . وكانت على استعداد للبغامة بكل شيء لاسترداد  
سيادتها البحرية من ابتها العاقبة . ولذا قضت السنة التي تلت الحرب ،

(١) توكيديدس ، ١-٢٩ . فيما يخص منطقة كورسيرا البحرية أنظر ليف (Leaf) ،

Homer and History ، ص ١٨٦ والخريطة .

(٢) توكيديدس ، ١ - ٣٠ .

والأخرى التي تلتها في بناء السفن ، وبذل كل جهد لإعداد أسطول قدير ،  
وتوافد المجدفون من البلوپونيز ومن سائر اليونان ، تحت إغراء الأجر  
المرتفع . هالت أنباء ذلك الاستعداد أهل كورسيرا ، وهم لا حليف لهم  
في اليونان ، . . . وقرروا أن يلبأوا إلى أثينا ، ، في خريف عام ٤٣٤ ،  
«ليدخلوا في حلف معها ، وليحاولوا الحصول على معونة منها . وما أن سمعت  
كورنث بنيتهم إلا وأرسلت هي الأخرى بعثة إلى أثينا ، لتمنع أسطولها من  
الإضمام إلى الأسطول الكورسيري ، وبذلك قضى على آمالها في تسير الحرب  
حسب رغباتها . فعمد المجلس وظهر المحامون المتنافسون أمام الشعب ، (١)  
هذه هي اللحظة التي اختارها توكيديس لأول أحاديثه المشهورة ،  
أو استعراضاته للسياسة والرأى . فواجهته أثينا وما واجهه بركليس  
ناصحها الأول ، إنما كان وضعاً حرجاً لحد بعيد . وكانت حجج الجانبين  
متوازنة بشكل دقيق . ولكن نفهم الوضع الكامل يجب أن نذكر عناصر  
أخرى في الموقف السياسى العام . فالعالم اليونانى كان منقسماً ، كما كان  
منذ أكثر من جيل ، إلى قسمين سياسيين مركزهما أثينا واسبرطة .  
فكانت أثينا ومئات المدن التابعة لها على سواحل بحر إيچا ، وبعض الحلفاء  
المستقلين الآخرين ، القوة البحرية الرئيسية . بينما كانت اسبرطة وحلفها  
البلوپونيزى الذى ضم كورنث وبيوتيا كلها عدا پلاتيا ، القوة البرية  
الرئيسية . وكان الفريقان فى سلم محدد بهدنة مداها ٣٠ عاماً ابتدأت منذ  
إحدى عشر عاماً . إلا أن المشاعر بينهما كانت تزداد جفوة ، وشعر كل  
بأن المعركة الحاسمة لا تحتل التأخير طويلاً . ولم يكن ما يدفعهم إلى القتال  
أسباب سياسية خاصة ، إذ لم تعارض مصالحهم بعضها البعض إلا قليلاً ،  
ولم تكن الحرب لتعيد تنظيمها على أساس مرضى . والقوات التي شهدتها  
اليونان كلها نعد لحرب عظيمة ، إنما كانت بدافع عاطفى أكثر منه مادى .  
فهى تتعلق بالشرف أكثر منها بالتجارة أو الثراء . فقديمًا اعتبر الجميع

(١) توكيديس ، ١ - ٣١ .

اسبرطة بجيشها المدرب الذي لا يقهر ، القوة الرئيسية في اليونان . ولكن  
نفسها الآن بحارة أثينا المحنكين . ويقول توكيديدس إن ازدياد قوة أثينا ،  
وما أوحى به من فزع في لاسيديمونيا ، هو الذي جعل الحرب لا مفر منها . (١)  
ويتجلى الموقف العام بشكل واضح في الحجج التي أدلى بها خطباء كلا  
الفریقین . فأعلن الكورسيريون بحجراً أن الحرب العظمى لا مناص منها ،  
ويجب أن تكون عاجلاً لا آجلاً . وإذا ما سلم بذلك فقد هان أمر حججهم  
الأخرى ، تذكروا أن في اليونان ثلاث قوى بحرية كبيرة ليس غير ، أثينا ،  
وكورسيرا وكورنث ، فإذا ما رضيتم لاثنتين منها أن تتحدوا . ولكورنث أن  
تحتفظ بنا لنفسها ، فعليكم أن تقاوموا في البحار أساطيل كورسيرا والپلپونيز  
المتحدة . ولكن إذا ما رضيتم تحالفنا فستشد سفننا أزرکم في المعركة .  
ولم يكن لدى كورنث أمام هذه الحجج السياسية المفحمة شيئاً معدداً  
تقترحه . بل لقد كان مبعوثيها في مركز دقيق نوعاً . ففي القرن الأخير  
كما يعرف الجميع ، كانت العلاقة بين أثينا وكورنث علاقة عداء مستحکم .  
فلم تكن الصداقة ، وإنما هي الظروف التي أبقت على السلام بينهما . ورجع  
العداء إلى ٢٠ عاماً مضت ، عندما تدخلت أثينا في حرب حدود بين كورنث  
وميجارا ، وساعدت الأخيرة على بناء أسوار طويلة ، وهكذا أصبحت  
بالمساعدة الأثينية منيعة إزاء جارتها الغربية . لذا لم تخل إشارة المبعوثين  
الكورنثيين من السخرية عندما ذكروا مستمعهم ، بأن كورنث وأثينا  
مرتبطتان بمعاهدة سياسية ، بينما كورسيرا وأثينا لم يكونا في هدنة أبداً ،  
وذلك لسبب بسيط وهو أنهما ، ما اشتبكا في حرب مطلقاً . ثم أخذوا  
يسلمون بوجود خلافات قد تؤدي إلى قيام حرب كبيرة ، ونصحوا بتسويتها .  
لكن حججهم الأساسية قامت على اقتسام مناطق النفوذ البحرية . فإذا

(١) توكيديدس ١ - ٢٣ - ٦ ، أنظر ١ - ٦٨ - ٣ . أرسطوفانيز ( Wasps ) .

(٢٠٧) يقدر عدد المدن التي تدفع الجزية بألف مدينة . وهذا الرقم مبالغ فيه بدون شك .

ولكن ربما جمعت اعتبارات التسميم في قوائم الأنصبة بعيدة عن أن تكون كشفاً مستوفياً .

تركت أثينا دون أن تضايقها كورنث في بحر إيجه ، فيجب عليها أن تترك كورنث حرة في الغرب . أما إذا نقضت التوازن البحري فيجب أن تتوقع نفس المعاملة . (١)

وقد عقد اجتماعان قبل أن يتخذ الشعب الأثيني قرارا . وفي أى جانب كان يتخذ القرار ، فإنه ليعنى تغييرا في سياسة أثينا . لقد تجنبنا حتى الآن التدخل في سياسة الجزء الشمالى الغربى ، مكتفية بأن نعتد في تأمين تجارتها ، وهى مصالحها الوحيدة في الغرب ، على سياسة الحياد وعلى مصالح كورسيرا التجارية ، ولكن هذا ما ان نستطيعه الآن . فإذا قطعت علاقاتها بكورنث فستخاطر بحرب عامة . لكن إذا ما قطعتها بكورسيرا فإنها ستؤجل هذا الخطر ، لا تفقدها ، فضلا عن الخوف من أن مواصلاتها الغربية ستكون في خطر مستمر . وزيادة على ذلك فلم تكن راغبة في الأخذ بنظرية كورنث بشأن مناطق النفوذ البحرية ، التى كانت ستحصرها طول الوقت ، فى نطاق نفوذها فى منطقة بحر إيجه . فقد أخذت فى خارج امبراطورتها بمبدأ التجارة الحرة والتعامل الحر ، ولم يكن بركليس مؤسس ثورى ( Thuri ) مستعدا للسماح لكورنث عن طيب خاطر ، بأن يكون لها فى مياه البحار الغربية ، الحقوق التى ادعتها أثينا لنفسها فى المياه الشرقية ، على أنه كسياسى كان حذرا كل الحذر ، من أن ينجبها فى حرب لا حاجة لها بها . والحل الذى اتخذ أخيرا وكان بلاشك وفق اقتراحه ، تضمن محاولة التسوية . فوافق الأثينيون على عقد معاهدة مع كورسيرا على أن تكون ذات صبغة دفاعية بحتة ، بينما استمرت أثينا فى المحافظة على هدنة الثلاثين عاما ، بأن رفضت مشاركة كورسيرا أى هجوم على كورنث ، ولكنها وعدت أن تحف لنجدها إذا ما اجتاحت أراضيها . وكما يخبرنا توكيديدس بصراحة ، لقد كان الاعتقاد أن يضعف الفريقين أحدهما الآخر فى هذا القتال ، وبهذا يتركان التجارة حرة لأثينا ، فتكون أعظم قوة بحرية دون منازع . (٢)

(١) توكيديدس ١ - ٣٢ إلى ٤٣ ، ١٠٣ - ٤ .

(٢) توكيديدس ، ١ - ٤٤ .

يستطرد المؤرخ حديثه قائلاً ، « بهذا تحالفت أئتنا مع كورسيرا ، وأرسلت عشر مراكب لمساعدتها . والتعليقات التي أعطتها كانت تجنب التصادم مع الأسطول الكورنثي إلا في ظروف خاصة . وذلك إذا أبحر تجاه كورسيرا وهدد بالنزول إلى شاطئها ، أو في أي من ممتلكاتها ، فيجب أن يبذلوا جهودهم لمنع ذلك . وكان الدافع إلى هذه التعليقات الحرص على تجنب خرق المعاهدة . ، ولكن كان من الصعب التنفيذ فن الذي يقرر في حرب بحرية الحد الفاصل بين الدفاع والهجوم ؟

هذا ما بينته النتيجة . لقد أكمل الكورنثيون استعدادهم ، وأبحروا في ١٥٠ مركباً لها ولخلفائها نحو كورسيرا ، التي قابلتهم في ١١٠ مركباً ، أما الـ ١٠ مراكب الأثينية الباقية فقد ظلت كاحتياطي . وعندما بدأ أثر تفوق العدد ، لم يسع الأثينيون إلا أن يشتركوا في المعركة . دحقا لقد امتنعوا أولاً عن الهجوم على أية سفينة ، ولكن لما أن صارت الهزيمة واضحة ، وأخذ الكورنثيون يضغطون على أعدائهم حان الوقت الذي يجب أن يتحرك فيه الجميع دون تمييز ، وهنا اصطدم الكورنثيون والأثينيون ببعضهما . وانتهت المعركة ، ولكنها لم تكن حاسمة ، وأقام كلا الفريقين نصب نصر . . . أما الكورنثيون فقد أرسلوا للأثينيين بعض الرجال على ظهر مركب بدون عصا المنادى ، ، ليسجلوا احتجاجاً رسمياً على نقضهم الهدنة الثلاثين عاماً . ثم عادوا إلى أوطانهم ، وانتهت الأعمال الحربية مؤقتاً . ويقول توكيد يدس ، « هذه الطريقة احتفظت كورسيرا بكيانها السياسي أمام كورنث ، وتركت السفن الأثينية الجزيرة . وكان ذلك ، أول سبب للحرب التي شنتها كورنث على الأثينيين ، أي محاربة الأثينيين لهم ، مع الكورسيريين وقت الهدنة ، . (١)

د ويكاد أن يكون بعد ذلك مائة ، ربما في شتاء ٤٣٣ - ٤٣٢ ، د أن قامت خلافات جديدة بين الأثينيين والبلوبونيزيين فساهموا بنصيبهم في

(١) توكيد يدس ، ١ - ٥٥ .

الحرب ، . فعندما تدخلت أثينا في الغرب ، كانت كورنث تعد الخطط للانتقام . فشكت أثينا في مقاصدها العدائية ، . وكانت نقطة الضعف في الإمبراطورية الأثينية ، ماسمي ، المنطقة صوب ترافيا ، ، وتشمل المدن الواقعة على ساحل بحر إيجه الشمالى ، من خليج سالونيك إلى الدردنيل . فقد حدث نقص في الجزية في هذه المنطقة خلال السنين السابقة . وكان هناك خطر قيام بعض الثورات ، إذ أن إحدى القوى الداخلية ، أى مملكة مقدونيا ، كانت وقتئذ عدوة لأثينا . وأدرك رجال السياسة الأثينيون أن كورنث تتطلع إلى حدوث اضطراب هناك ، فقرروا أن يسبقوا أية محاولة ممكنة لها . وكانت حركة كورنث المتوقعة في هذه الناحية عن طريق مدينة بوتيديا على رزخ بالين ، وهى إحدى مستعمراتها القديمة ، ولكنها أصبحت الآن ككل مدن الساحل ، حليفة لأثينا عن يدفعون الجزية . ولهذا أمرت أثينا البوتوديين بهدم جانبها من أسوارهم ، وتقديم رهائن ، وقطع كل المواصلات المسالفة بينهم وبين مدينتهم الأصلية . واحتج البوتيديون أول الأمر ، ثم رفضوا ، ثم انضموا إلى الحلف البليوبونيزى ، وأخيرا ثاروا على أثينا . فأسرت كورنث في وضع قوة لمساعدتهم ، تمكنت أن تتسلل عبر بحر إيجه ، بينما كانت مراقب الحراسة الأثينية مشغولة في جهة أخرى ، وأن تدخل المدينة خلال ٤٠ يوما من ثورتها . وفى الحال أرسل الأثينيون قوة لحصارهم. (١)

أصبحت لكورنث الآن شكوى مزدوجة . فقد هاجمت أثينا بحارتهما عند كورسيرا ، وهى الآن تحاصر بعض جنودها في بوتيديا . ثم رأت أثينا مستعدة في كل السواحل فى الشرق للمحافظة على إمبراطوريتها بأى ثمن . ولتحارب من أجل البحار المفتوحة ، أو ربما من أجل إمبراطورية بحرية أخرى فى الغرب . ولم تعرف مدى للخطط الأثينية ، أو للمهارة والنشاط والتفانى التى عملت بها ، وهو ما يختلف تماما عن أسبرطة بان دفاعها ونظامها

السوء الجامد . ودفعها الغضب والخوف إلى التلهف على استعجال الحرب التي لا مفر منها . ووطنت نفسها على القيام بالواجب الصعب وهو استفزاز قواد اسبرطة وإلهاب مشاعرهم رغم ما عرفوا به من جمود. (١)

لقد كانت أثينا ملمة بالموقف تمام الإلمام . إلا ان بركايس لم يكن راغباً في الحرب ، ولكنه أدرك تماماً أن المدينة قد سارت نحوها شوطاً بعيداً ، فما كان لها أن تراجع ، فيجب أن تخضع بوتديا بأى ثمن ، وقف معها الكورثيون أم لم يقفوا ، لا من أجل هيبة أثينا ونفوذها فقط ، ولكن لأن أثينا اعتمدت اعتماداً كلياً على انتظام وصول الجزية منها . ولم يكن هناك إلا طريقة واحدة قد يمكن بها تجنب الحرب ، وذلك باستعراض القوة الأثينية ، التي قد تنجح في أن تكون درساً عملياً للبولوبونيزيين ، يريهم طبيعة الحرب التي يُدفعون لخوض غمارها . وصمم بركايس أن يقيم عرضاً لإظهار ما تعنيه القوة البحرية حقاً . وقد اختير الميجاريون ضحايا لهذه الغاية ، إذ كانت تحمل لهم أثينا ضغناً منذ أن تخلوا عن محالفتها ساخطين ، ومنذ أن ذبحوا حاميهم الأثينية في لحظة حرج بالغ ، قبل ذلك بثلاثة عشر عاماً . فصدر قرار مقاطعة ، يقضى بإقفال أبواب كل واتي . الإمبراطورية ، وأسواق أتیکا في وجه السفن والبضائع الميجارية . وهكذا بضربة واحدة غدت ميجارا منعزلة تماماً عن العالم ، ورجعت ثانية إلى الاعتماد في حياتها على نظام الاكتفاء الذاتي القديم القائم على الزراعة . ونحن نعلم مقدار شعورها بشدة وطأة الضربة ، لا من الدور الذي لعبته في مداولات اسبرطة الأخيرة وحده ، ولكن من تصوير أرسطوفانيز للرجل الفقير الميجارى الذى أخفى بناته في شكل خنازير وهرمن عبر الحدود إلى الأسواق الأثينية لبيعهن . وما اتخذته أثينا إزاء ميجارا ، تستطيع أن تتخذه أيضاً إزاء المدن البحرية الأخرى في حاف البولوبونيز ،

---

(١) توكيديدس ، ١ - ٦٦ إلى ٧١ .



بمجرد أن تعلن الحرب . وقد كان مهم بركليس أن تقدر هذه المدن تلك الحقيقة قدرها في مجالسها الحربية .<sup>(١)</sup>

فزع الاسبرطيون وحق لهم ذلك . وما أن اجتمع مجلسهم لمناقشة الموقف : حرب أم سلم ، تسامل العقلاء بينهم بصراحة كيف ينتظرون أن يهزموا قوة بمنأى عن أن يصيبها الأذى برأ ، والتي هي بقيادتها البحرية الممتازة وتفوق قدرتها المالية على ثقة من إيمان طردهم من البحار . وقالوا إن اسبرطة ليس لديها موارد خاصة بها أياً كانت . إن أثينا لا يمكن غزوها إلا بجرأ ، والسفن تحتاج إلى مال ، واستئجار البحارة المهرة يتكافأ أكثر . إلا أن السكورثيين قابلوا هذه الحجج باستنارة كبرياء اسبرطة بمهارة وبراعة . فالسكوت على أعمال أثينا الأخيرة واعتدائها ، قد يثبت للعالم أجمع أنهم فقدوا سياستهم الأولى القديمة ، التي انتقلت نهائياً من يد القوة البرية إلى القوة البحرية . فيجب أن يهبوا هبة واحدة ، ويهزموا على الحرب ، ويجمعوا ما يمكنهم من المال ، ويحافظوا بالنتائج . وقد أيد هذا الانجاء الحاكم الاسبرطي الذي كانت له الرئاسة ، وأقره المجلس بصفة نهائية ، إذ صوت بأن المعاهدة قد نقضت ، وأن الحرب لا بد وأن تعلن . وكما يقول توكيديس ، « لم يرجع ذلك لاقتناعهم بحجج الخلفاء ، فقليل ما اهتموا بالشكاوى الخاصة ، « بقدر ما يرجع لخوفهم من قوة الأثينيين ، بعد أن

---

(١) توكيديس ، ١ - ٦٧ - ٤ ، ١١٤ - ١ ، Ar. Ach. ، ٥٣٠ - ٥٣٥ ، وما بعدها . لقد سبق الفرار بعض ترتيبات مضايقة بشأن الحدود ، مما أسخط التجار كثيرًا : توكيديس ، ١ - ٤٢ - ٢ ، Ar. Ach. ، ٥١٩ ، وما بعدها ، أنظر ماير ، فصل ٤ ، الفقرة ٥٣٩ و Forschungen ، الجزء الثاني ص ٢٩٧ وما بعدها ، بوزات ( Busolt ) ، الجزء الثالث ، ص ٨١٢ . وقد اعتمدت ميجارا كثيرًا على الحبوب المستوردة ، والتي تدفع بدلًا عنها ، صادرات صناعية ولا سيما الملابس الرخيصة ، ولم تكن تملك إلا قليلاً من الأرض الصالحة ، رغم أن أيزوكراتيس كان لاشك ، كما هي العادة ، مبالغًا عندما قال أن زراعتها « لم يكن لديهم سوى سخور يزرعونها » ، ( أيزوكراتيس ٨ - ١١٧ ، ماجزينوفون ، Mem. ، ٢ - ٧ - ٦ ) . وقد كانت علاقتها التجارية مع الغرب عن طريق بيجاي ( Pegae ) ، لا تزال قائمة شكلاً ، ولكنها ربما كانت قليلة الجدوى .

رأوا معظم اليونان قد خضعت لهم ، . حدث ذلك في خريف عام ٤٣٢ .  
فكان على عام ٤٣١ إذن ، أن يشهد ابتداء النضال الحاسم بين القوتين  
العظيمتين للسيطرة على اليونان. (١)

أخذ السفراء يروحون ويجيئون مؤججين الحزازات القديمة وعارضين  
طلبات مستحيلة . ولما أن وصلت بعثة السفراء الأخيرة ، اجتمع في البرلمان  
شعب أثينا العظيم لاتخاذ قراره النهائي ، سلم أم حرب . ودعا بركليس ،  
ناصحهم الأول إلى الصمود أمام أصحاب القلوب الواهنة الذين كانوا حتى ذلك  
الوقت ينادون بالانفاق . ثم انطلق يتحدث ، بوصفه قائداً ، عن السياسة  
التي يريد أن يتخذها . وكانت تقوم على مبدأ الإرهاق واستنفاد القوى ،  
لا على مبدأ الهزيمة . واقترح تجاهل العدو لا مهاجمته ، أو إن لم يكن ليعترك  
دون ما أذى ، فعلى الأقل أن ينزل في الإضرار به ، أقل ما يمكن من موارد  
أثينا القيمة في المال والرجال . فقد كانت أثينا إذ ذاك ، خيراً كان ذلك  
أم شراً ، قوة بحرية لا برية . ويجب أن تترك أرضها للغزاة البلوونيزيين  
دون ما قلق ، وأن تشعرهم بضآلة ما يمكن أن يأملا فيه من حيث إجبارها  
على طلب الصفح عن طريق وطء حقول قمحها ، وقطع أشجار زيتونها .  
وبعد بضع فصول قليلة غير موفقة من الحرب ضد عدو خفي ، قد يدركون  
أن لا حول لهم ولا قوة ويستعدون لقبول سيادتها . فالغزوات البرية  
تستلزم أيضاً نفقات ، وسيأتي المزارعون البلوونيزيون ترك محصولهم وقت  
الحصاد . أما ما كان على أثينا أن تعمل حسابه دون عداه ، فهو المحافظة  
على سيادتها البحرية . ثم يستطرد بركليس بلهجته المؤثرة الخاصة ( وهي  
ما سماها الأثينيون أولمبية ) التي يلجأ إليها دائماً ، إذا ما أراد أن يقول شيئاً  
يبدو غير مستساغ . دتمعنوا قليلاً ، هبوا أننا سكان جزر فهل يمكن أن  
تتصوروا مركزاً أمنع من ذلك ؟ حسناً إن هذا هو ما ينبغي أن يكون  
عليه تصورنا لوضعنا في المستقبل بقدر الإمكان . ينبغي أن نحصى البحر

(١) توكيديس ، ١ - ٨٠ إلى ٨٨ ، ٦٨ إلى ٧١ .

والمدينة تاركين التفكير في أرضنا وبيوتنا . . . . ينبغي ألا نتحجب على فقد بيوتنا وأرضنا ، إنما نبكي موت الرجال ، مادامت المنازل والعقار لا تصنع الرجال ، وإنما الرجال هم صانعوها ، . فبسلامة البحر والمدينة ، وبقاء الخزينة على الأكروبول ، وورود الجزية من الإمبراطورية ، ومواصلة تجارها وصناعاتها السلية الناجحة ، وقيام حامياتها ومراكب الحراسة بحماية مياهها الإقليمية وسواحلها ، يمكن لأثينا أن تدع أعداءها يضربون أينما استطاعوا . وينبغي أن تقابل اللطمة دون أن تبالي ، ما لم يمسا النقط الحيوية (١)

أطاعت أثينا بركليس في كل ما قاله . وردت على أسبرطة متحدية . وفي بداية الربيع التالي ، سار الفلاحون إلى المدينة ، تصحبهم أطفالهم ونساءهم ، وكل ما بقي من متاع منازلهم حتى أخشابها ، وأرسلت الأغنام والدواب عبر البحار إلى إيونيا والجزر المجاورة ، واستقروا أينما استطاعوا في أحياء المدينة المزدحمة ، وانتظروا ليروا ما قد يأتي به الغد. (٢)

وما حدث كان بالضبط ما تنبأ به بركليس وأعد عدته . فقد تقدم جيش الپلوبيونيز البالغ ٣٠٠٠٠ رجل إلى أثينا ، في اللحظة التي نضج فيها القمح ، ناهباً مدمراً البلاد أينما ذهب ، ثم عسكر بضعة أسابيع في السهل خارج أثينا واشتبك في مناوشات قليلة مع فرق المدافعين من الخيالة الخفيفة . وأخيراً

---

(١) توكيديس ، ١ - ١٣٩ - ١٤٤ . فيما يخص « سياسة إهناك القوى » كبدأ سترانيجي ، أظن بحث دلبروك ( Delbrück ) القيم Die Strategie des Pericles ( erläutert durch die Strategie Friedrichs des Grossen , Clausewitz ، لصالح بركليس ، وبالذات كيد قد وجد أدب صريح لكتاب متحسبن أرادوا أن يجعلوا بركليس على حق ، وإلى بعضهم يشير دلبروك . أما من حيث التدمير فقد أشار (س ١١٠) ، إلى أن إحراق المنازل ، أمر بسيط ، أما تخريب حقول القمح والسكروم فيكان وقتنا وتعباً . ففي المصور الوسطى اعتادت الجيوش أن تصطبج حاصدين لهذا الغرض . وإن قطع شجرة واحدة متوسطة الحجم حتى بأحسن الآلات ، يتطلب عدة ساعات . وهذا يفسر كيف تمكن الأثينيون « من الاستمتاع بحصولاتهم طوال فترة الحرب الأولى » ، إلى وقت احتلال ديكيليا . ( توكيديس ٧ - ٢٧ - ٤ ) .

(٢) توكيديس ، ٢ - ١٤ إلى ١٧ .

« وبعد أن مكث في أتيكا حتى فرغت مئونه ، انسحب إلى وطنه مخترباً بيوتياً بطريق يخالف الذي جاء به ، (١) »

وكانت هذه الأسابيع أسابيع مثيرة لأثينا . فلم يكن سهلاً على الشعب الأثيني المتعالي ، أن يرى العدو على أبوابهم ، بل رابضاً خلف أسوارهم . وقد كان على بركليس أن يستغل كل نفوذه ليكبح مشاعرهم ، حتى أنه مارس سلطانه كقائد ، وحال دون اجتماع الشعب صاحب السيادة في اجتماعاته المعتادة كل شهر . وكان من جراء عدم انعقاد المجلس ، وهو صمام الأمان الدستوري أن تألفت جماعات في الشوارع وتشابكت في مناقشات حادة .... وتنوقلت تنبؤات مضمونها على جانب كبير من الاختلاف ، وصادفت أذناً صاغية .... وبالاختصار كانت المدينة كلها نائرة إلى أقصى حد . وكان بركليس موضع حنق عام ، ونسيت كل نصائحه السابقة ، وندد به لعدم خروجه على رأس الجيش الذي كان يرأسه . وعد مسئولاً عن كل ما يقاسيه الشعب ، . وطبعاً كان بركليس قد توقع هذا التغيير في مزاج الشعب ، ولذا فقد أعد له دواءه . فبينما كان الإسبرطيون ما زالوا في أتيكا ، أرسل بركليس قوة بحرية من مائة مركب حول البلوبونيز ، لإحراز نصر معين ، لسكن ليرد على وخز الإبر بوخز مثله ، وليحفظ روح المواطنين المتذمرين عالية . وزبادة على ذلك أطلق حراس الحرب النظاميين برأ وبجرأ ، في المراكز التي صمم على أن يقيم بها حراساً نظاميين أثناء الحرب ، ، وبذلك أففل الممتلكات الأثينية في وجه سفن الأعداء ، . ومنذ هذا الوقت حتى إعلان السلم كان يعتبر قرصاناً كل من يبحر هناك دون إذن من أثينا . وفيما بعد وفي نفس الموسم سمح لجنود الأسلحة الثقيلة بالخروج أيضاً . فأرسلت قوة كبيرة في أول الخريف إلى ميجارا لتحقيق مطمعها في الانتقام

---

(١) توكيديدس ، ٢ - ١٨ إلى ٢٣ . لقد كان في أثناء إحدى هذه المناوشات أن مات قاطع الخشب الفريجي ، والذي ذكرنا النص المنقوش على قبره سابقاً (ص ٣٣٣) . ونجبرنا توكيديدس فقط ، بأن الجيش البلوبونيزي كان مكوناً من اثني الجيش العامل ، وقد اتبعت تقدير ماير ( ٤ ، الفقرة ٥٤٥ ) .

بوطء حقول القمح وكروم جيرانها الجوعى . فاجتاحوا الجزء الأكبر من أراضيها ، ثم انسحبوا مصممين على إعادة الغزو كل عام . تلك وبضع حوادث صغيرة ، كانت أحداث الفصل الأول من الحرب .<sup>(١)</sup>

وبنهاية هذا الفصل استرد بركليس نفوذه وسلطانه كاملين . وفى الخريف وفى اليوم الثانى من نوفمبر ، يوم جميع الأرواح ، وبعد أن رجع الجيش من ميجارا ، اختير بركليس ليؤن موقى العام . وهنا يتوقف توكيديس عن قصته ليرينا ، بأى آمال سامية وبأى أمانى وضاعة ، طلعت أئينا وقائدها للعام الثانى من الحرب العظمى . فقوتها الإمبراطورية سليمة لم تمس ، تبدو منيعة للجميع . كما ظل حلفاؤها أصدقاء لها ، يربطهم بها قبولهم علائم الود من بطة الحرية . فقد كانت أئينا فى معاملتها العامة والخاصة مدرسة اليونان ، وذلك بنظمها الحرة فى الحكم الذاتى وأخلاق مواطنيها الشخصية السامية . وقد كانت تنتظر فقط سلبا نهائيا ، واعترافاً قاطعا بسيادتها لتجمع العالم المتمدين كله تحت سلطانها الدائم .<sup>(٢)</sup>

ويواصل توكيديس بهدوء يكاد ألا يحتمل قائلا : هذا هو الاحتفال الجنائزى الذى أقيم فى أئينا هذا الشتاء ، والذى به انتهت السنة الأولى من الحرب . وفى أوائل أيام الصيف التالى ، غزا اللاسيديمونيون وحلفاؤهم أتبيكا كما فعلوا من قبل . ومكثوا فيها وخربوا البلاد . ولم تمض أيام كثيرة على وصولهم إليها ، حتى أخذ وباء الطاعون يظهر بين الأثينيين . . . . إن كل تعليل يتصل بمصدره وأسبابه ، إن وجدت أسباب كفيلة يا أحداث اضطراب كبير كهذا ، أتركة لكتاب غيرى . أما من جهتى أنا فسأقتصر على عرض طبيعته وشرح أعراضه ، التى ربما يمكن أن يتعرف عليها الطلبة ، إذا كان ليحدث مرة أخرى . وأنا أجيد هذا لأننى أنا نفسى كنت أحد المصابين به ، كما شهدت تأثيره فى الآخرين .<sup>(٣)</sup>

(١) توكيديس ، ٢ — ٢١ إلى ٢٣ ، ٦٧ آخر ، ٣١ .

(٢) توكيديس ، ٢ — ٣٤ إلى ٤٦ ، أنظر ٦١ — ١ .

(٣) توكيديس ، ٢ — ٤٧ إلى ٤٨ .

إن أعراضه الجسمانية لا مكان لها هنا ، فقد قاساها واحد من كل أربعة من السكان ، أى أن ربع القوة البشرية العزيزة فقدتها أثينا بهذا المرض ، ولم يبق إلا ثلاثة أرباعها ، إلا أن اهتمامنا هنا ليس بالجسم إنما بالروح ، بالمدينة لا بالمواطنين . لقد عوفي الأثينيون وصحوا ثانية ، لكن أثينا نفسها لم تزدهر بعد ذلك ، أبداً . وطوال فصل الصيف القاتظ حيث لا رياح تهب ، وطوال الشتاء الذى تلاه ، ثم لصيف آخر واشتاء يتلوه ، رفر ف على أثينا ملاك الموت يقبض روح من يريد . وعند ما ذهب عنها أخيراً لأجل قصير ، استيقظت أثينا لتجد روحها قد وهنت . فالآمال القديمة وشعور القداسة والتنظيم الذاتى والمرح ، كلها حلم . وشغل مكانها الخماقة والجشع والشك ونظرة الحسد الحسيسة ، واليأس الواهن ، بل وكل شرور الانحلال . لقد استيقظت لتتدين حقائق وضعها ، فرأت نفسها فى النهاية طاغية لا داعية للحرية . بل لقد فقدت قدرتها القديمة على التفكير بهدوء وثبات ، وآراء صائبة . ومنذ ذلك الوقت لم يكن ممكناً ، حتى ولا ابركليس نفسه الذى أضناه المرض ، أن ينهض بعقول مواطنيها أو يسمو بقلوبهم . فلا خوف من الآلهة ولا قانون البشر يستطيع أن يردعهم .<sup>(١)</sup>

يجب ألا نحاول تلمس تفاصيل تدهور السيامسة الأثينية الطويل ، أى ما بين طابع المرثية ، عند ما كانت أثينا لا تزال المحررة ، وبين طابع حلة صقلية الكبرى ، حين وقفت تعترف بنفسها أنها إمبراطورية مغتصبة . فقد سجل توكيديديس ، بدقة متناهية وتمكم لا ذع لا تجنى فيه ، كل دقائق هذه الفترة ، لأنه عاصرها بنفسه . وسنتركه يقص علينا القصة التى كان هذا الكتاب كله ، مقدمة لها . وكل ما بقى علينا هنا أن نبين الأهمية الكاملة لهذا التغيير ، وأن نشير فى النهاية إلى بعض معالم الطريق .

فلنصف قرن كامل رائع ، هو أغنى وأوسع فترة سطرها التاريخ لاية

(٢) توكيديديس ، ٢ - ٥٣ ، ٥٨ - ٣ ثم ٣ - ٨٧ ، ديودور ١٢ - ٥٨ - ٤ .

وكان الرباء ( الطاعون ) قد عاد بشكل مرهق فى شتاء ٤٢٧ - ٤٢٦ .

جماعة ، سارت السياسة والاخلاق ، أعمق وأقوى دوافع الحياة القومية ،  
والفردية ، سارتا قدما مناهكتين إلى مثل أعلى مشترك ، هو المواطن  
الكامل في الوطن الكامل . ويبدو أن غص هذا الطريق بكل ما هو سام  
في الحياة البشرية : الحرية والقانون والتقدم ، الصدق والجمال ، المعرفة  
والفضيلة ، الإنسانية والدين . . . والآن لقد شطرتها الآلهة شطرين  
في أحدهما الحرية والقانون والفضيلة والإنسانية وغيرها من القوى القديمة  
في حياة المدينة ، بينما في الآخر الجمال والمعرفة والتقدم ، وكل مظاهر المدنية  
الكبرى في العالم الجديد ، وأمسك بمفتاحها ، المال والقوة . . . لقد فصلتها  
الآلهة بعضها عن بعض ، وأبقها كذلك . والآن وقد انقضى ٢٣ قرناً ،  
وازداد العالم حكمة وعقلا فاقت كل ما تطلع إليه اليونانيون ، وازداد  
إنسانية أكثر مما كانوا يحملون به ، كما باخ ثراء أبعد مما كانوا إيرنون له  
يوماً ، ورغم هذا لم يقو الإنسان على توحيدها ثانية .

وقعت أئينا إذ ذاك في حالة من الغضب والضعف الهدياني . وبافتقادها  
مثالها العليا في المستقبل أصابها اليأس حتى بما نالته منها . ويقول توكيديس  
« لقد طرأ تغيير على روح الأثينيين بعد غزوة البلوپونيزيين الثانية .  
فأرضهم خربت مرتين ، واجتمع عليهم الحرب والوباء ، فأخذوا يلومون  
بركليس كسبب للحرب ، وأس كل بلاء حاق بهم ، وغدوا يتطلعون إلى الصلح  
مع اللاسيديمونيين . وفعلاً أرسلوا سفراء إلى هناك ، لم يكن نصيبهم إلا  
الفشل في مهمتهم . وبذلك اكتمل بأسهم وتجمع كل شيء على بركليس .  
فلما رأهم حائقين بما تطورت إليه الأمور ، ويتصرفون تماماً كما توقع ، جمع  
المجلس بصفته أنه مازال القائد ( وهو ما يجب أن تذكره ) وذلك لغرضين ،  
إعادة الثقة إليهم ، وليبعدهم عن هذه المشاعر الغاضبة ، ولجعلهم في حالة أهدأ  
وأكثر أملاً . » (١)

ولم ينجح في ذلك إلا نجاحاً جزئياً ، ولكن ما أكثر ما كلفه هذا النجاح :

(١) توكيديس ، ٢ - ٥٩ .

فرغم أنه صرف عقولهم عن التفكير في سلم مشين ، إلا أن ذلك كان  
يدفعهم دائما إلى طريق أخطر . فقد حاول معهم في البداية أن يابجا إلى  
الحديث عن النزعة الإمبراطورية القديمة . هذا الحديث الذي كثيرا ما لجأ  
إليه في الأيام الأخيرة ليقوى من عزيمتهم . « لقد ولدتم مواطنين في بلد  
عظيم ، ولكم أخلاق وميزات جديدة بمولدكم ، فيجب أن تكونوا على  
استعداد لملاقاة أشد الكوارث ، وأن تحتفظوا مع ذلك باسمكم متأقلا  
لاشية فيه ، إلا أن هذا النداء وقع على آذان صماء . فالكلمات هي هي ، ولكن  
النظارة هم الذين تغيروا . فقال قائدهم محزوناً ، « أنا الرجل نفسه لم أتغير ،  
ولكنكم أنتم الذين تغيرتم ، ، ثم لجأ شأن كل خطيب عندما يكون الاجتماع  
خاملا كشييا ، إلى نعمة أعنف وأكثر اندفاعا . « سأ كشف لكم عن ميزة  
نشأت عن عظمة ممتلكاتكم ، وهي ميزة لا أعتقد أنها ترامت لكم من قبل  
فأنا لم أذكرها مطلقا في حججى السابقة . إن لها لرنة قوية مدوية ، حتى أنى  
أ كاد لا أجرؤ على ذكرها الآن ، لولا الكتابة غير الطبيعية التي أراها من  
حولى . ربما أنتم تعتقدون أن إمبراطوريتكم لا تخرج عن حلفائكم ،  
ولكننى سأ كشف لكم عن الحقيقة . إن ميدان العمل المعروف ينقسم  
قسمين ، البرى والبحرى وأنتم متفوقون تماما في قسم كامل منهما ، ليس  
إلى مدى المستواه حتى الآن فقط ، ولكن إلى أقصى حد يمكن أن تظنوه  
مناسبا . فمصادركم البحرية تيسر لسفنكم الحربية أن تذهب حيث تريد ،  
فلا ملك أو أى شعب آخر على الأرض يمكن أن يقف فى سبيلها . . وهكذا  
كان من أقصى سخریات القدر أن غدا بركايس ، الحذر ذو النظرة الثاقبة ،  
بطل حرية البحار ، بل وحرية التعامل ، والذي كان يحذر أثينا طوال جيل  
بأكمله من خطر التوسع ، أن غدا أول من يدعوها إلى مذهب القوة البحرية  
العالمية المشنوم . (١)

وقد كان آخر خطاب عام يدون له . وكان عند قوله برما بالوباء محزوناً



أيضاً لفقد الأصدقاء ، وفقد آخر ابن شرعى له . وبعد ذلك بقليل فقد مركزه ، ورغم أنه استعادته في الانتخابات التالية ، فلم يتح له العيش أن يستأنف سلطانه ، وإلى هنا ثم يحتفى من تاريخ الحرب . ولقد عاش بعد قيامها سنتين وستة شهور ، كما يقول توكيديدس ، وبعد موته بدأ للناس سداد نظرتة في الحرب . ويقص بلوتارخس عن ساعانه الأخيرة قصة تبين بوضوح الأفكار التي كانت تجول بذهنه أكثر مما تبينها أحاديثه المدونة . عند ما أشرف على الموت التفت حول فراشه أصدقاؤه وخلصاؤه المواطنين البارزون ، بتجاذبون الحديث عن مناقبه كرجل ، والسلطان العظيم الذي حارسه ، ويعددون مآثره المختلفة ومرات انتصاره ، فبينما كان قائداً أقام ما لا يقل عن تسعة نصب حربية للنصر تكريماً للمدينة . تحدثوا بهذه الأشياء متصورين أنه لا يتابع ما يتولون ، وأن قدرته على الفهم قد ذهبت . ولكنه تابع كل كلمة واستطاع أن يجيبهم قائلاً : « لاني لأعجب من أنكم بينما تتذكرون أعمالى هذه وتمجدونها ، رغم ما كان للحظ من نصيب فيها ، ورغم أن قام الكثير من القادة غيرى بمثلها ، لم تبالوا بأعظمتها وأجدها . ألا وهى ما من أثني أشح أبدا بالسواد من جـراء خطأ لى . » . لقد مات بركايس وعلى شفقيه النيل من طبيعة الحرب . (١)

بوفاة بركايس تغيرت الروح تغيراً كاملاً . فالمجاملة والشجاعة والمثالية لم تعد جزءاً من حياة المدينة ، فناسحوها الجدد لم يأبهوا الأمر القـواعد الأخلاقية ، ولم يبالوا بالأفكار السديدة ، فسواء كانوا حكماء أو حمقى فقد سلكوا طريقهم حسب ما تقضى به الظروف وما تمليه المصالح وحدها . فالمنافخ الإمبراطورية القديمة ، كاهتمام أثينا بالضعفاء ، والذود عن المظلومين لم تعد تثير نخوة الناس . ففي السنة نفسها أرسلت حليفتها البرية الوحيدة المخلصة ، پلاتيا ، التي شاركتها مرثون وحدها ، تخطرهم أن البلوبونيزيين على أبوابها ، فهل تخاطر بتحمل الحصار ؟ فعاد سفراؤها بهذه الرسالة ، التي صيغت في أسلوب التعالى القديم : « يقول الأثينيون أنهم حتى هذا الوقت

(١) توكيديدس ، ٢ — ٦٥ ، بلوتارخس ، الفرس ، ٣٦ — ٣٨ .

لم يتخلوا عنا في أية مناسبة ، ولن ينصرفوا الآن عنا ، واكمتمهم سيساعدوننا  
قدر طاقتهم ، وهم يستحافونكم بنفس الايمان التي أنتموها أبؤكم أن تصونوا  
وتحفظوا الحلف سالماً دون تغيير ، . ومراعاة للقسم أطاعهم البلاطون .  
ولكن أثينا هي التي تغاضت عنهم ، إذ اعتبرت المخاطرة بالقتال غير لائمه .  
فقد كانت أثينا منهمكة في توسيع سلطاتها البحري ونشره في البحار البعيدة ،  
ولا تستطيع الاستغناء عن المال والرجال . فقاومت پلاتيا سنتين على أول ،  
بينما كان الاثينيون يجوبون البحار من كريت إلى كاريا إلى خليج كورنث .  
وأخيراً عند ما استسلمت پلاتيا جوعاً ، أعدم من بقى من أهلها لاعتقادهم على  
وعود أثينا ، مع أن هذه المدينة الصغيرة لا تبعد إلا مسيرة يوم و ليلة من  
حليفتها . فهي تقع على آخر المنحدر الجبلي الذي ينف بمحدود سهل أثينا .  
ورغم كونها مخصصة فقد تسنى للاثينيين نسيانها ، وهم الذين كانوا يراقبون  
غروب الشمس وراء جبالها . ترى ما الذي كانوا يفعلونه لو ثبت عدم  
إخلاصها؟ (١)

هذا ما لا يمكن أن نجيب عليه . فپلاتيا كانت مجرد حليفة ولم تكن من  
رعايها ، أى ليست لها أهمية نقدية لأنها لم تكن ضمن دافعي الجزية .  
ولسكننا نعلم نوع المناقشات التي كانت تدور إذا سحبت إحدى الرعايا ولامها .  
فبعد موت بركليس بعوام ، ثارت ميتيلين فجأة وهي من أغنى دول  
الإمبراطورية ، وإحدى القلائل التي ما زالت تؤثر أن تدفع الجزية سقناً .  
لا نقداً . فتحركت أثينا بنشاط محموم وأرسلت أسطولاً كبيراً . وسرعان

---

(١) توكيديدس ، ٢ - ٧٣ ، ٨٥ - ٥ إلى ٦ ، ٣ - ١٩ ، ٢٠ إلى ٢٤ ،  
٥٢ إلى ٦٨ . تبعد پلاتيا عن أثينا حوالي ٣٠ ميلاً على المنحدر الشمالي لجبل كيتابرون  
( Cithaeron ) وتطل على سهل بيوتيا . وهي على مسيرة يوم هين من حصن أينو (Oenoe)  
الواقع على الحدود ، والذي ظل طوال الوقت في يد أثينا ( توكيديدس ، ٢ - ١٩ - ١ ، أنظر  
٨ - ٩٨ ) . ولم تكند تسقط پلاتيا ، حتى بدأت أثينا تضع الحنط لغزو بيوتيا ،  
وبذا اكتشفت الأطماع مسلحاً لم يكن الوفاء ليهرفه . توكيديدس ، ٣ - ٩٥ - ٤ ، ٧٧ .  
وكيتابرون يقع على مرأى من الأكروپول ، وفي ٢٤ يونية من كل عام تقرب الشمس وراء  
قته تماماً .

ما وردت الأبناء بأن كل شيء على ما يرام . فقد استعاد حزب الشعب في ميثيلين سلطته ، وأعلنت المدينة ولاءها . ودعى المجلس ليتخذ قراراً في معاملة الثائرين ، وذكر لنا توكيديس المناقشة ليرينا الروح الجديدة ماثلة .<sup>(١)</sup>

لم يكن الأمر نزاعاً بين المثل العليا والافتضاء ، فأحد لم يعد يهتم بالمثل الآن ، ولكن النزاع كان بين الحكمة والحفاة . فالناصح الذي كان له أكبر أثر في أئتنا الآن ، كان رجلاً برلانياً يسمى كليون . ويصفه توكيديس بأنه ، « أعنف رجال المدينة من كل الوجوه ، ، هو تجسيم كامل لروح الحرب الهوجاء ، التي كانت تهوى بأئتنا إلى الخضيض . وكانت نصيحة كليون بسيطة جداً : أن يعطى الحلفاء درساً في الولاء ، بأن يعدم كل سكان ميثيلين . وحمل المجلس على إقرار ذلك . ولكن بعد التروى استؤنفت المناقشة في جلسة تالية ، وساد الموقف ناصحون أثقب ففكرأ . فقرر المجلس أن من الأوفق ألا يعدم كل السكان ويكتفى بالزعماء . ويضيف توكيديس وهو غاضب ، « ولقد تجاوز هؤلاء الألف ، . والسبب الذي مال بالمدينة نحو هذا الحل الثاني كان مالياً ، لأن السعى وراء القوة البحرية العالمية ، ثبت أنه يستنزف خزينة المدينة . وقال المتكلم الفائز : يجب أن نشجع المدن على أن تستسلم ما دامت لا تزال قادرة على رد المصاريف ودفع الجزية فيما بعد . فلو قسونا على الحلفاء الثائرين ، فسنعزم كل مرة على تحمل تكاليف الحصار ، وعند ما نتصر لا نحصل إلا على مدينة مهدمة ، لا نستطيع أن نحصل منها أبداً ذلك الدخل الذي هو عماد قوتنا الحقيقية إزاء العدو . لقد فقدت أئتنا إنسانيتها ، لكنها رغم وجود كليون ، ما زالت تحتفظ ببعض بصيرتها .<sup>(٢)</sup>

وبعد ذلك بعامين ، أى في السنة السابعة من الحرب ، عاد الحظ فجأة ، كما يحدث أحياناً في حروب اليونان ، فقد نجحت أئتنا بتتابع جملة من

(١) توكيديس ، ٣ - ٢ إلى ١٨ ، ٢٥ إلى ٢٨ .

(٢) توكيديس ، ٣ - ٣٦ إلى ٥٠ .

الأحداث ، في أن تعزل فرقة من المواطنين الاسبرطيين في جزيرة بعيدة عن ساحلهم ، وفي موضع لا يمكن لقوة برية أن تخلصهم منه . ولما كانت اسبرطة تعاني نقصاً كبيراً في مواطنيها ، وفي خوف دائم من ثورة الهيلوت ، لم تقو على التضحية بتلك الفرقة . لقد أخضعها الخطر ، فأرسلت الرسل إلى أثينا ملتزمة الصلح في ذل وانكسار . وكانت الشروط التي قدمتها هي نفس الشروط التي نصح بركليس أثينا بانتظارها . فقد رضيت اسبرطة أن تنازمت الأمر الواقع بإخلاص ، وتعترف بحقيقة الإمبراطورية الأثينية ، وبالتالي سيادة القوة البحرية على القوة البرية . وقد ناشد مبعوثيها مجلس الشعب بقولهم : « إن اللاسيديمونيين يدعونكم لعقد معاهدة ، وإنهاء الحرب . ويقدمون لكم السلام والمخالفة ، وأخلص العلاقات الوثيقة الحبيبة في مختلف النواحي ، . ولم يخامرهم أي شك مطلقاً في قبول هذه العروض . فالحرب قد طالت أكثر من المعتاد ، ولم تسأم اسبرطة وحدها حالة الحرب ، بل سئمتها كل اليونانيين ، وزيادة على ذلك فهم يدركون ، أو يستطيعون التسكّن ، كم كان الأثينيون يشعرون بالعناء لفقد الرجال والأموال . فإذا كان السلم مغبياً لكلا الطرفين في وقت ما ، فمن المؤكد أن هذا هو وقته ، قبل أن يقع بيننا شيء لا يغتفر ، وقبل أن تنقلب عداوتنا العامة إلى عداوة شخصية مريرة . » (١)

ولنشارك مع الشعب صاحب السيادة في مناقشاته قبل أن يجيب ، لنرى إلى أي جانب يميل الميزان ، إلى الحرب أم إلى السلام . لقد قضوا الآن تسعة فصول في حرب منذ موقعة كورسيرا ، وكان الأمر أولاً مجرد دفاع إلا في غزوات الصيف . ولكن فيما بعد ومنذ موت بركليس ، انقلب الأمر إلى هجوم أيضاً . فاحتفظوا بالمرآكب في البحار

(١) توكيديدس ، ٤ - ٣ إلى ٢٠ ، وبخاصة ٢٠ - ١ . إن كلمة ἀνήκεστος كلمة قاسية للغاية بمعنى « لا علاج له » أو « لا يفتقر » ، ولا تعبر إلا عن ظل من معناها الذي الكامل ، فهي متصلة بالفكرة القديمة لجرعة إراقة الدم أو التدنس بالقتل ، أنظر ص ١٠٧ وما بعدها فيما سبق ، وسوفوكليس ، O. T. ، ١٨٠ .

شتاء ، خارج مياههم الإقليمية ، وأرسلوا فرقا من الجنود إلى ميادين بعيدة ، إلى أيتوليا وحتى إلى صقلية . فكيف أمكن لهذه السنة آلاف تلتت المحفوظة في الأ كروبول أن تني بكل هذه الطلبات غير العادية ؟

لحسن الحظ أننا نستطيع أن نقدم إلى مستمعي كليون قائمة بالمصروفات أكملت من بقايا نصوص دفع أجور القواد ، وهي بنود الصرف الرئيسية في الغزوات ، فيما عدا مصاريف بناء السفن وغيرها من الزيادات . وكانت كما يأتي :

|      |       |     |                                       |
|------|-------|-----|---------------------------------------|
| ٣٠   | تلتنا | ٤٣٣ | كورسيرا                               |
| ١٠٠  | تلتنت | ٤٣٢ | د حملة تراقيا                         |
| ٥٠٠  | د     |     | حصار بوتيديا ( ابتداء من سبتمبر )     |
| ١٠٠٠ | د     | ٤٣١ | د د                                   |
|      |       | ١٠٠ | سفينة حول البلوپونيز ( من يونيه إلى   |
| ٢٠٠  | د     |     | سبتمبر )                              |
| ٣٠   | تلتنا | ٣٠  | د إلى لوكريس ( د د د )                |
| ١٠٠٠ | تلتنت | ٤٣٠ | د حصار بوتيديا                        |
|      |       | ١٥٠ | مركبا إلى البلوپونيز ( يوليه ) ثم إلى |
| ٢٢٥  | تلتنا |     | بوتيديا ( حتى سبتمبر )                |
|      |       |     | (وهنا اعتزل بركليس الحكم)             |
| ٤٠   | د     | ٢٠  | مركبا إلى ناوپاكتوس ( طوال الشتاء )   |
|      |       | ٤٢٩ | د ٤٠٠٠ جندي مسلحين بأسلحة ثقيلة ،     |
| ١٢٠  | د     | ٤٠٠ | حصان تراقى حتى يونيه                  |
|      |       | ٢٠  | مركبا في ناوپاكتوس برئاسة فورميو ،    |
| ١٢٠  | د     |     | ربيع ٤٢٩ إلى ربيع ٤٢٨ .               |
|      |       | ٢٠  | مركبا مرسله إلى فورميو عن طريق كريت   |
| ٤٠   | د     |     | ( أ أكتوبر ٤٢٩ : إلى ربيع ٤٢٨ ) .     |

|                            |  |     |       |
|----------------------------|--|-----|-------|
| عام ٤٢٨/٤٠                 | مركباً مسلحة للبولوبونيز أرسلت إلى ميغيلين (بأجر دراخته واحدة) | ١٥٠ | ثلثتا |
| ٣٠                         | مركباً انقضت فيما بعد إلى ١٢ حول ناو پاكٲوس .                  | ٣٠  | د     |
| ١٠٠                        | مركب إلى آسيا الصغرى .   | ١٠٠ | ثلثتا |
| عام ٤٢٨ ( شتاء ) ٥٠٠٠      | جندي مسلحين بالأسلحة الثقيلة لحصار ميغيلين .                   | ٢٠٠ | د     |
| ١٢                         | مركباً في ناو پاكٲوس   | ٢٤  | ثلثتا |
| عام ٤٢٧                    | حصار ميغيلين ( إلى يوليو )                                     | ٢٠٠ | ثلثتا |
| ٦٠                         | مركباً إلى كورسيرا ( أغسطس )                                   | ٣٠  | ثلثتا |
| ١٢                         | د إلى ناو پاكٲوس   | ٧٥  | د     |
| ٢٠                         | د إلى صقلية (الأجر دراخته واحدة)                               | ١٠٠ | ثلثتا |
| عام ٤٢٦                    | ( حتى يوليو ) ١٢ مركباً في ناو پاكٲوس                          | ٢٤  | ثلثتا |
| ٢٠                         | مركباً في صقلية  | ٨٠  | د     |
| مبالغ قدمت للقادة في صقلية |  | ٤٨٠ | د     |
| ٢٠٠٠                       | جندي مسلحين بالأسلحة الثقيلة                                   |     |       |
| ٦٠                         | مركباً تحت قيادة نيكياس  | ٣٥  | د     |
| ٣٠                         | د وفرق من الجنود تحت قيادة                                     |     |       |
| ديموستينز إلى أيتوليا      |  | ٦٥  | د     |

٤٩٩٨ ثلثتا. (١)

### المجموع

(١) في الحقيقة ، كان تقدير كافينيك ، من ١٢٠ — ١٢١ ، معتدلاً للغاية ، إذ بحسب الدفع على أساس ثلاث أويلات ، إلا إذا نص على العكس . وأعتقد أن سعر الدراخمة الواحدة ، الذي يذكره توكيديديس ، ٣ — ١٧ — ٤ ، كان سعراً معتاداً . فقد كان الأجر العادي لعمل يوم في ذلك الوقت . وزيادة على ذلك فإن الجندي في السلاح النقل في بوتيدايا كان يأخذ أجره درختين ، درخمة له ودرخمة أخرى لتأبمه . ومن جهة أخرى فإن ثلاثة أشهر ، ربما تمد فترة طويلة بالنسبة لحساب حملات الصيف عام ٤٣١ .

في بداية الحسب أفتع بركليس الشعب أن يضع جانباً ١٠٠٠ تلنت من  
٦٠٠٠ تلنت التي في الخزينة ، وأن يقرر ألا تس إلا في آخر لحظة ،  
وذلك إذا ما عانت أثينا هزيمة في البحر ، وتقدم أسطول الأعداء نحو بيريه ،  
ومن يخالف ذلك له الموت . وقد صرف من ال ٤٧٠٠ تلنت الباقية جزء كبير  
أثناء قيادته ، وذلك لقمع الثورة في بوتيدانيا ، وهو أمر كان لا بد منه . لقد  
سعت أثينا إذن للحصول على السيطرة البحرية العالمية بموارد ضئيلة للغاية ،  
لا في الرجال فقط ، بل وفي المال أيضاً. (١)

وقبل ذلك بثلاث سنوات أي في ربيع عام ٤٢٨ ، على أثر توارد الأنباء عن  
ثورة ميتيلين ، رأت أثينا نفسها في ضيق مالي . فقد احتاجت إلى مال لأسطولها  
قبل ميعاد وصول جزية هذا العام إليها . وقابلت الأزيمة بأن عمدت إلى  
حيلة غير مأووفة وهي فرض ضريبة مباشرة على مواطنيها . فزيد ٢٠٠ تلنت  
على القيمة الأساسية لممتلكات المواطنين . ومن المحتمل أن يكون ذلك  
بنسبة ١ في المائة . وفي السنة نفسها حل ميعاد إعادة النظر في الجزية التي يدفعها  
الحلفاء ، وهو ما يجري كل أربع سنوات . وبفضل التوجيه الحكيم من  
الرجال الذين أتمدوا دافعي الضرائب في ميتيلين ، أحدثت تغييرات طفيفة ،  
ولكنها تركت المجموع فعلاً دون تغيير . فقد ظل عالياً بالقدر المناسب  
ليكون مأمونا ، وبتكاليف قليلة ، فالوقت العصيب ، ليس بالوقت الذي  
يمكن أن يخاطر فيه بقيام ثورات أخرى. (٢)

ومر عامان على ذلك ، وما زال لدى أثينا ما تنفقه . والآن عرض  
السلام لا مصحوباً بالشرط وحده ، ولكن مشفوعاً أيضاً بالاعتراف  
بالنصر . لقد سمعنا قول رسل اسبرطة . فبماذا أجب القوم ؟

(١) توكيديديس ، ٢ - ٢٤ ، أنظر ، ٨ - ١٥ ، وأرسطو ، Lys. ، ١٧٤ .

(٢) توكيديديس ، ٣ - ١٩ ، كاثينيك ، ١٢٥ . إن القرض المزعوم من السلطات

الحلية ، الذي ذكر في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، مع إشارة إلى مكس وهيل ،  
رقم ٥٨ ، كان قائماً على أساس حرف واحد في نص قرأه وللم على نحو مختلف [ποδεκτῶν]  
بدلاً من [ἡμαρχῶν] . أنظر ص ٧٧٥ من Göttingische Gelehrte Anzeigen ،

يقول توكيدس ، وإن الأثينيين وفي قبضتهم الرجال محاصرين بالجزيرة ، اعتقدوا أن المعاهدة رهن إشارتهم ، تبدأ في اللحظة التي يختارونها ، وكانوا في وضع جعلهم يطمعون فيما هو أبعد . وكان أبرز المشجعين لهم على ذلك كليون بن كليانتوس ، وهو خطيب معروف في ذلك العصر وله تأثير على الجماهير ، فطلبوا تحت تأثير كليون شروطاً مستحيلة . ولم يرضها الرسل ولكنهم أظهروا صحة عزيمتهم ، بأن أجابوا في تعقل واتزان : « سألوهم أن يختاروا نواباً عنهم يمكنهم أن يتفاهموا معهم ويناقشواهم نقطة نقطة ، حتى يبحثوا الموضوع في هدوء ، ويحاولوا الوصول إلى اتفاق ، . وبذلك استغاثوا من فيليب الثمل بفيليب الواعي ، من الشعب صاحب السيادة في المجلس العام ، بالشعب صاحب السيادة في اللجنة . وهذا أعطى البرلماني فرصته . « لقد أدرك من أول الأمر ، كما قال ، أن نيتهم لم تكن صادقة ، وقد ظهرت الآن واضحة تماماً للجميع . لقد خجلوا من أن يتكلموا أمام الشعب مفضلين التفاوض سرّاً مع اثنين أو ثلاثة . كلا ، إن كانوا يعنون شيئاً شريفاً فليقوموا به هنا أمام الجميع ، . وكان له رأيه طبعاً . « أما الاسيديمونيون وقد رأوا أنه مهما بلغ استعدادهم للاتفاق على انكسارهم ، فيستحيل عليهم أن يتكلموا أمام الجمهور فيفقدوا ثقة حلفائهم في مفاوضات قد لا ينجحون فيها بعد كل هذا . ومن جهة أخرى ، إن الأثينيين ان يجربوهم إلى ما يسألونهم إياه بشروط معتدلة . إنهم وقد رأوا كل هذا ، عادوا من أثينا إلى وطنهم ، دون أن تنجح مأموريتهم ، . وهكذا عندما جاءها النصر ، أغضضت عنه أثينا عينها دون ما أكثرات . ولم تقرها ثانية الألة المتقلبة ذات الأجنحة . (١)

لقد غدا كليون الآن زعيمها المعترف به ، وكان عنفه الأحمق سوء طالع لها . فإذا ما أراد المواطنون أن يعيشوا في تكاسل لا يقطعهم إلا مناوشات الحروب البحرية ، فمن السهل توفير المال . فما من داعي لجمعه

(١) توكيدس ، ٤ - ٢١ ، ٢٢ .



من الوطن ما دام هناك كنز وراء البحار يمكن الحصول عليه منه إذا ما أريد ، ومن البحر الأسود إلى سردينيا ، . فنذ ذلك الوقت لم يدفع الأثينيون ضرائب حرب . فقد دلم كليون على طريقة أفضل . فليدفع رعاياهم الكسالى في الشرق والغرب لقاء تمتعهم بالحكم الأثيني . وفي خريف هذا العام نقضت أثينا وثيقة امبراطوريتها ، أى ذلك العقد الذى عقده منذ جيلين أرسطيدس العادل بين أثينا وحلفائها ، وذلك بأن ضاعفت الجزية. (١)

وقد بقيت لنا أجزاء من قوائم الجزية المعدلة هذه ، ولدينا المبالغ التى دفعها الأعضاء ، والجموع السكلى والكثير من تفاصيل التقييدات الحسابية . فلنعرض أولا حساب الإثني عشر الأولى فى إقليم الجزائر ، واضعين القيم القديمة مع الجديدة حتى نبين اتجاه كليون فى العمل. (٢)

|         |    |               |    |        |         |       |
|---------|----|---------------|----|--------|---------|-------|
| پاروس   | ٣٠ | ثلثتا بدلا من | ١٦ | ثلثتا  | أى ١٣٠٠ | درخمة |
| ناكسوس  | ١٥ | د             | ٦  | ثلثتات | د ٤٠٠٠  | د     |
| أندروس  | ١٥ | د             | ٦  | د      |         |       |
| ميلوس   | ١٥ | د             |    |        |         |       |
| سيفنوس  | ٩  | د             | ٣  | د      |         |       |
| إريتريا | ١٥ | د             | ٩  | د      |         |       |
| ثيرا    | ٥  | د             | ٣  | د      |         |       |
| كيوس    | ١٠ | د             | ٤  | د      |         |       |

(١) كاثينيك ، ص ١٣٨ ، أنظر ١٢٤ و ١٣٢ (انتهاء ضريبة الحرب) ، وانظر أيضا ، Wasps ، ص ٧٠٠ ، ثم أنظر فرانكوت ، Finances ، ص ٩٩ و ١١٥ .  
 (٢) G. I. ، ١٤٠ — ٣٧ ، الذى طبع فى هيكس وهبل ، رقم ٦٤ ، وجزء منه فى كاثينيك ، ص ١٢٨ . العنوان هو Τάξις φόρου ، والجموع ٩٦٠ ، مقابل ٤٦٠ التى ذكرها أرسطيدس (ارتفع إلى ٦٠٠ دراخته بالتعويض الذى تدفمه ساموس الخ ، أنظر الملاحظة ص ٥٠٦ فيما سبق) . لم يذكر نوکیديدس تقديرا للضرائب ، ولكن أنظر ، ٤ — ٥١ فيما يخص قلق خيوس الذى نتج عن ذلك .

|          |    |       |         |   |       |
|----------|----|-------|---------|---|-------|
| كاريستوس | ٥  | ثلثات | بدلا من | ٥ | ثلثات |
| خالكس    | ١٠ | د     | د       | ٦ | د     |
| كينوس    | ٦  | د     | د       | ٣ | د     |
| تنوس     | ١٠ | د     | د       | ٣ | د     |

وبلغت نظر القارىء مبلغ واحد . فلماذا لم يكن لميلوس نسبة معينة في القائمة الأولى ؟ ذلك لأن هذه الجزيرة ، هي الوحيدة بين جزر الأرخيل التي استطاعت أن تحتفظ بحيادها . فلم تترك في حاجة إلى حماية أثينا ، ولم تثر مطلقا عداوتها ، ومن هنا سمحت لها أثينا بأن تظل خارج شبكة نفوذها البحري في بحر إيجة . وكانت جزيرة صخرية صغيرة ، سكانها ممن يحافظون على التقاليد الدورية التي يرجع تاريخها إلى سبعمائة سنة متصلة الحلقات . ولم يخطر ببال أحد أنها تستحق إرسال حملة إليها ، حتى أدخلها كليون المالى العظيم في قائمته المعدلة .<sup>(١)</sup>

وأدرج في القائمة سكان تلك الجزيرة تسع سنوات ، دون أن يدفعوا شيئا . وأخيرا في عام ٤١٦ ء أثناء فترة سكون مؤقتة تحللت تلك الحرب التي لا تنتهي ، تذكرت أثينا مالها من متأخرات لم تدفع ، وصممت على تحصيلها بالقوة . فأرسلت بعض القوات إلى الجزيرة ، وبعث قوادهم بالرسول إلى المدينة يطلبون الأموال ، وتبودات الآراء بين زعماء الجزيرة ووزارهم . وتخبر توكيد يدس هذه الفرصة ليعبر في قوة متناهية وتهكم مر ، عن روح الحرب السائدة في ذلك العصر . قال الأثينيون بهذه الصراحة الباردة ،

(١) توكيديديس ، ٥ - ١١٢ - ٢ . ليس هناك اقتراح ما ، لافي توكيديديس ، ولا لآي كاتب آخر من كتاب القرن الخامس ، بأن أهل ميلوس قد استفلوا حيدتهم في القيام بأعمال الفرصنة أو التهريب . وبالرغم من فقر بلادهم ، وبالرغم من مناسبتهم الصالحة التي يكتنفها البر ، فقد ظلوا مزارعين مثل زملائهم الدوريين في كريت . وقد تمكن المقيبون الإنجليز من التعرف على مكان سوق مدينتهم . فهو يقع في أعلى نقطة في المدينة (وهي تقع على سفح تل وعرة) في موقع مناسب للتعامل مع الداخل لأمع الميناء ( J. H. S. ، الجزء ١٧ ، ص ١٣١ ، B. S. A. ، الجزء الثاني ، ص ٧٧ وما بعدها مع الصور ) ، ومن المحتمل أن تكون هذه هي الأجورا ( أى السوق ) المذكورة في توكيديديس ، ٥ - ١١٥ .

التي أصبح متكلموهم العموميون يفاخرون أن يتحلوا بها : « إن نضايقتكم بإدعاءات موهبة . لا عن كيف أن لنا الحق في إمبراطوريتنا ، لأننا قد طردنا الفرس وهزمناهم ، ولأننا نهاجمكم الآن من أجل خطأ ارتكبتموه ضدنا . فأنتم تعرفون بقدر ما نعلم نحن أن الحق ، ما عاشت الدنيا ، لا يكون وضع بحث لإفنيابيين المتساوين في القوة ، والأقوياء أن يعملوا ما يستطيعونه ، وعلى الضعفاء مقاساة مالا بد لهم من مقاساته . »

فأجابهم أهل ميلوس ، « ومهما يكن من شيء ، فنحن نرى أنه من الأوفق ألا تقوضوا ما هو أمننا المشترك ، أي الحق في التماس ما هو عدل وحق ساعة الخطر . وبالأنا كيد يهكم هذا ، كما بهم أي شخص آخر ، إذ أن سقوطكم سيكون إيذاؤا بأشد انتقام ، كما سيكون مثالا للعالم كله . »

ورد الإثينيون بقول متعالى كأنما يتحدثون به الآلة في عليائها ، « نحن لا نشعر بأى قلق من أجل إمبراطوريتنا ، حتى وإن كان لا بد لها أن تنتهى ، فإمبراطورية زميلة كإمبراطورية لاسيديونيا — وإن لم تكن عدوتنا الحقيقية ، ليست بالإمبراطورية التي تثير المهزوم ، إذا ما كان الرعايا أنفسهم يعرفون كيف ينقدون حكمهم بل ويبذونهم . وهذه على أية حال مخاطرة نحن أهل لها . »

فسألهم أهل ميلوس ، « بالله عليكم كيف أنه من صالحنا أن نكون رعاياكم ، بقدر ما هو من صالحكم أن تكونوا حكامنا ؟ ، « لأنكم ستحظون بالخضوع دون معاناة ما هو أسمى ، وستنغم نحن بعدم إزالتكم من الوجود . »

« وهل يرى رعاياكم في هذا سياسة عدل — في أن يساؤوا الأجاب والمحايدين بدول ، بعضها هي مستعمراتكم ، بل إن بعضها لثوارمة قهورون ؟ ، فأجابت القوة البحرية ، « ما بقي عدل ، فرعايانا يعتبرون أن لكل الحق فيه بقدر الآخر ، أى إذا ما احتفظ أحد منهم باستقلاله فذلك لقوته ، وإذا

نحن لم نناوئهم فلأنتا جنبناهم . وهكذا فزيادة على أننا سنوسع من إمبراطوريتنا فإننا سنزداد أمناً بإخضاعكم ، وكونكم أهل جزر ، وأضعف من غيركم ، يؤكد أنكم ان تنجحوا في مضايقة سادة البحار ، .

د لكننا نعلم أن حظ الحرب يكون أحياناً أكثر عدالة مما يجعلنا نتوهم عدم التناسب في العدد . فالخضوع هو تسليم بالهزيمة بينما ما زال لنا في المقاومة الأمل في النصر ، .

فكان الرد النبوي د إن إلهة الأمل لعزاء خطر . فليتعلق بها أراملك الذين لهم موارد موفورة . فهي قد تضيرهم ولكنها ان تقوى على القضاء عليهم . إن التغير لفي طبيعتها ، وعند ما يراهن البشر بكل ما لديهم على اعتمادها ، فإهم لن يعرفوا حقيقتها إلا ساعة الخطر ، .

د كونوا على يقين من أننا نعلم بقدر ما تعلمون ، الخطورة التي تنجم عن منازعتكم النفوذ والسلطان ، ما لم تكن القوى متعادلة . ولكننا نأمل أن نتيج لنا الآلهة حظاً طيباً مثلكم ، ما دمنا رجالا عادلين نحارب ظالمين ، . وأثار الالتجاء إلى الدين والأخلاق ، ملجأ الجزريين البسطاء الأخير ،

اهتمام زوارهم الذين جاءوهم من العالم الكبير . لقد نعدوا فلسفتهم في مدرسة جامدة ، في ميدان العمل والتجربة ، لا في المعابد المتواضعة لجزيرة نائية . لقد كانوا رجالا عمليين وسياسيين ازدهوا بمواجهتهم الحقائق . وهكذا بسناجة الرجل العقلي الساخرة ، وهو يعظ ابن عمه القروي بأن يرضى العقل والحكمة ، انتهوا إلى نشر المذهب الذي كانت تدين به أئمتنا المستتيرة إذ ذاك ، بل لقد كان أكثر من مذهب ، لقد كان ناموس الحياة . لذا فن الأفضل لنا ، كما كان لميلوس ، أن أبانت بصراحة : د عند ما يتحدثون عن فضل الآلهة ، فإن لنا أن نأمل في ذلك كما تأملون ، فلم تكن إدعاءاتنا ولا مسلكنا بأى حال عكس ما يعتقدونه الناس في الآلهة ، ونعرف عن البشر أن طبيعتهم تدفعهم إلى أن يسودوا أينما استطاعوا . ولسنا أول من وضع هذا القانون ، ولا أول من سار عليه بعد أن وضع فقد وجدناه

في الدنيا ، وسنتركه فيها بعدنا . وكل ما نفعله أننا نفيد منه عارفين أنكم أنتم وكل إنسان غيركم ، ستفعلون ما نفعله لو أوتيتم نفس القوة التي أوتيناها . وهكذا فإننا لن نخشى شيئاً ما دام الأمر يتعلق بالآلهة ، (١)

وانسحب الأثينيون من المؤتمر تاركين أهل ميلوس يتباحثون وسرعان ما أعلن قرارهم : « يا أهل أثينا إن قرارنا هو نفس ما قررناه في البداية . فلن نحرم الحرية في لحظة ، مدينة شهدت الحياة الحرة ٧٠٠ عام . إننا نضع ثقتنا في القدر الذي به حماها الآلهة حتى الآن ، وفي مساعدة الرجال، أي اللاسيديمونيين . وهكذا سنحاول وننقذ أنفسنا ، »

ولم تخف الآلهة لمساعدتهم ولا البشر . فقد صمدوا طوال الخريف وقاموا بهجومين ناجحين . وأخيراً في الشتاء أرسل المحاصرون في طلب النجدة ، لقد اشتد الحصار إذ ذاك ، وبقيام خيانة في الداخل سلم أهل ميلوس بمحض إرادتهم ، . ولما كانت أثينا قد ازدادت إذ ذاك خبرة بالأمور الدنيوية ، فلم تسكن لتكرر حلمها في ميتيلين : « فأعدم الأثينيون كل الرجال وباعوا النساء والأطفال كعبيد ، ثم أرسلوا فيما بعد بخمسمائة مستعمر واستوطنوا هم المكان ، » (٢)

وهكذا لم تدفع ميلوس ضريبة لاثينا أبداً . إلا أن القمح نبت مرة أخرى في أوديتها الصغيرة . وجلس الرجال في سوق مدينتها يشربون النبيذ الحلو الوارد من سفوح تلالها .

وحيث أريقت دمساء بنهما تداث السنابل مشورة  
ما أسرع ما نسي الأرض الخضراء ، فوحدها الآلهة

---

(١) توكيديس ، ٥ - ٨٥ إلى ١٠٥ . لقد اختصرت الحادثة كثيراً ، ولكنني لم أتعب القارئ بتعيين ما حدثته . أما الترجمة لجُلها من ترجمة كراولاي ( Crawley ) .  
(٢) توكيديس ، ٥ الآخر . نذكر عند قراءة هذا الجزء من توكيديس أن التقسيم إلى كتب ليس تقسيمه . أنظر I. G. ، ١٢ - ١١٨٧ بخصوص أمر مقدم من أحد أهالي ميلوس خان مدينته ، ففتح العروبة الأثينية لخدماته . ( أنظر التذييل ) .

لا تنسى : إنها تضرب

بلا رحمة ، والمثل بالمثل أبدا .

بذاكرتها القوية اشتهرت الآلهة .

وحيث أن المدينة الإمبراطورية ما زالت طامحة ، فقد تطاعت إلى فراسة  
أفضل منها ، من جزيرة صغيرة في الشرق إلى أكبر منها في الغرب . فبعد  
سته شهور من تخريب ميلوس ، أفلعت الأرمادا العظيمة صوب صقلية .

## تذييل

صفحة ١٢ هامش :

« يقول المستكشف الفرنسي الكوماندو بنجر ( Commander Binger ) إن عدم وجود الملح كان من الأسباب التي عاوت على رواج تجارة الرقيق في إقليم نهر النيجر الأعلى ، فقد كان الملح يرد من الشمال ونظراً لعدم وجود منتجات يمكن نقلها رضى باعة الملح أن يقبلوا العبء ثمناً لبضائهم » . لوجارد (Lugard) . *The Dual Mandate in Tropical Africa* ، ص ٢٦٦ . أنظر كذلك موسوعة Pauly ، مقال الملح (١٩٢٠) .

صفحة ١٥ :

أيدت الاستكشافات الحديثة الرأي القائل أن النموض الذي أحاط به القرطاجينيون نشاطهم ، كان السبب في تلك المسحة الجرافية التي تجلي بها المحيط الأطلسي لليونان في العصر الكلاسيكي . أنظر ، A. Schulten ، في *Fontes Hispaniae Antiquae* ، الجزء الأول ، Avienus ( برشلونة ، ١٩٢٢ ) و *Tartessos ein Beitrag zur ältesten Geschichte des Westens* في ( هامبورج ، ١٩٢٢ ) ويرى Schulten أن *Ora Maritima* لأفينوس ( القرن الرابع بعد الميلاد ) يتضمن معلومات قيمة مأخوذة عن الجغرافيين اليونان الأول ، ولا سيما ما نقل عن الملاحه ( *περίπλους* ) لكاتب من مرسيليا كان يعيش في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وأن الأناتلس كانت ذكريات أسطورية عن استثمار الفوكيين لطرطوس ( Cadiz ، أي قادس ) ، وقد عى القرطاجينيون فيما بعد هذا الاستثمار واجتثروا آثاره . وإني أدين بهذه الملاحظة إلى مقال كتبه Fritz Netollitzky في أول عدد من *Cultura* ، ( يناير ، ١٩٢٤ ) ، وهى مجلة تصدر في Cluj بترانسلفانيا ، باللغات الرومانية والمجرية والألمانية والفرنسية . ( م ٣٥ — الحياة اليونانية ) .

وينذهب نيتوليزكي هذا بعيداً في قوله بتعريف أتلانتيس بأنها جزيرة Santipetri التي تبعد عن قادس ١٢ ميلاً جنوباً . قارن الصمويات التي تعرض لها ملاح إنجليزي عند توغله شرقاً من الأتلانتيك . ولقد كان روبرت استوري ( Robert Sturmy ) وهو من أهالي برستول ، أول إنجليزي سجلت مخاطرته في سنة ١٤٥٨ إلى الشرق ، على ظهر مركب إنجليزي ، وقد أمره أناس من جنوة ، وسلبوه ما ممة أثناء إيا به إلى وطنه ، إذ نعى إليهم أنه يحمل فلاناً أخضراً وأنواع أخرى من التوابل ، لزرعتها واستفباتها في إنجلترا ، وبذلك يمكن لبلاده من الاستغناء عن التجارة الإيطالية ؛ أنظر ولجسن ( Williamson ) في A Short History of British Expansion ، ١٩٢٢ ، ص ٢٨ . أما بخصوص أول ظهور البحرية البريطانية الحديثة ، ( ولكن ليس على نحو مشرف جداً ) ثم فيما بعد ظهور القوة البحرية البريطانية في البحر المتوسط ، راجع التقرير الرائع الذي ضمنه Corbett كتابه England in the Mediterranean ، الجزء الأول ، الفصل الثاني وما بعده .

صفحة ٢٥ :

بحسب رأى Rostvtzeff في Iranians and Greeks in Southern Russia ، ( أكسفورد ، ١٩٢٢ ) ، فإن المستعمرات اليونانية في القرم مثل فاناغوريا ( Phanagoria ) ونمفيوم ( Nymphaeum ) وبانتيكابايوم ( Panticapaeum ) قد أسست لاستغلال مصايد الأسماك في بحر آزوف ومضيق كيرتش ( Kertsch — بسفورالقرم ) . « ولنفس هذا السبب أنشئت مستعمرة لصيد السمك على مصب نهر الدنيبر ونهر بيج ( Bug ) ، وتسمى تلك المستعمرة أولبيا ( Oibla ) وكان لها فرع في جزيرة بريزان ( Berezan ) التي تقع على مصب الخليج ( ص ٤٤ ) . « وفي أثناء القرنين الثامن والسابع ق . م . احتلت طوائف الصيادين من الميليزيين مصاب الأنهر الكبيرة التي على هذا الطريق ، الواحد تلو الآخر ، وهي مصاب الدانوب والدنيستر وبيج والدنيبر » ( ص ٦٣ ) .



صفحة ٢٩ :

أعطى Rostovtzeff في كتابه المذكور ، بيانا شاملا للمستعمرات اليونانية في الجزء الناحي المذكور في النص ، وعن علاقات تلك المستعمرات مع سكان سيثيا (Seythians) في الداخل وما يتبعهم من شعوب .

صفحة ٥٩ :

من الطريف أن نلاحظ أن العزلة ، غريبة عن الأمريكيين أكثر منها عن التدابير التقليدية البريطانية . فالدن الأمريكية بمبادئها التي لا حوائط لها ولا سياج حولها ، أقرب في طوائفها الديمقراطية إلى الدن اليونانية منها إلى الدن الإنجليزية .

صفحة ٧٦ :

فيما يخص أثر الهند في أفلاطون أنظر Urwick في *The Message of Plato* ، ١٩٢٠ ، الذي بنى تأويله « للجمهورية » على أساس الفكر الديني الهندي . ولسوء الحظ قد أرغمه ضيق المقام أن يحذف « بحثا طويلا في السبل التي دخل عن طريقها الفكر الهندي إلى اليونان في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد » ، ولذا فإن حجته تقوم على شواهد داخلية فقط .

صفحة ٨٦ :

يجب أن نذكر البحث الذي قام به كالهون (Calhoun) والذي لم ينشر حتى (١٩٢٤) ، عن تطور القانون الجنائي في اليونان ، وقد تلخص المؤلف عدة فصول من هذا البحث في *Proceedings of the Classical Association* ، للجزء الثامن عشر (١٩٢٢) ، ص ٨٦ وما بعدها .

صفحة ٩٣ :

راجع الآن أيضا نص كالهون المشار إليه ص ٩٣ ، بخصوص إثبات هذا البيان بوجه عام .

صفحة ٩٥ :

فيما يختص بالرجل الذي لا أرض له أنظر جلوتز في *Le Travail dans la Grèce ancienne* ، باريس ، ١٩٢٠ ، صفحة ٣٧ وما بعدها ، وهو كتاب رائع ، ولا يمييه سوى عدم ذكر المراجع .

صفحة ١٢١ :

فيما يخص تاريخ اسبرطة القديم أنظر أيضاً *Toynbee* في *J. H. S.* ، ١٩١٣ ، ص ٢٤٦ وما بعدها ، ثم المختصر المفيد لنتائج البحث الأثرى والتاريخي الذي كتبه *Woodward* في مجلة *History* ، أكتوبر ١٩٢٣ . أما فيما يختص بنظام اسبرطة الدستوري في العصر التاريخي فانظر *Kahrstedt* في *Griechisches Staatsrecht* ، الجزء الأول ( جوتنجن ، ١٩٢٢ ) ، و كانه تقريباً مخصص لاسبرطة . أما قيام فقهاء القانون أمثال *Vinogradoff* و *Calhoun* و *Kahrstedt* بالكتابة في ميدان دولة المدينة اليونانية ، وهي كتابات كان يجب أن تتم منذ زمن طويل ، فتمت أهم مميزات الدراسات اليونانية في السنوات العشر الأخيرة . هذا التقدم ربما كان يتممه إدخال فصل خاص بالقانون اليوناني في كتاب *The Legacy of Greece* ( أو كسفورد ، ١٩٢٢ ) ، وهو نقص ربما يتدارك فيما بعد . ولقد صدم المدافعون عن أسالة الرومان بشدة عند اكتشاف فضل اليونان على روما في الميدان الوحيد الذي بقي لهم . قارن رأي *Zulueta* الدقيق في كتاب *The Legacy of Rome* ( أو كسفورد ، ١٩٢٣ ) ، ص ١٨٦-١٨٨ برأي *Holland* الذي قوله عن ثقة وينسب في غير تحفظ إلى فقهاء الرومان «الأولوية» في علم القانون . أنظر مؤلف هولاند *Jurisprudence* ، الطبعة الحادية عشرة ، ص ٢ وما بعدها ، ثم كالمون في *Greek Law and Modern Jurisprudence* ، California Law Review ، يولييه ، ١٩٢٣ .



صفحة ١٥٣ :

أنظر كذلك كالمون في *Proceedings of Classical Association* ،  
الجزء ١٨ (١٩٢٢) ، ص ٨٨ .

صفحة ١٦٣ :

فيما يخص النقد الفضي الذي اتخذته بيزستراتوس ، أنظر P. Gardner  
في *History of Ancient Coinage* ، ١٩١٨ ، ص ١٥٧ — ١٥٨ . إذ قد  
امتد تأثيره حتى صقلية ، حيث سك طغاة سيراكوز نقودا على أساس  
المايير الأثينية .

صفحة ١٨٩ :

أنظر أيضاً في Ledl في *Studien zur älteren athenischen*  
*Verfassungsgeschichte* ، هايدلبرج ، ١٩١٤ ، حيث يناقش (ص ٣٦٤ وما  
بمدها) ولكن بدون حجة قوية ، كون طريقة αἴρεσις ἐκ προκρίτων  
( الاختيار بالترفضيل ) لا ترجع إلى عهد سولون أو كليستينيز ، بل أدخلت لأول  
مرة في عام ٤١١ .

صفحة ٢٠٥ :

فيما يخص حملة النبال السيثيين راجع أيضاً مقال Plassart البديع  
في *Revue des Études grecques* ، ١٩١٣ ، ص ١٥١ وما بمدها .

صفحة ٢٢٠ :

إن ذلك قد أثبتته « وود وارد » في *B. S. A.* ، الجزء ١٥ ، ص ٢٤٣  
وما بمدها .

صفحة ٢٢٢ :

أنظر أيضاً Vinogradoff في *Jurisprudence of the Greek City-State* (١٩٢٢) ، صفحتي ١٥٧ و ١٦١ .

صفحة ٢٢٧ :

أنظر جاردنر في كتابه السالف الذكر ص ٢٢٦ ، فهو يأخذ بقول بابلون (Babelon) فيما ذهب إليه من أن أثينا قد ادعت لنفسها حق احتكار سك النقود أيها مسكنها القوة من تنفيذ ذلك ، على عكس سياستها الأكثر حرية الممزوة لها في النص . وبوافق مع ذلك ، على أن نتيجة بحثه إنما بنيت أساساً على دليل سلبي ، وأن عدم سك نقد محلي للوحدات الكبرى في معظم جزر إيبيجينا والندن الآسيوية ، ( لكن دون أجزاء الإمبراطورية الأثينية الأخرى ) في عهد بركليس قد يرمز أيضاً إلى اعتبارات اقتضتها ظروف عملية . أما بخصوص الحقائق ، فانظر إلى جانب كاثينيك المذكور في ص ٢٢٧ فيما سبق ، جاردنر ، ص ٢٢٢ وما بعدها ، ولا سيما ص ٢٨٥ وما بعدها ، ثم فيل ( Weil ) في *Zeitschrift für Numismatik* ، الجزء ٢٨ ، ص ٣٥٧ وما بعدها و *Babelon* في *Revue Numismatique* ، ١٩١٣ ، ص ٤٥٧ وما بعدها . أما نقود فوكيا المصنوعة من الإلكترولوم ( توكيد يدس ، ٤ - ٥٢ ) وميتيلين فستحق ذكراً خاصاً بجانب نقود لامبساكوس وسيزيكوس . أنظر بابلون السالف الذكر ص ٤٧٥ ثم موسوعة Pauly ، مقال *Cyzicenois* وبورد جاردنر حجة جديدة يمتد أنها قاطعة - قرار سفنيا ( *Siphnian decree* ) في I. G. ، ١٢ - ٥ - ٤٨٠ . ولكن من المحتمل جداً أن يرجع تاريخ هذا النص بشككه وطريقة كتابته ، إلى الفترة بين عامي ٤٢٠ و ٤١٥ ( Weil ) ، السالف الذكر ، ص ٢٥ ، ص ٥٦ ) ، وليس هناك سبب كاف لأن يؤرخ قرار كليا رخوس السابق ، والذي ذكر فيه ، بتاريخ أقدم كثيراً منه . والفقرة المعروفة في الطيور ( *Birds* ) ( السطر ، ١٠٤٠ ) التي استنتج ثيلا موثقتز أهميتها في هذه المناسبة ، قبل اكتشاف نص

سيفينيا ، تؤيد هذه النتيجة ، وهي نفس ما انتهى إليه كاثينياك في *Histoire* ،  
الجزء الثاني ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

صفحة ٢٥٥ هامش :

هناك نقطة صغيرة تستحق الملاحظة ، وهي أن ملابس اليونان كأورد وصفها  
في النص لم يكن بها جيوب . وكاين Halliday في *Growth of the City-State*  
( مطبعة جامعة ليشربول ) ، فإن الأشياء الكبيرة مثل الورق والخضر ،  
أو الكلاب الصغيرة ، كانت تحمل كلها في ثنایا المهاتيون ( *iμύτιον* ) . أما الوحدات  
التقديية الصغيرة فكانت تحمل بالفم . ويضيف هالیدی ، وربما كان ذلك هو السبب  
في أن النقود في أتیکا كانت من معدن الفضة وليست من النحاس .

صفحة ٢٧٧ :

أنظر أيضاً جلوتز ، Travall ، ص ٣٠٠ وما بعدها ، وهو يعتقد أن أتیکا  
قد انتجت على الأكثر ربع ما تحتاج إليه أثينا ( أي من الزيت والنبيد والقمح ) .

صفحة ٢٧٩ :

أنظر أيضاً بخصوص هذا الموضوع في جملته هايتلاند ( *Heitland* )  
في *Agricola* ، كبردج ، ١٩٢١ ثم Orth في موسوعة Pauly ، مقال  
*Landwirtschaft* ( ١٩٢٤ ) وبه مراجع ، ومع ذلك لم يذكر هايتلاند من بينها .

صفحة ٢٨٩ :

قام Andreades ( *Revue des Études grecques* ) ، الجزء ٢٨ ص ٣٧٧  
وما بعدها ) بدراسة مهمة لا سماه — ربما على وجه الدقة النهائية ، بـ *Ies* «  
*finances de l'état homérique* . أنظر بنوع خاص صفحة ٣٩٣ ( وذلك فيما  
يخص « هل كان الملوك الهومريين يمدون جنودهم بالأكل ؟ » ) ثم ص  
٤٠٦ وما بعدها العنونة بـ ' *Extraordinary Receipts* ' والتي قد

درسها تحت عنوانين : (١) « مالية طفيلية » أى الدخل الوارد من الأعمال الحربية والقرصنة وغيرها ثم (٢) « الدخل الملقى في وقت الحرب » ، أى نصيب الملك من الأسلاب .

صفحة ٢٩٩ :

رَكَت الفقرة التى فى ص ٢٩٢ بدون تغيير رغم أنها ، إذا ما أردنا الدقة فى كلامنا ، كان يجب أن تَمداد كتابتها بصيغة الماضى . إذ قد وجد الآن ، وعد فى ميثاق عصبة الأمم ، تضمنته معاهدات السلام الأربع - وهو وعد ملزم ضد الالتجاء إلى التحكيم فى الحرب . والحق أن بعد تأخر إجراءات الصلح تسمية أشهر ، قد تظل الحرب قانونية فى نطاق الميثاق ، رغم أنه حتى فى هذه الحالة يستبعد ضم الأقاليم . ولكن الحرب بين الدول الكبرى داخل تلك الحدود الدستورية ، إذا قبلت نظرياً ، صارت من الوجهة العملية لا يمكن تصورها . أما بالنسبة للحرب بين الدول الصغرى ، أو بين دولة كبيرة وأخرى صغيرة ، فإن تجربة عام ١٩١٤ قد أظهرت ، أن مثل هذه الحروب قد أصبح من المسير جداً حصرها فى مجالها سواء فى أوروبا أو خارجها . والواقع أننا دخلنا منذ كتابة تلك الفقرة ، فى عصر انتقال ، سيبلغ منتهاه ، ما لم تتزعزع كل ضماناتنا واحتياطياتنا ، بقبول اتخاذ القوة فى الأعمال الدولية ، لا كوسيلة تحكيمية فظة كما كانت فى عصر ما قبل الحرب ، إنما كعقاب جماعى فى يد جمعية الدول ضد المتدين على القانون . ولا يفوت انتباه القارئ لهذا الكتاب ، ولا الباحث المدقق فى الديمقراطية ، أن تحول الأفكار والعمل ، قد أصبح صعباً وملكياً بالأخطار ، فهو ليس مرغوباً فيه فقط ، بل هو ضرورى وملح ، وقد وضع لى ذلك الآن ، كما كان واضحاً لى عندما كتبت مقدمة الطبعة الثانية .

صفحة ٣٠٥ :

إن هؤلاء الذين يرغبون فى مقارنة طرق الاستثمار اليونانى بطرق الاستثمار البريطانى ، يجدون الآن بياناً عاماً جامعاً عن الاستثمار البريطانى منذ أيامه الأولى

حتى ذلك الحين ، وبه مراجع كثيرة ، في *A Short History of-British Expansion* ، كتبه *James A. Williamson* ، لندن ، ١٩٢٢ .

صفحة ٣٠٨ :

بخصوص مثل حديث لهذا الميل الذي أشرنا إليه في آخر الملاحظة أنظر ،  
في *Ure* في *The Age of Tyrants* ( ١٩٢٢ ) .

صفحة ٣٣١ :

لقد طبق حديثاً نظام « القرعة » في بلغاريا مؤقتاً ، وطبق في روسيا السوفيتية  
في فترة آخر الأسبوع . وقد زكاه *William James* ، ولكن على أساس يختلف  
عن ذلك تماماً ، في مقاله ، *The Moral Equivalent of War* ، الذي نشر في  
*Memories and Studies* ( ١٩١١ ) . وهدفه أن يربي في الناس الخلق الحربى  
من غير حرب .

صفحة ٣٦٢ :

إن الاتجاه المشار إليه في آخر الملاحظة ، قد صور تماماً ، بل تصوراً دقيقاً ،  
في المناقشات الخاصة بمسألة التمويضات .

صفحة ٣٦٤ :

أنظر بابلون في *Les Origines de la Monnaie* ، ص ٩٣ - ١٣٤ ، إذ يرى  
أن النقود الأولى في اليونان وسائر الجهات الأخرى ، ضربها التجار  
والمولدين لا الحكومات ، ويورد أمثلة لهذا ، في كل من الدنيا القديمة  
والدنيا الحديثة . ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن هذا النوع من ضرب التجار ،  
ما زال مستعملاً في الجزء الشمالى من أستراليا .

صفحة ٣٦٥ :

يمتد جاردنر ، ص ٦٨ ، أن المدن اليونانية في آسيا الصغرى هي المستولة ،  
لا ملوك ليديا ، عن الضرب الأول من الإلكتروم . ولكن ، كما يعلم هو ، فإن



ميزان الرأى فيما يتعلق بالتقود لا يؤيده . وعلى أية حال فمن الأوكد أن كريسوس (٥٦٠ — ٥٤٦) قد استبدل بالتقود من الإلكترولوم الذى ضربه أسلافه ، عملة من الذهب والفضة ، وتلك العملة ، كما يمتقد جاردنر نفسه (ص ٨٢ — ٨٣) ، كانت الأولى من نوعها . أنظر أيضا بابلون *les Monnaies grecques* (باريس ، Payot Manuals ، ١٩٢١) ، ص ١٠ — ١١ و ص ٢٤ .

صفحة ٤٠١ :

أنظر كذلك *van Hook* فى *Transactions of the American Philological Association* ، ١٩٢٠ ، ص ١٣٤ وما بعدها .

صفحة ٤١٦ :

فيما يخص سن الزواج أنظر أفلاطون ، الجمهورية ، ٤٦٠ ، والقوانين ، ٧٨٥ ، ثم أرسطو ، السياسة ، ١٣٣٥ (الذى يقرر أن أنسب سن لزواج البنات فيما بين ١٦ و ٢٠ ، وللرجل ما بين ٣٠ و ٣٥) ، ثم أنظر يوربيدس ، القطمة ، ٢٤ (Nauck) وأرسطوفانيز ، *Lys.* ، ٥٩٧ ، ثم أنظر الوصف الكامل الذى أورده إجزينوفون فى *Oeconomicus* .

صفحة ٤٥٣ :

يجادل كارى ( *Classical Quarterly* ) ، الجزء السابع ، ص ١٩٨ وما بعدها ) فى أن المائى مركب المذكورة فى توكيد يدس ، ١ — ١٠٤ ، تشير إلى قوة أرسلت إلى قبرص ثم قسمت فيما بعد ، جزء منها ذهب إلى فينيقيا ، وآخر إلى مصر ، وربما بقى جزء فى قبرص : وهذا التفسير الذى لا تمارضه أقوال توكيد يدس ، قد يفسر لماذا لم ينتفع أعداء أثينا بفشل هذه الحملة . فيما يخص كريت ، أنظر توكيد يدس ، ٢ — ٨٥ — ٥ ( *πρόξενος* ) فى جورنين أى فى الطريق المصرى المباشر) .

صفحة ٤٧٣ :

فيما يخص لاذالم تقيم في العالم القديم ، حركة « لإلغاء الرق » ، أنظر ، Heitland ،  
Agricola ، ص ٤٤٦ وما بعدها .

صفحة ٤٨١ :

أنظر أيضاً جلوتر ، Travail ، ص ٢٥٤ - ٢٥٧ ، ثم Brilliant ، في  
Les Secrétaires Athéniens ، باريس ، ١٩١١ ، وكذلك Lysias ، ٣٠ - ٢  
وما بعدها ، بخصوص قصة نيكوماخوس ، الذي تمكن بممله كـ كاتب للمجلس ،  
وهو عمل مقصور على العبيد ، من أن يصير أعلم الحمامين في أثينا ، فاختر  
ليكون عضواً بل أهم وأبرز عضو في هيئة أناجرافيس ( ἀναγραφείς )  
التي تشكلت لسن مجموعة جديدة من القوانين بمد ثورة ٤١١ . أما فيما يخص  
بوايس العبيد السبثي فانظر ما سبق ص ٢٠٥ .

صفحة ٥٠٠ :

أعاد دزموور ( Dinsmoor ) في ( American Journal of Archaeology ،  
١٩١٣ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، ترتيب نفقات مباني الأكرول ، وبين أن المساعدة التي سحبت  
من خزينة الحلف لبناء البروبيليا ، وذلك في الأعوام من ٤٣٧ - ٤٣٦ إلى ٤٣٣  
- ٤٣٢ ، « تماثل لها من الضريبة السنوية » ، أي بالضبط المبلغ المقرر دفعه  
لأثينا حسب المعاهدة . أما تكاليف البارثنون نفسه ( من ٤٤٧ - ٤٤٦ إلى  
٤٣٨ - ٤٣٧ ) فمتورة إلى حد كبير ، حتى أنه من الصعب استخراج بيان بها ،  
إلا أن رأى دزموور « أنه من المؤكد » ، أن الحلف لم يساهم في بناء  
البارثنون نفسه بأكثر من ١٠٠ ، أي الحق المشروع ولكن من المسير أن نوفق بين  
هذه الوجهة ، وبين الإقرار القاطع بشأن المجادلة التي دارت بين ركليس وتوكيد يدس  
ابن مليسياس في بلوتارخوس ، Per ، ص ١٢ وما بعدها . وتفسير دزموور  
لهذا ، أن اتهام توكيد يدس لبركليس بإساءة استعمال أموال الحلف كان هراء .

ولكن إزاء خطورة هذه الواقعة ، فإنها صعبة التصديق ، ولا هي متفقة مع قول بلوتارخس . وأسلم من ذلك أن نشاطر كاؤينيك ، ص ٩٣ الرأى ، فى أن أموال الحلف كانت تسل إلى صرافى خزانة الإلهة ، وأن صرافى مالية الحلف « استمروا فى القيام بأعمالهم من تسل الضرائب ، والإنفاق على الأعمال الحربية الجارية ، ولكنهم احتفظوا بمبالغ زهيدة فقط تحت أيديهم » .

صفحة ٥٠١ :

لقد بين كل من وودوارد فى B. S. A. ، جزء ١٦ ، ص ١٨٧ وما بعدها ، وودزموور فى الكتاب السابق ذكره ، أن النقوش المنحوتة فى البارثنون ، والتي كان الرأى السائد أنها مماصرة لمبانيه نفسها ، قد نحتت فى المدة بين الأعوام ٤٣٩ - ٤٣٨ إلى ٤٣٣ - ٤٣٢ ، بعد أن تمت تلك المباني . ولما كان فيدياس منضوبا عليه بعد ٤٣٨ ، فمن المحتمل أنه لم يكن مشرفا على تنفيذها .

صفحة ٥١٣ :

أنظر أيضا التقرير الكامل عن نظام أثينا المالى الذى كتبه اندريادس ( Andreades ) فى الجزء الأول ، ص ٢٢٩ وما بعدها من كتاب *ιστορία της 'Ελληνικῆς δημοσίας οικονομίας από τῶν ἡρωικῶν χρόνων μέχρι τῆς συστασέως τοῦ Ἑλληνικοῦ βασιλείου* ، ( أى تاريخ الاقتصاد اليونانى العام من عصر الأبطال حتى عصر إنشاء الملكية اليونانية ) والذى تناول الموضوع كله بشكل أ كثر نظما .

صفحة ٥١٥ :

فما يخص الملاقات بين كورنث ومستعمراتها أنظر Kalirstedt ، ص ٣٥٧

وما بعدها .

فبايخص مطابقة بيان توكيد يدس والنقوش (الإيجرافية) أنظر وودوارد في J. H. S. ، الجزء ٣٤، ص ٢٨٩ ، الذي يدحض فيه رأى جاردنر . أما فيما يخص ميلوس كمرکز للقرصنة في القرن الرابع ، في عهد سكانها الجدد فانظر [ Dem. ] ، ٥٨ — ٥٦ ، الذي يمزى إلى دينارخوس ( Deinarchus ) . وقد نجح سكان ميلوس في غش الأثينيين المنتصرين عليهم ، إلى حد أن دفنوا ، مبلغ مائة قطعة من النود من ضربهم المحلي ، ولم يكتشف هذا المال إلا عام ١٩٠٧ . أنظر Jameson في Revue Numismatique ، ١٩٠٩ ، ص ١٨٨ وما بعدها ، و Weil في Zeitschrift für Numismatik ، ٢٨ ، ص ٣٥٩ ، ثم بابلون في Revue Numism. ، ١٩١٣ ص ٤٧١ . ثم أنظر أيضاً ما ذكر سابقاً ص ٢٢٧ ، وكذلك الملاحظة في التذييل . أما وجه هذه العملة فعليه نقاحة ( μῆλον ) بينما تختلف رسوم الظهور فأحياناً دوافين ، أو موركس أو عربة أو بعض الرموز الدينية .

# جدول التواريخ

( يجب أن تؤخذ كثير من التواريخ القديمة على وجه التقريب . )

|            |   |
|------------|---|
| ق . م .    |   |
| ١٣٠٠ — ٩٠٠ | أول استقرار اليونان — من آخيين أولا ثم دوريين فيما بعد — بأقسامهم القبلية ، في اليونان وفي الجزر وفي سواحل آسيا الصغرى . بدأت الحياة في القرية بالتركز التاريخي حول المراكز المحصنة .   |
| ٩٠٠ — ٨٠٠  | انتشار الحياة في المدينة ، بقانون أوله الحكام بأنه ، « ورأى بامتيازات محددة » . التاريخ اليوناني التقليدي «لهزويد» و «هومر» ( هيرودوت ، ٢ — ٥٣ ) .  |
| ١٠٠٠ — ٧٠٠ | التجارة الإيجينية مركزة في أيدي الفنيقيين .   |
| ٨٠٠ — ٦٥٠  | ازدياد التجواب والتجارة والاستثمار . انتشار سك النقود التي أخذت عن ايديا ، في كل أنحاء اليونان ، وما أدى إليه من ثورة اقتصادية ، تأثير موحى دلف « كمناصح لليونان الأوروبية » ، ثم الأنبياء العبرانيين ( عاموس ، ٧٥٠ ، وهوسيا ( Hosia ) ٧٤٣ وإيزايا ( Isaias ) ، ٧٢٠ ) . |
| ٨٠٠ — ٧٠٠  | غزو اسبرطة لمينا ( الحرب الميسينية الأولى ) .   |
| ٧٧٦        | التاريخ التقليدي اليوناني لأول احتفال أولمبي .  |
| ٧٥٠        | فيدون « ملك أرجوس يدخل معيارا محمدا للأوزان والمقاييس .   |
| ٧٣٥        | التاريخ التقليدي للمستعمرة الصقلية الأولى ، ناكسوس ، التي شجعها أثولون .  |
| ٧٣٤        | التاريخ التقليدي لتأسيس سيراكوز .   |
| ٧٢١        | التاريخ التقليدي لتأسيس سياريس .  |
| ٧١٥        | التاريخ التقليدي لتأسيس زانتكل ( ميسينا ) .   |
| ٦٨٣ — ٦٨٢  | بدء قائمة الحكام السنويين ( أرخون ) في أثينا .  |
| ٦٦٨        | التاريخ التقليدي لهزيمة اسبرطة على يد أرجوس في هيسايا .   |
| ٦٦٤        | التاريخ التقليدي للمعركة البحرية الكبرى بين كورنت وكورسيرا .  |
| ٦٥٠ — ٦٠٠  | عصر المهرعين في اليونان ( ٦٢٣ ، تاريخ العثور على كتاب التعاليم في معبد اليهود وما ترتب على ذلك من إصلاحات ) :   |
| ٦٤٨        | ( ٦ أبريل ) كسوف الشمس الذي ذكره أرخيلوخوس .  |

|   |           |
|---|-----------|
|   | ق . م .   |
| تأسيس مستعمرة يونانية في ناوكراتس على النيل .   | ٦٤٠ — ٦٣٠ |
| تأسيس سيرين ( طرابلس شمال أفريقيا ) .   | ٦٣٠       |
| خضوع مسينا النهائي لاسبطة ( « الحرب الميسينية الثانية » ) .   | ٦٣٠ — ٦٠٠ |
| الحرب بين أثينا وميتيلين على سواحل الدردنيل . سافو وألكايوس<br>وبيتا كوس في ميتيلين .                                 | ٦٠٠       |
| سولون « حاكم » في أثينا . إلغاء عبودية الدين والتخلف من الديون .  | ٥٩٤ — ٥٩٣ |
| استمرار تشريع سولون .   | ٥٩٣ — ٥٩١ |
| ( ٢٨ مايو ) كسوف الشمس . طاليس ( الرجل الحكيم ) في أوجه .   | ٥٨٥       |
| حكم نبوخاذنزار ( Nebuchadnezzar ) في بابلونيا .   | ٦٠٥ — ٥٦٢ |
| تولى كرويسوس عرش ليديا .  | ٥٦٠       |
| بيزستراتوس يغزو « طاغية » أثينا .   | ٥٦١ — ٥٦٠ |
| مليتادس يغزو « طاغية » الخزسونيز التراقي ( ساحل الدردنيل<br>الشمال ) .  | ٥٥٩ — ٥٥٦ |
| غزو اسبطة لثرياتس ( Thryeatis ) .   | ٥٥٠       |
| حريق معبد أبولون في دلف .   | ٥٤٨ — ٥٤٧ |
| كبروس ، ملك الفرس ، يغزو ليديا ويعزل كرويسوس عن عرشه .  | ٥٤٦       |
| الغزو الفارسي لليونان آسيا .  | ٥٤٦ — ٥٤٥ |
| استيلاء كبروس على بابلونيا .  | ٥٣٨       |
| موت بيزستراتوس .  | ٥٢٨ — ٥٢٧ |
| بوليسكراتس « طاغية » ساموس يتخلى عن محالفة مصر ويحالف الفرس .   | ٥٢٦       |
| غزو الفرس لمصر .  | ٥٢٥       |
| تولى دارا ملك فارس .  | ٥٢١       |
| مؤامرة هارموديوس وأرستوجيتون .  | ٥١٤       |
| أول حملة يوجهها دارا إلى أوروبا ، غزو تراقيا .  | ٥١٢       |
| انتهاء حكم عائلة بيزستراتوس . الاسبرطيون في أتيكا . أثينا تشترك<br>في معاهدة البيلوبونيز . حرب سيبارس وكروتون .       | ٥١٠       |
| إيزاجوراس « حاكم » في أثينا . الاسبرطيون في أتيكا وعاصرتهم<br>في الأكروبول وتسليمهم . كايستينز يقبض على أزمة الأمور . | ٥٠٨ — ٥٠٧ |
| أول سنة أهلية وفق نظام كليستينز .   | ٥٠٣ — ٥٠٢ |
| نشوب الثورة الأيونية على فارس .   | ٤٩٩       |

|           |   |
|-----------|---|
| ق. م.     |   |
| ٤٩٨       | أثينا في حرب مع إيجينا .  |
| ٤٩٧       | الأيونيون يحرقون ساردس مع جيش أثيني .   |
| ٤٩٤       | هزيمة الأيونيين في لادي (Lade) ، واستيلاء الفرس على ميلتوس .  |
| ٤٩٣ — ٤٩٢ | « حكم » ثمستوكليس .   |
| ٤٩٢       | الفرس يخضعون تراقيا ومقدونيا .  |
| ٤٩٠       | الحملة البحرية الفارسية على اليونان . تخريب إريتريا . موقعة مراثون .  |
| ٤٨٩       | حملة مانيادس إلى پاروس .  |
| ٤٨٧       | حرب أثينا مع إيجينا .   |
| ٤٨٧ — ٤٨٦ | ابتداء تعيين الحكام بالقرعة من بين المرشحين المنتخبين . القواد المنتخبون يحملون عمل « البوليمارخ Polemarch » كرؤساء عامين . |
| ٤٨٥       | موت دارا وتولى لجزرسيس .  |
| ٤٨٣ — ٤٨٢ | اكتشاف عرق بديد للفضة في مناجم لاوريون . فيض عظيم .   |
| ٤٨٢       | تقوية الأسطول الأثيني .   |
| ٤٨٠       | ( الربيع ) أثينا تستدعى المواطنين المنفيين .  |
| ٤٨٠       | ( أغسطس ) لجزرسيس يدخل اليونان . مارك أرتميزيوم وثرموبيلاي .  |
|           | ( سبتمبر ) معركة سلاميس .   |
|           | ( ٢ أكتوبر ) كسوف الشمس . القرطاجينيون يفتنون صقلية ، وبهزون في همرا ( Himera ) .   |
| ٤٧٩       | ( الربيع ) الفرس في أتيكا .   |
|           | ( أغسطس ) موقعة بلاتيا ، موقعة ميكالي ، الأيونيون يخرجون على فارس .   |
| ٤٧٩ — ٤٧٨ | ( الشتاء ) تحصين أثينا . استيلاء أثينا على سستوس ( Sestos ) على الدردنيل .  |
| ٤٧٨ — ٤٧٧ | تنظيم أرسطيدس لحلف ديلوس .  |
| ٤٧٦ — ٤٧٥ | استيلاء كيمون على إيون ( Eion ) في تراقيا .   |
| ٤٧٤       | موقعة كيمي ، وهزيمة الإتروسك على يد السيراكوزيين .  |
| ٤٧٣ — ٤٧٢ | كيمون يضرب على أيدي القراصنة في سكيروس ( Scyros ) .   |
| ٤٧٢       | أستخيلوس يكتب « الفرس » .   |
| ٤٧٣ — ٤٧١ | الأيثينيون يخضعون كاريتوس في إيوبيا . نفي ثمستوكليس . « اتحاد » إليس وما نقيفا .  |
| ٤٧١       | هروب ثمستوكليس من اليونان .   |
|           | ( م ٣٦ — الحياة اليونانية )   |

|   |            |
|---|------------|
| ثورة ناكسوس وإخضاعها.   | ٤٧٠—٤٦٩    |
| أول انتصار لسوفوكليس .  | ٤٦٨        |
| موقعة يوريمدون ( Eurymedon ) ثم هزيمة القوات الفارسية برا وبحرا .   | ٤٦٧ أو ٤٦٦ |
| ثورة تازوس ( Thasos ) .   | ٤٦٥        |
| زلازل في اسبرطة ، ثورة الهيلوت . حصار إيثوم ( Ithome ) .  | ٤٦٤        |
| خضوع تازوس ( Thasos ) واتساع أراضي أثينا ومناجها .  | ٤٦٣        |
| ( ٣٠ أبريل ) كسوف الشمس .   |            |
| كيمون في مسينا ليساعد اسبرطة ضد الهيلوت .   | ٤٦٢—٤٦٣    |
| دفع أجور للقضاة في أثينا . أول ظهور بركليس .  | ٤٦٢—٤٦٠    |
| ثقي كيمون . تحالف أثينا مع أرجوس وساليا .   | ٤٦١—٤٦٠    |
| انتصار أثينا على ميجارا . بناء أسوار طويلة لميجارا . النزاع بين أثينا وكورنث . الحملة الأثينية إلى مصر .                            | ٤٦٠—٤٥٩    |
| معارك مع السكورثيين والإبيدوريين والإنجيين في خليج سارونيك .  | ٤٥٩—٤٥٨    |
| نشاط أثينا في قبرص ومصر وفينيقيا وإيجينا وميجارا .  |            |
| أسخيلوس يكتب Oresteian Trilogy . بناء الأسوار الطويلة حول أثينا .   | ٤٥٨        |
| معارك تاجرا ( Tanagra ) وأونوفتا ( Oenophyta ) ، تغلب المذبذب الأثيني في بيوتيا .   | ٤٥٧        |
| ( الشتاء ) غزو الأثينيين لإيجينا .  | ٤٥٧—٤٥٦    |
| موت أسخيلوس . إكمال معبد زيوس في أولبيا . أثينا تدعو اليونان لإصلاح للمابذ التي أحرقتها الفرس .                                     | ٤٥٦        |
| أول ظهور الأسطول الأثيني في خليج كورنث .  | ٤٥٦—٤٥٥    |
| نكبة حملة مصر .   | ٤٥٤        |
| نقل خزانة الخلف من ديلوس إلى أثينا .  | ٤٥٤—٤٥٣    |
| إخضاع إيثوم ( Ithome ) . حملة بركليس إلى خليج كورنث . استقرار السبتيون في ناوياكتوس . معاهدة أثينا مع سيجستا ( Segesta ) .          | ٤٥٣        |
| سلم الثلاثين سنة بين أرجوس واسبرطة . هدنة الخمس سنوات بين الأثينيين والبلوونيزيين .   | ٤٥٢—٤٥١    |
| إصدار قانون في أثينا يقصر حقوق المواطن على المولودين من أبوين أثينيين . إرسال مستعمرين إلى أندروس .                                 | ٤٥١—٤٥٠    |
| حملة كيمون إلى قبرص . موت كيمون . معاهدة مع ميلتوس .  | ٤٥٠—٤٤٩    |
| السلم بين أثينا والفرس ، تحديد المياه الإقليمية .   | ٤٤٨        |
| تحلف بيوتيا ( معركة كورونيا Coronea ) . إرسال مستعمرين إلى الجزر ونيز التراقي ( الدرديل ) وإيوبيا وناكسوس . بدء العمل في البارثون . | ٤٤٧        |



- ق . م .
- ٤٤٧—٤٤٦ ثورة إيوريا وإخضاعها . تخلف ميجارا . فشل الغزو البلوونيزي لأتيكا .
- ٤٤٦—٤٤٥ سلم الثلاثين سنة بين الأثينيين والبلوونيزيين .
- ٤٤٣ تأسيس ثوري ( Thuri ) . نقي توكيديس بن مليسياس .
- ٤٤٣—٤٤٢ تقسيم التحالف الأثيني إلى خمس مناطق . سوفوكليس « رئيس خزانه اليونان » .
- ٤٤٠ ثورة ساموس وبيزانتيوم .
- ٤٣٩ إخضاعها . بركليس في البحر الأسود .
- ٤٣٨ افتتاح البارثنون . يوربيدس يكتب Alcestis .
- ٤٣٦—٤٣٥ اضطرابات في إبيدامنوس .
- ٤٣٥ انتصار كورسيرا البحري على كورنث .
- ٤٣٣ محالفة دفاعية بين أثينا وكورسيرا . اشتراك الأثينيين في المركة ضد الكورنثيين .
- ٤٣٣—٤٣٢ ثورة بوتيديا .
- ٤٣٢ ( الحريف ) اشتداد مقاطعة ميجارا .
- ٤٣٢—٤٣١ المجالس في اسبرطة تقرر الحرب .
- ٤٣١ السنة الأولى من حرب البلوونيز . أول غزو بلوونيزي لأتيكا ( مايو ) . يوربيدس يكتب ميديا ( Medea ) .
- ٤٣٠ السنة الثانية من حرب البلوونيز . انتشار الوباء في أثينا . الغزوة الثانية لأتيكا . عزل بركليس من القيادة ومحاكمته وتفريجه ثم إعادة تعيينه في السنة التالية . فورميو تعمل في القرب : خضوع بوتيديا . إتمام تاريخ هيرودوت .
- ٤٢٩ السنة الثالثة للحرب . حصار البلوونيزيين لبلاتيا . موت بركليس ( الحريف ) .
- ٤٢٨ السنة الرابعة للحرب . الغزوة الثالثة لأتيكا . ثورة ميثياين . يوربيدس يكتب Hippolytus .
- ٤٢٧ السنة الخامسة للحرب . الغزوة الرابعة لأتيكا . خضوع ميثياين . خضوع بلاتيا . نشوب الحرب الأهلية في كورسيرا .
- ٤٢٦ السنة السادسة للحرب . حملة ديموستينز إلى أثوليا بقصد الوصول إلى بيوتيا .

ق. م.

- ٤٢٥ السنة السابعة للحرب . الغزوة الخامسة لأثينا . الأثينيون يرسلون حملة إلى صقلية . احتلال ييلوس ( Pylos ) . أثينا ترفض شروط اسبرطة للصلح . تسليم الاسبرطيين في سفاكتريا . أثينا تزيد الجزية على الحلفاء . أرسطوفانيز يكتب Acharnians . التاريخ المحتمل لسكتيب الأوليجارشى المعجوز .
- ٤٢٤ السنة الثامنة للحرب . أثينا تفوز بأونيا داي ( Oeniadae ) في خليج كورنث ، ثم تستولى على نيسايا مع أسوار ميجارا الطويلة و Cythera . غزو أثينا لبيوتيا ، معركة ديوم . براسيداس في تراقيا . ثورة Acanthus وأمفيبولس ومدن أخرى . نقي توكيديدس المؤرخ . أرسطوفانيز يكتب الفرسان ( Knights ) .
- ٤٢٣ السنة التاسعة للحرب . مفاوضات الصلح . هدنة السنة الواحدة ( مارس ) . ثورة سكيون ( Scione ) . أرسطوفانيز يكتب السحب ( Clouds ) .
- ٤٢٢ السنة العاشرة للحرب . موقعة أمفيبولس . موت كليون وبراسيداس . مفاوضات الصلح . أرسطوفانيز يكتب Wasps .
- ٤٢١ السنة الحادية عشرة للحرب . سلم نيكياس ( مارس ) . أرسطوفانيز يكتب Peace . الاستيلاء على سكيون . قتل السكان أو استعبادهم .
- ٤٢٠ — ٤٢١ معاهدة دفاعية بين أثينا واسبرطة .
- ٤٢٠ السنة الثانية عشرة من الحرب . تحالف أثينا مع أرجوس .
- ٤١٩ السنة الثالثة عشرة من الحرب .
- ٤١٨ السنة الرابعة عشرة من الحرب . هزيمة أرجوس على يد اسبرطة في مانقنيا . أرجوس تكون تحالفاً مع اسبرطة .
- ٤١٧ السنة الخامسة عشرة من الحرب . نيكياس في تراقيا .
- ٤١٦ السنة السادسة عشرة من الحرب . فتح ميلوس . بعثة سيجستا ( Segesta ) إلى أثينا .
- ٤١٥ السنة السابعة عشرة من الحرب . حملة أثينا إلى صقلية . بوريبيدس يكتب Trojan Women .
- ٤١٤ السنة الثامنة عشرة للحرب . أرسطوفانيز يكتب « الطيور » . محاصرة سيراكوز . وصول جيليبوس الاسبرطى إلى صقلية .
- ٤١٣ السنة التاسعة عشرة للحرب . الاسبرطيون يحتلون دكيليا في أثينا .

- حالة أثينا الثانية إلى صقلية . يوريبيدس يكتب *Iphigenia in Tauris* ولالكترا . المعركة الكبرى في ميناء سيراكوز ( ٩ سبتمبر ) . انهزام الأثينيين السكلى .
- ٤١٢ السنة العشرون من الحرب . ثورة حلفاء أثينا . معاهدة ميلتوس ( بين اسبرطة والفرس ) . يوريبيدس يكتب *Helen* .
- ٤١١ السنة الحادية والعشرون من الحرب . ثورة رودس . ثورة أيدوس ولامپسا كوس . اجتماع في كولونوس واتخاذ الأبهة لوضع دستور جديد ( مايو ) . مجلس الأربعمائة يتولى السلطة ( أوائل يونيو ) ، ويحكم حتى سبتمبر . ثورة إيونيا ( سبتمبر ) . تعطيل مجلس الأربعمائة وتأسيس هيئة المحكومة ( سبتمبر ) . معركة كينوسيما ( *Cynossema* ) في الدردنيل .
- أرستوفانيز يكتب : *Lysistrata* و *Thesmophoriazusa* .
- ٤١٠ السنة الثانية والعشرون من الحرب . موقعة كيزيكوس ( *Cyzicus* ) في بحر مرمرية . إعادة الديمقراطية في أثينا . أثينا تسترد تازوس .
- ٤٠٩ السنة الثالثة والعشرون من الحرب . أثينا تسترد كولوفون ، وتفقد بيلوس ونيسايا .
- ٤٠٨ السنة الرابعة والعشرون من الحرب . أثينا تسترد خالسيديون وبيزانتيوم . يوريبيدس يكتب *Orestes* .
- ٤٠٧ السنة الخامسة والعشرون من الحرب . الأمير كيروس الفارسي يزحف إلى الساحل .
- ٤٠٦ السنة السادسة والعشرون من الحرب . موقعة *Arginusae* . محادثة القواد الحماكين وإعدامهم . موت يوريبيدس وسوفوكليس .
- ٤٠٥ السنة السابعة والعشرون من الحرب . أرستوفانيز يكتب الضفادع ( *Frogs* ) ( يناير ) . ليساندر يقود فائدا اسبرطة البحرى . استدعاء كيروس إلى سوزا . إخراج *Bacchae* ليوريبيدس . موقعة إيجوس بوتاموس في الدردنيل ( نهاية الصيف ) .
- ٤٠٤ — ٤٠٥ السنة الثامنة والعشرون من الحرب . حصار أثينا .
- ٤٠٤ خضوع أثينا . هدم الأسوار الطويلة ( أبريل ) . حامية اسبرطية على الأكربول .
- ٤٠١ «أوديب في كولونوس» لسوفوكليس ( أخرجها حفيده ) .
- ٣٩٩ موت سقراط .
- حوالى ٣٩٨ نشر تاريخ توكيديدس .



# الفهارس

## ملحوظة

سيجد القارئ وصفاً كاملاً لكل مؤلف حديث عند أول ذكر له . أما بالنسبة للمصادر القديمة المذكورة فيلاحظ :

**Hellenica Oxyrhynchia** تشير إلى بقايا كتاب لمؤرخ يوناني عاش في القرن الرابع (ربما كان Theopompus) وعثر عليه في مصر عام ١٩٠٦ . ومنذ ذلك الوقت نشر في مجموعة **Oxford Text Series** ، مع بقايا أخرى نسبت إلى مؤلفيها الزعميين .

الأوليغارشي المجوز يشير إلى عمل لمجهول تحت عنوان **Ἀθηναίων Πολιτεία**، وجرت المادة بوضعه بين أعمال إجزينوفون الصغرى كما في نصوص **Teubner** . أنظر **Murray** في مؤلفه **Greek Literature** ، ص ١٦٧ - ١٦٩ . ومن المحتمل أنه يرجع ( وذلك يمكن تقريره اعتماداً على شواهد داخلية ) إلى عام ٤٢٥ . وقد نشره **E. Kalinka** مع ترجمة وشرح كامل ( لينزج ، ١٩١٣ ) . وترجمه إلى الإنجليزية أيضاً فرانسيس بروكس ( **Francis Brooks** ) ( لندن ، ١٩١٣ ) .

**Ways and Means** ، تشير إلى بحث لمجهول تحت عنوان **Πόροι** . والعتاد طبعه بين أعمال إجزينوفون الصغرى التي ما زال يعمد بعض العلماء أنه مؤلفها . ويكاد أن يكون مؤكداً تاريخها بعام ٣٥٥ .

**I. G.** تشير إلى مجموعته برلين **Inscriptiones Graecae** .

**I. G. A.** اختصار ل **Inscriptiones Graecae Antiquissimae** .

لأسباب مطبعية لم أتمكن من إثبات الصفحات المذكورة فيما بعد على وجهها الصحيح .

| الصفحة | السطر    | التصويب                           |
|--------|----------|-----------------------------------|
| ٣٧     | هامش ١   | س ٣٥                              |
| ٤٢     | هامش ٧   | س ٢٧٢ — ٢٧٣                       |
| ٤٨     | هامش ١١  | س ٧٧                              |
| ٦٩     | هامش ١٣  | س ٤٤٧ — ٤٤٨                       |
| ٩٣     | هامش ١٢  | س ٢٠٤ بدلا من ١٧٥                 |
| ٩٥     | هامش ١٩  | س ١٢٢ بدلا من ١١١                 |
| ٩٩     | هامش ١   | س ١٨٠ بدلا من ١٥٧                 |
| ١٣٠    | هامش ٤   | ملاحظة س ٣٦٤ بدلا من ملاحظة س ٣٠٣ |
| ١٤٦    | هامش ٨   | س ٩٦ بدلا من ٩٠                   |
| ١٤٦    | هامش ١٢  | س ١٩٢ — ١٩٣ بدلا من ١٦٧           |
| ١٨٥    | هامش ١٨  | س ٢٢١ بدلا من ١٨٨                 |
| ٢٠٨    | هامش ٥   | س ٥٠٨ بدلا من ٤١٦                 |
| ٢٠٩    | هامش ١١  | س ٤١٠ بدلا من ٣٣٩                 |
| ٢٠٩    | هامش ١٣  | س ٤٦٢ بدلا من ٣٨٠                 |
| ٢٣١    | هامش ٢   | س ٥٠٠ بدلا من ٤١٠                 |
| ٢٧٦    | هامش ٣٤٢ | س ٣٤١ بدلا من ٢٨٤ — ٢٨٥           |
| ٢٤٦    | هامش ١   | س ٥٠٦ — ٥١١ بدلا من ٤١٥ — ٤١٨     |
| ٣١٥    | هامش ٧   | س ٤٧٥ — ٤٧٨ بدلا من ٣٩٠ — ٣٩٢     |
| ٣١٥    | هامش ٩   | س ٥٠٢ بدلا من ٤١٢                 |
| ٣١٩    | هامش ٤   | س ٣٩٧ بدلا من ٣٢٩                 |
| ٣٤١    | هامش ١٣  | س ٣٤٣ بدلا من ٣٦٥                 |
| ٤٦٤    | هامش ٣   | س ٤٨٧ بدلا من ٣٩٩                 |

يجد القارىء في هامش س ٥٠٣ ملاحظتين مع الإشارة إلى واحدة فقط في النص وذلك كما جاء في الطبعة الإنجليزية . وأرجو أن الملاحظة الأولى تتعلق بالمجموع الوارد في س ٥٠٢ ، بينما الثانية هي الخاصة بصفحة ٥٠٣ .

## فهرس المؤلفين الحديشين

هذا الفهرس يشمل كل مؤلف حديث وكل مجلة\* ذكرت في الكتاب .  
ونسهيلا للقراء وضمت نجمة على أسماء المؤلفين الذين يمكن أن يرجع إليهم  
بنوع خاص .

بتلر : ٩٩  
برانقس : ٣٨٨  
براون ( هوراشيو ) : ٢٥٧ ، ٥٢  
براوننج : ٢ ، ٣ ، ١٠١ ، ٤٠٧  
برديات أوكسبرنجس : ٤٠٠  
\* برك ( بيرك ) : ٥٧ ، ٨٥ ، ١٨٠ ، ٢٣٦  
بركت : ٢٥٤  
برونز : ٤٠٧  
برى :  
History of Greece to the Death  
١٢٣ ، of Alexander the Great  
Romances of Chivalry on Greek  
Soil ، ٧١  
بلومتر : ٣١١  
پوتنام ( إملي جيمس ) : ٨٦ ، ٢٢٨ ، ٤١٢  
پوتير ، ٣١٧ ، ٣٨٩ ، ٤٥٦  
پوت ( تشارلز ) : ٣٣٠  
پوخسنشوتز : ٢٨١  
پوزولت : ١٥٥ ، ٣٢٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٢  
پوكج : ٣٥٦  
پولاند : ٣٢٣  
پوجل : ٣٢٤  
پولمان : ٢٧٧ ، ٣٥٦

( ١ )

أبراهام : ٢٥٥  
أثشلي : ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٣  
آدامز ( جين ) : ٦١ ، ٦٩  
أردايون : ٤٨٨  
أشادحاييم : ٢١٢ - ٢١٣  
إليوت ( هامش )  
إنجيل ( نورمان ) : ٢٩٤ ، ٥٠٥  
أورى : ٤٨٢ ، ٤٨٥  
أونامونو : ٢٨٨  
أوبهارا : ٨٦  
إيشان موللر : ٢٧٥ ، ٢٧٧  
إيشانز ( سبر آرثر ) : ٣٦٤

( ب )

بارسن ( الإسكندر ) : ٦٩  
بارسن ( د . ر . ) : ٤٨٢ ، ٤٨٨  
بانير : ١٢٥  
بانس ( جريدة ) : ١٦٠  
باولي فيسوقا ( دائرة معارف ) : ١١٥ ،  
١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٩ ،  
٣٤٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ،  
٤٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٥٢

\* رأيت في الترجمة أن أفرد المجلات المثبتة في الطبعة الإنجليزية في فهرس المؤلفين  
الحديشين وملحقه فهرساً خاصاً ، وأثبتها بلفتها الأصلية حتى يكون في ذكرها على هذا النحو  
نفع مؤكداً للقارىء .



۱۱۰ ، Études sociales et juridiques

۴۰۰ ، ۱۶۷ ، ۱۱۱

Bulletin de correspondance في

۱۹۳ : hellénique

، ۵۴۸ ، Travail : ۲۶۸ ، ۳۱۱ ، تذييل ، ۵۴۸ ،

۵۵۶ ، ۵۵۲ ، ۵۴۹

Comptes rendus de l'Académie في

des Inscriptions et Belles-Lettres

. ۳۲۳

جوته : ۲

جوين : ۳۰۶

جيرنيت : ۲۰۳ ، ۴۳۹

جيروود : ۲۷۷ ، ۳۱۸ ، ۳۲۳ ، ۳۹۱

جيليارد : ۱۴۸

( د )

دارست : ۳۸۰

\* دارميرج وساجليو ( قاموس عن الآثار )

، ۵۰ ، ۵۲ ، ۱۵۴ ، ۱۶۷ ، ۱۹۱ ، ۲۲۳ ،

، ۳۱۸ ، ۳۴۸ ، ۳۵۱ ، ۳۵۶ ، ۳۷۶ ،

، ۴۰۰ ، ۴۸۸

داروين : ۲۱۲ ، ۳۹۳

دازامبوچا : ۲۸۶

دائل : ۳۶۶

دافيز : ۳۷۲ ، ۳۷۵

داكينز ( داكتر ) : ۲۰۶ ، ۴۶۸

دلبروك : ۳۰۳ ، ۵۲۵

دوريفلد ( دوريفيلد ) : ۹۰ ، ۳۵۸

دونالدسون : ۴۰۷ ، ۴۱۱

\* ديئمبرجر : Sylloge Inscriptionum

: Graecorum ( الطبعة الثانية ) :

، ۲۰۵ ، ۲۷۹ ، ۳۰۲ ، ۳۱۳ ،

، ۳۲۴ ، ۳۳۲ ، ۳۳۹ ، ۳۵۵ ، ۳۵۷ ،

، ۳۷۵ ، ۴۳۸ ، ۴۴۳ ، ۴۶۷ ، ۴۸۰ ،

دى سانككتيس : ۱۳۰

ديكنز : ۴۱۲

ديمولان ( ديولان ) : ۲۵ ، ۷۱ ، ۳۸۲

بيرارد ( برارد ) : ۱۶ ، ۲۴ ، ۲۶ ، ۴۹ ،

، ۹۱ ، ۲۸۷ ، ۳۸۳ ( نقد « قانون البرزخ » )

بيرز ( سير إدوين ) : ۱۷

بيرنز ( Rt. Hon. John ) : ۳۵۶

بيزلى : ۳۱۹

بيلوخ : ۲۰۳

( ت )

تارد : ۲۶۸

ترنر ( چ. ك. ) : ۴۹۰

تريفليان ( سير ج. أ. ) : ۴۱۹

تريفليان ( ج. م. ) : ۹۹

ترانجفيل : ۳۳۶

تشيكونى : ۴۷۹

تود : ۳۱۹ ، ۴۱۳ ، ۴۶۷

تود ( كانون ) : ۸۹

توكر : ۴۰۰

تولستوى ، ۱۰۱

توينى : ۲۳۱ ، تذييل ، ۵۴۹

( ج )

چاكوپى : ۴۵۶

چالتون ( سير ف. ) : ۴۴۷

چب ، نيوفراستوس : ۴۸ ، ۶۳ ، ۱۹۵ ،

، ۲۵۶ ، ۳۷۷ ، ۳۹۰

سوفوكليس : ۱۸۵ ، ۳۲۴ ، ۴۲۰

جرانفل وهنت. أنظر برديات أو كمبرنخس

جروت : ۱۵۹ ، ۱۵۹ ، ۱۳۰ ( الملاحظة

في الطبعة المختصرة )

جروندى ( جروندى ) ، ۴۵ ( خريطة ) :

، ۹۰ ، ۴۲۱

\* جلوتز

La Cité Grecque ، ۱۸۶ — ۱۸۹

، La Solidarité de la famille ، ۸۶

، ۱۱۴ ، ۱۱۶ ، ۱۵۱ ، ۱۵۴

L'Industrie dans la Grèce antique

۴۵۳ ، ۳۸۹ ، ۳۱۵-۳۱۳ ، ۲۷۳ ، ۲۰۸

Les Finances des cités grecques

، ۵۰۳ ، ۴۹۸ ، ۴۹۷ ، ۳۸۲ ، ۲۵۹

۵۳۹

۴۳۹ : Le Pain à bon marché

De la condition des étrangers

۴۶۷

فرانکی : ۴۸۰

، ۳۷۵ ، ۳۷۲ ، ۱۳۴ : فررو ( فریرو )

۴۳۹ ، ۴۳۴

فریمان ( I - E. A. ) : ۷۹

فریمان ( ك - ج ) : ۳۵۷ ، ۴۶۷

فلهاوسن : ۸۹

فورتفانجلر وریشمولد : ۴۹ ، ۳۹۰ ، ۴۱۴

فوستل دوکولانیچ : ۸۶ ، ۹۵ ، ۱۰۷

فوکاس ( فاوکوس ) : ۲۰۳ ، ۵۰۹

فویچاند : ۴۳۷

فیرجسون : ۱۷۷

● فیلاموئتر - مولیندرف

، ۵۱ : Aristoteles und Athen

، ۱۱۵ ، ۱۳۰ ، ۱۴۸ ، ۱۶۴ ، وما بعدها ،

، ۱۶۷ ، ۱۷۰ ، ۱۷۸ - ۱۸۰ ، ۱۸۷ ،

، ۱۸۹ ، ۱۹۱ ، ۱۹۷ ، ۲۰۱ - ۲۰۵ ،

۲۱۴ ، ۲۷۸ ، ۴۰۸ ، ۴۴۳ ، ۴۸۰ ، ۵۱۰ ،

، ۱۴۶ ، ۹۳ ، ۹۰ : Aus Kydathen

، ۱۵۵ ، ۱۷۲ ، ۲۰۱ ، ۲۲۵ ،

۲۲۷ ، ۳۲۱

۴۳۷ ، ۳۷۵ : Ein Gesetz von Samos

۴۰۵ : Hippolytus

۱۵۰ : Nord-Ionische Steine

۱۱۱ : Oedipus

، ۴۱۶ ، ۱۳۹ ، ۱۱۱ ، ۸۰ ، ۴۰ : Orestie

۲۳۴ : Platon

( ر )

راسکین ( راسکین ) : ۳۰۶ ، ۴۲۴

روثر فورد : ۴۰۷

رود ( سیرنل ) : ۷۱ ، ۲۸۸

روشپر ( Lexikon ) : ۷۹

● رینزلر : ۲۵۸ ، ۲۹۶ ، ۳۶۵ ، ۳۷۵ ، ۳۸۰

رید جوی : ۸۸ ، ۳۶۴ ، ۳۶۵

رینان : ۱۷۲

( ز )

زیبارت : ۳۳۲ ، تذیل : ۵۴۹

زیرن : ۴۸۸ ، ۴۸۰ ، ۴۸۹

( س )

سادلر : ۷

سالفیولی : ۳۲۵ ، ۴۳۹

سایکس ( سیرمارك ) : ۶۲

سندوول : ۱۸۲ ، ۱۸۷ ، ۲۰۴

سودهوف : ۴۹

سیلی : ۱۱۹

( ش )

شادویک : ۷۹

شذیوب : ۲۳۷

شریبر : ۳۵۶

شمیت : ۷۱

( ف )

فاخسموت : ۳۲۹

فانیسکی : ۴۸۱

فرانس ( آنا تول ) : ۳۲۷

● فرانکوت :

، ۸۴ ، ۸۳ : La Polis grecque

، ۱۷۷ ، ۱۷۳ ، ۱۷۱ ، ۱۷۰ ، ۹۶

- کورنیوس : ۱۳۹  
 لیپرت ( Festschrift für ) : ۳۵۶  
 کیرنس : ۴۰۱ ، ۴۶۹ ، ۴۸۹  
 کیبل : ۲۰۵ ، ۳۶۶ ، ۴۹۹  
 کینج لیک : ۱۵  
 ( ل )  
 لئینجستون : ۴۰۲  
 لئیکولان ( أبراهام ) : ۱۸۶ ، ۲۳۶  
 لمان — هاویت : ۳۶۴  
 اللوفر ( ألبوم ) : ۴۹  
 لیدله وسکوت : ۳۷۴ ، ۳۸۳  
 لیف : Troy ، ۱۷  
 Homer and history ، ۱۷ ، ۲۲ ،  
 ۱۱۳ ، ۳۸۲ ، ۳۸۳ ، ۵۱۶  
 لیکرفان : ۳۵۱

( م )

- مارشال : ۲۵۲  
 مارکس : ۴۸۸  
 ماکیال : ۴۴۹  
 ماکیفر : ۴۴۸  
 مالتوس : ۳۹۳  
 ماتز بردج : ۴۴۸  
 \*مایر ( إدوارد ) :  
 Forschungen zur alten Geschichte  
 ، ۷۹ ، ۸۳ ، ۲۰۳ ، ۲۰۸ ، ۲۷۷ ، ۴۰۸ ،  
 ، ۴۵۶ ، ۴۹۷ ، ۵۰۳ ، ۵۰۹ ، ۵۲۳ ،  
 ، ۸۴ ، ۸۰ ، Geschichte des Altertums  
 ، ۹۳ ، ۹۵ ، ۹۶ ، ۱۲۲ ، ۱۲۶ ، ۱۵۰ ،  
 ، ۱۶۸ ، ۱۷۰ ، ۲۲۳ ، ۲۲۹ ، ۲۳۹ ،  
 ، ۳۰۲ ، ۴۰۹ ، ۴۲۵ ، ۴۲۷ ، ۴۵۲ ،  
 ، ۴۵۵ ، ۴۵۶ ، ۴۵۹ ، ۵۲۳ ، ۵۲۶ ،  
 ، ۳۰۸ ، ۱۲۹ ، Kleine Schriften ۴۸۲

- ، ۴۵۰ ، ۴۳۲ : Reden und Vorträge.  
 ( أنظر الاضافة ) ، ۴۵۳ ، ۴۵۶  
 Staat und Gesellschaft der Griechen.  
 ، ۱۵۰ ، ۱۹۱ ، ۱۹۳ ، ۲۰۵ ، ۳۵۱ ،  
 ، ۴۰۰ ، ۴۰۹ ، ۴۱۷

: Griechisches Lesebuch ( text ).  
 ۲۲۶ ، ۲۴۰

، ۴۱۷ ، ۴۰۷ ، ۲۲۵ ، Articles in Hermes.  
 ، ۴۱۶ ، ۴۱۷

فیلیسون : ۱۸۰ ( Phillipson )  
 \*فیلیسون : ۱ ، ۲۹ . ( Philippson )

( ك )

- کاپس : ۴۰۰  
 کارینتر ( إدوارد ) : ۴۱۷  
 کارکوپنو : ۱۹۶  
 \*کاثینیاک  
 Études sur l'histoire financière d'Athènes au Vme siècle, Histoire de l'antiquité  
 ، ۲۰۳ — ۲۰۲ ، ۱۶۷ ، ۹۱ ، Vol. II  
 ، ۲۱۸ — ۲۱۹ ، ۲۲۷ ، ۲۳۰ ، ۳۳۲ ،  
 ، ۳۵۱ ، ۳۷۰ ، ۴۸۳ — ۴۸۵ ، ۴۹۳ ،  
 ، ۵۰۵ ، ۵۰۹ ، ۵۳۶ ، ۵۳۹  
 کالدربینی : ۴۷۹ ، ۴۸۰  
 کانتجهام ( ه — چ ) : ۱۹۶  
 کافنجهام ( و . ) : ۱۳۰ ، ۵۰۴  
 کیلنج : ۱۴  
 کراولی ( کراولای ) : ۲۹۵ ، ۵۴۳  
 کروس ( لورد ) : ۳۹۰  
 کلارک ( کایرک ) : ۲۰۷ ، ۴۵۳ ، ۴۶۷  
 کلاسین : ۲۲۵ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷ ، ۴۹۰  
 کلاوز فینر : ۵۲۵  
 کویت : ۳۳۴  
 کورتفورڈ : ۲۱۴  
 کورنمان : ۹۰ ، ۳۵۶

• نیتشه

Philologika ( Works; vol. XVII )

ف ، ١٩٩ ، ٤١٤

Was ich den Alten verdanke

٢٣٦ ، ٧٦ ( Works, Vol. VIII )

٢٣٣ : Also Sprach Zarathustra

نیتشن ( نیتشنون ) : ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٠

( ه )

هاثر نیلید : ٣٥٦

هاکلوٹ ( هکلیت ، هیکلوٹ ) : ٣٤

چون لدرد ( ، ٣٠٢ ، ٤٦٢ )

هاهن : ٤١٦

هد ( هید ) : ٣٦٤ ، ٣٦٩

هدلام ( چ . و . ) : ١٨٩ ، ١٩١

هدلام ( و . ) : ٢٠٧ ، ٤٨٣

هلینچ : ٤٥٦

هلقریک : ١٩٥

ههن : ٥٤

هوایتلو : ١٥٨

هوئاز ( ادموند ) : ٤٤٨

• هیکس وهیل : ١٨٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٥٥ ،

٣٠٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٣٩١ ، ٤٣٥ ،

٤٤١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧٤ ، ٥٢٧ ،

٥٣٩ .

هیل : ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٤٥٥

( و )

والاس :

: Human Nature in Politics

٢٣٥ ، ٢٣٠

٢١١ ، ٢٦٦ ، The Great Society

والسکر : ١٣٠

والون ( فالون ) : ١٢٢

وردزورث : ١١٧ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧

• ماہرز

Greek Lands and the Greek People

٢٩٧ ، ٢٧٦ ، ٥٨ ، ٤٣ ، ١

، ٨ : Anthropology and the Classics

٤٠٧ ، ٢١٢ ، ٤٤

The Geographical Aspect of Greek

٣٠٦ ، ٣٤ ، ٨ ، Colonization

Odes in Contribution to : مریدیت

٥٤٤-٥٤٣ : the Song of French History

میلچان : ٤٠٠

مہانی : ٢٨١ ، ٤١٣

• موری ( جلبرت ) :

٢٣٤ : Ancient Greek Literature

، ٢٤ ، ١٦ : Rise of the Greek Epic

١٣٧ ، ١٣٥ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٤٧

، ١٥٤ ، ١٤٥ : Euripides ( مقدمہ الترجمة )

٤٢٧ ، ٤١٤ ، ٢٣١

Euripides ( تملیق علی النص اليونانی ) : ١٦٧

ترجیات :

٤٧٣ : Bacchae

٣٠٥ : Iphigenia in Tauris

٤٠٧ ، ٢٨٥ ، ٩٦ : Medea

٦ : Troades

• وریس ( ولیام ) : ٣٤٤

• مولر ( مولار ) : ٢٠٩ ، ٤١٠

• مونٹسکیو : ٢٥١ ، ٤٤٥ ، ٤٦١

• مونزو : ٧٩ ، ٩٢

• میوکل : ٣٥٦ ، ٣٨٢

• میشل : ٣٨٧

• میلر : ٤ ، ٧١

( ن )

انصوم بخارہ ، أنظر دینتبرجر وهیکس

• وهیل

(ى)

يونج : ٢٥٥

وستمارك : ٢٦٩

ولز ( ه . ج ) : ٢٦٦

\* وللم : ١٦٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢

٤٤٣ ، ٢٨٧

وزرس ( هارتلى ) : ٢٦١

## ملحق فهرس المؤلفين

(ف)

فان هوك : التذييل : ٥٥٥

فيل : التذييل : ٥٥٨ ، ٥٥١

فينو جرادوف : التذييل : ٥٤٨ ، ٥٥١

(ك)

كارى ، التذييل : ٥٥٥

كالهون ، » : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠

كاهرستنت ، » : ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٧

كوربت ، » : ٥٤٦

كوهلر ، » : ٥٤٩

(ل)

ليدل ، التذييل : ٥٥٠

لوجارد ، » : ٥٤٥

(ن)

نيبوليتزكى ، التذييل : ٥٤٥ ، ٥٤٦

(هـ)

هاليداي ، التذييل : ٥٥٢

هولاند ، » : ٥٤٨

هيتلاندر ، ٦ ، التذييل : ٥٥٢ ، ٥٥٦

(و)

وليامسون ، التذييل : ٥٤٦ ، ٥٥٤

وودوارد ، ٢٣٠ ، التذييل : ٥٤٨ ، ٥٥٠ ،

٥٥٨ ، ٥٥٧

(ا)

اندريدز : التذييل : ٥٥٢ ، ٥٥٧

اور : » : ٥٥٤

اورث : » : ٥٥٢

اورويك : » : ٥٤٧

(ب)

بابلون : التذييل : ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٨

باريني : » : ٥٤٩

بريانت : » : ٥٥٦

بلاسارت : » : ٥٥٠

(ج)

جاردر : التذييل : ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٤

چامس : » : ٥٥٤

چامسون : » : ٥٥٨

جمية هاكليت : ٢٨٨

(د)

دنسمور : التذييل : ٥٥٦

(ر)

روسشترف : التذييل : ٥٤٦ ، ٥٤٧

(ز)

زوابوتا ( دى ) التذييل : ٥٤٨

(ش)

شولتن : التذييل : ٥٤٥

## المجلات

Journal of Hellenic Studies : ٢٠٣ ،  
٢٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٦٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٥٠٩ ،  
التذييل . ٥٤٨ ، ٥٥٨  
Klio : ٩١ ، ٣٣٢  
Mediterranean pilot : ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ ،  
٣٣ ، ٣٥  
Mélanges d'archéologie et d'histo-  
ire (Journal of French School  
٢١ : at Athens)  
٤٣٩ : Mélanges Nicole  
Münchener archäologische Studien  
٣٨٩ .  
Nation, The ( London ) : ١١٦  
Neue Jahrbücher für das klas-  
sische Altertum : ٣٥٦  
Quarterly Review, The : ٣٥٨  
٤٥٦ ، ٣٨٩ : Revue archéologique  
٣٨٨ : Revue Belgique  
٣٨٠ : Revue des études grecques  
٥٥٢ ، ٥٥٠ ، التذييل  
Revue Numismatique : التذييل ،  
٥٥٨ ، ٥٥١  
Sociological Review : ٤٨٠ ، ٤٨٩ ؛  
٣٥٦ : Times, The  
Transactions of American Philolo-  
gical Association : التذييل ،  
٥٥٥  
Yiddish — English Conversation  
١٤٠ : Manual  
Zeitschrift für Numismatik : التذييل  
٥٥٨ .

American Journal of Archaeology  
٢٥٥ ، ٢٨٣ ، التذييل : ٥٥٦  
Annual of British School at Athens  
٢٦ ، ٢٣٠ ، ٣١٩ ، ٣٦٧ ، ٤١٣ ،  
٤٦٧ ، ٥٤٠ ، التذييل : ٥٥٠ ، ٥٥٧  
Athenische Mitteilungen : ٣٧٤  
Annual ، أنظر ، British School  
Bulletin de correspondance hellé-  
nique : ١٩٣ ، ٣٤١  
Cambridge Modern History :  
٢٥٧ ، ٣٥٢  
Charleston Mercury, The : ٤٦٩  
Classical Association, Proceedings  
٨ ، ٣٤ ، ٣٠٦ : of the  
١٧٧ : Classical Philology  
٥٥٥ ، التذييل : Classical Quarterly  
١٩٦ : Classical Review  
Comptes rendus de l'Académie  
des Inscriptions et Belles-  
Lettres : ٣٢٣  
Cultura : التذييل ، ٥٤٥  
Fleckeisen's Jahrbücher : ٢٠٩ ،  
٤١٠  
Gottingische Gelehrte Anzeigen :  
٥٣٧  
Hermes : ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٨١ ،  
( أنظر أيضاً فيلاموثيتز ) .  
Inscriptions juridiques grecques :  
١٢٦ ، ٢٧٩  
Jahreshefte des österreichischen  
Archäologischen Instituts :  
٢٥٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤١ ، ٣٩٠ ، ٤٣٧

فهرس الكلمات والعبارات اليونانية

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| ۲۵۲ : άχρεϊός                | ۱۱۰ : άσάμην             |
| ۲۲۷ : βαναυσία               | εΑ۰ : 'Αβροσϋνα          |
| ۲۱۵ : βασανίξειν             | ۲۲۲ : άγειν και φέρειν   |
| ۹۵ : βασιλεύς                | ۶۵ : 'Αγορά, άγοράζειν   |
| ۱۹۱ : βουλή                  | ۲۲۲ : άγών               |
| ۱۷۰ : γεννήται               | ۱۷۷ : 'Αειναϋται         |
| ۹۵ : γέροντες                | ۱۲۶ : Αϊδώς              |
| ε۱۷ : γεωργοί                | ۱۲۶ : αίσχϋνη            |
| ۱۲۷ : γνῶθι σεαυτόν          | ε۰ : άλλος               |
| ε۰۰ : γνωρίσματα             | ۱۲ : άλλώνητον           |
| εΑ۱ : γραμματεϊς             | ۲Α۷ : "Ανακες            |
| ۱۵۲ : γραφαί                 | εΑε : άνδράποδον         |
| ۱۲۵ : γυναικοκρατουμενοι     | ۵۲ε : άνήκεστος          |
| ۲Α۷ : δαίμονες               | ۶ε : άξίωσις             |
| ۲۷۶ : δάνειον                | ۷۷ : άπαις               |
| ۱۰۱ : δαμιόργιον             | ۱۷۱ : 'Απάτορια          |
| ε۱ : δένδρον                 | ۵۲۷ : άποδεκτής          |
| ۲Α۲ : δεϋτερος πλους         | ε۳۵ : άπόρρητα           |
| ۲۲۵ , ۲۰۲ , ۱۱۵ : δημιουργος | ۲۱۵ : άποφορά            |
| ۱Α۲ , ۱۷۹ : δῆμοι            | ε۲۲ , ۲ε۱ : άπραγμοσϋνη  |
| ۱۵Α : δημοκρατία             | εΑ۱ , άρχή               |
| ۱۲۰ : δῆμος τε πόλις τε      | ۱Α۵ : άρχή άνδρα δείξει  |
| ε۹۳ : δημόσιον               | ۲۲۵ , ۱۶۰ : άρχοντες     |
| ۱۲۰ : δήμου ήγεμόνες         | ۱۲۰ : άστοι              |
| ۱۵۲ : δίκαι                  | ۲Α۰ : άσυλία             |
| ۱۰۲ : δίκη                   | ۹۵ : άτίμητος μετανάστης |
| ۱۲۵ : δοϋλοι                 | ۱ε : 'Ατλαντίς           |
| ( ۳۷ μ — الحياة اليونانية )  | ۲Α۲ : αϋτόφορτος         |
|                              | ۹۶ : αϋτόχθων            |
|                              | ۹۵ : άφρήτωρ άθέμιστος   |
|                              | άνέστιος                 |

ρρτ : ξήλος

ι00 : ήλιαία

ι·ρ : θέμις

ρλν : θεοί σωτήρες

ρ·0 : θεωρία

ρρτ : θίασος

ρε· : ἴδιος

ρ0ρ : ιδιώτης

ιι0 : ἱερομνήμονες

00ρ, ρ00 : ἱμάτιον

ε7ε : ἰσηγορία

ιε· : ἰσονομία

ιβ7, 99 : ἰσόνομος

ρε : κακοῦργοι

ι0ε : κακωσέως γραφαί

ιρ0 : Καλλιρρόη

καρποῦσθαι τήν ἀρχήν

ρ·ε

ρρ7 : κατηλέυειν

λι : κατὰ κώμας

ιρτ : κατωνακοφόροι

ρ7ε : κήρυκες

ρ70 : κίβδηλος

9ρ : κληροί

ιρρ : κληροῦχοι

ιρρ : κληρωταί

0ν : τὸ κοινόν

ιρτ : κονίποδες

049, ιρτ : κορυνηφόροι

ρ7ν : δραχμή

ιρ· : δρόμος

ρρ· : δυσέρωτες

ε7ι : δυσκολὸν θρέμμα

ε7ν : ἔγγραφοι

ι7ι : ἔγγυα παρά δ' ἄτα

νρ : ἔθνος

0ε : εἶριον ἀπὸ ξύλου

7ε : εἰς μεσον

: ἑκατόμβοι' ἑννεαβίων

ρ7ρ

ιρ· : ἔκτημόροι

ρ7· : ἔλευθεριά

ρ7ε : Ἐλευθέριος

ρ·0 : ἔμπορία

ρ·0 : ἔμπόριον

ρλρ : ἔμπορος

ρ70 : ἐπίσκοποι

ρ7ρ, ι9· : ἐπιστάτης

9· : ἔργα ἀξιόλογα

ρ7λ, ρ7ν : ἔρανος

ρρ· : ἔρασταί

97 : Ἐρεχθεῖδαι

νε : Ἐστία

ε7· : ἑταίρα

λν : Τὸ εὐ ζῆν

ρρρ : εὐδαιμονία

ρ·ν : εὐφρων

ρρρ : ἔφεσις

ρ47 : ἔχθρος

ρρ7 : ζευγος

97 : Ζεὺς πατρῶς



ρν : ὄβελος  
ρν : οἰκείς  
ελε , νε : οἰκέτης  
νεγ : ὀλιγαρχία  
ιν· : ὁμογάλακτες  
ιν· : ὄργεῶνες  
ινι : ὄργια  
εγ : ὄψον  
  
ελε : παῖς  
ει· : παλλακή  
γα : παμβοιώτια  
ελε· : παραμονή  
ελλ : παράστασις  
π : παρρησία  
νε , γ· : τὸ πάτριον  
ιν· : πενιχροί  
ιν· : περίοικοι  
γε· : περιορᾶν  
νε : περίπλοι  
εγν : περίπολοι  
λε : πόλεις  
λε : πολίτης  
ινγ : προφήτης  
ινλ , γρ : πρυτανεῖον  
ιν· : πρυτάνεις  
γ·ο : πρυτανεύειν  
  
εγ : σίτος  
σκοπέειν τινὰ τὰ ἑωυτοῦ  
ινγ

ινλ : κόσμος  
ελ : κρασέ  
νε : κυνόσουρα  
ειγ , ιγγ : κυνόφαλοι  
εγγ , γρ : κωλακρέται  
ιν·ο : Κωλίας  
εγ : κῶμαι  
  
γ·γ : λειτουργία  
εγν , γ·ε : λειτουργεῖν  
ινι : Λύσανδρος  
  
ιν·ο : μελάνυδρος  
εγγ : μεταβάλλειν  
εγγ : μεταμανθάνειν  
γ·γ : μέτοικοι  
ινγ : μετρίως  
νε·ε : μνήμονες  
εγ·ο : Μυρίανδρος  
εγ : Μύρμηξ  
  
ελλ : ναύκληρος  
εγν : Ναύκραροι  
εγγ : Νέμεσις  
εγγ : νοσεῖν  
εγγ : νόμος ἐπ' ἀνδρῶ  
  
εγν , εγγ : ξένος  
νε·γ : ξόανα  
εγγ : ξυμβόλαια  
εγγ : ξυμβολή  
εγγ : ξύμβολον

|                                 |                       |
|---------------------------------|-----------------------|
| 11. : φιλότης                   | 0.ε : στέλεχος        |
| ε1ν , 12. : φόρος               | 7. : στιχυμυθία       |
| 13λ : φορτηγός                  | 111 : συνέδριον       |
| 111 : φράτριος                  | ε1λ : σύνταξις        |
| ε1τ : φρύγανα                   | 111 : συντελείς       |
| 11τ : φυλή                      | ε1ε : σῶμα            |
|                                 | 11ν , 11ν : σωφροσύνη |
| ε19. , 110. , 11ε : χειροτέχναι | 011 : τάξις φόρου     |
| 111 : χειρώνακτες               | 11λ : τόκος           |
| 10ε : χιτών                     | 1ε1 : τριεραρχία      |
| 1ε1 : χορηγία                   |                       |
| 111 , 11ε : χρέος               | ε1 : ὕλη              |
| 10τ : χρημάτων κρείσσων         | 11ε : ὑλοτόμος        |
| 110 : χωρίς οἰκοῦντες           | ε11 : ὑπηρέται        |
|                                 |                       |
| ε10. : Ὀφελίων                  |                       |
| 111 : ὦχ ὦχ                     | 1.ν : φίλος           |

# الفهرس العام

هذا الفهرس أعد للذين قرأوا الكتاب ويرغبون في الرجوع إلى بعض مواضيع عولجت به . وعلى ذلك عنى بنوع خاص بالهوامش والمواضيع التي بحثت بحثاً كاملاً وصرف النظر عن الأشياء التي يسهل معرفتها من منهج الموضوعات .

الأخوات : ٧٣ ، ١٠٣ ، ١٧٠ وما بعدها ،  
 أنظر : ٣٢٠ - ٣٢١  
 الأدراميتيوم ( خليج ) : ٤٥٩  
 الأدرباتيك : ٢٩ . أنظر : ٣٠١ ، ٣٠٥  
 إطاء السياسة : ٣٢٠  
 لارتريا ( ارتيريا ) : ٢٢ ، ٤٤٩  
 أرجو : من الذي ملكها ؟ ٢٨٥  
 أرجوس : ٧٩ ، ٨٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، ٤٣٠  
 أرختيوم : أنظر عمال الإرخثيوم  
 الأرستقراطية : اختلاف الأرستقراطية البونانية  
 عن الإنجليزية : ٩٨ . أنظر أوليجارشية  
 أرستيدس : ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٤١١ ،  
 ٤٩٦ ، ٥٠٦ ، ٥٣٩  
 أرسطو : الأرستقراطية : ١٣٢ . الأجانب :  
 ٤٦٧ . التعليم : ٣٥٤ . القانون : ١٤٤  
 البرلمان والسوق : ٣٣٨ . مشاكل  
 السكان : ٣٩٥ ، ٤٠٠ . التبجيل  
 والاحترام : ١٣٢ . الكفاية الذاتية :  
 ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٤٢٥ . العبيد : ٣٢٣ ،  
 ٣٤٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ - ٤٧٩ .  
 تشريعات سولون بخصوص الأرض :  
 ١٥١ . الدولة المدينة كنظام عادي :  
 ٦٧ . المدينة القديمة : ٨٤ . المدينة  
 النموذجية : ٣٠٣ ، ٣٩٥ ، ٤٢٥ .  
 التراجمي : ١٨٨ . الفضيلة : ١٣٩ ،  
 ٢٤٣ ، ٤١٤ . الأسوار : ٩٠ - ٩١ .  
 النساء : ٥٩ - ٦٠ . دنوبى : ١١٦ .  
 اشتراكى : ٣٥٢ . استعمل حديقة : ٥٩

( ١ )

أياتوريا : ١٧١ ، ١٧٦ ، أنظر : ٢٣٦ ،  
 ٤٩٦ ، ٥٢٦  
 فزيدياموس : ٥١٤  
 اتحاد : أنظر نقابة  
 الأتراك : ٤١ ، ٣٦٧ ، ٣٩١ ، ٤١٦ ،  
 أنظر : ٣٥٠  
 لثروريا : ٢٢٩ ، ٣٨٩  
 الإبتسية ( الرياح ) : ٣٠  
 آثات حجرة النوم : ٢٥٥ ، ٢٥٦  
 الأثينيون لا الأتيكيون : ٨٣  
 الأجانب : أنظر الغرباء  
 للاجتماع في أركان الشوارع : ١٩٤ ، ٥٢٦  
 الأجر للأعمال الخاصة : ٣١٣ ، ٣٢٤ ،  
 ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٥١٢  
 الأجر للخدمة العامة : ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٩١ ،  
 ١٩٦ ، ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٤٩٥ ، ٥٠٥ ،  
 ٥١٠ ، ٥١١  
 لإجراءات واقية : ٣٩١ ، ٤٣٩  
 الأجرور : ٣٥١  
 إحصوسيوبوتامى : ( إحصوسيوبوتامى ) :  
 ٤٧ ، ٤٣٢  
 الأحاديث حول نيران للمسكر : ٥٣ ، ٢١٦ ،  
 ٤١٧  
 للاحتكار في معاصر الزيتون : ٥٠ ، في  
 الحبوب : ٤٤٣  
 أخارناى : ٤١ ، ١٨٩ ، ٣٣٣

الأطلنطي : ١٣  
 الاعتدال : ٤٨ . أنظر : ١٣٤ — ١٣٦ .  
 ٤١٣ — ٤١٥  
 إعلانات : ١٥٦ ، ٣٣٩  
 الأعمال الحربية : ٧٣ ، ٢٣٣ وما بعدها .  
 ٢٤٤ وما بعدها ، ٣٤٤ وما بعدها .  
 ٤٩٢ ، ٤١٦ وما بعدها .  
 الأعمال الزراعية : ٥٣ — ٥٤  
 أعمال النقش : ٥٠٣ — ٥٠٤  
 أغاني العمال : ٣١١  
 أفريقيا البرتغالية : ٤٧١ ، ٤٩٠  
 أفلاطون ، أرستقراطيته : ١٣٣ ، ١٨٢ .  
 تأثيره على معاصريه : ١٨٢ . كرنياش :  
 ٣٤٤ . مدته الثانية : ١٢٣ — ١٢٤ .  
 ٣٠٣ ، ٣٦٠ ، ٤٢٥ — ٤٢٦ . قصة .  
 بروتاجوراس : ٩١ استعمل حديقة :  
 ٥٩ . الأجانب : ٤٦٧ ، أبولون : ١٣٩ .  
 ١٤٧ . المساومة : ٣٣٩ . شيوعية  
 الأزواج والزوجات : ٢٦٣ . المالية :  
 ٣٦٦ . التعليم : ٣٥٤ . الغذاء : ٤٦ .  
 الصداقة : ٤١٦ . العمال العموميون :  
 ٣٣٠ . الحلود : ٧٦ . البرلمان والسوق :  
 ٣٣٨ . مشكلة السكان : ٣٠١ ، ٣٩٤ —  
 ٣٩٥ ، ٤٠٠ — ٤٠١ . تجارة التجزئة :  
 ٣٣٥ . التوفير : ١١٩ . أطباء العبيد :  
 ٣٢٤ . العبيد : ٤٧٥ — ٤٧٦ . اسبرطة :  
 ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٢٥ ، ٣٤٥ ، ٣٦٧ . المدرس  
 بأجر : ٣٢٧ . الحياة اللثلي : ١١٨ .  
 الملك الفيلسوف : ١٤٦ . الأسفار :  
 ٣٠٥ . الرصايا : ١٥٦ . الحجر : ٤٨ .  
 مشاكل النساء : ٤٠٥ — ٤٠٨  
 الاقتصاد كعلم حقيقي : ٣٦٢  
 الإقطاع : ٩٨ ، ٣٤٨  
 أكاديمية أفلاطون : ٥٩ . أنظر : ٤٧٩ :  
 ملاحظة .

أرشيف (الأول) : ١٠٤  
 الروايات الفرنسية : ٣٤٠  
 ليريتراي : ٢٢٤ — ٢٢٥  
 أزمير : ٣٦ ، ٤٠٩  
 اسبازيا : ٤٠٨ ، ٤١١  
 اسبرطة والاسبارطيون : الهدنة :  
 ٤٦٦ ، ٥٢٦ . أحداث القتال إلى : ٤٢٠ .  
 تجنب صرائون : ٢١٦ . النظام بها  
 ومقارنته بأثينا : ١٤٤ ، ٢٣٩ . الهيلوت بها :  
 ١٢٤ . في أتيكا : ١٦٣ . غير مصدق  
 بالنسبة لنا : ٢٦٥ . قوانينها : ١٤٤ .  
 النقاد بها : ٢٢٧ ، ٣٦٧ . مكانها في  
 التاريخ : ١٤٩ . الفخار : ٢٦٧ .  
 رفضها اقتراح أثيني : ٥٢٣ . موقعها :  
 ٤٥ . غير مسورة : ٨١ ، ٩٠ . الحرب  
 مع أثينا : ٥١٧ وما بعدها  
 الاستئجار : ٢٧٨  
 استثمار الأموال : ٣٧٥ ، ٣٧٧  
 الاستحمام : ١٨ ، ٤٩ ، ٢٥٥ (آخر للاحظة)  
 أسخيلوس (مقبرة) : ٧٢ ، المحادثات  
 الثلاثية الأورستية : ١٠٤ وما بعدها .  
 الفرس : ١٤٥ . كخترع : ٢٦٧ للاحظة .  
 أقتيس عنه : ٨٧ ، ٤٨٣  
 الأسعار ، غير محددة : ٣٤٠ — ٣٤١ .  
 ارتفاعها (في أثينا) : ٥٠٥  
 الإسكندر : ٦٣ ، ٣٩٨  
 الإسلام : ٧ ، ٧٥  
 أسلحة : ٤١٨ — ٤٢٠ . إنتاجها : ٣١٧ .  
 سلمها : ٨٣ ، ٢٨١ ، ٤٢٠ — ٤٢١  
 الاشتراكية : ٢٣ ، ٣٦١ — ٣٦٤ ، ٣٠٨ ،  
 ٣٥٣ . أنظر : ٤٩٣ — ٤٩٤  
 الأطباء : ٣٠٩ ، ٣٢٤ . أنظر : ٥٩ ، ٦٥ ،  
 ٣١٩  
 امس : ١٥

أورفيوس : ٤١  
 أورنيتس : ١٢٢  
 أورويوس : ٢٢ . أنظر : ٨٣ ملاحظة .  
 أولمبيا نص بها : ١١٤ . منظر بها : ٣٨١ .  
 معيها : ٤٩٥ ، ٤٩٩  
 الأولمبيجاشية : ٩٦ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٩٣ .  
 ٤٠٩ ، ٤١١ . أنظر : ٣٠٤ ملاحظة .  
 أوليس : ٢٢  
 أويانثيا : ٣٨٠  
 أيتوليا : ٢٨١ ، ٥٣٦  
 إيجينيا : ٣٦٣ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨ ، ٤٥٢ .  
 ٤٥٨ ، ٥٥٥  
 أيزوكراتيس : ١٤١ ، ١٨٢ ، ٢٢٨ ، ٣٢١ ،  
 ٥٢٣  
 أينوس تاسيتوس : ٦٩ ، ٤٢٢  
 إيوجنكس : ٣٩٠ ، ٤٠١ ، ٤٤٧  
 إيوريبيدس : ٢٢  
 إيوريبيدس أنظر يوريبيدس .  
 إيومايوس : ٩٤ ، ٢٨٦ . وفاة مريته :  
 ٤٧٧  
 أيونيا : ١٥٠ ، ٢١٨ — ٢١٩ ، ٣٠١ .  
 أنظر : ٤٥٠

### ( ب )

باتريا پونتاس : أنظر سلطنة الأب .  
 باخاى ( Bacchae ) : ١١٤  
 البارون : ١٣٢ ، ٢٩٧ ، ٥٣٩  
 پاسيون : ٤٧٧ — ٤٧٨  
 باناثيني ، موك : ٢٠٧ ، ٤٩٧ . ملاحظة :  
 أنظر : ٢٠٥ — ٢٠٦  
 بانمبليتي : ٢١٥ — ٢١٧ ، ٤٥٦ . أنظر :  
 ٢٣٥ — ٢٣٧  
 البحر الأسود : أنظر پونتاس .  
 براسيداس : ٢٨٤  
 البراغيث ، تعويذة ضددم : ٢٧٩

الاكتفاء الثاني : ٤٧ ، ٣٦٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ —  
 ٣٦٧ ، ٤٣٠ ، ٤٥٧ ( أنظر ٢٣٨ ) ،  
 ٥٥٢  
 الأكرويل ( مشروع بناء ) : ٣٥٥ ، ٣٥١ ،  
 ٣٥٧ ، ٤٤٦ ، ٥٠١ .  
 أكسفورد : ٣٥٤ . أنظر : ٤٠٢ . لثاء بها :  
 ٣١٩  
 أكسياچولى : ٣٧٣  
 إكلنزيا : أنظر برلمان .  
 ألبانيا : ٤١٦ ، ٥١٤  
 ألبرت موريال : ٤٤٨  
 إلبيس : ٤٠٣  
 الألساب : ٤١٧  
 الألقاب فى أتيئا : ٩٩ ، ١٧٩ — ١٨٠  
 ألكيادس : ٣١٧ ، ٣٤٦ ، ٤٥٣ . أنظر :  
 ٤٣٢ الملاحظة .  
 إلكترا ( إلكترا ) : ٧٥ ، ٤٠٣  
 إلكتروم : ٣٦٤ ، ٢٢٧ ملاحظة .  
 إليس : ٨١ ، ١١٤ ، ٤٥٥ ، ٥١٦ .  
 إماء المابد : ٤١٤  
 أمازيس ( الملك ) : ٦٣ . مصور أوانى :  
 ٣١٨  
 الإمبراطورية الرومانية : ١٧٢ ، ٣٧٥ .  
 أغرقها : ٨  
 إموريا : ٣٠٥  
 الإيجاناث : ٣٢٢  
 الإمداد بالمياه : ٣٣ ، ٨١ ، ١٣٥ — ١٣٦ ،  
 ٣٥٥ — ٣٥٦ ، ٣٦٠  
 الأمراض التناسلية : ٤٤  
 أمريك : ٩٦ ، ٢١٠ ، ٣٤٩ . أنظر : ١٣٥ ،  
 ٣٥٦ ، ٣٩٥  
 نى : ٢٥٢ .  
 نتصار : ٢٦٩  
 نلرا ، مكتشفها : ١٤ — ١٥  
 نهار وأحواضها : ٢٣ — ٢٤

بوليتس : ٨٤  
 بوليكرات الساموسى : ٢٨٤ ، ٢٩٣  
 بونفس : ٢٢٩ — ٢٣٠ ، ٤٣٩ ، وما  
 بعدها ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ — ٤٦٠ ، ٥٢٩  
 بيجاي : ٤٥٤ ، ٥٢٣  
 بيزستراتوس : ١٦ ، ٥٢ ، ١٦١ وما بعدها ،  
 ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٨٥  
 بيزنطة : ١٦ ، ٤١  
 بيوتيا ، التجارة الأثينية مع ،  
 ٣٨١ ، ٤٥٧ ، دستورها : ١٤٦ ،  
 ١٨٩ ، ١٩٣ ، اسمها : ٧٨ ، ٨٣ ،  
 العلاقات مع : ٤٣١ ، ٤٥٢ ، ٥١٧  
 ( ت )  
 تارنسوس ( تارشيش ) : ١٣  
 التاريخ في أثينا : ١٩١ ، في كوس ( Ceos )  
 ٢٧٨  
 تازوس : ٤٨٥ ، أنظر : ٤٩٦  
 تأمين الدولة : ٤٣٣  
 تاورومينا : ٤٣٧  
 التبخر : ١٢  
 التثبيت ( أى التعميد ) : ١٧٥  
 التجارة والتجار ، المعاهدات التجارية :  
 ٢٢٢ — ٢٢٣ ، ٢٢٣ — ٢٧٩ ، ٣٨٤ ، ٤٥٤ —  
 ٤٥٥ . اطراد التجارة ، ١٣١ — ١٣٢ ، ١٣٢ — ٢٨٨  
 ٢٨٩ ، ٣٠٤ . تجارة التجزئة : ٣٢٤  
 وما بعدها : التجارة الخارجية : ٣٧٨  
 وما بعدها . التجارة الأثينية : ٢٣٨ —  
 ٢٤٠ ، ٤٤٤ ، وما بعدها ، ٤٦٥  
 تجارة الحشب : ٤١ ، ٤٣٥ ، ٥١١  
 التحريم : ١١٢ ، ١١٣  
 تحقيق نسبة المعدن : ٣٦٦  
 تخريب المحاصيل : ٢٧٧  
 تخطيط المدينة : ٣٥٥  
 تخفيض النقد : ٣٦٥ — ٣٦٦  
 تداول القمح : ٤٤٣

البرقيكت ( نظام ) : ١٨٣ — ١٨٥  
 بركليس : وراثته : ٥٣٠ — ٥٣١ . عائلته :  
 ٩٩ ، ٤٠٣ . مرثيته : ٢٣٤ وما بعدها .  
 سياسته : ٤٣٨ وما بعدها .  
 البرلمان في أثينا : ١٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٤٦ ،  
 ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٥٢٦ ، المناقشات  
 في : ١٩٨ — ١٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥١٧ ، ٥٢٤ ،  
 ٥٢٩ — ٥٣٠ ، ٥٣٣ . وصف : ١٩٠ .  
 وما بعدها .  
 البرواق : ٤٣  
 برويليا : ٩١ ، ٥٠٢ — ٥٠١ ، ٥١٤  
 بروستيوس : ٢٦٦  
 بريا ، قرار : ٣٩١  
 بريتانيس : أنظر الرؤساء  
 بريد ، طوايم : ٢٢٨ ، ٣٦٩  
 بريد ، نظام : ٢٦٦ ، ٣٥٤  
 البطالة : ٥٧ — ٥٨ ، ٣١٣ ، ٣٢١ — ٥٠٣ — ٥٠٤  
 البقاء في العمل : ٨٠  
 بلانيا : ٧٨ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٤٠٢ ، ٥١٧ ،  
 ٥٣١ — ٥٣٢  
 بلازيجية ، سور : ٦٨  
 بلاوتس ( بلاوتوس ) : ٢٥ ، ٣٤٠  
 بناء السفن : ٤١ ، ٢١٩ ، ٤٣٥ ، ٤٩٧  
 البناءون : ٣١١  
 بندار : ١٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٣٩ ، ٤١٦  
 البندقية : ٣٦ ، ١٥٩ ، ٢٥٧ ، ٣٥٢ ،  
 ٣٨٤ ، ٤٦٥  
 البنغال : ٣٥٧  
 البواكي : ٥٩  
 بوتيدايا : ٥١١ ، ٥٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧  
 بورصة : ٣٧٤ — ٣٧٥ ، ٣٨٥  
 بوزول يوناني : ٣٢٠  
 البوسفور : ١٧ — ١٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ،  
 وما بعدها .  
 بولارخس : واجباته : ١٨٠  
 بوليب : ٣١ ، ٤٠٠ ، ٤٧٤

- صفاته : ٣٥٣ . تشجييمه الأجنب :  
٣٠٩ ، ٤٦٣ . يكتز أمواله : ٣٧١ .  
رحلته : ٤٥٥ . أمه : ٤٠٩ .  
سياسته : ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٨٣ .  
نيوجنيس : ١١٩ ، ١٣٢ - ١٣٦ .  
ثيوفراستوس ، صفاته : ٢٥٥ - ٢٥٦ .  
أنظر فهرس ، ١ تحت جب

(ج)

- جاليو : ٣٢٧  
الجامعات : ١٣٣ ، ٤٠٢ . أنظر :  
٣٥٣ - ٣٥٤  
الجيل الأسود : ١٢٥  
جبل طارق : ١٢ - ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ،  
جرامفون : ٣٦٦  
جريمة القتل : ١١١ ، ٥٣٣  
جزر القصدير : ١٥  
الجزر والد : ١٨ ، ٢٧  
جامعة الشاطي : ٢٥ (أنظر رجال الساحل) .  
جامعة الكتلتين الكبرى : ٢٨٨  
جنى الزيتون : ٣٠ ، ٥١  
جنيات : ٣٥ . أنظر : ١٣٤ - ١٣٥  
جورتن ، قوانينها : ١٥٠  
جيشات اليابان : ٤١٤  
جيوتو : برج - أجراسه : ٣٠٩

(ح)

- الحداثق : ٥٨ - ٥٩  
الحراب ذات اللات شعب ، استمهاها : ٢٤  
الحرب الذكلية (الديسليه) : ٣٩ ، ٣٥٥ ،  
٤٨٩ - ٤٩٥ ، ٥٢٥  
الحرب السامينية(الساميانية) : ٢٣٥ ، ٤٥٤ ،  
٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦  
حرب طروادة : ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٢٨٧  
حرق الفحم : ٤١ ، ٣٣٣

- التراجدى اليونانية ، أنظر المآسى  
تسالى : ٧٩ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ٢٧٦  
التسمية : ٩٨ - ٩٩ ، ١٥١ ، ١٧٧ ،  
١٨٠ ، ٤٨٠  
التعدين : ٣٠٩ ، ٤٨٤ وما بعدها  
التعصب ضد اللون : ٣٩٠  
التعليم في أثينا : ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ٤١٦ - ٤١٧ .  
أنظر : ٦٧ - ٦٨ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ،  
٣٣٥ ، ٤٤٨  
تعليم الدراسات القديمة : ٧٤١  
التعويضات : ٥٠٥  
تقاليد املاك الأرض : ٩٥ ، ٢٧٢ وما بعدها :  
٣٠٧  
التقدم : ٢١٢  
تقدير العروة في أثينا : ٣٥١ - ٣٥٢  
التقسيم : عدده في البرلمان الأثيني : ١٩٥  
توحيد الجمارك : ٢٢٧ . أنظر : ٢٢٢  
التوصم الإمبراطورى : ٣٥٥ (إقليمى) ،  
٤٦١ ، ٥٣٠ وما بعدها  
توكيديديس : ٢٣٣ - ٢٣٤ (حياته) ، عن  
اليونان في العصر الإقطاعى : ٧٩ ، ٨٢ .  
المقدمة له : ٥٢٨  
اللايارات : ٢٠ ، أنظر : ٣٠٤ - ٣٠٥  
تيرتايوس : ٤٢٠  
تيرنز : ٨٤  
تيفنوس : ٣٨١ ، أنظر : ٣٥٨

(ث)

- الثأر : ١٠٨  
ثرموبييل : ٩٠ . أنظر : ٢١٣  
ثورى : ٣٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥١٩  
ثيسيس (ثيسوس) : ٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٦ ،  
١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٢٦  
ثيمستوكليس (ثيمستوكليس) ، والأسطول  
الأثيني : ٢٥٨ . والسور الأثيني : ٩٠ .

( د )

- داريوس ( دارا ) : ٢٠٤ ، ٢٢٨ ، ٣٦٥ ، ٤٩٨  
 الداروينية ، خطأ في تطبيقها : ٢٩٢-٢٩٣ .  
 أنظر : ٥٤٣  
 الدراخا ، أصلها : ٣٦٧  
 الدرديل : ١٥ ، ١٧ ، ١٦١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ،  
 وما بعدها ، ٥٢١  
 الدفع بالمقايضة : ٤٧١  
 دعاة الفوضى : أنظر الفرضيون  
 الذكيلة . الحرب : أنظر الحرب الذكيلة  
 دلاشيا : ٩ ، ٣٠٢ ، ٤٧٤  
 داني . هبات كريسوس : ٢١١ . تأثيره :  
 ٧٤ ، ١٣٦ ، وما بعدها ، ١٤٧ ، ٣٠٠ .  
 مراكز عالمي للتجار : ٣٨١ . ضياح  
 نفوذها : ٢١٣ - ٢١٥ . الانتحال  
 ٣١٨ . إعادة بناء للعبد : ٤٠٥ - ٤٠٦ .  
 الخزانة السيكيونية في : ٤٢٠ .  
 أنحمازه للبولونييزيين ، ٤٢٣ .  
 الخزانة في : ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٤٢٠  
 دورات المياه : ٣٥٤ - ٣٥٥  
 الدوريون : ٩٥ ، ١٢٠ ، وما بعدها ،  
 الديلي ، الخلف : ٢١٩ ، وما بعدها : ٤٩٧ ،  
 الخزانات : ٢٥٧ - ٢٥٨ ، السون :  
 ٣٤٨ ، ٤٣٥  
 الديم : ١٧٩ ، وما بعدها ، ١٨٦ ،  
 ٤٣٨  
 الديمقراطية الحديثة : ١٨٣ ، أنظر :  
 ١٥٨ ، ٦١  
 ديموتيو نيداي : ١٧١  
 ديموستينز كدائن : ٣٧٤  
 ديموكيدس ( ديموسيديس ) : ٦٥ ، ٣٠٩ ،  
 ٣٢٤ ، ٣١٩  
 ديوان الجمارك : ٣٨٢  
 ديونسس على الأواني : ٤١٤

- حروب الحدود : ٤٢ ، ٢٩٠ ، وما يليها :  
 ٤١٩ ، ٤٣١ - ٤٣٢ ، ٥١٦ ، ٥١٨  
 الحصار ، ٣٩١ ، ٥٢٢  
 الحصان الخشي : ١٠٠ ، ٣٠٩  
 حق الاستفتاء العام : ١٨٤ . أنظر : ١٥٩ -  
 ١٦٠  
 حق الانتجاع : ٣٨٠  
 حقوق الابن البكر ( ليست يونانية ) :  
 ٢٧٧ ، ٩٥  
 حقوق المساعدة : ٢٢١ - ٢٢٣ ، ٣٧٩  
 وما يليها ، ٥١٨  
 الحملة السيراكوزية : ٣٣ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ،  
 ٥٢٩ ، ٥٤٣  
 الحنين للوطن : ٣ ، ٦١ . أنظر : ٣٨٢ - ٣٨٣  
 حياة القرية : ٨١ - ٨٢  
 حياة المدينة في اليونان : ٨٧ - ٨٨ . أنظر :  
 ٦٧ - ٦٩

( خ )

- خالسيس ( خالكيس ) : ٢١ ، ١٦٧ ،  
 ٢٢٤ ، ٥٤٠  
 الخجل ( αἰδώς ) : ١٣٦ . أنظر :  
 ٥٤٠ - ٥٤٣  
 الخدم : ٣٣٠  
 الخدمات التجارية الأثينية : ٢٤٠ ، ٣٨٧ ،  
 ٥٠٩ - ٥١٠  
 الخنزير القورينائي : ٣٦٧  
 الخضوبة غير متوفرة في اليونان : ٣٧ ، ٤٧ ،  
 ٣٩٣ ، ٢٥٩  
 خطاب ، أقدم خطاب يوناني : ٣٤١  
 الخمر : ٤٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ . أنظر : ٤١٣ -  
 ٤١٤  
 الخنازير : ٤٢  
 الخيال : ٢ . أنظر : ٢٦٥ - ٢٦٧  
 خيوس : ١٥٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٥٢٩



الرؤساء : ١٦٨ ، ١٩٠ . أنظر : ٩٢ - ٩٣ -  
روما ، قرنها باليونان عن خطأ : ٢٣٩ ، ٨٦ ،  
( بعثة إلى أثينا ) ، ٣٥٦ (البالوعات) ،  
٤٦١ ( ليسوا تجارا ) ، سياستها :  
٢٢٤

الرياح : ٣١ - ٣٢ ، ٤١٨  
رياضة ، الحرب ك : ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٤١٧  
وما بعدها .  
ريال ماريا تريزا : ٢٢٨  
الريف الاسكتلندي : ٨١ . البغل : ٢٥٦

### ( ز )

الزراعة الشبه مدارية : ٥٣  
الزلازل : ٩  
الزواج : ٣٨٩ . ( عبيد ) : ٣٩٠ ، ٤٤٧  
الزى الرسمى : ٢٦ ، ١٤٨ ، ٢٠٥ . أنظر :  
٢٥٤ - ٢٥٥  
زيت الزيتون : ٤٨ ، ٥١٢

### ( س )

الساعات اليونانية : ٦٥  
سانو : ٤١٣  
سامينية ( الحرب ) : أنظر الحرب السامينية  
سجستا ( سيجستا ) : ٢٢٩ ، ٤٥٤  
سروج : ٢٠٦  
ستسوس : ٤٤١ ، ٤٩٢  
سقراط : قاطع أحجار : ٣١٢ .  
مطالبته بالصيانة العامة : ٢٠٤ .  
يستطيع أن يفكر واقفا : ١٩٤ . وفاته :  
٨٦ ، ٢٣٤ ، ٤١٠ . زواجه المزدوج :  
٤١١ . عائلته : ٤١٣ . عاداته : ٣٢٠ .  
شفله وظيفه رئيس : ١٩١ . مظهره  
الشخصي : ٣٣٩ . كما كتبه : ٤٤٢

### ( ر )

رابطة الزملاء ( θίασσοι ) : ٣٢٢  
الراديكالية ، اليونانية : ٧٤ ، ٩٧ ، ١٦٩ -  
١٧٠ ، ١٧٧ - ١٧٨ . أنظر : ١٨٩  
ملاحظة ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ملاحظة  
الرأسمالية : ٣٠٨ ، ٣١٠ . أنظر : ٤٨٧ - ٤٨٨  
٤٩٠  
رامنوس : ١٧٩ ، ٥٠١  
الربا : ١٢٨ ، ٣٧١  
رجال الساحل : ١٦  
رجال محرون : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ٤٧٧ -  
٤٨٠  
رحلات المساء : ٣٢ ، ٢٨٦ ، ٤١٨  
رحلة القديس بول : ٣١  
الرخام البنتليكي : ٤٦٥ أنظر ، ٣٣١  
رسم الخريطة : ٢٢ - ٢٣  
الرعاة : ٤٢ ، ٢٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢  
الرق والمبيد ، في أثينا : ٢٠٨ ، ٤٣٩ ،  
٤٦٢ وما بعدها ، ٤٨١ وما بعدها .  
ديون العبيد : ١٣١ . في أشمار هومر :  
٩٤ . إدارة المنازل : ٣٢٩ . في الصناعة  
٣١٤ - ٣١٦ . في الجماعات : ٣٢٢ -  
٣٢٣ . في البرزانية القومية :  
٥٠٩ . في المصانع : ٣١٨ . مشاركتهم  
في الغذاء العام : ٤٣٧ . التحديد  
الجديد : ١٢٠ . اقتداؤهم : ١٥١ -  
١٥٢ ، ٤٢٣ . عدم في الثروة : ٣٦١  
العبيد الرومانيون : ١٧٢ ، ٤٨٩ .  
العبيد الهاربون : ٣٨٠ . العبيد  
المشترتون بانفضة : ١٣٥ ، ٤٨٢ . أبناء  
العبيد : ٤٠١ ، أسواق العبيد : ٣٣٩ ،  
الإمام : ٤٤١ . العبيد أصحاب  
الحوانيت : ٣٢٧ ، عمل العبيد : ٣٢٥  
روث ، مذكور : ٩٣

الشجيرات المهملة (نباتات قصيرة): ٢٨١ ، ٤٣ ،  
الشعاذون ، ١١٥  
الشرب : ٤٧ — ٤٨ ، ١٢٣ — ١٢٤ ،  
أنظر : ٤١٣ — ٤١٥  
الشرطة : ١٥٢ ، ٢٠٥ ، ٣٥٤ . أنظر :  
٤٥٩ ، ٣٨٨  
شروط الإسكان : ٢٥٢ — ٢٥٦ ، ٣٥٤ —  
٣٥٥ ، ٣٥٨  
شيشرون ( شيشيرون ) : ١٣٢ ، ٤٣٧  
شيلون : ١٢٩  
الشوعية : ٢٤٥

### ( ص )

سفينة الأرجوان : ٢٥ — ٢٦  
صحفي : ٣١٠  
الصداق : ٣٩٩  
الصدافة : ١٠٩ ، ٣٠٧ . ملاحظة : ٤١٥ —  
٤١٦ ، قارن ٣٥٧ ملاحظة  
صرافو النقود : ٢٢٨ ، ٢٧٠  
صقاية : ٢١٣ ، ٣٠٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٤  
صناديق أو أراضي متبسطة : ٤٤

### ( ض )

الضباط البحريون الحديثون : ٨٦  
الضرائب ، تقودا : ١٦٢ ، ١٨٣ ، ٣٤٧ ،  
٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٤٩٥ ، على الزمن ، ١٩٣  
ملاحظة : ٢٠١ — ٢٠٧ ، ٣٤٧

ضروب الفن ، يوناني وحديث : ٢٦٧

ضروب الامب : ٤١٨

ضريبة الأرض ( أنيفية ) : ١٦٢ ، ( انجليزية ) :  
١٧٣ ، ( في الامبراطورية الأنيفية ) :

٤٩٦

سكان أثينا : ٢٠٢ ، ٢٠٧ — ٢٠٨ ، ٤٦٣ —  
٤٦٤ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧

سلاميس : ٦ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ،  
٤٩١

سلطة الأب : ١٠٦

سلم الملك معاهدة : ٤٤٢

السمك والصيد : ٢٥ — ٢٤ ، ٣٢٨ ، ٤٣٥  
سفييوم ( سونيوم ) : ٤ ، ٤٠ ، ٣٣٩ ،  
٤٤١ ، ٥٠١

السهول الغربية : ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٧ . أنظر :  
٤٢٠ ، ٤٢٢

سوفوكليس : طابع تثيلياته : ٧٥ — ٧٦ ،  
١٣٩ . السكورس على الزيتون : ٥٢ .

أوديب الملك : ١١١ ، ٣٨١ ، ٤٦٧ .  
عن أثينا : ١٥٤ ، ٢١٣ ، ٢٣١ . عن  
إمرأة غير متزوجة : ٤٠٣ . أمين خزنة  
اليونان : ٢٢١

سولون : ٥٢ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، وما بعدها ،  
٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٣٠٩ ( عن السكتسيين

الأنيين ) ، ٣٩١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ،  
وما بعدها : ٤٢٢ ، ٤٩٤

سويسرا : ٤٤ ، ١٥١ ، ٢١٥ . أنظرفوهن  
السياج : ٤٤

سيباريس ( سيباريس ) : ٢١ ، ٣٢٣ ، ٤٥٥  
سيجيوم : ١٦ ، ١٦٣ ، ٤٤١

سيراكوز : ٣٠٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،  
سيريس : ٢١ ، ٣٨٣

سيفنوس ( سفنوس ) : المناجم في : ٤٨٥  
سينيا : ١٨١

### ( ش )

الشتاء ، اليوناني : ٣٠

شجرة الزيتون : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٨ ،  
١٥١ ، ١٩٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،

٣٠٩ ، ٥٢٤

عمليات الحصار : ٤١٨ ، ٤٢١ - ٤٢٢ ، ٤٣٠ - ٤٣١ ، ٥٠٩  
العهد المابيسيني ( الميسيني ) : ٧٧ ، ٨٠ ، ٣٦٢

### ( غ )

الغابات في اليونان : ٣٨ - ٣٩ ، ٣٣٢  
الغجر : ٣٨٢  
الغرياء أو الأجاناب : ١٥٦ ، ١٨١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٤٠٩ - ٤١٠  
(النساء الغريات) ، ٤٢٧ وما بعدها ، ٤٦٢ وما بعدها : ٤٩٥ ، ٥٠٧ - ٥٠٨  
غزة : ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ٤٥٣  
غوريلات : ١٤

### ( ف )

فارس : ١٣٢ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ -  
٢٢٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٩١ - ٤٩٢ ، ٤٩٧  
فارى ، كهف بالقرب من : ٢٨٣  
فاسيليس : ٢٢٣  
فايكيا : ١٩ ، ٨٨ ، ٢٧٣  
فترة الغناء : ٤٧  
الفرات ، الملاحه فيه : ٣٤  
فردريك الأكبر : ٥٢٥  
فرق الأساجه الخفيفة : ٢٧٦ ، ٥٠٨ - ٥٠٩  
الفرنجة في اليونان : ٣ ، ٧٠ ، ٢٨٧  
الفروسية : ٩٩ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٤١٦  
الفرنجيون في أتيكا : ٣٣٣ ، ٤٧٨ ، ٥٢٦  
فلسطين ، مقارنتها باليونان : ٣٢ ، ٣٨ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ١١٥ ، ١٢٧ . علاقتها باليونان : ٤٥٢  
الفنادق : ٤٨ ، ٣٥٨ ، ٣٩٦  
الفواكه : ٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩  
فورميو : ٣٢ ، ٩٠ ، ٣٥٥

### ( ط )

طبقه السكينة ، ليست قوية في اليونان :  
١١٥ - ١١٦ ، ٢١٣ - ٢١٤  
الطربوش العثماني : ١٤٨ ، ٣٩١  
الطرق : ٣٥٤ ، ٣٨١ - ٣٨٢  
طروادة : ١٦  
الطريق عبر البحر : ١٥  
الطفاة ( الحاكم المطلق ) : ٦٣ ، ١٤١  
وما بعدها ، ٤٤٥ ، ٤٨٢  
الطوبيات ، قديعة وحديثة : ٢٦١ وما بعدها ، ٤٢٥

### ( ع )

عاموس ( أموس ) : ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٨  
عبد الحيد : ٢٥ ، ٦١  
عبيد المعابد : ٤٨٠ - ٤٨١  
عدم التدخل : ٤٣٢ ، أنظر . ٤٣٠ - ٤٣١ ، ٥١٦ - ٥١٨  
عرائس الفن : ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٣  
العربات : ٢٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١  
عرض الأطفال في مكان عام : ٤٢ ، ٣٩٩ -  
٤٠١ ، ٤٨٠  
العزوبة : ٧٦ ، ٢٤٦ ، ٤٠٤  
عصر الحديد : ٨٠ ، ١١٨  
العقم ( الفزع منه ) : ٧٦ ، ٣٩٧  
علم النفس ( سيكولوجي ) : ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٣٣٦ . أنظر : ٣٢٠  
العمد : ١٧٧ . أنظر : ١٨١  
عمال الإرخثيوم : ٣١٥  
عمل الطاجين : ٥٤ ، ٢٦٦ ، ٣١١  
( طاحون ) .  
المعمل العام ، أنظر ليتورجي  
العملة الأثينية : ٢٢٧ ، ٢٦٧ ، ٣٧٠ ، ٤٨٩  
( أنظر غلاف الطبعة الإنجليزية )

( ك )

كاتو : ١٣٣ . العبيد الذين لا نفع فيهم :  
٤٨٩

كالدون ( كلسدون — كالسيدون ) :  
١٧ — ١٨

كبار رجال الصناعة : ٣٨٥

المكتبة : ١٨٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦

كتبة السوق : ٣٣٨ وما بعدها ، ٤٤٣  
كرت : ١٢٢ ، ١٥٠ . أنظر مينوس

كريسوس : ٢١١ ، ٢٦٩

كلاب الحراسة : ٤٤ ، ٢٨٣ ، ٣٨١

كليستيز ( كليستيفيس ) ، ٨٦ ، ٩٦  
١٦٣ وما بعدها ، ٢٠٨ — ٢٠٩ ،

٣٩٥ ، ٥٠٩

كليون : ١١٠ ، ١٩٩ ، ٢٧٨ ، ٥٣٣  
٥٤٠ ، ٥٣٨ ، ٥٣٥

الكتف : ١٠٣ ، ٤٧١

كيندوس : ١٠١ ، ٣٣٢

الكهنة : ١١٥ ، ٣٠٩ — ٣١٠

الكهوف على منحدرات الجبال اليونانية :  
٢٨٣

الكوركاندي : ٢٩ ، ١٠٢

كورسيرا والكورسيريون ، ٢٣ ، ٣١  
٤٣٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٥١٤

وما بعدها

كورنث ( كورينث ) ، الزبيب =  
كورنث ، ٤٧ . أسطولها : ٢٥٨ .

حدودها : ٤٢ . نظامها النقدي

السلبي : ٣٦٩ . قرض للاثينيين :

٣٧٤ . في الرثية : ٢٣٩ . علاقاتها

بأثينا : ٣٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ،

٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، وما بعدها .

العبيد بها : ١٢٢ — ١٢٣ . عبيد المعبد

بها : ٤١٤ . الطغاة بها : ١٤٢

الفوضيون : ٧٤ ، ١٤٦

الفون ، في سويسرا : ٣٠

فيدون : ١٥٠ ، ٣٦٤

فيليب المقدوني : ٢٩ ، ٦٣

الفينيقيون : ٢٦ ، ٣٠٤ ، ٣٨٧ ،  
٤٥١ — ٤٥٢

( ق )

القارات كحدود : ٧ — ٨

القانون العالمي : ١٠٦ ، ٢٢٢

قبرس : ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ — ٤٣٨ ،  
٤٥٢ ، ٤٥١

القديس فرانسيس : ١٣٨

القرار الميجاري : ٣٩١ ، ٥٢٢

القردة : ٣٩٠ . أنظر : ١٤ ، ٢١٢ ، ٣٨٧  
القرصة : ٢٣ ، ٢٨ وما بعدها ، ٣٧٩

قرطاجنة والقرطاجينيون : ١٤ ، ٢١٣  
( في صقلية ) ، ٤٥٣ ، ٤٥٧

القرعة ، الانتخاب بـ : ١٨٧ ، ١٨٩

القسطنطينية ( استانبول ) : ٧ ، ٧٠ ، ٣٥٠  
أنظر أيضاً بيرنطة

القضاة : ١٠٥ ، ١٥٥ ، ١٨٦ وما بعدها ، ٢٠٩  
ملاحظة ، ٢٢٠ ملاحظة

القطع الذي تم به سكة حديد اليونان : ٣٨

القمح ، توريد القمح : ٤٦ — ٤٧ ، ٢٧٠  
وما بعدها ، ٣٩٣ — ٣٩٥ ، ٤٣١ ، وما  
بعدها ، ٥٢١

القوة البحرية : ٢٤ ، ٤٢٤ وما بعدها ،  
٤٤٩ وما بعدها ، ٤٩٩ ، ٥٠٩ — ٥١٠ ، ٥١٥

وما بعدها

قوانين الزواج : ٧٦ ، ٤٠٩ — ٤١٠

قوانين المحاكم الصينية : ١٠٧ ، ١١٦

القيادة الحربية في أثينا : ١٩٩ — ٢٠٦

قيلولة : ٣٠ ، ٤٣٢

القطعة الفضية : ٢٥٦ . أمثلة الثالثة :

. ٣٧١

المجلات ، ٢٤٧ ( قرارة عاجلة ) .

المجلس بأثينا : ١٨٧ وما بعدها ، ٥٣٨

المحاربين في مقدونيا : ١٦٧

المحافظة اليونانية : ٧٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ،

٤٤٣ ، ٤٠٥

المحاكم في أثينا : ١٨٦ - ١٨٧ ، أنظر هيليا

المخازن : ٢٥٩

مخلاه ، كهفه : ١٢٩

المد والجزر ، انقفاؤه : ١٨ ، ٢٧

المدرسون : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧

المدن الفاضلة ، أنظر الطويات

المدن الهيلينية : ٣٥٥ ، ٣٨٦

مراثون ( مراثون ) حرب : ٩٠ ، ٢١١ ،

٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٤٣٢ ، ٤٥٧ ، ٥٣١ .

جري الليل المشهور في : ٤٢٠ .

المركزية : ٨٣

المساواة في بلاد اليونان : ٦١ - ٦٢ ،

١١٧ - ١١٨

السيحية : ٧٥ ، ١٧٢ ، ٢٤٤ . أنظر : ٥٢٩

مسينا ، مضايقتها : ٣٠ ، أنظر : ٤٥٣ - ٤٥٤

مصر والمصريون : ٢٠٩ ، ٢١٣ - ٢١٥ ،

٢٢٨ ، ٣٩٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٥١ ،

٤٥٣ ، ٥٠٣ ، أنظر ١٧٥

المصوت الأمي : ١٩٦

المطر في اليونان : ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٩

المبارك على السفن : ١٩

معتزلو السياسة : ٢٤١ . أنظر : ٢٥٢

المتقات ، ٤١٢

مقام حاكم الصين ( Yamen ) : ١١٦

المقاولون ، ٣١٢ - ٣١٤ - الملتزمون : ٣٥٥ ،

أنظر : ٤٣٦ - ٤٣٧

المقايسة : أنظر الدفع بالمقايسة

مقدونيا : ١٦٧ ، ٢٨١ ، ٤٣٥ ، ٥٢١ ،

أنظر : ٩٧

السكيكليس ، ٣٠٣ ، ٨٨

كيون ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ ( زوجته وعائلته ) ،

٤٩٨ ، ٤٩٢ ، ٤٦٤ ، ٤٥٢

## ( ل )

لجنة الأغراض العامة : ١٦٨ ، ١٨٦

اللجان : ١٩٢ - ١٩٣ ، ٥٣٨

لندن القديمة ، ٣١٩ ، موقعها ، ٤٥٠

لندن ، مدينة ، ٨٤ ، بواخر مجلس مقاطعة

لندن ، ١٧٧

ليتورجى : ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٠٣ -

٢٠٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٣٥ -

٤٣٦ ، ٤٩٣

ليسيكراتس : تخليده لجائزته ، ٣٤٧ - ٣٤٨

لسياس وتجار القمح : ٤٤٢

ليكورج : ٢٦ ، ٩٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،

١٥١ ، أنظر ، ٣٦٧

ليكييا : ٢٢٨ ، أنظر ، ٤٩٣

ليكيوم ( ليكوم ) ، المييد به ، ٤٧٩ ،

أنظر ، ٥٩

## ( م )

ماريا تريزا ، أنظر ريبال ماريا تريزا

المآسى اليونانية : ٧٥ ، ٨٨

الماعز ومرعاها : ٤٠ - ٤٤ ، ٢٧٥

المالية : ٢٥٧ - ٢٦٠

المالية الدولية : ٣٧٣ - ٣٧٤

المالية القائمة على الثقة : ٢٩٤ ، ٣٧١ -

٣٧٢ .

مانشستر ( منشستر ) ، ٢١ ، ٣٦٢ ،

٣٧٧ .

المتاحف : ٣٧١ ، ٥٠٦ ، أنظر ، ٣١٧

متجر بيع بالجملة : ٢٥٤

المتكس : أنظر الأجانب

ممثل الزراع : ٣٨ . أمثلة العمال في

الكروم : ٢٤٤ . أمثلة ضياع

( ن )

نابولي ، ٤٥٥  
 ناكسوس ، تأسيسها ، ٣٠٥  
 ناوزيكا ( ناوزكا ) ، ١٩ ، ٤٩  
 ناوكراريس ، انظر مناطق السفن  
 النجارون كفنناين ، ٨٣ ، ١٠٢  
 النرويج ، ٢٤  
 النساء ، ٤٩ ( ترتيبات الاغتسال لهن ) ،  
 ٦٠ ، ١٧٢ ، ( في الجمعيات السرية ،  
 ١٧٢ ) ، ٢٤٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٦٢ ،  
 ٤٠٣ وما بعدها ، ٤٢٢ ( لا تستطيع  
 المرأة أن تقذف ) النساء ربان  
 البيوت ، ١٩٩ . الرفقات ، ٤١٣  
 نسبة الفائدة : ٣٧٧  
 نسبة الموتي : ٣٩٦  
 النسور المروعة : ٣٢  
 النشيد الهومري لهرمس : ٤٢٠  
 النظارة في المسرح : ٥٨ ، ١٩٧ — ١٩٨  
 النظافة : ٤٩ ، ٢٥٥ ( آخر الملاحظة )  
 النظام القبلي : ٧٢ وما بعدها ، ٨٨ ، ٩٢  
 نظام المصروفات : ٢٠٤ ( سرى ) ، ٣٨٩  
 النفي الإداري : ١٩٦  
 نقابة : ٣٢٢  
 نقاشو الأواني : ٣١٦ وما بعدها  
 نقد قانون البرزخ : ٣٨٤  
 النقل : ٢١ ، ١٣١ — ١٣٢  
 النقود : ١٢٧ ، ٢٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٦١ وما بعدها ،  
 ٥٠٣ ( قوة شرائية ) ، ٥٠٨ ، ٥٣٥ —  
 ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠  
 نقود حديثة : ٣٦٧  
 نوكراتيس : ٣٨٤

( ه )

هانو : ١٤ ، ٢٣

مكان السوق : ٦٥ ، ٩٢ ، ٣٢١ ( الاحتماء به )  
 ٣٣٦ وما بعدها ، ٤٤٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٣  
 المكسيك ، حالة العمل بها : ٤٩٠  
 المكسوس : ٣٩١  
 الملابس : ٢٩ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٢١٥ ( المعادات  
 الأجنبية ) ، ٢٥٤ — ٢٥٥ ، ٢٥٦  
 ( استعارتها ) ( ٣١٨ ) ( ملابس  
 العمل ) .  
 الملابس الرسمية ، أنظر الزي الرسمي  
 ملابس ليلية : ٣١٨  
 الملاحظات الشخصية : ٦٤ ، ١٩٨  
 الملايا : ٣٩٧ . أنظر : ٣٩ — ٤٠  
 الملازمون المكسيكيون : ٢٠١  
 الملح : ١٢  
 ملصحة طروادة . أنظر حرب طروادة  
 الملاك أبناء زيوس : ٩٥ — ٩٦ ، ١٠٣ —  
 ١٠٤  
 الملوك في اليونان : ٩٥ وما بعدها  
 مناطق السفن ( أنظر ناوكراريس ) : ١٦٨  
 المنافسة : ٢٦٦ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٨٦ .  
 أنظر : ٢٣ — ٢٤ ، ١٠٢ — ١٠٣  
 المناقشة الميتافيزيقية : ١١١ ، ٥٣٢ — ٥٣٣  
 منينيا ( مانينيا ) : ٨١ ، ٨٩  
 المهاجرون بأثينا ، أنظر الفرياء أو الأجنبي  
 المهرج عند شكسبير ، ٤١٣  
 المهن والأخلاق ، ٢٣٥  
 السواني ، ١٨ — ١٩ ، ٣١  
 مودة عكس عادة ، ٢٦٨  
 الموظفون المدينون ، ١٨٧ — ١٨٨ ،  
 ٢٠٦ — ٢٠٧ ، ٤٩٥ ، أنظر ٤٨١  
 ميجاري ، قرار ، أنظر القرار الميجاري .  
 مياوس ، ٥٣٩ — ٥٤٤  
 ميليتوس ( ميلتوس ) ، ٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ،  
 ١٦٧ ، ٣٨٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠  
 الميناد ، ٤١٤  
 مينوس والمينيويون ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٣٠٦

قصة الكنديين : ٣٣٢ . قصة حلة .  
 ياروس : ٢٩٧ . قصة الحرب في نيريا : ٢٩٨  
 هيرويد (هزويد) : ٣١ ، ٦٠ ، ٧٤ ،  
 ٩٥ ، ١٠٠ وما بعدها ، ١٠٤ ، ١٣٥  
 هيكاتيوس (هيكاتيس) : ٢٤ ، ٩٦  
 الهلسيوت : أنظر الدرديل  
 الهلوت (الهلوت) : ٥٤ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٢٢ .  
 ١٣٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٨ .  
 الهيليا (هيليا) : ١٥٥ ، ١٨٢ ، ١٩٩

( و )

الوياء : ٣١ ، ٣٥٨ ، ٥٢٧ — ٥٢٨  
 الوثنية : ٤١٤ ، أنظر : ٧١ — ٧٢  
 الوجبات اليونانية : ٤٦ ، ١٠٢ ، أنظر :  
 ١٩٤ وكذلك ١٠٩  
 الوحى : أنظر دافى

( ي )

اليان : ٨٥ ، ٢١٤ ، ٢٥٥ ، ٤١٤  
 اليهود : ٨٩ ، ١٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٨٨  
 (الأسبان) ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، أنظر : ٣٩٠  
 يوربيديس ، Bacchae : ٤١٤ . ذكر  
 جماعة اللشدين : ٦ ، ٣٠٤ ، ٤٠٦ —  
 ٤٠٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ . القروى في  
 إلكترا : ٢٧٨ . ذكره لمبيد إيون :  
 ٤٨٠ . تمثيلاته الأخيرة : ٤٢٦ . عن  
 النساء : ٤٠٦ — ٤٠٧ . منظر أورستيس  
 ٥٩ . أنظر ، ١٩٩

الهجرة : ٦١ ، ١٥٦ (حديثاً) : ٣٠٠  
 وما بعدها : ٣٨٣  
 الهندسة أو العمارة اليونانية : ٣٥ ، ٣٣١ ،  
 ٣٥٥ ، ٣٨١ — ٣٨٢  
 الهواة : في الكريكيت والحكم : ١٨٤ —  
 ١٨٥ ، ١٨٨ . أنظر : ٣٥٢ ، ٣٦٩  
 هوراس (هورس) : ٣٥ ، ٢٢٨ ، ٣٨٣  
 هومر : الأرستقراطية عنده : ٩٧ . عماء :  
 ٣٠٨ . تجميع الديون : ٣٧٤ . الدليل  
 على : ٧٣ وما بعدها ، الحرب في :  
 ٤٢٠ . الإلياذة : ٧٩ ، ٩٢ وما بعدها ،  
 ١٠٨ . الأوديسة ، الجغرافية فيها : ٢٤  
 الأرملة الفقيرة في الإلياذة : ٤١٢  
 (ملاحظة) . من سبقوه : ٢ . درج  
 أخيل : ٣٨ ، ٤٣ ، ٩٢ . الرق عنده :  
 ٣٧٢ — ٤٧٣ . حياة المدينة عنده : ٨٨  
 هيبياس : ١٦٣ ، ٣٦٨ — ٣٦٩  
 هيروطاغية سيراكوز : ٤٥٤  
 هيردوت في ثوري : ٤٥٥ — ٤٥٦ . رحلاته :  
 ٤٥٣ . عدم الحجل : ٤١٤ . عن التطور  
 ٢١٢ . عن التجارة الحرة : ٤٤٥ .  
 عن الوحى : ٢١٤ . عن حرب طروادة .  
 ١١٠ . عن الطفلة : ١٤٢ — ١٤٣ .  
 ٤٤٥ . غريب ، ٢١٠ . قصة أدرستوس ،  
 ١١٢ . قصص أريون ونيوكريس  
 وجيجس : ١٤٧ . قصة ديوسيس :  
 ١٠٤ وما بعدها . قصة سولون  
 وكريسوس : ١٤٧ ، ٢١٢ ، ٣٦٩ .  
 قصة الأندريانيين : ٢٥٩ — ٢٦٠ .





## تصويب

رأيت أن أكتفي في هذا التصويب بالإشارة إلى أخطاء معينة تاركا للقارىء إدراك ما عداها . وألفت نظر القارىء بنوع خاص إلى التصويبات الخمس بصفحات ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٩٥ ، ٣٩٨ وذلك إلى جانب التصويبات الخمس بالأرقام .

| الخطأ                        | المصواب  | الصفحة | السطر              |
|------------------------------|--|--------|--------------------|
| السياسية                     | السياسة  | ١      | قول أرسطو          |
| Land                         | Lands  | ١      | هامش ٥             |
| ينس                          | ينسى   | ٥      | ١٠                 |
| ٥٦                           | ٦٥   | ٥      | هامش ١             |
| ٩٩٧                          | ٧٩٩  | ٦      | ٣ »                |
| ٤١٣                          | ٤١٢  | ٨      | ٥ »                |
| colonisation                 | colonization   | ٨      | ٦ »                |
| Proceeding                   | Proceedings  | ٨      | ٦ »                |
| ٧٣٩١                         | ٣٩١  | ١٥     | ٢ »                |
| ٤٢                           | ١٤٢  | ١١     | بركليسي في توكيديس |
| ومن ثم انتشرت من القدم عملية | ومن ثم كانت عملية  | ١٢     | ٩ ، ٨              |
| وقد كانت                     | تلقى   | ١٢     | ١٠                 |
| وراجت تجارة                  | وراجت قديماً تجارة   | ١٢     | ١٠                 |
| أكل                          | آكل  | ١٢     | هامش ٣             |
| الهيلاني                     | الهيليني   | ١٣     | ٦                  |
| كما يقول بندار               | كما يقول بندار في إحدى<br>تعبيراته المديدة التي<br>كانت تتخلل سرده قصة طويلة | ١٣     | ١٥                 |
| ١٠١                          | ١١١  | ١٦     | هامش ٢             |
| ٧٢                           | ٨٢   | ١٦     | هامش ٧             |
| القسطنطينية                  | القسطنطينية  | ١٧     | هامش ٢             |
| of                           | in   | ١٧     | هامش ٥             |
| للياة                        | المياه   | ١٨     | ١٠                 |

| السطر             | الصفحة | الصواب  | الخطأ  |
|-------------------|--------|---|--|
| هامش ٨            | ١٨     | ٢٢ — ١ — ١  | ١ — ٢٢ — ١   |
| ٧                 | ١٩     | تلقى  | في   |
| هامش ٢            | ١٩     | الجزر   | الجزو  |
| ١٧                | ٢١     | إبوبيا  | إبوبيا   |
| هامش ١            | ٢٤     | ٢   | ٣  |
| هامش ٣            | ٢٥     | Ar. Eq.   | Ar. Aq.  |
| هامش ١٠           | ٢٥     | بريطانيا  | بريطاليا   |
| هامش ٣            | ٢٦     | بوربورة   | بوريرة   |
| هامش ١            | ٢٧     | ٢ — ٦   | ٢٠٦  |
| قول أرسطو فانيز   | ٢٨     | أرسطو فانيز   | أرسطو  |
| ١٥                | ٢٨     | أوروبا  | أوريا  |
| هامش ٢            | ٢٩     | تلقى  | س  |
| ٩                 | ٣١     | يتعودوا   | يتعودا   |
| ١١                | ٣٢     | التجربة   | التجربة  |
| ٢                 | ٣٣     | أما   | وأما   |
| ١٧                | ٣٣     | ديوسفينيز   | ديوسفينيز  |
| هامش ٣            | ٣٣     | ٥٥  | ٤ — ٥٥   |
| ١٢                | ٣٤     | أوروبا  | أورورا   |
| هامش ٤            | ٣٤     | اليونان   | اليوزنا  |
| هامش ٤            | ٣٥     | ١٨٩ ، ٧٥ — ١  | ١٨٩ — ٧٥ — ١   |
| هامش ٥            | ٣٥     | ١١٧ ، ٩ — ٣   | ١١٧ — ٩ — ٣  |
| هامش ٦            | ٣٥     | ومن   | من   |
| قبل النص اليوناني | ٣٧     | ثاني  | :  |
| ١٩                | ٣٨     | أعلى  | أعلا   |
| هامش ١            | ٣٩     | ٤ — ٢٧ — ٧  | ٤ — ٢٨ — ٧   |
| هامش ٥            | ٤٠     | فإن كلمة αἰόλος أي مجموعة<br>الشجر حول مقصورة الإله | فإن كلمة αἰόλος أي مجموعة<br>من الشجر حول مقصورة إله |

| الخطأ                      | الصواب                  | الصفحة | السطر       |
|----------------------------|-------------------------|--------|-------------|
| لم تسكن مزرعة أصلا وإنما   | لم تزرع أصلا وإنما تركت | ٤٠     | هامش ٦ ، ٧  |
| هي متروكة                  |                         |        |             |
| بينما قد اقتصت بعضها لبناء | بينما مهد ماحولها لبناء | ٤٠     | هامش ٧ ، ٨  |
| مستمرات حولها              | مستمرات                 |        |             |
| غذاء                       | غذاء                    | ٤٣     | ١           |
| أشبه                       | فهو أشبه                | ٤٤     | الأخير (٢١) |
| فالقمح                     | والقمح                  | ٤٦     | ١           |
| ١                          | ٧١                      | ٤٧     | هامش ٥      |
| ( سقط بعد ٢ — ٦٠ )         | ١ ، ١٩٣ —               | ٤٨     | هامش ١      |
| المخارد                    | المخارد                 | ٤٩     | هامش ١٧     |
| ٦٨ ش ٢٠٣                   | لوحة ٧٨ ، شكل ٢٠٣       | ٤٩     | هامش ١٩     |
| ١ — ٩                      | ١ — ٩                   | ٤٩     | هامش ٢١     |
| ميلانية                    | هيابنية                 | ٥٠     | ٩           |
| عام ٤٨٠                    | حوالي عام ٤٨٠           | ٥٠     | هامش ٣ ، ٤  |
| إفريقيا                    | إفريقيا                 | ٥١     | ١           |
| ٤١٠                        | ٢٤٠                     | ٥١     | هامش ٢      |
| الفرولة                    | الفراولة                | ٥٢     | ١           |
| ٣٠                         | ٢٠                      | ٥٣     | هامش ١١     |
| معدة                       | معدودة                  | ٥٤     | هامش ٢      |
| أمر                        | أمرأ                    | ٥٤     | هامش ٤      |
| أنهم                       | لأنهم                   | ٥٥     | ١ ( ترجمة ) |
| وأبجج                      | أبجج                    | ٥٧     | قول برك ، ٢ |
| وأشرف                      | أشرف                    | ٥٧     | قول برك ، ٢ |
| ٣٦                         | ٣٥                      | ٦٠     | هامش ١      |
| ٨٨                         | ١٨٨                     | ٦٢     | هامش ١      |
| الديس                      | القديس                  | ٦٣     | ٩           |

| المصطلح     | الصفحة  | العناوين          | الخطأ                 |
|-------------|---------|-------------------|-----------------------|
| هامش ١      | ٦٣      | ٣ - ٨٠ ، ٨٢       | ٣ - ٨ - ٨٢            |
| هامش ٣      | ٦٣      | ديموسثينيز        | ديموسثينيز            |
| ٣ د         | ٦٣      | تليق              | مليق                  |
| ٨ د         | ٦٣      | ٣ - ١٣٩           | ٣ - ٢ - ١٣٩           |
| الأخير      | ٦٤      | يددو فاضلا        | ييدر فاضلا            |
| هامش ١      | ٦٤      | ٤ - ٤٤ ،          | سقط بعد ٢ - ٣٧ - ٢    |
| ٢ د         | ٦٤      | الجمهورية ، ٤٦٥   | الجمهورية ٣٦٥٠        |
| ٩           | ٦٥      | معترف             | معترفا                |
| هامش ٢      | ٦٦      | ٢٩٧               | ١٩٧                   |
| ٢٠          | ٦٧      | منذ               | من                    |
| هامش ٩      | ٧١      | type              | types                 |
| ١٠          | ٧٢      | الهيلانية         | الهيلانية             |
| ١٤          | ٧٢      | الهيلانيين        | الهيلانيين            |
| ١٧          | ٧٧      | الرتيبة           | الرتيبة               |
| ٢١          | ٧٨      | بيوتيا            | بيوشيا                |
| ٢٢ و هامش ١ | ٧٩ ، ٧٨ | البيوتيين         | البيوشيين             |
| ٢٤          | ٨٢      | كليسثينيز         | كليسثينيس             |
| ١           | ٨٣      | عاش               | عاشن                  |
| ٥           | ٨٩      | لا يستطيعون       | يستطيعون              |
| ٥           | ٨٩      | تلقى              | ليس                   |
| هامش ٢      | ٨٩      | نوعاً أنواع وضروب | نوعاً أنواعاً وضروباً |
| ٩           | ٩١      | بروتاجوراس        | بروتاجوراس            |
| ٧           | ٩٢      | الشوارح           | الشارح                |
| هامش ٦      | ٩٣      | فيلاموفيتز        | فيلاموفيدس            |
| هامش ١١     | ٩٣      | ماير              | مادر                  |

| السطر   | الصفحة | الصواب             | الخطأ                        |
|---------|--------|--------------------|------------------------------|
| ١١      | ٩٥     | يغضى               | يغض                          |
| هامش ٦  | ٩٥     | هبة يورغاخوس لترفه | بررغاخوس وهبته أعمال الترفيه |
| هامش ١٢ | ٩٥     | ٩٣٣                | ٩١٣                          |
| » »     | ٩٥     | يتسكتلون           | يتسكلون                      |
| ١       | ٩٦     | زبوس               | زوس                          |
| ١٩      | ٩٦     | كليستينز           | كليستينز                     |
| ٢١      | ٩٧     | تخفى على           | تخفى عن                      |
| هامش ٤  | ٩٩     | ١٢٩٧               | ١٢٩                          |
| ١٣      | ١٠١    | تلقى               | « »                          |
| ١٢      | ١٠٣    | تقبة               | جديدة                        |
| ٢٤      | ١٠٥    | «                  | «                            |
| ١٢      | ١٠٦    | «                  | و                            |
| ٥       | ١٠٧    | مطلقاً             | مصلاً                        |
| ١٠      | ١٠٧    | أجيالا             | أجيال                        |
| ١٧      | ١٠٧    | تسنه               | تسند                         |
| ١       | ١١١    | اسبرطة             | اسبارطة                      |
| ٩       | ١١١    | الذين              | الذي                         |
| هامش ٤  | ١١١    | رأى                | وأى                          |
| ١٠ »    | ١١١    | نشأوا              | نشوا                         |
| ٤       | ١١٢    | بدماء              | بدما                         |
| هامش ١٠ | ١١٢    | Soldiers Three     | Soldier, Three               |
| ٣، ٢    | ١١٣    | « بيضه »           | جمله ، يكون . . . يموت       |
| ١١      | ١١٣    | بن                 | ابن                          |
| ٢٠      | ١١٣    | «                  | بعد حالا .                   |
| هامش ٧  | ١١٣    | ١٥٩                | ٢٥٩                          |
| ٧       | ١١٥    | التفسير ،          | « التفسير »                  |

| السطر   | الصفحة | الصواب                | الخطأ                     |
|---------|--------|-----------------------|---------------------------|
| ١٠ و ٧  | ١١٥    | « بين »               | جلة إن لهذا . . . الحديثة |
| هامش ٢  | ١١٥    | I.G.A.                | I.A.G.                    |
| ١١ »    | ١١٥    | مايسينا )             | مايسينا (                 |
| ١٠      | ١١٨    | اليوتى                | اليوشى                    |
| ١٩      | ١١٨    | أخذوا                 | جملوا                     |
| ١٥      | ١١٩    | فلو                   | فإذا                      |
| ١٧      | ١١٩    | بميت محافظون          | ما يجهلهم محافظون         |
| هامش ٣  | ١١٩    | أعظم                  | أعظما                     |
| ١       | ١٢٠    | المدنية               | المدنية                   |
| ١٩      | ١٢٠    | الهيلينيين            | الهيلانيين                |
| هامش ١  | ١٢٢    | قالون                 | فالون                     |
| ٣       | ١٢٥    | يفسى                  | يفس                       |
| هامش ٣  | ١٢٥    | كون                   | إن                        |
| ٤ »     | ١٢٥    | القطمة                | الجزء                     |
| ١١ »    | ١٢٥    | اسبرطة                | اسبارطة                   |
| ١٣ »    | ١٢٥    | Plato                 | Platon                    |
| ٥       | ١٢٦    | تلقى                  | لهم                       |
| ٦       | ١٢٦    | كان الحكام الاسبرطيون | الحكام الاسبرطيين كانوا   |
| هامش ١٠ | ١٣٠    | Ath. Pol.             | Pol. Ath.                 |
| ١١      | ١٣٤    | اليوتى                | اليوشى                    |
| ٢٥      | ١٣٨    | الهيلينيين            | الهيلانيين                |
| هامش ١  | ١٤٣    | السياسة               | السياسة                   |
| ٤ «     | ١٤٧    | أريون                 | أريسون                    |
| ٦ «     | ١٤٧    | جيجس                  | جيجس                      |

| السطر   | الصفحة | الصواب              | الخطأ               |
|---------|--------|---------------------|---------------------|
| هامش ٣  | ١٨٤    | Quelques            | quelques            |
| د ٦     | ١٥١    | ١٢٦٦                | ١٢٥٥                |
| ٣       | ١٥٥    | ببببب               | ببببب               |
| ١٣      | ١٦١    | ، قد                | وقد                 |
| ٢       | ١٧٠    | هوموجالاكتس         | أوموجالاكتس         |
| هامش ٢  | ١٨٠    | ١٠٢٨ ، ٤٠٦          | ١٠٢٨ . ٤٠٦          |
| د ٢     | ١٨٢    | الأغنياء            | لأغنياء             |
| د د     | ١٨٢    | Sozialpolitischen   | Socialpolitischen   |
| ١٥ د    | ١٨٢    | ١ - ٥٣ ، ٢ - ٢٦ ، ٥ | ١ - ٥٣ - ٢ - ٢٦ - ٥ |
| د ٤     | ١٨٥    | إظهار               | إظهار               |
| د ٢     | ١٨٧    | ٧ - ٣               | ٧٠٣                 |
| د ٣     | ١٩١    | وتتكون              | وتتكون              |
| د ٣     | ٢٠٥    | السيثيين            | السيثيين            |
| ٢       | ٢٠٧    | واحد                | واحد                |
| ٩       | ٢٠٧    | الأثنيين            | الأثنيين            |
| هامش ٧  | ٢١٠    | ٤٦٦                 | ٤٦٠                 |
| هامش ١٧ | ٢١٢    | ١٧٠ - ٧ ، ٥٧ - ١    | ١٧٠ - ٧ - ٥٧ - ١    |
| ٤       | ٢١٨    | تيدوستينيس          | نيمستوكايس          |
| هامش ١  | ٢٢٠    | ٥ - ٢٣              | - ٢٣                |
| ٥       | ٢٢٣    | كبوليكرايس          | كبوليكرايس          |
| ٢٢      | ٢٢٤    | ٤٤٦                 | ٤٦٠                 |
| ١٦      | ٢٣٢    | ؟                   | ؟                   |
|         | ٢٣٣    | Nietzsche           | Nietzysche          |
| ١١      | ٢٤٣    | آتوه                | أوه                 |
| هامش ٩  | ٢٥٤    | المهانيون           | المهانيون           |

| السطر           | الصفحة | الصواب                              | المخطأ                        |
|-----------------|--------|-------------------------------------|-------------------------------|
| قول هيودوت      | ٢٧٩    | كورس                                | كورس                          |
| هامش ٣          | ٢٨٧    | يعالج                               | يعاج                          |
| ١٤              | ٢٩٧    | رجله                                | قدمه                          |
| ١٢              | ٣٠٣    | الكبكاويس                           | كيبكاويس                      |
| هامش ١٥         | ٣١١    | قلنت                                | تلنتا                         |
| ١ د             | ٣١٤    | ٨٣                                  | ٣                             |
| ٤ د             | ٣١٩    | المذكورات                           | المذكورون                     |
| ٢ د             | ٣٢٨    | ١٠ - ٣                              | ١٠ ، ٣                        |
| ١ د             | ٣٤٠    | انظر ، Ar.Ach.                      | انظر أرسطو ، Ar.Ach.          |
| ١٦ د            | ٣٤٢    | Jahrehefte                          | jahrshefte                    |
| ١٣ د            | ٣٥١    | ٢٠ ألف ثلث                          | ٢٠ ألف ثلثنا                  |
| ٩ د             | ٣٥٧    | ٧٠                                  | ٧                             |
| ١١              | ٣٦٣    | وتصدرها                             | وتصدرها                       |
| هامش ١٠         | ٣٦٤    | وفي خرائط مايسني التأخرة<br>في قبرس | وفي خرائط مايسني . في<br>قبرس |
| ٣               | ٣٧٥    | صفحة                                | صفحة                          |
| هامش ٢          | ٣٧٥    | ديتبرجر                             | ديتبرجر                       |
| ١٥ د            | ٣٧٥    | Ferrero ل                           | Ferrero و                     |
| ١٨ د            | ٣٧٥    | Influence                           | lfluence                      |
| هامش ٢          | ٣٨١    | Büchsenhütz                         | Büchenschütz                  |
| ١٠              | ٣٨٢    | اليونانيين                          | اليونانيون                    |
| ٢               | ٣٨٢    | أراخي                               | أرانس                         |
| الأخير          | ٣٨٦    | متاعبا                              | متاعب                         |
| هامش ١٣         | ٣٨٩    | الفارسية                            | الفارسة                       |
| هامش ٦          | ٣٩١    | قرار                                | قرارا                         |
| قول سوفوكليس، ٢ | ٣٩٢    | فيهما                               | فيها                          |
| هامش ٣          | ٣٩٦    | ٣٠ ألفا                             | ٣٠٠ ألف                       |



| السطر          | الصفحة | المصواب                | المخطأ                |
|----------------|--------|------------------------|-----------------------|
| ١٦             | ٣٩٨    | يجب ألا نهرب من الدليل | يجب أن نهرب من الدليل |
| ١٧             | ٣٩٨    | على وضعه وضعا صحيحا    | على وضعه الصحيح       |
| هامش ٢٠        | ٤٠٠    | Athens                 | Athe s                |
| ٧              | ٤٠٥    | بعض                    | بعضا                  |
| ٦              | ٤٠٧    | اليوم                  | لليوم                 |
| هامش ١٨        | ٤١٤    | Dionysus               | Dion sus              |
| ٦              | ٤٢٢    | قائد فرق اليونان       | قائد                  |
| قول بركليس ، ١ | ٤٤٥    | بركليس في توكيديديس    | توكيديديس             |
| قول مونثسكيو   | ٤٤٥    | ٣                      | ٢                     |
| ٥              | ٤٤٦    | وكفالة                 | كفالة                 |
| هامش ١٣        | ٤٥٣    | يكون                   | تسكون                 |
| هامش ٢         | ٤٥٥    | تابولي                 | تابولي                |
| ٤ د            | ٤٧٩    | حساب                   | حسابا                 |
| ١٥ د           | ٤٨٤    | طلب                    | صاب                   |
| ٦              | ٤٩٦    | ثلثا                   | ثلث                   |
| ١              | ٥١٦    | محاصروها               | محاصريها              |
| ١١             | ٥١٨    | شيء محدد               | شيئا محددًا           |
| ٣ د            | ٥١٨    | تلقى                   | في                    |
| ١٢             | ٥٢١    | اليونانيين             | اليوتووديين           |
| ١٢             | ٥٢١    | جانب                   | جانبا                 |
| ١ د            | ٥٢٥    | ١ — ١٣٩ إلى ١٤٤        | ١ — ١٣٩ — ١٤٤         |
| ٦              | ٥٤٦    | أخضر                   | أخضرا                 |

| السطر                 | الصفحة | الصواب       | المطأ        |
|-----------------------|--------|--------------|--------------|
| سطر أول - قول هيرودوت | ١      | Ἑλλάς        | Ἑλλάς        |
| هامش ٣                | ٥      | εὐδουσιν     | εὐδουσιν     |
| Aeschylis قول         | ١١     | Φέρε         | θέρε         |
| » » - ٢ »             | ١١     | υμιπράσσειν  | συμπράσσειν  |
| » » - ٣ »             | ١١     | οὐ           | Οὐ           |
| » » - ٣ »             | ١١     | ποτ'         | ποτ          |
| » - ٢ » بركليس        | ١١     | δρῶεν        | δῶεν         |
| » - ٢ » أرسطوفانيز    | ٢٨     | Αὔται        | Αὔται        |
| هامش ٣ ، ٦            | ٤٢     | δένδρον      | δένδερων     |
| » ٦                   | ٤٣     | αὐτῶν        | αὐτῶν        |
| سطر ، ٦               | ٤٦     | ᾧψον         | ᾧψον         |
| هامش ، ٢              | ٤٨     | κρασί        | κρασί        |
| ١٢٠ ، »               | ٤٨     | Βού — τυρος  | Βούτυρος     |
| » ١                   | ٥٤     | εἶριον       | εἶρον        |
| » »                   | ٥٤     | ξύλου        | ζύλον        |
| الأول                 | ٥٥     | τοῖς         | τούς         |
| ١٩                    | ٦٢     | τὸ           | τό           |
| هامش ١                | ٦٣     | ᾧν           | ᾧν           |
| سطر ٢ - قول أسخيلوس   | ٨٧     | καθιππάσασθε | Καθιππάσασθε |
| هامش ٤                | ٩٣     | ἦ            | ἦ            |
| » ٢                   | ٩٥     | γέροντες     | γέροντες     |
| » »                   | ٩٦     | Ζεὺς         | Ζεὺς         |
| » ٣                   | ٩٧     | βασιλεύτερος | βασιλεύτερος |
| » ٧                   | ١٠٣    | θέμιστες     | θέμιστες     |
| » ١٦                  | ١٠٣    | θέμις        | θέμις        |

| السطر                 | الصفحة | الصواب                  | الخطأ                  |
|-----------------------|--------|-------------------------|------------------------|
| سطر أول - قول يوربيدس | ١١٧    | σωφροσύνα               | σώφρουύνα              |
| هامش ١                | ١٢٠    | δημός                   | δημος                  |
| ٧ »                   | ١٢٥    | γυναικοκρατού-<br>μενοι | γυναικοκρατομ-<br>ενου |
| ٨ »                   | ١٣٠    | ”Ατθις                  | ”Ατοις                 |
| ٧ »                   | ١٣٣    | ἀποφεύγει               | ἀποφεύγει              |
| ٥ »                   | ١٣٥    | ”Εστε                   | ”Εστε                  |
| ٧ »                   | ١٣٥    | ἔμμεν                   | ἔμμεν                  |
| ٩ »                   | ١٣٥    | ὔδωρ                    | ὔδωρ                   |
| ١١ »                  | ١٣٥    | ἦ                       | ἦ                      |
| أول - قول هيرودوت     | ١٤٠    | ἐλεύθεροί               | ἐλεύθεροί              |
| الثاني - سونوكليس     | ١٥٨    | ἄν                      | ἄν                     |
| هامش ٣                | ١٦٨    | ἐν                      | ἐν                     |
| ٢ »                   | ٢٠٢    | δημιουργός              | δημιουργός             |
| ٢ »                   | ٢١٤    | ἄ                       | ἄ                      |
| ٢ »                   | ٢١٨    | ἦν                      | ἦν                     |
| ١١ »                  | ٢٢٠    | ἄς                      | ἄς                     |
| ١٢ »                  | ٢٢٠    | πεντακόσιοι             | πεντακόσιοι            |
| ٣ »                   | ٢٣٠    | ἐρασταί                 | ἐροσταί                |
| ٧ »                   | ٢٣٦    | ἕτεροι ἕτερα            | ἕτερα ἕτεροι           |
| ١ »                   | ٢٤٨    | ἔστι                    | ἔστι                   |
| ١٠ »                  | ٢٣٩    | Βίων                    | βίων                   |
| قول أرسطو             | ٢٤٢    | γάρ                     | γάρ                    |
| » »                   | »      | ἴδια                    | ἴδια                   |
| هامش ١٢               | »      | ώας                     | ώας                    |



الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة